مفصل

العرب واليهود في التاريخ

حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية

بقلم

الدكتور أحمد سوسة

الطبعة الخامسة

طبعة جديدة منقحة ومفصلة

مزودة بمائة تصوير وثلاثة وعشرين مرتسم

بطاقة فهرسة

مكتبة كنوز المعرفة

اسم الكتاب: مفصل العرب واليهود في التاريخ

بقلم: د/ أحمد سوسة

رقم الإيداع:

الطبعة الأولى ٢٠١٢

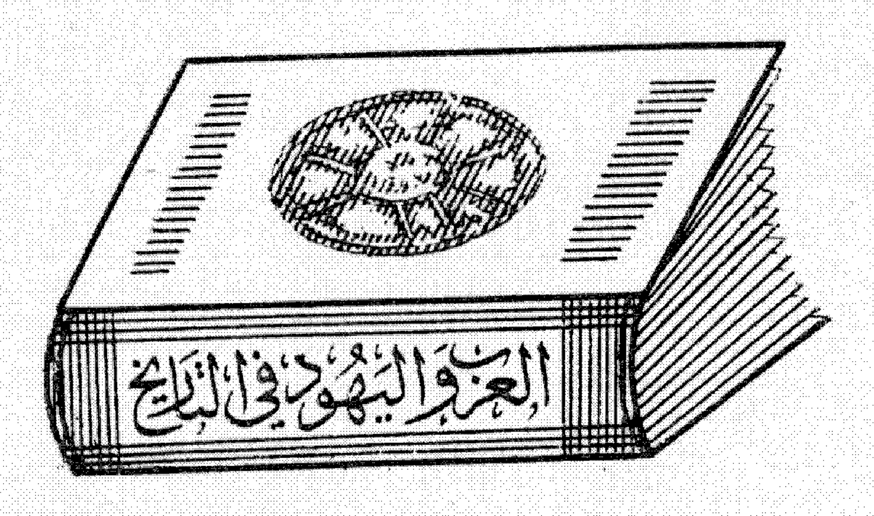


أخلصت للدين والدنيا فكنت بها
حققت في عالم التأليف والكتب

رسالة عن فلسطين كشفت بها ...
زيف الصهاين للتاريخ والحجب

أبا علي وفيما نلت من شرف
نمى لأكرم روحي جاء في العرب

قد أكبر الضاد ما حققت حين بدا
مصباح صدقك يمحو غيهب الكذب



حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثارية

« ان إسرائيل برمتها . كانت وما تزال وستبقى من الوجهة القانونية ملكاً للعرب الفلسطينيين الذين أجلوا عن ديارهم بالقوة »

الإهـداء

إلى الوطن العربي الكبير

مهد الحضارة الإنسانية

إكبارًا وإجلالًا

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

يسر مكتبة (كنوز المعرفة) أن تُقدم لقرائها الكرام من العالم الإسلامي بصفة خاصة، والإنساني بصفة عامة، هذا السفر النفيس، الذي أنفق فيه مؤلفه الدكتور/ أحمد سوسة أربعين عامًا، يبحث خلالها عن مدى أحقية اليهود التاريخية في أرض فلسطين، وقد راجع المؤلف خلال هذه السنوات المئات من المراجع التاريخية، والدينية، والعديد من المكتشفات الأثرية، متحليًا في بحثه بالنزاهة العلمية والتجرد والموضوعية.

وانتهى - رحمه الله - إلى أن فلسطين أرض عربية، وليس لليهود أي حق فيها، وأن ما يزعمونه من أحقية في فلسطين، فهو قائم على تزييف التاريخ، وقلب الحقائق.

كما ناقش المؤلف مدى صحة توراة اليهود، وقصة تلمودهم، وهيكل سليمان، وعلاقة اليهود بالأنبياء والرسل، وانتهى إلى حقائق مذهلة تختلف عمَّا شاع واشتهر بين الناس.

وبنشرنا لهذا الكتاب نرجو أن نكون قد ساهمنا في إظهار الحق والحقيقة ووضعها بين يدي قرائنا الكرام.

والله من وراء القصد،

الناشـــر

* * *

كلمة شكر

إن الدكتور أحمد سوسة لا يسعه، في مستهل هذه الطبعة الجديدة، الطبعة الرابعة المنقحة والمفصَّلة لكتابه: (العرب واليهود في التاريخ)، إلا أن يسجل عرفانه بجميع المساعدات والمشاعر الطيبة التي تلقاها من الجهات المختلفة، إبان وقبل وبعد صدور الكتاب في طبعاته الثلاث السابقة، وبالتالي أن يقدم عنها أصدق وأنبل مشاعر الامتنان والشكر والتقدير لمستحقيها. ولقد كان سيشعر بالأسى لو لم يقم بهذا الواجب.

وتأتي وزارة الإعلام الموقرة على رأسها جميعًا، إنها صاحبة الفضل الأول في إيصال الكتاب إلى القارئ العربي والإعلان عنه في العالم الخارجي عندما تبنت مشروع إصداره في طبعته الأولى، وترجمة مقدمته إلى اللغتين الفرنسية والإنكليزية، وربما كان من غير المقدر له أن يصدر بعد لولا مبادرتها الكريمة، كما كان لمساعداتها اللاحقة فضل تطوير الكتاب ودفعه إلى طبعته الحالية في أقل من سنتين من صدور طبعته الأولى.

فإلى مقام وزارة الإعلام الموقرة يرفع أسمى آيات العرفان والشكر والتقدير.

ويليها مباشرة في الفضل الزملاء من أهل العلم والبحث الأساتذة أحمد الشربتي، طه باقر وسالم آلوسي الذين هبوا لنجدته في أشد ساعاته حراجة وأكثرها حاجة للعون عندما سقط مريضًا لا يستطيع مبارحته الفراش والكتاب تحت الطبع، فجلس إليه الأستاذ أحمد حامد الشربتي ملازمًا ومؤاسيًا يقوم له بقراءة مسودات الكتاب ويدون عنه ملاحظاته ويمده من مكتبته العامرة بالمصادر الضرورية قبل أن يعيدها إلى المطبعة بينما تفرد الأستاذ طه باقر بتصحيح مسودات الكتاب الطويلة وأشرف الأستاذ الآلوسي على الطباعة والإخراج، نهايك بما قدموه من ملاحظات قيمة استدركت في حينها ولم يكن بالإمكان اكتشافها لولا دقة ملاحظتهم.

إنه يشعر بأنه مدين لأولئك السادة الكرام بكل ما بذلوه من جهد في سبيله وبما طوقوا به عنقه من جميل، فإليهم يقدم أصدق وأنبل مشاعر الامتنان والتقدير.

ولا يسعه أيضًا إلا أن يسجل للأستاذين بهجة الأثري وجعفر الخليلي تفضلهما بمراجعة مقدمة الكتاب الطويلة، وإبداء ملاحظاتهما القيمة عليها، فإلى

الأستاذين بهجة الأثري، وجعفر الخليلي يقدم أصدق مشاعر العرفان والشكر.

وكذلك أيضًا لا يسعه إلا أن يسجل لدار الحرية (مطبعة الحكومة) ما تحلت به من الأناة والصبر الجميل، وما بذلت من جهود مشكورة في سبيل إخراج الكتاب على أكبر قسط من الدقة والإتقان، فإلى مدير دار الحرية وموظفيها ومستخدميها يقدم أخلص مشاعر العرفان والشكر.

ولا يسعه أيضًا إلا أن يذكر بالتقدير أولئك الذين أسهموا وبمحض إرادتهم في هذه الطبعة وهم السادة:

١ - الأستاذ الدكتور: رولف رايخات مدرس مادة الثقافة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، ومدير المركز الثقافي الأفرو - آسيوي في جامعة باهيا الاتحادية سلفادور (البرازيل) الذي تفضل مشكورًا بكتابة وإرسال مقدمة هذه الطبعة.

٢ - الزميل الأستاذ حامد الشربتي الذي تفضل مشكورًا بكتابة تصدير هذه الطبعة الرابعة.

٣ - السيد إلياس بيطار من صافيتا - سوريا الذي تفضل مشكورًا بكتابة موجز حياة المؤلف والذي قام بترجمة مقدمة الدكتور رايخات من الإنكليزية إلى اللغتين العربية والفرنسية، ناهيك بالملاحظات القيمة التي أبداها حوله والتي كانت سببًا في تفصيل مواد كثيرة من الكتاب الأم.

وهذه الملاحظات إن دلت على شيء فإنما تدل على غاية نبيلة ودراسة عميقة وذوق رفيع في القراءة أي أنه قارئ ممتاز، إضافة لإشرافه على الطباعة وإخراج الكتاب.

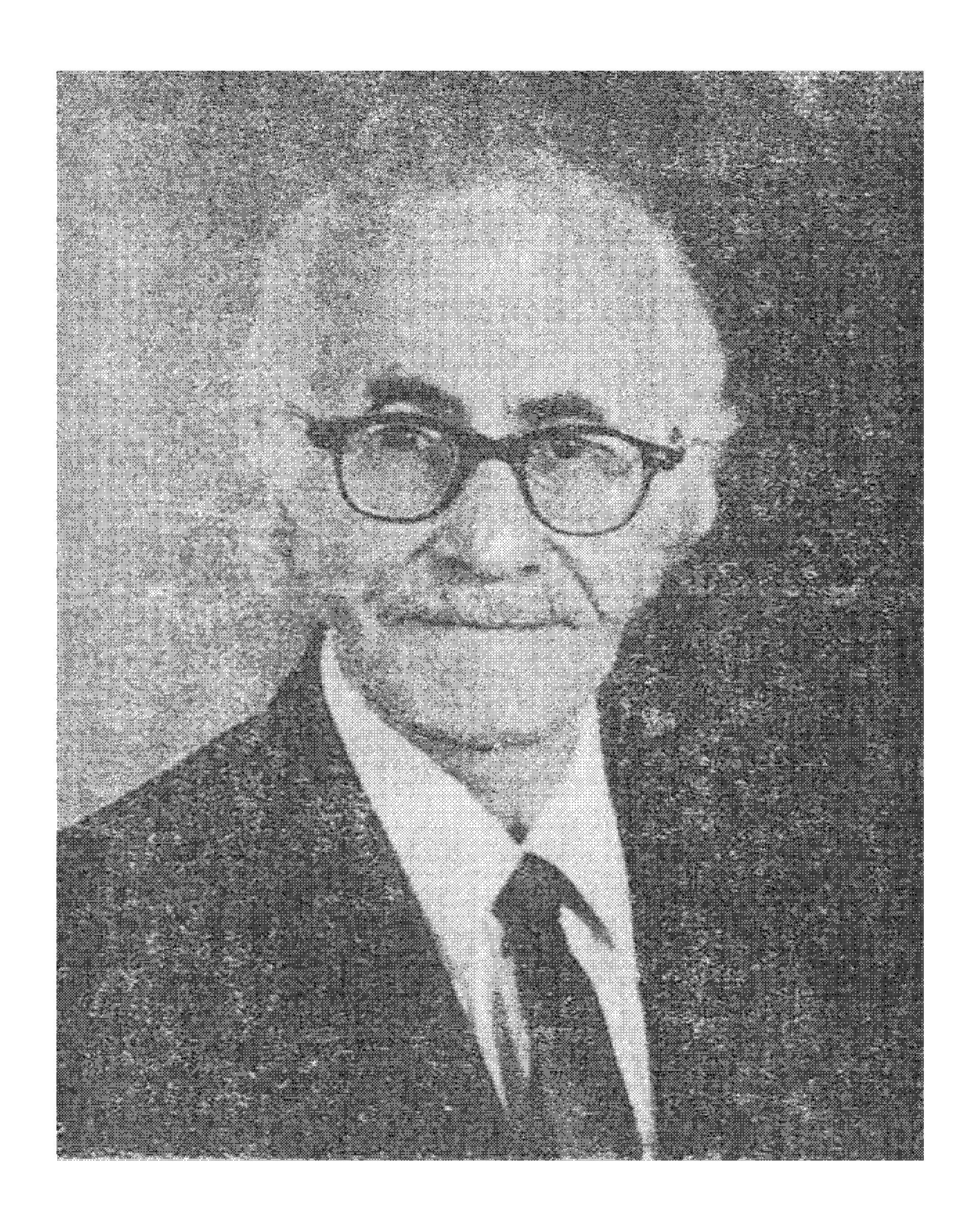
وأخيرًا إن ينسى فإنه لن ينسى ذلك العدد الكبير من القراء العرب والأجانب، باحثين ومدرسين وعاديين، الذين تفضلوا وأعلنوا عن مشاعرهم الطيبة أو نقدهم الصريح سواء عن طريق الرسائل أو الجرائد والمجلات، وكم كان بوده لو يذكرهم جميعًا هنا إلا أن ضيق المكان وضخامة عددهم حالا دون ذلك ولكنه يأمل في أن يصدر كلماتهم في كتيب صغير يكون بمثابة رد للجميل.

والله من وراء القصد،

الدكتور/ أحمد سوسة

* * *

موجز حياة المؤلف



الدكتور أحمد سوسة
(في أحدث رسم له)
* * *

موجز حياة المؤلف

ولد الدكتور أحمد سوسة في بلدة " الحلة الفيحاء " في جنوب العراق سنة (١٩٠٠)، وقد كان لمكان وزمان ولادته أكبر الأثر على سيرة حياته، من حيث تكوينه وإعداده وتوجيهه على درب كتابه الفذّ " العرب واليهود في التاريخ ".

ولا غرو، فبلدة " الحلة الفيحاء "، مسقط رأسه، إن هي غير بابل جديدة، وإن لم تكن كجارتها في الشهرة والعظمة، قامت بجوارها وعلى أنقاضها، أما سنة " ١٩٠٠ "، سنة مولده، فإنها تحدّد بدء تاريخ غنيّ بالمثيرات خضب بالمكتشفات الحضارية والعلمية، لم يشهد له جنوب العراق نظيرًا: فمع إطلالته على هذا العالم كانت مدينة بابل هي الأخرى قد أخذت تطلّ بدورها على العالم من جديد، بعد رقاد دام أكثر من ألفي عام، لتروي قصة مجدها الغابر وقصص الأجيال الماضية، ومثلها كانت مدينة " كيش " التاريخية بينما كانت فكرة بناء سدة الهندية [١] (سد بالاكوباس القديم) تعتمل في رأس مصممها العظيم السير ويليام ويلكوكس [٢].

(١) سدة الهندية.
قام بتصميم هذا المشروع العظيم المهندس الفذ السير ويليام ويلكوكس في نفس موقع سد " بالاكوباس " (Pallacopas) الذي يعود إلى زمن الإسكندر الكبير ولم يضمنها أية مواد لم تكن متوفرة في ذلك الزمن البعيد، مما يجعلها بحق إحياء لذلك المشروع القديم.

(٢) السير ويليام ويلكوكس (١٨٥٢ - ١٩٣٢).
مهندس فذ اكتسب شهرة، عالمية بما قدم من بحوث قيمة، ولاسيما تلك التي لها علاقة بالري في وادي الرافدين القديم، والتي ستبقى منارا يهتدي بضوئه الباحثون والمهندسون ومصدرًا لا يمكنهم الاستغناء عنه، وبما قدم من أعمال مجيدة غيرت مجرى الحياة العمرانية والاقتصادية في الشرق ولاسيما في مصر والعراق، وبعد السير ويليام ويلكوكس أحد الرجال الثقات الذين شهد بهم العالم بسعة الاطلاع والنبوغ والكفاءات التقنية العالية.
ولد السير ويليام ويلكوكس في الهند وتلقى علومه فيها وتخرج من كلية " روكي " للهندسة المدنية.
زاول لمدة تزيد على أحد عشر عامًا (١٨٧٢ - ١٨٨٣) مهنة مهندس ري في الهند فاكتسب خبرة عالية في هذا المجال، اختارته الدولة العثمانية سنة ١٨٨٣ مستشارًا لها

وهكذا قيض للدكتور أحمد سوسة أن يجيء مولده في مكان عريق في تاريخه وحضارته وفي زمان كان فيه ذلك التاريخ مثار نشاط حضاري وعلمي واسع، ومثل هذين العاملين لابد وأن يكون لهما أثرهما الكبير على سيرة إنسان ذكي مرهف الحس.

ويولد الدكتور أحمد سوسة، ومع ولادته يقوم بأول خطوة على درب مسيرته الكبرى، " العرب واليهود في التاريخ "، فكان كلما كبر سنة كلما ازدادت معها مدينتا بابل وكيش بروزًا وتقدّم معها مشروع بناء سدّة الهندية خطوة نحو التحقيق والإنجاز، وما أن أنهى مرحلة الطفولة والصبا حتى كانت جميع تلك المنجزات قد اكتملت: فهذه بابل قد انتهى من أمام سدّة الهندية نحو بلدته الحلة العطشى، عام ١٩١٣، ليروي أرضها ويحيي مواتها بعد أن حرمتها يد الأقدار من عماد وجودها سنوات طوالاً.

في هذا الجو المثير، أمضى الدكتور أحمد سوسة مرحلة طفولته وصباه، زار

تستنير بخبرته في هذا المجال بعد أن صممت على إجراء بعض الإصلاحات في إمبراطوريتها الشاسعة وأوفدته عام ١٨٨٤ إلى مصر للإشراف على طرق الري فيها ومشاريعها وبعد أربعة عشر= =عامًا من العمل الجاد صمم مشروع خزان أسوان العظيم وأنجز بناءه خلال الفترة ١٨٩٨- ١٩٠٢، وما يزال أهل وادي النيل الذين أحبهم وأحبوه يذكرون له ذلك العمل المجيد.

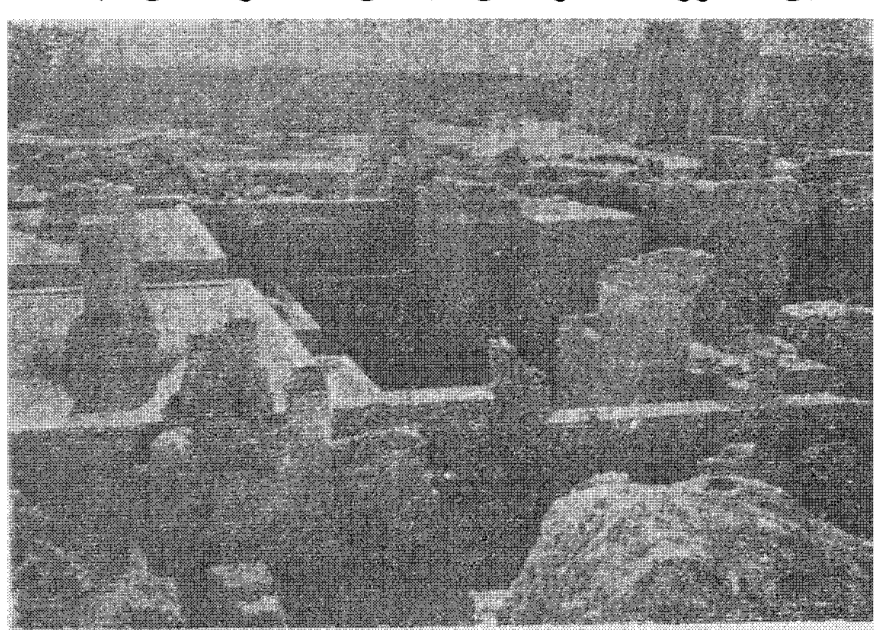
وبعدها انتقل إلى العراق حيث واجه صعوبات تقنية جمة لانعدام الخرائط المساحية التي نعتمد عليها مشاريع الري لكن خبرته في هذا المجال مكنته من إجراء مسح سريع بالتعاون مع الأهلين قدم على ضوئه تقريرًا مثيرًا إلى الدولة العثمانية، وإليه يعود فضل تصميم وبناء سدة الهندية ومشروع الجبانية لتخفيف حدة إخطار فيضانات الفرات، وكذلك أحب العراقيين وأحبوه وهم ما يزالون يذكرون له أعماله المجيدة.

أحب السير ويليام ويلكوكس الشرق كثيرًا وقد قرر أن يقضي فيه أواخر أيامه، فعاد إلى مصر وعاش فيها إلى أن داهمته المنية يوم ٢٨ تموز ١٩٣٢.

أبنته مصر وجميع البلاد العربية بما يستحقه على صفحات جرائدها ومجلاتها التي كانت تصدر في تلك الأيام، وقد كتبت في ذلك مجلة الهلال في عددها الأول لسنتها الحادية والأربعين الصادر يوم الثلاثاء الموافق الأول من نوفمبر سنة ١٩٣٢ - ص ١٣ تحت صورته:

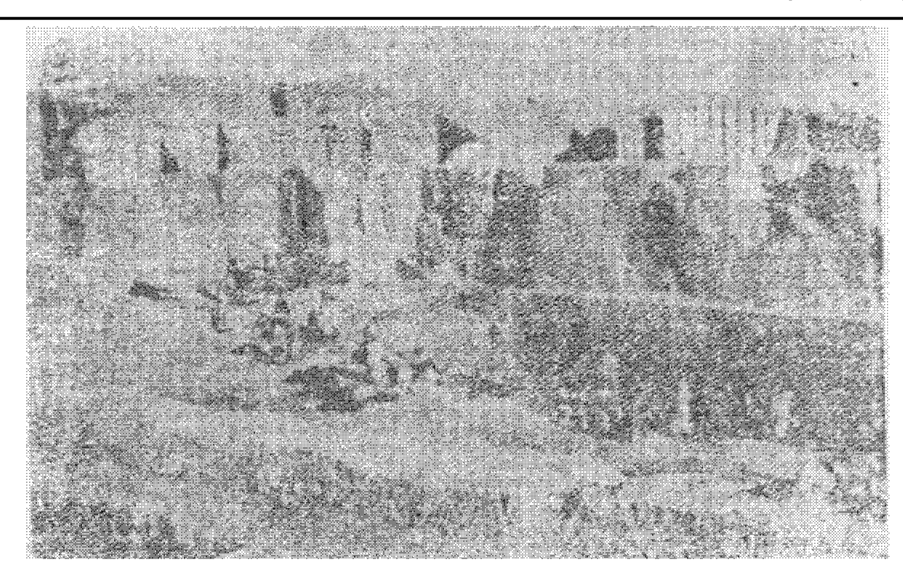
" السير ويليام ويلكوكس، المهندس والعالم الكبير الذي انتقل إلى رحمة ربه في شهر أغسطس الماضي، قد اشتهر بخدماته وحبه لمصر فحزن عليه المصريون حزنًا عميقًا ندر أن يحزنه شعب على وفاة أجنبي عنه "..

خلالها " بابل " و " كيش " وسدة الهندية كلما سنحت له الفرصة، وتعرّف خلالها إلى الدكتور " روبرت كولدواي " في بابل وإلى الأب " دي جنوياك " في كيش وإلى المهندس الفذ السير " ويليام ويلكوس " في سدة الهندية وحفظ عنهم أدق الذكريات ولاسيما السير ويليام ويلكوكس الذي رافقه طيلة حياته العلمية وهذا بعض ما سبق للدكتور أحمد سوسة أن كتبه عن هذه المرحلة من حياته:



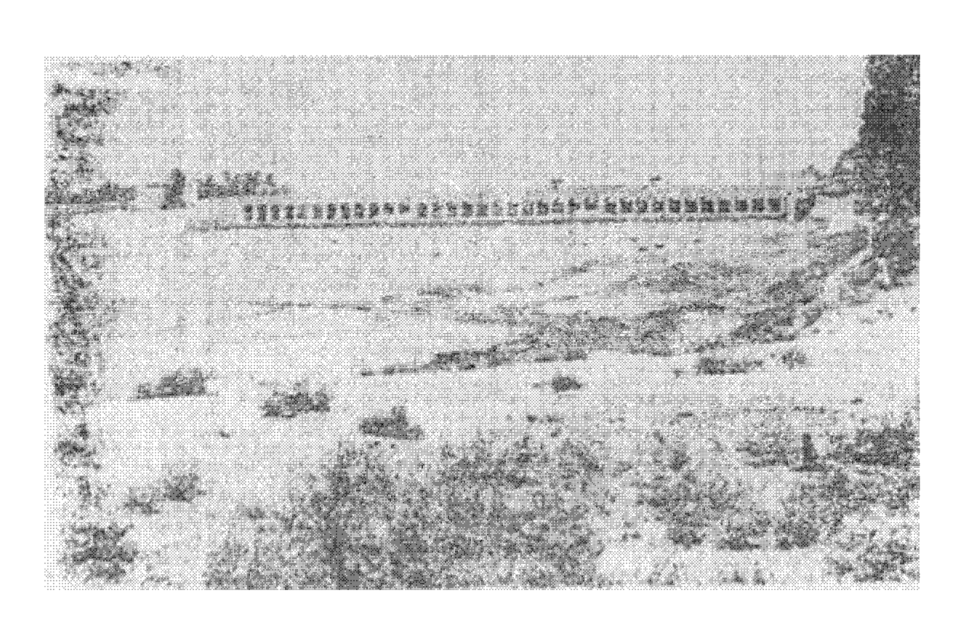
تصوير رقم (أ)
أطلال مدينة بابل

لم تفارقني آثار بابل طيلة الفترة الأولى من حياتي حيث كان آجرها الذي يحمل أسماء ملوكها الأوائل على جدران بيوتنا التي نسكنها وقد أنشئت من الآجر المنتزع من بنايات بابل الضخمة (" الري والحضارة "، ج١، ص٢٥).



تصوير رقم (ب)
أطلال مدينة كيش التاريخية سنة ١٩١٢

إن أنس لن أنسى سفرتي الأولى إلى " تلول الأحمير " وهي بقايا مدينة " كيش " التاريخية حيث ترقد تحت أنقاضها مخلفات أولئك الأقوام الذين أسسوا في هذه المنطقة أقدم الحضارات السامية في التاريخ، وكانت تقع آنذاك في صحراء قاحلة خالية من السكان مما يوجب اصطحاب رجال المحافظة (الجندرمة) للوصول إلى هذا المكان المنعزل حيث كان الأب " دي جنوياك " يقوم بتنقيباته " وقد عثر على آثار ثمينة في هذا المكان الأثري الهام (نفس المصدر السابق، ص٢٥).



تصوير رقم (ج)
سدة الهندية سنة ١٩٠٨ - ١٩١٣

ولما جاء موعد افتتاح مشروع سدة الهندية في اليوم الثاني عشر من شهر كانون سنة ١٩١٣ حضرته مع أبناء بلدتي لنشاهد انطلاق الماء من أمام السدة وانسيابها نحو المجرى المؤدي إلى بلدة الحلة، ولقد كان لهذا اليوم المشهود أثره العميق في نفسي وانطباع راسخ في ذهني الصغير إكبارًا وإعجابًا بمعجزة الفن الهندسي وعبقرية مصمم هذا المشروع العظيم، وإن أنس فلن أنسى ذلك اليوم وأنا ممتط مهرتي أسرع مع جمهرة من الفلاحين والمزارعين الذين علا البشر وجوههم وأخذوا يرددون الأهازيج العربية، نسابق الماء المنساب نحو الحلة حتى وصلنا وإياه إليها حيث احتشدت جماهير غفيرة لتحية ذلك القادم الجليل " الماء " الذي سيعيد الحياة إلى تلك المنطقة الزراعية الغنية العطشى بعد أن حرمتها يد الأقدار منه، وهو عماد وجودها سنوات طوالاً (نفس المصدر السابق، ص٢٨).



تصوير رقم (د)
السير ويليام ويلكوكس ١٨٥٢ - ١٩٣٢

وذكرياتي عن ويلكوكس ترجع بي إلى عهد الصِّبا حين كان منهمكًا بالإشراف على إنجاز سدة الهندية على نهر الفرات فكنت أزور ذلك المشروع الذي كان تحت الإنشاء، بين حين وآخر، وهو قريب من بلدتي " الحلة "، فكنت أشاهده وكله حركة ونشاط يراقب أعمال البناء وفخر اللبن ويحرص كل الحرص

على تطبيق التصاميم التي وضعها لهذا الشروع الجليل (نفس المصدر السابق، ص٢٧).



تصوير رقم (هـ)
المؤلف فوق أسد بابل الشهير سنة ١٩١٩

لقد كان هذا التراث الحضاري التليد مصدر ولعي منذ الصبا حيث كنت، وأنا لم أطو بعد العاشرة من عمري، أتردد على بابل كلما سنحت لي الفرصة لذلك، وبابل على مقربة من مسقط رأسي وبلدة صباي " الحلة الفيحاء " فكنت أشاهد الأثاري الألماني المشهور " الدكتور روبرت كولدواي " غارقا بين القطع الأثرية المكدسة في مقر إقامته في " كويرش " وهو يصنفها ويرممها ويرتبها ويحفظها في صناديق خاصة، وأن أنس فلن أنسى تلك القطط النادرة ذات الوبر الكثيف في داره وقد توالدت حتى أصبحت أشبه بقطيع من الغنم (نفس المصدر السابق، ص٢٣، ٢٤).

إن هذا الشريط المصور البسيط يعطينا فكرة واضحة عما كان يختزنه عقل ذلك الصبي أحمد سوسة الذي لم يكن قد تخطى بعد الثانية عشرة من العمر في أعماقه من الذكريات، وعمّا كان يتصارع في فكره من أسئلة لم يكن بمقدوره آنذاك الإجابة عليها، وما كان يلهب خياله من أمان وآمال، وعلى ضوء ذلك كله يمكن تقدير تلك الخطوة الجديدة على درب كتابه المدهش (العرب واليهود في التاريخ) وحجمها، ولعلّ أضخم تلك الأسئلة التي طالما حيرته دون أن يجد لها جوابًا هو ذلك السؤال الذي كان وما يزال يشكل الأساس بالنسبة لحياته العملية

كلها والذي يمكن صياغته على الشكل التالي: " بابل وكيش مدينتان عظيمتان "، لكنهما في حالتهما الراهنة تقعان في أرض قفر لا ماء فيها، والماء كما تعلم وحفظ، هو عماد الحياة وأصل جميع الكائنات الحيَّة كما يقول سبحانه وتعالى في قرآن الكريم:{وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ} [الأنبياء: ٣٠]، فمن أين وكيف كان أهل تينك المدينتين العريقتين يأتونهما بالماء في ذلك الزمان الغابر البعيد؟.. ".

ويأتيه الجواب يوم افتتاح سدّة الهندية في الثاني عشر من كانون الأول سنة ١٩١٣ الذي شارك في أعياده والذي كتب عنه قائلاً:

" لقد كان لهذا اليوم المشهود، أثره العميق في نفسي وانطباع راسخ في ذهني الصغير إجلالاً وإكبارًا لمعجزة الفن الهندسي وعبقرية مصمم هذا المشروع العظيم ".

فكما أوصلت سدّة الهندية، التي قام بتصميمها وبنائها السير ويليام ويلكوكس إحياء لمشرع سد بالاكوباس القديم، الماء إلى بلدته الحلة العطشى ليروي أرضها الخصبة ويحيي مواتها بعد أن حرمتها منه يد الأقدار سنوات طوالاً، كذلك يجب أن تكون هناك على النهرين العظيمين الدجلة والفرات سدود مشابهة (قام بتصميمها وبنائها الويلكوكسات: السومريون والبابليون) توصل الماء إلى هاتين المدينتين العظيمتين فتروي أراضيهما وتحيي مواتهما وما خراب بابل وكيش إلا نتيجة لخراب تلك السدود، وهنا تبرز عنده فكرة جديدة خلبت لبه وعقله، إنها فكرة السدود والري وعلاقتهما بالحضارة وعندئذ بدأ يتعرف على كل ما يستطيع التعرف إليه من مشاريع الري في وادي الفرات الأسفل، وهو يقول في ذلك:

" وقد أتيح لي وأنا صبي أن أتعرف على كثير من مشاريع الري القديمة في وادي الفرات الأسفل، فولد كل ذلك في نفسي حبًا ولهفة للتعرف على ذلك التراث الحضاري الذي تتجلي عظمته في مشاريع الري والزراعة القديمة التي أقامها أجدادنا فوق هذه الأرض الطيبة فانبثقت منها أبهر الحضارات عراقة وعظمة " (الري والحضارة "، ص٢٦).

إنه بذلك إنما يقرّر مصيره ومستقبله ويعلقهما على دراسة الهندسة التي هي من وجهة نظره، العلم الوحيد الذي سيمكنه من التعرف على ذلك التراث الحضاري العظيم الذي تتجلى عظمته في مشاريع الري والزراعة القديمة، وهي من وجهة نظره أيضًا، باستطاعتها إعطاءه أجوبة شافية على كل ما يتصارع في عقله البكر من الأسئلة العديدة.

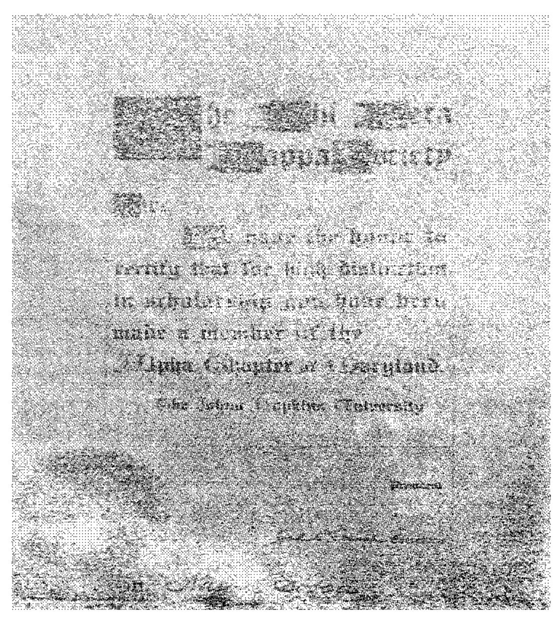
ويشدّ الفتى أحمد (الدكتور أحمد سوسة فيما بعد) الرحال في طلب العلم وسعيا وراء دراسة الهندسة، فيغادر بلدته " الحلة " إلى الجامعة الأمريكية في بيروت حيث يتم دراسته الإعدادية (بمعنى الثانوية المؤهلة لمتابعة التعليم العالي) بتفوق ملحوظ سنة ١٩٢٣، ثم يرحل عنها إلى كلية العلوم والهندسة في مدينة كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية ويتخرج منها سنة ١٩٢٧ حاملاً شهادة الكلية في الهندسة المدنية (أو لقب مهندس مدني) بدرجة امتياز مسجلاً بذلك ميزة كونه أول مهندس عراقي يتخرج من الجامعات الغربية.

ولكنه قد حقق أولى أمنيات الصبا، فإنه ينتقل إلى جامعة جونز هوبكنز الأمريكية لتحضير شهادة الدكتوراة بدلاً من العودة إلى الوطن، يشفع له بذلك طموحه للعلم وحبه للمعرفة، وفي جامعة جونز هوبكنز كان المهندس أحمد سوسة محط أنظار أساتذته ورفاقه من الأمريكيين لما كان يتميز به من دمائه الأخلاق ولين الجانب إضافة إلى مؤهلات علمية ممتازة وجدية في العمل وقوة في الحجة ودقة في المحاكمة وصدق في القول، كانت جميعها سببًا في تخريجه من جامعة جونز هوبكنز سنة ١٩٢٩ حاملاً شهادة الدكتوراه في الفلسفة (أو لقب دكتور في الفلسفة) بدرجة شرف منح بموجبها براءة الانتماء الفخري لجميعة " في بيتا كابا " العلمية الأمريكية، وهذه العضوية الفخرية إنما تمنحها الجمعية لجميع الخريجين من جامعة جونز هوبكنز الحائزين على درجة الشرق فقط.

وهنا يعود الدكتور أحمد سوسة إلى الوطن بعد أن أنهي المرحلة الثانية من مسيرته الكبرى على درب كتابه الفذّ " العرب واليهود في التاريخ " في الدراسة وطلب العلم حاز بنتيجتها على شهادة بكالوريوس في الهندسة المدنية.



التصوير رقم (و)
المؤلف في زي التخرج سنة ١٩٢٩



التصوير رقم (ز)
براءة العضوية الفخرية إلى جمعية (في بيتاكايا) العلمية الأميركية

(أو لقب مهندس مدني) من كلية كولورادو للعلوم والهندسة بامتياز وشهادة الدكتوراه في الفلسفة (أو لقب دكتور في الفلسفة) بدرجة شرف من جامعة جونز هوبكنز الأمريكيتين إضافة إلى عضوية فخرية في جمعية " في بيتا كابا " العلمية. يعود إلى الوطن وقد تزوّد بسلاح العلم وطرق البحث العلمي، التي تعتبر

في لغة العصر المفتاح السحري لكل مغلق من أبواب المعرفة والبحث.

وبعد عودته إلى الوطن سنة ١٩٢٩ يكون الدكتور أحمد سوسة قد أنهى الشوط الثاني من سيرته الكبرى على درب كتابه العجيب " العرب واليهود في التاريخ " وبدأ أولى خطواته من الشوط الثالث والأخير الذي استغرق زهاء أربعين عامًا من حياته العملية قضاها في التفتيش والتحقيق دون كلل أو ملل زار خلالها كل ناحية من نواحي العرق بالإضافة إلى زيارته عدة أنحاء من الوطن العربي، بل وتعدّاها إلى متاحف أوروبا يتحقق من الآثار التي نقلت إليها من موطنها الأصلي جناية وظلما، وقد تمّ له ذلك خصوصًا عندما عيّن لأول مرة في إدارة الري العراقية، أي في الدائرة التي تهتم بالأسئلة التي طالما حيرته صغيرًا، والتي بدأت تأخذ زهاء سبعة عشر عامًا تقلب خلالها في مختلف وظائفها ذات المسئولية التقنية العالية وكان من جملة تلك الوظائف: مهندس ري في سدة الهندية ذاتها تلك المعجزة التي قررت مصيره محققا بذلك إحدى أمنيات الصبا وهذا بعض ما كتبه في هذا الصدد:

تمَّ لي بعد مضى سنوات على العمل في إدارة الري تحقيق رغبتي في الاطلاع على كل ما يتعلق بتاريخ هذا المشروع وتصميمه الأصلي حيث عينت مهندسًا مسؤولاً عن إدارة سدة الهندية ذاتها.

فألفت كتابًا خاصًا في سدة الهندية - تاريخها - تصميمها وتطورها باللغة الإنكليزية، وبذلك حققت أمنية الصبا بالإحاطة بما كنت أتمنى معرفته في صغرى عن المعجزة التقنية التي بهرتني وحيرت عقلي الصغير في ذلك الحين.

أما عنوان الكتاب بالإنكليزية فهو:

The Hindiyah Barrage - Its History, Design & Funotion, (with 16 maps & 23 illustrations), By Ahmed Sousa, Ph., D., B. Sc. (Eng.), The Couvernment, Pneso, Baghdad, 1945.

في عام ١٩٤٧ عيّن الدكتور أحمد سوسة مديرًا عامًا لإدارة المساحة ولم يبعده هذا التعديل الوظيفي قيد أنملة عن أهدافه الأساسية بل ربما زاده التصاقا بها، وقد بقي في هذه الوظيفة حتى سنة ١٩٥٧، وعند تأسيس مجلس الإعمار العراقي عيّن مساعدًا شخصيًا لنائب رئيس مجلس الإعمار في الأمور التقنية إضافة إلى وظيفته الأساسية، كان من أوائل أعضاء المجمع العلمي العراقي منذ تأسيسه سنة ١٩٤٦ وحتى إلغائه سنة ١٩٦٣، ترأس البعثتين التقنيتين اللتين

أوفدتهما الحكومة العراقية إلى المملكة العربية السعودية سنتي ١٩٣٩ و ١٩٤٠ لدارسة مشاريع ري الخرج والإشراف على تنفيذها.

مثل الحكومة العراقية في أكثر المؤتمرات الهندسية للبلدان العربية، كعضو في وفدها أو رئيس له، وهو أحد مؤسسي جمعية المهندسين العراقيين سنة ١٩٣٨، وقد عمل سكرتيرًا عامًا لها طيلة عشر سنوات وما زال عضوًا فيها يساهم في إرادتها كمستشار [١]، وقد كتب الدكتور أحمد سوسة يصف هذا الدور من حياته قائلاً:

" لقد تهيأت لي الفرصة السائحة لدراسة مشاريع الري القديمة التي رافقتها طيلة حياتي العملية بعد أن عينت مهندسًا للري لأول مرة سنة ١٩٢٩ على أثر تخرجي من الجامعات الأميركية، وهنا وجدت ضالتي المنشودة، فكرست زهاء أربعين عامًا من حياتي العملية أتتبع، وأتجول، وأحقق دون كلل، فما تركت بقعة من بقاع العراق شماله وجنوبه، شرقه وغربه، إلا وزرتها للوقوف على مكونات هذا التراث العظيم ".

وقد انتهت هذه المرحلة بصدور كتاب: العرب واليهود في التاريخ " لأول مرة سنة ١٩٧٢، والتي لم تتوقف في ذلك الحين وإنما ظلّ يتابعها إلى أن كانت هذه الطبعة الرابعة الجديدة المنقحة والمفصّلة.

للدكتور أحمد سوسة نشاطات كثيرة ومتعددة الجوانب، فهو إضافة إلى إنجازاته الوظيفية ومساهمته في تأسيس جمعية المهندسين العراقيين سنة ١٩٣٨، ومشاركته في تأسيس المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٤٦ والمقالات والتعليقات في الجرائد والمجلات، مؤلّف لثلاثين مؤلفًا في مختلف صنوف العلم والمعرفة: الهندسة، الري، الجغرافيا، التاريخ وإلخ... منها ثلاثة وعشرون مؤلفًا باللغة العربية، وسبعة باللغة الإنكليزية، وله حاليًا كتابان تحت الطبع هما: " الشريف الإدريسي في الجغرافيا العربية[٢] الذي تصدره جمعية المهندسين العراقيين و " ري العراق القديم " الذي تصدره كلية الهندسة التي تبنته كمرجع دراسي (راجع

(١) في ١٩٧٤/٦/٢٤، أعفى من عمله في النقابة، بناء على طلبه حتى يتفرغ للتأليف أثناء حفلة تكريمية أقيمت على شرفه منح خلالها وسام النقابة من الفضة الخالصة تقديرًا لخدماته واعترافًا بجهوده التي بذلها خلال خدمته الطويلة.

(٢) قبل دفع الكتاب إلى المطبعة - صدر كتاب الشريف الإدريسي وبه يصل عدد كتب المؤلف إلى واحد وثلاثين كتابًا.

قائمة كتب المؤلف في نهاية الكتاب).



جمعية أصدقاء الكتاب

بيروت

إن جمعية أصدقاء الكتاب تمنح الأستاذ الدكتور أحمد سوسة

جائزة الكويت لعام ١٩٦٣

عن كتاب فيضانات بغداد

بيروت في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٦٣

الرئيس

تصوير رقم (ج)

براءة جائزة الكويت لأحسن كتاب عام ١٩٦٣

والدارس لمؤلفات الدكتور أحمد سوسة يجد أنها جميعها لم تكن سوى امتدادًا لطفولته المثيرة في مكانها وزمانها، وأنها لم تكن سوى علامات على درب مسيرته الكبرى " العرب واليهود في التاريخ " الذي هو خلاصتها أو في أساسها جميعًا لا سيما كتاباه الضخمان " الري والحضارة " و " فيضانات بغداد في التاريخ " الذي استحق جزؤه الأول جائزة الكويت لأحسن كتاب سنة ١٩٦٣.

وقد كان يجرى معه ذلك، سواء عن قصد منه أو بغير قصد، كما لو أن القدر(*) الذي اختار بابل قديمًا لدك مملكة يهوذا وإنهاء أسطورة تلك الجماعات

(*) تعليق:

بعد أن انتهيت من وضع موجز حياة المؤلف أرسلته إليه لإبداء الرأي فيه. ولكنه لم يجبني عليه في حينه، حتى كان مقدمه إلى دمشق حيث سألته عن رأيه فيه، فقال: بديع والله.. أنا موافق.. وصمت.. وبعد فترة صمت قصيرة التفت إليَّ قائلاً:

لا أدري كيف استطعت أن تربط تلك الأحداث لتقرر على ضوئها حقيقة قامت عليها حياتي كلها ويجعلها أخلص أصدقائي وألصقهم بي، وأخذ يقص عليَّ بعض ذكرياته مؤكدًا أن كتابه " العرب واليهود في التاريخ " إنما يشكل في الواقع " قدره المحتوم " وأنه بعد مراجعته لجميع تصرفاته وكتاباته السابقة وجد أنها لم تكن سوى علامات على درب هذا " الكتاب " ثم قدّم لي أوراقًا مخطوطة كان يحملها في جيبه، فإذا بها سيرة حياته بقلمه، وقد اخترت منها هذا المقطع الذي يؤلف بحد ذاته علامة بارزة على درب

المشاكسة وغير المرغوب فيها الخارجة من مصر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، والتي دعت نفسها فيما بعد ببني إسرائيل، دونما أيّ حق أو صلة تربطها بإسرائيل، يختار اليوم، ومن قلب بابل بالذات، يوم بروزها إلى العالم من تحت الأنقاض، مولودًا نحيلاً لكنه صلب العود، هو الدكتور أحمد سوسة، ليفضح زيف الصهيونية، سليلة تلك الجماعات، ويظهر بطلان ادعاءاتها في فلسطين ولينبه الأمة العربية، سليلة تلك الأقوام السامية، أهل الحضارة والثقافة، إلى الخطر الذي يتهددها ويضعها في مواجهة واجبها التاريخي والحضاري والقومي.

" يواجه المرء في مسيرة حياته مواقف مثيرة وحرجة جدًا، يتوقف مصير مستقبل حياته كلها على ما قد يتخذه من خطوات وقرارات في معالجتها، وهذه الخطوات والقرارات هي التي ترسم له تطلعاته المقبلة في مدارج حياته.. وهذا ما حدث لي بالفعل، فأنا إن أنس لن أنسى تلك الحادثة الرهيبة ولا ذلك الموقف المثير الذي واجهتهما في حياتي كلها، وقد كان لذلك القرار الذي أخذته أن غير مجريات حياتي كلها، أما الحادثة فهي أنني كنت قد تزوجت في مطلع شبابي من فتاة أمريكية (ولا أجد حاجة لذكر اسمها) من أسرة مسيحية كريمة بعد أن حكم سلطان الحب بأن تصبح رفيقة دربي وشريكة حياتي، كان كل أملي أن أعيش في كنفها وأن أنعم بعطفها وعونها، وقد رزقت منها بطفل جميل أسميته (جميلا) أيضًا (اسم على مسمى) وعدت معها إلى الوطن، لم يوافق جو العراق مزاجها الصحي فمرضت مما اضطرني لإرسالها إلى أهلها في الولايات المتحدة للتداوي.

وأما عن الموقف المثير جدًا والحرج جدًا فإنه يتلخص في أنني عندما ذهبت إليها، بعد أن تعافت وعادت إليها صحتها، لأعود بها وبولدي فوجئت بها تطلب إليّ بل تتوسل على أن أبقى إلى جانبها بحجة أن الأطباء قرروا أن مناخ العراق لا يوافقها صحيًا ولكني أبيت.. أخذ أبواها يضمان توسلاتهما إلى توسلاتها واضعين تحت تصرفي ثروتهما الطائلة.. فأبيت أيضًا.. وجاء دور الطفل الذي نظر إليَّ بجرأة ولكن ببراءة أيضًا قائلاً: (إلى أين تذهب يا داد، أي يا أبتي؟! لماذا لا تبقى معنا؟!..) وها قد مضى على تلك الحادثة أربعون عامًا وصورة ذلك المشهد المحزن تلاحقني ولم تفارقني لحظة واحدة.

وكان لابد من قرار: " البقاء مع الغنى "، أو " العودة إلى الوطن مع الكفاح "، وهذا يعني خسارة زوجي وولدي أيضًا، وكان القرار، قراري الحاسم " العودة

تلك المسيرة الكبرى كنت أغفلتها لجهلي إياها.

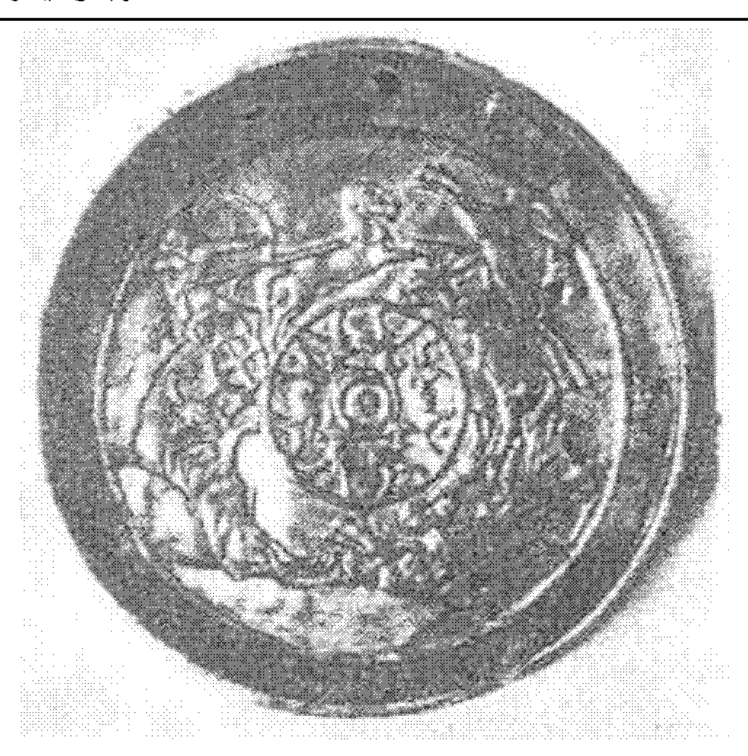
إلى الوطن ".

وهكذا كان، وقد غير ذلك القرار مجريات حياتي كلها وسار بي القدر إلى ما أنا عليه اليوم.. وأنا لست بنادم على ما فات ولا على ما اخترته في حينه، وإن كان الحنين والشوق إلى تلك الزوج وولدها يكويانى بنارهما.. الوطن عزيز وإن جفاك، وما أجفى حياة المرء في ديار الغربة حتى مع أسعد وأوفر الظروف المعاشية المادية ".

وأنا الآن أتوجه إلى تلك السيدة المحترمة السيدة سوسة الأمريكية وإلى ولدها جميل سوسة أن يدركا أن فراق زوجها لها ولطفلها لم يكن القصد منه التخلي عنهما في ذاته فهذه ليست من شيم المحبين إذ كان جلّ ما يتمناه زوجها الدكتور هو أن يمضي حياته في كنفها ولكن قدره الذي قاده إلى التعرف إليها والزواج منها أراد الآن أن يمتحنه فيها وفي ولدها منه وكان الامتحان قاسيًا وكان القدر أقوى منه ومنهما فجعله يجتازه إلى حيث أراد له أن يكون، فالقدر وحده هو الذي اصطفاه من دون جميع أولئك الذين ولدوا مع إطلالة بابل على العالم من تحت الأنقاض ليضع كتابه " العرب واليهود في التاريخ " وليجعل من ذلك الكتاب عبرة لقومها وقومه علهم يعقلون.

إلياس بيطار

* * *



صورة الغلاف
من روائع الفن الكنعاني الفينيقي

نقش كنعاني فينيقي على طاس من الذهب الخالص عثر عليه في أوغاريث (تل رأس شمرا) يرجع تاريخه إلى أواخر القرن الخامس عشر قبل الميلاد، يشاهد فيه ملك أوغاريث في عربته في نزهة للصيد وهو يطارد غزالاً وبعض الثيران الوحشية، ويشاهد خلفه أسد جريح يلحق بعربته، وفي الوسط دائرة تدور حولها أربعة غزلان كونت قرونها المتصلة بعضها ببعض دائرة أخرى في الوسط، ولعل هاتين الدائرتين تمثلان قطيعًا من الغزلان المجتمعة حول عين ماء، وهذا النقش الرائع يوضح مدى تقدم الفن الكنعاني الفينيقي القديم.

* * *

تصدير الطبعة الأولى

منذ نيف وأربعين عامًا وعلامتنا الدكتور أحمد سوسة يوالي إمداد المكتبة العربية بالنفيس من المؤلفات والمراجع الباحثة في تاريخ العراق وحضاراته، فكانت جهوده موضع إعجاب المحافل العلمية والتاريخية في العالم وتقديرها لما امتازت به تلك المؤلفات من دقة في البحث ورصانة في الأسلوب مع لباقة في العرض.

ويتحفنا اليوم الدكتور سوسة بسفره الجديد " العرب واليهود في التاريخ " الذي يعتبر بحق من أجل المؤلفات الوثائقية وأصدق المراجع الباحثة في هذا الموضوع، بل أنه يتبوأ بحق الصدارة من بين مؤلفاته التي تنيف على الثلاثين مؤلفًا، فقد سلك في تحقيقاته وتعقيباته النهج الموضوعي الرصين والأسلوب العلمي المجرد عن كل عاطفة وهوى، مما يجعل من الكتاب وثيقة تاريخية يفاخر بها ومن يطالع الكتاب يحظ بالحقائق التالية:

١ - أن الأدلة والشواهد التي ساقها الدكتور أحمد سوسة في هذا الكتاب وما أثبته من معلومات مستندة على أحدث المكتشفات الآثارية والتاريخية بدلالة كثرة المصادر التي رجع إليها وبلغاتها المتعددة، قد أبرز حقائق فريدة في بابها ومعلومات دقيقة لا يعرفها إلا القلة القليلة من المتخصصين.

٢ - وجوب إعادة النظر في التواريخ المدونة عن مدنيات الشرق القديم بعامة وتاريخ فلسطين بخاصة، ومن مزايا الكتاب أن العلامة الدكتور سوسة وما ساقه من أدلة دامغة، تجعله المجلي في هذا المضمار ومتفردًا على أقرانه، مما تصدى إلى معالجة أمثال هذه الأمور الحساسة الدقيقة التي تحتاج إلى الصبر والمثابرة وسعة الاطلاع، وأنني أعتقد جازمًا، أن ما حازه الدكتور سوسة من توفيق في هذا السفر - الذي يعز نظيره على الغير - تعود أسبابه بالدرجة الأولى إلى اطلاع العلامة سوسة على التاريخ العبراني والآداب اليهودية، وهذا ما لم يتوفر لغيره من المؤرخين.

٣ - ومن يقرأ الكتاب يشعر بالأسف والحسرة على ضياع عشرات السنين من عمر أمتنا العربية المناضلة، خسرناها بين جد وهزل، وضعت خلالها الألوف من الكتب والمؤلفات ومن الواجب الاعتراف بأن الكثير منها ألحق أفدح الأضرار بقضايانا القومية، فكانت سلاحًا بيد الخصوم والأعداء يشهرونه

بوجوهنا بكل مناسبة، مما أتاح للصهيونية والاستعمار أن يكسبا الجولة الأولى في فلسطين، وكم كنت أتمنى - على الصعيد الإعلامي - لو أن من أمثال كتاب الدكتور سوسة ألفت قبل سنوات ليطلع العالم على الحقائق الناصعة التي تفضح أساليب الصهيونية في تزييف الحقائق وفرض هذا التزييف على العالم، وهذا ما حمل وزارة الإعلام على تبني طبع هذا الكتاب وترجمة مقدمته إلى اللغتين الفرنسية والإنكليزية ليطلع العالم الخارجي على هذه الحقائق الناصعة المجردة من الأساطير.

وختامًا نرجو للعلامة الدكتور سوسة التوفيق والعمر المديد ليمدنا بالمزيد من مؤلفاته النافعة والله الموفق إلى الخير.

سالم الآلوسي

مدير الثقافة العام

وزارة الإعلام

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

{هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّ} [الجاثية: ٢٩].

(قرآن كريم)

تصدير الطبعة الرابعة

إن كتاب (العرب واليهود في التاريخ)، تأليف العلامة الدكتور أحمد سوسة، ليعتبر حقا بكرًا في مادته، لم يصنف قبله في بابه، تفرد في فنه، وتميز في دقة موضوعه وصدق أحكامه، فلم يدع آبدة إلا قيدها، ولا شاردة إلا ردها إليه، فجاء بمكتشفات لها خطورتها العظمى، وحقائق باهرة لم يفطن لها أحد من قبل، وبذلك انقلب تاريخ اليهود رأسًا على عقب، وبات بحاجة قصوى إلى التدوين من جديد على ضوء ما جد من المكتشفات الآثارية، وما أسفر عنه البحث العلمي من حقائق لا تقبل الشك والجدل.

والمؤلف غني عن التعريف، فهو عالم فاضل حجَّة، نذر نفسه لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، واتباع أفضل السبل وأدقها في البحث العلمي النزيه والنهج الموضوعي القويم، حتى لكأن القائل قد عناه بقوله: " لا هوى أزاغه ولا أرب استحثه، ولا هوس شهرة فتنه.. " فهو في عرضه ونقاشه وجوله أصيلاً لا يكبو في حلبة، ولا يهاب شوطًا مهما طالت مسافته.. وهو في تحقيقه وتدقيقه كأنه عاكف على قبضة من الرمل ليحصي حباتها واحدة واحدة، حتى لقد يعيا مصاحبه وهو ثبت لا يكل ولا يمل..

عرفه الناس في دنيا التأليف مؤلفًا من الطراز الأول، يتسم بسعة الاطلاع وعمق التفكير.. يتحرى الصدق، وينشد الحقيقة، ويقيم للأمانة العلمية وزنها اللائق، لا تأخذه في سبيل الحق لومة لائم، ولا ترهبه صولة الباطل مهما جمحت واستبد بها الشطط، لأن قوة الحق في اعتقاده، تلقف كل إفك، وتزهق كل باطل.. وهو لا يخشى النقد المغرض مهما بلغ من مرارة التجريح، لأن ذلك لا يقدم ولا يؤخر بالنسبة إلى صمود الحق ورسوخ أركانه، ولأنه في نظره كفقاعات الزبد لا تلبث أن تتلاشى وتزول:{فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ} [الرعد: ١٧].

وقد ابتغى هذا المؤلف الثَّبت إماطة اللثام عن وجه تاريخ اليهود بروح علمية نزيهة بعيدة عن الشطط والهوى ليحق الحق ويدحض الباطل.. وكان له من نهجه الموضوعي السليم، وجلده المنقطع النظير ما مكنه من بلوغ مرامه وإدراك

قصده، حتى ظفر بضالته ووقع على بغيته، بعد أن سلّط على تاريخ القوم الأضواء العلمية الساطعة من كل جانب، فأنارت سبله الحالكة، أخرجته من دياجير متاهات التمويه والتضليل إلى نور الحق واليقين، بعد أن أخفوا حقيقته عن الناس قرونًا كثيرة، فمَثل أمام العالم أجمع بشكله الصحيح وواقعه الواضح.. وهكذا تبين الرشد من الغي، وبلج الصبح لذي عينين، وانكشف الغطاء، وحصحص الحق، وزال الارتياب، وفضح هنالك المبطلون، واستبان للناس - بعد طول مخادعة ومراوغة وتضليل من لدن دهاقنة القوم - أن القوم ليسوا على دين موسى، وأن إلههم (يهوه) الذي اتخذوه لأنفسهم، وهو من صنع أفكارهم، هو غير الإله الذي دعا إليه موسى:{أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ} [الجاثية: ٢٣]، وأنهم قد كفروا بما جاءهم به موسى واتهموه بالزيغ والكفر والانحراف:{وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾} [هود: ١١٠]، فسعوا في قتله على أرجح الأقوال - ثم عمدوا بعد قتله إلى اختلاق (توراة!) من عند أنفسهم نسبوها إليه، وأودعوا فيها ما شاءت لهم أهوائهم الجامحة ونفوسهم المفطورة على البغي واقتراف الكبائر:{فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟} [الأحزاب: ٦٩]، وهكذا زخرت (توراتهم الملفقة) بالكذب والزور والتضليل، وادّعوا أنها منزلة من عند إلههم - الشرير (يهوه) الذي يأمرهم بالمنكر وينهاهم عن المعروف،{أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ} [النحل: ٧٢]،{ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ} [البقرة: ٥٩]،{وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا} [المجادلة: ٢]، ثم أضافوا إليها بعض ما اقتبسوه من معالم حضارة الكنعانيين بوجه خاص، والدولة البابلية التي كانوا راضخين لسلطانها في بابل أيام أسرهم، ومن حضارات الأمم الأخرى التي كانت تقيم في وادي الرافدين ووادي النيل - بوجه عام.

ويقول صاحب كتاب (اليهود في القرآن) [(١)]، في هذا الصدد:

" التوراة المتداولة اليوم، والتي يترنم بها اليهود ويرددها الإسرائيليون في معابدهم، لا يعترف بها القرآن، بل سجل في عديد من الآيات أنها محرفة مزورة، زيد عليها وأنقص منها، فشوهت بما استحدث فيها وحرفت بما نقص منها ".

ولا يعترف القرآن إلا بالتوراة التي أنزلت على موسى:{فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ} [المائدة: ٤٤].

---

(١) الدكتور محمود الشريف " اليهود في القرآن الكريم " ص ٢٩ - ٣٥.

تلك هي التوراة: الكتاب المقدس، والتعاليم الإلهية لبني إسرائيل التي تضمنتها الأسفار (الألواح) المنزلة على موسى:{ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ } [الأعراف: ١٤٥].

تلك التوراة التي تقرر وحدانية الله وتنزيهه عن كل مظاهر النقص، والتي ترتكز على الاعتراف باليوم الآخر والإيمان بما فيه من ثواب وعقاب وجنة ونار، والتي تضمنت عظات وأفكار وشريعة لبني إسرائيل يحكم بها أنبياؤهم ويحفظها رهبانهم ويحافظ عليها أحبارهم، تلك هي توراة موسى التي أنزلت عليه والتي اعترف بها القرآن ن واعترف بأن فيها هداية لبني إسرائيل ونورًا لهم، وهذه التوراة الأصلية الأصيلة ببنودها ونصوصها وتعاليمها وموادها الكاملة المتكاملة لا وجود لها بهذه الصورة الإلهية التي كانت عليها زمن موسى، فقد تخلص اليهود منها وكتبوا سواها بما يتلاءم مع أهوائهم ويتواءم مع مخططاتهم، وزعموا بعد كل هذا، أنها هي التوراة التي أنزلها الله.

والذي تولى ذلك الصّنيع الآثم من قديم، فغير وبدّل وحرّف إنما هم طائفة منحرفة متخصصة.. تولت التصحيف والتحريف والتأويل والتعمية بإخفاء الحقائق الإلهية ليحافظ رهبانهم ورؤساؤهم على مكانتهم ومكاسبهم وعن هذا يقول القرآن: {مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ} [النساء: ٤٦]، ويقول:{ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾} [البقرة: ٧٩]، ويقول:{ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ} [المائدة: ١٣].

كذلك عمَد لفيف من رؤسائهم الدينيين إلى إخفاء بعض الأسفار في الهيكل وكتم ما فيها من حقائق وبشارات، وعن هذا يقول القرآن:{ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾} [المائدة: ١٥]، {قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا} [الأنعام: ٩١]،{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾} [البقرة: ١٥٩].

وقد رأى الرسولﷺورقة من التوراة في يد عمر رضي الله عنه فأمره بإلقائها لما بها من أباطيل وما فيها من تحريف، ثم قال:﴿ألم آتكم بها بيضاء نقية؟

والله لو أن موسى كان حيًا ما وسعه إلا اتباعي﴾.

وإذا كان القرآن قد حكم بأن تعاليم التوراة تنوسيت وأخفيت، فقد حكم أيضًا بأن بعضها قد نسيه اليهود فعلا:{وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ} [المائدة: ١٣].

بهذا كله يحكم القرآن بأن التوراة المتداولة المشهورة في الأوساط اليهودية ليست هي التوراة المنزلة على موسى، يقول رحمة الله الهندي في كتابه " إظهار الحق ص ١٣٣ " قال: " جان ملتر " في ص ١١٥ من كتابه الذي طبع في بلدة " دربي " سنة ١٨٤٣: اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية وكذا نسخ كتب العهد العتيق ضاعت من أيد عسكر بختنصر، ولما ظهرت نقولها الصحيحة بوساطة " عزرا " ضاعت تلك النقول أيضًا في حادثة " آنتيوكس ".

وعن هذه الحادثة يقول - رحمة الله - في كتابه السابق ص ١٩٠: " لما فتح أنتيوكس ملك ملوك الفرنج أورشليم أحرق جميع نسخ كتب العهد العتيق، وأمر بقتل كل من يوجد عنده نسخة من كتب العهد القديم، وكانت هذه الحادثة قبل ميلاد المسيح بأكثر من مائة سنة، وهذه الحادثة مفصلة في " تاريخ اليهود وتاريخ يوسيفوس "، ومما يجزم بأن هذه التوراة المتداولة الآن ليست توراة الله أنها صورت أنبياء بني إسرائيل بصورة مشوهة ونزعت عن بعضهم العصمة، بل ردتهم إلى درك الحيوانية وإلى مهاوي الشرك والارتداد عن الإيمان، يقول رحمة الله الهندي [(١)]: " وقع في الباب التاسع عشر من سفر التكوين أن لوطًا عليه السلام زنى بابنتيه، والعياذ بالله تعالى، وحملتا من أبيهما وتولد لهما ابنان، هما أبو الموابيين، والعمانيين، وما وقع في الباب الحادي والعشرين من سفر صموئيل الأول من أن داود عليه السلام زنى بامرأة أوريا وحملت بالزنا منه، فقتل زوجها بالحيلة، وتصرف فيها، وما وقع في الباب الحادي عشر من سفر الملوك الأول أن سليمان عليه السلام ارتد في آخر عمره بترغيب أزواجه وعبد الأصنام وبنى لها معابد وسقط من نظر الله، وأمثال هذه القصص التي تقشعر منها جلود أهل الإيمان ويكذبها البرهان ".

ويقول الدكتور علي عبد الواحد في كتابه " الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام. ص ١٧ ": " ظهر للمحدثين من الباحثين من مقارنة اللغات والأساليب التي كتبت بها هذه الأسفار وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتشاريع، والبيئات الاجتماعية والسياسية التي تنعكس فيها، ظهر لهم من مقارنة

(١) ص ١٣٣ من كتاب إظهار الحق.

هذا كله أنها ألفت في عصور لاحقة لعصر موسى.. وأنها جميعًا مكتوبة بأقلام اليهود وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة لديهم في مختلف أدوار تاريخهم الطويل، فهي إذن تختلف كل الاختلاف عن التوراة التي يذكر القرآن أنها كتاب سماوي مقدس أنزله الله على موسى ".

ثم تحدث عن الشريعة في أسفار اليهود فقال: (ص ١٣ من المرجع السابق): " أنه يلاحظ في هذه الشرعية كثير من مظاهر الانحراف والتضارب واختلاط المسائل، ما انحرافها فيتمثل في قيامها على التفرقة العنصرية، وذلك أنها تجعل اليهود الشعب المختار الذي اصطفاه الله وفضله على العالمين، وتنظر إلى ما عداه من الشعوب نظرتها إلى شعوب وضيعة في سلم الإنسانية، وتضع قوانينها ونظمها على هذا الأساس، فتفرق بين هؤلاء وأولئك أمام القانون وفي كثير من شؤون الاجتماع، فمن ذلك - مثلا - أن الإسرائيليين محرم عليهم أن يقتل بعضهم بعضًا، وأن يخرج بعضهم بعضًا من ديارهم، على حين أنه مباح للإسرائيليين وواجب عليهم غزو الشعوب الأخرى، وخاصة شعب كنعان، وواجب عليهم بعد انتصارهم على بلد ما أن " يضربوا رقاب جميع رجالها البالغين بحد السيف "، فلا يبقوا على أحد منهم، ويسترقوا جميع نسائها وأطفالها ويستولوا على جميع ما فيه من مال ومتاع وعقار، أو ينهبوه نهبًا، حسب تعبير أسفارهم [(١)] " وأما عدم وحدتها فذلك أن أحكام أسفارها يتضارب بعضها مع بعض في كثير من الشؤون، فقد يقرر سفر في حادث ما حكمًا آخر كالتناقض الذي بين سفري الخروج في حالة بيع الإسرائيلي نفسه لأخيه الإسرائيلي.

وفي هذين المظهرين اللذين تتسم بهما شريعة اليهود دليل آخر على أسفارهم هذه من صنع أيديهم، وعلى أن كل سفر منها يعكس التقاليد والنظم التي كانوا يسيرون عليها في العصر الذي التف فيه، وعلى مبلغ الخلاف بين توراتهم المزعومة والتوراة الصحيحة التي أنزلها الله على موسى، فإن كتابًا من عند الله لا تتضارب أحكامه بعضها مع بعض:{ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾} [النساء: ٨٢]، وأن شريعة من عند الله لا تقر التفرقة العنصرية بين أفراد الآدميين:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ} [الحجرات: ١٣].

---

(١) راجع، تث، ٢٠: ١٣ - ١٤.

وأما إذا انتقلنا إلى تراث القوم في الميدان الحضاري فلا نكاد نجد في مخلفاتهم ما يرفع شأن الإنسانية، وحسبنا أن نقتصر في هذا الشأن على ما جاء في كتاب (اليهود في تاريخ الحضارات الأولى) للعالم الفرنسي الذائع الصيت الدكتور غوستاف لوبون كنموذج من نماذج شتى ذهبت مذهب (لوبون) في هذا المضمار، ولنقتبس فقرات مما جاء في مقدمة مترجم الكتاب إلى العربية المغفور له الأستاذ عادل زعيتر:

" انتهى - أي الدكتور غوستاف - لوبون - إلى أنه لم يكن للقوم فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أي شيء تقوم به حضارة، وهم يأتوا بأية مساعدة شبه المتوحشة التي ليس لها تاريخ ".

انتهى إلى أن تاريخهم الكئيب لم يكن غير قصة لضروب المنكرات، فمن حديث الأسارى الذين كانوا يوشرون بالمنشار أحياءً، أو الذين كانوا يشوون في الأفران.. فإلى حديث سكان المدن الذين كانوا يذبحون من غير تفريق بين الرجال والنساء والشيب والولدان.

انتهى إلى أن تأثير القوم في الحضارة صفر.. وأنهم لم يستحقوا بأي وجه أن يعدوا من الأمم المتمدنة.

انتهى إلى أن القوم قد ظلوا في عهد ملوكهم، بدويين أفاقين مفاجئين مغيرين سفاكين مندفعين في الخصام الوحشي، فإذا ما بلغ الجهد منهم ركنوا إلى خيال رخيص تائهة أبصارهم في الفضاء، كسالى خالين من الفكر كأنعامهم التي يحرسونها.

انتهى إلى أن " فلسطين " أرض الميعاد لم تكن غير بيئة مختلفة لهم، فالبادية كانت وطنهم الحقيقي.

انتهى إلى أنك لا تجد شعبًا عطِل من الذوق الفني كما عطل القوم.. فهيكلهم المشهور (هيكل سليمان) أقيم على الطراز الآشوري من قبل بنائين من الأجانب.. ولم تكن قصور هذا الملك غير نسخ دنيئة عن القصور المصرية أو الآشورية

انتهى إلى أنه لا أثر للرحمة في وحشية القوم.. فكان الذبح المنظم يعقب كل

(١) إن هيكل سليمان هو من صنع الفينيقيين الصوريين، وقد بني على نمط المعابد الكنعانية، كذلك قصر سليمان هو من صنع الفينيقيين أيضًا (راجع حتى " سورية " ص ٢٠٤، طه باقر، " مقدمة.. " ٢: ٢٨٩).

فتح مهما قل، وكان الأهالي الأصليون يوقفون فيحكم عليهم بالقتل دفعة واحدة، فيبادون باسم (يهوه) من غير نظر إلى الجنس ولا إلى السن، وكان التحريق والسلب يلازمان سفك الدماء.. ".

انتهى قول عادل زعيتر نقلاً عن لوبون.

ولا شك في أن سلوك القوم الآثم إنما هو مستمد من التعاليم الشريرة التي توارثوها عن آبائهم وأجدادهم منذ أعرق العصور، ثم ظهرت مركزة في كتابهم السري المعروف بـ (بروتوكولات حكماء صهيون) الذي افتضح أمره فيما بعد وانكشف سره بين أمم العالم، وكان أسوأ نموذج عرفه التاريخ في السلوك الإنساني.. فهو يدعو إلى اجتراح السيئات، واقتراف الموبقات، وانتهاك الحرمات، وإزهاق الأرواح والخروج على القيم الإنسانية، وإشاعة البلبلة في صفوف الناس، وارتكاب الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، وإلقاء العداوة والبغضاء بين أبناء البشر ليستقيم لهم الأمر وحدهم كما يريدون ويشتهون.

ومما يشير الدهشة أن حكماء صهيون لم يكتفوا - كما يقول أحد المؤرخين - في قراراتهم بالنص على أخذ فلسطين، ولا على فرض سلطانهم من النيل إلى الفرات، بل نصت قراراتهم على وجوب تحطيم العالم بوسائل شرحوها، حتى يتسنى للصهيونية السيطرة عليه، وإقامة دكتاتورية يهودية تستعبد كل من فيه [١].

تلك هي الخطط الرئيسية، كما يقول ذلك المؤرخ، للمؤامرة الكبرى التي تدبرها الصهيونية ضد العالم بأسره، وما جرته الصهيونية على البشرية من مذابح ومؤامرات وحروب يؤكد كل حرف ورد في بروتوكولات حكماء صهيون.. بل إن التلمود - الكتاب الذي يقدسه اليهود - جاء بأكثر مما جاءت به بروتوكولات حكماء صهيون، فما هو التلمود؟ يقول الدكتور أحمد سوسة: يُعد كتاب التلمود عند اليهود جزءًا من أحكام الديانة اليهودية، والتلمود معناه التعاليم أو الشرح أو التفسير، وهو مجموعة الشرائع اليهودية التي نقلها الأحبار اليهود شرحًا وتفسيرًا للتوراة واستنباطًا عن أصولها، وأصل كلمة تلمود من العبرية " لاماد " أي: (يعلم).

ويقسم التلمود إلى قسمين: " المشنة " وهي النص أو المتن و " الجيمارا "، وهي التفسير أو الشرح، والتلمود: هو الاسم الجامع للمشنة والجيمارا معًا. المشنة

(١) معين أحمد محمود، " الصهيونية والنازية "، ص ١٠٠.

عبارة عن مجموعة من تقاليد اليهود المختلفة في شتى نواحي الحياة اليهودية مع بعض الآيات من كتاب التوراة، أما الجيمارا فهي مجموع المناظرات والتعاليم والتفاسير التي وضعت في المدارس العالية بعد الانتهاء من وضع المشنة، ويزعم اليهود بأن هذه التقاليد والتعاليم شفاهية ألقاها النبي موسى عليه السلام على شعبه أعطيت حين كان على الجبل ثم تداولها هارون وأليعازر ويشوع وسلموها للأنبياء، ثم نقلت عن الأنبياء إلى أعضاء المجمع الديني الأعلى (سنهدرين) وخلفائهم حتى القرن الثاني بعد السيد المسيح عليه السلام. ويعتبر أكثر اليهود التلمود كتابًا منزلاً ويضعونه في منزلة التوراة، ويرون أن الله أعطى موسى التوراة على طور سيناء مدونة، ولكنه أرسل على يده التلمود شفاهًا.

ويوجد هناك تلمودان يعرف أولهما بالتلمود الفلسطيني، ويسميه اليهود الأورشليمي، ويعرف الثاني بالتلمود البابلي، ولكل من هذين التلمودين طابعه الخاص، وهو طابع البلد الذي وضع فيه، ولغتا التلمودين مختلفتان تمثلان لهجتين آراميتين، التلمود الفلسطيني بالآرامية الغربية، أما التلمود البابلي فلهجته آرامية شرقية أقرب إلى المندائية (العراقية) وقد احتوى على بعض مصطلحات يونانية ولاتينية، وحجم التلمود البابلي أوسع من التلمود الفلسطيني بأربعة أضعاف ويقع في ٥٨٩٤ صفحة، ويطبع عادة بإثنى عشر جزءًا!!! [١].

ويقول الأستاذ معين أحمد محمود في هذا الصدد: وهكذا نرى أن المشنة والجيمارا يؤلفان معًا كتاب التلمود، هذا الكتاب الذي لم ينته تأليفه إلا بعد مئات السنوات من مولد السيد المسيح.

فلنتأمل: كل يهودي يدعى الانتماء إلى صفوف رجال الدين كان يضيف ما يشاء إلى هذا المجلد الضخم، ولا تسأل عن الشتائم والكلمات البذيئة والحقيرة الموجهة إلى كل إنسان غير يهودي.

والملاحظ أنه في الطبعات الأخيرة من التلمود حذف أكثر الكلمات بذاءة واستعيض عنها بدوائر هندسية أو بالفراغ.

وهذا التغيير جرى بعد قرار اتخذ في بولونيا سنة ١٦٣١ وقد نص القرار على الحذف المذكور كي لا يطلع الناس على نواياهم، ولكن على أن تدرّس

(١) مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، المجلد الثالث - العدد الأول - كانون الثاني ١٩٧٤ ص ٨٦ - ٨٧.

الكلمات المحذوفة شفويًا لأولاد اليهود في مدارسهم [١].

وبعد أن يورد المؤلف بعضًا من فقرات التلمود يقول:

" وهذا لا يهمنا بمقدار ما تهمنا حقيقتان علينا ألا ننساهما أبدًا:

الحقيقة الأولى: هي نظرة التلمود إلى كل إنسان غير يهودي، فهي نظرة الاحتقار والحقد، فكل الناس سواهم حيوانات [٢].

الحقيقة الثانية: هي اعتقادهم بقيام مملكة اليهود، هذه المملكة التي سوف تسيطر على العالم كله بالشر والطغيان ".

ثم يخلص إلى القول:

" إذن هاتان الحقيقتان هما المنطلقان للتعاليم الصهيونية ".

نحن عندما ندرك أعمق الإدراك خطورة الصهيونية على البشرية جمعاء، ندرك أن نضالنا لتحرير وطننا المقدس فلسطين، هو في الوقت ذاته نضال لتحرير الإنسانية من هذا الأخطبوط الشيطاني " [٣].

أجل! ولقد كان لأثر التعاليم الشريرة الآثمة أن أباح القوم لأنفسهم الظلم والعدوان والفساد في الأرض وإخراج الآمنين المطمئنين من عرب فلسطين من ديارهم التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم قبل أن يظهر اليهود بقرون وقرون، ومزقوهم شر ممزق، وأذاقوهم من صنوف الأذى والاضطهاد والتشريد ما لم يرتكب عشر معشاره (هتلر) في أوج طغيانه وعنفوان جبروته.. فأين هذا السلوك البربري الأهوج الذي يلقاه أبناء عمومتنا في فلسطين المحتلة على أيدي تلك الفئة الباغية، من ذلك التسامح الكبير والعظيم الذي لم يشهد له التاريخ مثيلاً في مختلف عصوره وأحقابه المتمثل فينا - نحن معاشر العرب والمسلمين؟ - نحن من دانوا لنا وانضوَوا تحت لوائنا مختلف الملل ومنهم اليهود، ومدى الرحمة

---

(١) من ذلك تعاليمهم القائلة بأن المسيحيين هم سافلو الأخلاق لا يستحقون المحبة والعدل. (راجع المقال القيم الذي نشره العلامة الدكتور أحمد سوسة في مجلة مركز الدراسات الفلسطينية المجلد الثالث - العدد الأول - كانون الثاني ١٩٧٤ - ص ٩٤ - الحاشية - تحت عنوان، صفة التلمود والزوهر في الديانة اليهودية ")..

(٢) تحت عنوان " عصر الإيمان " يقول العلامة ديورانت في كتابه " قصة الحضارة ": أن الربانيين والحاخاميين أخذوا يفسرون التوراة حسب أهوائهم، بالشكل الذي يرضي غرائزهم الشريرة ونزوعهم على بقية أجناس البشر.

(٣) معين أحمد محمود، " الصهيونية والنازية "، ص ١٠٠، ١٠٨، ١١٣، ١١٤.

الواسعة التي أسبغها عليهم أجدادنا الميامين، أولئك الذين قال عنهم غوستاف لوبون كلمته المأثورة: (ما عرف التاريخ أمة أرحم من العرب).

وإني لمورد في هذه المناسبة نموذجين عابرين من نماذج قد لا يدركها الحصر في التدليل على ما أنا بصدده:

أولهما: رعاية الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمن قعد بهم الدهر وضاقت في وجوههم سبل العيش، ممن لا يدينون بالإسلام، وأن قصته مع اليهودي الأعمى المتسول، وأجراءه عليه من بيت مال المسلمين ما يوفر له العيش الكريم لما تبقى من عمره، لأشهر من أن تذكر.

وثانيهما: قصة الخليفة الرابع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه مع اليهودي الذي رهن درعه عنده، ووقوفهما معًا جنبًا إلى جنب أمام القاضي (عند المرافعة) وعليّ يومئذ خليفة المسلمين، وقد كان اليهودي يعلم حق العلم أن الحق بجانب عليّ ولكنه أراد أن يختبر عدالة الإسلام المتمثلة في الخليفة وقاضيه.. ولم يسعه - بعد الذي أذهله مما رأى من العدالة المطلقة والديموقراطية المنقطعة النظير - إلا أن يعلن إسلامه اعتزازًا بهذا الدين الحنيف الذي ساوى بين الناس في الحقوق وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ونشر الفضيلة في أرجاء العالم ودعاء إلى التآخي، والتعاون على البر والتقوى، ونهى عن التعاون على الإثم والعدوان.

ولقد اعترف اليهودي أمام القاضي بأن الإمام عليًا هو صاحب الحق، وأنه تعمد إقامة الدعوى على الخليفة ليرى بأم عينه مبلغ العدالة في الإسلام.. وكان أن دخل في دين الله عن اقتناع طاق بأفضلية هذا الدين لأنه يحق الحق ويزهق الباطل، ويضمن سعادة الفرد والمجموع ويقطع دابر الرذيلة والفساد، ويعود بالخير الوافر على أبناء الإنسانية كافة.

حسب التاريخ شرفًا وفخرًا وإنصافًا، أن سجل لسلفنا الصالح تلك المآثر العظمى وذلك المستوى الأرفع من الحكم الصالح:{إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾} [ق: ٣٧]، وإنه لعمر الحق برهان ناطق على أن أمتنا الكريمة العريقة هي بحق:{خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران: ١١٠].

إن انطواء القوم على الشرّ قد زيّن لهم الإسراف والغلوّ في الاندفاع العارم نحو التفرقة العنصرية المقيتة، فقد أعلنوها حربًا لا هوادة فيها على الأجناس الخاضعة لسيطرتهم، وامتد لظاها إلى أبناء ملتهم من اليهود الشرقيين الذين نزحوا عن البلاد العربية إلى فلسطين استجابة للدعوة المضللة التي وجهها إليهم

أولئك القوم باسم الوطن القومي لليهود، وما زالت الأنباء تتوارد عن الاصطدامات العنيفة الدامية القائمة بين الفريقين في تلك الربوع،{كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ} [الأنعام: ١٢٢].

من كل ذلك يتبين لنا مبلغ ما وصل إليه (أعداء البشر) من القسوة والاستهانة بحقوق الآخرين والصدوف عن الحق وعن كل ما تعتز به الإنسانية من القيم والمثل والاعتبارات الأدبية والمعنوية.

لقد أودع علامتنا الدكتور أحمد سوسة في تضاعيف كتابه الفذ ما ينطق عن القوم بالحق ويعجزهم عن الرد المنطقي المقنع مهما ركبوا رؤوسهم وأخذتهم العزة بالإثم:{وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ} [غافر: ٥]، ومهما حاولوا أن يلبسوا الحق بالباطل:{وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ} [المؤمنون: ٧٠]،{وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٤٦].

ولا شك في أن هذا الكشف العظيم في تاريخ القوم ليعدّ مفخرة عظمى لمؤلفنا العبقري، وتوفيقًا لا يكاد يدانيه توفيق من نوعه، وحدثًا نادرًا في عالم التحري والاستقصاء، وفوزًا ساحقًا للحقيقة والتاريخ، وانتصارًا مبينًا للحق على الباطل:{ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾} [الأعراف: ١١٨]، بعد أن بقي ذلك التاريخ أحقابًا طوالاً يسير في فلك الزور والبهتان، ويدور حول محور الزيف والتضليل، فكيف بهم الآن وقد برح الخفاء وتبين الرشد من الغي، واستبان الحق من الباطل، ووقف الناس على ما كانوا يجهلون{ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾} [الأعراف: ١١٩].

إن ذلك ولا شك، سيثير حفيظة القوم، أولئك الذين تغلي في قلوبهم مراجل العداوة، وتلتهب في صدورهم نيران الحقد والبغضاء، وسيستخرج أضغان دهاقنة الصهاينة وغلاتهم..، أولئك الذين يحلو لهم التشدق - كذبًا وزورًا - بأنهم من أعقاب بني إسرائيل ووارثو (مجدهم!!)،{كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ} [البقرة: ١١٣]، الا:{كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا} [الكهف: ٥]، {إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ} [ص: ٧]،{وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} [الأنعام: ١١٦]، والله يعلم والتاريخ يشهد أنهم ليسوا من ذلك في شيء، فقد وفدوا إلى فلسطين من مائة ودولتين، ومن خمس قارات، وإن هم إلا شذاذ آفاق، وشراد أمصار، وأباق أغبد، وعصابات نهب وسلب، لفظهم العالم فعاثوا في الأرض فسادًا، واتخذوا من الدجل والشعوذة والغش والسمسرة، وأكل السحت والربا، سبلا للعيش في أوساطهم الموبوءة

بصنوف المخازي، فأين هم مما يدعو؟! ألا:{قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠} [الذاريات: ١٠]، لا جرم أن هذه الفضيحة التاريخية ستقيمهم، وستقعدهم، وسيأخذون - كعادتهم - بالتهريج والتهويش والتمويه والعربدة، وطرح المقالب والمغالطات والدعايات الفارغة{وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ} [البقرة: ١٠٢]، وفاتهم أن ذلك لن يجديهم نفعا{قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ} [البقرة: ١١١]، فالحجة لا تقرع إلا بالحجة، والدليل لا ينقضه إلا الدليل،{فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٣١} [المعارج: ٣١]،{بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ} [الأنبياء: ١٨].

إن ما أدلى به مؤلفنا الفاضل في تضاعيف كتابه، أنه هو إلا حصيلة دأب متوال، وجهد متواصل، وسهر طويل، وتعب مضن استغرق أربعين عامًا، استنفد فيه وسعه، وأفرغ مجهوده حتى انتظم له الأمر واستقام، وأسفر عن هذا السفر الرائع الذي يعتبر حجة في بابه، والذي تضمن أحدث وأصدق ما أسفرت عنه المكتشفات الآثارية الحديثة وسطرته أقلام جهابذة العلماء المتخصصين، وقدمه مؤلفه البارع بكل أمانة وصدق وتجرد وتواضع هدية نفيسة وتحفة ثمينة إلى العالم أجمع ليستبين له وجه الحق..، وصاحبنا العلامة لا يبتغي من وراء ذلك جزاء ولا شكورا عدا إرضاء ضميره الحر النقي التواق إلى استقصاء الحقائق وانتزاعها من مكامنها، والإصرار الكلي على جعل كلمة الحق هي العليا:{فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ} [يونس: ٣٢]، فمن كان لديه اعتراض فليدل به، ومن كان عنده حجّة فليفض بها، فصدر الحق رحب وفسيح، والرجوع عن الخطأ فضيلة، وإن الحق يعلو ولا يعلى عليه..، أما الجدل الفارغ والمماحكة والشعوذة والثرثرة والمكابرة والسفسطة [(١)]، والمغالطة واللف والدوران ومجانبة الحق بصفاقة وجه ووقاحة، فكلها هراء في هراء، بل هي الهذيان بعينه، ولا يلجأ إليها إلا من سفه نفسه وأضله الله..، وإنها لبضاعة مزجاة كاسدة وتجارة بائرة لا رواج لها مطلقا في سوق العلم والموضوعية والتجرد والتمحيص:{أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} [يونس: ٣٥] [(٢)].

ومما يدعو إلى الاعتزاز أن ما أورده مؤلفنا العلامة في كتابه القيم كان

(١) السفسطة: قياس مركب من الوهميات، والغرض منه إفحام الخصم وإسكاته.

(٢) ومعنى الآية الكريمة: أفمن يرشد أحق أن يتبع أم من لا يرشد وهو نفسه في حاجة إلى أن يرشده مرشد، فما بالكم تحكمون بما تقتضي بداهة العقل بطلانه؟.

معززًا بعضه بالآيات القرآنية الكريمة في تبيين الحقائق ومطابقة المكتشفات الآثارية الحديثة والبحوث العلمية الدقيقة لما جاء في كتاب الله العزيز: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا} [النساء: ٨٧]، ولا غرابة فالقرآن الكريم حجَّة الله البالغة وآيته العظمى: {لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾} [فصلت: ٤٢]، والله جل شأنه يقول: {مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ} [الأنعام: ٣٨]، {إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾} [الواقعة: ٩٥]، {وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ} [الأحزاب: ٤].

أحمد حامد الشربتي

* * *

مقدمة الطبعة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم:

{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾} [الأنبياء: ١٨].

الكتاب الذي بين أيدينا (**العرب واليهود في التاريخ**) يعتبر من أهم الكتب التي تناولت التاريخ اليهودي بالقراءة والتمحيص وهو تصويب للأباطيل وكشف للتزوير الصهيوني، استند فيه مؤلفه إلى المراجع والحقائق العلمية والوثائقية العديدة، تناولها بمنتهى الجرأة والموضوعية وكان رائدًا في الفصل بين الأسطورة المزيفة والحقيقة التاريخية مفندًا بأسلوب علمي ومنطق تاريخي الروايات الأسطورية التي استخدمت كتبرير لزرع الكيان الصهيوني في أرضنا العربية.. وهو أيضًا تعريف بحقيقة تاريخ فلسطين القديم قبل ظهور النبي موسى عليه السلام وأتباعه على مسرح الأحداث ودور الحضارة العربية في تأسيس المجتمع الفلسطيني القديم.

مؤلفه يهودي الأصل من أبوين يهوديين ترعرع في بيئة إسلامية وعربية في مدينة بابل المدينة العراقية التاريخية.. وكانت نظرته إلى الإسلام نظرة الباحث المنصف فاعتنق الإسلام باقتناع ويقين وكان محبًا للعرب ولبلده العراق وهو الذي يقول (لا يصح أن يبقى العرب في معزل عما يبحثه الأجانب في موضوع يتعلق بصميم حياة الأمة العربية).

أثار الكتاب حين صدور الطبعة الأولى منه حفيظة الدوائر الصهيونية فقامت بمحاولات عدة لمنع انتشاره وذلك بشراء معظم نسخه وإتلافها وحرقها.. وهو خلاصة سفر طويل استمر أربعين عامًا نال مؤلفه: (**الدكتور/ أحمد سوسة**) العديد من الأوسمة والجوائز عن مؤلفاته التي تربو على الخمسين كتابًا وبحثًا إضافة إلى ١١٦ مقالاً وتقريرًا في مجال التاريخ، الجغرافيا، الزراعة والري.

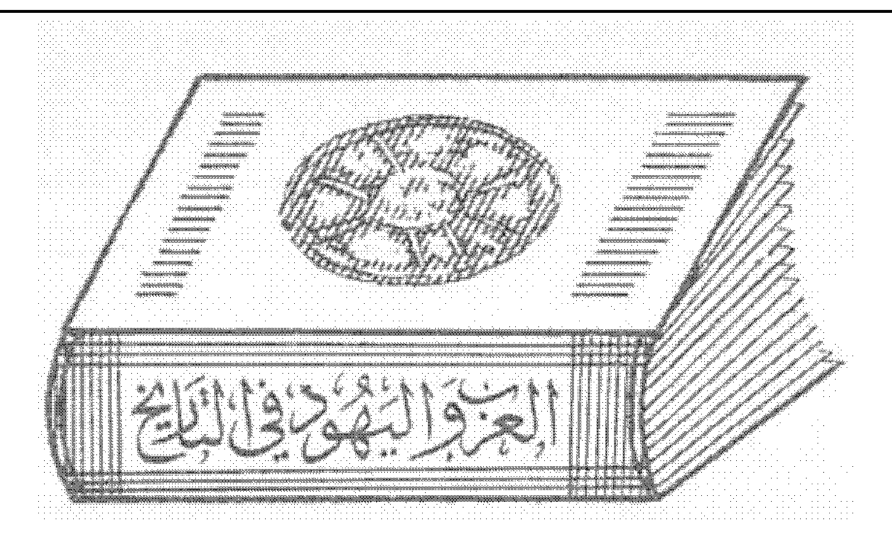
وأشاد الكثيرون من الباحثين والمؤرخين والكتاب بأهمية ما ورد فيه وبدور مؤلفه في إثبات الحقيقة وتنوير الأبصار وإغناء المكتبة العربية بأخطر وثيقة تاريخية سيتلمسها القارئ خلال قراءته.

جاءت إعادة طبعة الكتاب السادسة إدراكًا منا بخطورة الأطماع الصهيونية التوسعية واستمرارها وتأكيدًا لحق شعبنا الفلسطيني في أراضيه ودياره ليكون وثيقة يفتخر بها ومرجعًا لكل عربي غيور حريص على تاريخ أمته.

ومن الله التوفيق،

موفق السامرائي

* * *



حَقائق تَاريخية تُظهرُها المُكتشَفاتُ الآثارية

" لقد حان الوقت لكي نقدر، دون أي تحيز إسهام العرب في تاريخ الجنس البشري، وهذه العملية تمكننا من أن ننظر نظرة أكثر صحة إلى التطور التاريخي للجنس البشري ككل متكامل ومستمر "

السير جون كوب

* * *

مقدمــة [١]

لقد أصبح أخيرًا، رغم أسباب التأخير الكثيرة، كتاب الدكتور أحمد سوسة، (العرب واليهود في التاريخ)، هذا الكتاب الفذ العجيب (الذي وصل أصله العربي إلى طبعته الثالثة)، في متناول الباحثين الغربيين وليس الباحثين بمفردهم وإنما غير الباحثين أيضًا، إن أسلوبه الجزل الواضح يرفع من قيمته الأكاديمية وكذلك واقعيته المذهلة، مع كونه يتناول بالبحث عصورًا سبقت التاريخ المسيحي بزمن بعيد، تجعل منه كتابًا وثائقيًا خلابًا يفيد منه جميع المهتمين بتاريخ الشرق الأوسط ولا سيما تاريخ فلسطين.

إنني سميته " عجيبا "، ولا غرو فإن الباحثين الغربيين سيعجبون بالتأكيد من عمق مداركه، واستقامة وصلابة بيانه والموضوعية في طريقة معالجته، وهم ولا شك، سيدهشون أكثر لهذا العرض الغني بالمؤهلات والكفاءات الأكاديمية من ذلك النوع الراقي وتلك الدرجة العالية اللذين لم يكونوا في أغلب الظن، يتوقعون وجودهما في هذا المكان، إن الدكتور أحمد سوسة هو خريج كلية كولورادو في

---

(١) نسخت هذه المقدمة بالأصل، من قبل كاتبها، الدكتور رولف رايخارت، أستاذ الثقافة الإسلامية، والتاريخ الإسلامي، ومدير مركز الدراسات الأفرو - شرقية، في جامعة باهيا الاتحادية - سلفادور - (البرازيل) باللغة الإنكليزية ولما لم تكن قد جرت العادة بعد بأن يقدم لكتاب بغير اللغة التي يكتب فيها فقد طلبنا إلى السيد إلياس بيطار العمل على ترجمتها إلى اللغتين العربية والفرنسية كي تتصدر كل واحدة منها اللغة التي يصدر بها الكتاب بينما احتفظنا بالأصل الإنكليزي ليتصدر ترجمة الكتاب الإنكليزية.
وهذه نبذة عن حياة كاتبها:

ولد الدكتور رولف رايخارت سنة ١٩١٤، درس في البدء الهندسة الكيميائية لكنه عاد ودرس بعد الحرب العالمية الثانية الفقه الإسلامي، وتاريخ البلدان الإسلامية، وبنتيجة أطروحته " المسلمون في غويانا " نال درجة أستاذ وعين أستاذًا للعلوم الإسلامية ومديرًا لمركز الأبحاث الأفرو - الشرقية في جامعة باهيا الاتحادية - سلفادور (البرازيل) مجال بحثه العلمي " الأقليات المسلمة في جنوب أمريكا ". حضر عدة مؤتمرات وألقى عدة محاضرات في جماعات باريس، باسل، بازل، غرناطة، مدريد، الرباط، الجزائر، تونس، القاهرة (الأزهر)، دمشق، بغداد، وأخيرًا استنبول، أهم مؤلفاته: " أطلس العالم العربي التاريخي والإقليمي " ١٩٦٩، الوثائق العربية في مصنفات ولاية باهيا " البرازيل " ١٩٧٠، تاريخ فلسطين باللغتين الأسبانية والبرتغالية ١٩٧٢ - ١٩٧٣، وهو يقوم حاليًا بوضع معجم المفردات الأساسية في لغة البربر من أهل المغرب (المؤلف).

الهندسة المدنية إضافة إلى شهادة الدكتوراه في الفلسفة، بدرجة شرف، من جامعة جونز هوبكنز في الولايات المتحدة الأمريكية [١]. ولذا فإن القارئ سيواجه في شخصه فكرًا نيرًا وعالمًا متبحرًا في تاريخ الشرق الأدنى وعقلاً مدركًا لمدى دقة وحساسية موضوعه، مما حدا به إلى تقييد نفسه تقييدًا تامًا بالطرق الغربية في البحث والتنسيق العلمي. والدكتور أحمد سوسة أيضًا سبق له أن تسلم، لمدة تنيف على الثلاثين عامًا مسؤولية مناصب وإدارات تقنية، على أعلى المستويات في وطنه، جمهورية العراق الحديثة، إضافة إلى كونه مؤلفًا لنحو من ثلاثين كتابًا في الري والجغرافيا، والتاريخ إلخ.. وفي اللغتين العربية والإنكليزية، ولذا فإنه لن يكون من المبالغة في شيء الجزم بأنه لم يصادف طيلة عمله الوظيفي حجرًا واحدًا يستطيع إنباءه بأيّ قدر مهما كان طفيفًا عن تاريخ بلاده، إلا وقلبه مستجليًا إياه ذلك التاريخ، وما المصادر الواردة في الكتاب إلا دليلاً ساطعًا بين مدى وعمق واتساع مطالعاته الأساسية التي سبقت وضع الكتاب.

أما عن العمل الذي تصدى له المؤلف فإنه عمل ضخم هياب، إذ أنه ليس إلا قلب بل تصحيح قضايا تاريخية متوارثة عبر الأجيال أسيء فهمها، وهي ما تزال شائعة بين الناس ومقبولة منهم بفعل التوراة وتأثيرها منذ ما ينيف على الألفين والخمسمائة سنة، وإنه لمن المؤكد أن اكتشاف مدونات الأقوام التي عاشت قبل تدوين أسفار التوراة بزمن طويل، كالسومريين، الأكديين، الكنعانيين، الحيثيين، البابليين، الآشوريين، وأخيرًا المصريين قد دللت، وبما لا يقبل الشك، على أن الكتابات التوراتية (ولا سيما الأسفار الخمسة الأولى) لا يمكن التعويل عليها كمرجع تاريخي حقيقي، وذلك لكون تلك المدونات المكتشفة عاشت الأحداث التي عاصرتها، في حين أن كتابات التوراة تذكر أحداثًا سبقت ظهورها بثمانية قرون بالنسبة لزمن موسى والخروج، وخمسة عشر قرنًا وأكثر بالنسبة لإبراهيم والخليقة، إن هناك عددًا من الكتاب، من بينهم كاتب هذه المقدمة الذين دأبوا على ترجمة التوراة كأحد كتب الأدب، وفي أغلب الأحيان أحد كتب الشعر، من وضع اليهود في بابل الذين مزجوا الصدق بالكذب بصورة عشوائية وطريقة كيفية غايتها تمجيد تاريخهم الخاص باعتبارهم يمثلون " الشعب المختار " من دون جميع " شعوب العالم " مما يؤيد حقهم بـ " الأرض الموعودة " [٢]، ومع ذلك لم

(١) راجع سيرة المؤلف (المترجم).
(٢) راجع رايخارت، " تاريخ فلسطين "، الطبعة البرتغالية، برشلونة ١٩٧٣، ص ٣٢.

يجرؤ أحد قط، قبل الدكتور سوسة، أن يكشف النقاب عن ذلك الزيف وعدم الانسجام في الخرافات التوراتية بمثل هذا القدر من الدقة والحذاقة والصراحة والصلابة، ونحن الذين كان تعليمنا خاطئًا منذ الصغر، يتوجب علينا مراجعة ما كنا قد تعلمناه، وأن كتاب الدكتور أحمد سوسة يقدم لنا مادة غنية تساعدنا على ذلك، وأكثر من هذا وذاك يتوجب علينا أن نتعلم كيف نعطي الكلمات معانيها الحقيقية كأن نميز على سبيل المثال، بين العبراني والإسرائيلي، والموسوي، واليهودي، فهذه التسميات الأربع التي شاع استعمالها كمترادفات، دون أي تمييز بينها، ليست في الواقع إلا أربعة مصطلحات ترمز إلى أربع جماعات مختلفة، سواء ارتبطت أم لم ترتبط إحداها بالأخرى، عاشت أربعة أزمنة مختلفة ومتباعدة لم تترك أية واحدة منها تراثًا ثقافيًا ولا حضارياً في فلسطين في زمن من الأزمان، إن الكنعانيين (الفينيقيين) هم وحدهم الذين قاموا بهذا الدور الثقافي والحضاري في فلسطين خلال الحقبة السامية بطولها، وقد اقتبس الإسرائيليون ثقافتهم ومدنيتهم ومثلهم فعل الموسويون من بعدهم.

إن السبب الذي يعلل عجز تلك الأقوام، ومن بعدهم اليهود، عن إقامة أيّ حكم مدني دائم في فلسطين المحتلة أو في أي مكان آخر، مشروح شرحًا مفصلاً، في أحد فصول الكتاب الشيقة، وقد أجريت له مقارنة مع الدولة الصهيونية الحديثة ومستقبلها المحتوم، مما يجعله جديرًا بالمطالعة، إن الدكتور أحمد سوسة يتناول هذه المسألة الحساسة بكثير من الذكاء الخارق، والكياسة الرائعة، وهنا يصل إلى تلك العبارات المليئة بالحقد والكراهية التي تعج بها أسفار التوراة عند كل مرة يرد فيها ذكر الكنعانيين، سكان البلاد الأصليين، فالتوراة لا تدعو لحربهم وحسب بل وتدعو إلى إبادتهم وإفنائهم أيضًا: " الرجال والنساء، الأطفال والشيوخ، يجب أن يقتلوا بحد السيف جميعًا، فلا يبقى منهم حي على الإطلاق.. كما أوصى الربّ عبده موسى [(١)]. هذا وفيما عدا ذلك تبقى هناك المعلومات التاريخية القيمة التي يعرضها الدكتور أحمد سوسة والتي يقرر على ضوئها أن كتابًا يوضع بعد ثمانية قرون من وقوع أحداثه يكون من الصعب عليه الاتصاف بالأمانة التاريخية، وهذا يعني: " أن مثل تلك الأوامر والتوصيات الخاصة بالإفناء وإبادة الجنس لا يمكنها، في حال من الأحوال، أن تتوافق مع شريعة موسى، تلك الشريعة التي أوحاها الله إليه قبل ثمانية قرون من تدوينها ".

(١) راجع على سبيل المثال، (عد، ٣١: ١٧.)؛ (يش، ١١: ١٥.).

وأنه لن يكون يوسع المرء إلا أن يعجب بسمو أخلاق ومناقب كاتب يثور على ما أتت به التوراة من مثل تلك القسوة والشراسة وعزوهما إلى الله (جل جلاله) وإرادته، فالدكتور سوسة يعلن عن ثورته تلك بقوله: " أن عزو مثل هذا العمل والوعد بـ " أرض كنعان " القائم على القتل وإبادة الجنس إلى الله (عز وجل)، إن هو إلا سبّة موجهة إلى ذات الله (جل جلاله)، كما أنه لا يمكن أن يكون هناك دين سماوي يأمر بإبادة الجنس البشري والفتك بالشعوب المسالمة البريئة "، إن هذا القول وحده كاف لإدانة كل مطلب من شأنه أن يجعل من دين التوراة دينًا عالميًا، ولا غرو فالإله (يهوى)، إله التوراة إن هو إلا " إله قبلي "، ينحصر واجبه بالعناية بقبيلته (الشعب اليهودي)، فهو يخولهم حق ارتكاب كل ما هو في مصلحتهم، من حصول على الغذاء والثراء، وامتلاك الأرض الخصبة والنساء، كما أنه يدافع عن تطلعاتهم وشهواتهم، المحق وغير المحق منها، إنه باختصار يبرر كل ما يرتكبه شعبه المختار، أو بتعبير آخر الشعب الذي أقامه إلهًا، من المعاصي.

ولكن، وحتى بعد الانتهاء من كتاب الدكتور أحمد سوسة، سنظل نواجه سؤالاً أساسيًا وحتميًا لم يحظ حتى يومنا هذا بالجواب الشافي، إنه السؤال القائل: " من هم اليهود؟ " ولعله يكون من الأسهل قول ما هم ليسوا منه إذ يبدو أنه أصبح من المؤكد الثابت بالبرهان القاطع، وليس نتيجة لبحث الدكتور أحمد سوسة وحسب، أن لا علاقة تربط بين اليهود وقبيلة إبراهيم الخليل عليه السلام التي ساهمت في الحل والترحال الآرامي، ولكن هلا توجد حقًا رابطة دم بين الموسويين واليهود؟ وهل كانت حقًا تلك الجماعة الخارجة من مصر حملة مصرية صرفة باتجاه الشمال كما يقول الدكتور أحمد سوسة؟ ثم ألا يجدر بنا أن نقدر للمؤرخين الرومان أقوالهم واعتباراتهم وهم الذين كانوا يعتبرون الخروج بمثابة إجلاء عصابة كبيرة من العناصر غير المرغوب فيها تتألف من طائفة من المحرضين المشاكسين ومن أقليات مثيرة للشغب ومن بقايا شعب موبوء وغير متجانسة! [(١)]، فما هي بالضبط اللحظة التي يمكن ابتداء منها الكلام عن اليهود

(١) راجع " تاريخ تاسبتس "، الكتاب الخامس، الفصل الثاني، راجع أيضًا " تاريخ بومبيوس تروغس "، الكتاب السادس والثلاثين، الفصل الثاني (رايخارت).
إن المؤرخين الرومانيين الذين يشير إليهما الدكتور رايخارت هما المؤرخ تاسيتس الذي عاش في أواخر القرن الأول الميلادي (٥٥ - ١٢٠ ب.م) والمؤرخ بومبيوس تروغس الذي عاصر الإمبراطور أوغسطس (٦٣ق.م - ١٤ ب.م) وهذا نص ما كتبه

واستعمال " مصطلح يهودي "؟! وإنه لمن الغريب حقًا أن يبقى مثل هذا السؤال البدائي بغير جواب من أي نوع كان، إن نتائج بحث الدكتور أحمد سوسة الحالي تلقي أضواء جديدة على غالبية المسائل المعقدة ولا سيما تلك التي لها صلة بالعصور السامية القديمة، وإننا لنأمل من الدكتور سوسة أن تؤدي جهوده ودراساته التي لا تكل إلى حلول لجميع هذه المسائل في وقت قريب.

ويبقى هناك مجال بحث لم تنته بعد دراسته دراسة وافية، أعني به مجال تلك الثقافات والمدنيات الفلسطينية القديمة التي سبقت الغزو السامي وعلى رأسها تلك الثقافة التي يطلق عليها اسم " الثقافة الغسولية " [1]. ومما لا شك فيه أن تحديد

تاسيتس في هذا الصدد: " أن أكثر الكتاب متفقون على أن وباء وبيلا، كان يترك تشويهًا فظيعًا في الجسم تفشى في زمن ما في مصر.

وفيما كان الملك بوخاريس يفتش عن دواء لهذا الداء الوبيل، أشار عليه كهنة آمون بأن يظهر مملكته من الجنس الممقوت من الآلهة وينقلهم إلى بلد أجنبي، وعمل الملك بهذا الرأي= =وأجلاهم إلى خارج المملكة حتى وجدوا أنفسهم في صحراء، وبعد أن استولى عليهم اليأس ظهر من بينهم شخص يدعى موسى بعثته يد القدر الإلهية ليتولى قيادتهم وإنقاذهم مما كانوا عليه من شقاء وبؤس " تاريخ تاسيتس "، الترجمة الإنكليزية التي قام بها جورج وبرودريب، المطبوعة في لندن سنة ١٨٨٨، ص ١٩٤). وقد أخذ بهذه النظرية، عدا تاسيتس وبومبيوس تروغس، " ليسيماوس "، (القرن الثاني ق.م). " مانيثون " (القرن الثالث ق.م) ن و " خاريمون " (أواسط القرن الرابع ق.م)، و " ديودورس الصقلي "، (القرن الأول ق.م.)، ولقد أشرنا إلى هذه النظرية في متن الكتاب. المؤلف.

(١) " الدور الغسولي " هو أحد الأدوار الحجرية في فلسطين، وقد سمى كذلك نسبة إلى مجموعة الهضاب المعروفة باسم " تليلات غسول " الواقعة في شرقي الأردن حيث اكتشفت، لأول مرة، بقايا حضارة عريقة في القدم.

وتعتمد حضارة هذا الدور الذي يعود إلى زمن العصر الحجري المعدني (الكالكوليثي أو البرونزي حوالي ٤٠٠٠ ق.م) عبر التطور الحضاري على ثلاث مكتشفات أو اختراعات أساسية هي:

١ - اكتشاف المعادن: الذهب والفضة والنحاس والقصدير والرصاص واستخدام الأفران الموقدة بالفحم الخشبي لصهرها.

٢ - اختراع المحور الدوار أو اللولب.

٣ - اختراع مبادئ الكتابة.

أما عن سكان فلسطين الأصليين، فإنه من الصعب جدًا تحديد عرقهم بالضبط في الوقت الحاضر، شأنهم في ذلك شأن جميع السكان الأصليين في مختلف بلدان العالم، إذ أننا لا

التركيب العرقي للفلسطينيين المحدثين أصبح عسيرًا إذ أنه غدا أكثر تعقيدًا وأقل تجانسًا، ولا سيما إذا ما اعتبرنا العنصر غير السامي من العهدين الحجري النيوليثي والحجري المعدني (البرونزي) بمثابة الطبقة السفلى التي جاءت الغزوات اللاحقة المتعددة لتفرض عليها نفسها، وتأتي على رأس تلك الغزوات أهمية غزوات الأقوام السامية (العموريين، الكنعانيين، الأراميين، البابليين، الآشوريين وعناصر بشرية أخرى من جزيرة العرب).

ومن بعدها تأتي غزوات الشعوب الهندو - أوربية - (الحيثيين، الفلسطينيين، الفرس، اليونان، القفقاسيين، الرومان وآخرين) وبعدها ولكن على درجة أقل في الأهمية، تأتي غزوات المغول والترك الأخيرة، وأنه لمن غير الممكن الفصل بين جميع هذه العناصر المتنافرة تنافرًا شديدًا والعديمة التجانس، مما يوجب تحريها ودراستها، كل عنصر على انفراد، ولهذا السبب الأكبر وحده يجب أن نعلن عن فرحتنا بصدور كتاب الدكتور أحمد سوسة الذي يلقي الأضواء على الموضوع البالغ الأهمية: " موضوع مساهمة الشعب السامي في تاريخ الشرق وإرسائه أسس الحضارة الإنسانية ".

ترجمة طبق الأصل عن النص الإنكليزي

رولف بايخارت

نمتلك اليوم أية معلومات ثابتة ومؤكدة عن هذا الدور الغسولي، وأن كل ما نعلمه عنه إنما هو من باب الحدس والتخمين.

وعلى العكس فقد أصبحت بحوزتنا حتى الآن معلومات وافية عن " الهجرات السامية من شبه جزيرة العرب إلى الهلال الخصيب "، جميعها ثابتة ومؤكدة استنادًا إلى النصوص والوثائق المكتشفة حديثًا، ولعله من المفيد في هذا الصدد ألا يغرب عن بالنا أن الساميين= =العرب هم مخترعو الأحرف الأبجدية وبها دونوا أخبارهم التي نقلها إلينا العلماء الآثاريون ملقين بذلك الضوء على الأحداث التاريخية الحقيقية.

وعلى العموم فإن جميع الوثائق التي بين أيدينا تشهد وتؤكد، بما لا يترك مجالاً للشك، أن العنصر السامي العربي هو العنصر الذي كان سائدًا في منطقة الشرق الأوسط، ومن ضمنها فلسطين، منذ مطلع الحقبة التاريخية التي تناولتها وحتى الوقت الحاضر باعتبار أن الأمة العربية الحالية إنما تؤلف العروق السامية من حيث أنها تمثل أولئك الساميين القدامى. المؤلف.

تنبيه

أولاً: إن المراجع في موضع تاريخ اليهود كثيرة لا يحصى عددها نظرًا لتعدد من تناولوه بالبحث من مختلف الجنسيات وفي مختلف اللغات إضافة إلى اختلاف مشاربهم والتباين الشديد في وجهات نظرهم، إن أية محاولة للإلمام بجميع ما كتب في هذا المآل هي محاولة بعيدة عن مرمى الكتاب، وقد اقتصرنا على تدوين المراجع التي أشير إليها في المتن، في الملحق الثالث منه.

ثانيًا: يعتبر الكتاب المقدس، ترجمة وطبع الجامعة الأميركية في بيروت المرجع الأساسي لجميع الشواهد التوراتية وتجب العودة إلى هذا الكتاب في كل ما يختص بها فيما عدا الشواهد من سفري المكابيين، التي تجب مراجعتها في الكتاب المقدس، طبعة المطبعة الكاثوليكية في بيروت لسنة ١٩٦٠، وذلك لأن هذين السفرين غير مذكورين في المرجع الأول.

ثالثًا: نظرًا لكثرة الاستشهادات التوراتية فقد اتبعنا في كتابها نفس الطريقة المختصرة المقررة في الكتاب المقدس المرجع، ترجمة وطبع الجامعة الأميركية في بيروت، والتي يمكن تلخيصها كالتالي:

١ - مقطوعات اختصار الأسفار المقدسة

أ- حسب تسلسلها في الكتاب المقدس

تكوين	تك	راعوث	را
خروج	خر	صموئيل	ا صم، ٢ صم
لاويين	لا	ملوك	ا مل، ٢ مل
عدد	عد	أخبار	ا أخ، ٢ أخ
تثنية	تث	عزرا	عز
		نحميا	نح
يشوع	يش	طوبيا	طو
قضاة	قض	يهوديت	يهو
أستير	أس	زكريا	زك
أيوب	أي	ملاخي	ملا
مزامير	مز	مكابيين	٨ مك، ٢ مك
أمثال	أم	متى	مت

جامعة	جا	لوقا	لو
حكمة	حك	مرقس	مر
يشوع بن سيراخ	سي	يوحنا	يو
		أعمال	أع
أشعيا	أشر	رومية	رو
إرميا	إر	كورونثوس	١ كو، ٢ كو
مراثي	مرا	غلاطية	غلغل
باروك	با	أفسس	أف
حزيقال	حز	فيلييبي	في
دانيال	دا	كولوسي	كو
هوشع	هو	تسالونيكي	١ تس، ٢ تس
يوئيل	يؤ	تيموثاوس	ا تي، ٢ تي
عامو	عا	تيطس	تي
عوبيديا	عو	فلمون	فل
يونان	يون	عبرانيين	عب
ميخا	مي	يعقوب	يع
ناحوم	نا	بطرس	١ بط، ٢ بط
حبقوق	حب	يوحنا	ا يو، ٢ يو، ٣ يو
صفنيا	صف	يهوذا	يه
حجي	حج	رؤيا	رؤ

ب - حسب التسلسل الأبجدي

ا أخ	أخبار الأيام الأول	أي	سفر أيوب
٢ أخ	أخبار الأيام الثاني		
أر	نبؤة أرميا	با	نبوءة باروك
أس	سفر أستير	ا بط	رسالة القديس بطرس الأولى
أش	نبؤة أشعيا	٢ بط	رسالة القديس بطرس الثانية
أع	أعمال الرسل	تث	سفر التثنية (تثنية

			الاشتراع)
أف	رسالة إلى أهل أفسس	١ تس	الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي
أم	سفر الأمثال		
٣ تس	الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي	قض	سفر القضاة
		كو	رسالة إلى أهل كولوسي
تك	سفر التكوين	١ كو	الرسالة الأولى إلى أهل كورونثوس
تي	رسالة إلى تيطس		
١ تي	الرسالة الأولى إلى تيموتاوس	٢ كو	الرسالة الثانية إلى أهل كورونثوس
٢ تي	الرسالة الثاني إلى تيموتاوس		
جا	سفر الجامعة		
حب	نبؤة حبقوق	لا	سفر اللاويين
حج	نبؤة حجي	لو	الإنجيل حسب القديس لوقا
حز	نبؤة حزيقال	مت	الإنجيل حسب قديس متى
حك	سفر الحكمة	مر	الإنجيل حسب القديس مرقس
		مرا	مراثي إرميا
خر	سفر الخروج	مز	سفر المزامير
دا	سفر دانيال	١ مك	سفر المكابيين الأول
را	سفر راعوث	٢ مك	سفر المكابيين الثاني
رو	رسالة إلى أهل رومية	١ مل	سفر الملوك الأول
رؤ	رؤيا القديس يوحنا	٢ مل	سفر الملوك الثاني
		ملا	نبوءة ملاخي
زك	زكريا	مي	نبؤة ميخا

سي	سفر يشوع بن سيراخ	نا	نبؤة ناحوم
		نح	سفر نحميا
صف	نبؤة صفنيا	نش	سفر نشيد الأنشاد (الأناشيد)
١ صم	سفر صموئيل الأول	هو	نبوءة هوشع
٢ صم	سفر صموئيل الثاني		
طو	سفر طوبيا	نش	سفر يشوع
عا	نبؤة عاموس	يع	رسالة القديس يعقوب
عب	رسالة إلى العبرانيين	يو	الإنجيل حسب القديس يوحنا
عد	سفر العدد	١ يو	رسالة القديس يوحنا الأولى
عز	سفر عزرا	٢ يو	رسالة القديس يوحنا الثانية
عو	سفر عوبيدب	٣ يو	رسالة القديس يوحنا الثالثة
غل	رسالة إلى أهل غلاطية	يؤ	نبوءة يوئيل
		يون	نبوءة يونان
فل	رسالة إلى فلمون	يهو	سفر يهوديت
في	رسالة إلى فيليبي	يه	رسالة القديس يهوذا
٢ تس	الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي	قض	سفر القضاة
		كو	رسالة إلى أهل كولوسي
تك	سفر التكوين	١ كو	الرسالة الأولى إلى أهل كورونثوس
تي	رسالة إلى تيطس		
١ تي	الرسالة الأولى إلى تيموثاوس	٢ كو	الرسالة الثانية إلى أهل كورونثوس
٢ تي	الرسالة الثانية إلى تيموثاوس		

جا	سفر الجامعة		
حب	نبؤة حبقوق	لا	سفر اللاويين
حج	نبؤة حجي	لو	الإنجيل حسب القديس لوقا
حز	نبؤة حزقيال	مت	الإنجيل حسب القديس متى
حك	سفر الحكمة	مر	الإنجيل حسب القديس مرقس
		مرا	مراثي إرميا
خر	سفر الخروج	مز	سفر المزامير
دا	سفر دانيال	١ مك	سفر المكابيين الأول
را	سفر راعوث	٢ مك	سفر المكابيين الثاني
رو	رسالة إلى أهل رومية	١ مل	سفر الملوك الأول
رؤ	رؤيا القديس يوحنا	٢ مل	سفر الملوك الثاني
		ملا	نبوءة ملاخي
زك	زكريا	مي	نبؤة ميخا
سي	سفر يشوع بن سيراخ	نا	نبؤة ناحوم
صف	نبؤة صفنيا	نح	سفر نحميا
١ صم	سفر صموئيل الأول	نش	سفر نشيد الأنشاد (الأناشيد)
٢ صم	سفر صموئيل الثاني	هو	نبوءة هوشع
طو	سفر طوبيا	يش	سفر يشوع
عا	نبوءة عاموس	يع	رسالة القديس يعقوب
عب	رسالة إلى العبرانيين	يو	الإنجيل حسب القديس يوحنا
عد	سفر العدد	١ يو	رسالة القديس يوحنا الأولى
عز	سفر عزرا	٢ يو	رسالة القديس يوحنا الثانية
عو	سفر عوبيدب	٣ يو	رسالة القديس يوحنا

			الثالثة
غل	رسالة إلى أهل غلاطية	يؤ	نبوءة يوئيل
		يون	نبوءة يونان
فل	رسالة إلى فلمون	يهو	سفر يهوديت
في	رسالة إلى فيليبي	يه	رسالة القديس يهوذا

٢ - طريقة كتابة وقراءة الشواهد التوراتية:

يتألف الشاهد التوراتي من ثلاثة أجزاء، يتألف الأول منها من إحدى المقطوعات المبينة في الجدول السابق وهو يدل على الكتاب، في جملة الكتب المقدسة، المطلوب مراجعته، والقسم الثاني يتألف من عدد يتألف من رقم حتى الثلاثة أرقام ويدل على الفصل (ويسمى إصحاحًا) المطلوب مراجعته في ذلك الكتاب، أما القسم الثالث فيتألف من رقم أو مجموعة أرقام مركبة وتدل على الآيات (وتسمى أعدادًا) المطلوب مراجعتها في ذلك الإصحاح من ذلك الكتاب، أما إذا أريد الدلالة على إصحاح بكامله فعندئذ يتبدل القسم الثاني ويصبح حرف (ص) ويصبح القسم الثالث عددًا يتألف من رقم إلى ثلاثة أرقام يدل على رقم الأصحاح المطلوب مراجعته، وإليك بعض الأمثلة:

١ - (تك، ٢٥: ١٤.) راجع سفر التكوين الأصحاح الخامس والعشرين العدد ١٤.

٢ - (ا أخ، ١٧: ٦، ٢٨.) راجع السفر الأول من أخبار الأيام، الأصحاح السابع عشر العددين ٦ و ٢٨ منه.

٣ - (مز، ١٥١: ٥ - ١٢.) راجع المزمور المابة والحادي والخمسين، الأعداد من ٥ إلى ١٢، العددين ٥ و ١٢ ضمنا.

٤ - (٣ يو ١٢: ٥، ٧، ١٣، ٢٢.) راجع رسالة القديس يوحنا الثالثة، الأعداد ٥ و٧ و١٣ و٢٢ فيها.

٥ - (٢ مك، ١٩: ٨ - ١٥، ٢١، ٣٤.) راجع سفر المكابيين الثاني، الأعداد من ٨ إلى ١٥، العددين ٨ و ١٥ ضمنا ثم راجع العددين ٢١ و٣٤ من نفس الأصحاح أيضًا.

٦ - (٢ صم، ص: ٢٢.) راجع الأصحاح الثاني والعشرين من سفر صموئيل الثاني بكامله.

المؤلف

مدخل

حملتني على وضع كتابي هذا المعنون " العرب واليهود [١] في التاريخ " عدة حوافز، من أهما الإعزاز العميق لتراث العروبة والإسلام وحضارتهما، والإحساس بأن الأمة العربية هي بأشد الحاجة في هذا الظرف بالذات لإظهار حقيقة تاريخ اليهود القديم وصلتهم بفلسطين وتعريف القارئ بأصالة عروبة فلسطين منذ خمسة آلاف عام، ومع علمي بما ينطوي عليه هذا الموضوع من تفرعات شائكة وحساسة اختلف فيها الآراء وتضاربت فيها النزعات والميول، ومع علمي علم اليقين بأنه ليس من السهل تغيير المفاهيم التاريخية المتواترة منذ أكثر من ألفين وخمسمائة عام والتي تناقلتها الأجيال جيلاً بعد جيل بتأثير التوراة، فقد أقدمت عليه مستمدًا من المبادئ العلمية التي تستند إلى المنطق والعقل السليم الجرأة على خوض هذا الموضوع بغية التواصل إلى الحقيقة في مجال التفكير الإنساني القويم، ومما أعانني على التوغل في هذا البحث دراساتي الطويلة

---

(١) نقول هنا " اليهود " ولا نقول " بني إسرائيل "، لأن هذا البحث يقوم أساسًا على التمييز بين عصر موسى واليهود من جهة وبين عصر إبراهيم ويعقوب (إسرائيل) من جهة أخرى، لأنهما على ما نفهمه من التاريخ المبني على الاكتشافات الحديثة عصران منفصلان لا يرتبط الواحد منهما بالآخر بأية صلة من حيث أنه يوجد بينهما فاصل يمتد عبر الزمن أكثر من سبعمائة عام، كما سنوضح ذلك خلال هذا الكتاب، كما ونقول " العرب واليهود "، وليس " اليهود والعرب "، كما اعتاد الباحثون أن يفعلوا فيقدموا اسم اليهود على العرب في عناوين بحوثهم بمعنى أن اليهود هم الأقدم وأن العرب فرع متأخر (انظر على سبيل المثال عناوين كتب " ألم " (Alem) وكويتن (Goiten) وباركس (Parkes) في ثبت المراجع الأجنبية)، لأن العرب هم الساميون الأصل الذين أسسوا أقدم الحضارات السامية في الشرق الأدنى، أما اليهود فقد ظهروا في وقت متأخر ولم يتركوا أية حضارة قديمة خاصة بهم إذ أنهم اقتبسوا حضارة الكنعانيين، أهل البلاد الأصليين، ثم أخذوا بالعبرية المقتبسة من الآرامية (العربية الأصل).

ومن الغريب حقًا أن المؤرخين الغربيين أصبحوا بصورة لا شعورية، لا يتذكرون من أرض فلسطين إلا أنها " بلاد اليهود "، فهذا هو المؤرخ الشهير " ويلز " (Wells) على سبيل المثال، الذي يقول في كتابه الواسع الانتشار " معالم تاريخ الإنسانية " إن فلسطين هي بلاد الكنعانيين يعود ليسمّها " بلاد اليهودية ". وهذا إن دل على شيء إنما يدل على مدى تأثير الكتابات اليهودية على تفكير الباحثين والكتاب منذ أقدم العصور بحيث أصبح من العسير جدًا تغيير المفاهيم التي تواترت، عبر أكثر من ألفين وخمسمائة سنة على أسماع الناس، وهي ما تزال مقبولة منهم.

المتواصلة مدة أكثر من أربعين سنة لأصل الحضارات السامية في وادي الرافدين وعلاقتها بالريّ والزراعة، والمعلوم أن حضارة وادي الرافدين القديمة مرتبطة ارتباطًا كليًا بحضارة الشرق الأدنى من ضمنه فلسطين، كوحدة جغرافية واحدة لا تقبل الانفصال، وهل ننسى أن تحرير أرض فلسطين من اليهود بالقضاء على مملكتي إسرائيل ويهوذا قد تم على يد الآشوريين والكلدانيين الذين جاءوا من قلب العراق قبل أكثر من ألفين وخمسمائة سنة؟..

وهناك دافع آخر حملني على خوض هذا الموضوع، هو الصراع القائم منذ أقدم العصور ولا يزال قائمًا حتى هذا اليوم بين الشرق والغرب، بين الساميين العرب وبين الأمم غير السامية، ذلك الصراع القديم الذي بدأ بفلسطين منذ الحروب الصليبية وانتهى بفلسطين أيضًا حيث غرس الاستعمار إسرائيل في قلب الوطن العربي، وهذا الصراع عريق في القدم، فقد استقر السومريون غير الساميين منذ فجر التاريخ في جنوبي العراق وأسسوا أول حضارة في تاريخ الإنسانية، وعاش إلى جوارهم شمالاً الأكديون الساميون نازحين من شبه جزيرة العرب إثر الجفاف الذي حل بوطنهم، فاقتبس الساميون الكثير من أسباب الحضارة السومرية وثقافتها وديانتها، وهذا شأن الحضارات عبر التاريخ حيث تقتبس الواحدة من الأخرى مقوماتها الثقافية والدينية والاجتماعية في أكثر الحالات.

ودام هذا الصراع بين الأكديين الساميين النازحين من جزيرة العرب وبين السومريين غير الساميين عدة قرون تخلل احتكاك واختلاط بين العنصرين حتى تغلب الساميون الأكديون على السومريين وكونوا أول إمبراطورية في تاريخ الساميين، ثم تبعتها الإمبراطورية البابلية التي ظهر فيها الملك حمورابي المشرع الشهير وقامت بعدها الإمبراطوريتان الآشورية والكلدانية.

ولا يزال هذا الصراع بين الشرق والغرب مستمرًا حتى هذا اليوم صورة خفية أو علنية، فخلق لنا الغرب الحركة الأوربية الاستعمارية، وخلق إسرائيل شوكة في قلب الأمة العربية، وخلق القضية الفلسطينية التي لا تزال تدور في دوامة مفرغة من القلق والاضطراب.

فبدا لي وأنا أدرس تاريخ حضارات العراق القديم وصلته بالري والزراعة بأن تاريخ الساميين العرب يجب أن يكتب من جديد في ضوء المكتشفات الآثارية الحديثة بلا تميز استعماري ولا تعصب عنصري على يد أبناء الأمة العربية، إن

كل بلاد العالم هي التي تكتب تاريخها إلا الأمة العربية التي تركت للمستعمرين الأجانب أن يكتبوا تاريخها كما يشاؤون وفق رغباتهم ونزعاتهم السياسية.

كما أنه بدا لي أن اليهود كتبوا تاريخهم في بابل حين كانوا في الأسر، وكتبوه حسبما أملته عليهم أهواؤهم ونزعاتهم الدينية والسياسية، لذلك يجب أن يكتب هو الآخر من جديد في ضوء المكتشفات الآثارية والمصادر التاريخية.

كانت حصيلة هذا النزاع الفكري ظهور كتابي " العرب واليهود في التاريخ " الذي استعرضت فيه تاريخ الحضارة السامية العربية ودور جزيرة العرب في نشوئها، ثم استعرضت تاريخ اليهود القديم مستندًا إلى الحقائق التاريخية في ضوء المكتشفات الآثارية الحديثة.

وانطلاقا من هذا الفكر نفسه أكد المؤتمر في المهرجان التكريمي الذي أقيم في بغداد مؤخرًا للعلامة توينبي في ٢٥ - ١٩٧٧/١٠/١٠ هذه الناحية بضرورة كتابة تاريخ الأمة العربية بروح موضوعي وبأسلوب علمي، وقد عقد هذا المؤتمر تحت شعار " المؤرخون العرب يؤكدون ضرورة كتابة تاريخ الأمة العربية بروح موضوعية وبأسلوب علمي " والأمل أن توضع هذه الأمنية حيز التنفيذ خدمة للتاريخ.

والبحث الذي أقدمه هو حصيلة تحقيق واجتهاد عمر كامل قضيت الشطر الأكبر منه في ملاحقة الحقيقة أينما وجدت وكيفما كانت.. وإني إذ أقدم هذا البحث أترك للقارئ أو الباحث أن يأخذ بما يقتنع به من الآراء الواردة في الكتاب أو يرفض ما لا يريد منها، إنما المهم هو أن نتجرد من العواطف والميول وأن نبحث هذا الموضوع الخطير بالطريقة العلمية ونركن إلى المنطق والعقل السليم في الاجتهاد والعمل للتوصل إلى الحقيقة التي ننشدها جميعًا، ومن القول الشريف:﴿**للمجتهد إن أصاب أجران وإن أخطأ أجر واحد**﴾.

لقد كتب كثيرون وبحث عديدون في تاريخ اليهود وفلسطين حتى أصبحت لدينا آلاف مؤلفة من الكتب والمعاجم والقواميس، وكلها تبحث في تاريخ اليهود وكتبهم المقدسة بحيث لا يخرج القارئ الغريب عن الموضوع إلا وقد انطبع في ذهنه بأن اليهود هم بناة الحضارة، وهم دعاة عقيدة التوحيد، وهم مؤسسو الثقافة العالمية إلخ.. والكتّاب الذين اندفعوا في هذا الاتجاه فريقان:

يتألف الفريق الأول: من رجال الدين، اليهود والنصارى، المتعصبين للتوراة، وهم الأكثرية.

أما الفريق الثاني: فيتألف من علماء وكتّاب، انخرطوا في سلكهم، وكانوا قد أخذوا على عاتقهم تقصي الحقائق التاريخية لكن أكثرهم أصبحوا من غير أن يشعروا دعاة لليهود قبل أن يتوصلوا لأن يكونوا رواد علم وحقائق.

ومن الثابت أن سكان فلسطين الأصليين القدماء، وقد كانوا كلهم عربًا من العنصر السامي، هاجروا من جزيرة العرب إثر الجفاف الذي حل بها، فعاشوا في وطنهم الجديد " كنعان " أكثر من ألفي عام قبل ظهور النبي موسى وأتباعه على مسرح الأحداث، وقد أخذ الموسويون بعد ظهورهم في أرض كنعان بلغة الكنعانيين وثقافتهم وحضارتهم وتقاليدهم، هذه حقيقة تاريخية ثابتة، أيدتها المكتشفات الآثارية الأخيرة، وأخذ بها العلماء بالإجماع تقريبًا. إلا أن أكثر العرب الذين كتبوا في تاريخ حضارة العرب، لم يتناولوا هذا الدور في بحوثهم إلا عرضًا، ولعلّ مرد ذلك إلى اصطباغ مصادره بصبغة اختصاصية تنحصر بالبحوث الآثارية، لذلك انحصرت بحوثهم في عصور الجاهلية على الأكثر، تاركين بذلك فراغًا في تاريخ الأدب العربي يمثل طيلة فترة ما قبل النبي موسى، وهي الفترة التي عدّها اليهود بداية تاريخهم من غير أيّ سند علمي أو واقع تاريخي، وقد جاراهم في ذلك حتى الكتّاب العرب معتمدين على الكتابات اليهودية والأجنبية التي قبلوها على علاتها من غير تمحيص، ولقد صدق زميلي في الدراسة المجاهد العربي الأستاذ أكرم زعيتر حين قال: " إن إسرائيل قد استعانت على اغتصاب بلادنا بتزييف الحقائق أكثر مما عنينا نحن بإيضاحها ".

ولم يكتف اليهود بأن جعلوا تاريخهم يرجع إلى عهود قديمة لم يكن لهم أيّ وجود فيها، بل ساروا على هذا النحو في إرجاع لغتهم العبرية إلى عهود قديمة لم يكن لهم أيّ وجود فيها، فقد اعتبروا وجود لغتهم العبرية أي اليهودية قبل دخولهم أرض فلسطين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وأطلقوا عليها اسم " عبرية التوراة " (Heberw Biblical) في حين أن العبرية التي كتبوا بها التوراة مشتقة من الآرامية ولم تظهر إلا بعد مرور أكثر من ستمائة عام على دخول اليهود أرض فلسطين فكتبوا العهد القديم بها، والغريب أنّ أكثر الباحثين قد أخذوا بهذا التزييف للواقع التاريخي، على الرغم من اعتراف التوراة ذاتها بأن اللغة القديمة هي لغة كنعان [1].

وفي أسطورة من أساطير " الزوهر " أن الاثني والعشرين حرفًا من

---

(١) راجع (أش، ١٩: ١٨).

الأبجدية العبرية (المقتبسة من الآرامية) نزلت من السماء قبل الخليقة بستة وعشرين جيلاً، وأنها نقشت بنار ملتهبة، والسؤال الذي يفرض نفسه هنا: " على من ولمن أنزلت تلك الحروف قبل أن توجد الخليقة؟ ".

وقد عبر الخبير القانوني هنري كتن عن تأثير الدعاية الصهيونية المضللة في الأوساط العالمية أحسن تعبير حين قال: " إن حقيقة مشكلة فلسطين قد ظهرت تحت أطباق التضليل المعتمد والوقائع الشائهة والدعاية المخادعة التي تراكمت على توالي الحقب، والمراقبون العدول، ومنهم الكنديون والسويديون والأمريكان، الذين أتيح لهم أن يعالجوا قضية فلسطين بوصفهم موظفين معتمدين من الأمم المتحدة، قد لاحظوا كيف كانت تشوّه الوقائع، كما لاحظوا صعوبة عرض وجهة النظر العربية أمام الرأي العام العالمي ". ومضى يؤكد " أن الصهاينة يملكون شبكة من وسائل الإعلام، صحافة، إذاعة وتلفزيون، في عدد من بلدان العالم، وأن جهاز الدعاية الصهيونية بكل تشعباته الكثيرة وبقوته الفائقة وتنظيمه الكفء وموارده المالية غير المحدودة وقدرته على أن يعمل داخل كل دولة باعتباره يمثل كيانًا داخليًا قوميًا، إنما يعدّ خطرًا على العالم، لأن قدرته على تزييف الأخبار هائلة ولأن في وسعه أن يقود الرأي العام العالمي وأن يضلله حسب هواه في أي أمر من الأمور، ويحمله على تأييد إسرائيل بغض النظر عن الحق والصواب والعدل " (١).

وبصدق ذلك بوجه خاص على الناحية التاريخية من كيان فلسطين القديم فالمكتبة العربية خالية من أية دراسة علمية تتسم بالحياد التام والحرص على إظهار الحقائق التاريخية بدون التعصب إلى أية جهة كانت، مما يدعو إلى ضرورة سد هذا الفراغ بدراسة علمية لتاريخ فلسطين القديم تساعد على إفهام هذه الناحية المهمة من واقعنا التاريخي وتراثنا العربي المجيد.

ومن أهم ما أبتغيه في بحثي هذا: هو تعريف القارئ بحقيقة تاريخ فلسطين القديم قبل ظهور النبي موسى وأتباعه على مسرح الأحداث ومن ضمن ذلك دور الحضارة العربية في تكوين المجتمع الفلسطيني القديم، وتصحيح الخطأ الشائع الذي وقع في أكثر الكتاب والمؤرخين العرب من إرجاع تاريخ اليهود إلى عهود قديمة لم يكن لهم أي وجود فيها، وقد تقيدت، فيما كتبت، تقيدًا تامًا بالأسلوب العلمي مثبتًا المظان أينما استوجب ذلك، سوى الاستنتاجات والآراء الشخصية

(١)" فلسطين في ضوء الحق والعدل "، ص ١٤٩، ١٥٠.

التي أبديتها استنادًا إلى تلك المظان، وأنا حينما أعرض آراء الباحثين الأجانب بوجه خاص وأشير إلى نظرياتهم المستندة إلى دراساتهم واكتشافاتهم الآثارية فيما يتصل بموضوع هذا البحث، وهي نظريات وآراء قد يكون فيها ما لا ينسجم مع التقاليد والمفاهيم الشائعة، إنما أقوم بذلك لاعتقادي بأنه لا يصح أن يبقى العرب في معزل عما يبحثه الأجانب في موضوع يتعلق بصميم حياة الأمة العربية وتاريخ فلسطين، وإني أرى أن الوقت حان لكي يدخل العرب حلبة المعركة العلمية ويناقشوا ويبحثوا هذه المواضيع التاريخية الحيوية بالطريقة العلمية التي هي طريقة هذا العصر، ومعالجة المواضيع بهذه الطريقة إنما تتطلب منّا أن نفتح صدرنا للحقائق التاريخية المستندة إلى التمحيص العلمي.

لقد أرجع بعض الباحثين تاريخ اليهود إلى زمن الأكديين في العراق، في حين أن الأكديين كانوا قد ظهروا قبل عصر النبي موسى بأكثر من ألفين وخمسمائة سنة، ذلك لأن الأكديين نزحوا من جزيرة العرب إلى شواطئ الفرات حوالي ٤٠٠٠ قبل الميلاد، أما اليهود أتباع موسى فإنما ظهروا في القرن الثالث عشر قبل الميلاد أي بعد الأكديين بـ ٢٧٠٠ سنة، وربط باحثون آخرون بداية تاريخ اليهود بزمن إبراهيم الخليل عليه السلام، في حين أنهم لم يظهروا إلا بعد إبراهيم الخليل بسبعمائة عام، وربط فريق ثالث تاريخ اليهود بزمن الهجرات السامية العربية إلى الهلال الخصيب، وهذه الهجرات إنما حدثت قبل وجودهم بنحو ألفي عام، لقد وقع هؤلاء جميعًا في هذه الأخطاء بسبب إهمالهم ملاحظة التسلسل الزمني، الذي تعمد كتبة التوراة إهماله، ليسهل عليهم ربط تاريخهم بعهود قديمة سبقت وجودهم، فأدخلوا التشويش على ذهن القارئ بحيث أصبح تائهًا بين العصور لا يدري أهو في عصر إبراهيم أم في عصر موسى ويشوع أم في عصر اليهود؟ ومن أهم مقاصد هذا البحث هو شرح الفارق الذي يميز بين عصر إبراهيم الخليل العربي وبين عصر موسى واليهود باعتدادهما عصرين منفصلين لا صلة للواحد بالآخر، وكذلك التمييز بين عصر موسى من جهة وعصر اليهود من الجهة الأخرى، وبذلك التمييز بين التوراة التي أنزلت على النبي موسى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وبين التوراة التي كتبها اليهود في الأسر بعد ثمانمائة عام من عهد موسى وبعد ألف وخمسمائة عام من عهد إبراهيم الخليل ونسبوها إلى موسى وإبراهيم الخليل زورًا.

لقد كانت التوراة قبل الاكتشافات الآثارية الأخيرة المصدر الأساسي الذي يرجع إليه الباحثون في تدوين تاريخ فلسطين القديم ودور اليهود فيه باعتدادها

أقدم كتابة في التاريخ القديم، فضلاً عن ادعاء قدسيتها، مما وضعها خارج نطاق التحليل التاريخي العلمي، وقد بقيت على هذا النحو قرونًا عديدة لانعدام الأدلة والبراهين القاطعة، حتى كشفت لنا الكتابات التي خلفها الأقدمون الذين سبقوا عهد التوراة - وهم السومريون والأكديون والكنعانيون (الفينيقيون) والحيثيون والبابليون والآشوريون والمصريون - عن كثير من الأمور الغامضة، وتمتاز هذه الكتابات في كونها عاصرت الأزمنة التي تعود إليها، بخلاف التوراة التي تنقل أحداثًا ترجع إلى عهود بعيدة وأزمنة سبقتها بعشرات القرون، ويعد العلماء هذه الكتابات، التي عثر على جزء قليل منها، أعظم إنجازات الإنسان في هذا العصر، وهذه المراجع تزودنا بالبراهين والبيّنات التي كانت تعوز من سبقنا من الباحثين لتقرير بعض الحقائق عن العصور التاريخية القديمة والخروج بها من دائرة الحدس والظن إلى استنتاجات معقولة ومقبولة من العقل السليم.

ومن أهم ما أوضحت لنا هذه الاكتشافات، المكاسب التاريخية العلمية الآتية:

١ - تشخيص أكثر مواقع المدن والأماكن التي ورد ذكرها في هذه المدونات القديمة وفي كتابات التوراة مع تحديد أزمانها.

٢ - تعيين تواريخ الحوادث بصورة مضبوطة بحسب تسلسلها الزمني، وتوضيح علاقة الأقوام بعضها ببعض، وتعيين أدوارها وخاصة هجرة الأقوام بوجه عام وتطور ثقافتها ولغاتها.

٣ - تتبع أزمان الهجرات السامية من جزيرة العرب إلى فلسطين وإلى بلاد الهلال الخصيب قبل ظهور النبي موسى.

٤ - تعيين زمن الحوادث التاريخية الوارد ذكرها في التوراة بالقياس إلى الوقائع الحربية والسلالات الحاكمة في كل عصر من العصور بحسب تسلسلها الزمني.

٥ - توصل الخبراء إلى أن الكثير مما ورد في التوراة من قصص وأساطير وشرائع يرجع إلى أصل قديم، وجد مثيله أو ما يشابهه في المدونات السومرية والأكدية والكنعانية والبابلية والآشورية والمصرية مما يدل على أنه ليس لليهود أدب مبتكر أو ثقافة خاصة بهم، " وإنما اقتبس كهنتهم من هذه المدونات كل ما ارتأوه جديرًا بأن يحتويه تاريخ مؤسسي الجنس اليهودي، وحذفوا بلا هوادة كل ما لم يلق

استحسانهم " [١].

٦ - توصل الخبراء إلى أن مواد عديدة في التوراة مأخوذة من شريعة حمورابي والشرائع القديمة الأخرى، وأن أكثر التراتيل والتسابيح الدينية التي وردت في التوراة مقتبسة من الكنعانيين وقد عثر عليها في " فينيقيا "، ثم ترجمت في وقت لاحق من اللغة الكنعانية الفينيقية إلى العبرية وأدخلت في التوراة.

٧ - توصل الخبراء إلى أن شرائع التوراة هي نفسها الشرائع التي كان يمارسها الكنعانيون والبابليون والمصريون من قبل وقد اقتبسها اليهود منهم ومارسوها ثم أدخلوها في كتبهم المقدسة.

٨ - ثبوت كون اليهود غرباء دخلاء على فلسطين وأن كل ما يملكون من المقومات الثقافية، ومن ضمنها لغتهم وكتابهم المقدس، مقتبس من الحضارتين الكنعانية والأرامية وهما من أصل عربي، وأن الأسماء الواردة في التوراة، سواء كانت أسماء أشخاص أو أسماء أماكن قديمة في فلسطين، هي من أصل كنعاني أي سامي - عربي ترجع إلى ما قبل ظهور اللغة العبرية بزمن بعيد.

٩ - ثبوت كون اليهود عاشوا في فلسطين وهم أقلية بين السكان الأصليين طيلة مدة مكوثهم فيها.

١٠ - ثبوت عجز اليهود في أي دور من أدوار التاريخ عن إنشاء دولة مدنية زمنية تضم كل فلسطين.

ويسود الشعور الآن بين الكتّاب المحدثين أن الوقت قد حان للكشف عن صلة الثقافة اليهودية، ومن ضمنها الديانة اليهودية، بالثقافات السامية القديمة، فيقول الأستاذ " هوك " في مقدمة كتابه " أصول الديانات السامية القديمة ": " إننا الآن في وضع أكثر ملاءمة من أي وقت مضى لتوضيح علاقة العناصر الأساسية للديانة اليهودية، بشبكة الشعائر الدينية التي كانت سائدة في البيئة السامية القديمة من وجهة نظر تاريخية جديدة ".

ونحن نقول: لقد آن الأوان للباحثين أن يتحرروا من التقيد بمدونات التوراة في بحث التاريخ اليهودي، وأن عليهم أن يتوغلوا في أحدث الاكتشافات للنصوص القديمة التي سبقت عصر التوراة بعشرات القرون، فمهدت السبيل للتمييز بين الغث والسمين واقتفاء التواريخ بحسب تسلسلها الزمني، كما آن الأوان لكتابة

(١) انظر: أدوار كبيرا، " كتبوا على الطين "، الترجمة العربية، ص ١٥٤.

تاريخ الأمة العربية من جديد في ضوء الاكتشافات الآثارية والتطور الفكري في العالم، فقد أصبحنا الآن بحكم الواجب القومي، مسؤولين أكثر من أي وقت مضى عن دعم الحركة الثورية العربية بدراسة علمية مجردة من الميول والعواطف نحو المسألة اليهودية تساعد على فهم طبيعة العدو بشكل يجعل الأمة العربية أكثر تيقظًا واستعدادًا لمجابهة الادعاءات الصهيونية الوهمية بالسلاح العلمي المبني على أسس رصينة موضوعية، ونرجو أن يكون هذا البحث محفزًا لبحوث أخرى تظهر تباعًا في العالم العربي لتنوير الرأي العام والجيل الجديد الذي ما يزال يتخبط في خضم مختلف الكتابات المشبعة بروح التعصب بدلاً من الحقائق التاريخية المجردة، إذ علينا أن نبرهن للعالم بالطريقة العلمية أن اليهود ليسوا أصحاب حضارة وأن الحضارة الفلسطينية التي ينسبونها لأنفسهم، بما فيها عقيدة التوحيد، هي حضارة سامية عربية كنعانية اقتبسوا منها لغتهم وديانتهم في وقت لاحق وأن كل ما ورد في توراتهم من وعود بمنحهم فلسطين باعتبارهم الشعب المختار وما شابه هذه الأساطير إن هي إلا من نسج الخيال ومن ترتيب كتبة التوراة بعد عصر النبي موسى بعدة قرون، وأن كل ما ورد في التوراة من الأسماء التي بنوا عليها أساطيرهم هي من أصل كنعاني وحتى إلههم (يهوه) لم يكن سوى كبير آلهة القينيين (والقينيون من القبائل العربية التي سكنت أرض مديان) وكل الوثائق والمكتشفات الآثارية التي بين أيدينا تدعم ذلك.

ويؤكد الدكتور أحمد شلبي الانحراف الذي غمر كتابات اليهود عن الأديان والحاجة إلى تصحيحها وتحقيقها فيقول: " إن أكثر الذين كتبوا عن الأديان هم من اليهود أو من تلاميذهم، فالمدرسة اليهودية عن الأديان سبقت كل المدارس تقريبًا وأثرت فيها، وقد أدى ذلك إلى كثير من الاضطراب العلمي، فاليهود استخدموا كل وسائلهم وكل مواهبهم لا ليخدموا الحق وإنما ليخدموا أهدافهم في فلسطين، فتركوا للناس تراثا حافلاً بالانحراف يحتاج تصحيحه إلى جهد كبير "، ومضى يقول: " وليس الغربيون وحدهم هم الذين خدعهم ما كتبه اليهود، بل إن كثيرين من العرب والمسلمين خدعوا أيضًا " [(١)].

وقبل الدخول في هذا البحث لا بدَّ من توضيح نقطة مهمة تتعلق بأربع تسميات سوف تعترضنا في مجرى الحديث وقد جرت العادة على اعتبارها أربع تسميات لمسمّى واحد ذات مدلول واحد يمثل جميع الأدوار دون تمييز، في حين

(١) الدكتور أحمد شلبي، " مقارنة الأديان اليهودية "..

أن كلا منهما تمَّ تداوله في عصر خاص به وله مدلوله الخاص أيضًا، ويختلف عما هو مقصود به في التسميات الأخرى، ونعني بها: العبرانيين أو العبريين، ثم الإسرائيليين، فالموسويين (قوم موسى)، فاليهود.

١ - أما مصطلح " العبري " أو " العبراني " فكان يطلق في نحو الألف الثانية قبل الميلاد وفيما قبل ذلك على طائفة من القبائل العربية في شمال جزيرة العرب في بادية الشام وعلى غيرهم من الأقوام العربية في المنطقة حتى صارت كلمة عبري مرادفة لابن الصحراء أو ابن البادية بوجه عام، وبهذا المعنى وردت كلمة " الابري " و " الهبيري " و " الخبيرو " و " العبيرو " في المصار المسمارية والفرعونية، ولم يكن للإسرائيليين والموسويين واليهود أي وجود بعد، لذلك فإن نعت إبراهيم الخليل بـ " العبراني " كما ورد في التوراة إنما أريد به معنى العبريين " الغبيرو " وهم القبائل البدوية العربية، ومنها القبائل الأرامية العربية التي ينتمي إليها إبراهيم الخليل نفسه، وبهذا المعنى وردت كلمة " عبري " و " عبيرو " و " خبيرو " في الكتابات القديمة التي اكتشفت مؤخرًا، وهي تعود إلى ما قبل وجود الإسرائيليين والموسويين واليهود بعدة قرون، لذلك يجب التمييز بين العبري من جهة وبين الإسرائيلي أو الموسوي أو اليهودي من جهة أخرى في بحث تاريخ فلسطين القديم، ودليلنا على ذلك أن مصطلح " عبري " أو " عبراني " لم يرد في القرآن الكريم مطلقا وإنما ورد فيه ذكر " الإسرائيليين " و " قوم موسى " و " يهود " (الذين هادوا)، ويتضح من ذلك أن عصر إبراهيم الخليل هذا هو عصر عربي قائم بذاته ليست له أية صلة بعنصر اليهود، وقد نبه القرآن الكريم إلى هذه الناحية بقوله:{ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾} [آل عمران: ٦٥ - ٦٧]، أمّا كلمة عبري للدلالة على اليهود فقد استعملها الحاخامون بهذا المعنى في وقت متأخر في فلسطين [(١)].

٢ - أما مصطلح " إسرائيل " فالمقصود به يعقوب حفيد إبراهيم الخليل وأبناؤه هم بنو إسرائيل الذين ورد ذكرهم في الأسفار ودورهم محصور في منطقة " حاران " (حرّان حاليًا) حيث وطنهم الأصلي الذي ولدوا ونشأوا فيه، أما

(١) دائرة المعارف البريطانية، طبعة ١٩٦٥، ج١١، ص ٣٧٩.

فلسطين فهي أرض غربتهم وقد وجدوا في القرن السابع عشر قبل الميلاد، وهو نفس عهد إبراهيم الخليل، وكانت اللغة في هذه المنطقة في ذلك الزمن لغة واحدة (اللغة الأم) التي كان يتكلم بها أهل الجزيرة العربية قبل هجرتهم إلى الهلال الخصيب، أي قبل أن تتفرق هذه اللغة إلى اللهجات المختلفة كالكنعانية والآرامية والعمورية وغيرها، وهكذا كانت لغة العشائر الآرامية التي كان ينتمي إليها إبراهيم الخليل هي نفس اللغة التي كان يتكلم بها الكنعانيون والعموريون في فلسطين وهي قريبة جدًا من اللغة الأم، وأما حفيده يعقوب (إسرائيل) فالأرجح أنه كان يتكلم نفس اللغة وهو أرامي مثل إبراهيم بحكم النسب، كما أنه من الأرجح أن أبناء يعقوب (بني إسرائيل) في زمن يعقوب كانوا يتكلمون نفس اللغة، وهذا ما يمكن تسميته بالدور الأول الذي عاش فيه إبراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب وأبناؤه، وهؤلاء كلهم كانوا يدينون بدين إبراهيم الخليل وحفيده يعقوب، وقد أظهرت الاكتشافات الأخيرة أن كلمة (إسرائيل) كانت اسمًا لموضع في فلسطين وهي تسمية كنعانية، وبهذا المعنى وردت في الكتابات المصرية التي ترجع إلى ما قبل عصر موسى، كما أن أسماء أبرام (إبراهيم) ويعقوب ويوسف وردت في الكتابات المصرية وهي تعود إلى ما قبل عصر موسى مما يدل على أنها كنعانية أيضًا.

ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن فلسطين كانت أرض غربة بالنسبة إلى إبراهيم وولده إسحاق وحفيده يعقوب (إسرائيل)، وذلك بتأكيد التوراة ذاتها، لأنهم كانوا مغتربين بين الكنعانيين سكان فلسطين الأصليين وبخاصة بني إسرائيل الذين ولدوا جميعهم في " حاران " ونشأوا فيها كما تقدم.

وقد انتهى هذا الدور الذي ظهرت فيه تسمية " إسرائيل " بعد أن هاجرت أسرة يعقوب إلى مصر وانضمت إلى يوسف على قول التوراة، فاندمجت وذابت في البيئة المصرية كليًا.

٣ - ثم جاء الدور الذي يبدأ بتداول تسمية موسوي أو " قوم موسى "، والقوم مصطلح عام للدلالة على جماعة من الناس، ويبدأ هذا الدور بعد الدور الذي تداولت فيه تسمية إسرائيل بزهاء ستمائة عامة.

٤ - أما تسمية " يهود " فهي التسمية التي أطلقت على بقايا جماعة يهوذا الذين سباهم نبوخذلصر إلى بابل في القرن السادس قبل الميلاد، وقد سموا كذلك نسبة إلى مملكة يهوذا المنقرضة، وقد اقتبس هؤلاء قبيل السبي لهجتهم العبرية

المقتبسة من الآرامية وبها دونوا التوراة التي بين أيدينا في الأسر في بابل، أي بعد زمن موسى بثمانمائة عام، لذلك صارت تعرف هذه اللهجة " بآرامية التوراة "، وقد استعملوا الحرف المسمى بالربع وهو مقتبس من الخط الآرامي القديم، وهذه بلا شك غير الشريعة التي أنزلت على موسى، ويمكن أن نطلق عليها اسم " توراة اليهود " لتمييزها عن " توراة موسى ". وكان هؤلاء اليهود، عندما دوّنوا التوراة، قد استهدفوا تحقيق غرضين رئيسيين، أولهما تمجيد تاريخهم وجعل أنفسهم صفوة الأقوام البشرية والشعب المختار الذي اصطفاه الرب من دون بقية الشعوب، ولتحقيق ذلك كان لابد من إرجاع أصلهم إلى أقدس شخصية قديمة، أي شخصية إبراهيم الخليل الذي كان صيته قد عّم جميع أرجاء عالمهم في تلك الأزمان، وقد حالفهم النجاح في سرد تاريخهم حسب أهوائهم بلباقة ومهارة لم يسبق لهما نظير في الأدب القديم، وأضفوا عليه صبغة دينية ليضمنوا تقبله من أتباعهم، وهكذا فقد أرجعوا تاريخهم إلى إبراهيم الخليل وإلى حفيده يعقوب (إسرائيل)، فسموا جماعة موسى ببني إسرائيل على الرغم من كونهم ظهروا بعد إسرائيل بزهاء ستمائة عام، وذلك بغية ربط أصلهم بإبراهيم الخليل، وابتدعوا فكرة الشعب المختار التي كان إبراهيم الخليل ويعقوب وموسى بريئين منها، ثم جعلوا بني إسرائيل الموضوع الرئيسي الذي تدور حوله جميع الحوادث الواردة في التوراة، فعدتهم التوراة موجودين في كل زمان وفي كل مكان حتى في الأدوار التي سبقت ظهور يعقوب إلى عالم الوجود، فقد اعتبرت وجود بني إسرائيل في عصر إبراهيم الخليل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد قبل أن يخلق يعقوب (إسرائيل)!! كما أنها عدت وجودهم بعد عهد أبيهم يعقوب بحوالي ستمائة عام، أي في عهد موسى عندنا دخلت جماعته أرض كنعان (فلسطين) خارجة من مصر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ثم اعتبرت وجودهم في جميع الدوار والأحداث التالية ومن ضمنها عهد الملوك وعهد الانقسام وما تلا ذلك، وحتى يهود الخزر الذين اعتنقوا اليهودية في وقت لاحق وهم من أصل تركي وكذلك يهود أوروبا وأمريكا ويهود العالم جميعًا هم على رأي التوراة نفس أبناء يعقوب الذي عاش قبل ٣٧٠٠ سنة، فما أغرب هذا المنطق!! والأغرب من هذا كله هو أننا نجد الكثير من العلماء والباحثين ممن يتقبل مثل هذا الخلط.

أما الهدف الثاني فهو جعل فلسطين وطنهم الأصلي على الرغم من تأكيد التوراة ذاتها أن فلسطين هي أرض غربة بالنسبة لإبراهيم وإسحاق ويعقوب وبخاصة أبناء يعقوب (إسرائيل) الذين ولدوا في حران ونشأوا فيها، هذا إذا

فرضنا أن قوم موسى هم بنو إسرائيل حقًا كما سمتهم التوراة، وهكذا فقد ابتدع مدونو التوراة فكرة منح الرب أرض كنعان إلى إبراهيم وذريته وأن الرب (إلههم يهوه الخاص بهم) قد أمرهم بإبادة الكنعانيين هم وأطفالهم وشيوخهم ونساؤهم ليحلو محلهم، هذا هو الدين الذي جاء به كتبة التوراة ونسبوه إلى إبراهيم وإلى يعقوب وإلى موسى زورًا، وهؤلاء هم اليهود الذين سمّاهم القرآن الكريم كفارًا لكذبهم على موسى وتحريفهم لتوراته فيقول فيهم:{ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿١١٢﴾} [آل عمران: ١١٢]، وهكذا فقد فرق القرآن الكريم بين بني إسرائيل وذرية إبراهيم الخليل من جهة وبين اليهود المتأخرين من جهة أخرى، وذلك باستعمال اسمين لهما، فأطلق اسم " بني إسرائيل " في مواضع الرضا وسمّوا " باليهود "، في حالات السخط عليهم.

يتناول هذا الكتاب بوجه خاص بحث تاريخ الفترة التي عاشتها فلسطين العربية قبل عهد النبي موسى - وهي الفترة التي ظهر فيها إبراهيم الخليل عليه السلام وعمّتها الحضارة الكنعانية أكثر من ألفي سنة، هذا مع توضيح حقيقة علاقة اليهود بفلسطين وحضارتها بعد ظهورهم على مسرح الأحداث في زمن النبي موسى وما بعده.

ويقوم هذا البحث على أساس تقسيم الأحداث التاريخية إلى ثلاثة أدوار منفصلة، الواحد عن الآخر بالقياس إلى علم المقارنة بين اللغات، وهو المعيار الذي يعتمد عليه العلماء في هذا العصر في تعيين أصول الأقوام وصلاتها بعضها ببعض، وهذه الأدوار هي:

أولاً: عصر إبراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب ويرجع تاريخه إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وهو عصر عربي بحت قائم بذاته بلغته وقوميته وديانته، وهو مرتبط بالجزيرة العربية وبلغتها الأم وبقبائلها التي سميت فيما بعد بالعرب البائدة لانقراضها، ولا صلة له بعصر موسى الذي يأتي في وقت لاحق بعد عصر إبراهيم الخليل بسبعمائة عام، كما أنه لا صلة له بعصر اليهود الذي يأتي بعد عصر إبراهيم الخليل بحوالي ألف وخمسمائة عام، وقد كانت القبائل العربية المعروفة بالقبائل البائدة آنئذ في قيد الحياة في جزيرتهم في هذا العهد وقد لعبت دورًا مهمًا في تنمية الحضارة العربية السامية، ومن أهم هذه القبائل المعنية

في جنوب الجزيرة التي توسعت في مستعمراتها التجارية بعيدًا نحو الشمال، ويذهب مؤرخو العرب إلى أن القبائل البائدة أو العرب العاربة، والقبائل الآرامية التي كان ينتمي إليها إبراهيم الخليل تعود إلى أصل واحد، فكانوا ينسبون شعوب العرب البائدة جميعًا إلى إرم ويسمونهم بالآرمان كما جاء في " تاريخ سني الملوك " لحمزة الأصفهاني، وقد نبّه القرآن الكريم على ذلك بربط صلة إبراهيم الخليل بالجزيرة العربية وبيت الله العتيق، وليس بفلسطين التي كان مغتربًا فيها بتأكيد التوراة ذاتها، لذلك فلا صلة لعصر إبراهيم الخليل ويعقوب (إسرائيل) بعهد موسى الذي يرجع إلى زمن لاحق يفصل بينهما فاصل يمتد عبر الزمن حوالي سبعمائة عام، والدليل على أن عهد إبراهيم الخليل ويعقوب عهد مستقل لا صلة له بعهد موسى، أن الآثاريين ميزوه عن الأدوار التالية وأطلقوا عليه تسمية " عصر الآباء الجوالين " - (Patriarchs of nderingse waTh) ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن القرآن الكريم كان أول من كشف لنا عن هذه الحقيقة، وقد جاءت المكتشفات الآثارية حول الهجرات السامية ودراسة علم المقارنة بين اللغات مؤيدة لهذه الحقيقة نفسها التي تربط صلة إبراهيم الخليل بجزيرة العرب وبالحجاز.

إن أرض كنعان (فلسطين) باعتراف التوراة ذاتها كانت أرض غربة بالنسبة إلى آل إبراهيم وآل يعقوب، إذ كانوا مغتربين في أرض فلسطين بين الكنعانيين سكانها الأصليين، والتوراة تتحدث عنهم بصفتهم غرباء وافدين طارئين على فلسطين، أما وطنهم الأصلي فهو " أرام النهرين "، أي منطقة حاران (حرّان الحالية)، حيث كانت العشائر الآرامية التي ينتمون إليها قد استقرت في منابع نهر البليخ بعد هجرتها من الجزيرة العربية، ثم نزحت فروع من هذه القبائل إلى جنوبي العراق (منطقة بابل) فكان إبراهيم الخليل من ذريتها.

وبعد أن انحرف اليهود عن ديانة موسى بعد عهد موسى عبدوا الأوثان، ثم ابتدعوا الإله " يهوه "، عندما دوّن الكتبة التوراة، إلهًا خاصًا بهم، إلهًا لا يهمّه من العالم والخلق غير اليهود (شعبه المختار)، على غرار مبدأ التفريد (Henotheism) الذي اعتنقته الأقوام القديمة حين كانت القبيلة أو المدينة تعبد إلهًا واحدًا من بين مجموعة الآلهة من غير أن تنبذ عبادة الآلهة الأخرى، والأرجح أن اليهود أخذوا بهذا المبدأ من البابليين عندما دونوا توراتهم في الأسر في بابل، إذ كانت كل مدينة من المدائن البابلية تختص بإله واحد من بين مجموعة الآلهة.

ويذكر اليهود في كتبهم التي يعلمونها للنشئ الجديد أو التي ينشرونها بين الناس عن تاريخهم " أن الشعب اليهودي نزح إلى فلسطين من بلاد الرافدين في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد بقيادة إبراهيم الخليل ولم يكن عددهم آنذاك يتجاوز أربعة آلاف شخص " [١]، وهذه المفاهيم نفسها تدرس اليوم في الجامعات والكليات الأوروبية والأمريكية لأن الأساتذة الذين يضعون كتب التاريخ القديم هم من اليهود أو من المسيحيين المتعصبين للتوراة، وقد قبل العرب هذا الهراء على علاته وصاروا يرددون ذلك دون تمحيص أو دون أن يقفوا لحظة واحدة ليفكروا ويسألوا أنفسهم: أين كان اليهود في عصر إبراهيم الخليل؟، وكيف تمَّ التوصل إلى إحصاء عددهم الذي هو أربعة آلاف شخص في حين أن اليهود لم يظهروا إلى عالم الوجود إلا بعد الألف الرابعة قبل الميلاد بـ ٢٧٠٠ سنة.

ويدعى اليهود أن تاريخهم في فلسطين يرجع إلى خمسة آلاف عام وأن العرب لم يدخلوا إلا بعد الفتح الإسلامي وهذا يشكل أكبر تزييف للواقع التاريخي، وفي هذا الموضوع يقول العقاد: " ومن أقوال اليهود أن العرب فتحوا فلسطين بعد قيام الدعوة الإسلامية وأنه لم يكن لهم وجود فيها قبل النبي محمد (عليه الصلاة والسلام)، وقد نجح دعاة الصهيونية في الترويج لهذه الخرافة حتى صدقها الكثيرون من الأوروبيين والأمريكان، بل ونجحوا فيها حتى صدقها أناس من العرب أيضًا، فسمعنا من يقول منهم في أمريكا أن شأن اليهود في فلسطين كشأن الهنود الحمر في القارة الأمريكية " [٢]. لذلك فإنه يتوجب على المسؤولين في البلاد العربية أن يعملوا على حشد الجهود في سبيل تربية الجيل الجديد تربية قومية صحيحة عن طريق إعادة النظر في تاريخنا القومي الذي يظهر تاريخ فلسطين القديم على حقيقته وحقيقة علاقة اليهود به، وهذا لن يتم إلا بإدخال هذا الموضوع في جملة المواد الواجب تدريسها ضمن مناهج التعليم في جميع البلاد العربية وإعداد كتب خاصة لتدريس هذه المادة في المدارس بحيث تظهر تاريخ فلسطين القديم على حقيقته وإصدارها بمختلف اللغات كرد على هذه الادعاءات الزائفة.

(١) راجع سولوف، " كيف نما الشعب اليهودي؟ ".
Mordecai I.Soloff, “How the Jewish people grew up?”.
(٢) العقاد، " الصهيونية وقضية فلسطين "، ص ١٢٣.

ثانيًا: عصر موسى ويبدأ في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وهو عصر متصل بمصر، قائم بذاته أيضًا بلغته وثقافته وديانته، ويشتمل على الفترة التي عاشها النبي موسى على أرض كنعان مع أتباعه، ثم الفترة التي استغرقتها عملية تحول الموسويين من المصرية إلى الكنعانية بعد زمن موسى وانحرافهم عن دين موسى، وهي الفترة التي يمكن أن نطلق عليها تسمية الفترة المصرية الكنعانية، وقد دامت هذه الفترة حوالي ثمانمائة عام بدأت في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وانتهت بالسبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد، وهنا لابد من التوضيح أن عصري الملوك والانقسام كانا خاضعين لسيادة الثقافة الكنعانية بدليل أن الديانة الوثنية الكنعانية، بقيت هي السائدة في البلاد، وليس لدينا أي دليل على أنه كانت في البلاد في هذين العصرين غير ثقافة الكنعانيين القديمة في فلسطين، لأن العبرية تكونت في وقت لاحق عندما بدأ الكهنة يدونون التوراة باللهجة المعروفة بآرامية التوراة وهي مقتبسة من الآرامية، وذلك بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد، علمًا بأن الموسويين صاروا يتكلمون بالكنعانية التي اقتبسوها من الكنعانيين بعد نزوحهم إلى كنعان، ثم أخذوا يتكلمون بالآرامية أسوة ببقية الأقوام في فلسطين بعد انتشار اللغة الآرامية في جميع الشرق الأدنى، ومعنى ذلك أنه لا توجد أية لغة خاصة باليهود وإن ما يسمى بالعبرية بمعنى اليهودية هو لهجة متأخرة مقتبسة من الآرامية (العربية الأصل) شأنها في ذلك شأن جميع اللهجات الأخرى التي تكونت في وقت لاحق من اللغة الأم الأصلية.

ثالثًا: عصر اليهود ويبدأ في القرن السادس قبل الميلاد في أعقاب السبي البابلي، وهو عصر يهودي بحت قائم بذاته أيضًا بلغته وثقافته وديانته ويمثل بداية اليهودية، إذ تبدأ الديانة اليهودية الحالية بكتابة التوراة على يد الكهنة في الأسر في بابل وما بعد الأسر في اللغة التي صارت تعرف بالعبرية (آرامية التوراة)، وهذه هي التوراة التي بين أيدينا اليوم وهي غير التوراة التي أنزلت على موسى باللغة المصرية قبل ثمانمائة عام من عصر اليهود هذا.

ويحسن بالقارئ أن يلاحظ هذه الأدوار الثلاثة بالقياس إلى اللغة والثقافة حسب أزمانها عند متابعة هذا البحث ليكون على بيّنة من الزمن الذي ينتمي إليه كل حادث من الأحداث التاريخية لأن كتبة التوراة تعمدوا الخلط بين الأدوار التاريخية وإهمال التسلسل الزمني فربطوا العصور بعضها ببعض وذلك لكي يرجعوا تاريخهم إلى عصور لم يكن لهم أي وجود فيها فيلتبس الأمر على القارئ، وهذه الأدوار هي كما تقدم:

أولاً: عصر إبراهيم الخليل ويرجع تاريخه إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، ولغة هذا العصر اللغة السامية العربية الأم والديانة وحدانية إبراهيم الخالصة.

ثانيًا: عصر موسى ويرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ولغة هذا العصر اللغة المصرية في بداية الأمر ثم الكنعانية.

ثالثًا: عصر اليهود ويرجع تاريخه إلى القرن السادس قبل الميلاد، ولغة هذا العصر الآرامية والعبرية (آرامية التوراة) التي كتبت بها التوراة، أما الديانة فوحدانية (يهوه) الخاصة باليهود فقط، وتبدأ اليهودية المتمثلة بالتوراة ببداية هذا العصر.

* * *

يقع هذا الكتاب في ثمانية فصول، شرحنا في الفصلين الأول والثاني، الدور الرئيسي الذي لعبته شبه جزيرة العرب في تأسيس الحضارة السامية العربية في الشرق الأدنى القديم ومن ضمنه فلسطين، وذلك قبل ظهور اليهود إلى عالم الوجود بأكثر من ألفي سنة، نتيجة لهجرات جماعات من سكان جزيرة العرب إلى الهلال الخصيب على هيئة موجات متتالية تبدأ حسب تقدير العلماء في حوالي الألف الثالثة قبل الميلاد، مع أن بعض الباحثين يحدد بداية هذه الهجرات بالألف الرابعة قبل الميلاد، وربما قبل ذلك. ويرى الباحثون في أصول أقوام الشرق الأدنى أن أسلاف هذه الجماعات كانوا يتمتعون بحضارة قديمة في الطرف الجنوبي من شبه جزيرة العرب، وقد كانت بلادهم في تلك الأزمان عامرة بأنهارها الدائمة الجري وبأمطارها الغزيرة الدائمة، إلا أنها تعرضت إلى تغيرات مناخية في نهاية العصر الجليدي الأخير في حدود سنة ٢٠.٠٠٠ قبل الميلاد، الأمر الذي أدى إلى انحباس الأمطار واندثار الأنهار، فأخذ الجفاف ينتشر منذ ذلك الحين في النطاق الصحراوي الحالي مما اضطر الإنسان والحيوان إلى الهجرة إلى أماكن ذات موارد مائية دائمة، فكان أن توجه سكان الجزيرة إلى الشمال، ثم أخذوا يتوزعون على أطراف الجزيرة داخل الهلال الخصيب في موجات متعاقبة، فمنهم من توجه غربًا نحو طور سيناء وأطراف وادي النيل (الشرقي الأسفل)، ومنهم من استقر في فلسطين وفي سورية وفي لبنان وصاروا يعرفون بالكنعانيين - الفينيقيين والعموريين - العمالقة.

وهكذا فقد كانت هذه الهجرات المتتالية من أهم العوامل لتنمية الكيان

الحضاري السامي العربي في الشرق الأدنى والسير به نحو التقدم والتطور في مختلف الميادين، هذا الكيان الذي انبثقت منه أقدم وأعظم الإمبراطوريات التي عرفها العالم في تاريخ البشرية، أي الإمبراطوريات الساميات الأربع: الأكدية، والبابلية، والآشورية، والكلدانية، ثم تلتها الممالك العربية التي أسسها الأنباط فالتدمريون ومن بعدهم الغساسنة والمناذرة على أطراف الصحراء العربية وأخيرًا الإمبراطورية العربية الإسلامية التي عمت الأشراق الثلاثة: الأدنى والأوسط والأقصى.

وفي الفصلين الثالث والرابع عرض لتاريخ الديانة اليهودية، ثم شرح لنص التوراة في ضوء المكتشفات الآثارية التي تبرهن على أن التوراة التي بين أيدينا كتبت في عهد متأخر بعد عصر النبي موسى عليه السلام بعدة قرون وأنها مقتبسة من الديانات الكنعانية والبابلية والمصرية، فهي لذلك غير التوراة التي أنزلت على النبي موسى، أما الفصل الخامس فيبحث في عصر إبراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب عليه السلام، والذي يعتبر عصرًا عربيًا يرتبط بالجزيرة العربية ولا صلة له بعصر موسى واليهود، وفي الفصل السادس بحث عن ظهور النبي موسى وصلته بمصر ونزول شريعته ثم الأحداث التي تلت عصره والتي تبرهن على أن ظهوره وظهور اليهود بعده لم يكونا إلا حدثًا متأخرًا بالنسبة إلى تاريخ الأقوام السامية العربية التي سبقتهم في استيطان فلسطين، والفصلان الأخيران، السابع والثامن، يبحثان في يهود العالم وصلتهم بفلسطين ثم دور الصهيونية والاستعمار في " خلق إسرائيل "، وقد أضيفت إلى الكتابة سبعة ملاحق، يتناول الملحق الأول " تاريخ أورشليم في أقدم عصورها، والثاني يشتمل على مسلسل عام بالحوادث التاريخية الهامة منذ أقدم العصور وحتى الفتح الإسلامي، أما الثالث فيشتمل على المراجع العامة والرابع على معجم الأعلام والأقوام والبلدان وبعض المصطلحات الغربية التي ارتأينا ضرورة شرحها في هذا المقام، والخامس يشتمل على الفهرس العام والسادس على باب سؤال وجواب يتضمن ردودًا على أسئلة القراء في موضوع الكتاب، وأما السابع فإنه يتضمن قائمة كتب المؤلف.

أحمد سوسة

١- تمهيد:

ينحصر تاريخ فلسطين القديم في أقدم فترة عاشتها أرض فلسطين في مسيرتها الحضارية، وهذه الفترة تتميز بأهم ظاهرة في تاريخ الشرق الأدنى القديم، هى هجرة جماعات من سكان جزيرة العرب إلى الهلال الخصيب [١] على هيأة موجات متتالية، وقد لعبت هذه الهجرات دورا رئيسيا في تغيير مجرى الكيان الحضارى وتطوره في العالم القديم.

تبدأ هذه الفترة حسب تقدير العلماء، في حوالى الألف الثالثة قبل الميلاد، أى قبل حوالى خمسة آلاف عام، وتنتهى بظهور موسى وقومه على مسرح الأحداث بعد خروجهم من مصر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وبذلك يكون هذا الدور من تاريخ فلسطين القديم قد استغرق ما يقارب ألفى عام.

ويرى الباحثون في أصول أقوام الشرق الأدنى أن أسلاف هذه الجماعات كانوا يتمتعون في الأصل بحضارة قديمة في الطرف الجنوبى من شبه جزيرة العرب، وقد كانت بلادهم في تلك الأزمان عامرة بأنهارها الدائمة الجرى وبأمطارها الغزيرة الدائمة الهطلان، إلا أنها تعرضت إلى تغيرات مناخية في نهاية العصر الجليدى الأخير في حدود سنة ٢٠.٠٠٠ قبل الميلاد [٢]، الأمر الذي أدى إلى انحباس الأمطار واندثار الأنهار، فأخذ الجفاف ينتشر منذ ذلك الحين في النطاق الصحراوى الحالى، مما اضطر الإنسان والحيوان إلى الهجرة إلى أماكن ذات موارد مائية دائمة، فكان أن توجه هؤلاء السكان إلى شمال الجزيرة ومنها أخذوا يتوزعون على أطراف الهلال الخصيب المجاورة للجزيرة في موجات متعاقبة، فمنهم من توجه شرقا نحو بلاد الرافدين، وبصورة خاصة نحو نهر الفرات، ومنهم من استقر في فلسطين وفى سورية وفى لبنان، وهناك من توجه

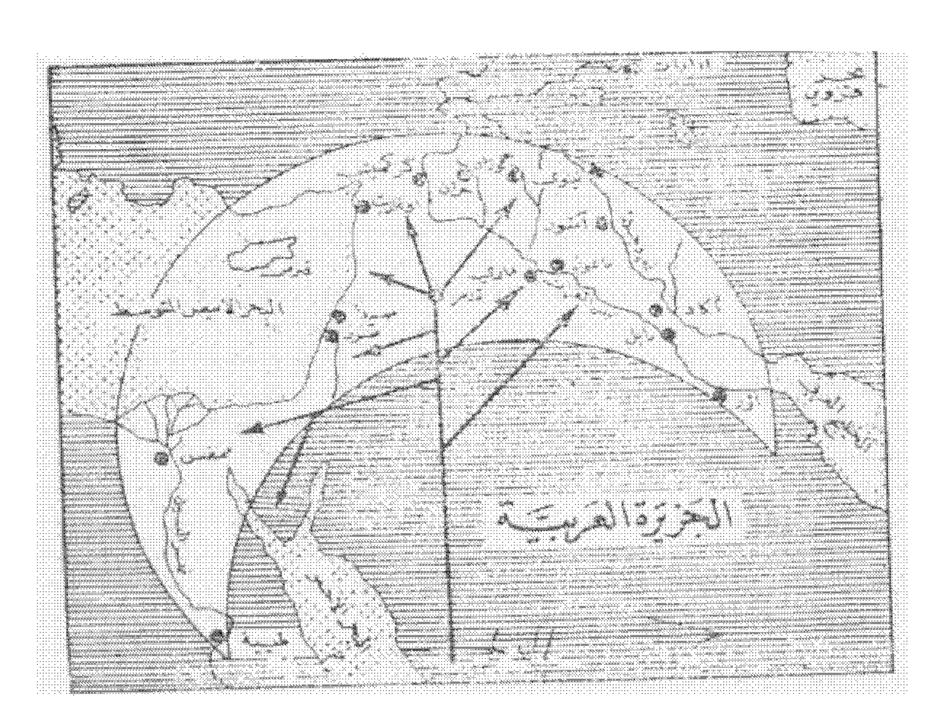
(١) يطلق عادة مصطلح " الهلال الخصيب " على القسم الخصب الهلالى الشكل من جزيرة العرب الذي يقع على أطرافها الشرقية والشمالية والغربية، ويشمل سورية ولبنان وفلسطين وشرقى الأردن والعراق، وبعضهم يدخل الجزء الشمالى من وادى النيل ضمن الهلال، وأول من قال بهذا المصطلح هو الأستاذ بريستد وسماه بالإنكليزية (The Fertile Crescent).

(٢) يعتقد العلماء أن الشرق الأوسط يجتاز اليوم فترة جفاف وحرارة عالية ويذهبون إلى أنها بدأت منذ أكثر من ستة آلاف عام ومازال الجفاف فيها بازدياد مطرد (راجع الدكتور أحمد سوسة)، " الرى والحضارة في وادى الرافدين "، ج١، ص ١٨١ - ١٨٣.

غربا نحو طور سيناء وأطراف وادى النيل الأسفل الشرقى.

ومما ساعد على هذه الهجرات أن حدود العراق الغربية وحدود مصر الشمالية الشرقية وحدود الأردن، مفتوحة للصحراء، فكان في مقدور القبائل العربية المنتشرة في شبه جزيرة العرب أن تتوغل فيها دون أن يصادفها حاجز جغرافى يصدها. وكانت مثل هذه الهجرات تزداد بوجه خاص عندما تكون الحكومات المسيطرة على البلاد الواقعة على أطراف الصحراء ضعيفة بحيث تستطيع هذه القبائل أن تستفيد من هذه الظروف للتوغل إلى الداخل، وقد استغلت هذه القبائل نفوذها في الصحراء مما اضطر التجار وأصحاب القوافل أن يلجؤوا إلى استرضائها ودفع مبالغ كبيرة لها لقاء حمايتها لهم.

ويحدد بعض الباحثين بداية الهجرات السامية إلى الهلال الخصيب بالألف الرابعة قبل الميلاد وربما قبل ذلك، على رأى البعض الآخر، ولكن معلوماتنا المستقاة من التنقيبات الأثارية تحدد بداية تاريخ الهجرات المذكور بالألف الثالثة قبل الميلاد.



المرتسم رقم (١)
الهجرات السامية العربية من جزيرة العرب إلى الهلال الخصيب

وسنبحث فيما يلى في كل من هذه الهجرات الرئيسية وفيما تركته من تراث

حضارى عريق لما لها من صلة مباشرة بموضوع بحثنا وارتباطها به.

ومما يذكر أن هذه الجماعات لم تستقر في مستوطناتها الجديدة نتيجة حرب أو غزو، بل كانت قبل أن تحل فيها تتنقل بين أرجاء البادية الفسيحة في أرض مكشوفة مفتوحة للجميع (أرض الله الواسعة) فتقصد الماء أينما وجد، إذا كانت الأماكن الصالحة للسكنى في هذه البقاع متوفرة للجميع في البداية.

وكان كل المهاجرين من عنصر وأصل واحد وقومية واحدة (القومية السامية العربية) تربطهم وشائج اللغة والتراث الصحراوى الذي ينتمون إليه جميعا، فلا يزاحمهم أو يعترضهم عنصر غريب لأن العناصر غير السامية لم تكن قد هاجرت إلى هذه المنطقة بعد. وكانت مستوطناتهم خاضعة لحكم قبلى عشائرى يتولاه رؤساؤهم وشيوخهم، إذ كانت كدويلات المدن لها أحكامها الخاصة بها، وهذه مستمدة من الأعراف والتقاليد المتوارثة من المجتمع البدوى، فقد كان يقوم شيخ القبيلة ومجلس مشايخها في ممارسة السلطة. وكان اتصال المهاجرين مستمرا بينهم وبين أبناء عمومتهم في وطنهم الأصلى حيث كانت الجمال تطوى البوادى دون انقطاع مسيطرة على طرق المواصلات وهى آنئذ الواسطة الوحيدة التي كانت تربط المستوطنات الجديدة بالوطن الأم عبر البوادى والصحارى، ومن المعتقد أن الهجرة كانت تتم بصورة تدريجية على النحو الذي نشاهده اليوم في هجرة القبائل العربية من الجزيرة العربية إلى وادى الرافدين.

ومن أمثلة الهجرات الحديثة: هجرة قبائل شمر من ديارها في الجزيرة (أرض نجد منطقة حائل) فقد نزحت جماعات من هذه القبائل إلى العراق على موجتين متتاليتين، الأولى قبل خمسمائة سنة ومن بقاياها جماعة " الغرير " التي صارت تمارس الزراعة في منطقة المحمودية، وجماعة " زوبع " في الفلوجة وغيرها من العشائر المستقرة التي تسكن أرض السواد، وأما الموجة الثانية فهى أحدث وقد دخلت العراق قبل ثلاثمائة سنة تقريبا ومن بقاياها عشائر " شمر الجربا " التي استقرت في الأراضى الممتدة ما بين نهرى دجلة والفرات في شمالى الخط الواصل ما بين بغداد والفلوجة، وقد استمرت أفخاذ شمر في الهجرة حتى ما بعد الحرب العالمية الأولى. والمعلوم أن عشائرشمر منتشرة اليوم في المملكة العربية السعودية وفى العراق وسورية، وعلى الرغم من هجرة هذه القبائل لوطنها الأصلى في جزيرة العرب فقد بقيت مرتبطة بولائها لزعمائها في الوطن الأم.

ومن قبائل العرب الكبرى التي تصور لنا مثلا حيا للهجرات القبائلية من الجزيرة العربية وارتباطها بوادى الرافدين قبيلة " عنزة ". وأصل وطن هذه القبيلة الحجاز في أنحاء المدينة المنورة، ويرجع تاريخها إلى العهد الجاهلى حيث أورد ذكرها كل من ابن خلدون وابن سعيد. وبيت آل سعود ملوك نجد والحجاز اليوم منهاو كذلك آل صباح وآل خليفة في الكويت والبحرين، إن مجيء جماعات من هذه القبيلة إلى العراق يصادف زمن مجئ " شمر الجربا " وتقسم إلى فرعين رئيسيين الأول ومركزه الرطبة ويدعى بقبائل " العمارات " والفرع الثانى ويسمى " بالدهامشة " (الظفير) ومركزه نقرة السلمان [(١)].

وقد ذلك يقول المرحوم العقاد: " إن اتجاه الهجرة من ناحية البحرين وناحية الحجاز متواتر في الأزمنة التاريخية القريبة والبعيدة وأقربها ما حدث بعد الإسلام من زحف العرب على العراق وزحفهم على الشام في وقت واحد في عهد الخليفة الصديق. والجزيرة العربية في عزلتها المعروفة أشبه المواقع أن تضيق فيها موارد الغذاء على سكانها فيهجروها إلى أودية الأنهار القديمة، وليس لدينا ما يمنع أن يكون التاريخ الحديث دليلا على التاريخ القديم " [(٢)].

وقد بقى النزاع بين أهل " المدر " وأهل " الوبر " أى بين البداوة والاستيطان الثابت المستقر، مستمرا طيلة هذه الأدوار التاريخية، ولكن هذا النزاع لم يقض على بداوة الرعى التي سارت جنبا إلى جنب مع الزراعة المستقرة بعد أن انفصل مجالهما " فسكن المزارعون حول ضفاف الأنهار وزرعوا الأرض، بينما تكيف الرعاة مع طبيعة المرعى وطبيعة الحيوان، واتخذوا مسارحهم في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية، وكان البدو في الفترات التاريخية التي عاشوها يملكون من أسباب القوة ما يفتقده المزارع، فطبيعة حياتهم القاسية دفعتهم إلى أن يتصفوا بالشجاعة دفاعا عن أنفسهم في بيئتهم الموحشة طبيعيا والمخيفة بشريا، وهكذا فقد نشأوا محاربين، وكانوا يملكون الوسائل المادية للقتال، ولا غرو فهم أهل الخيل والإبل يطلبون أعداءهم على ظهورها، ويفوقونهم بها، فالبدو كما نعلم من التاريخ كانوا متفوقين حربيا

(١) الدكتور نورى البرازى: " البداوة والاستقرار في العراق "، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٩، ص ١٢٦ - ١٣١؛ مكى جميل: " البدو والقبائل الرحالة في العراق "، ١٩٥٦.

(٢) العقاد: " أثر العرب في الحضارة الأوربية " القاهرة، ١٩٦٠، ص١٠.

لفترة طويلة على أهل الحضر الذين عاشوا فترة من الزمن في حمايتهم يدفعون لهم (الخوة) أى: (الإتاوة) (١).

٢ ـ هجرة الكنعانيين إلى فلسطين:

ومن أقدم الهجرات التي قام بها أهل جزيرة العرب إلى الهلال الخصيب هجرة الجماعات التي توجهت إلى أرض فلسطين في النصف الأول من الألف الثالثة قبل الميلاد حسب أوثق التقديرات، ويرجع البعض سكنى الكنعانيين أرض فلسطين إلى ما قبل ذلك بزمن بعيد، إذ توصل الأثاريون الذين أجروا تنقيبات في بعض المدن التي تحمل أسماء كنعانية أصيلة مثل " أريحا " و " بيت شان " و " مجدّو " و " جازر " إلى إرجاع تاريخ هذه المدن إلى ما قبل الألف الثالثة قبل الميلاد، وقد أرجع الباحثون تاريخ بلدة أريحا إلى ما قبل سبعة آلاف سنة وهذا ما حمل بعضهم على اعتبارها أقدم مدينة في العالم ما تزال باقية حتى الآن (٢)، هذا وقد توصل الباحثون أيضا إلى أن أقدم المعابد الكنعانية تقع في " أريحا " وفى " مجدّو "، وهى ترجع إلى أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد (٣)، وقد عثر في حفائر " تليلات غسول " الواقعة شمال شرقى البحر الميت في سنة ١٩٢٩ وما بعدها على آثار أقدم مدينة كنعانية في فلسطين، أى أقدم من أريحا وجازر، كان لها حضارة راقية، وقد خربت في أوائل العهد الحجرى المعدنى أو البرونزى (٥٠٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م) نتيجة حريق حولها إلى رماد (٤)، ويقول الأستاذ أولبرايت معلقا على هذا الموضوع: " أنه لدينا من البراهين والأدلة على أن الكنعانيين أصحاب اللغة السامية الغربية استقروا في فلسطين في أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد حيث عثر على أسماء مدن تحمل أسماء كنعانية ترجع إلى الأسرة الخامسة المصرية (٢٩٥٦ ق.م) كما وردت كلمات كنعانية في المدونات المصرية من عصر الأهرام (القرن الثامن والعشرون قبل الميلاد) (٥). وفى ضوء ما تقدم نستطيع أن نجزم واثقين بأن الكنعانيين كانوا مستقرين في فلسطين قبل خمسة آلاف سنة.

---

(١) الدكتور نورى البرازى: " البداوة والاستقرار في العراق "، ص ١٠٨ - ١٠٩.

(2) Keller, “The Bible as History”, 1957, P. 158.

(3) Hitto, “History of Syria”, London, 1951, P. 120.

(4) Ricciotí, “History d'Israel”, vol. I, PP. 70 - 104.

(5) Albright, “Archaeology & the Religion of Israel”, 1942, P. 68.

أ ـ كنعان وأصل تسميتها:

لقد ورد ذكر كنعان في رسائل العمارنة التي تعود إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد باسم (Knakhni)، وكانت هذه التسمية تطلق حينذاك على القسم الجنوبى من بلاد الشرق المشتملة على أرض فلسطين والتى كان قد استولى عليها تحوتمس الثالث في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، أما القسم الشمالى فكان يسمى " أمورو " ويشمل منطقتى لبنان وشرقى الأردن [١].

وقد ورد في الكتابات القديمة ذكر مدينة بابلية باسم " كنعان " (Kan - nan) وسمى ساكنها " كنعانى " (Kanunai) وهو نفس اسم كنعان الفلسطينى، ويعتقد أن هذه التسمية جاءت عن طريق انتقال مهاجرين من كنعان إلى بابل فسميت مدينتهم على اسم بلدهم التي جاءوا منها طبقا للعادة التي اتبعها المهاجرون في مختلف البلدان عبر التاريخ [٢]، وذلك يدل على أن لفظ (كنعان) قديم جدا يرجع إلى ما قبل عهد التوراة بعدة قرون، كما وتجدر الإشارة إلى أن تسمية كنعان مازالت حتى هذا اليوم تطلق على موضع في لواء ديالى من العراق. وكذلك أيضا توجد بلدة في الولايات المتحدة الأمريكية، مقاطعة نيوهمشاير تدعى بكنعان وغير معلوم كيف انتقل هذا الاسم إلى أمريكا، والأرجح أنه انتقل عن طريق مهاجرين من فلسطين.

وكنعان هى نفس التسمية التي وردت في التوراة [٣]، وذلك نسبة إلى كنعان بن حام بن نوح [٤]. " وقد ولد صيدون بكره وحثا واليبوسى والأمورى، والجرجاشى والحوى والعرقى والسينى والأروادى والصمارى والحماتى "، وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعانى، وكانت تخوم الكنعانى من صيدون حينما تجئ نحو

---

(1) Rogers, “Cuneifirm Parallels to the Old Testament”, 1942, P. 260.

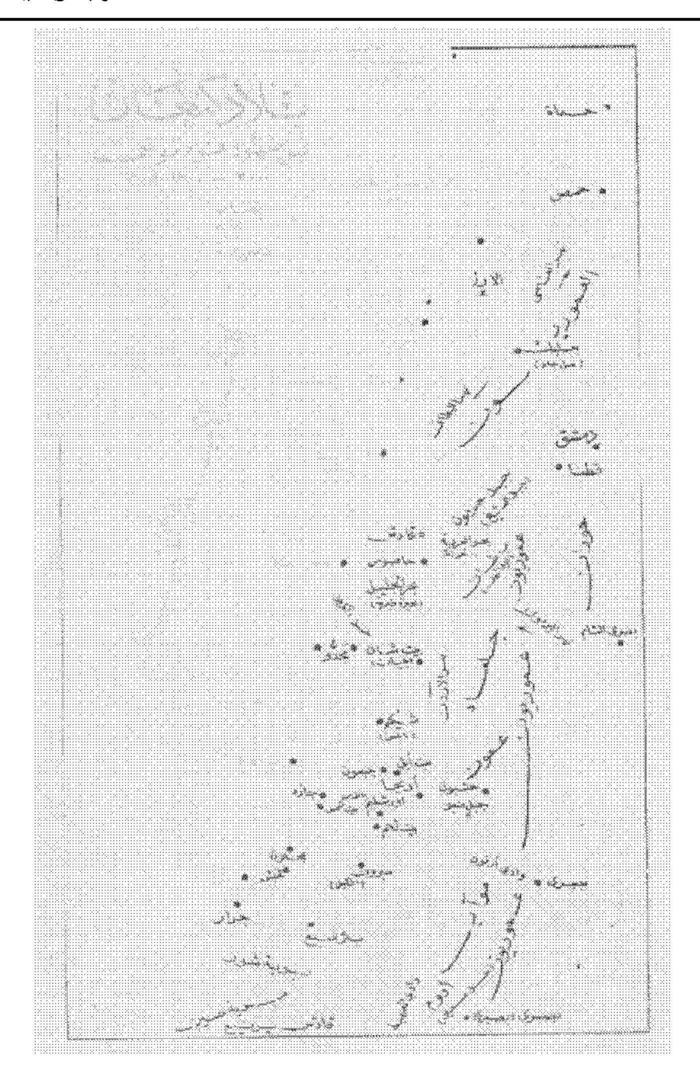
(2) G.A. Smith, “The Historical Geography of the Holy - Land”, 1931, P. 296.

(٣) وردت كلمة كنعان خمسة وثمانين مرة في الكتاب المقدس، ثلاثة وثمانون مرة في العهد القديم ومرتين في العهد الجديد موزعة كما يلى:
تكوين (١٢ مرة)، خروج (٣ مرات)، لاويين أو أخبار (مرتين)، عدد (١٠ مرات)، يشوع (٦ مرات)، قضاة (٧ مرات)، أحبار (٣ مرات)، مزامير (٣ مرات)، أشعيا (مرتين)، حزقيال (٣ مرات)، صفنيا (مرتين)، أعمال الرسل (مرتين).

(٤) تك، ٩: ١٨.

جرار إلى غزة وحينما تجئ نحو سدوم وعمرة وأدة وصبوييم إلى لاشع " [١].
وبذلك تكون بلاد كنعان قد شملت حسب وصف التوراة الرقعة الجغرافية الواقعة بين شاطئ البحر الأبيض المتوسط الشرقى من أوغاريث إلى غزة وبين الصحراء السورية ومن سهول أدنه من جنوب آسيا الصغرى إلى صحراء النقب جنوبى فلسطين. وفى رأى بعض الباحثين المحدثين أن كنعان كلمة حورية تعنى الصبغ القرمزى، وهو الصبغ الذي كان الكنعانيون يصنعونه ويتاجرون به [٢].
إلا أن هذه التسمية غير مقبولة لأنها هكذا وردت في الكتابات القديمة وبالاسم الذي تقدم ذكره. وكان اسم بلاد كنعان يطلق في أول الأمر على الساحل والقسم الغربى من فلسطين، ولكنه عم استعماله بعدئذ بحيث صار يشمل قسما كبيرا من سورية وأطلق على كل فلسطين أيضا، وتعتبر بلدة " شكيم " (نابلس) العاصمة الطبيعية لبلاد كنعان لموقعها في وسط فلسطين، كما تعتبر " حاصور " العاصمة الشمالية في منطقة وقد لعبت كلتاهما دورا مهما في تاريخ فلسطين القديم.

(١) (تك، ١٠: ١٥ - ١٩)، راجع أيضا (١ أخ ١٢: ١٣ - ١٦).
(2) Hitti, “History of Syria”, P. 97.



بلاد كنعان قبل ظهور قوم موسى

ويؤيد الدكتور كلود شافر بالاستناد إلى لوحات تل العمارنة وإلى وثائق رأس شمرا المكتشفة حديثا وإلى المكتشفات الأثارية التي نشرت مؤخرا عن حفريات طرسوس في قيليقيا وأريحا... الخ ما ذهبت إليه التوراة في تحديد حدود كنعان بقوله: " ثبت لنا أن بلاد الكنعانيين بين شواطئ المتوسط الشرقية وصحراء سورية اتسعت في الجنوب، من فلسطين الجنوبية إلى أوغاريث (رأس الشمرة قرب اللاذقية) وفى الشمال استعمر الكنعانيون سهول دانونا (أدنة) الخصبة واستثمروها منذ النصف الأول للألف الثانية قبل الميلاد وكانوا يؤسسون على السواحل نقاط ارتكاز لتجارتهم، وقد بلغ من قوة واستمرار الكنعانيين في هذه الأرجاء أن ملك صور (١٤٠٠ - ١٣٥٠ ق.م) في رسالة منه إلى فرعون المقيم حينئذ في العمارنة،

ذكر دانونا ضمن بلاد كنعان " [١]. ويلاحظ أن الرعاة البدو من صحراء سورية لا يزالون حتى هذا اليوم يصلون في تنقلاتهم إلى سهول أدنة من أجل الحصول على مراعى في منطقة آسيا الصغرى.

ب ـ الحضارة الكنعانية ودورها الطليعى في التقدم الحضارى:

ومما لا شك فيه أن الكنعانيين هى أقدم الأقوام الذين استقروا في أرض فلسطين وإليهم يعود تأسيس حضارة فلسطين القديمة، والأرجح أن لغتهم كانت في الأصل اللغة التي اعتبرت أقرب لغة إلى أم اللغات السامية، أى اللغة العربية القديمة التي كان يتكلم بها أهل الجزيرة قبل هجرتهم إلى الهلال الخصيب، ثم تفرعت منها مختلف اللهجات المتأخرة، ومن هذه اللهجات اللغة الكنعانية التي انفردت فيما بعد بخصائص خاصة بها والتى صارت تعرف كإحدى اللهجات في مجموعة دعين بكتلة اللغات الغربية ومنها الموآبية والفينقية والعبرانية لتمييزها عن اللهجات الأخرى في إطار المجموعات السامية.

وترجع الحضارة الكنعانية إلى عصور واغلة في القدم، فمنذ العصر الحجرى الحديث أو العصر النيوليثى (٧٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ ق.م) بدأت هذه الحضارة تنمو وتتقدم في مجال التمدن فكان الكنعانيون أول من اكتشف النحاس الطرى، ثم اهتدوا إلى الجمع بين النحاس والقصدير في إنتاج البرونز، وبذلك كانوا السبّاقين في استخدام صناعة التعدين مما أعطى تلك الشعوب البدائية أدوات وأسلحة فتاكة، وقد أصبح استعمال البرونز شائعا في المدن الكنعانية منذ أواسط الألف الثالثة قبل الميلاد [٢]، وبدأت تستعمل الحديد منذ أواخر الألف الثانية قبل الميلاد، ومن المحتمل أن الكنعانيين أخذوا بصناعة الحديد من الفلسطينيين،أو أنهم أخذوا بها من الأقوام المجارة لهم مثل الحيثيين [٣]، ومن الجائز أيضا أن يكونوا قد أخذوا بها من العرب الذين كانت لهم مناجم مهمة أيضا، أو أنهم اكتشفوا معدن الحديد من داخل بلادهم [٤]، وقد ثبت وجود هذا المعدن في لبنان وفى الأردن [٥].

---

(١) الشيخ نسيب الخازن، " من الساميين إلى العرب "، ص ٤١.

(2) Lods, "Israel", P. 59 ; A. Bertholet, "Histore de la Civilisation d'Israel". (French translation), 1929, P. 70.

(٣) (إر، ١٥: ١٢، ٢٨: ١٤)، (انظر ما يلى حول هجرة الفلسطينيين والحيثيين).

(٤) (تث، ٨: ٩).

(5) Lods, "Israel", PP. 32, 59.

ويتجلى لنا مدى تقدم صناعة المعادن في بلاد كنعان بين التجلى فيما أورده الفراعنة المصريون في وصف الغنائم التي أخذوها من المدن الكنعانية في فتوحاتهم للشرق، فنجد بين المصنوعات المعدنية الثمينة التي وردت في القوائم التي سجلها تحوتمس الثالث، أحد فراعنة السلاسة الثامنة عشر (١٥٠٤ - ١٤٥٠ ق.م) عربات مطعمة بالذهب وأوتاد لتثبيت الخيم مطعمة بالفضة، وسرائر من العاج ومضاجع مطلية بالذهب وأنواع من الكؤوس والآنية والسيوف وتماثيل من الذهب ومن خشب الأبنوس، وفى القائمة علاوة على ما تقدم ٢٠٧.٠٠٠ كيس من الحنطة جلبها تحوتمس من كنعان [١].

وكانت زراعة الكروم والتين من أهم المزروعات القديمة في كنعان، وتوجد بينات على أن هذه الزراعة كانت مزدهرة في عهد بيبى الأول (حوالى ٢٥٠٠ ق.م) إذ وجدت هناك معاصر للزيت والعنب من تلك العصور مصنوعة بمنتهى الدقة والإتقان، وتشير مدونات تحوتمس الثالث إلى خصوبة أرض كنعان مؤكدة أن النبيذ عند الكنعانيين كان موجودا بكثرة تفوق وجود الماء [٢].

وقد تقدم لدى الكنعانيين، عدا فن الصناعة وصناعة العاج، صناعة الزجاج والنسيج الصوفى والقطنى، وكذلك صناعة الأصباغ ولاسيما القرمز والأرجوان الذين اقترنا باسمهم.

وقد اشتهر الكنعانيون بما ابتكروه من وسائل الدفاع عن مدنهم، فقد كرسوا طاقاتهم وجهودهم في سبيل إتقان الأساليب الحربية التي لازمتهم طيلة حياتهم بسبب النزاعات والخصومات المستمرة بين دويلات المدن الكنعانية المنتشرة في أرجاء البلاد وبسبب الغزوات التي كان يشنها الفاتحون من خارج البلاد، ومن الوسائل التي برعوا فيها إنشاء القلاع وما يرافقها من تحصينات دفاعية، ولحاجتهم إلى الماء في فترات الحصار فقد قاموا بأعمال هندسية ضخمة لإيصال الماء إلى داخل حصونهم، ومن بقايا هذه المشاريع التي ما تزال آثارها ماثلة للعيان، النفق الطويل الذي حفروه في بلدة جازر الكنعانية الواقعة على بعد حوالى ٣٥ كيلو مترا إلى الشمال الغربى من أورشليم للوصول إلى ينبوع ماء يقع تحت مستوى الأرض على عمق حوالى مائة قدم ينزل إليه بواسطة مدرج مكون من ٨٠ درجة يبلغ طول هذا النفق ٢١٩ قدما، ويرى الأثاريون أن الكنعانيين كانوا قد

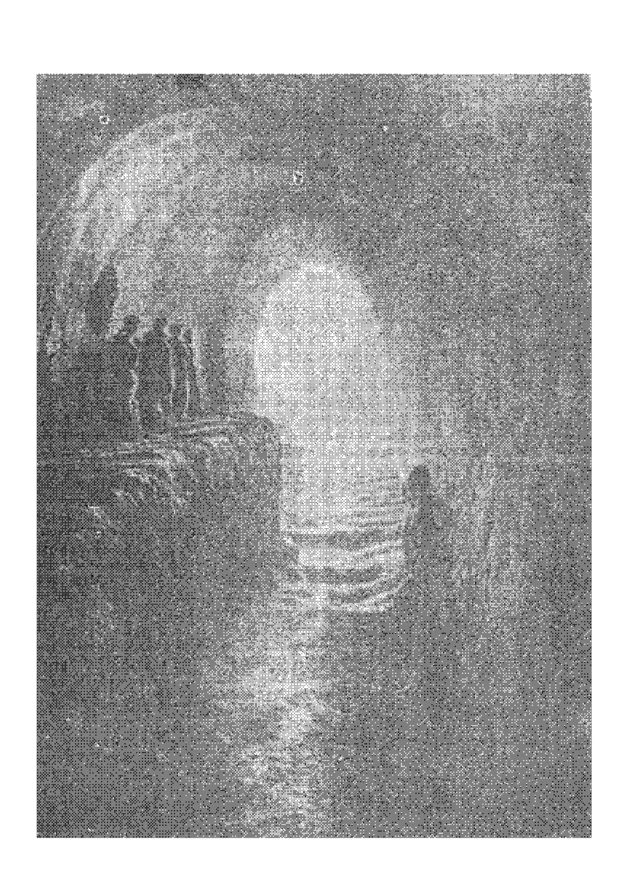
---

(1) Lods, “Israel”, P. 60.

(2) Vincent, “Canaan d'apres I'Explotation Recente”, PP. 77 - 80.

اتخذوا من هذا الموقع حصنا منيعا حملهم على حفر هذا النفق لتموينه بالماء عند الحصار، يرجع بناؤه إلى حوالى ٣٠٠٠ ق. م.

وقد أقام الكنعانيون مشروعا آخر من هذا القبيل في أورشليم وذلك لإيصال الماء إلى الحصن الذي كان قد شيده اليبوسيون، سكان أورشليم الأصليون، على الهضبة الشرقية من مدينة القدس الحالية، واليبوسيون هم فرع من القبائل الكنعانية التي كانت قد نزحت من جزيرة العرب، واستقرت في فلسطين منذ أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد.



التصوير رقم (١)
المدخل المدرج إلى نفص جازر الكنعانى

لذلك سميت المدينة باسمهم (يبوس) وقد أصبحت هذه التسمية مرادفة لأورشليم، وقد ورد ذكرها في التوراة على هذا الشكل، فقيل "

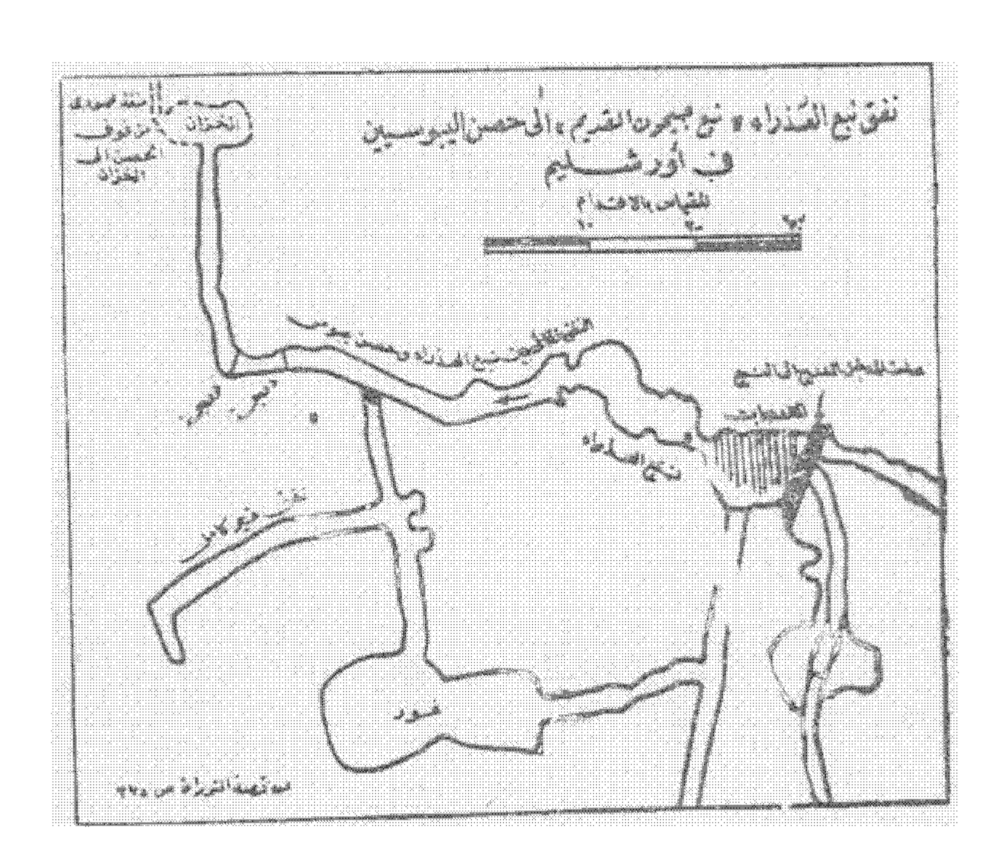
يبوس هى أورشليم " و " أورشليم هى اليبوسيين " [١]. وكان حصن يبوس يعرف بـ " حصن صهيون " أيضا، كما كان يعرف الجبل الذي أقيم عليه الحصن بالأكمة أو " أوفل " [٢]، وأحيانا " جبل صهيون " [٣] ولتموين الحصن بالمياه حفر اليبوسيون نفقا داخل الجبل وجروا فيه الماء من عين غزيرة تقع شرقى الحصن على حافة " وادى قدرون " (وادى ستى مريم الحالى) إلى الحصن، ويمتد هذا النفق مسافة ١٧ ياردة إلى الغرب بين العين والحصن، وقد نقر الحجر وصنع فيه شبه خزان في نهاية النفق ومنه حفر منفذ في الحجر بحجم (٦ × ٤ أقدام) يصعد إلى سطح الهضبة داخل الحصن بعمق تسع ياردات، وكان الماء يستقى من سطح الحصن بالسطل والحبل من البئر التي فيها الخزان (انظر المرتسم رقم ٣). وقد كانت هذه العين تسمى قديما باسم " عين جيحون " كما ورد اسمها في التوراة [٤]، وما تزال هذه العين تمون القدس بالماء وتعرف اليوم بـ " نبع العذراء " (انظر التصوير رقم ٢). وقد ورد ذكر هذا النفق في التوراة في أخبار الملك داود حيث سمى بالقناة [٥]، والظاهر أن الملك داود اكتشف مدخله السرى من خارج السور فأدخل رجاله فيه حتى وصلوا إلى منتهاه في داخل السور ومنه صعدوا إلى سطح الحصن وباغتوا اليبوسيين داخل الحصن واحتلوه بلا قتال على الأرجح [٦]، وذلك بعد أن بقى صامدا زهاء ثلثمائة عام مع وجود اليهود في فلسطين حتى احتله داود على قول التوراة.

---

(١) (قض، ١٩: ١٠)، راجع أيضا (١ أخ، ١١: ٤).
(٢) (٢ مل، ٥: ٢٤)، (٢ أ خ، ٢٧: ٣، ٣٣: ١٤)، (أش، ٣٢: ١٤)، (مى، ٤: ٨).
(٣) (عب، ١٢: ٢٢).
(٤) (٢ أ خ، ٣٣: ١٤)، (١ مل، ١: ٣٣، ٣٨).
(٥) (٢ صم، ٥: ٨).
(6) The Story of the Bible", P. 377 ; Lods "Israel", P. 61 ; Vincent Jerusalem, Recherches … "F. PP. 146 - 160"; Weill, "La Cite de David", PP. 8 - 13. 48 - 49.

ولـم تقتصـر هـذه الأعمـال علـى مـدينتى " جـازر " و " أورشـليم " إذ وجـد أمثالها من صنع الكنعانيين في مدن (جبعون " و " أبلعام " و " مجدو " [(١)].

فالمشـروع الـذي أقـيم فـي مجـدوا ويتـألف مـن مـدخل عمـودى مـدرج عمقـه ٣٥ متـرا تحـت مسـتوى الأرض الطبيعيـة، ومـن نهايـة هـذا المـدخل يبـدأ نفـق محفـور فـي الصـخر يمتـد أفقيـا مسـافة ٦٣ متـرا حتـى يصـل إلـى عين الماء (انظر المرتسم رقم ٤) [(٢)].



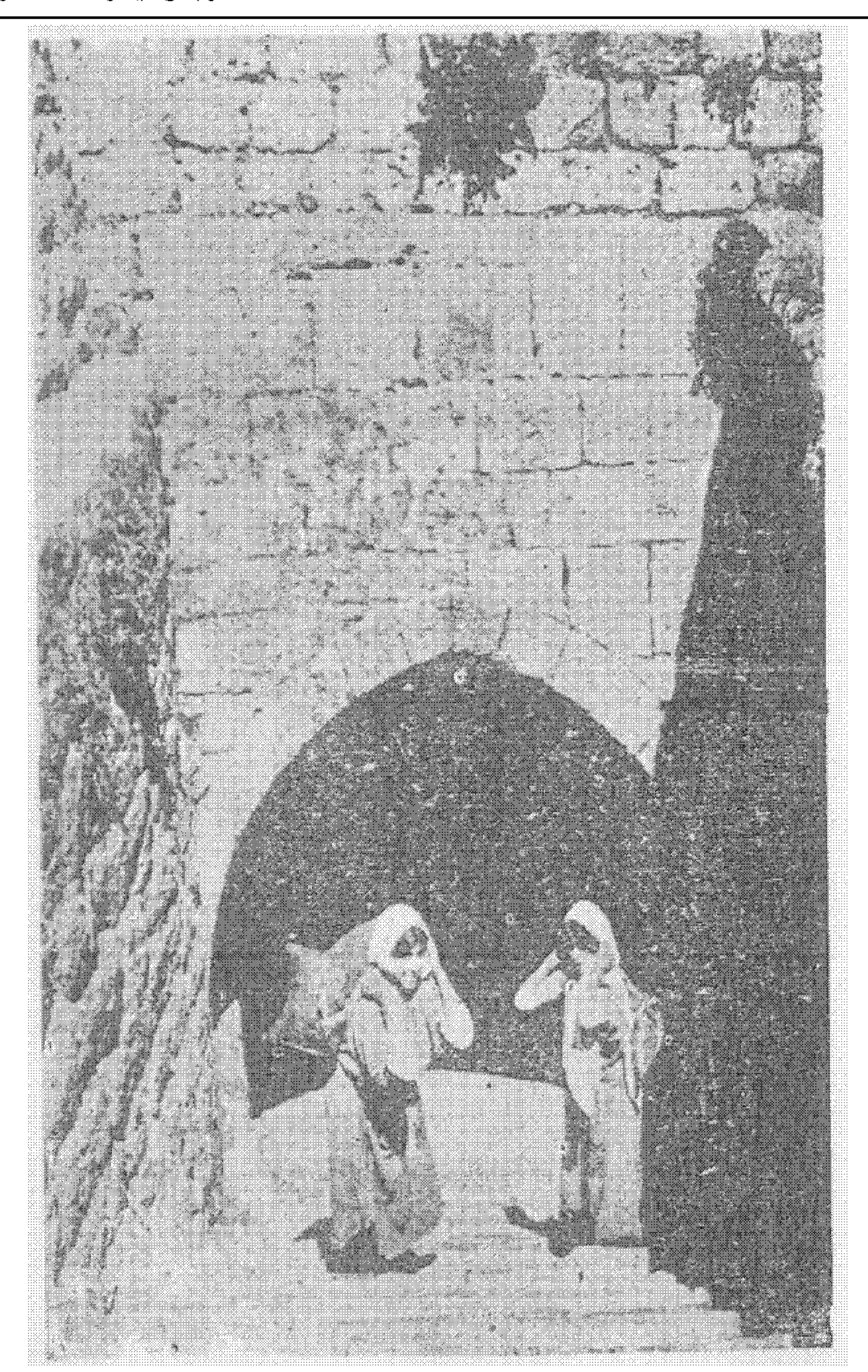
المرتسم رقم (٣)

وقد اقتبس الكنعانيون فن البناء من البابليين وخاصـة بنـاء الأقـواس، إذ عثر على طاق من بناء الكنعانيين في مجدوا يتحمل ثقلا يزن ١٣٥ طنا [(٣)].

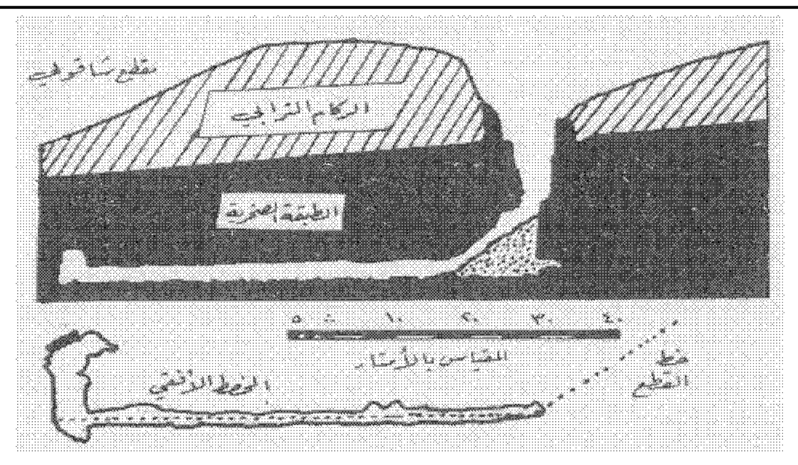
(1) Lods "Israel", P. 61.

(2) Kathleen M. Kenyon, "Archoalogy in the Holy - Land", PP. 233 - 253.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٤.



التصوير رقم (٢)
المدخل المدرج إلى نبع العذراء (عين جيحون)



المرتسم رقم (٤)
مخطط ومقطع لنفق " مجدو " المائى عن كاتلين لينبون
" آثار الأرض المقدسة " اللوحة ٥٧

" والكنعانيون هم الذين اخترعوا السفينة واهتدوا إلى عمل الزجاج ووضعوا نظام الحساب وهم الذين اخترعوا أبجدية الكتابة المختزلة بالنسبة للخط المسمارى والهيروغليفى، فلا غرو أن أصبح الخط الكنعانى أساسا لجميع خطوط العالم المتمدن في الشرق والغرب " [١].

وقد ازدهرت التجارة على يد الكنعانيين الذين مارسوها بكفاءة تامة، وقد لعب المصريون دورا رئيسيا في الحفاظ على الأمن لتأمين المواصلات عبر البلاد الكنعانية، فقد كان ملك من ملوك الدويلات الكنعانية مسئولا عن سلامة مرور القوافل عبر أراضيه، وقد بلغت العلاقات التجارية بين مصر من جهة وبين بلاد كنعان وسورية ولبنان من جهة أخرى أوج توسعها بعد الفتح المصرى في القرن السادس عشر قبل الميلاد، فكان من أهم ما كانت تستورده مصر هو خشب أرز لبنان لصنع التوابيت وصنع المراكب البحرية، كل ذلك كان يساعد على تنمية وتوطيد العلاقات الودية بين الأطراف المعنية.

ولاشك في أن الحضارة الكنعانية، وبخاصة ما يتعلق منها بالعقائد الدينية، شأنها في ذلك شأن جميع الحضارات الأخرى قد تأثرت بدرجة محسوسة بحضارتى وادى النيل ووادى الرافدين بالإضافة إلى الحضارات الأخرى كالحيثية والحورية لكن على على رغم ذلك احتفظت بطابعها الكنعانى، أى الطابع

(١) الدكتور ولنغسون " تاريخ اللغات السامية "، ص ٥٢.؛ (انظر ما يلي عن اختراع الكنعانيين للحروف الأبجدية في الفصل الثاني.

البدوى السامى.



التصوير رقم (٣)
أسرة كنعانية من أريحا (أواسط العصر الحجرى المعدنى حوالى ٤٠٠٠ ق.م)
صورة تخيلية لأسرة كنعانية في إحدى غرف بيوت أريحا القديمة بالاستناد إلى المكتشفات التي عثر عليها في أطلال أريحا ومقابرها (عن كاتلين كينيون)، " آثار الأرض المقدسة "، اللوحة ٣).

وأعظم عمل قام به الكنعانيون للحضارة هو اختراعهم الأبجدية الهجائية الذي يعتبر من أهم الاختراعات في تاريخ الحضارة البشرية، ويتفق الباحثون على أن أصل الحروف الهجائية في العالم بدأ في كتابات الأقوام السامية الغربية الذين تمتد مناطقهم من طور سيناء إلى أقصى حدود بلاد الشام شمالا وغربا، إذ وجدت في هذه المناطق أنواع كثيرة من النقوش السامية بالحروف الأبجدية، وقد حمل الأراميون فيما بعد الحروف الأبجدية من سواحل البحر المتوسط شرقا إلى آسيا حتى الهند، كما نقلها الفينيقيون إلى أوربا، وهكذا تغلبت الكتابة بالحروف الأبجدية على الكتابة بالمقاطع المسمارية التي كانت شائعة آنذاك (انظر ما يلى في الفصل الثانى حول اختراع العرب للحروف الهجائية).

ويقول العالم الألمانى الدكتور مورتكات في وصف الكنعانيين: " إننا نعلم من خلال الحفريات التي أجريت في جبيل " بيبلوس القديمة " في وسط ساحل بلاد الشام وبالاستناد إلى المراسلات الملكية في مدينة مارى ومن موجودات الطبقات السفلى في تل العطشانة (الخ) بالقرب من أنطاكية، أن أناسا ساميين غربيين قد قطنوا بلاد الشام على الأقل منذ نهاية الألف الثالثة ق. م. وأن هؤلاء كانوا على

قرابة مع تلك الفئة السامية التي حكمت بلاد ما بين النهرين منذ سلالة حمورابى.

" أما من ناحية التسمية الخاصة فنطلق على هؤلاء الساميين في بلاد الشاك اسم الكنعانيين، ولغتهم يجب أن تكون نفس اللغة التي اقتبسها أولئك اليهود الذين نزحوا إلى الأرض المقدسة من السكان الأصليين قبلهم هناك أى من الكنعانيين، وكذلك ينتسب الفينيقيون الأوائل، أى سكان السهل الضيق ما بين لبنان والبحر، إلى هذه المجموعة السامية الغربية أيضا " [١].

وقد أشار المؤرخون العرب إلى أن القبائل المعروفة بالبربر والتى استوطنت أراضى شمال أفريقيا كانت تقيم في الأصل في فلسطين إلى جانب الكنعانيين ثم أخرجت منها في عهد الملك داود، فيقول المسعودى في ذلك " إن أرض البربر كانت أرض فلسطين من بلاد الشام، وأن ملكهم كان جالوت، فلم يتملك عليهم بعده ملك، وأنهم انتهوا إلى ديار المغرب فانتشروا هنالك.. واختارت البربر سكنى الجبال والأودية والرمال والدهاس وأطراف البرارى والقفار "، وفى القول على أنساب البربر يذكر المسعودى أن الناس اختلفوا في بدء أنسابهم فمنهم من رأى أنهم من غسان وغيرهم من اليمن ومنهم من رأى أنهم من قيس عيلان " [٢]، كما يقول ياقوت في معجمه (مادة البربر): " البربر هم من الجبارين الذين قاتلهم داود وطالوت وكانت منازلهم على الدهر ناحية فلسطين فلما أخرجوا من أرض فلسطين أتوا المغرب فتناسلوا فيه وأقاموا في جباله ".

ج ـ الكنعانيون والفينيقيون:

كانت المستوطنات الكنعانية منقسمة إلى دويلات صغيرة محصنة على غرار دويلات المدن في جنوبى العراق وكانت هذه الدويلات في نزاع وحروب فيما بينها في الغالب، فاضطر بعضها إلى التمركز في سفوح جبال لبنان للاحتماء بها، وهكذا نشأت أهم المدن الكنعانية في سفوح الجبال على السواحل، وقد سمى اليونانيون مجموعة هذه المدن البحرية التي كانوا على اتصال معها اسم " فينيقيا " (Phoinix) وكانت تمارس هذه المدن الصناعة والتجارة الخارجية، بينما كانت المدن الداخلية تحترف الزراعة وخاصة زراعة الأشجار في الغالب، وكان الفينيقيون يتسمون بالكنعانيين وظلوا على هذه التسمية حتى العهد الرومانى [٣].

(١) مورتكات (أنطون): " تاريخ الشرق الأدنى القديم "، ص ٢٥٠.

(٢) (قض، ١: ٣١). المسعودى: " مروج الذهب "، ج٢، ص ٩٥.

(3) Iniversial Jewish Encyclopdia, vol. II, P. 651.

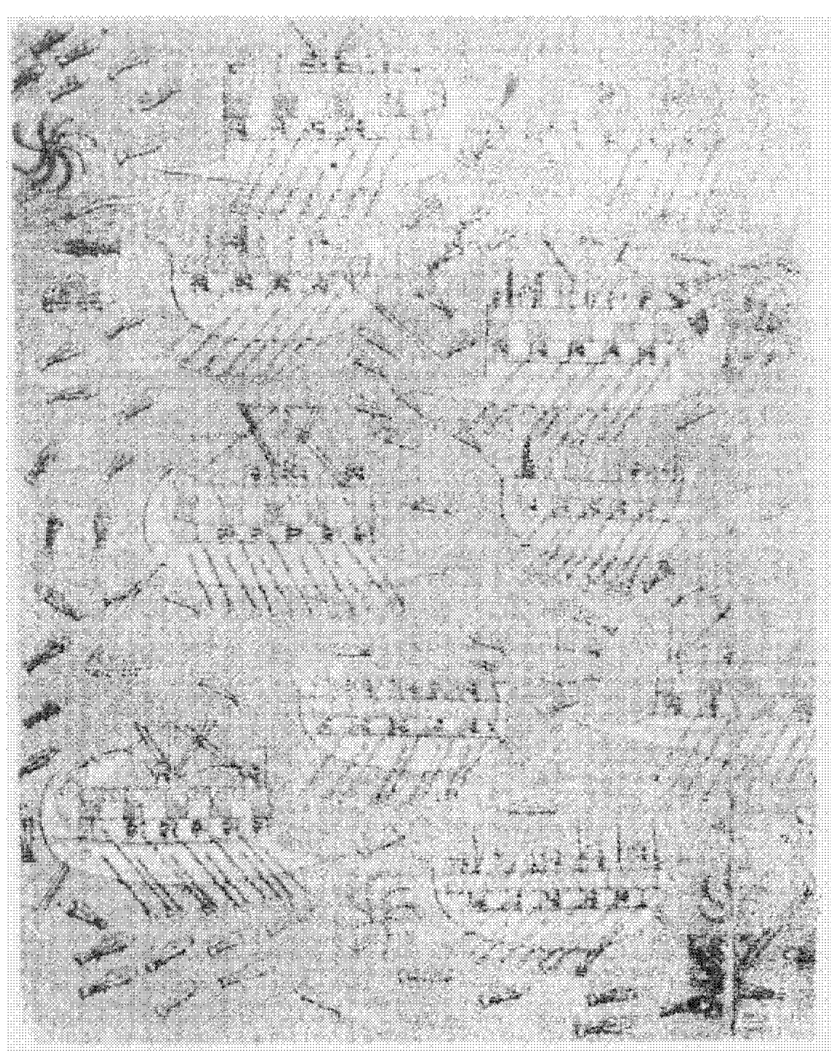
إن أهم المدن الفينيقية التي وردت أسماؤها في كتابات العمارنة المصرية والكتابات الأشورية ومدونات التوراة هى:

" عكو " (عكا حاليا)، " أكزيب " (الزيت حاليا)، " أحلب " (محلبافى الأشورية " [١]، " قانة " [٢]، " صور " [٣]، " صرفة " (صرفند حاليا) [٤]، " صيدون " (صيدا حاليا) [٥]، " بيريتوس " (بيروت حاليا)، بيبلوس " (جبيل حاليا)، " عرقه " [٦]، " سين " (سيانو في الأشورية) [٧] " صمار " (سومرة حاليا)[٨]، " أرواد أو رادوس " (أرواد حاليا) [٩]، " أوغاريث " (تل رأس شمرا حاليا) [١٠].

وقد اشتهرت بلاد كنعان بنشاطاتها التجارية التي كانت تمارسها بكفاءة تامة مستفيدة من موقعها الجغرافى الهام، الذي يقع على طرق المواصلات الرئيسية التي تربط بلدان آسيا عبر الصحارى العربية مع بلدان أوربا وشمال أفريقيا عبر البحر الأبيض المتوسط،في تنمية الحركة والعلاقات التجارية. فكانت المدن الكنعانية الداخلية ومن أهمها مدينة أورشليم التي كانت تتمتع بامتيازات خاصة في النواحى التجارية والاستراتيجية والدينية وبموقع هام يقع على ملتقى الطريقين الرئيسيين اللذين يربطان ما وراء الصحراء السورية بالساحل، وشمال كنعان بحنوبه، تؤلف مراكز حيوية للنشاط التجارى والحركة التجارية بين الشرق والغرب، أما المدن الساحلية أى المدن الكنعانية (الفينيقية) فكانت تؤلف مراكز حيوية للنشاط التجارى والحركة التجارية الخارجية بين بلاد كنعان وبين بلدان أوربا وشمال أفريقيا غربا، وقد اشتهر الفينيقيون سكان السواحل بصناعة السفن ولاسيما السفن ذات الصفوف الثلاثة من المجاديف مستفيدين من أرز لبنان

(١) (قض، ١: ٣١).
(٢) (يش، ١٩: ٢٨).
(٣) (يش، ١٩: ٢٩).
(٤) (أمل، ١٧: ٩).
(٥) (يش، ١٩: ٢٨).
(٦) (تك، ١٠: ١٧)، (١ أخ ١: ١٥).
(٧) (تك، ١٠: ١٧).
(٨) (تك، ١٠: ١٨).
(٩) (تك، ١٠: ١٨).
(١٠) أنيس قريحة، " ملاحم وأساطير من أوغاريت "، بيروت ١٩٦٦.

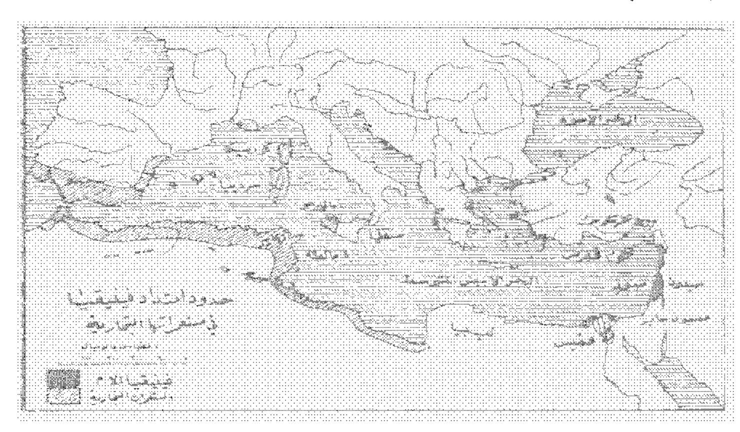
الشهير، في تلك الصناعة لجودة خشبه وصلابته، وكذلك صمموا لأنفسهم نموذجا خاصا يختلف اختلافا كليا عن النموذج المصرى المعقوف من طرفيه نحو الأعلى عندما زودوا مقدمة سفنهم بمنقار معدنى بارز إلى الأمام يساعدها على شق الماء وزيادة سرعتها وبالتالى على أعطاب السفن المغيرة، وقد عثر على نماذج لهذه السفن ذات المناقير منقوشة على جدران قصر سنحاريب ملك آشور الذي كان قد استعان بالأساطيل الفينيقية في أغراضه الخاصة (انظر التصوير رقم ٤) وقد ساعدهم ذلك على الابتعاد في أسفارهم وإطالة رحلاتهم البحرية، فاحتكروا أشهر الطرق البحرية وأقاموا لهم مستعمرات تجارية في قبرص وصقلية وسردينية وكورسيكا ومالطا وفى شمال أفريقية وفى أسبانيا.



التصوير رقم (٤)

أسطول تجارى فينيقى ترافقه بعض السفن الحربية ذات المناقير، من اللوحات التي كانت تزين جدران قصر سنحارين في نينوى (حوالى ٧٠٠ ق. م)

وأنشؤوا المستودعات والمصارف في مرسيليا ورومة وكولونيا وبريطانيا ومصر وأورشليم وتدمر. (انظر المرتسم رقم ٥) وكانت " قرطاجة " الواقعة في جوار تونس الحالية أهم المستعمرات التجارية الفينيقية [١]. فقد اتسع نفوذها في البحر المتوسط حتى قيل: " لا يقوى الرومان على غسل أيديهم فيه إلا بإذن من قرطاجة " [٢] وكان القرطاجيون مثل الفينيقيين يتسمون بالكنعانيين [٣]، وقد بلغ توسع الفينيقيين وازدهار تجارتهم أوجهما بين منتصف القرن العاشر ومنتصف القرن الثامن قبل الميلاد [٤].



المرتسم رقم (٥)

وقد اشتهرت صور بثرائها حتى قال المؤرخون أن الفضة كانت مكدسة في أسواقها مثل التراب والذهب كوحل الطرقات، وأن بيوتها كانت أعلى من بيوت رومة على حد قول سترابو، وقد حافظت مع بسالة أهلها على استقلالها حتى قضى عليها الإسكندر الأكبر بعد حصار دام زهاء عشر سنوات [٥]، وقد عاشت

---

(1) R.B. Smith, "Carthage and the Carthaginians".

(٢) العقيقى: " المستشرقون "، ج١، ص ١٩.

(3) Universal Jewish Eny, vol. II, P. 561.

(4) Hitti, "History of Syria", P. 103.

(٥) انظر المراجع الآتية عن فينيقيا:

G. A. Cooke, "Phoenicia", Enc. Brit., 1965, Vol. 17, pp. 763 - 768; Contenau. "La civilization phenicience". 1946 Rawlinson, "History of Phoenicina", 1889.

فينيقيا ٣٥٠٠ سنة شهدت خلالها الفراعنة (٢٩٠٠ - ١٣٠٠ ق.م)، الأشوريين (٧٧٤ - ٦٣٥ ق. م)، والكلدانيين (٥٨٦ - ٥٣٨ ق. م)، والفرس (٥٣٨ - ٣٣٢ ق. م)، ثم شهدت الإسكندر الأكبر وخلفاءه والرومان والبيزنطيين حتى قضى عليها الفتح الإسلامى سنة ٦٣٥ م [١].

د - دور الفينيقيين في تقدم العلوم:

وقد ساهم الفينيقيون في نشر العلوم ونقلها إلى أوربا وتعاونوا مع زملائهم المصريين والفلسطينيين (الكنعانيين) والسوريين على إبراز الثقافة الفينيقية ذات الطابع الشرقى، فظهر منهم علماء من مشاهيرهم: " زينون الرواقى " (٣٣٦ - ٢٦٤ ق.م)، وهو من أصل فينيقى ولد في قبرص وقصد آثينا سنة ٣١٤ ق. م، وأنشأ رواقا فيها سنة ٣٠١ ق. م، ونشر جمهوريته سنة ٣٠٠ ق. م، فأعجبت الجمعية الأثينية به وسلمته مفاتيح الأسوار وأهدته تاجا من الذهب ولما توفى كتب على قبره: " لن يضيرك منبتك في فينيقيا ضيرا... الخ " ومنهم فيلون الجبيلى (٦١ - ١٤١ م) وهو مؤرخ ومترجم له تصانيف كثيرة ومن أمهاتها " الديانة الفينيقية " والترجمة الكاملة "، لـ " تاريخ سانخونياتن " من اللغة الفينيقية إلى اللغة اليونانية، وتجدر الإشارة هنا إلى أن فيلون الجبيلى هو غير فيلون الفيلسوف اليهودى الإسكندرانى.

ومنهم أدريانوس الصورى (القرن الثانى الميلادى)، فيلسوف تبوأ كرسى البلاغة في آثينا وكان يذهب إلى الندوة في عربة، عدة جيادها من الفضة، وعليه أثواب تتلألأ بالجواهر ويستهل محاضراته بتلك العبارة المأثورة عنه: " ها قد عادت الآداب مرة أخرى من فينيقيا "، وقد استمع إليه هارديان وماركوس أورليوس، وخلعا عليه ووهباه الذهب والبيوت والعبيد، ولما قصد رومة عين أستاذا للبلاغة فيها [٢]، ومنهم بابينان (١٧٥ - ٢١٢ م) تعلم القانون وعلمه في مدرسة الحقوق ببيروت، جعله سبتيموس سفيروس أحد قائدى الحرس الإمبراطورى، ومنهم أوليبان الصورى (١٧٠ - ٢٢٨ م) تخرج في القانون من مدرسة الحقوق في بيروت وخلف منافسه بابينيان فيها، ومنهم أنتيباتر الصيداوى (القرن الثالث الميلادى) وأصله من صور تتلمذ على أدريانوس واختاره سبتيموس سفيروس أمينا له ومؤدبا لولديه، ومنهم بورفيروس الصورى (٢٣٣ -

(١) العقيقى: " المستشرقون "، ج١، ص ١٨.

(٢) نفس المصدر السابق، ٢٤.

٣٠٥ م) وهو أحد ألمع فلاسفة وعلماء الفينيقيين في القرن الثالث الميلادى، ولد في صور وتعلم فيها ثم انتقل إلى أثينا وروما والإسكندرية، حيث درس الأفلاطونية الجديدة على أفلوطين وعلمها بدوره في روما حتى وفاته، له عدد من المصنفات في الفلسفة والنحو والبلاغة والرياضيات وعلم النفس والموسيقى والنبات [١]، له ما ينيف على سبعين مؤلفا ومصنفا في مختلف العلوم الإنسانية: الفلسفة، النحو، البلاغة، الرياضيات، علم الفك، علم النفس، الموسيقى، النبات... إلخ.

وقد اعتبرت شروحه في الفلسفة مرجعا أساسيا من مراجع فلسفة القرون الوسطى في أوربا وكذلك اعتمدت شروحه في الفلسفة العربية أيضا، وقد ذكر له ابن النديم في الفهرست تسعة كتب مترجمة إلى اللغة العربية، أحرقت أهم مقالاته التي كانت تؤلف خمسة عشر مجلدا سنة ٤٤٨ م.

وكان للفينيقيين اليد الطولى في تقدم علم الجغرافيا، فمن مراكز تجارتهم في صور وصيدا، ثم من مستعمراتهم الكبرى " قرطاجة [٢] " أخذوا يجوبون البحار

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥.

(٢) تعد قرطاجة (Carthage) من أقدم المدن التاريخية المشهورة في حوض البحر المتوسط، أسستها " ديدو " أميرة صور على ساحل شمال أفريقيا سنة ٨١٤ ق.م على قول المؤرخ الصقلي تيمابوس (Timaeus) سميت أحيانًا بالاسم الفينيقي " فرثادشت " (Qarthadasht) بمعنى المدنية الجديدة، ويرجح أن هذه التسمية الأخيرة انتقلت من مدينة للفينيقيين بهذا الاسم في قبرص ورد ذكرها في قائمة سرجون الثاني (٧٢٠ ق.م) للبلاد التي كانت خاضعة للجزية، وما وافى القرن السادس ق.م، حتى صارت قرطاجة من أجمل العواصم وتنافس أمها " صور " جمالاً وعظمة، وامتدت رقعتها من حدود برقة إلى الأطلسي وتمكنت من ضم جزر الباليار حتى جزر الميردا أليها، وقد سيطر أسطولها المؤلف من خمسمائة قطعة ذات خمسة صفوف من المجذفين حتى تمكن القرطاجيون من إقفال حوض البحر المتوسط في وجه التجارة اليونانية ثم الرومانية، ولما حاول اليونان أن يزاحموا الفينقيين في مستعمراتهم في صقلية وأسبانيا دمر القرطاجيون أسطولهم سنة ٥٣٥ ق.م، واستمر نزاعهم مع القرطاجيين على صقلية في حروب متواصلة بين سنة ٤٨٠ و٣٦٨ ق.م، ثم انتصر الرومان لليونان على القرطاجين سنة ٢٦٤ ق.م، فهزموهم في أكبر معركة سنة ٢٥٦ ق.م، واضطروهم في النهاية إلى طلب الصلح سنة ٢٤١ ق.م.

وفي الربع الأخير من القرن الثالث قبل الميلاد قامت قرطاجة بحملات حربية على أسبانيا استمرت تسع سنوات تمكن الأمير " هاد سروبال " (Hadsrubal) في النهاية

فاحتكروا أشهر الطرق البحرية حتى امتدت اتصالاتهم التجارية من الجزر البريطانية إلى البحر الأحمر.

ويرى لنا هيردوتس (٤٥٠ ق. م) أن الملك " نيخو " الذي حكم مصر بين سنة ٦٠٩ وسنة ٥٩٣ ق. م أرسل جماعة من الفينيقيين ليطوفوا حوالى أفريقيا فأدى ذلك إلى استكشاف ليبيا لأول مرة، وإليك ما كتبه هيرودوتس في هذا الصدد قال:

" ويظهر أن ليبيا نفسها يحيط بها البحر إلا من جهة اتصالها بآسيا، ونيخو ملك مصر هو أول من نعلم أنه أثبت ذلك بالبرهان فإنه لما توقف عن حفر الترعة التي كان المراد من حفرها إيصال مياه النيل إلى الخليج العربى (البحر الأحمر) أرسل جماعة من الفينيقيين في المراكب وأمرهم أن يدخلوا في رجوعهم إلى البحر الشمالى مارين بأعمدة هرقليس (جبل طارق) وبهذه الكيفية يرجعون إلى مصر.

" فركب الفينيقيون بحرا أيريترية وسافروا في البحر الجنوبى، فلما دخل

من فرض سيطرته على الساحل الجنوبي من أسبانيا فأنشأ مدينة هناك سنة ٢٢٧ ق.م، سماها " قرطاجنة " (Carthagena) وعقد اتفاقية مع رومة حددت بموجبها حدود منطقة نفوذ كل من المعنيين بالأمر في جنوب شرقي أسبانيا، وبعد مرور حوالي ثمانين سنة تمكن الرومان سنة ١٤٦ ق.م، من التغلب على قرطاجة الأم فسقطت بأيديهم وصمموا على تدميرها تدميرًا تامًا، فأحرقوها وظلت النيران مشتعلة فيها سبعة عشر يومًا، ولم يسمحوا لأحد أن= =يسكنها، إلا نه أعيد إنشاؤها فيما بعد فأعاد يوليوس قيصر بنائها وأسكن فيها جماعة ممن لا أرض لهم، وفي سنة ٢٩ ق.م، أرسل أغسطس جماعة أخرى إليها وجعلها مركزًا لإدارة المقاطعة الرومانية في أفريقيا، وقد سميت المستعمرة الرومانية الجديدة في شمال أفريقية " مستعمرة جوليا القرطاجية " (Colonia Julia Carthago). وقد ازدهرت المدينة في هذا العهد الجديد حتى أصبحت في مصاف المدن الشهيرة في ذلك الزمن مثل الإسكندرية وأنطاكية وأصبحت المدينة المفضلة لدى الأباطرة الرومان مع أنه لم يسكنها أحد منهم، وقد جعلها هادريان في عبده وسماها باسمه " هادريانو بوليس " (Hadrianopolis) ثم أخذت المدينة تتدهور منذ القرن الثالث الميلادي حتى فقدت أهميتها السياسية والتجارية، هذا مع العلم أن قرطاجنة الأسبانية ما زالت قائمة تعرف باسمها القديم " قرطاجنة ". (دائرة المعارف البريطانية، طبعة ١٩٦٥، ج٤، ص ٩٦٩، نجيب العقيقي " المستشرقون "، ج١
ص١٩).

الخريف نزلوا من ليبيا في المكان الذي وجدوا فيه وزرعوا القمح وانتظروا وقت الحصاد وبعد الاستغلال ركبوا البحر وسافروا هكذا سنتين، وفى السنة الثالثة اجتازوا أعمدة هرقليس (جبل طارق) ورجعوا إلى مصر وهكذا عرفت ليبيا لأول مرة " (١).

ومن الغريب أن هيرودوتس لم يشر في تاريخه إلى الرحلة التي قام بها " حانون " القرطاجى في حدود سنة ٦٠ ق. م، والتى تعد أهم بعثة فينيقية أرسلت للطواف في غرب أفريقيا، وقد دون " حانون " وصفا رائعا لرحلته هذه باللغة الفينيقية على لوح وضع في معبد الإله " كرونوس " (إيل) بحسب التسمية الفينيقية، في قرطاجة، وقد وصلت إلينا ترجمة يونانية مجهولة التاريخ لهذه الوثيقة بعنوان " رحلة حانون البحرية " وهى تعد اليوم أقدم وثيقة تاريخية في علم الجغرافيا القديمة، توجد لها ترجمة إنجليزية قام بها المستر فالكونر في سنة ١٧٩٧م (٢)، كما توجد خلاصة عن هذه الرحلة مع خارطة مفصلة للمواقع التي وصل إليها " حانون " وجماعته في كتاب " جغرافية هيرودوتس " تأليف جيمس رينيل ص ٧١٩ - ٧٥٢، وقد جاء في مقدمة هذه الوثيقة أن الغاية من إرسال القرطاجيين هذه الحملة إلى ما وراء أعمدة هرقليس (جبل طارق) هى تأسيس مستعمرات من الفينيقيين في ليبيا، وعلى هذا الأساس أبحر " حانون " ومع ثلاثون ألف شخص من رجال ونساء في أسطول مؤلف من ستين مركبا من ذوات الخمسين مجدافا محملة بجميع مستلزمات البعثة الضرورية لتحقيق أغراضها.

يستدل مما تقدم على: أن الفينيقيين بحكم احتكاكهم بالثقافة البابلية وامتداد اتصالاتهم التجارية إلى ما وراء البحار واكتشافاتهم على ساحل أفريقيا الغربى وتأسيس مستعمراتهم على طول شواطئ البحر المتوسط أصبحت لديهم معلومات جغرافية وخبرة واسعة في عالم الملاحة البحرية مما حمل المصريين على الاستعانة بهم وبسفنهم في رحلاتهم البحرية، ولما ظهرت الإمبراطورية

(١) تاريخ هيرودوتس، الكتاب الرابع، الفقرة ٤٢.

(2) T. Falconer. “The Voyage of Hanno; translated and occompained with the Greek Text”. London, 1797.

انظر أيضًا وسف رحلة حانون ملك القرطاجيين حول مناطق ليبيا في:

Rawlinson, “Phoenicia”, pp. 389 - 292.

الأشورية إلى الوجود كان اتساع حدودها يستوجب الإحاطة بجغرافية البلاد التي وقعت تحت سيطرتهم فاحتذوا حذو المصريين في الاستعانة بالفينيقيين وخبرتهم لتوسيع معلوماتهم الجغرافية عن البلاد التي احتلوها والبقاع المجاورة لها، وهكذا بقيت أكثر الأعمال التجارية داخل حدود الإمبراطورية الأشورية بيد التجار الصوريين من الفينيقيين، وقد امتدت بعيدا حتى وصلت إلى حدود الهند شرقا وأسبانيا غربا، وقد وهب الملك أسرحدون (٦٨١ - ٦٦٩ ق. م) قسما كبيرا من سواحل فلسطين لملك صور تقديرا لمساعداته.

ومما يدل على تقدم الفينيقيين العلمى هو أنهم بلغوا من المعرفة درجة توصلوا معها على استنباط طريقة فنية لتحنيط جثث ملوكهم لا تقل إتقانا عن الطريقة المصرية، وتوجد الآن في متحف استانبول إحدى " مومياءاتهم " (مومياء الملك ميدا المدعو " تابينيت " التي تدل على مدى تقدمهم في هذا المضمار.

ومجمل القول إنه يمن الجزم بأن الأشوريين ثم اليونانيين استمدوا أكثر ما في ثقافتهم وحضارتهم وعلومهم من البابليين والفينيقيين، وهذا شأن المدنيات العالمية لما قامت مدنية إلا واستمدت مادتها مما سبقها من مدنيات أخرى قامت قبلها، والمعلوم أنه بعد سقوط قرطاجة بيد الرومان في القرن الثانى قبل الميلاد، حدث خمول في مسيرة الحركة العلمية في فينيقيا ولكنها سرعان ما عادت إلى نشاطها الأول فأصبحت صور وصيدا مركزا للعلوم والمعرفة من جديد، وقد حلت هذه المرة اللغة اليونانية بدل اللغة الفينيقية وصار الفينيقيون يحملون أسماء يونانية، إلا أنه بقى هناك عدد من الفينيقيين الذين تمسكوا بالثقافة والتقاليد الفينيقية، وقد برز من بين هؤلاء مارينوس الصورى والمعروف أن مارينوس هذا ألف كتابا في الجغرافيا ووضع خارطة العالم في سنة ١٢٠ للميلاد كانت تستند إلى معلومات جغرافيا فينيقية، ويقول عنه رولنسون أنه كان أول كاتب في الجغرافيا اتخذ الطريقة العلمية الرياضية في صنع الخرائط المستندة إلى خطوط الطول والعرض، وقد كان عمل بطليموس في القرن الثانى الميلادى قائما كليا على دراسة مارينوس في الجغرافيا وخارطته المستندة إلى مدونات فينيقية سابقة [١].

والشائع عند الباحثين في التاريخ القديم أن الفينيقيين جاؤا في الأصل من

(1) Rawlinson, op. cit, PP. 404, 548.

منطقة البحرين والساحل المقابل لها، فذكر الرحالة الجغرافي سترابون (القرن الأول ق.م) في كتابه في الجغرافيا (١٦: ٣ و٤) أن هناك جزيرتين في الخليج العربي باسم (صور وارواد) وفيهما هياكل تشبه هياكل الفينيقيين فقال ما نصه: " إذا سرت في الخليج العربي رأيت جزيرتين (صور وارواد) وفيهما هياكل تشبه هياكل الفينيقيين ". والمعلوم أن صور مدينة الفينيقيين الكبرى وارواد جزيرة لهم هناك، فهذا الاتفاق في أسماء المدن وهذا التشابه في الهياكل الدينية بين بلدتين متباعدتين لا ريب أنه يدل على أن وطن الفينيقيين الأول هو الخليج العربي، إذ كانت عادة العرب إذا هاجروا هجرات كبرى إلى أقطار أخرى أن يتخذوا لهم في الوطن الجديد مدنًا على اسم مدن وطنهم الأول، ففي الأندلس مثلاً سموا غرناطة دمشق الغرب، وسموا المدينة الخضراء تذكيرًا بالخضراء دار الخلافة بدمشق، وسموا أشبيلية باسم (حمص) واتخذوا لهم في الأندلس رصافة مثل رصافة الشام.

لذلك يرى البعض أن التقاليد كلها متفقة على أن الفينقيين هاجروا من وطنهم في البحرين سالكين الساحل فسكنوا في بادئ الأمر بالقرب من الكوشيين إخوتهم الأصليين عند أرياف البحر الأحمر أو الخليج العربي أي في الجهة التي تسمى اليوم (القطيف) وأنهم سلكوا طريق القوافل الممتدة من ناحية القطيب ومتصلة ببلاد الإحساء وكامل وادي غطفان إلى حد جبل طويق، ثم اتجهوا نحو وادي الفرات ومن وادي الفرات انساحوا إلى لبنان حيث استقروا على الساحل في المنطقة التي عرفت باسمهم أي فينيقة (Phoenicia) ويستشهد الباحثون بالمقابر التي عثر عليها في البحرين التي يرى الذين عنوا بدراستها وفحصها أنها مقابر فينقية [١].

وقد روى هيرودوتس الذي زار فينيقيا عام ٤٥٠ ق.م واجتمع بأهلها وتحدث إليهم عن ماضيهم أن الفينقيين - كما يخبرون هم أنفسهم - أقاموا أولاً عند البحر الإريتيري ولكنهم رحلوا من هناك وجاؤوا إلى سورية وسكنوا سواحلها، لأن اليونانيين كانوا يسمون كل المياه المحيطة بجنوب جزيرة العرب من الجهات الثلاث (بحر إريتريا) [٢]، وذكر هيرودوتس أيضًا في العدد الأول من الكتاب الأول " أن الفينيقيين كانوا في أقدم أزمانهم يقطنون ساحل (بحر إريتريا).

---

(١) (الدكتور جواد علي) " المفصل في تاريخ العرب " ١: ٥٦٧ نقلاً عن:
Hastings (Dictionary of the Bible) p. 725

(٢) العدد ٨٩، الكتاب السابع.

هـ - الديانة الكنعانية (الفينيقية):

أما الديانة الكنعانية الفينيقية فعلى الرغم من تأثير الثقافة المصرية والثقافة البابلية والثقافة اليونانية فيها لاحتكاكها بهذه الثقافات احتفظت بطابعهما البدوى السامى وبالتقاليد القديمة السائدة في شبه جزيرة العرب، فكان أكبر آلهة الكنعانيين وأعلاها مقاما الإله " إيل " الذي لقب بالإله العلى أو الإله العظيم، وهو نفس اسم الإله (إيل) الوارد في التوراة [١]، وصفته التراتيل الشعرية الكنعانية بأنه هو الذي يبعث بمياه الأنهر لتجرى في الأرض وتحيى مواتها، وهو الذي يبعث بالمطر فيجعل الأودية تفيض عسلا، وهذا هو نفس الاصطلاح الذي ورد في التوراة في وصف خصوبة أرض كنعان [٢]، والإله " إيل " هو الذي يمنح الإذن بإنشاء المعابد إلى الآلهة الأخرى، وهو القادر على كل شئ والحاكم والملك المطلق لا ينافسه منافس، ولا يستطيع أحد أن يغير من إرادته وحكمه السامى، وجميع أرض كنعان هى أرض الإله إيل، وقد عثر على كتاب موجه إلى أحد الملوك الكنعانيين يستهله كاتبه بذكر الإله وتسميته بـ " سيد الآلهة الحامى " (The Protection of the Lord of Gods) ويقع مقر الإله (إيل) باعتقاد الكنعانيين في منطقة في الغرب حيث تغيب الشمس عند مصب الأنهر في البحر وقد سمى مقامه بحقول إيل (Fields of El) ويرى العلامة " شافر " أن ما يسبغه الكنعانيون من نعوت التعظيم والتفوق لإله واحد فوق الجميع يدل دلالة واضحة على ميل الكنعانيين لتقبل عقيدة التوحيد [٣]، وانطلاقا من هذه العقيدة نطق الملك الكنعانى " ملكى صادق " ملك أورشليم باسم " الله العلى " وبهذا المفهوم كان الإله العلى مالك السماوات والأرض يتجلى واضحا في العقل الكنعانى.

وقد جاء ما يؤيد ذلك على لسان التوراة، فلما دخل الموسويون إلى أرض كنعان كانت هناك قبيلة كنعانية بزعامة نبى كنعانى يدعى " بلعام " تمارس عقيدة التوحيد، وقد كان لهذا النبى الموحد مكانة روحانية سامية في أرض كنعان كلها وهذا الأمر هو الذي حمل شيوخ كنعان وموآب ومديان على أن يقصدوه للتوسل

---

(١) ورد اسم " إيل " في التوراة ٢٢٩ مرة في أسفار التكوين والخروج وأشعيا وأيوب.

(٢) (خر، ٣: ٨، ١٧)، (لا، ٣٠: ٢١)، عد، ١٦: ١٣ - ١٤)؛ (تث، ٢٦: ٩، ١٥)؛ (يش، ٥: ١٦)؛ (إر، ١١: ٥)؛ (حز، ٢٠: ٦).

(3) C.F.A. Schaeffer, “The Cuneiform Texts of Ugarit”, London, 1939, PP. 59 - 72.

إليه أن يلعن قوم موسى لردهم عن غزو بلادهم ولكن الرب أوحى إليه بعدم الاستجابة إلى طلبهم، وهذا ما يدل أيضا على أن عقيدة التوحيد كانت معروفة عند الكنعانيين [١].

وفى تعليق على ديانة الكنعانيين ومكانة الإله (إيل) فيها يقول الشيخ نسيب الخازن: " لم تكن أخلاق الكنعانيين مهيأة للغزو والتقتيل، كانت ديانتهم وملاحمهم وآدابهم تدور على حول أبوة الواحد " إيل " ومن صفاته أنه السيد (بعل) و (أدون) كما نحن نقول الخالق الجبار.. الخ والعناية [٢].

وقد ورد اسم الإله (إيل) في الكتابات الفينيقية بصيغة (إيلوس) وهو نفس الإله (إيل) الكنعانى الذي عرف بأبى السنين كما تسميه محفوظات أوغاريت، مطلح ملحمة " بعل وعناة " [٣].

وكان للإله (إيل) نفس المكانة السامية عند الأراميين، فقد ورد اسمه مضافا إلى أسماء بعض ملوكهم، فقد اشتهر بين الملوك الأراميين الملك " متى - إيل " ملك أرباد الذي عقد معاهدة دفاع مشترك مع الملك الأشورى نيرارى (٧٥٤ - ٧٤٥ ق. م) [٤]. كما اتخذ الهكسوس الذين حكموا مصر بين سنة ١٧٨٥ وسنة ١٥٨٠ ق. م اسم الإله " إيل " للتبرك به فأضيف إلى أسماء بعض ملوكهم، ومما يثبت جليا أن كلمة " إيل " بمعنى الإله العظيم كنعانية عربية الأصل أن أكثر ملوك معين وسبأ صاروا يضيفون اسم الإله " إيل " إلى أسمائهم تبركا به (انظر التصوير رقم ٥٣).

ويذكر قاموس الكتاب المقدس [٥] أن كلمة " إيل " كلمة سامية ومعناها في الأكادية الإله بصورة عامة أما في الأوجرتية [٦] فإنها تعنى " أبو الآلهة ".

وكانت للإله " إيل " باعتقاد الكنعانيين زوجة هى الإلهة " عاشيرة " الإلهة الأم، إلهة البحر، ومن أولادها الإله " بعل " إله الخصب والأمطار، وهو البعل

(١) (عد، ص: ٢٢).
(٢) الشيخ نسيب الخازن، " من الساميين إلى العرب "، ص ٤٠.
(٣) يوسف الحورانى، " نظرية التكوين الفينيقية "..
(٤) ٦ سومر، م ١٩ (١٩٦٣)، ص ١١٩.
(٥) الطبعة الثاينة، آذار ١٩٧١، بيروت، ص ١٤٢.
(٦) نسبة إلى أوغاريت.

والبعليم والوارد في التوراة والذى عاد اليهود فعبدوه وسجدوا له [١]، وكان للبعل أخت هى الإلهة " عانات " ومن الآلهة الكنعانية أيضا الإله " مولك " أو الإله " ملكوم " وهو إله بنى عمون الذي ورد ذكره في التوراة باسم رجس بنى عمون وقد عبده اليهود أيضا [٢]، وكان الكنعانيون يعبدون أيضا " عشتاروت " إلهة الخصب وهى تقابل الإلهة " عشتار " البابلية، وقد ورد ذكرها في التوراة وقد عبدها اليهود [٣] أيضا، وكان معبود مدينة بيبلوس الإله " أدونيس " وهو يمثل إله الخصب مثل الإله " بعل ".

وكان الإله (بعل) يمثل الدورة الإنباتية التي تجد ما يقابلها في التقاليد الدينية السامية الأخرى، ففى ملحمة شعرية عثر عليها في أوغاريت عرض خلاب لموت بعل ثم عودته إلى الحياة ليمثل الدورة الموسمية بموت البنات في الصيف ثم عودته في الربيع بعد سقوط الأمطار، وتصف الملحمة كيف تقوم الإلهة " عانات " بحمل جثمان " بعل " بعد أن قتله " موت " إله مملكة الموت، ودفنه هناك مع تشييع يليق بمقامه، ونجد بعد ذلك وصفا شعريا يمثل الفرح بعودة " بعل " إلى الحياة تلك العودة المصحوبة بالأمطار وطغيان الوديان وجريان مياهها وقد شبهت بالعسل، ويلاحظ أن مثل هذا الوصف ورد في المزامير التوراتية، وفى ملحمة أخرى عثر عليها في أوغاريث أيضا وصف شعرى رائع تدور حوادثه حول الاستئذان من الإله (إيل) لبناء قصر إلى (بعل " وقيام الإلهة عاشيرة برحلة لتحقيق هذه المهمة [٤]. وقد وجد في الكتابات الكنعانية ما يشابه تماما تنازع الإله مردوخ مع قيامه عند البابليين، ففى الملاحم الكنعانية ما يشير إلى تنازع الإله " بعل " مع الإله " يم " إله البحار والأنهار وانتصار الأول على الثانى.

وفى المتحف الوطنى بدمشق تمثال للإله " إيل " كبير آلهة الكنعانيين وسيدها

---

(١) لا يكاد يخلو إصحاح من إصحاحات سفر القضاة من إشارة إلى البعل أو البعليم وكذلك إصحاحات سفيرى الملوك، راجع على سبيل المثال لا الحصر: (قض، ١: ١١، ١٣)؛ (امل، ١٦: ٣١).

(٢) (١ مـل، - ١١: ٥، ٧)، راجـع أيضـا (، ٢٠: ٢ - ٥)، (٢ مـل، ٢٣: ١٠)؛ (ا ع، ٧: ٤٣).

(٣) (امل، ١١: ٥)، راجع أيضا (قض، ٢: ١٣)؛ (اصم، ٧: ٤١٣٧).

(4) Pritchard, "Archaeology and the Old Testament" p. 110 ff. Moscati, "Ancient Semitic Civilizations", pp. 112 ff., Wood, "The Religion of Canaan". Jour. Of Bibl. Lit., 1916, 1-133, 163 - 379.

عثر عليه في أوغاريت (تل راس شمرا) يشاهد وهو جالس فوق عرشه، وعلى رأسه تاج وعلى جانبى الرأس يوجد ثقبان هما مكان القرنين الذين يعتبران من رموز الربوبية ويرتدى ثوبا طويلا وينتعل حذاء ذا مقدمة دقيقة ومحنية إلى الأعلى، يده اليسرى تقبض على صولجان، إلا أنه لم يعثر على الصولجان، والتمثال مصنوع من البرونز ومغشى بصحيفة من الذهب.

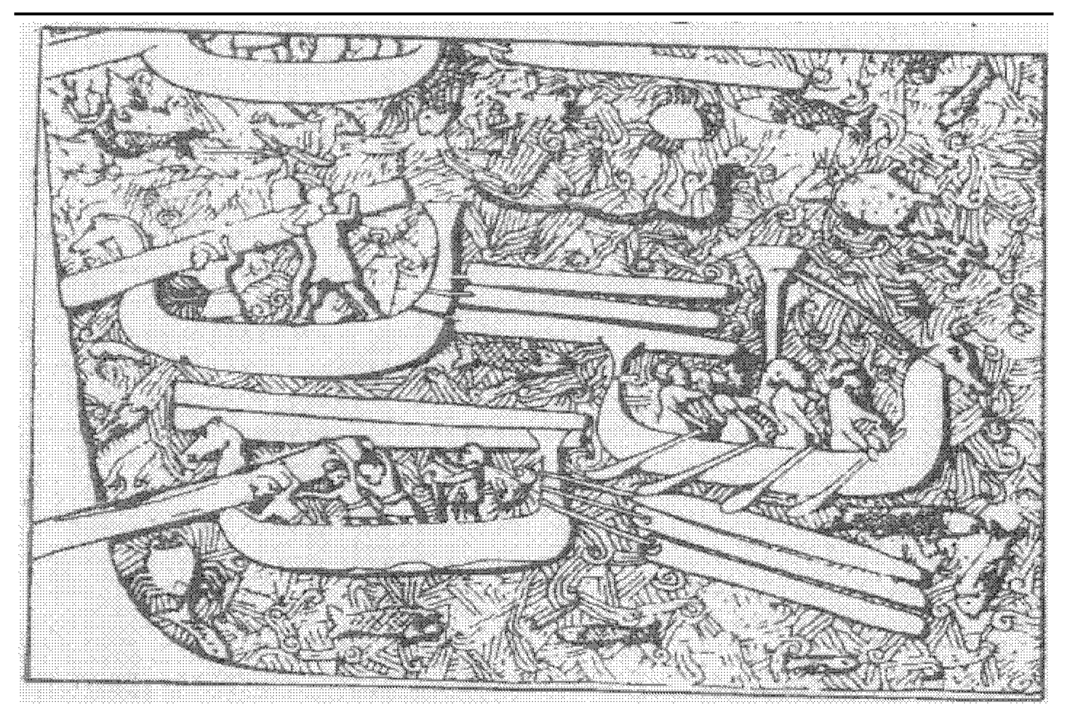
إن الكنعانيين إجمالا سبقوا أمم العالم طرا في نشر أرقى ديانات الأمم السامية الوثنية، لذلك كان تأثيرهم الدينى لا يقل عن تأثيرهم العلمى والصناعى، ففى ذلك يقول الدكتور ولفنسون: " وللكنعانيين عدا تأثيرهم العلمى والصناعى على العالم المتمدن فضل عظيم آخر هو تأثيرهم الدينى في جميع الأمم السامية، فقد كانت ديانتهم أرقى ديانات الأمم السامية الوثنية لذلك تأثرت بها ديانات بابل وورث الأراميون والإسرائيليون والعرب هذا التأثير " (١).

و ـ بلاد كنعان في النصوص المصرية القديمة:

إن بلاد كنعان عدا تميزها بموقعها الجغرافى في عالم التجارة بين الشرق والغرب كانت تتميز أيضا بموقع استراتيجى هام أيضا، إذ كانت أشبه بالجسر الذي يترتب على كل فاتح من الشرق أراد غزو مصر، أو على عكس ذلك على كل فاتح من مصر أراد غزو الشرق الأدنى، أن يعبر هذا الجسر، لذلك كانت مصر وهى أقرب دولة حضارية إليها، أولى الدول التي أقامت اتصالات مع بلاد كنعان، وأقدم ما وصل إلينا من أخبار فراعنة مصر عن هذا الاتصال هو الكتابة التي عثر عليها من عهد الفرعون " سنيفرو " أول ملوك السلالة الرابعة (حوالى ٢٧٠٠ ق. م) (٢) والتى تشير إلى شحن أربعين سفينة من خشب الأرز اللبنانى إلى مصر، وقد سجلت هذه الكتابة على لوح من الحجر الأسود (الديواريت). ثم تطورت هذه الاتصالات التجارية السلمية إلى تدخل مصر سياسيا وعسكريا في شئون هذه الأقطار بغية بسط نفوذها عليها.

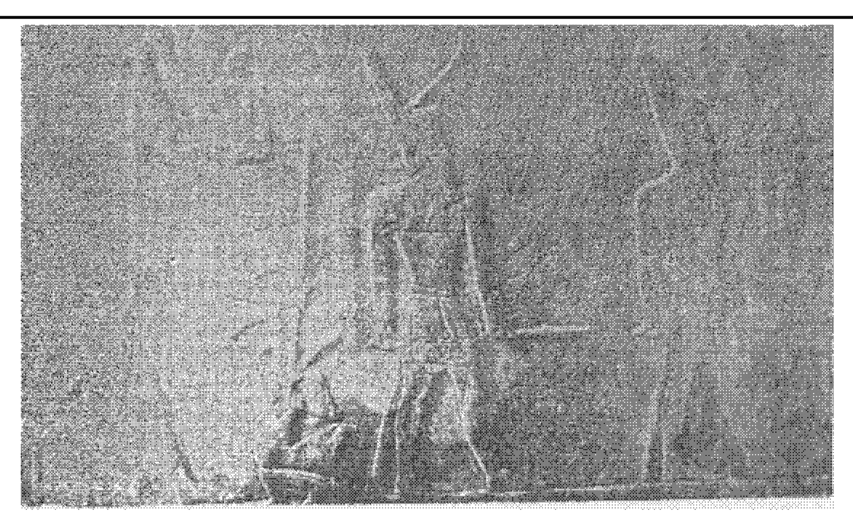
(١) ولفنسون " تاريخ اللغات السامية "، ص ٥٣.

(2) W.B. Emery, "Archaic Egypt", 1967, p. 21.



التصوير رقم (٥)
أسطول تجارى فينيقى أثناء تحميله بجزوع الأشجار

وأقدم ذكر لحملات المصريين على بلاد كنعان ورد في كتابة عثر عليها من عهد الفرعون بيبى الأول ثالث ملوك السلالة السادسة (حوالى ٢٣٥٠ ق. م) وهى منقوشة على قبر قائد إحدى هذه الحملات، وهو يدعى " أونى " الذي دون أخبار انتصاراته على جماعات البدو التي كانت تهاجم الكنعانيين، وهناك ما يدل على أن مصر تمكنت من بسط نفوذها على جميع بلاد كنعان في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، إلا أنها لم تحاول تمصيرها بل اكتفت بتحصيل الجزية من سكانها، وتركت السكان يمارسون عاداتهم ودياناتهم من غير أن يتدخلوا في شئونهم الاجتماعية الأخرى، بل كانوا ينجدونهم في حروبهم مع أعدائهم، وقد جاء في الكتابات المصرية القديمة أيضا أن الملك سيزوستريس الثالث (السلالة الثانية عشرة) صعد على أرض كنعان في حوالى سنة ١٨٥٠ ق.م واستولى على المدينة.



التصوير رقم (٦)
الملك المصري " سخمخت " (Sekhemkhet) أحد فراعنة السلالة التالية (٢٦٨٦ - ٢٦١٣ ق. م) يجلد رئيس قبيلة آسوية
من مسلة عثر عليها سنة ١٩٥٤ في سقارة المسماة (س ك م ن) وقد رجح البعض أن المقصود بها مدينة " شكيم " حاليا [١].

ومن أهم الوثائق التي عثر عليها المنقبون وثيقة بالغة الأهمية ترجع إلى عهد سنوسرت الأول (١٩٧١ - ١٩٢٨ ق. م) تضمنت وصفا مسهبا لبلاد كنعان كان قد دونه أحد كبار حاشية القصر الفرعونى المدعو " سينوهى " والظاهر أن " سينوهى " هذا كان قد ورط نفسه في مؤامرة سياسية اضطر على أثرها إلى مغادرة مصر فقصد بلاد كنعان متخفيا، فهو يصف أولا الطريق الذي سلكه باتجاه قناة السويس الحالية وبر ساحل البحر حتى وصل إلى بلاد الفينيقيين (بلدة بيبلوس - جبيل) ومنها اتجه إلى " قدمة " في الصحراء الواقعة شرقى دمشق حيث قضى ١٨ شهرا، وفى شمال فلسطين استضاف رئيسا من رؤساء عشائر العموريين فرحب به بعد أن تعرف على شخصيته ودعاه ليسكن معهم قائلا: " إن مصر بلد جميل ولكن إذا بقيت معنا فسوف تجد بلدنا جميلا أيضا " فوافق " سينوهى " على البقاء في ديارهم حيث حظى بعناية تامة من " عمى إنشى " رئيس القبيلة الذي زوجه من ابنته الكبرى وجعله زعيما للقبيلة، فصارت له بساتين وحقول ومواشى، كما صار له أولاد، شارك هو وأولاده في حروب القبيلة وعزواتها، فأصبح بذلك مندمجا كليا بالحياة القبلية المتسمة بالنزاع الدائم بين أهل

(1) T. H. Caster, “Enc. Brit”, vol. 4, 1955, P. 727.

المدر (الزراع) وأهل الوبر (الرعاة) وبين جموع الغزاة من البدو والذين ليس لهم مقر ثابت، وهنا يصف " سينوهى " الحياة الشاقة التي عاشها في هذا المحيط الخشن حتى داهمته الشيخوخة فأخذ يحن إلى وطنه الأصلى، ويذكر في آخر القصة كيف أن الفرعون سنوسرت وجه إليه كتابا يدعوه فيه للعودة إلى وطنه ندونه أدناه لأهميته حيث يظهر لنا ناحية من نواحى التفكير الدينى السائد في تلك الأزمان، وهذا نص الخطاب كما ورد في القصة: "... استعد للعودة إلى مصر كى تشاهد مرة أخرى القصى الذي نشأت فيه فتقبل التراب أمام البوابتين العظيمتين، تذكر اليوم الذي ستدفن فيه ويشيعك الناس بأبهة وتعظيم حيث تدهن بالزيت قبل بزوغ الفجر وتلف بالقماش فتباركك الآلهة (تيت) [١] وسوف تشيعك الجماهير في يوم حفلة الدفن ويكون كفنك من الذهب المزين باللازورد وسوف يوضع جثمانك على نعش تجره الثيران وتتقدمه جوقة المقرئين وسوف يرقص الناس رقصة الأقزام على مدخل قبرك، وتتلى الصلوات القربانية من أجلك، وسوف تبنى أعمدة قبرك بالحجارة بين قبور العائلة المالكة، ويجب أن لا يكون رقودك على أرض غريبة يدفنك فيها الأسيويون (أهل آسيا) الذين يلفونك (أى يلفون جثمانك) داخل جلود الغنم ". ولما تسلم سنيوهى هذا الخطاب طار من الفرح والابتهاج وقرر العودة على الفور فقام بتصفية ملكيته بين أولاده ونصب أكبرهم زعيما على القبيلة التي كان يتزعمها، وقد اصطحبه عند مغادرته بلاد كنعان جمع غفير من أبناء عشيرته إلى نقطة الحدود المصرية، ومن هناك اصطحبه رجال الحكومة الفرعونية إلى العاصمة " ممفيس " ويمضى " سينوهى " فيقول: " وجدت جلالته جالسا على العرش العظيم في القاعة الذهبية الفضية، ثم دخلت عائلة الملك إلى القاعة، فقال الملك للملكة: انظر هو ذا سينوهى يعود إلينا أسيويا بعد أن أصبح بدويا، فصرخت الملكة والأمراء أولادها، بصوت عال قائلين لجلالته بصوت واحد: بالحقيقة لا يمكن أن يكون هذا سينوهى يا جلالة الملك. فأجابهم قائلا: بلى إنه هو بالفعل ".

وأخيرا يختتم " سينوهى " قصته بقوله: " نقلت إلى عمارة ملكية حيث كانت توجد أشياء عجيبة: هناك حمام وأشياء أخرى من بيت الخزينة الملكية، وكانت توجد ملابس من الحرير الملكى كلها معطرة بالمر والعطور الفخمة الزكية، وكان هناك خدم ممتازون من خدم الملوك موزعون على الغرف كما كان هناك

(١) المقصود بذلك إجراء عملية التحنيط.

طباخون ماهرون، وكان كل من هؤلاء يؤدى مهمته بدقة، فالسنون التي طويتها أكلت جسدى، حلقت ذقني ومشطت شعرى، ونفضت عني الغبار الثقيل (الأوساخ) ونزعت الثياب الخشنة - ثياب (جوالى الرمال) - وارتديت ثيابا من الحرير مكانها وتعطرت بأحسن العطور الموجودة في البلد، واضطجعت مرة أخرى على سرير، وهكذا عشت معززا مكرما في بيت الملك حتى آن الأوان لأهجر هذه الحياة [١].

وتتجلى هذه القصة بصورة واضحة المقارنة بين الحضارة الريفية البدوية الخشنة التي كان يعيشها الكنعانيون المتأثرون بالمحيط البدوى وبين الحضارة المدنية المصرية ذات الترف والعيش الرغيد، ومن غريب الصدق أن " سينوهى " يستعمل عندما يصف أرض كنعان نفس العبارات التي استعملتها التوراة في وصفها بعد ألف وخمسمائة عام: " أرض جيدة وواسعة، إلى أرض تفيض لبنا وعسلا " [٢]، أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان، أرض زيتون وعسل " [٣]، والظاهر أن قصة " سينوهى " كانت من القصص المحببة لدى المصريين حيث وجد منها نسخ كثيرة مما يدل على أنها كانت واسعة الانتشار في تلك الأزمان.

ومن أهم ما تركه فراعنة مصر القدماء من الأوصاف لبلاد كنعان أيضا، كتابات الفاتح المصرى الشهير تحوطمس الثالث (١٥٠٣ - ١٤٤٩ ق. م)، وذلك في أعقاب طرد المصريين للهكسوس من بلادهم [٤]، فورد في مدوناته أنه قام بسبع عشرة حملة على سورية وفلسطين، فامتدت تخوم فتوحاته في الشرق إلى جبال الأمانوس شمالا، ويعد البعض تحوطمس هذا أعظم فراعنة مصر في تاريخها القديم، وقد دام حكمه ٥٤ سنة منها الاثنتا عشرة سنة الأولى حكمت عنه والدته الوصية على العرش لصغر سنه عندما اعتلى العرش، ومما ورد في كتاباته جدول بأسماء ١١٨ مدينة يعتقد أنها المدن التي افتتحها في بلاد كنعان.

والظاهر أن دويلات كنعان أصبحت في معظم تلك الأدوار أشبه بمحميات

(١) ترجمة وتلخيص من كتاب كيللر " التوراة كتاريخ ".
Keller, “The Bible as History”, PP. 15 - 19.

(٢) (خر، ٣: ٨).

(٣) (تث، ٨: ٨ - ٩).

(٤) انظر: ما يلى عن (الهكسوس).

مصرية توثقت صلاتها مع مصر باتفاقيات لحمايتها من غزوات البدو، وتدلنا المدونات المصرية القديمة على أن ملوك هذه الدويلات كثيرا ما كانوا يستنجدون بفراعنة مصر لإرسال نجدات لحمايتهم من غزوات (العبيرو) [١]، إذ عصر على عدد من الرسائل من بعض ملوك كنعان ترجع إلى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد بهذا المعنى.



التصوير رقم (٧)
الفاتح المصرى الشهير الملك تحوطمس الثالث
(١٥٠٣ – ١٤٤٩ ق. م) (عن ماريسون، " التوراة صحيحة " ص ١٨٢)

ز ـ بلاد كنعان في النصوص القديمة الأخرى:

ومع أن هناك نصوصا قديمة من الكنعانيين عثر عليها في سيناء، وهى ترجع إلى النصف الأول من الألف الثانية قبل الميلاد، إلا أن هذه النصوص لا يمكن الاعتماد عليها كمصدر تاريخى لغموضها، لذلك تعتبر الكتابات التي عثر عليها في أوغاريث، البلدة الفينيقية الشمالية [٢] والتى ترجع إلى بداية النصف الثانى من الألف الثانية قبل الميلاد، أقدم المصادر وأوثقها في بحث تاريخ بلاد كنعان القديم، ثم تليها النصوص الموآبية والأدومية والعمونية وبخاصة الفينيقية المنتشرة عن طريق التجارة خارجيا، وهى أكثر عددا ووضوحا.

فقد اكتشفت في أوغاريث مدونات كثيرة بغير اللغة الأوغاريثية منها بالأكدية

(١) انظر: ما يلى عن " العبيرو " في فصل الخامس.
(٢) راجع الدكتور أنيس فريحة: " ملاحم وأساطير من أوغاريث " بيروت، ١٩٦٦.

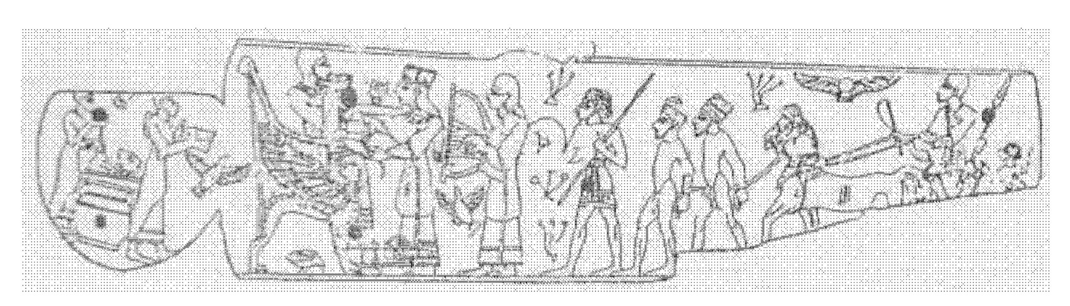
والحورية والحيثية، وهذه كشفت عن كثير من المعلومات التاريخية حول حياة الكنعانيين وثقافتهم كانت قبل اكتشاف هذه النصوص غامضة، وأهم ما عثر عليه من هذه الكتابات المجموعة الواسعة من وثائق ملوك أوغاريث التي تحتوى على مراسلات ملوكها مع ملوك الحيثيين والمصريين وغيرهم ترجع إلى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد، هذا وفى الوثائق الملكية التي وجدت في " مارى " والمراسلات الملكية التي وجدت في " تل العمارنة " في مصر وأخبار التوراة وغيرها من المصادر البابلية والأشورية والحيثية ما يزود الباحث بالعديد من المراجع عن تاريخ الكنعانيين في عصور ما قبل حملة موسى على فلسطين (١).

---

(١) انظر المراجع التالية عن كنعان والكنعانين:

S.Moscati, “Ancient Semitic Civilizations”, Chap. V, “The Canaanites”, pp. 99 - 123; G.R. Driver “Canaanite Myths and Legends”, Edinburg, 1956; W.F. Albright, “The Role of the Canaanites in the History of Civilization”, 1942; Ph. Hitti, “History of Syria”. Chapt VIII, “The Canaanites”, pp. 79 - 96; R. Dussaud. “La Penetration des Arabes en Syria avant 1’Islam”. Paris, 1955; T.H. Gaster, “Canaanites”, Ency Brit, Vol IV, 1965, ed., pp. 726 - 728 (with map and vivliography); D. Diringer, “The Alphabet. Akey to the History of Mankind”. 1948, 2nd. Ed., see Chap III, “Canaanite Branch.” pp. 235 - 252; Z.S. Harris, “Ras Shamra: Canaanite Civilization and Language”. The Smithsonian Report for 1937 (Publication 3474), pp. 479 - 502; Lods, “Israel from its beginnings of the middle of the eighth cent” (Translated by S.H. Hooke). London, 1932, See: Part I, “Canaan before the Israelite settlement”, pp. 37 - 149; J.Gray, “The Legacy of Canaan”. Leiden. 1957; C.H. Gordon, “Ugaritic Literature” ; R. Largement, “La Religion Cananeenne”. In M Brillant - R - Aigrain, “Historie des Religions”. Iv. Tournai 1956, pp. 177 - 199.

مجموعة من آثار الحضارة الكنعانية



التصوير رقم (٨)

أمير كنعانى من مجدو القرن ١٤ ق.م

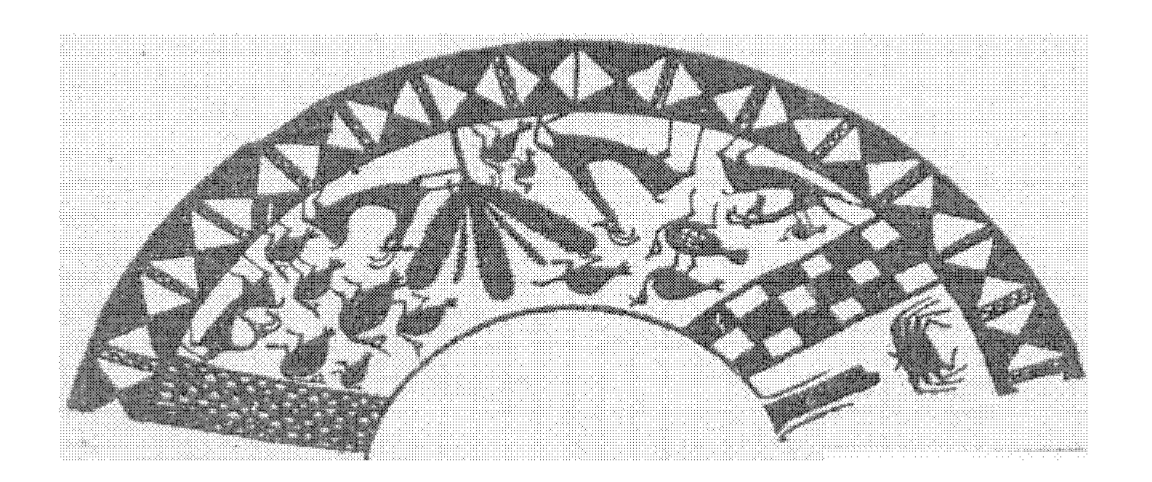
نقش يمثل الأمير جالسا على عرشه ومن حوله حاشيته: الساقى يقدم له الشراب، ضارب القيثارة يضرب على قيثارته بينما وقف حارسه الخاص على أهبة الاستعداد. في مقدمة الصورة الخدم يهيئون الشراب بينما ظهرت في مؤخرتها العربة الملكية.

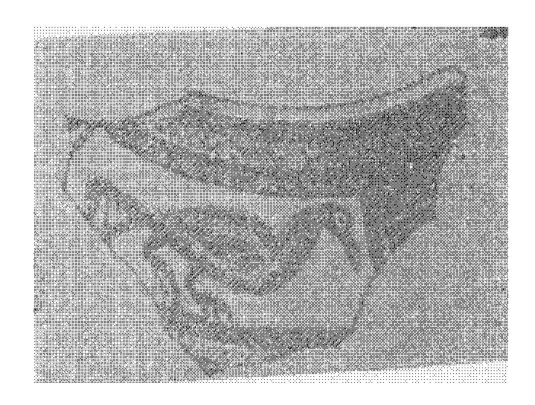


التصوير رقم (٩)

فتاة كنعانية من مجدو. القرن ١٣ ق. م

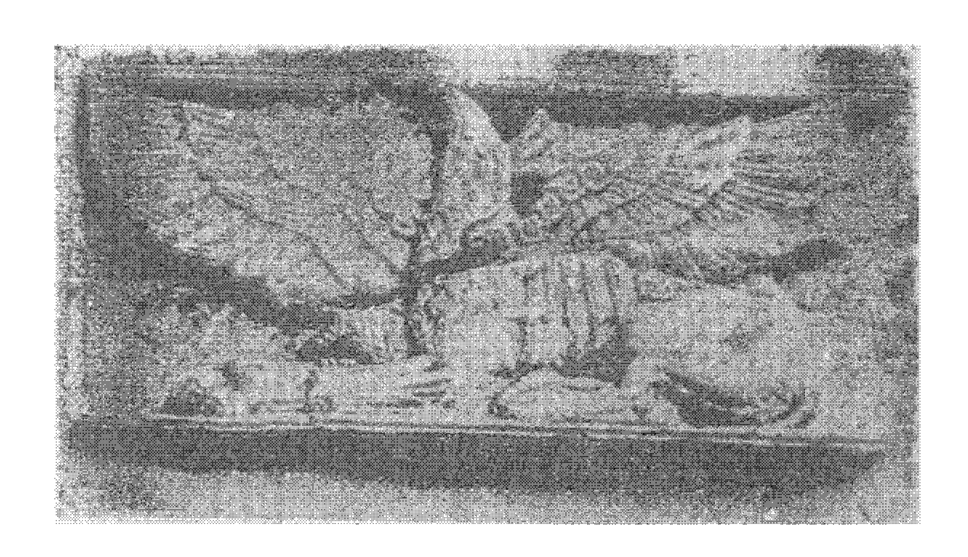
لوح تخيلى من العاج على أساس البقايا العاجية التي عثر عليها في حفريات مجدو (عن عوردن كود، " عاجيات مجدو " جامعة شيكاغو)



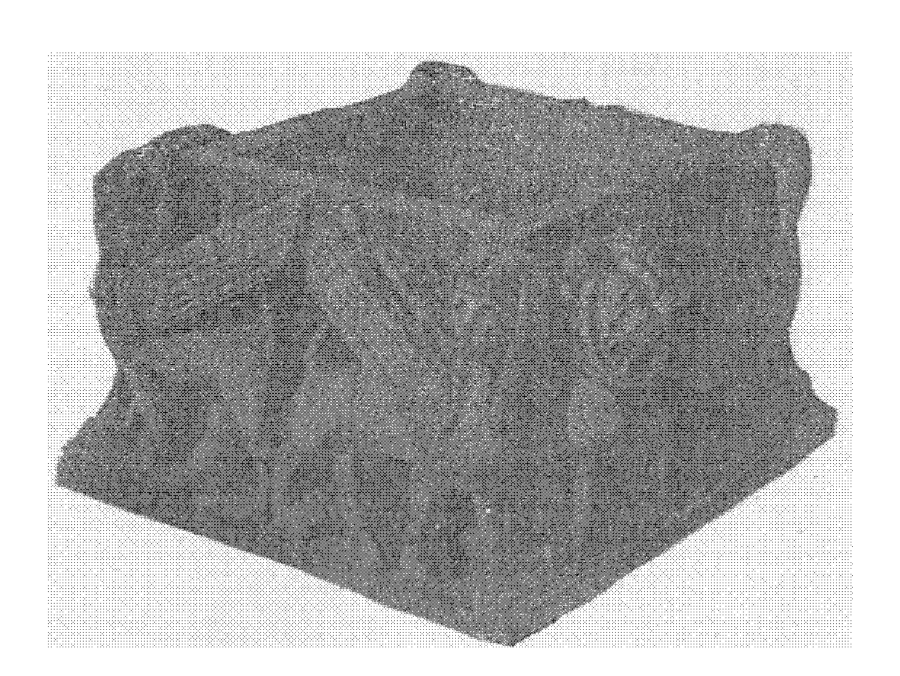




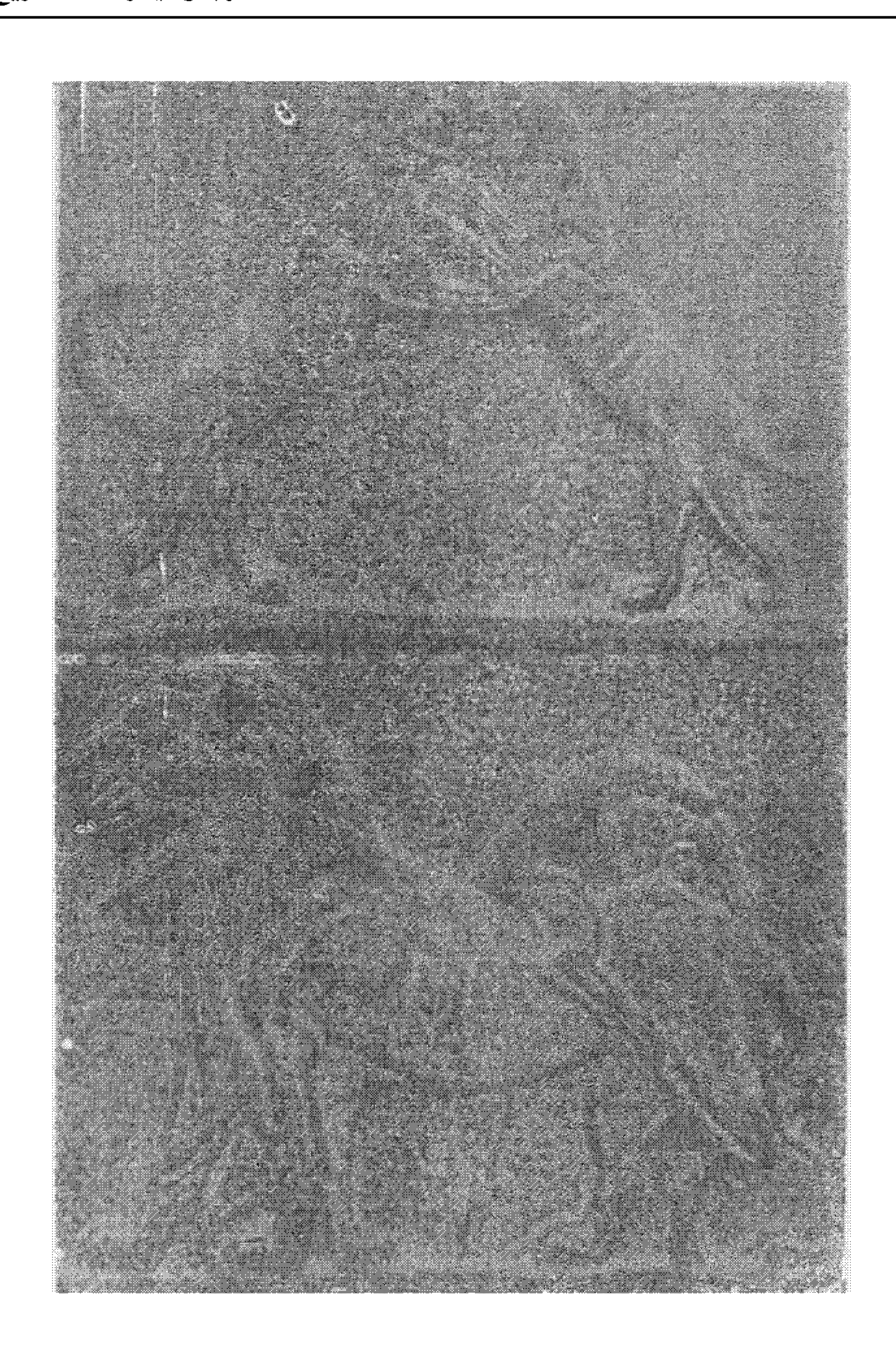
التصوير المرقمة (١٠، ١١، ١٢)
نماذج من الخزف الكنعانى المبكر
الرسم ١٢ يعود إلى حوالى ٣٠٠٠ ق. م



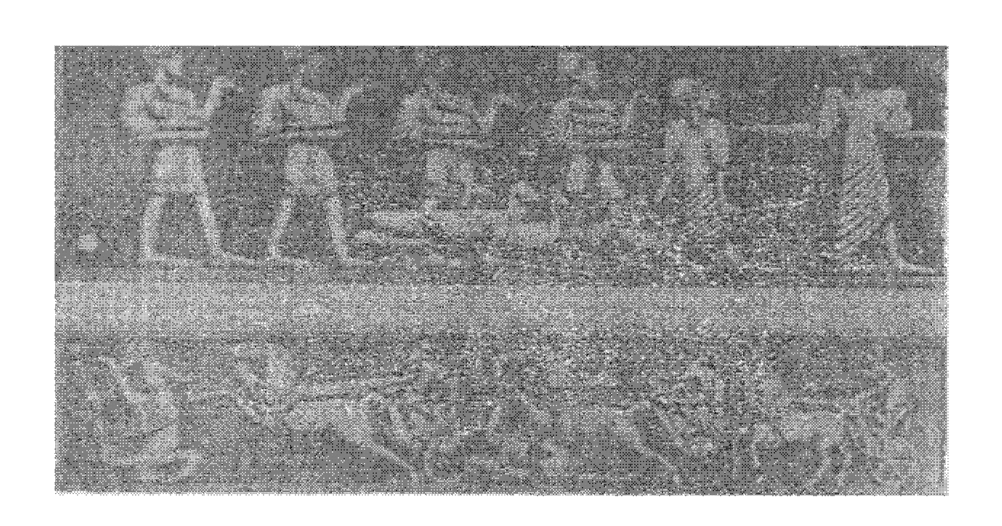
التصوير رقم (١٣)
لوح من العاج يمثل عقابا - من آثار مجدو - القرن ١٣ ق. م
عثر على هذا اللوح شبه مكتمل، عن كاتلين كبنيون " آثار الأرض المقدسة "



التصوير رقم (١٤)
علبة من العاج تحمل نقوشا بارزة تمثل " أبا هول " وبعض السباع - من آثار مجدو القرن ١٣ ق. م (عن كاتلين كبنيون " آثار الأرض المقدسة ")



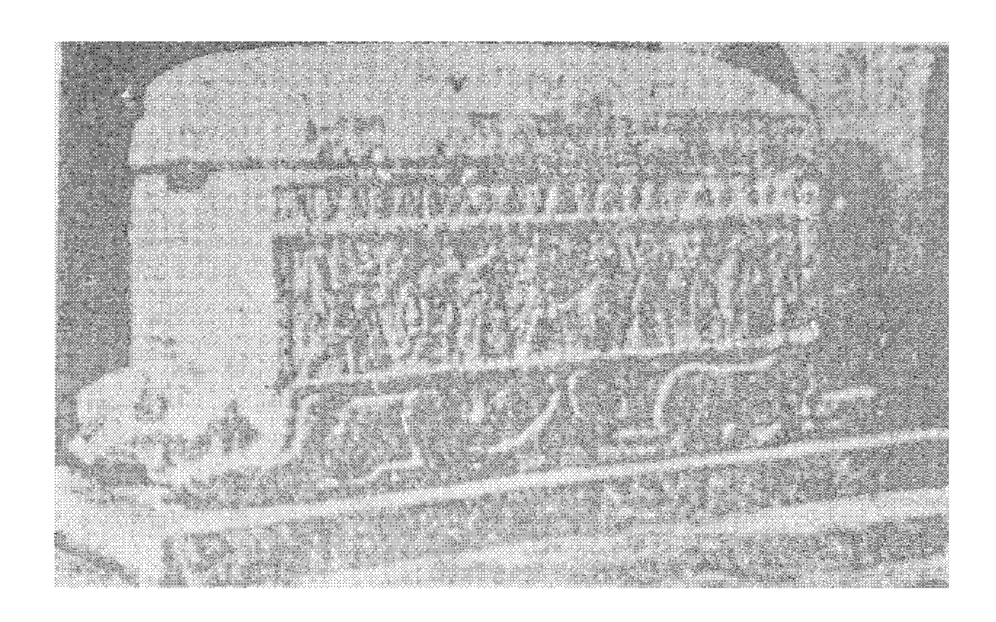
التصوير رقم (١٥)
لوح من حجر البازلت يمثل معركة أسطورية بين سارق المعبد وحارسه الأسطوريين على هيئة أسد وكلب من آثار معبد الإله " ميكال "، في بيت شان - القرن ١٥ ق. م



التصوير رقم (١٦)
نقوش على العاج - من آثار بلدة مجدو
يمثل القسم الأعلى منظر لبعض الأشخاص والأوز، ويمثل القسم الأسفل: معركة بالعربات



التصوير رقم (١٧)
لوح من العاج يمثل صورة " أبو الهول " الكنعانى من مجدو
(عن كاتلين كبنيون، " آثار الأرض المقدسة ")



التصوير رقم (١٨)

تابوت حجرى لجثمان الملك أحيرام ملك بيبلوس (جبيل) يرجع تاريخه إلى حوالى ١٠٠٠ ق. م

يشاهد في الواجهة الملك أحيرام على عرشه تحيط به الآلهة وهو يحمل بيده كأسا وبعض الزهور، ويشاهد أمامه خادم يحمل منديلا بيد ويطرد الذباب باليد الأخرى من فوق مائدة طعام، وهناك خادمان يحملان الطعام يتبعهما أشخاص يمارسون طقوسا دينية، وعلى هذا التابوت كتابة فينيقية بها من يحاول غزو بيبلوس وإزالة هذا التابوت بالدمار والهلاك.



التصوير رقم (١٩)

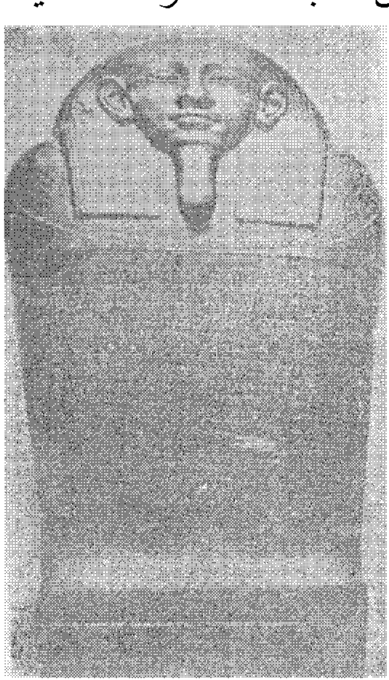
مسلة الإله " إيل " من أوغاريت – المتحف الوطنى بدمشق

وتمثل الإله " إيل " جالسا على عرشه وهو يتقبل هدايا ملك أوغاريت



التصوير رقم (٢٠)
مسلة الإله " بعل " من أغاريت القرن ١٥ ق.م

وهى تمثل الإله يشهر بيده اليمنى هراوة ضخمة بينما يقبض باليسرى على صاعقة وتمسك يده الثالثة رأس ملك أوغاريت مشيرا بذلك إلى حمايته له وتهديد كل من يتجاسر عليه. (عن كتاب " الحضارات السامية القديمة " ص ١٢٢)

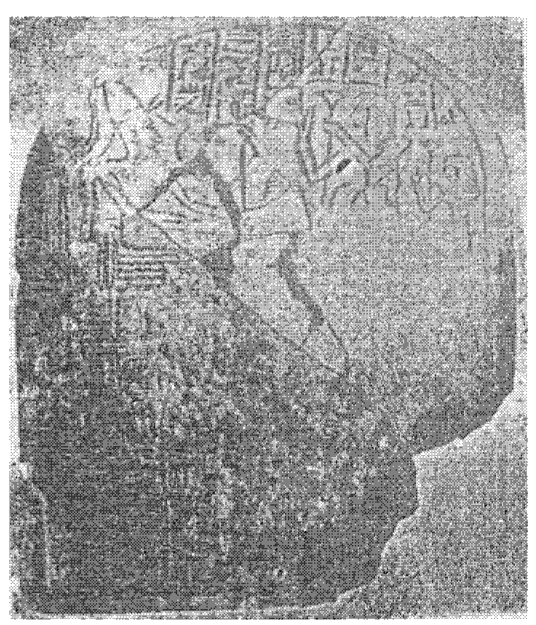


التصوير رقم (٢١)
تابوت من الحجر الجيرى لجثمان الملك أشمون عازار ملك صيدون في فينيقية

يرجع تاريخه إلى القرن الثالث قبل الميلاد وهو الآن في متحف اللوفر في باريس عن حتى " لبنان في التاريخ " الطبعة الإنجليزية، ص ١٦٩)

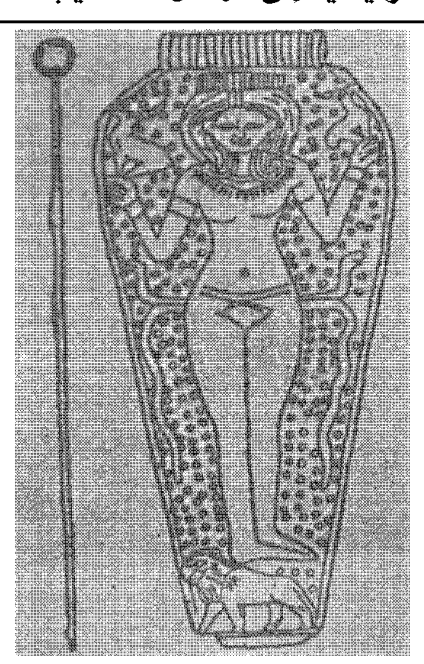


التصوير رقم (٢٢)
إلهة الخصب الكنعانية من آثار أوغاريت

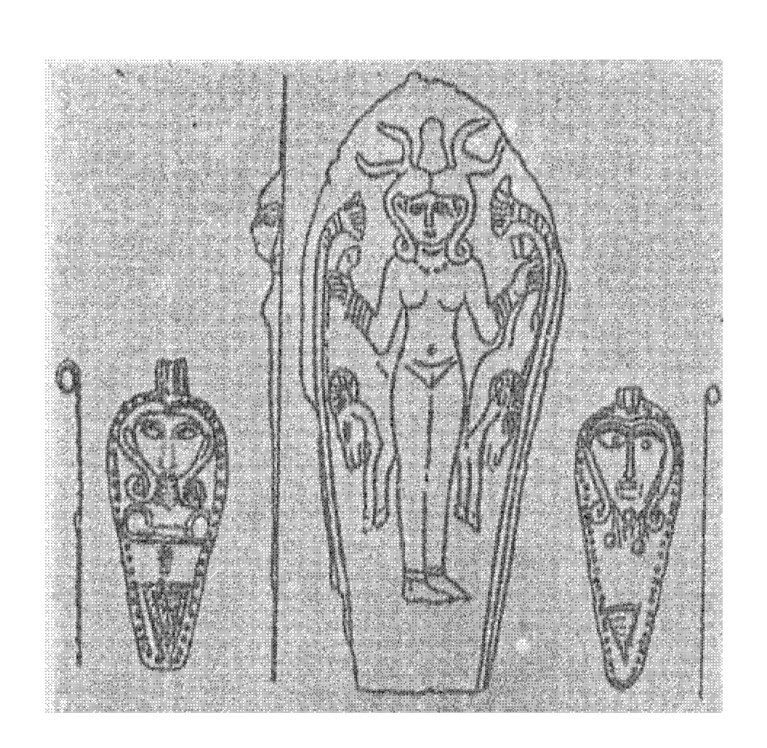


التصوير رقم (٢٣)
مسلة الإله " ميكال " إله بيت شان الكنعانية

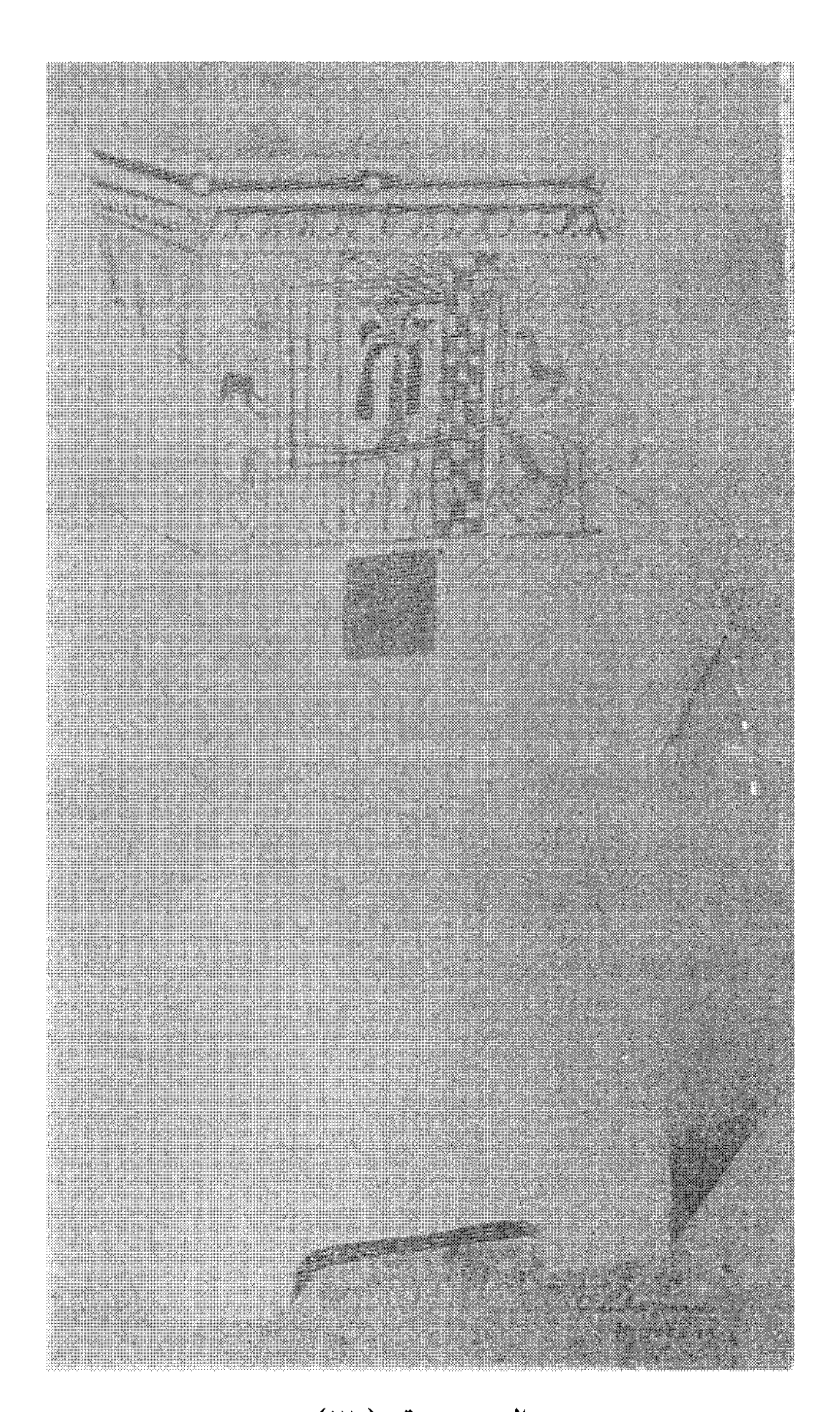
عثر عليها في ملحق المعبد الكبير الذي يرجع تاريخه إلى عهد تحوتمس الثالث (١٤٧٩ - ١٤٤٧ ق. م) يمثل الإله يلبس تاجا مخروطيا ويرتدى زيا مصريا وبيده صولجان (عن لودز، إسرائيل منذ البداية، ص ١٢٨).



التصوير رقم (٢٤)
آلهة الخصب الكنعانية واقفة على أسد وتصحبها حيتان



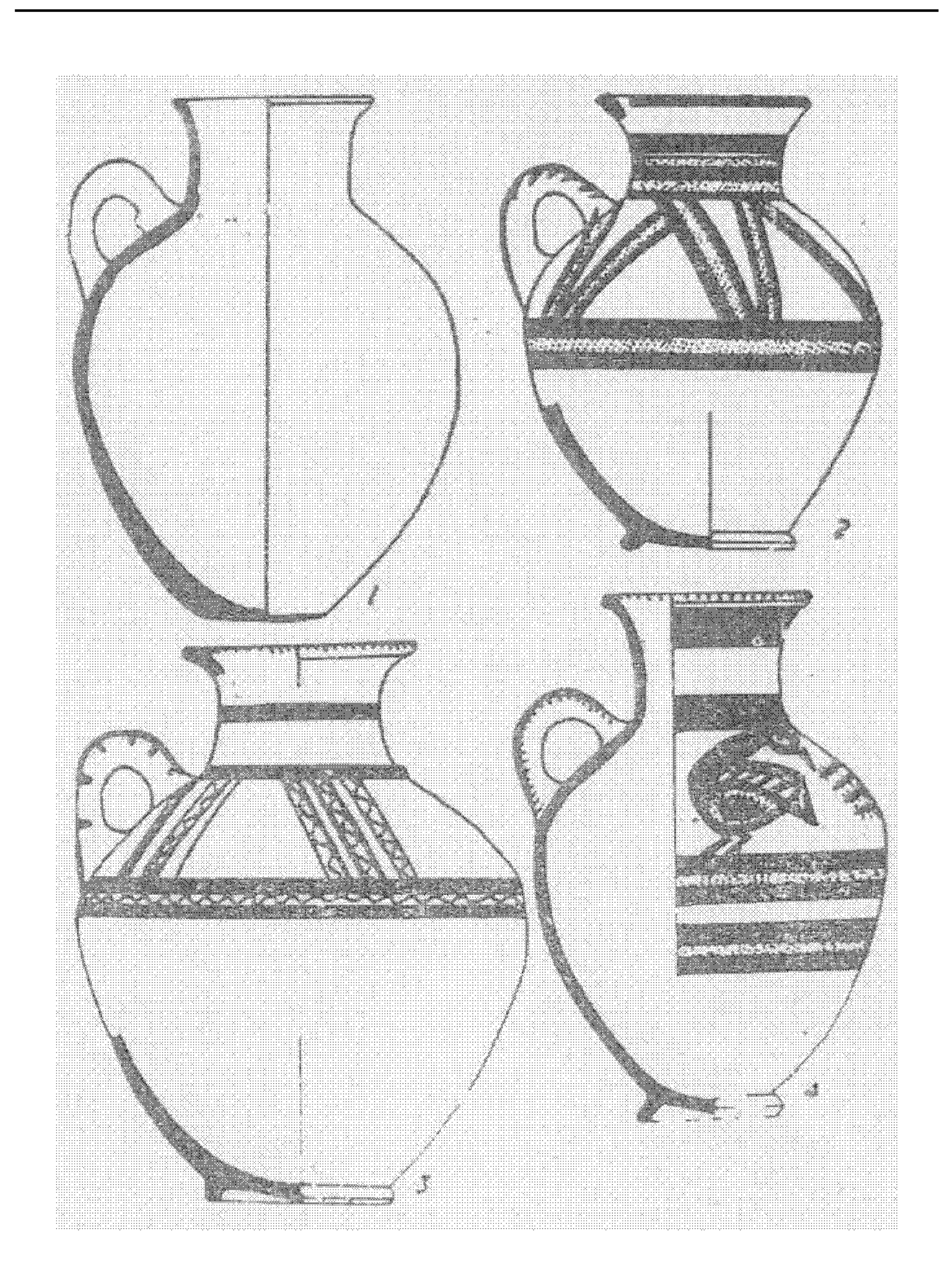
التصوير رقم (٢٥)
أقراط ذهبية لآلهة الخصب من أوغاريت عن شافرا "نصوص مسمارية من رأس شمر - أوغاريت" لندن ١٩٣٩



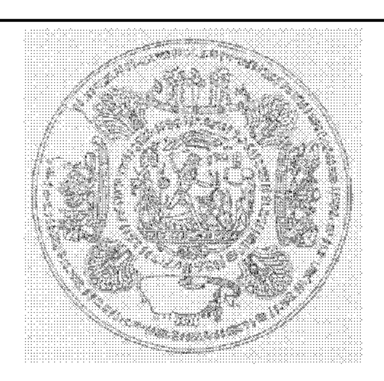
التصوير رقم (٢٦)

محراب كنعانى

عثر على هذا النقش الكنعانى تحت أطلال قصر بلدة " مجدو " في القسم الشمالى من كنعان يرجع تاريخه إلى حوالى القرن الرابع عشر قبل الميلاد.



التصوير رقم (٢٧)
نماذج من الخزف الكنعانى أواخر القرن السابع عشر قبل الميلاد
منقولة عن كاتبين كبينون " آثار الأرض المقدسة "، اللوحة ٤٧



التصوير رقم (٢٨)
كأس فينيقية من الفضة الخالصة، على الطراز المصرى
عثر على هذه الكأس التي تحمل اسم صاحبها أشمون عازار في مقبرة آل برنادينى في إيطاليا، عن هاردن " الفينيقيون " ص ١٧٩، التصوير رقم ٥٤)



التصوير رقم (٢٩)
كتابة فينيقية من تبة قرة " عن هاردن " الفينيقيون "، التصوير ٣٩)



التصوير رقم (٣٠)
مسلة ميلكياتون القرطاجنى – عن هاردن " الفينيقيون " التصوير ٤٥

٣ ـ هجرة العموريين العمالقة إلى فلسطين وسورية والعراق:

وهذه هى الهجرة الثانية الكبرى من جزيرة العرب، قامت بها الجماعات التي تسمت بالعموريين العمالقة في نفس الوقت الذي هاجر فيه الكنعانيون وربما قبلهم، فتمركزوا في بداية الأمر في الأقسام الشمالية من بلاد الشام ثم أخذوا ينتشرون في أواسط سورية وفى لبنان حتى امتدوا جنوبا إلى فلسطين، وقد أسسوا في وطنهم الجديد دولة " عمورو " أو " مارتو " في السومرية، أى بلاد الغرب، واتخذوا بلدة " مارى " عاصمة لهم. و " مارى " هذه هى المدينة العاشرة التي أسست بعد الطوفان تقع أطلالها على الضفة الغربية من نهر الفرات على مسافة حوالى ١٥ كيلو متر إلى الشمال من بلدة البوكمال وتعرف خرائبها اليوم باسم " تل الحريرى ".

وقد لعبت هذه المدينة دورا مهما في تاريخ الشرق الأدنى لما كانت تتمتع به من موقع ممتاز متوسط على طريق القوافل التجارية والمواصلات بين العراق وسورية وفلسطين ومصر، وهى المدينة التي مر بها سيدنا إبراهيم الخليل في هجرته من " أور " إلى " حاران " في القرن التاسع عشر قبل الميلاد.

أطلق البابليون تسمية " عمورو " على جميع بلاد سورية كما أطلقوا على البحر المتوسط اسم " بحر عمورو العظيم " ويرى بعض الخبراء أن العموريين كانوا قد انتشروا في جميع المنطقة الممتدة من ساحل البحر المتوسط إلى الفرات ومن ضمنها فلسطين منذ الألف الرابعة أو الخامسة قبل الميلاد (١).

ويشاهد اليوم مقابل " تل الحريرى " على الجانب الأيسر من نهر الفرات تل أثرى يسمى " تل باغوز " يرجع تاريخه إلى الألف السادسة قبل الميلاد، ومن المرجح أنه يمثل بقايا إحدى المستوطنات التي أقامها العموريون على ضفاف الفرات الشرقية بعد نزوحهم من شبه جزيرة العرب. ويبدو أن هذه المستعمرة السامية كانت تمارس الزراعة التي تعتمد على الرى مستمدة مياه الإرواء من الضفة اليسرى لنهر الخابور (خابور الفرات).

وقد كشفت التنقيبات الفرنسية التي أجريت في " تل الحريرى " منذ

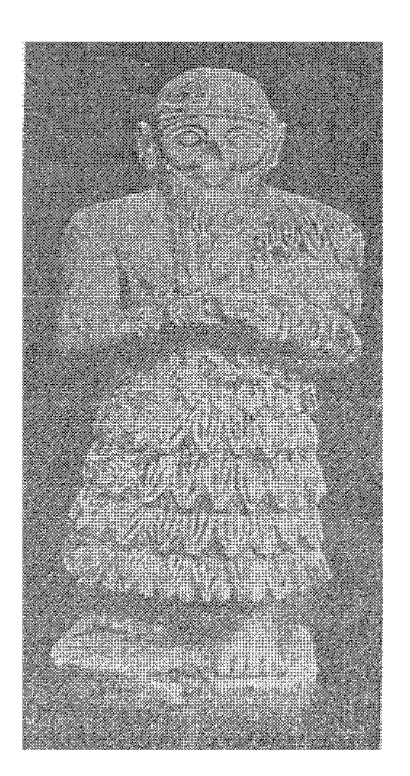
---

(١) أنظر:

A.T.Clay, “Amuru The Home of the Northern Semites”, 1990; “The Empire of the Amorites”, 1919.

عام ١٩٣٣ عن آثار حضارة واردى الرافدين من عصور ما قبل التاريخ ومن عصر فجر السلالات في الألف الثالثة قبل الميلاد حيث وجدت تماثيل سومرية ومعبد للإلهة " عشتار ". كما كشفت عن برج مدرج وقصر عظيم من العهد البابلى القديم من القرن العشرين قبل الميلاد يحتوى على ٣٠٠ غرفة وقاعة واسعة مساحتها تربو على ١٥ دونما عراقيا، وقد عثر فيه على مجموعة من الألواح الطينية بلغ عددها حوالى ٢٤٠٠٠ لوح، وهى تشتمل على أنواع مهمة من الوثائق والسجلات الملكية الخاصة بآخر ملك من سلالة مارى العمورية المدعو " رمزى - ليم " (١٧٧٩ - ١٧٦١ ق. م). وقد كان لعثور المنقبين على هذه الألواح نتائج مهمة في الكشف عن تاريخ بلاد الشام والشرق الأدنى وعن دور العموريين في الألف الثانية قبل الميلاد.

وقد أظهرت التنقيبات الأثارية أن سلالة سومرية بزعامة لوكال زاكيزى ملك الوركاء (٢٤٠٠ - ٢٣٧١ ق. م) حكمت في " مارى " قبيل احتلالها من قبل سرجون الأكدى (٢٣٧١ - ٢٣١٦ ق. م). وقد تمكن العموريون بعد سقوط الامبراطورية الأكدية (سنة ٢٢٣٠ ق. م) أن يتغلغلوا في سورية الوسطى وفى لبنان، ثم أسسوا بين سنة ٢١٠٠ و ١٨٠٠ ق. م عدة دويلات في وادى الرافدين تمتد من أشور شمالا إلى " لارسا " جنوبا، منها سلالة إيسن التي قامت على أنقاض سلالة أور الثالثة وقد ظلت هذه الدويلات مزدهرة إلى أن قضت على استقلالها سلالة بابل الأولى التي اشتهرت بإمبراطورية حمورابى صاحب الشريعة المشهورة وهى من أصل عمورى أيضا، ويرجح أن السلالة المهمة التي تأسست في بلاد آشور واشتهرت بملكها " شمسى أدد " (١٨١٤ - ١٧٨٢ ق. م) أصلها من العموريين أيضا، ثم استعادت الدويلات العمورية استقلالها بعد سقوط سلالة بابل الأولى وظلت كذلك إلى زمن الإمبراطورية المصرية (١٥٨٠ - ١٠٨٥ ق. م)، ففى هذا العهد دخلت تحت النفوذ المصرى وهو العهد الذي بلغ فيه التنازع بين دول الشرق الأدنى أشده بين المصريين والبابليين والأشوريين والحيثيين.



التصوير رقم (٣١)
الملك لانكى مارى ملك مارى العمورية (حوالى سنة ٢٥٠٠ ق.م)
كيللر " التوراة كتاريخ "، ص ٣٢

وكانت لغة العموريين من اللغات السامية الغربية وهى شبيهة باللهجة الكنعانية والفينيقية الغربية، أما الألواح التي عثر عليها في قصر الملك " زمرى - ليم " فقد كتبت بالخط المسمارى وباللغة الأكدية ولكن لهجتها تميل إلى السامية الشمالية الغربية.

أما ديانة العموريين فكانت متشابهة إلى حد بعيد مع الديانات السائدة في بادية الشام وجزيرة العرب، وكان طبيعيا أن يقدس العموريين في وطنهم الجديد مصدر حياتهم ووجودهم، وهو نهر الفرات، فمن أقدس آلهتهم التي عبدوها إلهة المياه والينابيع وقد عثر على تمثالها في حفار " مارى " وهو موجود في متحف حلب (انظر التصوير رقم ٣٢).

وتشاهد الإلهة في هذا التمثال وهى مرتدية ثوبا طويلا يستر جسمها ولا يظهر منه سوى مقدمة القدمين والثوب مموج يشير إلى تموجات الماء ومجرى النهر، وقد مسكت الإلهة بيدها كأسا تنبجس منها المياه رمز الحياة والخصب

وعلى رأسها عمامة وفى جيدها طوق وفى معصميها سواران [١]، ويعد هذا التمثال من أهم مجموعات النحت العمورى في بلاد الرافدين.



التصوير رقم (٣٢)
إلهة المياه والينابيع العمورية من آثار بلدة مارى
(منقولة عن المتحف الوطنى بدمشق)

وكانت عبادة الماء عن طريق الآلهة معروفة منذ أقدم الأزمنة في الشرق فقد أله المصريون النيل ودعوه " أوسيرس " وعبد الساميون في العراق الإله " إيا " إله المياه واتخذوا الرافدين، دجلة والفرات شعارا مقدسا، ويتألف هذا الشعار من كأس يتدفق منها مجريان رئيسيان يتكون كل منهما من ثلاثة فروع يعتقد أنها تمثل الروافد الرئيسية الثلاثة التي تنصب في كل من نهرى دجلة والفرات، أما العين الفوّارة فهى تمثل منبع دجلة والفرات حيث كان السومريون يتصورون أن دجلة والفران ينبعان من منبع واحد (انظر التصوير رقم ٣٣) [٢].

وقد عثر في حفائر " مارى " على لوح ظهر فيه نقش لزمرى - ليم آخر

(١) " الماء في حياتنا وتراثنا ": للمحامى عبد القادر عياش، دير الزور، ١٩٦٩.
(٢) انظر: " الرى والحضارة في وادى الرافدين "، (الإناء الفوار)، ص ١٥٧ - ١٧٨.

ملوك مارى مع إلهتين تحمل كل منهما بيدها نفس الإناء الفوار العراقى الذي ينبع منه النهران: دجلة والفرات [1].



التصوير رقم (٣٣)
شعار الرافدين " دجلة والفرات " عند البابليين

ومن أهم ما خلده العموريون في تاريخهم القديم تأسيسهم بعد استقرارهم في العراق الإمبراطورية البابلية القديمة (سلالة بابل الأولى) التي اشتهرت بملكها السادس حمورابى صاحب الشريعة المشهورة وقد دامت ثلاثة قرون (١٨٩٤ - ١٥٩٥ ق. م).



(1) Hitti, “History of Syria”, P. 69.

التصوير رقم (٣٤)
أسرى عموريون أخذهم المصريون في فتوحهم للشرق، حوالى القرن ١٣ ق.م
(عن كتاب " قصة التوراة "، ص ١٨٢)

٤ ـ هجرة الأراميين إلى سورية والعراق:

ومن الموجات السامية العربية التي أعقبت هجرة الكنعانيين والعموريين وتدفقت إلى أنحاء الهلال الخصيب موجة الجماعات التي تسمت بالأراميين نسبة إلى أرام بن سام بن نوح [١]، والمرجح أن اشتقاق كلمة إرم الواردة في القرآن الكريم من اسمهم[٢]، وقد جاءت كلمة " أرام " في التوراة مضافة إلى عدة أماكن يراد بها مستوطن أو قبيلة أو أرض عالية مثل " أرام صوبة " و " أرام النهرين " و " أرام دمشق "، و " فدان أرام " الخ. [٣] ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن مصطلح " أرام النهرين " أى بلاد ما بين النهرين كان يقصد به على ما ورد في التوراة الأقسام الشمالية من العراق وبالتحديد المنطقة الواقعة بين منبع البليخ أحد روافد نهر الفرات العليا وبين نهر الفرات والتي مركزها (حاران) (حران الحالية). وأول من ترجم هذا المصطلح إلى الإغريقية المؤرخ اليونانى المعروف بوليبيوس (٢٠٢ ـ ١٢٠ ق. م) فاستعمل كلمة " ميزوبوتاميا " التي صارت تطلق على ما يعرف اليوم بوادى الرافدين أى جميع القطر العراقى [٤]، ثم أطلق الأشوريون تسمية " أرام " على الجماعات التي وجدت في تلك المنطقة، ومن ثم عمت كل القبائل التي تنتسب إلى أصل واحد [٥].

وقد بدأ الأراميون يستقرون في منطقة الفرات الأوسط (الخابور ـ البليخ ـ الفرات) في أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد [٦]، وذلك بعد أن توغلوا في شمال جزيرة العرب وهنا نمت لغتهم وثقافتهم الخاصة بهم، وقد اقتبسوا الكثير من

---

(١) (تك. ١: ٢٢ ـ ٢٣)، (١ أخ، ١: ١٧).
(٢) طه باقر، " مقدمة في تاريخ الحضارات "، ج ٢، ص ٢٦٨.
(٣) (٢ ص م، ٨: ٣، ١٠: ٦)؛ (تك ٢٤: ١٠)؛ (٢ صم، ٨: ٥)؛ (تك، ٢٩: ٤، ٥)؛ (٢ صم، ١٠: ١٦).
(٤) الأستاذ طه باقر: " ملاحظات في جغرافية العراق "، مجلة الأقلام، العدد ١٠، أيلول ١٩٧٠، ص ١٥ ـ ١٦٠.
(٥) الأب البير أبونا " أدب اللغة الأرامية "، ص ١٢ ـ ١٣.
(6) Diringer, “The Alphabet”, 1948, P. 253.

العموريين والكنعانيين ومن الحضارات التي جاوروها ولاسيما حضارة وادى الرافدين والحيثيين، ولكنهم حافظوا على لغتهم ولهجتهم الخاصة بهم، ثم توغلوا في أطراف البلاد فأقاموا في أواخر القرن الثانى عشر ق. م عدة ممالك وأعظمها دمشق وحماة وحلوا محل العموريين والحوريين والحيثيين في وادى نهر العاصى.

وقد عين الدكتور حتى في كتابه " تاريخ سورية " الطبعة الإنجليزية ص ١٦٢، تاريخ استيطان الأراميين في منطقة الفرات الأوسط (منطقة حران) قبل الألف الثانية قبل الميلاد، بينما يحدد الأستاذ طه باقر في كتابه " مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة " (ج ٢، ص ٢٦٨ - ٢٦٩) بدء هجرة الأراميين على الفرات الأوسط بمنتصف الألف الثانية قبل الميلاد، ولكن إذا أخذنا برواية التوراة القائلة أن إبراهيم الخليل الذي كان ينتمى إلى العشائر الأرامية قد اتصل بهم في حران قبل ذهابه إلى فلسطين، ثم أرسل من يجئ بإحدى بناتهم ليجعل منها زوجة لابنه إسحاق، يكون الأراميون قد وجدوا في مستوطناتهم في منطقة حران قبل القرن التاسع عشر قبل الميلاد لأن إبراهيم الخليل وجد في سنة ١٩٠٠ - ١٨٥٠ ق. م، وهذا يتفق مع ما ذهب إليه الدكتور حتى. ومما يدل على أن الأراميين كانوا موجودين في هذه المناطق قبل الألف الثانية قبل الميلاد أن اسم أرام ورد في كتابة مسمارية ترجع إلى عهد الملك الأكدى نرام - سين (القرن الثالث والعشرون ق. م) بصفة (Ara - am) ثم ورد في كتابة أخرى تشير إلى مدينة أو دويلة باسم أرام قرب مملكة أشنونا في جنوب العراق [١].

أ - القبائل الأرامية و" الأخلامو " " والعبيرو " " الخبيرو ":

وكان الأراميون مكونين من جملة عشائر وقبائل منهم فرع ورد اسمه بصيغة " أخلامو " وهى تسمية شاملة وردت في الكتابات القديمة لجماعة من القبائل البدوية في شمالى الجزيرة العربية، وقد أصبح الأخلامو في العهد الأخير مرتبطين كليا بالأراميين في صد الغزو الأشورى، ونظرا لشهرة هذه القبائل صار اسما كثيرا ما يطلق على جميع الأراميين. وقد ورد ذكر جماعات أخرى مع " الأخلامو " سميت بـ " الخبيرو " أو " الهبيرو " أو " العبيرو " وهى كلمة كانت تطلق على القبائل العربية الرحل التي كانت تجوب الجزء الشمالى من الجزيرة العربية أيضا. وقد انضمت إلى القبائل الأرامية، وصارت هذه الكلمة بعد

(1) Moscati, “Ancient Semitic Civilizations”, P. 168.

أن صحفت إلى عبرى وعبرانى تطلق على أتباع موسى بعد ظهورهم باعتبارهم من القبائل الرحل، لأنهم لم يكونوا قد وجدوا بعد عندما كانت هذه الكلمة تستعمل لتعنى البدو الرحل أو المهاجرين أو العابرين[١].

ويؤكد العلامة " كروهمان " في بحثه عن أصل العرب، علاقة الأراميين مع قبائل الخبيرو والعبيرو فيقول: " ومن المؤكد أن العنصر العربى البدوى في شبه جزيرة العرب، وهو على الأرجح مصطلح مرادف لتسمية " أرام " و " عبيرو " و " خبيرو " وجد في الأصل في المنطقة التي تمتد بين سورية وبلاد ما بين النهرين والتى تعد أقدم مركز للساميين " [٢].

ويقول دايرنكر: " إن الأرامية " فرع رئيسى يرجع إلى الهجرة السامية الثالثة ذكرت في مصادر التوراة وفى الكتابات المسمارية، ويطلق اسم أرام الذي ورد في التوراة على سلالة عنصرية كما يطلق على الإقليم الذي تسكنه تلك السلالة. وجاء في جدول الأمم [٣] أن أرام هو جد الأراميين وقيل عنه إنه ابن سام، وجاء في مكان آخر أنه حفيد ناحور أخى إبراهيم الخليل [٤].

ويقال عن يعقوب إنه أرامى تائه، وعن أمه وزوجاته أنهن أراميات، وقد وردت الإشارة إليهم في رسائل " تل العمارنة " في القرنين الخامس والرابع عشر قبل الميلاد باسم أخلام أو أخلامو أى الأحلاف الذين يظن أنهم هم أحلاف أرام المذكورين في وثائق القرن الثانى عشر قبل الميلاد، وهم يسمون في المصادر الأشورية " أرومو " و " أرامو " وجمعهم " أريمى " [٥].

ولقد ورد في المدونات المصرية منذ السلالة الأولى (نحو ٣١٠٠ ق. م) ما يشير إلى هؤلاء الرحل باسم " ستيو " وقد أطلق الأكديون عليهم اسم " سوتيو " أو " سوتو ". وقد أخذت هذه التسميات تدل في وثائق الأشوريين المتأخرة على الرحل بوجه عام، ثم أطلق اللقب على العموريين في مارى والأراميين في حران على حد سواء، وقد ورد ذكر الأراميين في النصوص العمورية من مارى وفى

(١) انظر ما يلى عن " العبيرو " ومفهوم هذه الكلمة في أزمنة ما قبل بنى إسرائيل.

(2) A. Grohman, “The Arabs”, The Enc: of Eslam, New ed., P. 255.

(٣) (تك، ص: ١٠).

(٤) (تك، ٢٢: ٢١).

(5) Diringer, “The Alphabet - Akey to the History of Mankind”, 2nd ed:, 1948, p: 253.

الألواح التي عثر عليها في أوغاريت. ومنذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد صار يطلق لقب " أخلامو " على هؤلاء الرحل وقل تدريجيا استعمال تسمية " سوتيو " حتى زال نهائيا بدليل أن الملك الأشورى تفلت فلاسر الأول (١١١٦ - ١٠٩٠ ق. م) كان يخلط بين الأخلامو والأراميين [(١)].

ب - اتساع تجارة الأراميين وانتشار لغتهم في الشرق:

وقد ساعد موقع مناطق الأراميين على توسيع نطاق متاجرهم فاحتكروا التجارة كما احتكروا طرق المواصلات المؤدية إلى أشور شرقا وإلى المدن الفينيقية غربا وإلى آسيا الصغرى شمالا ومن هذه وتلك إلى المدن المصرية. وأمكن بفضل تدجين الجمل العربى تيسير القوافل تيسيرا كبيرا فأقيمت على أطراف البلاد مراكز للتجارة كانت أشهرها " تدمر " و " الحضر ".

وفى تعليق للمرحوم العقاد في ذلك يقول: " كان للأراميين بطون في العراق وبطون أخرى في سيناء وفلسطين فكانوا ينشرون ما اقتبسوه من وادى الرافدين ووادى النيل على السواء، وكان الإغريق على اتصال بهم في الموانئ الشرقية من آسيا الصغرى على تخوم سيناء فنقلوا عنهم وسائل الحضارة والتجارة قبل أن يهتدى إليها أبناء القارة الأوربية بزمن طويل " [(٢)].

وقد انتشرت مع التجاربة الأرامية اللغة الأرامية انتشارا واسعا، واللغة الأرامية من فروع كتلة اللغات الغربية التي انتشرت شمال غربى ما بين النهرين، وقد أصبحت لغة أقطار الشام وتغلغلت في بلاد فارس وانتشرت بين الشعوب المجاورة لها، ثم امتدت إلى وادى النيل وآسيا الصغرى وشمال جزيرة العرب حتى حدود الحجاز، وبقيت دهورا طوالا اللغة الرسمية والتجارية للأمم الحية في القرون الأولى قبل الميلاد في بابل وأشور وفارس ومصر وفلسطين، وكانت الأرامية لغة السيد المسيح والحواريين وبها كتب الإنجيل على ما يرجح، وإن الكتابات الدينية لمختلف الكنائس الشرقية دونت بلهجات مشتقة من الأرامية وبأقلام مأخوذة من الأبجدية الأرامية [(٣)]، وقد حلت اللغة الأرامية محل الكنعانية وظلت اللغة السائدة في البلاد إلى الفتح العربى في القرن السابع بعد الميلاد عندما أخذت اللغة العربية تحل محلها. وانقسمت اللغة الأرامية بمرور الزمن إلى عدة

(١) الأب ألبير أبونا، " أدب اللغة الأرامية "، ص ١٢.

(٢) العقاد، " أثر العرب في الحضارة الأوربية "، ص ٢٣.

(3) Diringer, “The Alphabet”, P. 235.

لهجات يمكن حصرها بفرعين: الفرع الشرقى في وادى الفرات وتمثله اللهجة المنادئية والسريانية ولهجة الحضر، وتمثل الفرع الغربى أرامية التوراة والإنجيل والترجوم (التفسير والشرح) واللهجات الأرامية في مملكة شمال وفى حماة وتدمر وبلاد النبط.

والدليل على انتشار اللغة الأرامية في جميع الشرق الأدنى: أن تسمية " أراميين " صارت تشمل جميع القبائل الساكنة قديما في البلاد الفسيحة الواسعة والمحدودة ببلاد الفرس شرقا والبحر المتوسط غربا وبلاد الأرمن وبلاد اليونان في آسيا الصغرى شمالا وحدود جزيرة العرب جنوبا والتى كانت تعرف قاطبة ببنى أرام والأراميين مع أن بعض هذه القبائل كانت تسمى بأسماء خصوصية كتسمية أهل بابل وما يجاورها من قبائل بالكلدانيين وسكان مملكة أشور بالأشوريين وتسمية أهل الشام بالأدوميين، ولكن تسمية الأراميين كانت تشملهم جميعا، وكانت كل هذه البلاد تتكلم بالأرامية، كما أن تسمية طى مثلا وقريش وحمير وكنانة لا تخرج هذه القبائل من كونهم عربا [(١)].

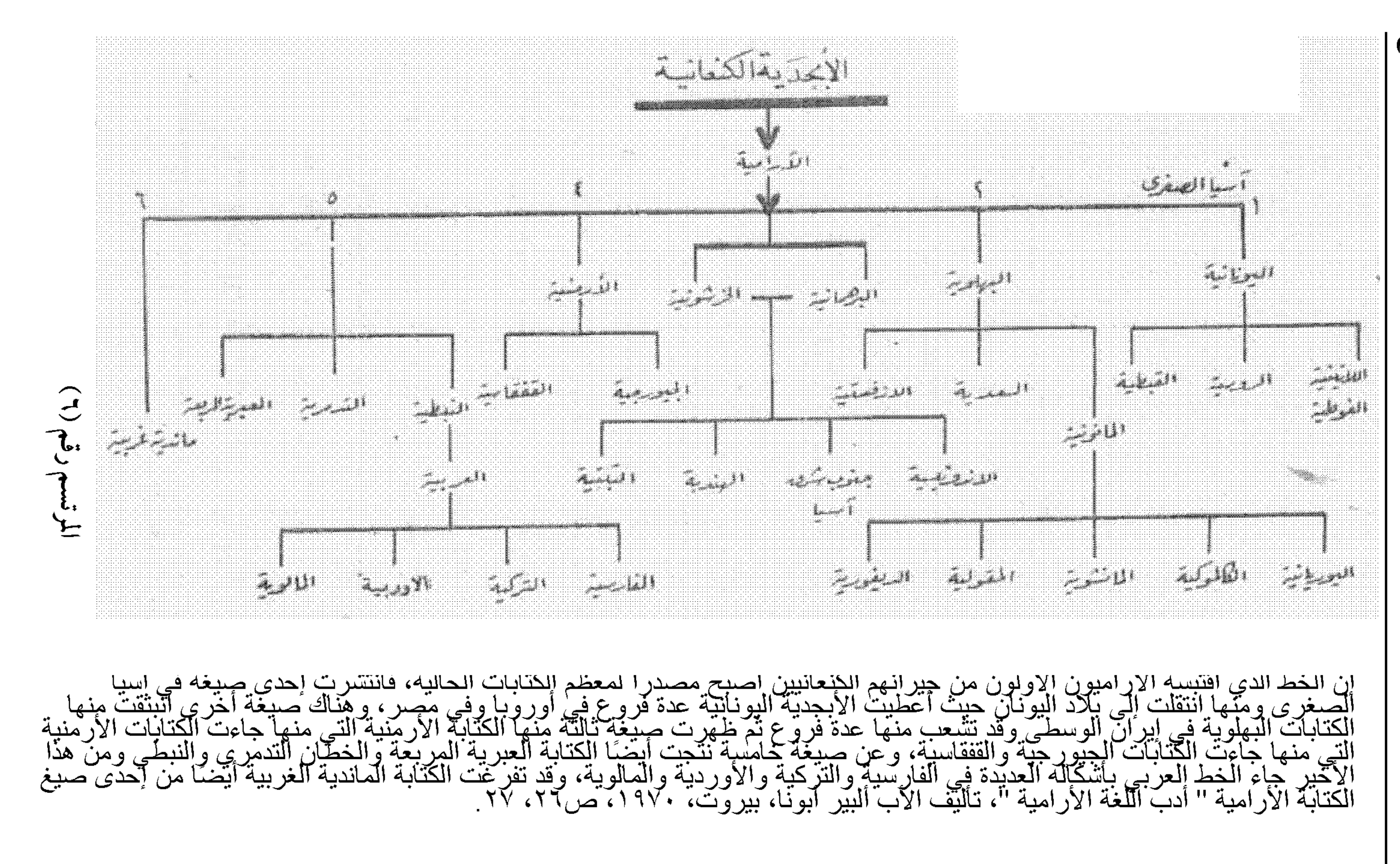
ولم يقتصر الأمر على انتشار اللغة الأرامية وحدها إذ انتشر استعمال الحروف الأبجدية التي كتب بها الأراميون لغتهم بعد أن أخذوا هذه الحروف من الفينيقيين فاقتبسها أقوام عديدة في آسيا في كتابة لغاتها، وقد أخذ اليهود خطهم الذي طبعوا به كتب التوراة من الخط الأرامى بين القرنين السادس والرابع ق.م، كما أن العرب الشماليين أخذوا خطهم من الخط النبطى الذي هو شكل من أشكال الخط الأرامى، وهذا هو الخط الذي كتب فيه القرآن الكريم وتطور عنه الخط العربى الحديث، كما أخذ الأرمن والفرس والهنود خطوطهم من أصول أرامية، وهكذا يكون الخط الفينيقى قد انتقل على أيدى الأراميين إلى نصف العالم الشرقى، وقد تفرع من القلم الأرامى أقلام عديدة متشابهة، المعروف منها الآن القلم السامرى والتدمرى والنبطى ومن الأخير نشأ القلم الحميرى الغربى الذي منه تولد القلم الكوفى ومن هذا نتج القلم النسخى.

(١) القس يعقوب أوجين حنا الكدانى، " دليل الراغبين في لغة الأراميين "، الموصل، ١٩٠٠، ص ٧.

ج ـ نشأة اللغة الأرامية وتطورها:

إن أقم كتابة أرامية معروفة عثر عليها في شمال سورية وهى ترجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد وفى جملتها كتابة أبجدية من تل حلف (كوزان) (١) ويليها في القدم الكتابة التي وجدت في منطقة دمشق على بعد أربعة أميال ونصف ميل شمالا وهى تحمل اسم الملك بنهدد الأول، وترجع إلى حوالى سنة ٨٥٠ ق. م، وهناك الكتابة التي اكتشفت على مسلة " زاكر " ملك حماة والتى رجع أولبرايت تاريخها إلى سنة ٧٧٥ ق. م، كما أن هناك كتابات أرامية قديمة عثر عليها في دمشق وفى سمأل (زنجرلى) وفى المدن الفينيقية، وهذه ترجع إلى الفترة التي تمتد بين القرن الثامن والخامس قبل الميلاد (٢)، وهناك كتابة أرامية مدونة على ورق البردى وجدت في مصر وهى ترجع إلى سنة ٥٠٥ ق.م (٣)، وفى هذه النصوص القديمة يبدو التطور واضحا من اللغة الكنعانية إلى اللغة الأرامية.

(1) R.A Bowman, “The Old Aramaic Alphabet of Tell Halaf”, Amer. Journal of Semitic Languages, Vol. LVIII (1941), pp. 359 - 362; also: “Journal of Near Eastern Studies”, Vol. VII (1948), p. 71.
(2) Hitti, “History of Syria”, pp.. 169 - 170.
(3) Diringer, “The Alphabet”, P. 255.



المرتسم رقم (٦)

إن الخط الذي اقتبسه الآراميون الأولون من جيرانهم الكنعانيين أصبح مصدرا لمعظم الكتابات الحالية، فانتشرت إحدى صيغه في آسيا الصغرى ومنها انتقلت إلى بلاد اليونان حيث أعطيت الأبجدية اليونانية عدة فروع في أوروبا وفي مصر، وهناك صيغة أخرى انبثقت منها الكتابات البهلوية في إيران الوسطى وقد تشعب منها عدة فروع ثم ظهرت صيغة ثالثة منها الكتابة الأرمنية التي منها جاءت الكتابات الأرمنية التي منها جاءت الكتابات الجيورجية والقفقاسية، وعن صيغة خامسة نتجت أيضًا الكتابة العبرية المربعة والخطان التدمري والنبطي ومن هذا الأخير جاء الخط العربي بأشكاله العديدة في الفارسية والتركية والأوردية والمالوية، وقد تفرغت الكتابة الماندية الغربية أيضا من إحدى صيغ الكتابة الآرامية " أدب اللغة الآرامية "، تأليف الأب ألبير أبونا، بيروت، ١٩٧٠، ص٢٦، ٢٧.

ونظرا للدور الذي لعبته اللغة الأرامية ذات الأصل العربى السامى في نشر الثقافة السامية بوجه عام لفترة تربو على ١٧ قرنا من الزمن وذلك بين القرن الحادى عشر قبل الميلاد والقرن السابع بعد الميلاد لابد من عرض نبذة عن نشأتها وتطورها في مختلف مراحل انتشارها.

يجمع علماء اللغة على أن الأراميين تعلموا من الكنعانيين فن الكتابة وحاولوا استعمال اللغة الكنعانية في كتاباتهم " غير أنهم كشفوا عن ذواتهم باستعمالهم تعابير أرامية، فسرعان ما تخلو عن الكنعانية وأخذوا في استعمال لغتهم الخاصة " [١]، وقد تكاملت اللغة الأرامية القديمة هذه في شمال سورية في الفترة بين القرنين الحادى عشر والثامن قبل الميلاد وهى الفترة التي ازدهرت فيها الدول الأرامية منتهزة فترة ضعف الإمبراطورية الأشورية لمواصلة نموها وانتشارها، إلا أن هذا الازدهار السياسى الذي تمتعت به الدول الأرامية في هذه الفترة لم يدم طويلا إذ سرعان ما استعاد الأشوريون قوتهم وراحوا يهدمون معاقل الأراميين الواحد بعد الآخر.

ولم ينته القرن الثامن قبل الميلاد حتى قضى على استقلال الدويلات الأرامية، ولكن التدهور السياسى لم يقض على الثقافة الأرامية بل على عكس ما كان يتوقع فقد أخذ المستعمرون أنفسهم باللغة الأرامية التي أخذت تنتشر انتشارا سريعا حتى تبنتها أقوام كثيرة وصارت تحتل المكانة الأولى بين سائر اللغات في العلاقات الدولية، وذلك لسهولة أبجديتها، واستمرت الأرامية تزدهر في العهد البابلى الحديث (٦١ ٦ - ٥٣٩ ق. م) وعلى أثر الغزو الفارسى على بلاد الشرق (٥٣٩ - ٣٣١ ق. م) انتشرت اللغة الأرامية بصورة واسعة فامتدت من فارس إلى البحر المتوسط حتى أصبحت اللغة الرسمية في كثير من البلدان بين الفرات والحدود المصرية، ثم امتدت شطر نواحى آسيا الصغرى وشمال الجزيرة العربية حتى احتلت في أوج ازدهارها وانتشارها معظم أجزاء الشرق الأوسط بل تعدته إلى الشرق الأقصى وبلغت بلاد الهند والصين. ولما كانت العبرية مشتقة من الأرامية فقد تغلبت الأخيرة على العبرية وحلت محلها في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، هذا مع العلم أن بعض أجزاء العهد القديم دون من أول الأمر باللغة الأرامية [٢].

---

(١) الأب ألبير أبونا، " أدب اللغة الأرامية "، ص ١٨ - ١٩.

(٢) انظر ما يلى في الفصل الثالث، " التوراة والديانة اليهودية "..

وقد جابهت اللغة الأرامية فترة عصيبة في العهد اليونانى (٣٣١ - ٦٤ ق. م) بعد أن أخذت الثقافة اليونانية تفرض نفوذها في بلاد الشرق غير أنها صمدت في وجه هذا التيار وظلت سائدة في الحضر رغم مظاهر الحضارة اليونانية الرومانية البادية في أطلالها اليوم وعوضت الأرامية ما فقدته في العهد اليونانى إذ بسطت نفوذها في البلاد العربية حتى تداولها الأنباط والتدمريون حتى العهد المسيحى، وفى فلسطين تمسكت بها الجماعات التي ناهضت الثقافة اليونانية [١] ثم استعادت اللغة الأرامية مكانتها في عهد الاحتلال الرومانى لاسيما منذ انتشار المسيحية باعتبارها لهجة مسيحيى فلسطين، وهكذا فقد حافظت هذه اللغة على نفوذها زمانا طويلا إلى أن حلت محلها اللغة العربية في القرن السابع بعد الميلاد.

وقد ظهرت مجموعتان كبيرتان من اللهجات الأرامية انبثقتا من اللغة الأرامية القديمة، المجموعة الغربية وكانت تشمل فروعا عديدة هى النبطية والتدمرية والأرامية اليهودية الفلسطينية التي كتب بها تلمود أورشليم والسامرية والأرامية المسيحية، والمجموعة الشرقية وهى تشمل اللغة السريانية الرهاوية [٢]، وهى المعروفة بالكلدانية ولغة التلمود البابلى واللهجة الماندية ولهجة

(١) " أدب اللغة الأرامية "، ص ٢١.

(٢) لقد أطلق لقب السريان على الأقوام الناطقة باللغة الأرامية التي اعتنقت الديانة المسيحية وظل لقب " الأراميين " يطلق على الفئات التي بقيت على الوثنية. أما الرها فهى المدينة التي شيدها سلوقس نيقاطور سنة ٣٠٤ ق. م، وفى نحو سنة ١٣٢ ق. م استقرت قبيلة أرامية أو نبطية في هذه المنطقة وأسست دويلة فيها واتخذت مدينة الرها عاصمة لها، وقد أطلق السلوقيون لقب أديسا على الرها كما يرى البعض، وقد سماها الأتراك أورفة في القرن الخامس عشر وهى تقع الآن ضمن الحدود التركية، كانت الرها مدينة مسورة محصنة لا يمكن الولوج إليها إلا بستة أبواب، وتكثر المياه والينابيع في المدينة فتؤلف عدة أنهر تصب في نهر البليخ أحد روافد الفرات، دمرها الفيضان عدة مرات كما دمرتها الزلازل سنة ٦٧٩، ٧١٨ م، وقد لعب الصراع بين الفرس والرومان دورا في تاريخ الرها السياسى، فقد فرض الفرنسيون سيطرتهم عليها فترة من الزمن ثم استعادها هرقل سنة ٦٢٥م ولم تبق في حوزته أكثر من ١٢ سنة، وأخيرا فتحها المسلمون مع بلاد ما بين النهرين سنة ٦٣٧ م، ولم يتخلوا عنها إلا مدة قصيرة (١٠٩٧ - ١١٤٦م)، حينما جعلها الصليبيون عاصمة لمملكتهم في الشرق، وقد أصبحت الرها مركزا هاما للنصرانية في القرن الثالث الميلادى حيث غدت مهدا للغة وأدب الأراميين وبقيت مدينة مسيحية في ظل الأتراك.

الحضر، وقد انقرضت هذه اللهجات في حين كتب اللغة الرهاوية البقاء.

الأرامية الغربية:

كانت الأرامية الغربية قد استقرت في سورية وفلسطين، ولما عاد المسبيون من بابل إلى فلسطين كانت هذه الأرامية وليس العبرية هى اللغة المحلية التي يفهمها الجميع، لذلك فإن هؤلاء المسببين لم يفهموا كتاب الشريعة الذي قرأه عزرا بالعبرية لذا فإن مترجميه " قرؤوا في السفر في شريعة الله ببيان وفسروا المعنى وأفهموهم القراءة " [١]، وكذلك فإن خصوم المنفيين العائدين خاطبوا ملك الفرس بهذه اللغة الأرامية وتسلموا جوابه بها أيضا [٢]، " وقد يكون سفر دانيال بكامله كتب باللغة الأرامية ثم نقلت بدايته ونهايته إلى العبرانية لتيسير تنسيقه في مجموعة الكتب المقدسة. أما كتب العهد القديم التي جاءت بالأرامية فهى عزرا ودانيال وأرميا (وقليل) من سفر التكوين " [٣].

وتتميز المجموعة الغربية بأربع لهجات هى:

أولا: اللهجة الأرامية اليهودية الفلسطينية، وقد ظهرت هذه اللهجة بالكلمات الأرامية والتعابير الواردة في يونانية العهد الجديد، وهى نفس لهجة (أرامية الجليل) التي نطق بها السيد المسيح ورسله وقد كتب بها التلمود الفلسطينى.

ثانيا: اللهجة الأرامية السامرية، وهى لهجة قريبة جدا من لهجة أرامية الجليل وقد كتبت بها بعض القطع الطقسية وأناشيد وقصائد وقد حلت العبرية محلها بعد الفتح الإسلامى، وكانت تكتب هذه اللهجة بالأبجدية الغربية وهى تطور محلى للخط الكنعانى القديم.

ثالثا: أرامية فلسطين المسيحية، وهى لهجة المسيحيين الأولين في فلسطين، ولما كانت اللغة اليونانية هى اللغة الرسمية للديانة المسيحية فقد ترجم كتاب العهد الجديد إليها مع النص الأرامى ماعدا إنجيل متى الذي فقد نصه الأصلى باللغة الأرامية وبقيت ترجمته اليونانية، ثم قامت الجماعات التي انتحت جانب البيزنطيين بترجمة معظم النصوص الدينية من اليونانية إلى لهجتهم التي صارت تعرف بأرامية فلسطين المسيحية وهذه هى نفس اللهجة التي كان المسيحيون

(١) (نح، ٨: ٨).
(٢) (عز، ٤: ٧).
(٣) " أدب اللغة الأرامية "، ص ٢١.

يستعملونها في مصر.

رابعا: الأرامية الغربية الحديثة، وهذه اللهجة هى التي تعرف بـ " السورت " وما يزال بعض المسيحيين في القرى الواقعة شمال شرقى دمشق يتكلمون بها وقد خالطتها اللغة العامية الدارجة فتأثرت إلى حد بعيد في ألفاظها باللغات التي سادت تلك المنطقة، ومازالت هذه الأرامية مستعملة في أربع قرى واقعة في الشمال الشرقى من دمشق وهى: " معلولا " و " بخعة " و " جبعدين " و " صيدنايا ". ومع أن هذه اللهجة وليدة الاحتكاك بين اللهجتين الغربية والشرقية فإنها تعتبر من اللهجات الشرقية (انظر ما يلى عن الأرامية الشرقية) إلا أنها تعد بقية حية للأرامية.

٢ – الأرامية الشرقية:

أما المجموعة الشرقية من اللغة الأرامية فقد نشأت عند الأراميين الذين نزحوا إلى منطقة دجلة والفرات فكوّنوا لهجاتهم الخاصة في مستوطناتهم الجديدة وامتدت هذه اللهجات حتى بلغت جبال أرمنيا وكردستان، وتتميز هذه المجموعة بأربع لهجات أيضا وهي:

أولا: الأرامية اليهودية – البابلية:

وقد ظهرت هذه اللهجة في الفترة ما بين القرنين الثانى والسابع للميلاد في التلمود البابلى وفى الوثائق الأخرى التي تعود إلى هذه الفترة، ومن خصائص هذه اللهجة اختلاف صيغتها شأنها شأن الأرامية اليهودية الفلسطينية التي تتبع الطريقة المصطلحة لدى الكهنة الذين كانوا يتداولونها.

ثانيا: اللهجة المندية:

وهذه اللهجة ظهرت عند المانديين في العراق فصارت لهجة أدبهم الدينى، ويعتقد أن هذه اللهجة تطورت محليا من الأرامية القديمة وقد تكون صيغة صافية من الأرامية الشرقية غير المتأثرة بالعبرانية، وقد ظهرت في وقت متأخر فطرأ عليها تغيير لفظى كبير متأثرة باللغة العربية.

ثالثا: اللهجة السريانية:

وهى التي أصبحت لهجة الأرامية المسيحية الشرقين بعد أن اتخذتها المسيحية لغة الدين والآداب، لذلك أصبحت من اللهجات ذات الشأن فازدهرت في منطقة الرها الأرامية (منطقة أورفة حاليا) التي أصبحت مركزا للنصرانية في

القرن الثالث للميلاد. وقد كان الفضل للمجادلات العقائدية في الشرق وللانعزال الذي سببته تلك المجادلات بين الفئتين الشرقية والغربية في تطور هذه اللهجة وصقلها وإغناء مفرداتها وضبطها لتكون قادرة على التعبير عن الحاجات اللاهوتية والفلسفية والعلمية، وهكذا فقد أخذت الاختلافات اللفظية والكتابية تظهر واضحة منذ نهاية القرن السادس الميلادى حتى تم انقسام اللغة الأرامية في اللفظ والخط إلى أرامية غربية وأرامية شرقية، وقد انتشرت هذه اللهجة في البلاد الفارسية ومنها امتدت إلى البلدان الشرقية ثم إلى الشرق الأقصى إلى الصين والهند وما زالت متداولة في الهند لدى بعض السريان كلغة طقسية، ودخلت البلاد العربية ومنها مصر وكان تأثيرها كبيرا على لغات كثيرة كالعربية والأرمنية والإيرانية، ثم اندحرت بعد الفتح الإسلامى أمام اللغة العربية ولكنها ظلت لغة أدبية حية حتى القرن الرابع عشر للميلاد ولم تزل لغة طقسية لدى الكنائس السريانية الشرقية والغربية.

رابعا: السريانية الحديثة (السوادية):

وهذه اللهجة الأرامية مازالت تتكلم بها الجماعات المسيحية القاطنة في جبال كردستان والقرى المسيحية الواقعة في شمال العراق وعلى الضفاف الشرقية من بحيرة أورمية وجبال طور عبدين، وقد طرأ عليها مثل جميع اللهجات الأرامية الباقية إلى الآن، تغيير كبير في اللفظ وتأثرت بالظروف وباللغات المجاورة كالعربية والتركية والفارسية والكردية فسادت في هذا المضمار لهجة أرامية.

وقد ظهرت عدا اللهجات الأرامية التي تقدم ذكرها لهجة رسمية انتشر تداولها دوليا في الوثائق الرسمية في مختلف المناطق الأشورية، ثم تبنتها الإمبراطورية الفارسية بدورها كلغة رسمية في الدوائر الحكومية، ففى العهد الأشورى (١١٠٠ - ٦١٢ ق. م) انتشرت الأرامية الرسمية انتشارا واسعا حتى أصبح المشرفون على الشؤون الإدارية يتقنونها أكثر من الأكدية وقد امتد تداولها في الأقطار الأخرى حيث صارت الأرامية التجارية أساسا للأرامية الرسمية [١].

د - الديانة الأرامية:

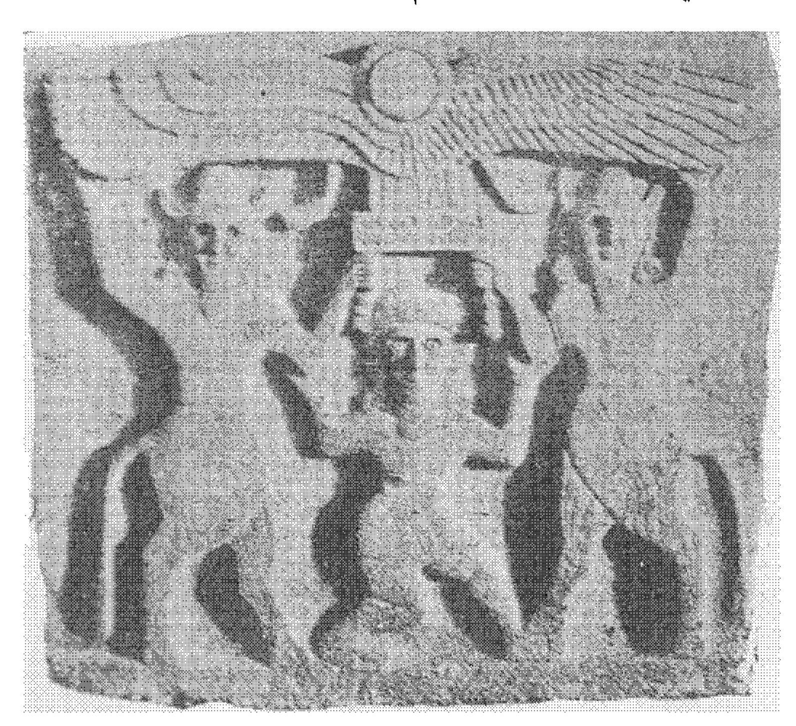
كانت ديانة الأراميين قائمة على عبادة عدة آلهة من أهمها الإله " حداد "، وهو في الأصل إله الزوابع والعواصف، وكان هذا الإله يعبد في كركميش

(١) لقد اعتمدنا في عرض هذه النبذة عن تاريخ اللغة الأرامية على كتاب الأب ألبير أبونا، " أدب اللغة الأرامية " وهو يعد أحسن ما كتب في تاريخ الأدب الأرامى.

(جرابلس)

التصوير رقم (٣٥)

نموذج من كتابة باللغة الآرامية، وهذه اللغة ما تزال إلى اليوم اللغة الطقسية لمعظم البلاد الشرقية أي للسريان الشرقيين وهم الكلدان والسريان الغربيين والموارنة



التصوير رقم (٣٦)

أحد النقوش، التي كانت تزين قصر الملك الأرامى " كبارا " في جوزانا (تلف حلف) (القرن ٩ ق. م)

وفى حلب وفى دمشق، وقد أضيف اسمه إلى أسماء ثلاثة من ملوك دمشق، وفى سمأل (زنجرلى) وقد كان للإله " إيل " عند الأراميين نفس المكانة التي يتمتع بها عند الكنعانيين، فقد أضيف إلى اسم أحد ملوك أرباد المسمى " متى "

فأصبح " متى - إيل " وهو الذي عقد معاهدة دفاع مشترك مع الملك الأشورى نيرارى (٧٥٤ - ٧٤٥ ق. م)، فلم تكن الديانة الأرادية لتختلف إجمالا عن المعتقدات والتقاليد السائدة في تلك الأزمان بين ثقافات الأقوام المجاورة في كنعان وفى العراق وفى آسيا الصغرى وفى الجزيرة العربية.

هـ - " القبائل الأرامية " والعرب البائدة ترجع إلى أصل واحد:

يؤكد المؤرخون العرب أن القبائل الأرامية ترجع إلى الأصل العربى فهى والعرب البائدة أو العاربة من أصل واحد، ولذا كانوا ينسبون شعوب العرب البائدة جميعا إلى إرم ويسمونها بالأرمان، فقد ذكر حمزة الأصفهانى في كتابه " تاريخ سنى الملوك ": " أن العرب العاربة عشرة، عاد وثمود وطسم وجديس وعماليق وعبيل وأميم ووبار ورهط وجاسم وقحطان، فكانت هذه الفرق تؤرخ بسنى إرم إلى أن بادت كلها الواحدة أثر الأخرى.

وبقى منهم بقايا يسيرة وكانوا يسمون الأرمان [(١)]، وقد ذكر المسعودى عن الأرمان أنهم إنما سموا كذلك لأن عادا لما هلكت قبل ثمود إرم فلما هلكت ثمود قيل لبقايا إرم أرمان [(٢)].

ويصف ابن خلدون في " المقدمة " العرب العاربة والعرب البائدة باعتبارهما مصطلحين لمعنى واحد فيقول: " إن العرب العاربة شعوب كثيرة وهم عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وعبيل وعبد ضخم وجرهم وحضرموت وحضور والسلفات، وسمى هذا الجيل " العرب العاربة " إما بمعنى الرساخة في العروبة كما يقال ليل الليل وصوم صائم أو بمعنى الفاعلة للعروبية والمبتدعة لها بما كانت أول أجيالها، وقد تسمى البائدة أيضا بمعنى الهالكة لأنه لم يبق على وجه الأرض أحد من نسلهم " [(٣)].

ومما يؤكد أن الأراميين عرب وكانوا يسمون كذلك أن الملك الأشورى أسرحدون (٦٦٨ - ٦٢٥ ق. م) يشير في كتاباته إلى أن الملك حزائيل ملك العريبى (العرب) جاء خاضعا إلى نينوى وهو يحمل معه جزية كبيرة [(٤)].

(١) طبعة بيروت، ١٩٦١، ص ١٠٥.
(٢) " التنبيه والإشراف "، الطبعة الأوربية، ص ٧٨ - ٧٩. انظر أيضا كتاب " مروج الذهب "، طبعة دار الأندلس، ١٩٦٥م، ج١، ص ٥٢، ٥٣.
(٣) طبعة بولاق سنة ١٢٨٤هـ، ج٢، ص ١٦ و ١٩ و ٧١ و ٢٥٩.
(4) Rogers, "Cuneiform Parallels ect", PP. 353 - 359.

والمعلوم أن حزائيل اسم أرامى وهو بالطبع غير الملك حزائيل الأرامى الشهير ملك دمشق الذي استولى على معظم أملاك إسرائيل وتمكن من صد هجوم الملك شلمنصر في سنتى ٨٤٢، ٨٣٨ ق. م.

ويقول الدكتور هوميل في كتابه " التقاليد العبرانية القديمة ": إن الأراميين الذين يرجعون إلى أقدم الأزمان والذين ورد ذكرهم في الكتابات القديمة كانوا ينتمون إلى العرق البدوى الخالص وهم يحملون نفس الأسماء التي نجدها في التسميات العربية، لذلك فإننا لا تكون قد جازفنا في الكلام عندما نؤكد أن الأراميين في الألف الثانية قبل الميلاد بل وحتى في العصور التالية التي تمتد إلى زمن ازدهار الامبراطورية الأشورية كانوا هم والشعب العربى العظيم شعبا واحدا من عنصر واحد متماسك الأجزاء (١).

كما يشير العلامة " كروهمان " في بحثه عن تاريخ العرب إلى أن الأراميين الذين تدخلوا في شئون " بيت زمانى " في أعالى الفرات سنة ٨٨٠ ق.م وساعدوا أهلها على طرد معتمد الملك الأشورى " أشور ناصربال الثانى " (٨٨٤ - ٨٥٩ ق. م) هم أسلاف العرب (٢).

ومن الكتاب العرب الذين يؤيدون هذا الرأى المرحوم الأستاذ العقاد الذي يقول: " إن الثقافة الأرامية عربية في لغتها ونشأتها ونسبتها إلى عنصرها، ولا يمكن أن تعرف لها نسبة إلى أمة غير الأمة العربية في عهودها الأولى وكل ما استفاده العالم من جانبها فهو من فضل هذه الأمة على الثقافة العالمية " (٣)، لذلك يجب أن تحتل القبائل الأرامية مكانة متميزة في تاريخ العرب قبل الإسلام لأنها تمثل الثقافة العربية القديمة وخاصة أن النبى إبراهيم الخليل هو منهم، ففى حوالى أوائل الألف الثانية قبل الميلاد نزحت بعض الأسر الأرامية إلى جنوب العراق واستقرت في مناطق بابل فكان إبراهيم الخليل من ذرية هذه الأسر ومن أمرائها (٤).

و - موجز تاريخ الأراميين السياسى:

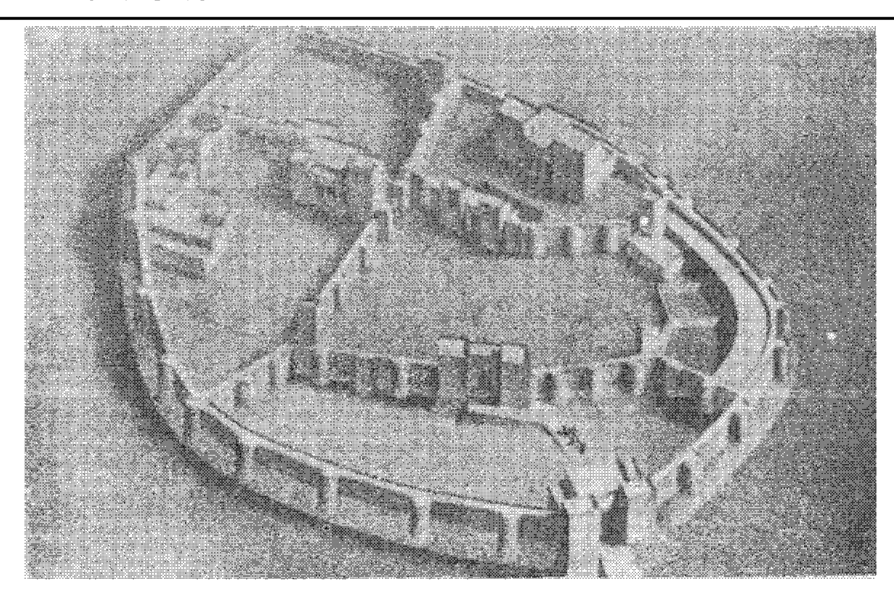
بلغ الأراميون أوج اتساعهم وسلطانهم السياسى في القرنين الحادى عشر

(1) F. Hommel, “The Ancient Hebrew Tradition”, PP. 202 - 203.
(2) Encyclopedia of Islam, N.E, P. 524.
(٣) العقاد، " الثقافة العربية " ص ٢٠.
(٤) انظر ما يلى في الفصل الخامس " عصر إبراهيم وإسحاق ويعقوب "..

والعاشر قبل الميلاد مغتنمين فترة ضعف الإمبراطورية الأشورية في أعقاب حكم تجـلات بلاسـر الأول (١١١٥ - ١٠٧٧ ق. م) مـن جهـة وبدايـة تقهقـر النفـوذ المصرى في عهد رغمسيس الثالث (١١٩٨ - ١١٦٧ ق. م) من الجهة الأخرى، ثم تبدد سيطرة الحيثيين والميتانيين فـي شمال سـورية وكذلك زوال حكم الميدين في الغرب فأقاموا بقوة السلاح، سلسلة من الممالك الصغيرة في سورية منهـا: " أرام النهـرين " [1]، و " فـدان أرام " و " أرام دمشـق "، و " أرام صـوبا " فـي البقاع، و " أرام بيت رحوب " جنوبى " أرام صوبا " عند منعطف نهر الليطانى. " أرام معكة " (مقاطعة دان) و " جشـور " بـين اليرمـوك ومقاطعـة دمشـق، و " بيـت أغوشـى " فـي حمـاه وعاصـمتها " أرفـاد " و " بيـت بخيـانى " ومركزهـا جـوزان (تـل حلـف حاليـا) هـذا عـدا دويلتـى " حلـب " و " كـركميش " (جـرابلس حاليا).

وفى الشمال الغربى من سورية أقـام الأراميون دولـة فـي قليتيـة هـى دولـة " سمأل " وقد سماها الأراميون " يعودى " مركزها مدينـة " سمأل " تقع أطلالهـا اليوم عند جبل أمانوس غربى عينتاب في تركيا وتعرف باسم " زنجرلـى " ومـن ملوكها الـذين ورد ذكرهم " شعيل " و " كيلامو " و " حيـانى " و " فنـامو " و " بـار - ركـوب " ومـن آثارهـا سـور حصـنها الـذي مـا يـزال مـاثلا للعيـان (انظـر التصوير رقم ٣٧). ثم غزا الأراميون العراق فأسسوا فيه عدة دويلات منها دويلة " بيت عدينى " ومركزها فـي " بورسيبا " وكـان مركزهم فـي منطقـة بابـل حيـث حكمت سلالات بابلية عديدة في فترات متواصلة بين منتصف القرن الثـانى عشـر والقرن السـادس قبـل الميلاد، وكـان أول مـن بـرز مـن ملـوكهم " أداد - بـلادان " وهو من سلالة بابـل الرابعـة استولى علـى عـرش بابـل وحكم بـين سـنة ١٠٦٧ - ١٠٤٧ ق. م.

(١) أشارت التوراة على أن أحد ملوك أرام النهر بين المدعو " كوشان بن رشـعتايم " هـاجم بنى إسرائيل في عهد القضاة حوالى (١١٢٥ - ١٠٢٥ ق.م) واستعبدهم ثمـانى سـنوات، راجع (قض، ٣: ٨).



التصوير رقم (٣٧)

حصن سمال الأرامي في شمال - غرب سورية - صورة تخيلية على أساس البقايا المكتشفة

وفى ساحل الخليج في جنوبى العراق أسس الأراميون عدة دويلات أهمها دولة " بيت ياكينى " وقد عرفت سلالة ملوكهم بسلالة القطر البحرى (أمراء الخليج) وقد لعب أحد ملوكهم المسمى " مردوخ بلادان " وهو من سلالة بابل العاشرة، دورا في المعارك التي خاضها مع الأشوريين، ففى بداية عهد سرجون الثانى (٧٢٢ - ٧٠٥ ق. م) استولى على بابل ونصب نفسه ملكا عليها وحكم فيها أكثر من عشر سنوات (٧٢١ - ٧١١ ق. م) (انظر التصوير رقم ٣٨) وكانت آخر سلالة من سلالات بابل السلالة البابلية الحادية عشرة أى سلالة الكلدانيين التي اشتهر فيها نبوخذ نصر الثانى (٦٠٥ - ٥٦٢ ق. م) وهو الذي سبى بنى يهوذا من فلسطين إلى بابل وقضى نهائيا على مملكة يهوذا.

وكان الأراميون قد انتشروا في العراق وشكلوا فيه شبه ممالك مستقلة مملكة بابل، ومن أهم هذه الدويلات مملكة " زوحى " الأرامية التي أسسها الأراميون الذين استوطنوا على نهر الفرات ما بين عانة ومصب نهر بليخ.



التصوير رقم (٣٨)
نصب حجرى لعلامة الحدود

يمثل الملك " مردوخ بلادان " يمنح أحد أعوانه بعض الأراضى وقد علت تاجه المخروطى كتابة تقول: " مردوخ بلادان - ملك بابل ".

وقد ضمت هذه المملكة مدنا عديدة: أهمها " عانات " (عانة) وخاريدى ورحوبوت (الرحبة) وشورا واشتهر من ملوك زوحى " حابانى ". وكان " حابانى " قد عرض خضوعه للأشوريين إلا أنه عاد وشق عليهم عصا الطاعة، فجهز عليه أشور ناصر بال الثانى (٨٨٤ - ٨٥٩ ق. م) حملة قوية واحتل بلاده ودمر معظم مدنه تدميرا كاملا، ثم بنى قلعتين على الفرات وجعل فيهما حاميتين أشوريتين الواحدة على الضفة اليمنى والثانية على الضفة اليسرى، وهناك مملكة " كمبولو " الواقعة على شاطئ دجلة الشرقى والتى ضمت أربع مدن محصنة، تمكن سرجون الثانى (٧٢٢ - ٧٠٥ ق. م) من الاستيلاء عليها وجعلها مقاطعة أشورية وذلك في أثناء غزوه للقبائل الكلدانية والأرامية التي ساندت " مردوخ بلادان " البابلى. واشتهرت كذلك مملكة " فقودو " التي امتدت في السهل، شرقى دجلة قريبا من مصبه وبجوار مملكة " كمبولو " وقد ورد اسمها مرتين في العهد القديم [١]. وفى منطقة وادى ديالى الأسفل استوطنت قبيلة " أيتوع " الأرامية وانتشر أبناؤها حتى سواحل الزاب الصغير شهر عليهم الأشوريون حملة عنيفة وأقصوهم عن بلادهم وأبعدوهم إلى أقصى الجنوب وفرضوا عليهم الطاعة

(١) راجع (أر، ٥٠: ٢١)؛ (حز، ٢٣: ٢٣).

والضرائب [١].

وكانت قد جرت عدة مصادمات بين الأراميين ومملكة إسرائيل [٢] فالتوراة تشير إلى أن الملك داود (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق. م) أخضع ملك صوبا المدعو " هددعزر بن رحوب " حين ذهب ليرد سلطته عند نهر الفرات وأخذ من " طابح " و " بيروثاى " مدينتى " هددعزر " نحاسا كثيرا جدا [٣]، كما ضرب أرام دمشق وجعل فيها محافظين[٤]، وقدم ملك حماة " توعى يورام " فروض الطاعة إلى الملك داود بتقديمه هدايا ثمينة من الفضة والذهب [٥]. وفى عهد سليمان تمرد أحد أتباع " هدعزر " ملك صوبا يدعى " رزون " كان قد هرب من عند سيده وأصبح رئيس غزاة فاستولى على دمشق وحكمها طوال مدة حكم سليمان [٦]، وفى عهد سليمان أيضا استقلت دويلة " بيت عدينى " وغيرها من الدويلات الأرامية البعيدة، إلا أن سليمان تغلب، حسب رواية التوراة، على مملكة صوبا التي بقيت خاضعة له [٧].

وبعد موت سليمان وانقسام إسرائيل إلى مملكتى إسرائيل ويهوذا، صفا الجو للأراميين - فاستعادت الأقطار الأرامية التي سيطر عليها الموسويون في عهد داود وسليمان استقلالها، وتوغل الأراميون في أرض إسرائيل في عهد ملكهم حزائيل ملك دمشق، وهكذا أصبح الأراميون مسيطرين على أكثر أقطار الشرق الأوسط، ففى العراق استولت القبائل الأرامية الكلدانية على جميع المنطقة الممتدة من بابل إلى الخليج جنوبا، وفى سورية امتدت الدويلات الأرامية في جميع أنحاء سورية ومركزها الرئيسى دمشق مما جعل بلاد أشور مطوقة من أكثر أطرافها بدويلات أرامية. ومع ذلك فقد كان هذا الكيان الأرامى السياسى معرضا للخطر

---

(١) انظر المقال القيم للمطران غريغوريوس صليبا، " الأراميون في العراق " المنشور في مجلة " التراث الشعبى " عددى آذار ونيسان، ١٩٧١، ص ٨٥ - ٩١.

(٢) لقد أطلقت التوراة تسمية " بنى إسرائيل " على أتباع النبى موسى إلا أن القرائن تدل على أن بنى إسرائيل لا يمتون بأية صلة بحملة النبى موسى على فلسطين، ولقد شرحنا ذلك في الفصلين الثالث والخامس.

(٣) (٢ صم، ٨: ٣، ٨)؛ (اخ، ١٨: ٣ - ٨).

(٤) (٢ صم، ٨: ٦).

(٥) (٢ صم، ٨: ٩ - ١٠)؛ ١ أخ، ١٨: ٩ - ١٠).

(٦) (١ مل ١١: ٢٣ - ٢٥).

(٧) (٢ اخ، ٨: ٣ - ٤).

بسبب نقطة الضعف البارزة في جهازه، وهى أن الأراميين لم يسعوا إلى إنشاء دولة كبيرة موحدة قوية تحت حكم واحد، فعند الخطر الشديد كانت تجرى اتحادات وقتية بين الدويلات الأرامية ولكن هذه الاتحادات لم تكن من القوة بحيث تستطيع أن تؤلف سيطرة عامة موحدة.

وقد كانت هذه الدويلات تتنازع فيما بينها بين الحين والآخر، لذلك وبعد انتعاش دولة أشور من جديد واستعادة قوتها أصبحت الممالك الأرامية مهددة بالغزو الأشورى، فقد اشتغل الأشوريين النزاعات بين الأراميين وإسرائيل التي استمرت قرنا كاملا تقريبا للانقضاض على الممالك الأرامية المتباعدة والمنتشرة في الشرق والغرب والجنوب الواحدة بعد الأخرى، ففى عهد آشور ناصر بال الذي حكم آشور بين سنة ٨٨٤ - ٨٥٩ ق. م هاجم هذا العاهل مملكة " بيت بخيانى " في " جوزان " في الشمال فاستسلمت له، ثم ضمر شلمنصر الثالث سنة ٨٥٦ ق. م مملكة " بيت عدينى " في الجنوب إلى الممتلكات الأشورية.

وفى سنة ٨٥٦ ق.م خاض حربا أخرى مع الأراميين الذين ألفوا اتحادا مع بقية الممالك الأرامية وفينيقيا وإسرائيل ودويلة عربية، ومع أن هذه المعركة التي وقعت في " القرقار " على نهر العاصى في سورية لم تكن حاسمة، إلا أن الأراميين تكبدوا هم وحلفاؤهم خسائر جسيمة في الأرواح والمعدات، ثم وجه شلمنصر همه بعد ذلك إلى بابل فقهرها في حملتين قام بهما في سنتى ٨٥٢ و ٨٥١ ق. م. وفى عام ٨٤٩ ق. م قام بحملة ثانية ضد ملك حماة وقاتل ملك دمشق وحفاءه الذين قاموا بحرب ثانية. ثم عاد شلمنصر للنزال في سنة ٨٤٢ ق.م فحارب حزائيل ملك دمشق منفردا وخرب الجيش الأشورى الإقليم كله وتمكن بعد ذلك أن يضم المناطق التي كانت تحتلها قبائل الفرات الأوسط وأخيرا كانت الضربة الأخيرة التي قضت على الممالك الأرامية على يد تفلات بلاسر الثالث وعلى يد سرجون الثانى، فالأول احتل دمشق سنة ٧٣٢ ق. م. والثانى قضى على حماة آخر معقل من معاقل الأراميين سنة ٧٢٠ ق. م، وبذلك قضى على الحكم الأرامى في سورية نهائيا، ولكن النشاط السياسى للأراميين لم يمت فقد استمر مدة أطول في الجنوب حيث القبائل الكلدانية التي أخذت تقاوم النفوذ الأشورى حتى تمكنت أخيرا من الاستيلاء على السلطة وتأسيس الدولة الكلدانية عندما أعلن القائد الكلدانى " نبوبولاسر " استقلاله في بابل ونصب نفسه ملكا عليها سنة ٦٢٥ ق. م.

ويقول الأستاذ دايرنجر [١] بعد إشارته إلى أدوار الضعف التي انتابت الأراميين " إن فقدان الأراميين الحرية السياسية لم يكن معناه نهاية التاريخ الأرامى، بل كان هذا الضعف الذي أصاب الحكومة فاتحة التفوق في الثقافة الأرامية ومسائل الاقتصاد الذي عم آسيا الغربية، وأصبحت اللغة الأرامية هى اللغة الدولية في ذلك العهد، وأصبحت على عهد الدولة الأخمينية إحدى اللغات الرسمية في الإمبراطورية، ولسانا عاما يتكلم به التجار من مصر إلى آسيا الصغرى إلى الهند، وقد بلغ من قوة اللغة الأرامية وحيويتها أن استعمالها قد ضاع بعد ألف سنة من زوال الدولة

---

(١) انظر المراجع الآتية في موضوع أرام والأراميين:

R.D. Barnett, “Arameans”. Enc Brit 1956, vol. II, pp 207 – 208; L.Delaporte, “Epigraphes Arameens”, 1912; D.Diringer, “The Alphabet”., 1948, Chap. IV, pp. 253 – 294; Ph. Hitti, “History of Syria”. 1951. pp. 162 – 174; E.G.H Kraeling, Aram and Israel”, 1918; D.D.Luckenbill, “Ancient Records of Assyria and Babylonia”, 2 vols, 1927, Mallowan and Rose, “Excavations in the Balikh, “1946, Irak VIII, 1946; S. Moscati, “Ancient Semitic Civilizations”, 1957, Chap. 7, pp. 167 – 180; R.T. O’Callghan, “Aram – Nahraim”. 1948; H.Oppenheim, “Tell Halaf”. 1933; A.Sanda, “Die Aramaer”, Der Alte Orient, IV part 3, 1902; S.Schiffer, “Die Aramaer”, 1911; A.D. Sommer, “Sur les Debuts de 1’Histoire Arameenne”, 1953; A.D. Sommer, “Les Arameens, “1949; M.E. Unger, “Israel and the Arameans of Damscus, (A Study in Archaeological Illumination of Bible History), “London, 1957; Rosenthal, “Die aramaistische..”; A.Cowley, “Aramaic Papyri…”; S.Frankel, “Die aramaischen…”; F.Macler, “Ency. Of Relegions and Ethics, “vol XII, p. 164.

انظر أيضًا المراجع الآتية العربية:

رفائيل بابو إسحاق، " الأراميون "، سومر ٣ (١٩٤٧)، ج٢، ص ٣١٨ - ٣٣٠، ١٩ (١٩٦٣) ، ص ٩٦ - ١٥٤؛ القس يعقوب أوجين منا الكلداني " دليل الراغبين في لغة الأراميين "، الموصل، ١٩٠٠، المطران غريغوريوس صليبا " الأراميون في العراق "، مجلة التراث الشعبي، آذار ونسيان ١٩٧١، ص ٨٥ - ٩١، ألبير أبونا " أدب اللغة الأرامية "، بيروت ١٩٧٠.

الأرامية، وعاشت اللهجات التي تفرعت عنها قرونا أخرى في بعض القرى النائية [١].

ز ـ خلاصة:

وصفوة القول: أن الأقوام الثلاثة ـ الكنعانيين والعموريين والأراميين ـ وكلهم من أصل واحد هو الأصل العربى السامى، أسهموا مجتمعين في نشر الحضارة السامية في الشرق الأدنى في مختلف حقولها: الزراعة، الصناعة، التجارة، الملاحة، الثقافة على اختلاف فروعها وتشعباتها. وكانت لغات هذه الأقوام الثلاثة لغة واحدة في الأصل هى اللغة السامية الأم التي يعتقد أنها كانت أقرب إلى لغة بدو الجزيرة العربية الحالية، ثم تفرعت منها لهجات الأقوام المختلفة في بيئاتهم الجديدة دون أن تفقد الصلة بينها، وقد أطلق عليها الباحثون كما تقدم ذكره اسم لغات الأقوام السامية الغربية الشمالية تمييزا لها عن اللغات السامية التي تمثلها اللغة الأكدية وفرعاها البابلى والأشورى في العراق وعن اللغات العربية الجنوبية. وقد بقيت آثار اللغة الأرامية حتى هذا اليوم في بعض القرى والجبال حيث خالطتها اللغة العامية الدارجة المعروفة بـ " السورت " يتكلم بها الآن بعض السكان في شمال العراق وفى سورية وبلاد العجم، وإلى وقت قريب كان اليهود القاطنون في زاخو يتكلمون بالأرامية. أما اللغة الفصحى فقد اقتصرت على لغة طقسية لخمس طوائف شرقية. ومن القرى السورية التي مايزال سكانها يتكلمون بلهجة " السورت " و " صيدنايا " و " معلولا " و " جب عبدين " و " نجعة "، وهذه تقع على بعد ٢٩ و ٥٦ و ٦٠ كيلو مترا من دمشق على التوالى [٢].

٥ ـ هجرة الأكديين إلى وادى الرافدين وتأسيس أول امبراطورية سامية:

وفى نفس الوقت الذي كانت تجرى فيه الهجرات إلى فلسطين وسورية كانت هناك هجرة من أهم الهجرات اتجهت نحو الفرات في العراق عرفت بهجرة الأكديين، وتعتبر هذه الهجرة أقدم هجرة بين

---

(1) S.Reich, “Etudes sur les villages Arameens de 1’Anti - Liban”, Institut Francais de Damas, 7, 1936.

(٢) انظر ما تقدم عن الأراميين واللغة العربية.

هجرات الساميين العرب الذين نزحوا من الجزيرة العربية إلى ضفاف الفرات، استقروا في بداية الأمر على ضفة نهر الفرات اليمنى في البقعة الممتدة بين عانة وهيت وهى أقرب موئل خصيب من موطنهم الصحراوى في بادية الشام، وقد مارس هؤلاء النازحون إلى هذه المنطقة حرفة الزراعة التي تعتمد على الرى، وذلك بشق قنوات من نهر الفرات من مسافات بعيدة في مقدم النهر وجر المياه إليها سيحا إلى مستعمراتهم الجديدة، لأن كمية الأمطار التي تسقط في هذه المنطقة شتاء لا تكفى لإنضاج زروعهم الشتوية، وانقطاعها صيفا يحول دون زراعة المحاصيل الصيفية بدون إرواء صناعى، وهكذا دفعت الحاجة هؤلاء المهاجرين إلى أن يتقنوا أساليب الرى وإنشاء جداول تؤخذ من نهر الفرات وتمتد إلى مسافات بعيدة حتى يصلوا بها سيحا إلى الأراضى الزراعية، كما حملتهم على أن يتعلموا كيف يخزنون مياه الفيضان ضمن سدود ويوزعونها في قنوات لإرواء أراضيهم، وقد مارسوا الزراعة بخبرة ومهارة، وكانت أهم مزروعاتهم الحنطة والشعير وكان لديهم الكثير من البقر والضأن والمعزى والحمير والخنازير، إلا أن هبوط مستوى النهر في تلك المنطقة في وقت لاحق حرمهم من المياه السيحية التي كانت تروى بساتينهم ومزارعهم فاضطر قسم منهم إلى مغادرة ديارهم والتوجه جنوبا، في حين أن القسم الآخر من السكان أخذوا يستعينون بالنواعير في رفع المياه إلى حقولهم الزراعية مستخدمين القوى المائية المتولدة من الشلالات التي أحدثها هبوط قعر النهر في تدوير هذه النواعير الضخمة، وهى ماتزال تستعمل حتى يومنا هذا في منطقة عانة ورواه، كما كانت عليه في تلك الأزمان السحيقة، أما الجماعات التي نزحت جنوبا فقد استقرت على ضفتى مجرى الفرات القديم غربى وجنوب غربى منطقة بغداد الحالية وامتدت مزارعها حتى مدينة " كيش " الكائنة على بعد ١٥ كيلو متر شرقى مدينة بابل، ومن مدنها فالمهمة عدا كيش: " أكد "، و " سيبار "، و " كوثا "، و " أوبيس "، و " أكشاك ".

ولم تكن هذه الجماعات عندما أسست مستوطناتها على ضفتى نهر الفرات في هذه البقعة الخصيبة ليخطر ببالها أن قومها سيصبحون بناة اقدم وأعظم إمبراطورية في تاريخ الحضارة الإنسانية، أى الإمبراطورية الأكدية السامية التي أسسها سرجون الكبير في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد والتى سميت

بالأكدية نسبة إلى عاصمته " أكد " التي أقامها، وقد دام حكمها زهاء قرن ونصف قرن من سنة ٢٣٧١ إلى ٢٢٣٠ ق.م وكان انهيارها على يد القبائل الكوتية الجبلية التي انحدرت من جبال زاغروس فاحتلت بابل وقضت على الحكم الأكدى في البلاد.



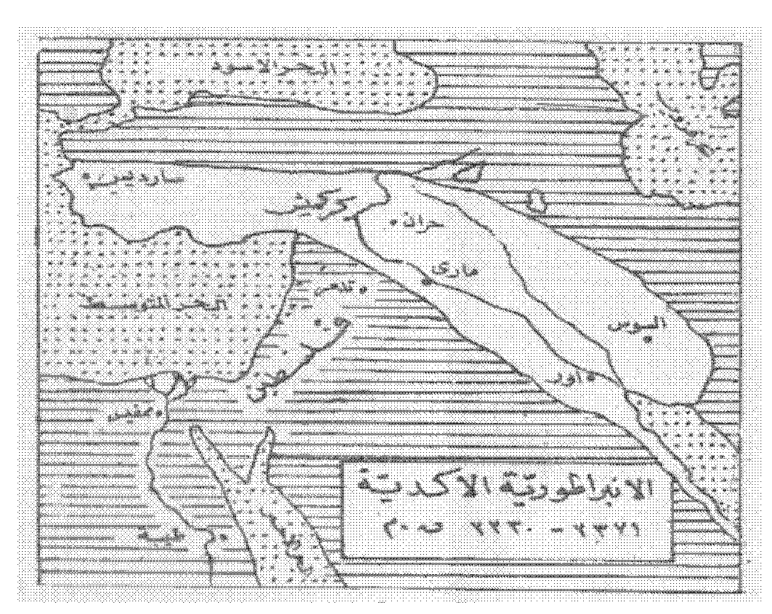
التصوير رقم (٣٩)

سرجون الكبير مؤسس الإمبراطورية الأكدية (٢٣٧١ - ٢٣١٦ ق.م)

يرى بعض الباحثين أن هذه الصورة تمثل صورة " ترام سين " حفيد سرجون، وليس سرجون نفسه

وقد شملت الإمبراطورية الأكدية معظم الهلال الخصيب، وعيلام وقسما من آسيا الصغرى إلى ساحل البحر المتوسط، فضمت بلاد آشور وما حولها شمالا وبلاد الكوتيين (قبائل زاغروس شمال العراق وشرقيه) وامتدت حتى ضمت قسما من آسيا الصغرى حتى ساحل البحر المتوسط، ويروى عن سرجون أنه وصل إلى جزيرة كريت، أما في الشرق فقد ضمت بلاد العيلاميين وهو القطر المعروف اليوم بعربستان وخوزستان ومن ضمنه مدينة السوس عاصمة العيلاميين، وقد أسس سرجون أسطولا في الخليج العربى بعد استيلائه على الدويلات السومرية في جنوبى العراق فمخر البحر المعروف اليوم ببحر عمان وبحر العرب ليضم جزائرهما إلى مملكته وهنا غسل يديه في مياه البحر كحاكم على أكد وسمور، وكان أبرز ملوك هذه المملكة بعد سرجون حفيده الملك نرام سين (٢٢٩١ - ٢٢٥٥ ق.م) الذي لقب نفسه " ملك الأقاليم الأربعة - ملك العالم ".

وقد أصبحت اللغة الأكدية بعد استتباب السلطة الأكدية الحاكمة اللغة الرسمية في جميع العراق وفى أكثر الأقطار التي خضعت للحكم الأكدى. واللغة الأكدية ومعها البابلية والأشورية هى من اللغات السامية الشرقية تمييزا لها عن اللغات السامية الغربية الشمالية (أى اللغات السامية في سورية).



المرتسم رقم (٧)

وقد استمرت الأكدية كلغة للتخاطب في العهد البابلى القديم والعهد الأشورى والعهد البابلى الأخير حتى أواخر القرن السابع قبل الميلاد، ثم زاحمتها اللغة الأرامية[١]، حتى أزالتها من التداول. وقد اقتبس الأكديون الخط المسمارى الذي كان شائعا استعماله في العراق كما استعاروا عبارات جمة من اللغة السومرية بعد اختلاطهم بالسومريين.

وكان الأكاديون قد برعوا في النحت والنقش فركزوا اهتمامهم في إظهار التفاصيل الدقيقة في الأختام أكثر من اهتمامهم بالزخارف، فمن منحوتاتهم لوح " نرام سين " حفيد سرجون المعروف " بلوح الظفر " وقد عثر عليه في السوس من بلاد العيلاميين سنة ١٨٩٧ وهو محفوظ الآن في متحف اللوفر في باريس. ويعد هذا اللوح من أعظم الأعمال الفنية في العالم القديم وهو أقدم عمل فنى عظيم أخرجته يد رجل من الجنس السامى. ويصور هذا اللوح الملك " نرام سين " وهو

(١) انظر ما تقدم من الأراميين واللغة الأرامية.

على رأس جيش أكدى في أعالى الجبال قاهرا قوما يعرفون باسم " لولوبيين "، ويظهر في أعلى اللوح الشعار الأكدى مكررا، كما عثر على أثر ضخم مصنوع من قطعة واحدة تمثل في الظاهر رأس سرجون الكبير أو نرام سين بلحيته الكبيرة الكثة وعليه خوذة مصنوعة من معدن البرونز المخطوط بالحديد، ويعتبر هذا الأثر من أجمل ما وصل إلينا من الصنع الدقيق في هذا الفن من العصور الأكدية (انظر التصوير رقم ٣٩).

ومما يذكر أن الأكديين الساميين كانوا أول من ابتدع نظام الإمبراطورية وذلك في تعيين الحكام في الأصقاع يحكمون فيها باسم الدولة الأكدية، وقد سبقوا جميع الأمم على ذلك فهم منشئوا نظام الحكم الدولى المعروف والمتبع إلى اليوم في العالمين. كما كان الأكديون قد شاركوا في توطيد أركان الحضارة القائمة على الزراعة المرتكزة على الرى الدائم في العراق، وهى حضارة سامية عربية أسسها الساميون العرب النازحون من الجزيرة العربية إلى ضفاف الفرات، وقد سماها بعض الباحثين " الحضارة الإروائية " أو " الحضارة النهرية ". ويعد الباحثون بلاد ما بين النهرين الوطن الأول لنظام الرى الدائم هذا (١).

وننقل هنا ما دونه العالم الألمانى الدكتور أنطون مورتكارت في وصف الأكاديين حيث يقول: " ينتسب الأكاديون إلى أسرة الشعوب السامية البدوية الكبيرة التي استوطنت دوما الصحراء العربية - الشامية، ولابد أن يكون موقع ولوج الأكاديين إلى أراضى سومر إلا من المنطقة التي يقترب فيها الدجلة والفرات اليوم اقترابا شديدا من بعضهما وتماما في المناطق المحيطة بمدينة كيش القديمة (سابقة مدينة بابل) (٢).

عصر مسيلم:

ومما يذكر في هذا الصدد أن الدكتور مورتكارت قد أكد على وجوب إضافة حقبة حضارية سامية قائمة بذاتها تعود إلى عصور فجر التاريخ وتسبق عهد الإمبراطورية الأكدية، وقد سمى هذه الحقبة الحضارية السامية البحتة التي مصدرها هجرة الساميين العرب من شبه جزيرة العرب " عصر مسيلم " نسبة إلى " مسيلم " أحد الملوك الساميين الأوائل في مدينة " كيش " السامية، وهذا الاسم كما هو واضح اسم سامى عربى، ويعتقد أن زمن مسيلم هذا يرجع إلى

(١) انظر الدكتور أحمد سوسة: " الرى والحضارة في وادى الرافدين ".
(٢) أنطون مورتكات، " تاريخ الشرق الأدنى "، ص ٨٤.

أواخر النصف الأول من القرن السابع والعشرين قبل الميلاد.

ويرى الدكتور مورتكارت أن " عصر مسيلم " يمثل نقطة تحول مركز ثقل الحضارة إلى مدينة كيش السامية عاصمة الملك مسيلم التي تعتبر على حد تعبيره الأم القديمة لمدينة بابل الشهيرة عاصمة الحقبة الكلاسيكية والتى انطلقت منها منذ ذلك الحين موجة عم بها العنصر السامى المنطقة بأسرها. والمنطقة التي يقصدها الدكتور مورتكارت هى المنطقة التي تمتد من مدينة " كيش " جنوبا إلى مدينة سيبار شمالا حيث تقع داخل هذه المنطقة أطلال جمدة نصر ذاتها، ويمضى مورتكارت في حديثه حول عصر مسيلم فيقول: " ويعود الفضل في كل ما نعرفه بشكل ملموس عن هذا العصر في النواحى المادية والفكرية كليا إلى المكتشفات الأثارية، وهذا ما دعانا بحق إلى ضم هذه الحقبة والحقبتين السابقتين الوركاء وجمدة نصر إلى عصور فجر التاريخ وليس إلى فترة بدء التاريخ. هذا ويعتبر الانقلاب الذي طرأ على كامل حضارة عصر جمدة نصر وانتقالها إلى عصر مسيلم من أعنف ما عرفناه خلال جميع مراحل تطور الشرق الأدنى القديم ".

ثم يضيف دكتور مورتكات إلى ذلك قوله: " إن عصر مسيلم يمثل حضارة جديدة كليا إذا ما قورنت بعصرى الوركاء وجمدة نصر، إذا طرأ على فن العمارة في هذا الدور تبدل شمل نواحيها التقنية البحتة وعناصرها الرئيسية في نفس الوقت، فشكل الآجرة في عصر مسيلم يشكل لغزا أكثر تعقيدا من لغز اختراع مادة الآجر نفسها في العصور السابقة، ولا يقتصر الشئ الجديد على شكل الآجرة وحسب بل تعداه أيضا إلى أسلوب تأسيس البناء، كما طرأ تبديل حاسم على صناعة الأختام وعلى فن النحت من عصر جمدة نصر إلى عصر مسيلم بنفس الدرجة التي شملت فن العمارة ".

وأخيرا ينتهى دكتور مورتكات إلى التأكيد على الدور الذي لعبه الساميون في تطور حضارة الشرق الأدنى بقوله: " من المؤكد أن الساميين قد نزلوا البلاد قبل أن يكون هناك إمبراطورية أكدية أصلا، ومن المؤكد أيضا أنهم رغم وقوفهم منذ قرون ضد السومرية تصاهروا مع السومريين واختلطوا بهم وتعاونوا معهم في جميع المجالات الفكرية بعد أن دخلوا البلاد مسالمين على هجرات متتالية وبأعداد متزايدة حتى أصبح تفوقهم على السومريين حقيقة واقعة منذ قرون عديدة كما حدث في مارى وكيش خاصة وإننا نملك منحوتات من مدينة مارى تحمل كتابة سامية أقدم من سلالة أور الأولى. ناهيك بعصر مسيلم الذي يشكل الفصل

الأخير لعصر فجر التاريخ، تلك الحضارة التي تجعلنا نفترض وجود مساهمة سامية قوية في بنائها وذلك على عكس ازدهار الحضارة السومرية خلال حقبة أوروك (الوركاء) [١].

٦ ـ هجرة القبائل العربية إلى مصر:

وقد أكد عدد من مشاهير علماء الآثار أن الهجرات من جزيرة العرب لم تقتصر على سورية وفلسطين ولبنان والعراق بل تعدتها إلى مصر أيضا، حيث يعتقد بأن جماعات نزحت عبر جزيرة العرب إلى وادى النيل واستقرت فيه في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد، فجاءت هذه الجماعات إلى مصر من برزخ السويس أو من طريق جنوب الجزيرة عبر مضيق باب المندب، جاءت ومعها حضارة أرقى مما كان في مصر، فجاءت بحسب رأيهم بفن التحنيط وبالكتابة الهيروغليفية [٢]، كما أدخلت معها معرفة المعادن وبخاصة النحاس، وأدخلت معها كذلك الديانة الوثنية العربية وفنونها ونظمها الاجتماعية والسياسية [٣]، كما يؤكد هؤلاء أن الساميين عمموا في مصر لغتهم وصبغوها بصبغتهم كما هو ظاهر من النقوش المصرية القديمة وأن لغتهم حافظت على هذه الصبغة بالرغم مما طرأ عليها مع مرور الزمن من تغيير وتبديل باختلاط السكان [٤].

ويروى الأستاذ طه باقر: أن الباحثين في أصول أقوام الشرق الأدنى يرون بأن هجرة مهمة من الساميين ذهبت إلى مصر في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد واختلطت بالسكان الأصليين كما نعرفهم في التاريخ [٥].

ويقول جرجى زيدان [٦] نقلا عن الأستاذ كينغ [١]: " أن الساميين نزحوا إلى

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٤ ـ ٥٢.

(٢) الدكتور محمد عزة دروزة: " تاريخ الجنس العربي "، ج١، ص ٢٦.

(٣) المرجع السابق، ج٢، ص ١١.

(٤) انظر بريستد: " تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى "، غوستاف لوبون، " الحضارة المصرية "، غوستاف جيلى، " تاريخ المدنية المصرية "، الدكتور كمال حسن: " تاريخ السودان القديم "، بارتون، " نبذة عن الأصول السامية "، الدكتور فيليب حتى، " تاريخ العرب "، الدكتور محمد عزة دروزة: " تاريخ الجنس العربى "، ج١ و٢.

(٥) طه باقر: " مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة "، ج١، ج٢، ص ١٣؛ سومر: م٥، ١٩٤٩، ص ١٣٢.

(٦) جرجى زيدان: " العرب قبل الإسلام " ج١، ص ٥٢.

مصر من عهد قديم جدا، ويؤخذ من الاكتشافات الأثارية الأخيرة أن العصر الحديدى بمصر يبدأ بدخول الساميين إليها، أى أن المصريين لم يكونوا يعرفون الآلات الحديدية قبل دخول الساميين فأتاهم الساميون بالحدادة منذ أقدم أزمنة التاريخ المصرى ولعلهم حملوا إليهم ذلك من وادى الفرات عن تمدن سومرى الأصل اكتسبه الساميون بالمجاورة قبل فتح بابل وحملوه إلى مصر، ومما يستدل به على قدم نزوح الساميين إلى مصر أن (بتاح) أقدم آلهة المصريين، هو إله سامى الأصل ".

ولقد قال المؤرخ ماسبيرو: " إن لعروق المصريين الأقدمين والعرب والفينيقيين والكنعانيين روابط تشد بعضها إلى بعض وليس المصريون سوى ساميين انفصلوا عن مهد الساميين قبل غيرهم " (٢).

أ ـ حكم الهكسوس في مصر:

والرأى الغالب أن الساميين كانوا قد نزحوا من جزيرة العرب إلى شبه جزيرة سيناء واستقروا هناك منذ أقدم أزمنة التاريخ، وكان المصريون يسمونهم " منيوساتى " " أى رعاة آسيا " وصارت هذه القبائل تعرف لدى اليونانيين في وقت لاحق باسم " الهكسوس "، أى ملوك الرعاة، فغزت هذه القبائل من هناك سورية وفلسطين وأسست فيها دولة شملت ثقافتها القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد، والتحقق بجمعهم المكون معظمه من العموريين والكنعانيين أقوام نزحوا من برارى آسيا الوسطى وأوربا على شكل موجات إلى جهات الشرق الأدنى. ومن أهم مراكزهم الرئيسية في سورية وفى فلسطين مدينة " قطنا " التي يرجح أنها كانت عاصمتهم وتعرف خرائبها اليوم باسم " المشرفة " في شمال شرقى حمص، وبلدة " شكيم " وتعرف الآن باسم " البلاطة " بالقرب من نابلس، وبلدة " لخيش " (تل الدوير حاليا) و " شاروهين " و " أريحا " واشتهرت مواضع الهكسوس في سورية في شكل بنائها الخاص بهم، وهو على هيأة حصون محاطة بخنادق المياه. وكان حكم الهكسوس قائما على النظام الإقطاعى الذين فرضوه على البلاد التي وقعت تحت قبضتهم، وقد اغتنم هؤلاء الهكسوس فرصة الضعف والانحلال اللذين كانا يسودان مصر حينذاك بسبب النزاع الداخلى بين

(1) L.W. King, "Egypt and Western Asia in the Light of recent Discoveries", London, 1907.

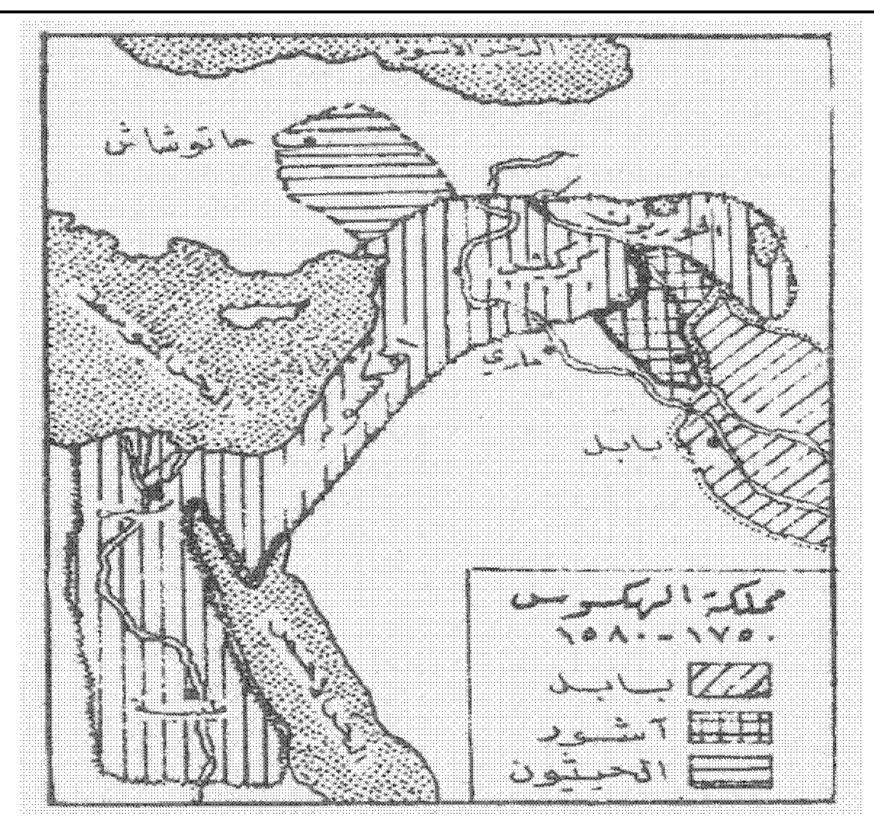
(٢) الدكتور محمد عزة دروزة، " تاريخ الجنس العربى "، ج٢، ص ١٠.

مصر العليا ومصر السفلى، فغزوا مصر واستولوا على مصر السفلى ولاسيما الدلتا وثبتوا سلطانهم فيها حيث ابتنوا عاصمة لهم هناك، واستمر الهكسوس يحكمون مصر السفلى زهاء القرنين بين (سنة ١٧٨٥ وسنة ١٥٨٠ ق. م) [(١)]. وكان المصريون يسمون الهكسوس " شاسو " أى البدو وعرفت دولتهم بدولة البدو، وكان العرب يسمونهم العمالقة أو العرب البائدة (انظر المرتسم رقم ٨).

وأول من أطلق على هذا القوم اسم الهكسوس هو الكاهن المصرى " مانيثون " الذي عاش وكتب تاريخه المشهور في حدود ٢٨٠ ق.م، فقد نقل المؤرخ يوسفوس كلام مانيثون عن الهكسوس بما هو نصه: " واتفق على عهد تيماوس أحد ملوكنا أن الإله غضب علينا فأذن لقوم لا يعرف أصلهم جاءوا من الشرق وتجاسروا على محاربتنا وغلبونا على بلادنا وأذلوا ملوكنا وأحرقوا مدننا وهدموا هياكلنا وآلهتنا وساموا الناس ذلا وخسفا فقتلوا الرجال وسبوا النساء والأولاد ثم نصبوا عليهم ملكا منهم اسمه " سلاطيس " أقام في منفيس وضرب الجزية على مصر أعلاها وأسفلها وأقام الحاميات في المعاقل لدفع الأشوريين عن وادى النيل إن هم طمعوا به وبنى مدينة " أوراس " في ولاية " صان " لهذه الغاية وحصنها بالأبراج والقلاع والأسوار، وأكثر من حاميتها حتى بلغ عدد أفرادها ٢٤٠.٠٠٠ وكان سلاطيس يأتى إليها في الصيف لجمع الحنطة ودفع رواتب الجند وتمريسهم على شئون الحرب، وبعد ١٣ سنة من حكمه خلفه ملك اسمه " بيون " وحكم ٤٤ سنة وجاء بعده (أبا خناس) الذي حكم ٣٦ سنة وسبعة أشهر، ثم (أبو فيس) ٦١ سنة و (بانياس) ٥٠ سنة وشهرا، وأخيرا حكم (أسيس) ٤٩ سنة وشهرين، وهؤلاء الستة أول من حكم من ملوكهم ولم يكفوا عن محاربة المصريين لأنهم كانوا يلتمسون إبادتهم، وكانت هذه الأمة تسمى هكسوس أى ملوك الرعاة لأنها مؤلفة من (هيك)

---

(١) ذهب البعض إلى أن قبائل الهيكسوس حكمت مصر حوالى خمسمائة عام بين القرن الثالث والعشرين والثامن عشر قبل الميلاد وذلك استنادا إلى قول المؤرخ المصرى مانيثون أن الهكسوس حكموا مصر ٥١١ سنة، بينما يرى بريستد أن حكم الهكسوس لم تزد مدته على مائة سنة في مصر والقول بأن مدة هذا الحكم أطول من ذلك يطيل المدة بين سقوط الأسرة الثانية عشرة ونهاية حكم الهكسوس، ويضيف إلى ذلك قوله بأن الأرجح أن دخول الهكسوس إلى مصر كان تدريجيا أشبه بشئ بهجرة غير مصحوبة بحروب أو منازعات " تاريخ مصر "، ص ١٤٣.



المرتسم رقم (٨)

ومعناها باللغة المقدسة ملك و " سوس " راعى ولكن البعض يقول أنهم " عرب " ويمضى يوسفوس فينقل عن مانيثون أيضا قوله إن هذا القوم الذي أطلقنا على زعمائه اسم ملوك ودعوناهم حكموا في مصر ٥١١ سنة [١]، وفى أصل الهكسوس يقول بريستد: " ويستنتج من رواية مانيثون ومن أخبار سورية وفلسطين بعدئذ إمبراطورية الهكسوس سامية الأصل " [٢].

ب ـ حضارة الهكسوس وثقافتهم:

لقد اقتبس الهكسوس الحضارة المصرية أثناء حكمهم في مصر وأصبح ملوكهم فراعنة مثل ملوك مصر، وقد أدخلوا إلى مصر استعمال الخيل والعربات الحربية التي تجرها الخيول مما ساعدهم على الفتح وإحداث الرعب والفزع بالمصريين الذين لم يشاهدوها من قبل، ويدل ذلك على صلة الهكسوس بالأقوام الهندية الأوربية التي جاءت منها موجات إلى أجزاء الشرق الأدنى فأدخلت معها

(1) "The complete Works of Joephus". By W. Whiston p. 547.

(٢) بريستد، " تاريخ مصر القديم "، ص ١٤٢.

الخيول إلى تلك الأجزاء [١]. وقد أدخل الهكسوس إلى مصر أيضا السيف المقوس المصنوع من الحديد والقوس المركب، وهو القوس الذي ظهر لأول مرة في العراق في عهد السلالة الأكدية، كما أدخلوا تحسينات مهمة في فن التعدين، وترجع إلى عهد الهكسوس طائفة من التآليف العلمية التي كانت نسجا عن أصول أقدم، ولكنها دونت في هذا العهد، كما أن جزءا مهما من المعرفة بالرياضيات المصرية مستمد من نصوص هيروغليفية من عصر الهكسوس.

ومما يذكر أن اثنين من ملوك الهكسوس كانا يحملان اسم " يعقوب - إيل " و " يعقوب - بعل " جريا على العادة المتبعة بإلحاق اسم الإله باسم الملك من قبيل التبرك، وقد وردت كلمة " يعقوب - إيل " أيضا بصيغة اسم لمكان في الكتابات المصرية[٢]، مما يدل على على أن يعقوب كان اسما شائعا بين القبائل السامية، كما أن اسم الإله " إيل " الذي ورد ذكره في التوراة كان معروفا عند الساميين العرب قبل عهد النبى موسى إذ كانت له مكانة سامية عند الكنعانيين والأراميين باعتباره " الإله العلى ".

أما ديانة الهكسوس فليست لدينا معلومات واضحة عن عبادتهم إلا أن

---

(١) يفيد الباحثون أن موطن الخيول الأصلي هو أمريكا حيث كانت وحشية كباقي الحيوانات الوحشية وقد وجدت طريقها من أمريكا إلى آسيا منذ العصور الحجرية القديمة وذلك عندما كانت أمريكا وآسيا تشكلان قارة واحدة ثم انتقلت إلى أرض فلسطين في حالتها الوحشية في العصر الميسولثي (٢٠.٠٠٠ - ٧٠٠٠ ق.م) ، وقد دجنت منذ عهد قديم في مكان ما شرقي بحر قزوين من قبل قبائل الهندو - أوروبية الرحل، وقد أدخلت إلى سورية في عهد الهيكسوس ومنها انتقلت إلى مصر ثم إلى الجزيرة العربية حيث كان لها أضمن حماية للحفاظ على سلالتها الأصلية دون الاختلاط بدك الخيول الأخرى، لذا فإن جميع أنساب الخيول العربية الممتازة في العالم ترجع إلى البادية العربية، وأهل الجزيرة العربية ما زالوا حتى يومنا هذا يعنون عناية خاصة بالخيول الأصلية ويحافظون على سلالتها العربية إلا أن إيقاف الغزو القبائلي وانتشار وسائل النقل الآلية بعد الحرب العالمية الأولى أثرت في منتوج الخيول الأصلية في البادية، فهبط عددها هبوطًا كبيرًا بدرجة أن عاف معظم أفراد القبائل الرحل تربيتها لما يكلفهم ذلك من نفقات وجهود بلا عوض يذكر، فبقيت تربية الخيل بأيدي القبائل العربية المستوطنة على ضفاف الرافدين والمحترفة الزراعة لتوفر أسباب تربيتها لديهم ولدوام حاجتهم إليها بنطاق ضيق (انظر كتاب الدكتور حتي " سورية " الطبعة الإنكليزية، ص ٥٢).

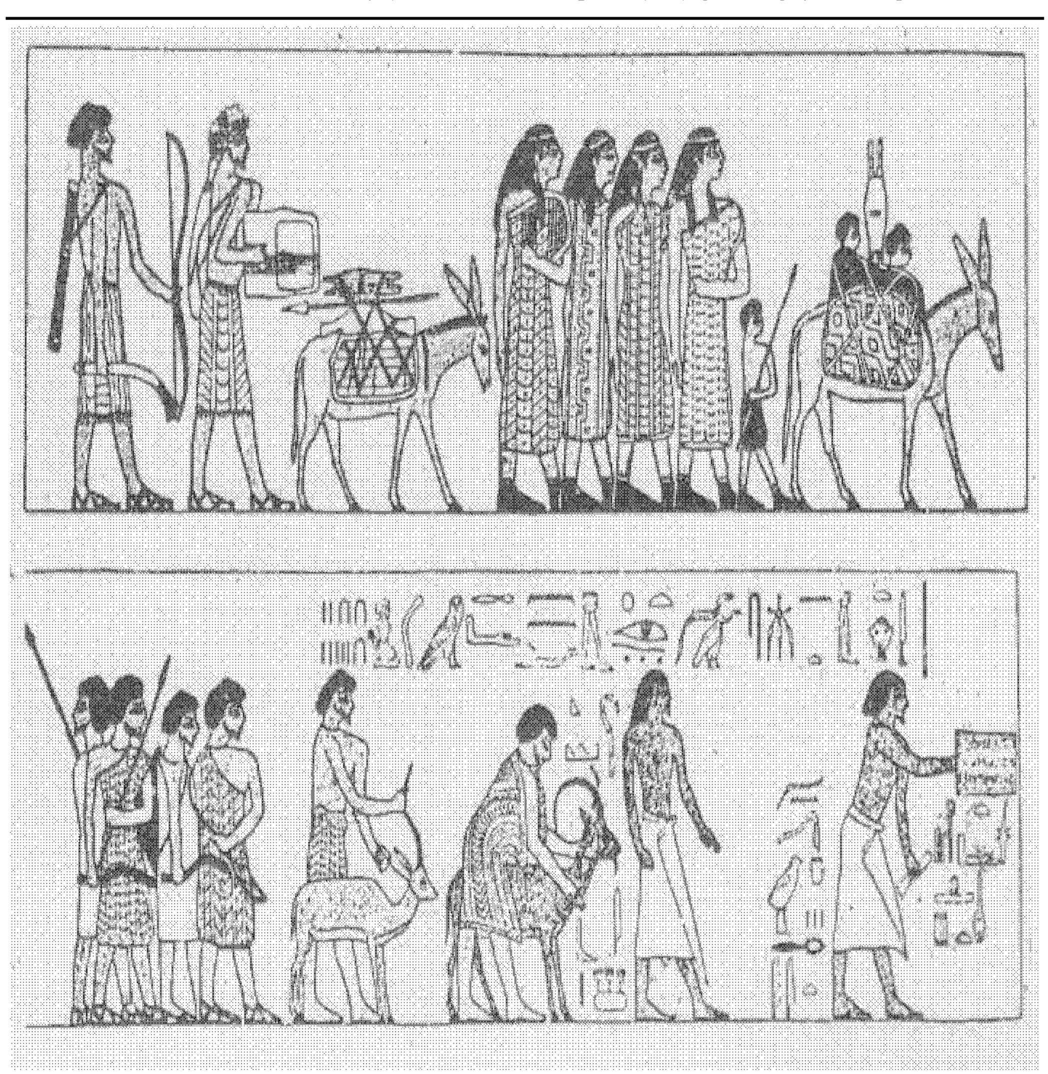
(2) Olmstead, “Palestine”, P. 106.

المعروف على وجه التحقيق أنهم لم يكونوا يعبدون الآلهة المصرية، والمعلوم أن الهكسوس عندما اتخذوا أفارس عاصمة في مصر عبدوا الإله " سوتح " وقد تواتر أن الملك " أبو فيس " لم يسمح بعبادة إله آخر في البلاد كافة [١]، لذلك فقد نكون أقرب إلى واقع الحال إن خلصنا إلى القول بأن فكرة التوحيد كانت شائعة بين الهكسوس مثلما كانت معروفة لدى الكنعانيين والأراميين والمديانيين (انظر ما تقدم عن مكانة الإله " إيل " في ديانة الكنعانيين والأراميين).

ج ـ أسرة سامية عربية مهاجرة إلى وادى النيل على نقش مصرى قديم:

ومما يدل على أن هجرة الساميين العرب من الجزيرة العربية إلى وادى النيل ترجع إلى زمن قديم أن المصريين قد سجلوا في نقش عثر عليه في منطقة بنى حسن على نهر النيل الواقعة على بعد حوالى مائتى ميل جنوب القاهرة صورة ملونة جميلة لأسرة سامية عربية مهاجرة من جزيرة العرب أو فلسطين إلى وادى النيل، ويرجع الدكتور (حتى) أنها عمورية من جنوب فلسطين، وقد نقش هذا التصوير الذي يرجع إلى زمن الفرعون " سيزوستريس الثانى " حوالى ١٩٠٠ قبل الميلاد، على جدران مقبرة الحاكم المصرى " خنوم هوتيب " ويمثل المنظر رئيس قبيلة عربية (كنعانية أو عمورية) يسمى " أبيشاى " وأفراد عائلته وأتباعه جاءوا نازحين من شمال جزيرة العرب إلى مصر، وقد ورد ذكر شخص باسم " أبيشاى " أيضا في التوراة بصفته أخ أحد قواد الملك داود يرجع إلى حوالى سنة ١٠٠٠ ق.م [٢].

(١) آرمان، " ديانة مصر القديمة "، ص ١٢٠.
(٢) (ا صم، ٢٦: ٦ - ٩)، (٢ صم، ٢١: ١٧، ٢٣: ١٨).



التصوير رقم (٤٠)
أسرة سامية عربية مهاجرة إلى وادى النيل على نقش مصرى قديم
يرجع إلى ما قبل حوالى أربعة آلاف سنة

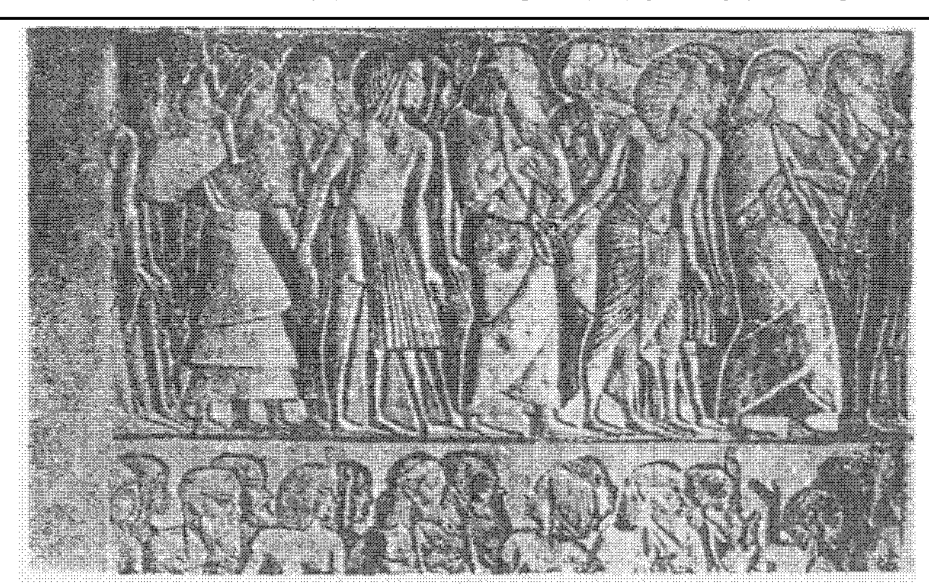
ويشاهد في النقش موظفان مصريان يتقدمان الموكب ليقدما الجماعة إلى الحاكم المصرى " خنوم هوتيب " وقد ورد في الكتابة الهيروغليفية التصويرية التي يحملها أحد الموظفين المصريين بيده إلى أن هذه الجماعة هى من " سكان الرمال " وقد جاءت إلى مصر وهى مؤلفة من ٣٦ شخصا من نساء وأطفال ورجال يرأسها الشخص المسمى " أبيشاى

" وقد جاءوا بهدايا معهم إلى الحاكم منها كمية من مادة (الكحل) التي تصبغ بها أهداب العين إلى زوجته، وقد سمى " الكحل " بـ " ستيبيم ".

وتتألف ألبسة هذه الجماعة كما تشاهد في النقش بألوانها الأصلية من أردية صوفية عليها زخارف ذات ألوان زاهية وهى تصل إلى الركبة بالنسبة للرجال وإلى الكوارع بالنسبة للنساء وألبسة الجميع معلقة من فوق كتف واحد بحيث يكون الكتف الثانى عاريا. والرجال ملتحون وقد رتبوا لحاهم على الطريقة التي يتبعها البدو في ترتيب لحاهم في الوقت الحاضر أى مستهدفة الرأس ملتمة عند الحنك، أما شعر رأس النساء فمدلى على الأكتاف وعلى الصدر وقد ربط بشريط أبيض على دائرة الجبهة، وقد لبس الرجال نعالا من الجلد بينما لبست النساء أحذية قصيرة، وتشاهد قرب الماء وقد وضعت داخل أوعية موشاة بزخارف ملونة. أما أسلحتهم كما تشاهد في النقش فهى الأقواس والنبال والرمال كما ويشاهد أحدهم وهو يعزف على قيثارة ذات ثمانية أوتار (انظر التصوير رقم ٤٠).

د ـ طرد الهكسوس من مصر:

ولما كان أمراء مصر العليا قد بقوا محافظين على استقلالهم بعد احتلال الهكسوس لمصر السفلى فقد صاروا يتحينون الفرص للقضاء على الهكسوس وطردهم من مصر، وبعد حروب دامت زهاء نصف قرن من الزمن تم طردهم نهائيا من مصر، على يد القائد المصرى " أحموسة " وهو مؤسس السلالة الثامنة عشرة، وبها ابتدأ عهد جديد في تاريخ مصر هو عهد الإمبراطورية الذي دام زهاء خمسة قرون (١٥٨٠ - ١٠٨٥ ق. م) ولم يكتف ملوك هذه السلالة بطرد الهكسوس من مصر بل لاحقوهم إلى فلسطين وسورية وحاربوهم هناك في مقرهم القديم الذي غزوا منه مصر، فاستطاع أحد ملوك هذه السلالة أن يقضى على كيان الهكسوس في بلاد الشام في معركة كبرى وقعت في " مجدو " (١٤٧٩ق.م)، فثبت بذلك النفوذ المصرى هناك وأسست الإمبراطورية المصرية التي شملت سورية وفلسطين.



التصوير رقم (٤١)
أسرى من فلسطين وسورية واقتادهم المصريون على أثر الفتوحات المصرية في الشرق في القرن الرابع عشر قبل الميلاد

٧ ـ العموريون العمالقة وتأسيس الامبراطورية البابلية القديمة [ثانى امبراطورية سامية]

قلنا فيما تقدم أن العموريين العمالقة انتشروا في بداية هجرتهم من جزيرة العرب في أواسط سورية وفى لبنان ثم امتدوا غربا إلى فلسطين وأسسوا هناك عدة دويلات، أهمها دولة " عمورو " التي اتخذت بلدة " مارى " على نهر الفرات عاصمة لها، إلا أن أكثر دويلاتهم ومن ضمنها عاصمتهم " مارى " ضمت إلى إمبراطورية سرجون الأكدية في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد، ولكنهم عادوا فأسسوا بعد سقوط الإمبراطورية الأكدية عدة دويلات في وادى الرافدين حتى تمكنوا في أوائل القرن التاسع عشر قبل الميلاد من تأسيس مملكة موحدة حكمت أكثر أقطار الشرق الأوسط، وعرفت مملكتهم بالمملكة البابلية القديمة كما عرفت سلالة ملوكها بسلالة بابل الأولى.

وتنتمى هذه السلالة إلى الموجة السامية الثانية (هجرة العموريين العمالقة) وقد جاءت قبائلها من أعالى نهر الخابور (خابور الفرات) وانحدرت إلى الجنوب مع مجرى الفرات حتى استقرت في منطقة بابل، وكان أول ملوك هذه السلالة الملك " سموابوم " حكم ١٣ سنة من سنة ١٨٩٤ إلى سنة ١٨٨١ ق.م. وقد اتخذ بابل عاصمة له، وكانت بابل حينذاك بلدة صغيرة لم تشتهر بعد، كان يقطنها

بعض الساميين الغربيين وبقايا الأكديين التي كانت عاصمتهم " أكد " قريبة من منطقة بابل، فصارت بعد ذلك ذات شأن عظيم في تاريخ البلاد حتى أن اسم بابل أطلق على القسم الوسطى والجنوبى من العراق.

وقد بلغ عدد ملوك هذه السلالة أحد عشر ملكا حكموا جميعا زهاء ثلاثة قرون بين سنة ١٨٩٤ وسنة ١٥٩٥ ق. م اشتهر من بينهم الملك حمورابى الشهير، وهو الملك السادس لهذه الدولة حكم ٤٢ سنة بين ١٧٩١ وسنة ١٧٥٠ ق.م وأعظم ما خلد مجده وأطار شهرته " شريعته العظيمة ".

وقد شن حمورابى في بداية حكمه حربا على بلاد سومر الجنوبية فضمها إلى مملكته وأسرع في إخضاع دويلات ما بين النهرين المهمة مبتدئا بدولة آشور في الشمال فاستولى على مدينة أشور ثم ألحق بمملكته مملكة مارى وتقدم شمالا على الفرات وافتتح المدن القريبة في بلاد الشام وسواحلها وهكذا ضم حمورابى إلى حكمه قسما كبيرا من بلاد الشرق الأوسط وأسس الإمبراطورية البابلية القديمة الواسعة، ولم تقتصر شهرة حمورابى على أعماله الحربية بل امتدت إلى الإصلاحات التي قام بها وإلى نشره الحضارة البابلية وثقافتها في البلاد التي فتحها، وعنى عناية شديدة بإدارة المملكة وضبطها وتهذيبها، وقام بمشاريع عديدة بخاصة مشاريع الرى فنشر الرخاء في البلاد، كما عنى عناية خاصة بالشئون الدينية والعدل.

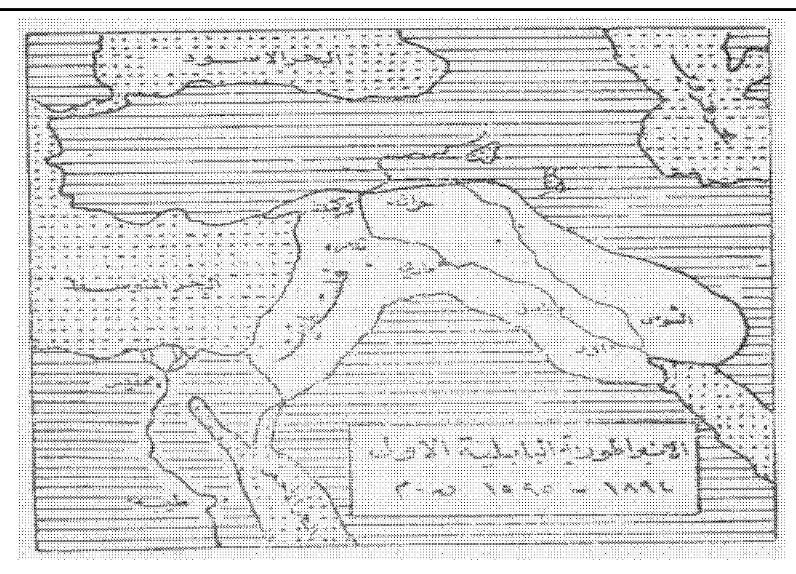


التصوير رقم (٤٢)
الملك حمورابى صاحب الشريعة البابلية الشهيرة

وأشهر ملوك الإمبراطورية البابلية القديمة (١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق. م)

وبعد وفاة حمورابى خلفه ابنه " شمسو - إيلونا " (١٧٤٩ - ١٧١٢ ق. م) الذي اشتهر بحفر القنوات والترع، ثم تولى الحكم بعده أربعة ملوك جهدوا في المحافظة على الإمبراطورية ولكنهم لم يستطيعوا أن يحولوا دون تأسيس إمارة جديدة مستقلة على شواطئ الخليج العربى وهى سلالة الأمراء التي عرفت سلالة القطر البحرى التي ظهر منها الكلدانيون، مؤسسو الإمبراطورية الكلدانية في أواخر القرن السابع قبل الميلاد، وقد تمكن ملوك هذه السلالة من بسط سيطرتهم على سواحل الخليج العربى وأكثر المدن السومرية والأكدية في جنوب العراق بعد أن كاد الجنس السومرى يتلاشى في الجنس السامى (الأكدى والعمورى). ثم أخذت الدولة البابلية تسير نحو الاضمحلال والزوال، ففى زمن الملك الحادى عشر " شمسو ديتانا " (١٦٢٥ - ١٥٩٥ ق. م) هجم الحيثيون والجبليون من بلادهم في آسيا الصغرى على بلاد بابل فاستباحوا مدينة بابل ونهبوها وخربوها ثم قفلوا راجعين إلى مستوطناتهم في جبال طوروس محملين بالغنائم والكنوز، وكان ذلك عام ١٥٩٥ق.م، وفى أعقاب تراجع الحيثيين زحف الكاشيون وهم جبليون أيضا من جبال زاغروس بقيادة زعيمهم " كنداش " مستغلين ضعف البلاد البابلية وخلوها من ملك قاهر وجيش مدافع فنزلوا أواسط العراق واحتلوا مدينة بابل حيث أسسوا سلالة كاشية ورثت جميع ممتلكات الدولة البابلية القديمة في العراق [1].

(1) H.G. Guterbock, “Babylonia and Assyria”, Enc. Brit., 1965 ed., Vol II,, pp. 951 - 979.



المرتسم رقم (٩)

٨ ـ الأشوريون وتأسيس الامبراطورية الأشورية (ثالث امبراطورية ـ سامية):

عرضنا فيما تقدم صورة عامة لأقدم الأقوام السامية التي نزحت من جزيرة العرب إلى الهلال الخصيب وهم الكنعانيون والعموريون والأراميون والأكديون والهكسوس، وهؤلاء كلهم كانوا قد اتجهوا إلى سورية والعراق. أما نايحة نهر دجلة فكان أول من قصدها من القبائل السامية جماعات عبرت نهر الفرات فتوغلت في منطقة ما بين النهرين، ثم استقرت في حوالى أواخر الألف الرابعة أو أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد في المنطقة الشمالية من العراق في البقعة الممتدة على طول ضفة نهر دجلة اليمنى بين الموصل والشرقاط، وكانت هذه المنطقة تعرف باسم " شوبارتو " فأسست هذه الجماعات مدينة هناك صارت تعرف فيما بعد بمدينة " أشور " نسبة إلى الإله " أشور " إله القوم الذين سكنوا هذه الديار، كما صارت الجماعات التي استقرت في هذه المنطقة تسمى بالأشوريين، وأخيرا صارت المنطقة بأسرها تعرف باسم " أشور " وأطلال مدينة " أشور " هذه تقع اليوم على الجانب الأيمن من نهر دجلة على بعد حوالى تسعة كيلو مترات من جنوب مدينة الشرقاط وتسمى (قلعة الشرقاط) وفى هذه البقعة أقام هؤلاء النازحون إمارة صغيرة مؤلفة من مدينة أشور وأرباضها على نسق دويلات المدن الأكدية في جنوب العراق، وكانوا على اتصال مستمر بهذه المدن التي أخذوا عنها فن النقش والعمارة والكتابة وأسباب المعيشة التي توافرت فيها حينذاك، وكانت معظم زراعتهم على الأمطار، وكان الأشوريون يتكلمون فيما بينهم بلغة سامية قريبة من اللغة التي كان يتكلمها الأكديون في منطقة أكد

الجنوبية وكتبوا بالخط المسمارى لغتهم الأشورية (انظر ما تقدم عن هجرة الأكديين).

وبالنظر لموقع بلاد أشور الذي يجعلها معرضة للهجمات من جميع أطرافها فليس غريبا أن كانت هذه الدولة الجديدة قد بنت قواعدها على أساس حربى، حيث علمت الحرب الدائمة أهل أشور كيف يحمون حدودهم ويتحينون الفرص للاستقلال في مدنهم عن حكم الدول التي كانت فتوحاتها تخترق أراضيهم بين حين وآخر. فقد كان لدولة آشور جنود غير نظاميين، ثم حل محلهم جيش منظم، وهو القوة الرئيسية للدولة الأشورية، وتطورت هذه الدولة إلى تنظيم ثابت ومحكم لم تؤثر فيه المنافسات والمنازعات التي كانت سائدة بين الدويلات حتى صار في استطاعة مملكة آشور أن توجه جميع قواها الموحدة للقضاء على أعدائها الخارجيين. وساعد الأشوريين على ذلك أنهم كانوا قد بدأوا باستعمال الخيل والعجلات في جيشهم، وفى النهاية أصبحوا أعظم قوة حربية ضاربة رآها العالم القديم. وكانت التجارة رائجة من بلادهم وإليها، فكانت قوافل تجارتهم تمتد إلى آسيا الصغرى، وقد توثقت صلاتهم بالشعوب الأخرى المجاورة، فازدادوا قوة وثراء، ولما كانت الحقبة التي عاشتها بلاد آشور طويلة تخللتها عدة تقلبات أساسية، فقد رأى علماء الآثار تقسيم تاريخ بلاد آشور إلى ثلاثة عهود رئيسية هى:

١ - العهد الأشورى القديم.

٢ - العهد الأشورى الوسيط.

٣ - العهد الأشورى الحديث.

وفيما يلى نبذة عن كل منها:

أ - العهد الأشورى القديم [٤٠٠٠ / ٣٠٠٠، ١٥٩٥ ق.م]:

يبدأ هذا العهد بتأسيس مدينة أشور في حوالى أواخر الألف الرابعة أو أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد وينتهى في نهاية حكم مملكة بابل القديمة سنة ١٥٩٥ق.م [(١)] ولم يكن للأشوريين كيان سياسى ثابت في هذا العهد لاسيما خلال الألف الثالثة قبل الميلاد، ففى عهد المملكة الأكدية خضع الأشوريين للحكم الأكدى [(٢)]، ثم استقل

---

(١) انظر ما تقدم عن الإمبراطورية البابلية القديمة.

(٢) انظر ما تقدم عن هجرة الأكديين والإمبراطورية الأكدية.

بعض أمرائهم وفى أوائل العهد البابلى القديم (سلالة بابل الأولى) وكونوا مملكة مستقلة باسم مملكة آشور إلا أنه بعد ظهور حمورابى (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق. م) قضى على استقلالها.

ب - العهد الأشورى الوسيط [١٥٩٥ - ٩١١ ق.م]:

لقد عانى الأشوريون ظروفا حرجة في هذا الدور، ولكن على الرغم من تعرضهم لهجمات القبائل الآرامية وغزو الشعوب الجبلية كالحوريين والحيثيين [١]، تغلبوا على الشدائد وخرجوا بعدها أقوياء منتصرين محافظين على كيانهم السياسى، وقد ظهر هذا الدور عدد من الأمراء الأشوريين الأقوياء منهم آشور أوبلط الأول (١٣٦٥ - ١٣٣٠ ق.م) الذي قضى على الحوريين وضم مملكتهم (ميتانى) إلى الدولة الأشورية، وقد توسعت المملكة الأشورية في عهد أداد نيرارى الأولى (١٣٠٠ ق.م) حتى الفرات وشمالا حتى كركميش (جرابلس الحالية). وفى زمن سلمنصر الأول (١٢٧٦ - ١٢٤٥ ق.م) اتسع نفوذ الدولة الأشورية شرقا في المنطقة الجبلية فضلا عن امتداده إلى الغرب والجنوب. ثم بعد انتكاس دام زهاء ١٣٠ عاما أعاد الملك تغلات بلاسر الأول (١١١٥ - ١٠٧٧ ق.م) إلى المملكة هيبتها وسلطانها وامتدت فتوحاته إلى الأقطار الشرقية والشمالية، ثم تولى بعده ملوك ضعفاء تدهورت أحوال المملكة في أيامهم، فانتهزت القبائل الآرامية هذه الظروف لتوسيع سلطانها باتجاه الشرق فشكلت دويلات آرامية قوية في سورية وفى العراق بلغت ذروة ازدهارها في القرنين الحادى عشر والعاشر [٢]، وقد استمر دور الانتكاس هذا في بلاد آشور حتى ظهر ملوك استطاعوا إعادة كيان الدولة وتأسيس جيش قوى كان نواة الجيوش الغازية في العهد الآشورى الحديث على أثر تسلم الملك " أداد نيرارى الثانى " الحكم سنة ٩١١ ق.م.

ج - العهد الآشورى الحديث [٩١١ - ٦١٢ ق.م]:

يقسم هذا العهد إلى دورين: الإمبراطورية الأولى، ثم الثانية تفصل بينهما فترة انتكاس، وينتهى هذا العهد بسقوط نينوى عاصمة الأشوريين الأخيرة عام ٦١٢ ق. م، وبذلك يكون قد استمر هذا العهد ثلاثة قرون كاملة بلغ عدد الملوك الذين حكموا فيه ١٦ ملكا دونوا أخبارهم وحملاتهم العسكرية ورحلاتهم

(١) انظر ما يلى عنهم.

(٢) انظر ما تقدم عن هجرة الأراميين.

وإنجازاتهم الإعمارية، وقد تمكن الأشوريون خلال هذه الفترة من إعادة توسيع ممتلكاتهم فأسسوا إمبراطورية سامية عظيمة، وقد بلغت ن القوة العسكرية بحيث سيطرت في ذروة اتساعها على منطقة الشرق الأوسط كلها ومن ضمنها آسيا الصغرى وسواحل إيجة ومصر والخليج العربى وعيلام، هذا عدا فتوحاتهم للمناطق الجبلية في الشرق والشمال حتى بلاد أرمينية.

١ ـ الامبراطورية الأشورية الأولى (٩١١ ـ ٨٢٤ ق.م):

تمتد هذه الفترة بين سنتى ٩١١ و ٨٢٤ ق.م حكم فيها أربعة ملوك كان أشهرهم " آشور ناصر بال الثانى " وقد حكم من سنة ٨٨٤ إلى سنة ٨٥٩ ق.م فقام بتنظيم الجيش الآشورى وتدريبه مما ساعده على توسيع فتوحاته في المناطق الجبلية الشرقية والشمالية وتوطيد الأمن في أطراف المملكة ومستعمراتها، وقد استولى على اثنتى عشرة دولة صغيرة وعاد من حروبه بمغانم كثيرة، وكان من بين الأقاليم التي أخضعها الموانئ الفينيقية في حوض البحر المتوسط والمدن الأرامية ومنها دمشق.

وقد خلف " آشور ناصر بال " في الحكم ابنه " شلمنصر الثالث " ٨٥٩ ـ ٨٢٤ ق.م، فورث عن أبيه إمبراطورية شاسعة برهن على أنه كفء للمحافظة عليها ودعم نفوذه فيها بل وعلى توسيعها أيضا، فتمكن من إخضاع الأراميين والفينقيين وإسرائيل للجزية كما قهر بلاد بابل في حملتين قام بهما ضدها.

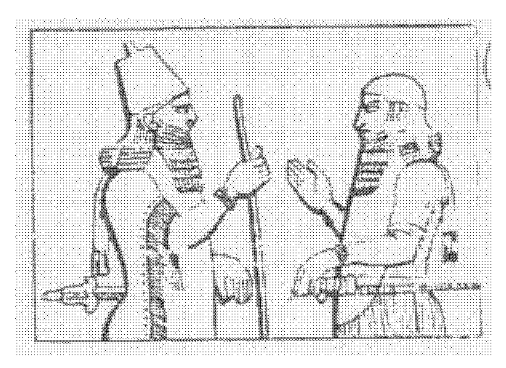
وحدث في السنين الأخيرة من حكم شلمنصر أن ثار عليه أحد أبنائه فعرض المملكة الأشورية إلى فقدان هيبتها في الداخل والخارج، واستغرقت الثورة أربع سنوات وانتهت بموت شلمنصر سنة ٨٢٤ ق.م.

٢ ـ فترة انتكاس الامبراطورية الأشورية (٨٢٤ ـ ٧٤٥ ق.م):

لقد سببت الحرب الأهلية تصدعا في جسم الإمبراطورية الأشورية فكانت بداية فترة انتكاس تقلص خلالها النفوذ الأشورى وانسلخت أكثر الأقاليم التابعة عن سلطة الدولة الأشورية، وقد دامت هذه الفترة حوالى ثمانين عاما، وقد حكم في هذه الفترة خمسة ملوك انهمكوا في إخماد ثورات الأقاليم حتى تولى زمام الحكم الملك " تجلات بلاسر الثالث " فأعاد إلى المملكة سلطتها وأنقذها من الدمار، فكان ذلك نهاية فترة انتكاس وبداية عهد جديد تكونت فيه أعظم إمبراطورية ـ هى الإمبراطورية الأشورية الثانية.

٣ ـ الامبراطورية الأشورية الثانية (٧٤٥ ـ ٦١٢ ق.م):

يبدأ هذا العهد بتسلم تجلات بلاسر الثالث زمام الحكم سنة ٧٤٥ ق.م وقد استمر حكمه ثمانى عشر سنة تمكن خلالها من استعادة نفوذ المملكة الأشورية بعد فترة الانتكاس، وحكم خلال فترة الإمبراطورية الثانية هذه ستة ملوك من ضمنهم تجلات بلاسر بلغت الإمبراطورية في عهدهم أوج عظمتها واتساعها خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد بحيث ضمت جميع أراضى الهلال الخصيب ومن ضمنها مصر، ولم تكتف بذلك بل وسعت نطاق سلطتها وسيطرتها حتى شملت البلاد الجبلية الشمالية والشرقية وما وراءهما، والذى يعنينا هنا من بحث هذه الإمبراطورية بوجه خاص الدور الرئيسى الذي لعبته في القضاء على مملكة إسرائيل نهائيا وسبى سكانها اليهود إلى أماكن بعيدة.



التصوير رقم (٤٣)

الملك سرجون الثانى، ملك آشور (٧٢٢ – ٧٠٥ ق.م) مع وزيره – من آثار خرساباد

ومن الحملات التي شنها نجلات بلاسر حملته على مملكة أرام فاستولى على عاصمتها دمشق سنة ٧٣٢ ق.م وسبى أهلها وقتل ملكها رصين ثم توجه إلى إسرائيل فاستولى على كل أرض فلسطين وسبى اليهود إلى آشور تاركا لهم مدينة السامرة.

وفى عهد شلمنصر الخامس، خلف تجلات بلاسر، جرد هذا الملك حملة على إسرائيل أيضا فحوصرت عاصمتها السامرة ثلاث سنوات وفى نهاية عام ٧٢٢ ق.م تم احتلال المدينة على عهد سرجون الثانى خلف شلمنصر، وبذلك تم القضاء على مملكة إسرائيل نهائيا.

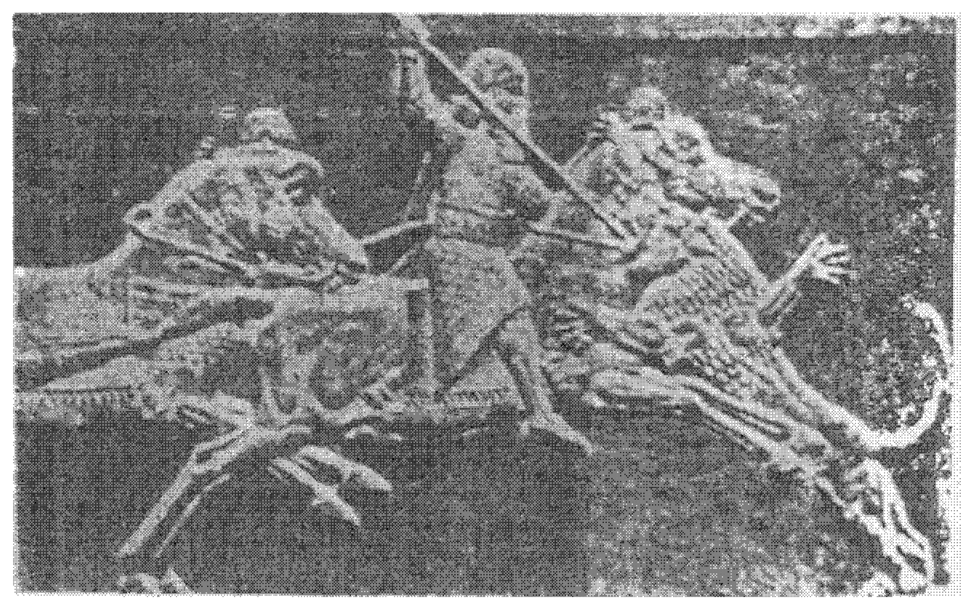


التصوير رقم (٤٤)
الملك أسرحدون (٦٨١ – ٦٦٩ ق.م)
يجذب الملك ترهاقة ملك مصر والملك بعل صور بحبل
نفذ من خلال شفتيهما مسلة عثر عليها في أطلال شمال (زنجرتى)

ومن أهم حملات سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق.م) خلف سرجون الثانى حملته على مملكة يهوذا التي بقيت بعد قضاء شلمنصر الخامس وسرجون على إسرائيل تنتظر دورها، وعلى الرغم من إسناد مصر ليهوذا فقد انتصر سنحاريب على قواتهما واحتل مدينة يهوذا وحاصر أورشليم ولم يفك الحصار عنها إلا بعد أن تسلم الجزية من ملك يهوذا.

وفى عهد أسرحدون بن سنحاريب (٦٨١ - ٦٦٩ ق.م) جهز هذا الملك حملتين على مصر وتمكن في الحملة الثانية من الاستيلاء على الدلتا المصرية ومن ضمنها " ممفيس " العاصمة المصرية الشهيرة وعلى أكثر مدن مصر العليا. وبذلك يكون أسرحدون قد فاق أسلافه من ملوك آشور شهرة بسبب غزوه لمصر وانتصاره عليها، وهى أقوى دولة في الشرق القديم نازعت نفوذ الأشوريين في سورية وفى فلسطين طيلة مدة الحكم الأشورى، ولما ثار ترهاقة ملك مصر جهز آشور بانيبال خلف أسرحدون (٦٦٩ - ٦٢٦ ق.م) جيشا قويا وحارب ترهاقة وتمكن من فتح ممفيس من جديد ولحق به حتى مصر العليا واستولى على طيبة

العاصمة الجنوبية لمصر وبذلك خضعت مصر جميعها للحكم الآشورى (انظر المرتسم رقم ١٠).



التصوير رقم (٤٥)
منظر لصيد الأسود نقش يمثل آشور بانيبال يصيد أسد ويسدد له ضربة من طرفيه

د ـ نهاية الدولة الأشورية:

ثم حدث بعد وفاة آشور بانيبال منازعات على العرش أوهنت جهاز الحكم الأشورى فانفصلت المقاطعات البعيدة كمصر والمدن الساحلية في فلسطين وسورية وبلاد أرمينية عن المملكة الأشورية، وكذلك انتهزت بابل الفرصة وانفصلت عنها واستقلت بزعامة الأمير الكلدانى (نبوبولاسر) حيث أسست سلالة جديدة مستقلة عرفت بالسلالة البابلية الأخيرة أو المملكة الكلدانية. وقد استطاع " نبوبولاسر " بالتضامن مع ملك الماذيين " كى إخسار " من دحر القوات الأشورية، وعلى الرغم من المقاومة العنيفة سقطت " نينوى " عاصمة الأشوريين عام ٦١٢ ق.م، فنهبت ودمرت ومات آخر ملوكها وسط النيران في قصره، وبسقوط نينوى وموت آخر ملوكها كانت نهاية الدولة الأشورية [1].

(١) انظر المراجع الآتية في تاريخ الأشوريين.

H.G. Guterbock, “Babylonia and Assyria”, Enc. Brit. 1965, Vol. II. pp. 951 - 979; B.Meissner, “Babylonien und Assyrien”, 2vols. 1920 - 25; S.Smith”, Early History of Assyria”, 1928; Olmstead,

هـ - الحضارة الأشورية:

إن الدولة الأشورية بنت وجودها على أساس عكسرى حربى فحملها ذلك على استخدام الخيل والمركبات الحربية وابتداع المنجنيق وأنواعه، وبحكم احتكاك الأشوريين بالشعوب والأمم المتحضرة كالحيثيين والميتانيين والعموريين والأراميين والفينيقيين والأرمن تمكنوا من صنع الآلات المعدنية المصنوعة من الصفر (النحاس الأحمر) ثم توصلوا إلى استعمال الشبه (البرونز) في أثناء الألف الثانية قبل الميلاد بكثرة وبدؤوا منذ ذلك التاريخ يصنعون أسلحتهم وأدواتهم من هذا المزيج، ثم استعملوا بعد ذلك الحديد في صنع الأسلحة إذ تعلموا صناعة من الحيثيين الذين سبقوهم في إتقان استخلاصه وصناعته حيث كانوا يستخرجونه في الشمال الشرقى من آسيا الصغرى من مناجمه ونشروا استعماله في جميع بلاد الشرق الأدنى منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهذا ما مكنهم من التوسع في القرون التالية.

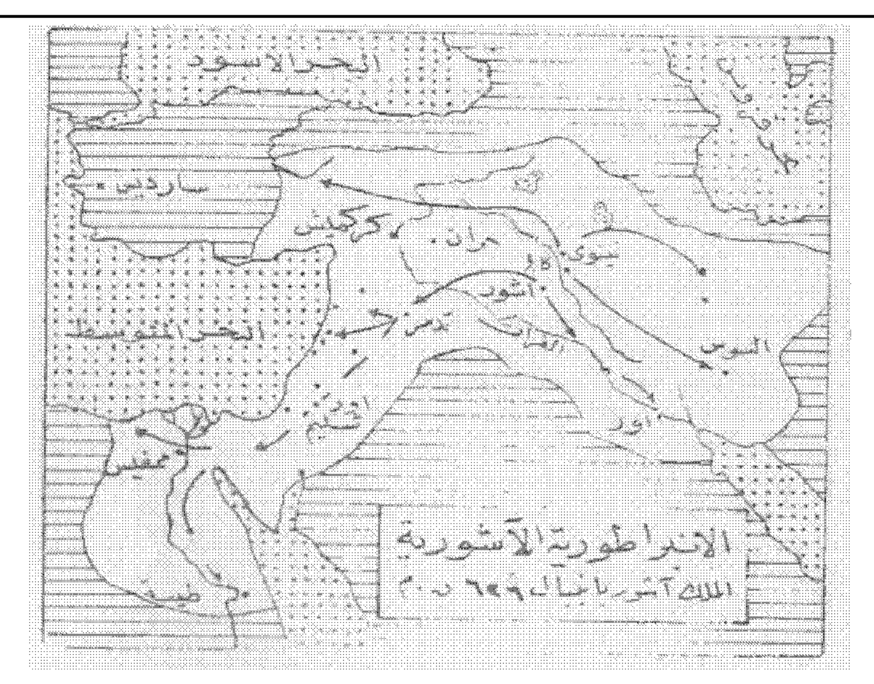
وقد ساعدتهم فتوحاتهم على توسيع تجارتهم فحدق تجارهم أساليب التجارة وعاش كثيرون من التجار في محلات أنشؤوها في عدة أماكن في جنوب شرقى آسيا الصغرى.

وقد اشتهر الأشوريون في قدرتهم على استعمال ما يقتبسونه من شعوب أجنبية فيطبعونه بطابعهم الخاص بمنتهى الدقة، وذلك مما حملهم على الاهتمام بالفنون الجميلة المختلفة والأدب، فأتقنوا فن النحت والتصوير واقتبسوا الكثير من الثقافة البابلية، ولا أدل على اهتمامهم بالناحية الأدبية والثقافية مما تركوه من ميراث حضارى في خزانة الكتب (ألواح الطين) التي أنشأها الملك أشور بانيبال، وقد عصر على زهاء خمسة وعشرين ألف رقيم من رقمها في حفائرهم تبحث في المدن والفنون والآداب والشئون الأخرى وهى محفوظة في المتحفة البريطانية حاليا.

وصفوة القول: إن الأشوريين تركوا لمن خلفهم من أمم جاءت بعدهم تراثا حضاريا مجيدا على الرغم مما كانوا يتصفون به من طبع غليظ وقسوة شديدة في حروبهم [١].

"History of Assyria", 1923; F.D Pallis, "The Antiquity of Iraq". 1956, Cambridge Ancient History'.

(١) جيمس هنرى بريستد، " انتصار الحضارة "، ترجمة أحمد فخرى.



المرتسم رقم (١٠)

٩ ـ الكلدانيون [الأراميون] وتأسيس الامبراطورية الكلدانية [رابع امبراطورية سامية]

يرجع علماء الآثار وطن الكلدانيين الأصلى إلى شواطئ الخليج العربى في جنوب العراق، حيث أسست هناك منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد أو ربما قبل ذلك سلالة الأمراء التي عرفت عند المؤرخين بسلالة القطر البحرى أو " سلالة بابل الثانية " التي كانت بالدرجة الأولى من بقايا السموريين، وقد تمكن ملوك هذه السلالة من بسط سيطرتهم ونفوذهم على سواحل الخليج العربى وأكثر المدن السومرية والأكدية في جنوب العراق بعد أن كاد الجنس السومرى يتلاشى في الجنس السامى (الأكدى والبابلى)، والكلدانيون هم من القبائل البدوية السامية وقد اشتق اسمهم من قبيلة " كلدى " ويعدهم المؤرخون فرعا من الأراميين نزحوا من سورية إلى جنوب العراق [١]، وقد ظهروا لأول مرة في عهد " شمسو إيلونا " خليفة حمورابى [٢]، وكان أول ملوكهم يدعى " إيلوما إيلو " الذي بدأ حكمه سنة ١٧٤٢ق.م، وقد مارست سلالتهم سلطة غير ثابتة على إقليم سومر وأكد حوالى قرن ونصف القرن، ثم صارت تتحدى سلطة الدولة البابلية القديمة

---

(١)انظر ما تقدم عن هجرة الأراميين إلى سورية والعراق.
(٢) انظر ما تقدم عن العموريين العمالقة وتأسيسهم الإمبراطورية البابلية القديمة.

(١٨٩٤ - ١٥٩٥ ق.م)، كما ظلت تتحدى ملوك بابل وأشور مدة ألف عام تلت ذلك العصر.

وقد انضم إلى القبائل الكلدانية حشود من الأراميين نزحت من سورية في فترة ضعف الدولة الأشورية ما بين سنتى ١٠٧٧ و ٩١١ ق.م وتأسست منهم دولة في جنوبى العراق في منطقة الخليج عرفت باسم " بيت ياكينى " وصاروا يتحينون الفرص لاحتلال بابل والقضاء على الحكم الأشورى فيها، فقد جرد أحد ملوكهم المدعو " مردوخ بلادان " حملة على بابل وفتحها وحكم فيها أكثر من عشر سنوات بين سنة ٧٢١ وسنة ٧١١ ق. م وكان ذلك في بداية حكم سرجون الثانى إلا أن سرجون حاربه واستولى على بابل فهرب مردوخ بلادان إلى أقصى. ثم جهز سنحاريب خلف سرجون حملة قوية اكتسحت مدن الجنوب حتى أقصى بلاد البحر والخليج وخراب بابل ودك حصونها وفتح مياه الفرات عليها وإغراقها ليزيل معالمها وكان ذلك سنة ٦٨٩ق.م. ثم قام آشور بانيبال بحملة تأديبية على بابل معالمها وكان ذلك سنة ٦٨٩ق.م. ثم قام آشور بانيبال بحملة تأديبية على بابل وبلاد القطر البحرى وأخضع الأمراء المتمردين واتجه نحو عيلام التي كانت تحرضهم على التمرد فاحتل عاصمتها " السوس " وخربها. وبعد وفاة آشور بانيبال سنة ٦٢٦ ق.م، انتهز سكان القطر البحرى ضعف المملكة الأشورية، فاستولى الزعيم الكلدانى المدعو " نبوبولاسر " على مقاليد الحكم في بابل سنة ٦٢٥ق.م، وهو يؤمئذ حاكم بابل، وتمكن من الانفصال عن الدولة الأشورية وحالف الماذيين وساهم في الحرب التي قوضت الحكم الأشورى في البلاد سنة ٦١٢ ق.م [١]، وأسس الدولة البابلية التي دامت ٧٣ سنة بعد سقوط نينوى [٢]، وقد سميت في ثبت الملوك بسلالة بابل الحادية عشرة.

أ ـ دور الدولة الكلدانية في القضاء على مملكة يهوذا:

وقد لعبت سلالة بابل المذكورة دورا هاما في تاريخ الشرق الأدنى في القرن السادس قبل الميلاد، فقد استولت على جميع الدويلات في سورية وفى فلسطين

(١) يقول المرحوم الأب أنستاس الكرملى (مجلة لغة العرب: ٢: ٥٧٨): أن مؤسس دولة الكلدان (كلدة) شيخ عربى ينتمى إلى القبائل العربية، وقد ذهب سترابو إلى أن Gurney التي تقع عند العقير كانت في الأصل موضعا للكلدانيين وكانت ذات تجارة مع أهل بابل مزدهرة.

(٢) انظر ما تقدم من الأشوريين وتأسيسهم الإمبراطورية الأشورية.

وبلغت أوج ازدهارها في عهد نبوخذ نصر [١] (بختنصر) خليفة " نبوبولاسر " وابنه. وكان نبوخذ نصر هذا أعظم الملوك الكلدانيين قاطبة وقد دام حكمه ثلاثة وأربعين سنة (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م) والذى يعنينا هنا من حملاته الحربية الحملتان اللتان قام بهما على مملكة يهوذا والقضاء عليه وسبى اليهود إلى بلاد بابل، فقد وجه حملته الأولى سنة ٥٩٧ق.م على يهوذا فاستولى على أورشليم وسبى اليهود إلى بلاد بابل ومعهم الملك " يهوياكين " وأهل بيته، وأخذ نبوخذ نصر هذه المرة بنفسه على رأس حملة قوية واحتل أورشليم فخربها وأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت الأعيان، وقد خمن عدد الأسرى الذين سيقوا إلى بابل ليلتحقوا باليهود من السبى الأول بحوالى ٥٠.٠٠٠ شخص. وبعد وفاة نبوخذ نصر سنة ٥٦٢ق.م، خلفه على عرش بابل ملوك ضعفاء حتى وقعت بابل لقمة سائغة بيد كورش الأخمينى، فسمح كورش لمن يشاء من اليهود بعد احتلاله لبابل بالعودة إلى فلسطين فعاد بعضهم وقد آثر آخرون البقاء (انظر المرتسم رقم ١١).



المرتسم رقم (١١)

ب - حضارة الكلدانيين:

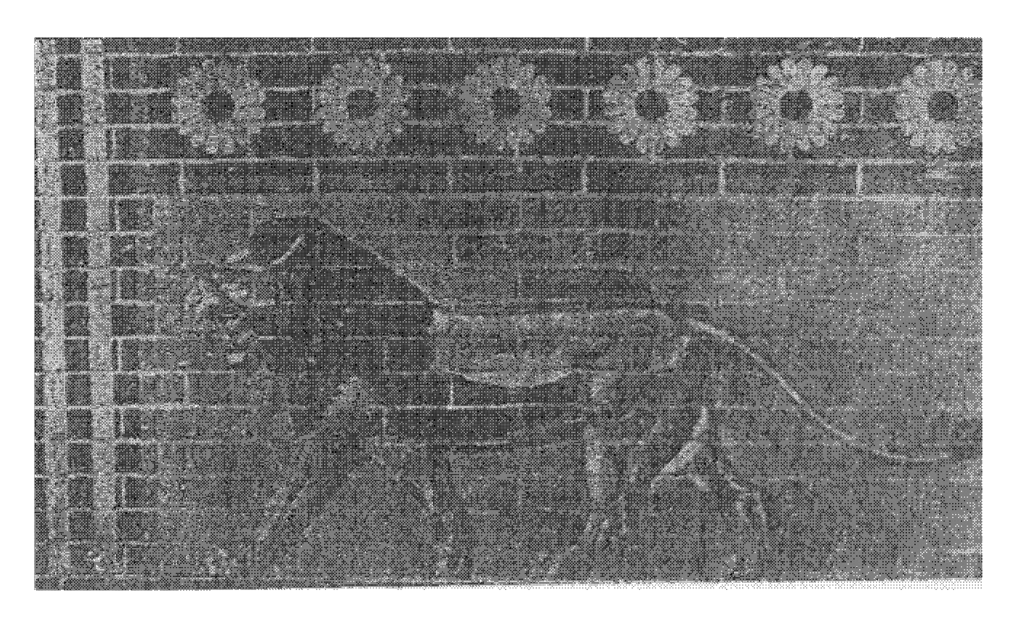
أخذ الكلدانيون بالحضارة البابلية القديمة كما فعل غيرهم من الغزاة الساميين الآخرين، الذين نزحوا إلى سهل بابل، وأضافوا إليها كثيرا من عندهم فتحسنت الفنون والصناعات، وعنوا بالدين والآداب عناية كبيرة، وقطعوا أشواطا واسعة

---

(١) يعرف بنوخذ نصر الثانى لأن الأول هو نبوخذ نصر الذي ينتمى إلى السلالة البابلية الرابعة والذى استعاد استقلال بابل أيام حكم الأشوريين لها في القرن الثانى عشر قبل الميلاد (١١٢٤ - ١١٠٣ق.م).

في علم الفلك، وظهر بين الكلدانيين حكماء متبحرون في مختلف فنون المعارف كالمهن التعليمية والعلوم الرياضية والكهنوتية، والذين توصلوا لمعرفة حساب الخسوف والكسوف، والكلدانيون هم أهول من جزأ الواحد الصحيح إلى ستين جزءا وقسموا اليوم إلى ٢٤ ساعة والساعة إلى ستين دقيقة والدقيقة إلى ستين ثانية، وقد اشتهر من الفلكيين الكلدانيين " نبوريمانو " و " كيدينو " اللذين كان لهما الفضل في وضع أول التقاويم الفلكية في العالم، ويظن أن فيثاغورث أخذ الجدول المنسوب إليه عنهما.

ومما يذكر من حضارة الكلدانيين براعتهم في فن التطريز حتى لقد كانوا يصورون على النسيج الصور التي رسموها على جدران قصورهم، وبرغم تقليد الكلدانيين في أشياء كثيرة إلا أنهم فاقوا أسلافهم في فخامة الأبنية وأبهة الدولة وأصبحت بابل في عهد نبوخذ نصر أعظم مدينة في معمورة الأرض، وكانت بابل نبوخذ نصر هذه هى التي أدهشت أبا التاريخ هيرودوتس اليونانى بعجائبها وفخامتها وضحاتها (١).



التصوير رقم (٤٦)
نحت بارز من الأجر المطلى بالميناء يمثل أحد الأسود التي كانت تزين
جدران شارع المواكب والقصر الملكى في بابل - من عهد الملك نبوخذ نصر

(١) انظر: " دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦، ص ١٦٤ - ١٧٣.
D.J. Wiseman, “Chronicles of Chaldean Kings”, 1956.

١٠ ـ هجرة الحوريين إلى سورية والعراق وفلسطين:

ومن الأحداث التي لعبت دورا على المسرح السياسى في الشرق الأدنى في فترة ما قبل ظهور قوم موسى هجرة جماعات من الأقوام الهندو ـ أوربية إلى الشرق الأدنى انحدروا من المناطق الجبلية الشمالية والشرقية منهم الحوريون والحيثيون، والحوريون هم أقوام جبليون موطنهم الأصلى " أورارتو " (أرمينية الحالية) أو الإقليم الواقع إلى الشمال والشرق من بحيرة " وان " ورد ذكرهم في التوراة باسم الحوريين فذكرت أن بعض أسرهم كانت تسكن في منطقة جبل سعير جنوب شرقى فلسطين ثم طردهم بنو عيسو وسكنوها وصارت تعرف بأرض أدوك الذي هو عيسو [١].

وكانت بداية تحرك الحوريين من وطنهم في المنطقة الواقعة بين بحيرة " وان " وجبال زاغروس نحو بلاد آشور في حوالى القرن الثامن عشر قبل الميلاد، فكانت هجرتهم هذه تعاصر هجرة الكاشيين إلى العراق وهجرة الهكسوس إلى مصر، وقد تمكن الحوريون من قهر بلاد آشور والقضاء على حكم " شمسى أداد الأول وشمسى داكان الأول " وأسسوا عددا من الإمارات في أجزاء من آسيا الصغرى دون أن ينظموا مملكة موحدة، وقد أدخل الأمراء الحوريون إلى المناطق التي استولوا عليها استخدام الخيل والعربات الحربية التي تجرها الخيول.

وقد تمكن الحوريون في منتصف الألف الثانية قبل الميلاد من تأسيس مركز مهم في شمال سورية خاصة في إقليم البليخ والخابور (خابور الفرات) واتخذا هناك بلدة " واشوكانى " عاصمة لهم. وكان مركزهم الرئيسى في العراق في " أرابخا " (كركوك الحالية). وكانت لهم مدينة مهمة في جوار كركوك تسمى " نوزى " تقع أطلالها اليوم في تل " يورغان تبه " على بعد حوالى ثمانية أميال إلى الجنوب الشرقى من كركوك، ولم يمض وقت طويل حتى تمكنوا من تكوين مملكة قوية عرفت باسم " ميتانى " تمتد من " كركميش " (جرابلس حاليا) على الفرات إلى جوار نهر دجلة الأعلى مشتملة على منطقتى البليخ والخابور ومقاطعة نصيبين وتشمل أيضا على إقليم أرابخا المتقدم ذكره شرقى الدجلة، وقد ثبت وجود الحوريين في القرن الخامس عشر قبل الميلاد في فينيقية وفى فلسطين.

وبعد تأسيس الإمبراطورية المصرية في أعقاب طرد الهكسوس من مصر

---

(١) (تث، ٢: ١٢)؛ (تك، ١٤: ٦، ٣٢: ٣، ٣٦: ٨، ٢٠).

سنة ١٥٨٠ق.م اصطدم الحوريون مع المصريين وذلك عندما لاحق تحوطمس الثالث (١٥٠٤ - ١٤٥٠ق.م) الهكسوس في سورية للقضاء على مراكزهم فيها، فنشبت حرب بين الحوريين وجيش تحوطمس سنة ١٤٥٧ق.م، كان النصر فيها للثانى، ثم تحسنت العلاقات السياسية بين الحوريين والمصريين في عهد أمنحوتب الثالث (١٤١٧ - ١٣٧٩ ق.م) وفى عهد الملك " أمنحوتب الرابع " المدعو أخناتون " (١٣٧٩ - ١٣٦٢ ق.م، بدأ النفوذ المصرى يتقلص تدريجيا في سورية، فهجم الحيثيون بزعامة ملكهم " شوبيلوليوما " وأخضعوهم (١).

وفى نفس الوقت اغتنم الملك " أوبلط الأول " ملك أشور (١٣٦٥ - ١٣٣٠ ق.م) هذه الفرصة فهجم هو الآخر على الميتانيين واسترجع منهم الأراضى الأشورية التي كانوا قد استولوا عليها، وقد ورد في المدونات الأشورية أن " أدادنيرارى الأول " غزا بلاد ميتانى سنة ١٣٠٠ق.م، وتغلغل في أراضيهم حتى الفرات وخرب عاصمتهم " واشوكانى " كما ورد أيضا أن شلمنصر الأول استولى على ميتانى سنة ١٢٧٦ق.م وضمها إلى الدولة الأشورية (انظر المرتسم رقم ١٢).

أما لغة الحوريين فهى لغة معقدة ليست سامية ولا هندو أوربية فيها كلمات مستعارة من لغات أقوام عدة كما أنها كانت تكتب بحروف مسمارية متنوعة أكثرها بالحروف المسمارية الأكدية القديمة. وهذه الخصائص جعلت علماء اللغة يردوا صلة للغة الحوريين ليس بلغة الأورارتو القديمة فقط بل باللغات الجورجية الحديثة وما يتبعها من اللغات القفقاسية (٢).

١١ - هجرة الحيثيين إلى شمال سورية:

أما الحيثيون فوطنهم الأصلى هو بلاد الأناضور، إذ كانوا قد استوطنوا منذ الألف الثالثة قبل الميلاد الأرض المرتفعة المحاطة بحدود طبيعية تفصلها من الجنوب سلسلة جبال طوروس عن ساحل " قليقية " كما يفصلها من الغرب حزام آخر عن الساحل الأيجى، ويرجع الخبراء أن الحيثيين كانوا قد جاءوا إلى هذه المنطقة على هيئة موجات متعاقبة من أوربا الشرقية وعلى الأكثر من البلقان والقفقاس.

---

(١) انظر: ما يلى عن هجرة الحيثيين.

(2) E. A. Speiser, “Introduction to Hurrian”, 1941 ; J. Puhvel, “Hurrians”, Enc. Brit, vol. II, PP. 905 - 906.

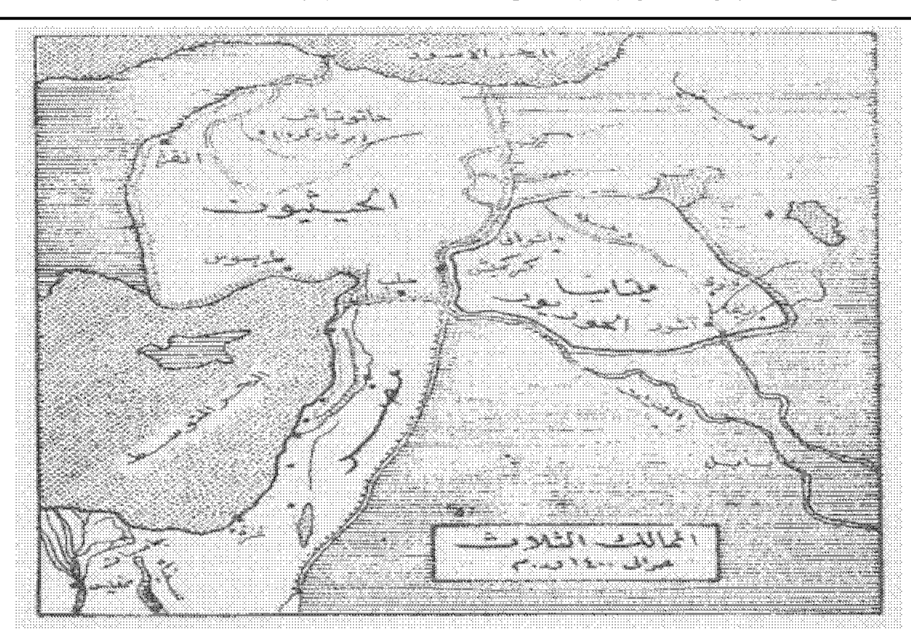
وأقدم المعلومات التي وصلت إلى أيدى الخبراء عن الحيثيين هى الكتابات التي تركها الأشوريون في المراكز التجارية التي أقاموها في آسيا الصغرى، وهى ترجع إلى القرنين العشرين والتاسع عشر قبل الميلاد، وتدل هذه الكتابات على أن بلاد الحيثيين كانت مقسمة إلى دويلات من المدن المستقلة لكل منها ملكها الخاص بها. وكان أقدم ملوكها يسمون بملوك " كوسارا " ولعل اسم مركز سلالتها القديمة، وفى عهد الملك " لابارنا " الذي كان يدعى بـ " ملك كوسارا " أيضا جرى نقل العاصمة إلى " حاتوشاش " شمالا، وهى بلدة " بزغازكوى " الحالية الواقعة على بعد حوالى تسعين ميلا إلى الشرق من أنقرا.

وهذه التسمية مشتقة من " حاتو " وهو اسم أحد المقاطعات في المنطقة، ومنها جاءت أيضا تسمية " حيثيين " أى سكان " حاتو.

وتشير الكتابات التي عثر عليها إلى أن " لابارنا " اخترق جبال طوروس جنوبا وفتح شمال سورية فحمل على دويلة " يمخاد " وعاصمتها " حلبا " (حلب) إلا أنه اضطر إلى الرجوع إلى بلاده، بسبب نشوب اضطرابات داخلية في عاصمته، ويبدو أنه جرح في هذه المعارك ومات متأثرا بجراحه بعد وصوله إليها، فخلفه الملك " مورشيليش الأول " وتشير الأخبار إلى أن " ومرشيليش " هذا هجم على سورية واحتل مدينة حلب فخربها ودمرها تدميرا كاملا انتقاما لـ " لابارنا " ومن هنا امتد جنوبا فحارب الحوريين [(١)] وشق طريقه في أراضيهم حتى وصل إلى مدينة " مارى " التي كان قد دمرها " حمورابى " من قبل، ثم انحدر نحو بابل ففتحها وخربها وقفل راجعا إلى " حاتوشاش " عاصمته محملا بالغنائم والكنوز، وبذا كانت نهاية حكم الإمبراطورية البابلية القديمة وبداية حكم الكاشيين في العراق. وقد اختلف الباحثون في تعيين تاريخ هذه الواقعة وقد حددتها أحدث الدراسات سنة ١٥٩٠ق.م.

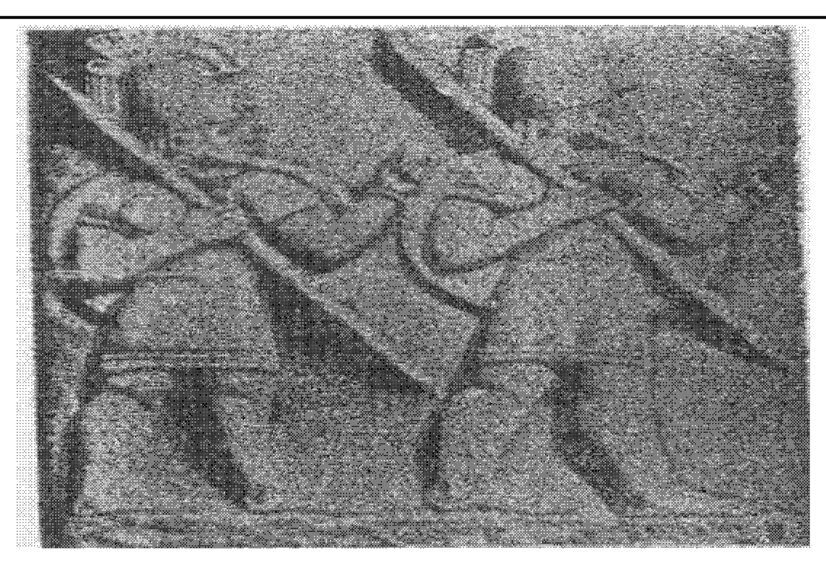
---

(١) انظر ما تقدم عن هجرة الحوريين إلى سورية والعراق.



المرتسم رقم (١٢)

وقد تمكن الحيثيون بعد تسلم الملك " شوبيلوليوما " العرش في حوالى سنة ١٣٧٥ق.م من تدمير مملكة ميتانى، فعبر هذا الملك نهر الفرات وفتح " واشوكاتى " عاصمة الحوريين، ثم واصل زحفه جنوبا حتى وصل إلى دمشق وعقد معاهدات مع رؤساء المقطاعات المجاورة واعترفوا بموجبها بسلطان الحيثيين ومنها صعد إلى كركيش " جرابلس " فاحتلها بعد حصار قصير الأمد، وعين أحد أبنائه ملكا عليها وعين ابنا آخر ملكا على حلب، وعلى أثر ذلك حدثت اضطرابات داخلية بين الأمراء الميتانيين فاغتنم الأشوريون هذه الفرصة وتحرروا من نير الحوريين واستقلوا ببلادهم، وبانقراض المملكة الميتانية أصبح نهر الفرات يمثل الحدود بين الحيثيين والأشوريين.



التصوير رقم (٤٧)
محاربان حيثيين من مملكة الحيثيين في جوار كركميش (جرابلس)

وقد تمكن الحيثيون من تأسيس مملكة قوية في شمال سورية مركزها " كركميش " وقد امتدت فتوحاتهم غربا حتى وصلوا إلى الساحل الأيجى فضموا بلاد الليقيين والميزيين والقيليقيين إلى مملكتهم (انظر المرتسم رقم ١٢) وفى غضون ذلك احتدم النزاع بينهم وبين فراعنة مصر الذين كانوا يزاحمونهم على سورية وفلسطين فنشبت بينهما معارك أشهرها حرب قادش على نهر العاصى جنوب حمص (حاليا تل النبي مند) التي وقعت في سنة ١٢٩٩ قبل الميلاد بين الحيثيين ورعمسيس الثانى (١٣٠٤ - ١٢٣٧ ق.م) كاد الحيثيون أن ينتصروا فيها، إلا أن رعمسيس تمكن من الصمود بشجاعة أمام الحيثيين حتى وصلته إمدادات جديدة فواصل القتال وانتهى الصراع بعقد صلح سنة ١٢٦٩ ق.م بين العاهلين " رعمسيس " والملك الحيثى " حاتوشيلى - الثالث " مع التوقيع على ميثاق دفاع مشترك ضد أى غزو خارجى أو ثورة داخلية وقد ثبتت بموجب هذه الاتفاقية الحدود بين ممتلكات الحيثيين وممتلكات مصر عند نهر العاصى، وفى الوقت نفسه عقد فرعون على ابنة الملك الحيثى حاتوشيلى توثيقا للعلاقات الودية بين الطرفين، وقد استمرت هذه العلاقة الحسنة بين الحيثيين والمصريين خلال حكم الفرعون مرنفتاح بن رعمسيس الثانى ١٢٣٧ - ١٢٢٣ ق.م.

وبعد أن دامت الإمبراطورية الحيثية حوالى قرنين ونصف قرن أخذ الوهن يسرى منذ سنة ١٢٠٠ ق.م في أنحائها حتى أصبحت عاجزة عن إخضاع الإمارة المتمردة فاستقلت الواحدة بعد الأخرى، وفى الوقت نفسه أخذت تضايقها هجمات

الغزاة اليونانيين في حوض بحر إيجه من جهة الغرب وهجمات الأشوريين من جهة الشرق حتى كانت على يد سرجون الثانى حيث قضى سنة ٧١٧ ق.م على آخر ما بقى من أثر لنفوذ الحيثيين في هذه البلاد بإخضاعه المنطقة بأسرها إلى حكمه.

إن اللغة الحيثية تنتمى إلى فرع اللغات الأناضولية في مجموعة اللغات الهندو أوربية وكانت في الأصل كما يرى خبراء اللغة اللغة المحلية في منطقة " حاتى " الشمالية وأصبحت اللغة الرسمية في " حاتوشاش " العاصمة، مع أن نسبة كبيرة من مفرداتها أصلها غامض وعلى الأرجح أنها ترجع إلى الأصل الأناضولى المحلى مع استعارة كلمات كثيرة من اللغات الهندو أوربية في المحيط الجديد. وكان الحيثيون يستعملون الحروف المسمارية المعروفة بالمسمارية الأكدية القديمة أخذوها من الحوريين الذين كانوا يستعملونها في أكثر كتاباتهم.

وقد ورد ذكر الحيثيين في التوراة وقد اعتبرتهم من ذرية كنعان [١] . وتشير التوراة إلى أن الحيثيين كانوا موجودين في فلسطين في زمن إبراهيم الخليل (القرن التاسع عشر قبل الميلاد) فذكرت أن إبراهيم الخليل اشترى من بني حث حقل ومغارة المكفيلة في حبرون [٢]. كما ذكرت أن عيسو اتخذ له زوجات من الحيثيين وأن بني إسرائيل (قوم موسى) [٣]، تزاوجوا مع الحيثيين [٤]. وكانت لسليمان زوجات حيثيات أيضًا [٥]. وقد خاطب حزقيال أورشليم بقوله: " أبوك أموري وأمك حيثية " [٦].

---

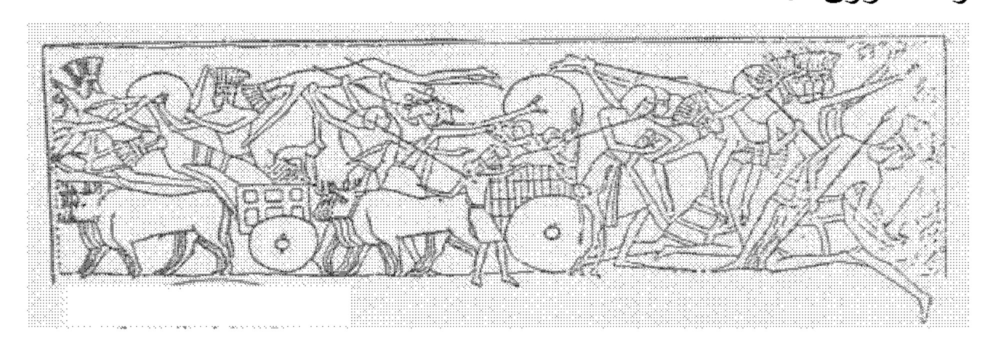
(١) (تك، ١٠: ١٥).
(٢) (تك ٢٣: ٢ - ٢٠).
(٣) انظر ما يلي حول بني إسرائيل وقوم موسى واليهود في الفصلين الثالث والخامس.
(٤) (تك، ٢٦: ٣٤)؛ (قض، ٣: ٥ - ٦).
(٥) (١ مل، ١١: ١)؛ (٢ صم، ١١: ٣).
(٦) (حز، ١٦: ٣).

انظر المراجع المختارة الآتية:

j. Garstang, “The Hittite Empire, “London 1929; O.R Gurney “The Hittites”. 2nd. Ed., 1961; Puhvel, “P.Hittite” Enc. Brit., 1965, Vol. II, pp. 550 - 560; H.Schmokel, “Geschichte des alten Vorderasien”, pp. 199 - 153 in Handbuch der Orietalistik, Vol. II part 3, (1945).

١٢ ـ هجرة الفلسطينيين إلى فلسطين:

وكان آخر من هاجر إلى أرض فلسطين " الفلسطينيون " وهم من الأقوام الإيجية " أهل السواحل " كانوا قد احتلوا بعض السواحل السورية العليا في أوائل القرن الثانى عشر قبل الميلاد ومنها هاجموا مصر في عهد رغمسيس الثالث (١١٩٨ ـ ١١٦٦ ق.م) أحد ملوك السلالة العشرين المصرية، وقد بدت في بادئ الأمر صعوبة مقاومتهم لتفوقهم في أساليب القتال ومعداتهم الحربية، ولكن رعمسيس اتخذ الاحتياطات اللازمة لمجابهتهم فأعد أسطولا قويا مع جيش كبير من الوطنيين والمأجورين الأجانب، فتمكن من صدهم في معركة بحرية نشبت بينهما في حوالى سنة (١١٩١ ق. م) [١] فاتجهوا بعد إخفاقهم في النزوح إلى مصر نحو الساحل الفلسطينى الجنوبى في القسم الذي يمتد من عزة جنوبا إلى أسفل يافا شمالا، ومنهم جاءت تسمية فلسطين التي مازالت مستعملة حتى يومنا هذا للدلالة على أرض فلسطين الحالية، وكانت المدن التي أسسوها في هذا القطاع والتى تمتد من الجنوب إلى الشمال خمس وهى: " غزة، أشقلون، عسقلان، جت، أشدود، عقرون ".



التصوير رقم (٤٨)

المعركة التي خاضها المصريون مع الفلسطينيين على عهد رعمسيس الثالث (١١٩١ ق.م)

وكانت مدن الفلسطينيين هذه على الساحل ماعدا مدينة " جت " التي كانت تمتد قليلا إلى الداخل[٢]. وتشير التوراة إلى أن الفلسطينيين أبادوا العوبيين سكان هذه القوى وسكنوا مكانهم [٣]، ومما يذكر أن هؤلاء الفلسطينيين قد اندمجوا

(١) لقد عين أولبرايت تاريخ نزوح الفلسطينيين إلى مصر سنة ١١٨٨ ق.م بدلا من سنة ١١٩١ ق.م التي أخذ بها الباحثون. انظر:

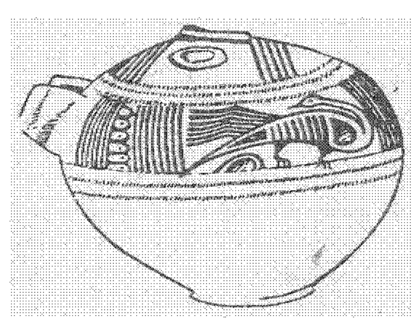
"Journal of Near Eastern Studies", April 1944, vol. III, No.2, P. 78.

(٢) (يش، ١٣: ٣)، (قض، ٣: ٣)، (يش، ١٥: ٤٥ ـ ٤٧).

(٣) (تث، ٢: ٢٣).

بالكنعانيين والعموريين كليا بحيث لم يعد بالإمكان تمييزهم عن العناصر الكنعانية والعمورية [١]، وفى هذا الموضوع يقول لودز أن الفلسطينيين قد (تكنعنوا) بسرعة في حوالى القرن الحادى عشر قبل الميلاد في خلال فترة تقل عن ١٥٠ عاما بعد استقرارهم على أرض فلسطين [٢]، وأن الإله الرئيس " داجون " الذي كانوا يعبدونه هو نفس راجون الذي ورد ذكره في التوراة [٣]، وهو بلاشك الإله " داجان " إله الغلة الذي كان يعبده الكنعانيون.

وكان أتباع موسى في فلسطين عندما نزح الفلسطينيون إلى سواحل فلسطين الجنوبية، وكان ذلك في حوالى أواخر عهد يشوع أو فترة ما بعد يشوع مباشرة، أى قبيل عهد القضاة، ولكن يشوع لم يستطع التحرش بالفلسطينيين لأنهم كانوا متفوقين على أتباعه في معداتهم الحربية إذ كانوا يعتمدون على أسلحة من الحديد الذي أتقنوا تعدينه وصنع الدروع والأسلحة الأخرى منه [٤]. وتذكر التوراة أن بنى إسرائيل (قوم موسى)[٥] تمكنوا بعد عهد يشوع من الاستيلاء على غزة وأشقلون وعقرون وتخومها[٦].



التصوير رقم (٤٩)

نموذج من النقوش الخزفية من صنع الفلسطينيين وقد تميزوا بهذا النمط الفنى الخاص بهم

ولكن الفلسطينيين عادوا فأوقعوا في أواخر عهد القضاة بالإسرائيليين

(1) Hitti, "Syria", PP. 184 - 185.

(2) Lods, "Israel", P. 59, 127 - 128.

(٣) (١ صم، ٥: ٢ - ٥)؛ (قض، ١٦: ٢٣).

(٤) (١ صم، ١٧: ٧).

(٥) انظر ما يلى عن بنى إسرائيل وقوم موسى ويهود في الفصل الثالث " تاريخ التوراة ".. ..".

(٦) (قض، ١: ١٨).

(الموسويين) هزائم شديدة حتى أنهم استولوا على تابوت العهد [١]، وخضع الإسرائيليون إلى حكمهم أربعين سنة [٢]، حتى ظهر شمشون فحارب الفلسطينيين[٣]، وفى عهد صموئيل (آخر عهد القضاة) استرجع الموسويون المدن الساحلية التي استولى عليها الفلسطينيون من " عقرون " إلى " جت " واستخلص إسرائيل تخومها من يد الفلسطينيين [٤]، ثم هاجم الموسويون بقيادة الملك شاؤول الفلسطينيين إلا أنهم اندحروا أمامهم وقتل الملك شاؤول وأولاده الثلاثة في المعركة [٥]، ثم تقلد الحكم الملك داود خلفا لشاؤول فاستطاع هذا الملك أن يخضع أكثر المدن الفلسطينية إلى حكمه [٦]، ويبدو أن الفلسطينيين عادوا فاستقلوا في عهد الانقسام بدليل إشارة التوراة إلى محاصرة الموسويين لحصن جبثون " الذي يعود للفلستينيين " [٧]، ثم خضع الفلسطينيون إلى الأشوريين وصاروا يدفعون الجزية لهم في أكثر أدوار العهد الأشورى.

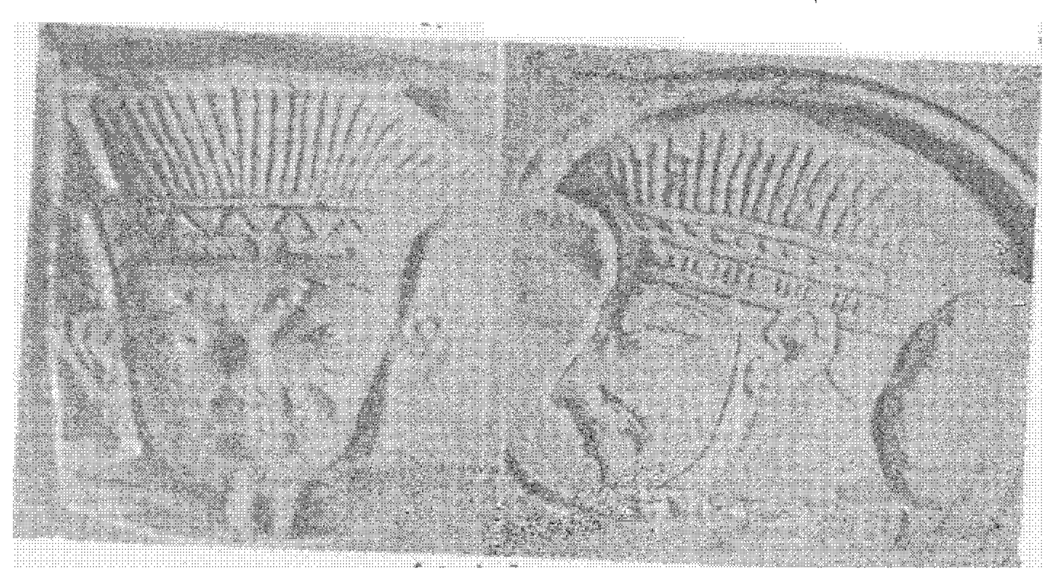
وأقدم ذكر للفلستينيين ورد في النصوص المصرية والأشورية فقد سميت بلادهم باسم " بالستو " أو " بيليستو " وهو نفس الاصطلاح اليونانى " فلستيا " الذي أصبح " بالستينا " (فلسطين).

وكان المؤرخ هيرودوتس أول من ذكر اسم فلسطين بقوله ذلك الجزء من سورية المعروف بفلسطين (الكتاب الأول، الفصل ١٠٥) [٨]. وقد حدد الباحثون موضع وطن الفلسطنيين هذا في " ليقية " في سواحل آسيا الصغرى مع احتمال اتصالهم بجزيرة كريت وقد كثر ذكر الفلسطينيين في التوراة لما كان لهم من دور تاريخى مهم في حياة الموسويين في أوائل أيامهم في فلسطين، حيث كان الفلسطينيون يزاحمونهم على أرض فلسطين وبقوا مصدر خطر دائم عليهم في جميع أدوارهم التالية، فقد سمتهم التوراة " كفتوريين " وذكرت أن وطنهم هو جزيرة " كفتور " وهو مرتبط مع وطن الكريتيين الذين أهلكهم الرب مع بقية أهل

(١) (١ صم، ٥: ١)، انظر ما يلى عن تابوت العهد في الفصل الثالث.
(٢) (قض، ١٣: ١، ١٠: ٧).
(٣) (قض، ١٥: ١٤ - ١٦).
(٤) (١ صم، ٧: ١٤).
(٥) (١ صم، ٣١: ٦).
(٦) (٢ صم، ٨: ١).
(٧) (١ صم، ص ٣١.
(8) P. Hittites "Lebanon in History", P. 91.

ساحل البحر. كما أشارت إلى أن هؤلاء الكفتوريين أبادوا سكان القرى التي احتلوها في جنوب فلسطين وهم العويون كما فعل الأدوميون والعمونيون بالحوريين والرفائيين فأخرجوهم من ديارهم وسكنوا مكانهم [١].

وقد وصلت إلى أيدى علماء الآثار معلومات وافية عن الفلسطينيين في الكتابات والنقوش التي سجلتها رعمسيس الثالث على جدران معبد " آمون " في مدينة " هابو " غربى مدينة " طيبة " وقد ملأت هذه الكتابات والنقوش آلافا من الأقدام المربعة كلها منحوتة على الحجر وقد احتوت على سجل كامل لحملات الفراعنة وحروبهم.



التصوير رقم (٥٠)
محاربان فلسطينيان كما ورد تصويرهما في النقوش المصرية
عن كتاب " قصة التوراة " ص ٢٩٥

وقد شغلت تسجيلات رعمسيس الثالث حيزا كبيرا في هذه الكتابات والنقوش عن انتصاراته في البر والبحر على حشود الفلسطينيين الذين غزوا مصر في عهده، ويستبان من هذه السجلات أن الفلسطينيين قد أثاروا الرعب والفزع في صفوف المصريين لقدراتهم وتمرنهم على القتال في البحر والبر، فيصفهم رعمسيس بقوله: " لم يستطع أى قطر من الأقطار أن يصمد أمام قوتهم القاهرة... فقد دمروا أرض الحيثيين وكود [٢] وكركميش وقبرص كلها دمرت بضربة

(١) (إر، ٤٧: ٤)، (عا، ٩: ٧)، ؛ (تث، ٢: ٢٢ - ٢٣).
(٢) ساحل قيليقية في شمال سورية.

واحدة... سحقوا شعوبها ودمروا أراضيها ولم يتركوا لها أثرا حتى أصبحت وكأنها لم تكن.. وحملوا على مصر، وكانوا قد بسطوا أيديهم على جميع البلاد إلى أبعد أطراف العالم وقلوبهم عالية عامرة بالثقة بأنفسهم. ولكن تخطيطنا سينجح... " ويصف رعمسيس بعد ذلك المعركتين اللتين خاضهما معهم أحداهما برية والثانية بحرية وانتصاراته عليهم مع تصاوير توضيحية لهذه المعارك، ويستبان من هذه التصاوير أن الفلسطينيين يتميزون بلباس الرأس المليئ بالريش وسحنتهم هى أقرب إلى الأوربيين وبوجه خاص إلى اليونانيين ومعهم عربات ذات عجلات مدورة من قطعة واحدة تجرها الثيران المحدبة الضخمة (انظر التصويرين ٤٨، ٥٠) [١].

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن الدكتور معروف الدواليبي نشر مقالاً في مجلة الأديب البيروتية في عددها لشهر إبريل ١٩٧٤ (الجزء ٤ السنة ٣٣) ص ٢ - ٣ ذهب فيه إلى أن البحَّاثة الأثاري الفرنسي هيلير دي باراتون (Hilaire de Barution) وضع كتابًا بعنوان " الأريتروسكيون في مغربنا وفي أصولنا الفرنسية " (Les Gtrueques en natre Occident et Nos Origines Francaises).

جاء فيه: أن الإيتروسكيين هم فرع من الفينيقيين السوريين وأن اسم فلسطين هو أحد أسماء مدنهم وأن معنى الإيتروسك في اللغة المصرية القديمة (بحارة النيل) وأن معنى الفلسطينيين الجنود والمحاربون.

وأضاف هذا الباحث قوله أن هؤلاء الفينقيين السوريين يحملون أسماءً كثيرة مختلفة، ثم أخذ يعدد هذه الأسماء ومنها الفلسطينيون الذين كانوا يمتهنون الجندية، وينتهي الدكتور الدواليبي إلى أن الفلسطينيين هم الجبارون الذين ورد ذكرهم في التوراة وفي القرآن الكريم، أي العمالقة، ثم يؤكد أن الفلسطينيين عرب لاشك فيهم وهم كنعانيون فينيقيون سوريون وأنهم هم الجبارون الذين عناهم القرآن

---

(١) أنظر:

S.A Cook, “Philistines”, Enc. Brit., 1965, Vol 17, pp. 737 - 738; W. Keller, “The Bible as History”, pp. 169 - 182; Hitti, “Syria”. 180 - 185l; G.Bonfante, “Who were the Philistines?”, Am. Jour of Archaeology, Vol. 50 (1946), p. 251; R.A.S Macalister, “The Philistines”. 1913.

الكريم. هذا مع العلم أن الخبراء قاطبة متفقون على أن الفلسطينيين قوم مجهول الأصل من حيث العنصر واللغة جاؤوا من سواحل آسيا الصغرى التي تضم ليديا وإيجيا وشمال سورية فغزوا الساحل المصري في أوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد وتمكن المصريون في عهد رعمسيس الثالث من صد غاراتهم فلجؤوا إلى السواحل الجنوبية من فلسطين حيث أسسوا مدنهم المعروفة.

ويتفق الخبراء على أن هؤلاء الفلسطينيين اندمجوا بالمجتمع الكنعاني بسرعة بحيث لم يمر قرن واحد على وجودهم في فلسطين حتى اندمجوا كليًا بالشعب الكنعاني واقتبسوا لغته وثقافته، والمهم هنا أن أقدم ذكر لاسم فلستا وصل الينامن وصل إلينا في النصوص المصرية التي ترجع إلى عهد رعمسيس الثالث في أوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وقد وردت صور هؤلاء القوم على النقوش المصرية ، أما الأيتروسكيون فالمعروف عنهم أنهم استقروا في القسم الشمالي قبل الميلاد وما يليه حتى القرن الثالث بعد الميلاد، وقد اختلف الباحثون في تحديد أصل الأيتروسكيين فأعلن هيرودوتس أنهم جاؤوا من ليديا أو من السواحل اليونانية في آسيا الوسطى ثم أصبحوا مواطنين في المنطقة التي استقروا فيها، أما لغتهم فمن أصل مجهول أيضًا لأنها لا تنتمي إلى اللغات الهندوأوروبية، وحتى لو فرضنا أن اسم فلسطين ورد بين أسماء مدنهم فليس في ذلك أي دليل على ارتباط هذا الاسم بالكنعانيين أو الفينيقيين أو العمالقة لأن التسمية متأخرة وإن دلت على شيء فإنما تدل على أنها مأخوذة من التسمية القديمة الواردة في النصوص المصرية التي ترجع إلى ما قبل ستة قرون.

١٣ ـ الهجرات السامية العربية المتأخرة:

أ - الأنباط:

ومن الموجات السامية المتأخرة التي نزحت من الجزيرة العربية موجة الأنباط أو النبط وهم قبائل بدوية من عرب شمال الجزيرة انتشرت منذ القرن السادس قبل الميلاد في البادية التي في شرقى المملكة الأردنية الحالية واحتلت المناطق التي كانت تحت سيطرة الكنعانيين والأراميين، كما احتلت أراضى الأدوميين في شبه جزيرة سيناء وجنوب فلسطين، ثم أنشأ هؤلاء دولة الأنباط العربية التي امتدت مستوطناتها في أوج توسعها من نهر الفرات في المنطقة المتاخمة لبلاد الشام وتنزل حتى تتصل بالبحر الأحمر، وبذلك تكون قد ضمت دمشق وسهل البقاع والأقسام الجنوبية والشرقية من فلسطين وحوران وأدوم

ومدين وساحل البحر الأحمر، وقد وصلت مساكن بعضهم إلى دلتا النيل والمناطق الخصبة المشرفة على البحر الأبيض المتوسط، ثم سرعان ما تحضروا وأخذوا يفلحون الأرض ويزرعونها وأنشؤوا المدن والقرى ومنها عاصمتهم (بطرا) في جنوب غربى وادى موسى في شرقى الأردن التي بلغت أوج ازدهارها في القرن الرابع قبل الميلاد، وهكذا صار النبط يمارسون مختلف الحرف وفى طليعتها الاشتغال بالتجارة ونقل البضائع بين مختلف الأمكنة، فسيطروا على طرق القوافل التجارية في ذلك الزمن وأهمها طريق اليمن والعربية الجنوبية الموازى للبحر الأحمر ومنها كان يتفرع الطريق إلى مصر والشام وغزة والمدن الفينيقية على البحر الأبيض المتوسط، وهناك طريق تجارى كان يصل الخليج العربى بمدينة " بطرا " لنقل بضائع الهند وما وراء الهند وحاصلات إيران والعربية الشرقية لتوزع منها في الشام ومصر وموانئ البحر الأبيض المتوسط. وقد تعلموا استغلال مناجم النحاس والحديد القديمة في منطقة " أدوم " في صنع المواد المهمة في مختلف شؤون الحياة، ومنهم انتقلت المصنوعات النحاسية والحديدية المصنوعة في بلاد اليونان أو الشام أو في البتراء إلى اليمن. وكانوا يستخرجون (الأسفلت) من سواحل البحر الميت الشرقية فيحملونه إلى مصر لبيعه إلى المصريين الذين كانوا يشترونه لاستعماله في التحنيط وقد در على النبط أرباحا فوق أرباح وزاد في ثروتهم المادية فاكتنزوا الذهب والفضة بكميات كبيرة.

وقد اقتبس النبط من الأراميين ثقافتهم وكتبوا بكتابتهم وتأثروا بلغتهم حتى غلبت الأرامية عليهم. أما لهجتهم العربية الأصلية التي كانوا يتكلموا بها فلم يعثر على غير نصوص قليلة منها، وللهجتهم هذه أهمية خاصة لأن اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم متطورة من اللهجة النبطية العربية المتأخرة التي تعتبر من اللهجات العربية الشمالية، وخط النبط قريب جدا من خط كتبة الوحى، وهو مأخوذ من القلم الأرامى القديم وقد سمى بالقلم النبطى.

ومن الحروب التي خاضها الأنباط لتوسيع نفوذهم وسلطانهم في الشرق الاشتباك الذي وقع بينهم وبين الهيروديين في فلسطين في عهد الملك النبطى عبادة الأول (٩٠ ق.م) فانتصر الأخير فيه واستولى على جنوب شرقى سورية بما فيها حوران وجبل الدروز. ومن أشهر ملوك الأنباط الحارث الثالث (٨٧ - ٦٢ ق.م) وقد تغلب هذا الأخير في حملة قام بها على فلسطين فتمكن من محاصرة القدس واحتلال دمشق، وقد حاول الرومان بقيادة " بومبى " احتلال

بلاد الأنباط ولكن الملك الحارث الثالث استطاع الصمود في وجههم والاحتفاظ بنفوذه في جنوب فلسطين، وشرقى الأردن وجنوب شرقى سورية وشمال الجزيرة. وقد ظلت العلاقات طيبة بين الأنباط والرومان مادامت بطرا المحطة الرئيسية على طريق القوافل التجارية حتى تضاءلت أهميتها على أثر تحول طريق التجارة الخارجية المار بغربى الجزيرة إلى العراق مما أدى إلى أن تفقد بطرا أهميتها كمركز يعتمد على التجارة الغربية. وفى سنة ١٠٦م أرسل الإمبراطور تراجان حملة ضد الأنباط احتلت فيها بطرا دون مقاومة، وبسقوط بطرا بيد الرومان قضى على دولة الأنباط وجعلت بلادها جزءا من المقاطعة العربية التي أنشأها الرومان في الطرف الجنوبى من سورية للحماية من هجمات بدو الجزيرة العربية، وفى الأخبار التي وصلتنا عن الملوك الأنباط أسماء أحد عشر ملكا حكموا ٢٧٥ سنة في الفترة الممتدة بين سنة ١٦٩ ق.م وسنة ١٠٦ ب. م [١].

ب ـ التدمريون:

وعلى أثر انهيار دولة الأنباط وسقوط بطرا تحول طريق التجارة من غربى الجزيرة إلى العراق فبرزت في الميدان دولة عربية جديدة مركزها تدمر احتلت محل بطرا في السيطرة على طرق المواصلات التجارية في الشرق الأدنى، وتقع مدينة تدمر هذه في وسط الصحراء في منتصف الطريق بين دمشق والفرات على أرض منبسطة تحيط بها جبال تفصلها عن البادية على بعد ١٥٠ ميلا عن دمشق نحو الشمال الشرقى ونحو مائة ميل عن حمص.

إن معلوماتنا عن حضارة تدمر تبدأ من العصر الرومانى حيث تتوفر وثائق تاريخية من ذلك العصر التي تزودنا بتفاصيل عن تاريخ المدينة وتطورها، إلا أن هناك ما يدل على أن تدمر كانت محطة تمر بها القوافل منذ القرن السادس قبل الميلاد حيث كانت على الطريق الرئيسى بين اليمن والحبشة من جهة وبين العراق والهند من الجهة الأخرى، ولكنها لم تنل مكانتها كمركز تجارى هام إلا بعد سقوط بطرا في أوائل القرن الثانى للميلاد فتحولت الطرق الرئيسية إليها وأخذت تدريجيا تحتل الصدارة في الأهمية كمركز تجارى رئيسى في الشرق

(١) انظر:

R.H. Simpson, “Nabateans”, Enc. Brit., 1965, Vol. 15, pp. 1143 - 1144; P.Hitti, “History of Syria” pp. 375 - 388.

الأدنى، وما لبثت أن بلغت أوج ارتقائها وازدهارها في القرن الثلاث للميلاد.

وكانت غالبية أهل تدمر تتألف من مجموعات من القبائل العربية وردت أسماؤها في المدونات الرومانية وهى أسماء سامية مع أن بعضها كان يحمل أسماء إغريقية، ومن الثابت أن الأسر التدمرية ذات النفوذ عرب، أصلهم من البادية من بقايا العمالقة كالنبطيين مارسوا الأعمال التجارية فغلبوا على أهل المدن حتى صاروا ملوكا. وبفضل التبادل التجارى مع مختلف الأمم انتشرت الأرامية والإغريقية في معظم وثائقها كما استعملت الرومانية في مكاتباتهم الرسمية في العصر الرومانى على أن الأرامية أصبحت هى الغالب استعمالها في المخابرات الرسمية والتدوين كما اتخذها النبطيون من قبل. وقد اتخذ التدمريون القلم المسمى بالقلم التدمرى وهو مشتق من القلم الأرامى.

وقد أطلق الإسكندر الأكبر على تدمر اسم بالميرا أى مدينة النخل فعرفت منذ ذلك الحين عند اليونان واللاتين بهذا الاسم، وأول ذكر ورد لتدمر في الكتابات القديمة يرجع إلى عهد الملك الأشورى تجلات بلاسر الأول (١١١٥ - ١٠٧٧ق.م) فسميت تدمر العموريين، كما ورد ذكرها في أخبار حملات نبوخذ نصر الثانى (٦٠٥ - ٥٦٢ق.م) على فلسطين ومصر. وأول كاتب كلاسيكى أشار إلى مدينة بالميرا هو بلينوس فذكر " أنها مدينة شهيرة ولها موقع ممتاز، أرضها خصبة، وبها ينابيع وعيون، تحيط بحدائقها الرمال، وقد عزلتها الطبيعة عن العالم ببادية واسعة الأطراف، بعيدة المسافات، وتقع بين إمبراطوريتين عظيمتين، إمبراطورية روما وإمبراطورية الفرثيين ولهذا استرعت أنظار الأولين " [(١)].

وقد ورد ذكر تدمر في التوراة [(٢)] باعتبارها إحدى المدن التي بناها الملك سليمان [(٣)] غير أن أكثر الباحثين يرون أن المقصود بتدمر هنا " تامار " البلدة

---

(١) الدكتور جواد على " تاريخ العرب قبل الإسلام "، ج٣، ص ٧٤ - ٧٥.

(٢) ورد ذكر " تدمر " (بهذه الصيغة) مرتين في الكتاب المقدس (الترجمة العربية)، مرة في (١ مل، ٩: ١٨) وأخرى في (٢ أخ، ٨: ٤)، أما في " توراة أورشليم المقدسة ":
(La ste Bible de Jerusalem) Ed. Le Cert, Paris, 9161.
باللغة الفرنسية فإنها لم تردبصيغة Tadmor سوى مرة واحدة وذلك في (٢ أخ، ٩: ١٨)، بينما وردت بصيغة Tamar في (١مل، ٩: ١٨).

(٣) غير أن الملك سليمان لم يبن (بمعنى البناء والإنشاء) أية من المدن المذكورة في المرجعين المذكورين أعلاه لكون تلك المدن قد سبقت في وجودها زمن الملك سليمان

الكنعانية القديمة التي تعود إلى زمن إبراهيم الخليل [١] والتى كانت تقع في مكان تحدد التوراة موضعه إلى الجنوب الشرقى من أرض يهوذا والجنوب الغربى من بحر الميت [٢]. وليس مدينة " تدمر " الشهيرة بمدينة النخل " بالميرا " كما دعاها الإسكندر المقدونى، ومن ثم بعاصمة أذنية وذينب [٣].

وتعليل سبب الوقوع في هذا الخطأ يعود إلى أحد أمرين، فإما أن يكون كتبة سفرى أخبار الأيام، أو ربما الكتبة الذين سبقوهم، يجهلون فعلا مكان وقوع " تامار " وهو أمر بعيد الاحتمال، فظنوها " تدمر " التي كانت آخذة في التألق والإشراق في ذلك الحين فكتبوا " تدمر " مكان " تامار " وإما أن يكونوا قد ارتكبوا هذا الخطأ عن عمد، وهو الأرجح لاسيما إذا علمنا أن الاعتقاد السائد هو أن هذا التبديل قد تم في حوالى ٣٠٠ أو ٢٠٠ ق.م أى بعد النبى حزقيال الذي لا يدع مجالا للشك أن " تامار " وهى غير تدمر وأن " تدمر " ليس بإمكانها أن تكون تامار، جريا على عادتهم في تزييف الحقائق وإدخال التشويش في ذهن القارئ بقصد تمجيد تاريخهم ورفع شأنهم، ومن هنا برزت أسطورة بناء الملك سليمان لمدينة " تدمر " البعيدة عن حدود مملكته التي لم تصل في يوم من الأيام إلى دمشق بشهادة التوراة نفسها [٤] فكيف تجاوزتها إلى تلك

بمئات السنين وربما وصل بعضها إلى الألف سنة أو أكثر، فهذه هي التوراة ذاتها تشهد، على سبيل المثال أن فرعون ملك مصر صعد إلى كنعان وأخذ مدينة جازر وأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين سكان المدينة وأعطاها مهرًا لابنته أمرأة سليمان، (١ مل، ٩: ١٦)، والصحيح هو أن أعماله فيها قد اقتصرت على الترميم والتجديد وعلى أكثر الاحتمالات إضافة أجزاء إليها، و " توراة أورشليم المقدسة "، المبينة في الحاشية السابقة، تؤيد ما ذهبنا إليه من حيث أنها تستخدم للدلالة على ما قام به سليمان في تلك المدن فعل reconstruitr في (ا مل، ٩: ١٨)، وفعل Resfaurer في (٢ أخ، ٨: ٤)، وهذان الفعلان إنما يؤديان معنى الترميم والتجديد وليس البناء والإنشاد.

(١) (تك، ١٤: ٧).

(٢) (حز، ٤٧: ١٩، ٤٨: ٢٨).

(٣) في شرحه لمدينة تدمر، يعين قاموس الكتاب المقدس مكان ورودها في (٢ أخ، ٨: ٤)، ومن ثم يردها إلى (١ مل، ٩: ١٨)، معلقا بأنها وردت في النص العبري بصيغة تامار في المتنْ وبصيغة تدمر في الهامش، أما " توراة أورشليم المقدسة " فإنها تورد Tamar في (١ مل، ٩: ١٨) ولا تعلق على ذلك بينا توردها بصيغة Tadmor في (٢ أخ، ٨: ٤)، مع التعليق التالي بحاشيتها (c): " وهذا القول يخالف ما جاء في (١ مل، ٩: ١٨)، ولعل كاتب سفر الأخبار ظنها نفس مدينة تدمر، التي هي بالمير ".

(٤) راجع (١ مل، ١١: ٢٣ - ٢٥).

المنطقة الصحراوية النائية [١].

وما تزال بقايا تدمر قائمة وسط الصحراء تجتذب السياح إليها وأبرز ما في تلك الآثار الباقية التي تشهد بعظمة المدينة في الزمن الغابر:

١- هيكل " الشمس " أو هيكل " بعل " الذي كان يعتبر إلها وطنيا في تدمر، وعبادته معروفة عند الساميين منذ أقدم العصور، والهيكل مربع الشكل طول ضلعه ٧٤٠ قدما يحيط به سور يرتفع إلى سبعين قدما وكان يضم في الأصل ما يزيد على أربعمائة عمود أسطوانى منظومة في أروقة وتحمل تيجانا مزخرفة بنقوش يونانية، وما يزال هناك نحو من مائة أسطوانة أو يزيد قائمة في أماكنها.

٢- الرواق الأعظم ويقع على مسافة مائتى متر من المعبد وكان يتألف في الأصل من شارع رئيسى في الوسط مع شارعين جانبيين يصل المدينة من طرفيها بطول قدره ٣٧٥٠ قدما وكان يضم نحوا من ٧٥٠ أسطوانة ترتفع إلى حوالى ٥٧ قدما، وما يزال هناك نحو من ١٥٠ أسطوانة قائمة في أماكنها.

٣- مدافن المدينة وهى عربية الشكل وتتألف من أبراج مستطيلة يزيد عددها على مائة مدفن [٢].

إن أقدم كتابة قرئت من تدمر حتى الآن هى تلك التي وجدت منقوشة على قبر مؤرخه بالتاريخ السلوقى الذي يقابله السنة السابعة قبل الميلاد كما قرئ على اثنين من أعمدة الرواق الأعظم اسم أذينة وزينوبيا وبجانبهما تاريخ سلوقى يقابله سنة ٢٧١ للميلاد وهو نفس التاريخ الذي سقطت فيه دولة التدمريين. كما عثر على كتابة يرجع تاريخها إلى سنة ١٣٧ م وهى كتابة مطولة تدخل في مائة سطر وبجانبها الترجمة اليونانية [٣].

ويحدثنا تاريخ الرومان عن استقلال تدمر الذاتى في القرن الثانى الميلادى، فيشير في هذا الصدد إلى أنه كان لها مجلس شيوخ من أهلها مختص بين القوانين وله رئيس وأمين، كما كان لها سلطة تنفيذية بيد شيخين يعاونهما مجلس يتألف من عشرة أعضاء، وسلطة قضائية بيد وكلاء وموظفين معيين [٤].

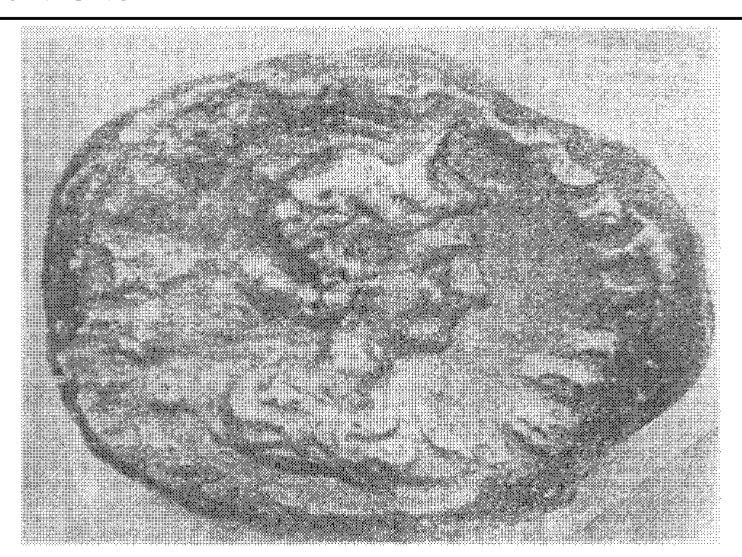
---

(١) الدكتور جواد على " تاريخ العرب قبل الإسلام "، ج٣، ص ٧٣ - ٧٤.
(٢) جرجى زيدان، " العرب قبل الإسلام "، ج١، ص ٨٩ - ٩١.
(٣) " المرجع السابق " ص ٩٢.
(٤) د. سيد نوفل " زنوبيا ملكة تدمر "، الهلال، أغسطس ١٩٧٣، ص ٣.

وقد برزت في حياة تدمر السياسية أسرة عربية حكمت فيها في القرن الثالث الميلادى اشتهر من رجالها أذينة بن حيران بن وهب اللات بن نصر الذي سعى إلى خلع نير الروم فاكتشف الروم عزمه وقتلوه في أواسط القرن الثالث الميلادى، ثم خلفه في الحكم ابنه وكان يسمى أذينة أيضا انتصر للرومان في حربهم مع الفرس وأبلى فيها بلاءا حسنا فاسترجع البلاد التي كان الفرس قد استولوا عليها من الجزيرة وأخضع نصيبين وحاصر المدائن مرتين حتى أصبح سيد الشرق الرومانى ولقب بملك الملوك، ففرض سلطته على سورية وسائر آسيا الرومانية، وفى سنة ٢٦٤م تسمى حاكما عاما عليها. ومع أنه كان في الظاهر تحت سيطرة الروم إلا أن رجاله كانوا يعدونه صاحب السيادة المطلقة على آسيا الرومانية من أرمينيا إلى جزيرة العرب.

وقد اشتهرت امرأته المسماة زينوبيا التي كانت تنوب عن زوجها في الحكم كلما خرج لحرب أو غاب عن تدمر وكانت تقوم بهذه المهمة بكل جدارة حتى نالت من إمبراطور الرومان أكبر ألقاب الشرف عندهم. وزينوبيا هذه تدمرية عربية الأصل كانت تحسن الأرامية والقبطية، وبعض اللاتينية واليونانية ولها اطلاع واسع على تاريخ الشرق والغرب، وكانت تتميز بالشجاعة والدهاء والهيبة فكانت تجالس قوادها وكبار رجالها وتباحثهم في شئون الدولة وتقابل الوفود الأجنبية وكانت تمتطى جوادها مرتدية لباس الحرب وعلى رأسها الخوذة الرومانية مرصعة بالدر والجوهر.

ولما مات زوجها أذينة سنة ٢٦٧م خلف ابنها الأصغر وهب اللات وباعتبارها زينوبيا الوصية عليه فقد أصبحت صاحبة الرأى والنفوذ الأكبر، وفى سنة ٢٧١م أعلنت زنوبيا استقلال تدمر عن الرومان وتولت قيادة الجيش وتقويته بتطعيمه برجال أشداء يعول عليهم في المعارك حتى تمكنت من فرض سلطانها على مصر والشام والعراق وآسيا الصغرى على أنقرا الأمر الذي أثار غضب البيزنطيين فجاء أورليان بجيوشه الجرارة وهدفه إخضاع تدمر لنفوذه، وقد التقت جنود زنوبيا بجنود أورليان في أنطاكية وحمص فكان الفوز في المعركة على جانب أورليان مما اضطر زينوبيا إلى التراجع مغلوبة فتمكن أورليان أخيرا من ضرب الحصار حول تدمر وانتهى باستسلام التدمريين إلى الروم، فلم تجد زنوبيا أمامها غير الفرار إلى الفرس إلا أن الروم تعقبوا آثارها حتى قبضوا عليها، كان ذلك سنة ٢٧٣م.



التصوير رقم (٥١)
" الزباء أو زينوبيا زباى " الملكة الجليلة التقية ملكة تدمر (٢٦٦ - ٢٧٣ م)
(على طاس من الذهب الخالص - المتحف الوطنى بدمشق)

ثم تحرك التدمريون بعد قليل ينشدون التحرر من حكم الرومان ولكنهم باؤوا بالفشل فأذلهم أورليان وهدم أسوار مدينتهم وقتل معظم سكانها، وبهذا المصير انتهت حياة الدولة التدمرية العربية كما انتهى إليه مصير دولة الأنباط على يد الرومان أيضا من قبل.

ج ـ دول الغساسنة في سورية:

لقد أجمع الإخباريون والنسابون العرب على عزو سبب هجرة القبائل العربية من جنوب الجزيرة في الأزمنة المتأخرة إلى أنحاء متفرقة من جزيرة العرب إلى سيل العرم الذي سبب تخريبات في سد مأرب في اليمن [١]. ولما كان السد المذكور قد تعرض إلى عدة تصدعات أعقبتها ترميمات فقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ هجرة هذه القبائل وعدوا التصدع انهيارا مما وسع مجال الاختلاف في تعيين تاريخ هذه الهجرات. ومما لا شك فيه أن هجرات هذه القبائل المتأخرة كانت تدريجية وعلى موجات متواصلة، لذلك نستطيع أن نحدد بدايتها بحوالى أواخر الألف الأولى قبل الميلاد، فكان منها هجرة الغساسنة إلى سورية والمناذرة إلى العراق [٢]. أما الغساسنة فيزعم المؤرخون العرب أنهم من

(١) انظر " ما يلى عن سد مأرب في الفصل الثانى ".
(٢) انظر " ما يلى عن دولة المناذرة ".

القبائل العربية، أصلها من الأزد رحلت من اليمن إلى تهامة في مكان عين ماء يقال له " غسان " فنسبوا إليه، وبعد أن أقاموا حينا هناك نزلوا مشارف الشام وتغلبوا على قبائل الضجاعمة التي كانت تقيم فيها وأنشؤوا لأنفسهم دولة تحت رعاية الروم عرفت بدولة الغساسنة، فتحضروا بمرور الزمن واعتنقوا النصرانية دين البيزنطيين واتخذوا لهم عاصمة مدينة بصرى في حوران وهى التي تعرف أنقاضها الآن " بأسكى شام " وفيها كان دير بحيراء الشهير، ولما كان الغساسنة في سورية خاضعين لسلطة البيزنطيين والفرس على أشدها فقد دارت عدة حروب بين الغساسنة والمناذرة كما اضطر كل من الطرفين أن يشارك في الحرب مع الجهة التي يخضع لها. وقد اتخذ الغساسنة الأرامية لغة لهم من غير أن يهجروا لسانهم العربى.

وأقدم ما لدينا من معلومات عن ملوك غسان مستقاة من كتاب حمزة الأصفهانى ففى زعمه أن ملوك غسان ٣٢ ملكا حكموا نحو ستمائة سنة، أى من أوائل القرن الأول للميلاد إلى ظهور الإسلام، كان أولهم جفنة بن عمرو مزيقيا ومنه سمى الغساسنة بآل جفنة وقيل إنما سمى مزيقيا لأن الأزد تمزقت على عهدهم عند هربهم من سيل العرم، وقد امتد نفوذ الغساسنة ليشمل سلطانهم حوران والبلقاء وسائر مشارف الشام وتدمر وسائر عرب سورية وفلسطين ولبنان، وقد أنشؤوا المدن والقرى وبنوا القناطر وأصلحوا الصهاريج ومنها صهاريج الرصافة (رصافة الشام)، ومما نسب إليهم من القصور صرح الغدير والقصر الأبيض والقلعة الزرقاء وقصر المشتى وغيرها من القصور وكثير من الأديرة (١).

د ـ مملكة المناذرة في العراق:

ومن القائل المتأخرة التي نزحت من جزيرة العرب واستوطنت أطراف الفرات الغربية، التنوخيون واللخميون، فقد استقر التنوخيون على حدود العراق الغربية منذ العهد الفرثى (١٢٦ ق.م ـ ٢٢٧ ب. م) وأسسوا لهم كيانا ذاتيا في أواخر هذا العهد حيث استغلوا ضعف الدولة الفرثية في أواخر حكمهم فتمتعوا باستقلال ذاتى واستغلوا نفوذهم لحماية القوافل المارة بوادى الفرات لقاء أجور

(١) انظر: الدكتور جواد على " تاريخ العرب قبل الإسلام "، ج٤، ص ١١٨ ـ ١٦٠، الدكتور صالح أحمد العلى، " محاضرات.. "، ص ٥٦ ـ ٦٣، الدكاترة حتى وجرجى وجبور، " تاريخ العرب " ص ١٠٢ ـ ١٠٧.

وأنشؤوا لهم علاقات وثيقة مع تدمر.

ويذكر المؤرخون العرب من ملوكهم مالك بن فهم وعمرو بن فهم وجذيمة الأبرش، وتنوخ فرع كبير من قضاعة، ذكر النسابون أن تنوخا مزيج من قضاعة والأزد [1]، ويروى بعض المؤرخين العرب أن هذه القبائل نزحت من مواطنها بعد انهيار سد مأرب في اليمن، ولعل المقصود هنا أحد تصدعات السد التي رممت في أزمان مختلفة لأن الدلائل تشير على أن السد بقى قائما إلى منتصف القرن السادس الميلادى [2]، ثم خلف التنوخيين اللخميون في العهد الساسانى (٢٢٤ - ٦٣٧ ب.م) فأسسوا إمارة بزعامة عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة الأبرش آخر الملوك التنوخيين (٢٦٨ - ٢٨٨ ب.م)، لعبت دورا سياسيا مهما إذ استغل ملوكها موقع منطقتهم الجغرافى الذي يؤلف حاجزا بين الدولتين العظيمتين المتنافستين على السلطة (دولة القياصرة في الغرب ودولة الأكاسرة في الشرق) في توسيع نفوذهم، فحكم فيهم عدد من الملوك الذين اشتهروا في تلك الحقبة من تاريخ الشرق الأدنى وصاروا يعرفون بالمناذرة نسبة إلى أهم ملوكهم الذين كانوا يتسمون بالمنذر الأول والثانى والثالث... الخ، وقد ذكر المؤرخون العرب من ملوك اللخميين المناذرة عشرين ملكا امتد حكمهم أكثر من ٣٥٠ سنة بين سنة ٢٦٨ و ٦٣١ م.

وقد اتخذ اللخميون والمناذرة الحيرة عاصمة لهم وأسسوا حضارة عربية خاصة بهم فيها، وتقع الحيرة على ثلاثة أميال جنوبى الكوفة في منطقة سهلة قريبة من الصحراء ويجرى بالقرب منها نهر الفرات الذي كان يتفرع منه عدة فروع منها الفرع الذي كان يمر بالحيرة وكان يعرف بنهر الحيرة. وكانت هذه الفروع والترع تصب في بحر النجف الذي كانت تصل إليه السفن البحرية على ما ذكره المسعودى. والأرجح أن اسم الحيرة مشتق من الكلمة الأرامية (حرتا) ومعناها المعسكر والمقام، وكانت للحيرة أهمية خاصة بسبب موقعها على أطراف العراق واتصالها بعشائر الجزيرة العربية وأراضيها فضلا عن موقعها على طريق القوافل التي تنقل البضائع التجارية كانت في الوقت نفسه تحدها من الداخل بحيرة النجف وقد جفت الآن. ولقد لعبت الحيرة دورا مهما في تاريخ

(١) زيدان، " العرب قبل الإسلام "، ص ١٧٣.
(٢) انظر ما يلى عن سد مأرب في الفصل الثانى.

الإسلام بخاصة موقفها الودى من الفتح الإسلامى [(١)].

وكان أغلب سكان الحيرة من العرب البدو، وكانت هناك جاليات من الفرس النبط، وكان النبط يمتهنون الزراعة والفلاحة، كما كانت توجد جالية يهودية في الحيرة تمثل أولئك اليهود الذين استقروا فيها بعد السبى البابلى أن يهود الحيرة كتبوا التلمود البابلى فيها [(٢)]، في حين أن التلمود البابلى وضع في بابل كما هو معلوم.

كانت الحيرة مركزا هاما من مراكز انتشار الديانة المسيحية إذ يدعى الطبرى أن امرئ القيس الأول (٢٨٨ - ٣٢٨ م) كان أول من تنصر من ملوك الحيرة، وقد استقر نفوذ المسيحية بشكل واضح في عهد المنذر بن ماء السماء (٥١٣ - ٥٦٢ م) الذي تزوج هند وهى نصرانية، ثم اعتنق النعمان بن المنذر (٥٨٣ - ٥٠٦م) المسيحية وترك عبادة الأصنام وأذن للنصارى بممارسة شعائرهم الدينية بحرية، والدليل على انتشار المسيحية في المنطقة كثرة الأديرة التي أنشئت على أطراف الحيرة إذ أورد الإخباريون ذكر أكثر من عشرين ديرا فيها وقد درس رجال الدين فيها وترجموا العديد من الكتب الفلسفية والدينية إلى اللغة السريانية التي كانت شائعة عندهم، وقد تفوق مذهب النساطرة على مذهب اليعاقبة فانتشر منذهبهم في منطقة الحيرة وكانت لهم أسقفية في الحيرة تابعة لبطريركية طيسفون [(٣)].

وقد اشتهر من بين أبنية المناذرة قصر الخورنق المشهور الذي بناه الأمير اللخمى النعمان لمولاه الساسانى بعد عام ٤١٨ م، وقد أشاد بذكره شعراء العرب الجاهليون في كثير من أشعارهم وعدوه هو وحصن السدير المجاور له من عجائب الدنيا الثلاثين، واشتهر الحورنق أيضا لأنه مضرب المثل السائر " جزاء

---

(١) انظر المراجع التالية عن الحيرة:
يوسف رزق الله غنيمة، " الحيرة - المدينة والمملكة العربية "، بغداد، ١٩٣٦.
الدكتور صالح أحمد العلى، " منطقة الحيرة - دراسة طوبوغرافية مستندة على المصادر الأدبية "، مجلة كلية الآداب، نيسان، ١٩٦٢، ص ١٧ - ٤٤. " دائرة المعارف الإسلامية "، ج٨، ص ١٦١ - ١٦٢.

(٢) الدكتور صالح أحمد العلى، " محاضرات في تاريخ العرب " ص ٧٥.

(٣) راجع: الدكتور صالح أحمد العلى، " محاضرات في تاريخ العرب "، ص ٦٤ - ٨٣، الدكتور جواد على، " تاريخ العرب قبل الإسلام "، ج٤، ص ٥ - ١١٧، جرجى زيدان، " العرب قبل الإسلام "، ج١، ص ١٩٧ - ٢١٤.

سنمار " وهو المهندس الرومى الذي شيده للنعمان وأتمه له، وقد وسع الخلفاء العباسيون الأوائل هذا القصر وانتفعوا به، وقد كان خربا في القرن الخامس عشر الميلادى (١).

هـ - مملكة كندة:

تنسب هذه الدولة العربية التي يرجع تأسيسها إلى القرن الخامس الميلادى إلى قبيلة كندة، وهى قبيلة قحطانية في عرف النسابين، وقد عرفت بـ " كندة الملوك ". وكانت منازل هذه القبيلة في الأصل في جنوب الجزيرة العربية حددت إقامتها في المنطقة الواقعة إلى غربى حضرموت، إذ أطلق الهمدانى عليها " بلد كندة من أرض حضرموت " ويرى الإخباريون أن الكنديين نزحوا إلى أواسط الجزيرة حيث أسسوا دولة عربية فرضت حكمها في أوج عظمتها على القبائل الساكنة في الحجاز وشمال الجزيرة العربية والبحرين، كما امتد نفوذها على قبائل بعض أجزاء اليمامة، بل امتد اتساعها حتى شمل دولة المناذرة في الحيرة وتبوأ أحد ملوكها عرش تلك الدولة، ويرجح الباحثون أن أول هجرة الكنديين إلى منطقة نجد كان في حوالى منتصف القرن الثالث الميلادى، أما الموضع الذي أسست فيه مملكة كندة فقد كان في الطرف الغربى المرتفع من هضبة نجد على حدود الحجاز الشرقية في منطقة " ضربة " وهى منطقة تكثر فيه الأودية والمياه والواحات الخصبة كما تكثر فيها مناجم الذهب (٢).

وقد اشتهر بين ملوك كندة الملك حجر بن عمرو ويلقب بآكل المرار، وقد حدد الباحثون زمن حكمه في حوالى أواخر القرن الخامس الميلادى، قام هذا الملك بعدة حملات ضد القبائل العربية في مختلف أنحاء الجزيرة العربية محاولا توحيدها تحت إمرته وسلطته، وقد أجمع الباحثون أن الملك حجر كان أول ملوك كندة ومؤسسها، مع أن ياقوت يذكر في معجمه عدة ملوك سبقوا حجرا بحوالى قرن أو نصف القرن من الزمن كما اقتصر اليعقوبى على ذكر أسماء عدد من الملوك الأول مع ذكر سنى حكمهم من غير الإشارة إلى تاريخ حكمهم.

وقد أعقب حجرا ابنه " عمرو " الذي سمى بالمقصور، وقد حافظ هذا الملك على علاقته الطيبة مع الحميريين في اليمن، كما كان مرتبطا مع المناذرة بأواصر القربى، إلا أن علاقته مع الغساسنة كانت على خلاف ذلك، فقد اشتبك

(١) " دائرة المعارف الإسلامية "، ج٩، ص ٣٥ - ٣٦.

(٢) انظر مادة (ضربة) في معجم ياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى.

مع الحارث بن أبى شمر في حروب قتل فيها، ثم تولى الحكم الحارث بن عمرو، وهو أقوى ملوك كندة وأكثرهم طموحا، فاستغل تدهور العلاقات بين المناذرة والساسانيين واستولى على مملكة المناذرة، ونصب نفسه ملكا عليها بتأييد من قباذ ملك الفرس الذي أبعد المنذر ابن ماء السماء عن الحكم في الحيرة. وقباذ هذا هو قباذ الأول الذي حكم ثلاثا وأربعين سنة فيما بين سنة ٤٨٨ و ٥٣١ ميلادى، وكان للحارث أربعة أولاد كان قد عينهم في إبان حكمه ملوكا على قبائل العرب الخاضعة لحكمه واحتفظ لنفسه بحكم كندة، وقد عين حجرا أكبر أولاده على أسد وكنانة وغطفان وهم يقطنون في الشمال الغربى من نجد عند وادى الرمة بين جبل شمر وخيبر، وحجر هذا هو والد الشاعر الجاهلى المعروف امرئ القيس.

ولم يدم حكم الحارث طويلا في الحيرة، فبعد وفاة قباذ واعتلاء كسرى أنوشروان عرش فارس أعيد المنذر بن ماء السماء إلى الحكم في الحيرة ففر الحارث وأعوانه، وقد اختلفت الروايات حول مصير الحارث فبعضهم يدعى أنه قتل على يد المنذر بن ماء السماء في حين أن البعض الآخر ينفى ذلك ويذهب إلى أنه مات موتا طبيعيا. وبموت الحارث انحلت وحدة الحكم في دولة كندة ولم يبق من ملوكها غير معدى كرب بن الحارث على قيس عيلان وأمراء صغار ذوى سيادة على بعض القبائل حتى ظهر الإسلام فذهبت جميعها، أما أخوة معدى كرب الثلاثة ومن ضمنهم حجر فقد قتلوا جميعهم في المعارك التي دارت رحاها بعد وفاة أبيهم الحارث.

وكان الكنديون يعبدون الأصنام وقد انتشرت بينهم المسيحية أكثر من انتشار اليهودية وذلك بتأثير الغساسنة والمناذرة والأحباش حتى كان أول من تنصر من ملوك كندة هو معدى كرب الملقب بذى التاج الأوضح.

وقد خلفت قبيلة كندة عددا من الشعراء والأدباء إذ كانت موئل الشعراء العرب في الجاهلية فنبغ فيهم عدد من الشعراء وفى مقدمتهم الشاعر المشهور امرؤ القيس بن الملك حجر الذي كان له الفضل في حفظ أخبار هذه الأسرة من كندة، ومما يذكر في هذا الصدد أن الفيلسوف الشهير يعقوب بن إسحاق الكندى يرجع نسبه إلى هذه القبيلة [١].

(١) الدكتور جواد على، " تاريخ العرب قبل الإسلام "، ج٣، ص ٢١٥ - ٢٧٣، الدكتور فيليب حتى ورفاقه، " المطول في تاريخ العرب "، ج١، ص ١١٤ - ١١٦، جرجى زيدان،

و- إمارة الحضر العربية:

إن اسم إمارة الحضر العربية مشتق من اسم مدينة الحضر الشهيرة، عاصمة الإمارة، الواقعة اليوم في البرية قرب وادي الثرثار على الجانب الغربي منه على بعد ١٤٠ كيلو مترا من جنوب غربي الموصل [١]، يحدها نهر دجلة من الشرق والفرات من الغرب، وجبال سنجار من الشمال ومشارف المداين من الجنوب، إلا أن نفوذها امتد في الشمال إلى ما وراء سنجار فوصل إلى الخابرو ونصيبين، وكانت تؤلف هذه الإمارة إحدى الدويلات العديدة التي كانت تابعة للدولة الفرثية الفارسية(٢٥٠ ق.م - ٢٢٦ ب.م) كانت بلاد مملكة الحضر تعرف منذ القديم باسم (عربايا) أي بلاد العرب حيث ورد ذكرها من بيت الأقاليم التابعة لإمبراطورية الملك الأحمى دارا الكبير (٥٢٢ - ٤٨٦ ق.م) مما يدل على قدم حكم العرب في منطقة الحضر.

وقد بلغت إمارة الحضر العربية أوج مجدها وتوسع نفوذها في القرون الثلاثة الأولى للميلاد وبخاصة في دور ملوكها الذي يبدأ في منتصف القرن الثاني للميلاد وينتهي بسقوط الحضر في عام ٢٤٠ أو ٢٤١ للميلاد بيد الملك الساساني شابور الأول بعد أن حاصرها مدة من الزمن، وفي دور الملوكية هذا تمتعت مملكة الحضر بقسط أوفر من الاستقلال حتى توسع نفوذها إلى ما بعد الخابور شمالاً.

وكان أول ملك من ملوك الحضر يدعى " ولجش الملك " (١٥٥ - ١٦٥م) ورد اسمه على تمثال من تماثيل الحضر، وقد اتخذ له لقب " ملك العرب " أي ملك بادية شمالي العراق، وتذكر المصادر الرومانية اسم " برسميا " ملكًا على الحضر وهو محرف عن اسم " عبد سميا " الذي ورد ذكره في الكتابات المكتشفة في الحضر ملكًا حاكمًا في الحضر في عام ١٩٢م، وكان الملك سنطروق الثاني الذي اعتلى العرش بعد أبيه " عبد سميا " من أشهر ملوك الحضر دام حكمه حوالي أربعين سنة (٢٠٠ - ٢٤٠م) وامتدت حدود مملكته بعيدًا إلى الخابور وعبر الفرات مما دفعه إلى أن يلقب نفسه " المظفر ملك البلاد العربية ". وقد استغل سنطروق النزاع الذي كان محتدمًا بين أمراء الفرثيين على عرش الدولية

" العرب قبل الإسلام "، ج١، ص ٢١٤ - ٢١٨، الدكتور صالح أحمد العلى، " محاضرات في تاريخ العرب "، ص ١٥٥ - ١٦٥.

(١) انظر مدينة الحضر في معجم الأعلام والأقوام والبلدان (الملح الرابع).

الفرثية لزيادة نفوذه وتمتعه بالاستقلال الكامل في تصرفاته واتصالاته.

وبعد انقراض مملكة الفرثيين وقيام السلالة الساسانية تفيد المصادر العربية أن قبيلة من قبائل بني قضاعة أغاروا على أرض جزيرة ما بين النهرين وكان لها ملك يقال له الضيزن بن جهلمة، وكان فيما زعموا ملك الجزيرة كلها إلى الشام، ففتح مدينة الحضر واستولى عليها من حاكمها الجرمقاني المدعو " الساطرون " (سنطروق في السريانية) فأقام فيها مدة ملكًا وأغار على بلاد الفرس والسواد بعد أن انضم إلى الرومان الذين استولوا على بيديا، فهاجم الفرس وتغلب عليهم في منطقة شهرزور كما تذكر المصادر العربية، وكان أن تمكن الملك الضيزن فحاصرها لسنة كاملة من ١٢ نيسان ٢٤٠ إلى ١ نيسان من عام ٢٤١م، على ما تذكر وثيقة اكتشفت حديثًا في مصر، واضطرت أخيرًا إلى الاستسلام بعد أن فقدت قدرتها على الصمود فدخلها منتصرًا، وتدل التنقيبات أن أبنيتها تركت قائمة وتماثيلها سالمة في أماكنها من غير أن يصيبها تخريب أو تشويه متعمد.

إن سكان الحضر كانوا عربًا ولكنهم تأثروا بالمحيط الذي عاشوا فيه فأخذوا بالثقافة الأرامية واللغة الأرامية التي كانت لغة التدوين والمراسلة عند معظم شعوب الشرق على اختلاف ألسنتهم وتباين لغاتهم، إذ كان للأراميين ثقافة عالية وحضارة راقية ازدهرت ونمت في خلال اشتغالهم بالتجارة واحتكاكهم بأقوام أخرى وقد انتشرت مع التجارة الأرامية اللغة الأرامية انتشارًا واسعًا، ولهجة الحضر الأرامية فرع من المجموعة الشرقية للهجمات الأرامية التي تشمل أيضًا اللهجة السريانية الرهاوية ولغة التلمود البابلي واللهجة المانديـة، والأراميون والعرب أشقاء خرجوا من بطن الجزيرة العربية فتراثهم ولغتهم ومعتقدهم مستمد من أصول واحدة.

أما ديانة أهل الحضر فهي ديانة القبائل العربية التي قوامها الظواهر الطبيعية مع الميل إلى التبسيط والتوحيد في المعتقد والعبادة، وقد كان للديانة الحضرية طابع خاص يميزها عن ديانات الشعوب القديمة كالسومرية والبابلية والآشورية والإغريقية والرومانية والفارسية التي نمت خارج العراق مع أنها اقتبست منها الشيء غير القليل بسلسلة من عمليات تلقائية اشترك بها كل من الأراميين والأنباط والعرب بعقلية واحدة منشؤها الجزيرة العربية. فكانت الشمس من أشهر الآلهة لدى الشعوب السامية عمومًا، وقد خص الحضريون الشمس بالأولية من عبادتهم وهي عندهم مذكر باسم " سمس " أو " شمسا " ويعتبرونه

كبير الآلهة، الإله العظيم باعث الحياة وخالق الكائنات، ففي الحضر المعبد الكبير مخصص لعبادة الإله " شمس "، كبير الآلهة، يقابل " زيوس " لدى الإغريق و " جوبيتر " لدى الرومان و " اهورا مرزا " عند الفرس. " فكان هذا المعبد مركز النشاط الديني والاجتماعي ليس للحضريين وحدهم بل لجيمع سكان جزيرة ما بين النهرين يحج إليه الناس من مسافات بعيدة ويقدمون فيه نذورهم ويدفنون بجواره موتاهم، وفي صحنه الواسع كانت تعقد الاجتماعات وتقام الولائم والاحتفالات والأعياد ". وقد جاءت عبادة " مدينة شمس " على المسكوكات الحضرية توثقيًا للصلية بين الحضر وبين القبائل العربية المتجولة في بادية جزيرة ما بين النهرين أو الساكنة في أريافها والتي كان معبودها الأكبر " شمس ".

ففي الفقرة السامية لهذا الإله " عبادة الساميين عمومًا:

" يا شمس أنت ملك السماء والأرض، وسيد الكائنات العليا والسفلى، القاضي المستقيم الذي يدبر شئوون البشرية، السليل الأمجد الابن الأعظم والأنبل، نور الأرض، صانع كل ما في السماء وما في الأرض ".

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن فكرة التوحيد التي تنطوي على وجود الخالق لكل ما في السماء وما في الأرض كانت معروفة عند الساميين العرب منذ القديم وكان الميل إلى تقبلها في صلب معتقدهم وعبادتهم، وأن فكرة التوحيد عن طريق عبادة الشمس وظهورها على القرص المشع على العالم أجمع التي نادى بها أخناتون في القرن الرابع عشر قبل الميلاد مأخوذة من الساميين العرب.

ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن الحضريين العرب كانوا مثل المصريين يصورون الإله الشمس على هيئة الصقر مما يؤكد أن المصريين أخذوا هذا الرمز لإله الشمس من الساميين العرب، فقد كان " للنسر منزلة سامية في الحضر فهو يمثل إله الشمس ويرمز إلى سيادته وهيمنته، والنسر يحلق عاليًا في كبد السماء كما تفعل الشمس في مدارها فيراقب من علو ما يحدث على سطح الأرض، وقد عنى الحضريون كثيرًا بنحث تماثيله وبتزيينها بقلائد وميداليات للتيمن والترجي ، ووضعوا تماثيل " بوابات المدينة وفي مداخل المعباد وداخلها ".

ومن ألهة الحضريين المشهورة كثيرًا الإله " نرجول " أو " نرجل " فقد اقتبسوا عبادته من الآشوريين الذين كان يعرف لديهم باسم نرجال وهو عندهم إله

الحرب وحارس العالم تحت الأرض حيث مصير الأرواح، ولكن الحضريين صوروه في منحوتاتهم على غير الشكل الذي صوره له الآشوريون فصوروه بالشكل الذي كان يصور في هرقل عند اليونان، وكان اسم الآلهة اللات يتردد في الكتابات الحضرية أيضًا، إذ وجدت بضعة تماثيل ومنحوتات تمثلها بالهيئة التي كانت تصور فيها الآلهة أثينا عند اليونان (١).

ز- مملكة الرها العربية:

وكانت في القسم الشمالي من منطقة ما بين النهرين في المنطقة العليا من الجزيرة مملكة عربية تعرف باسم مملكة (الرها وكانت تسمى عاصمتها بالرها أيضًا، دامت هذه المملكة ثلاثة قرون ونصف بين سنة ١٣٢ قبل الميلاد وسنة ٢١٦ بعد الميلاد حين أغار عليها " كراكلا " الروماني فقضى عليها وضمها إلى روما.

كانت بلدة الرها قبل ذلك بيد السلوقيين مصروها سنة ٣٠٤ ق.م، فسموها " أيدينا " على اسم إحدى مدن تراقية ودعاها اليونانيون " كاليرهو " أي الحسنة المياه، ويراد بكاليرهو الموضع المعروف اليوم باسم بركة إبراهيم (نبع خليل الرحمان)، وصارت تعرف عند الأراميين باورهاي وعربت بالرها واسمها المعروف اليوم " أورفة "، والرها من المدن العريقة حازت في بعض الأدوار التاريخية على أهمية عظيمة ولاسيما في مدة مملكتها الصغيرة، وقد كان للرها شأن خطير في ازدهار وانتشار العرب السرياني بما " ذلك النصرانية وتاريخ النسطورية في أواسط القرن الرابع، وفي القرن الخامس للميلاد، فقد ورد في تاريخ يوسبيوس ما يشير إلى أن أحد ملوك الرها المدعو أبجر الخاسم (٤ ق.م - ٥٠ ب.م) لما سمع عن شهرة السيد المسيح كتب إليه طالبًا منه أن يأتي إلى الرها ليشفيه من مرض اعتراه، ومما قاله في رسالته له: لقد بلغني أن اليهود يضايقونك ويضمرون لك الشر فبلدي بلد صغير ولكنه بلد جميل وسني يسعنا كلينا، فأجابه السيد المسيح مباركًا إياه ووعده أنه بعد قيامته يرسل إليه أحد تلامذته، والتقليد الشائع أن مار أدى أحد التلامذة السبعين أتى بعد وفاة المسيح إلى الرها، وقد عثر

(١) انظر: سليمان صايغ، " تاريخ الموصل "، ج١، ص ٣٠؛ الدكتور جواد علي، " تاريخ العرب قبل الإسلام "، ج٣، ص ٤٥٩؛ " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام "، ج٢، ص ٦٠٩ - ٦١٩؛ جرجي زيدان، " العرب قبل الإسلام "، ج١، ص ١٧٥؛ فؤاد سفر، " الحضر مدينة الشمس ""، بغداد ١٩٧٢.

على أثر من لباس الرأس يعود إلى الملك أبجر الثامن (١٦٤ - ١٦٦م) منقوشًا عليه الصليب مما يدل على أن اختلاف الملك أبجر الخامس كانوا يدينون بالنصرانية [١].

أسست مملكة الرها في سنة ١٣٢ قبل الميلاد على يد أريو الملك ومعنى أريو الأسد، فحكم أريو هذا خمس سنين إلى سنة ١٢٧ ق.م، ثم حكم بعده بين سنة ١٢٧ و ٦٩ ق.م، ستة ملوك هم: عبدو بن مزعور، وايراداشت، وبكرو الأول، وبكرو الثاني، وأبجر الأول، ومعنو ، ثم الملك أبجر الأول ثانية، وحكم بعد ذلك ١٧ ملكًا بين سنة ٦٨ ق.م ، وسنة ٢١٦ ب.م، وقد أدخل بلينيوس الرها في جملة المدة العربية وهي من ديار مضر، فاستدل بعض الباحثين من تسمى ملوك الرها بأسماء عربية ولاسيما الملوك الأولين منهم، ومن كلام بلينيوس ومن الوضع السياسي العام في جزيرة بين النهرين الذي سار فيه توغل القبائل العربية في هذه المنطقة على أن أهل الرها وحكامها كانوا من أصل عربي.

وقد ظهرت إمارات عربية أخرى في بلاد الرافدين على أثر الضعف الذي حل بالسلوقيين، منها إمارة سنجار، وسنجار موضع قديم كان معروفًا في أيام الآشوريين، ومما نعرف عن هذه الإمارة أن ملكها معتز انهزم سنة ١١٥م أمام تراجان في أثناء فتحة للحضر وطيسفون، كما ظهرت إمارة أخرى في منطقة نهر العاصي عرفت بإمارة حمص، وقد حكمتها أسرة عربية وازدهرت في الزمن الذي ازدهرت فيه الإمارات العربية الأخرى، وقد استدل بعض الباحثين من أسماء ملوك حمص على أصلهم العربي، وعرفت حمص أيضًا عند اليونان والرومان، وقد ظهرت في الجنوب إمارة ميشان وقيل لها بالعربية: " دست ميسان "، وباليونانية " خارك " كانت على الخليج العربي بأسفل أرض البصرة [٢].

نستخلص مما تقدم: أن شبه جزيرة العرب كانت الينبوع الرئيسي الذي انبعثت منه الهجرات العربية من الجزيرة العربية لمدة أكثر من ٢٥٠٠ سنة

(١) انظر ما ورد في معجم الأقدام والأعلام والبلدان - مادة أورفة.
(٢) انظر: " تاريخ كلو واتور " تالية أدي شمير، ١٩١٢، ١: ١٦٩ - ١٧٤؛ الدكتور جواد علي، المفصل في تاريخ العرب "، ٢: ٦١٦ - ٦٢٢؛ دائرة المعارف البريطانية، ١٩٦٥،
٧: ٩٦٨ - مادة أيديا.

بصورة متواصلة حتى ظهرت على المسرح موجة العرب الكبرى التي تدفقت من الجزيرة العربية أيضًا فشمل تيارها الهلال الخصيب بأجمعه وشمال أفريقيا والأندلس وامتدت الحضارة العربية إلى العالم الإسلامي.

* * *

الفصل الثاني

جزيرة العرب مهد الحضارات السامية

١ ـ تمهيد:

يتضح مما تقدم في الفصل الأول أن الهجرات المتتالية التي انبعثت من جزيرة العرب إلى مختلف أنحاء الهلال الخصيب كانت من أهم العوامل في تنمية الكيان الحضارى في الشرق الأدنى، والسير به نحو التقدم والتطور في مختلف الميادين: الزراعية، والتجارية والسياسية، والعسكرية والاجتماعية، والثقافية - ذلك الكيان الذي انبثقت منه أقدم الإمبراطوريات وأعظمها مما عرفه العالم في تاريخ البشرية، أى الإمبراطوريات الساميات الأربع: الأكدية والبابلية، والأشورية، والكلدانية، ثم تلتها الممالك العربية التي أسسها اليمانيون ثم الأنباط فالتدمريون والغساسنة والمناذرة والكنديون وأخيرا الإمبراطورية الإسلامية التي عمت الشرق كله (الأدنى والأوسط والأقصى) وشمال أفريقيا، هذا عدا دولة الأندلس العربية في أوربا، فالجزيرة العربية إذن هى بحق مهد الحضارات السامية، فقد قذفت بأبنائها الأشداء إلى ما وراء الصحارى بحكم سنة تنازع البقاء ليحققوا لأنفسهم العيش الرغيد في الأوطان الجديدة. وبفضل تشابك مصالح هذه القبائل بعضها ببعض وتفاعل نشاطها في سبيل الحصول على حياة أفضل توطدت أسس الحضارة السامية الكبرى التي كان لها شأن كبير في التقدم البشرى.

٢ ـ وصف شبه جزيرة العرب:

ولابد قبل أن نبحث دور جزيرة العرب في بعث الحضارة الإنسانية وتقدمها وعرض آراء العلماء والباحثين في ذلك، من تقديم نبذة عن صفة جزيرة العرب وتكوينها.

تعد شبه جزيرة العرب، أو جزيرة العرب كما اعتاد علماء العرب تسميتها، أوسع شبه جزيرة في العالم حيث تبلغ مجموع مساحتها حوالى مليون ميل مربع (حوالى مليونين ونصف مليون كيلو متر مربع) فيبلغ طولها على ساحل البحر الأحمر ١٢٠٠ ميل وأقصى عرضها بين اليمن وعمان ١٣٠٠ ميل [١]. يحدها البحر الأحمر من جهة الغرب وخليج عدن وبحر العرب من الجنوب وخليج عمان والخليج العربى من الشرق والشمال الشرقى والجمهورية العراقية والمملكة الأردنية الهاشمية من الشمال، وهى ترتبط بأفريقيا بطريق شبه جزيرة سيناء كما أنها تتصل بها عبر البحر الأحمر أيضا، أما اتصالها بآسيا فطريق البحر مفتوح

---

(١) " دائرة المعارف البريطانية "، طبعة ١٩٦٥، م٢، ص ١١٦.

أمامها. وتضم شبه جزيرة العرب المملكة العربية السعودية بما فيها الحجاز ونجد وعسير والإحساء، ثم اليمن وحضرموت وعمان ومشيخات عمان وقطر والبحرين والكويت، ورغم بعد جزيرة سوقطرة من الساحل الجنوبى الشرقى من الجزيرة (٢٢٠ ميلا) فإنها تعتبر جزءا من شبه جزيرة العرب لأنها ترتبط بها سياسيا وعرقيا[١].

وتتكون أرض الجزيرة في قسمها الغربى من مرتفعات تشرف على طول البحر الأحمر، ثم تأخذ هذه المرتفعات بالانخفاض تدريجيا نحو الشرق، فهناك سلسلة من المرتفعات متصلة بعضها ببعض، تمتد من سورية وفلسطين شمالا حتى اليمن جنوبا بموازاة البحر الأحمر وتقترب منه في مواضع عديدة، ويبلغ متوسط ارتفاعها زهاء خمسة آلاف قدم، أما أقصى ارتفاع لها فيبلغ ١٢٣٣٦ قدما ويقع في اليمن وتعرف هذه المرتفعات باسم جبال السراة أى " أعلى كل شئ " [٢]. وتمتد هذه المرتفعات من اليمن بمحاذاة الساحل متجهة نحو الشرق حتى تنتهى في عمان حيث ترتفع هناك قمم الجبل الأخضر إلى ما يتراوح بين تسعة آلاف قدم وعشرة آلاف قدما. وتكون هذه السلاسل من المرتفعات حاجزا يمنع الأبخرة المتصاعدة من البحر الأحمر وبحر العرب من اجتيازها نحو الأراضى الصحراوية وراء سفوح المرتفعات على طول امتدادها وبذا تحول دون سقوط الأمطار بوفرة في أواسط بلاد العرب [٣].

وفى وسط الجزيرة تقع منطقة نجد وهى هضبة ارتفاعها زهاء ٢٥٠٠ قدم يقع فيها جبل شمر وجبل طويق جنوبا، ومدينة الرياض قريبة من جبل طويق تقع في الجبهة الشمالية الشرقية منه، وفى هذه المنطقة ينابيع عديدة للمياه تحت طبقات الرمال والصخور تستغل في الزراعة.

وتتكون أغلب أراضى شبه جزيرة العرب من صحار وسهول تتخللها واحات، أرضها خصبة تستغل في الزراعة لتوفر المياه فيها، وتقسم الأراضى الصحراوية إلى قسمين: القسم الأول ويشتمل على الأراضى البركانية، ويقال لها حرة وجمعها حرار، وهى تكثر في الأقسام الغربية من شبه جزيرة العرب وتمتد حتى تتصل بالحرار من بلاد الشام في منطقة حوران، والحرار موجودة أيضا في

---

(١) " نفس المرجع السابق "..
(٢) الدكتور جواد على، " تاريخ العرب قبل الإسلام "، ج١، ص ٨٧.
(٣) " المرجع السابق "، ص ١٠٣.

المناطق الوسطى من شبه الجزيرة وفى المناطق الجنوبية الشرقية من نجد، وهى موجودة أيضا في المناطق الجنوبية الغربية قرب باب المندب وعند عدن، ومن أهم مناطق الحرار هذه المدينة المنورة وخيبر. وبعض أراضى الحرار خصبة وفيها مياه وافرة مما يساعد على استغلالها في الزراعة. وقد كان لكثرة الحرار وانتشارها في شبه جزيرة العرب بعض التأثير في التغييرات المناخية التي طرأت عليها حتى أصبحت على ما هي عليه الآن من الجفاف وسيأتى الكلام عن ذلك. ومما يذكر في هذا الصدد أن ثوران البراكين في مناطق آسيا العربية قد انقطعت منذ القرن الثالث عشر الميلادى فكان آخر حدث بركانى وقع في سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) في الحجاز [١].

أما القسم الثانى فيشتمل على الدهناء وهذه تتكون من مساحات شاسعة من الأراضى الرملية تمتد من الجوف شمالا إلى حضرموت ومهرة جنوبا وإلى اليمن غربا وعمان شرقا، وفيها كثبان من الرمال على ارتفاعات مختلفة تنتقل غالبا مع الرياح، وفى هذه الأرضين مياه جوفية يمكن الحصول عليها بحفر الآبار فيها. وتسقط الأمطار الموسمية في بعض أجزاء هذا القسم فتنبت فيها الأعشاب في موسم الربيع ثم تجف، وتكثر في هذه المناطق العواصف الرملية وترتفع درجة الحرارة فيها في الصيف، وقد عرفت الأقسام الجنوبية من الدهناء عند الجغرافيين المحدثين باسم الربع الخالى لخلوها من سكنى الناس وكانت تعرف بمفازة صيهد. وتقع في الجنوب الغربى من الربع الخالى منطقة رملية واسعة تعرف باسم منطقة الأحقاف اقترن اسمها في التاريخ العربى بقوم عاد كما أنه ذكرت إلى الجنوب الغربى من الربع الخالى في مشارق اليمن منطقة الوبارين وهى من أراضى الدهناء ما بين نجران وحضرموت كانت عامرة بكثرة الزروع والمراعى والمياه فيها إلا أن تبدل جو بلاد العرب قضى على ذلك العمران.

وهناك مناطق يطلق عليها اسم " النفود " وهى مناطق رملية واسعة ذات كثبان مرتفعة وسلاسل رملية متموجة كانت تعرف باسم الدهناء ثم غلب عليها اسم النفود. وهناك منطقتان مشهورتان من مناطق النفود هما صحراء النفود الكبرى في الشمال تقع بين الجوف وتيماء وصحراء الدهناء (النفود الصغرى) بين الإحساء والرياض.

وفى شبه جزيرة العرب عدة أودية تخترق أراضيها وهى تنبع من المرتفعات

---

(١) " المرجع السابق "، ص ٩٠.

الجبلية فتجرى فيها السيول في موسم الأمطار ثم تفيض مياهها في الرمال فتكون بعض الواحات التي يزرع عليها، وأكبر هذه الأودية وادى الرمنة ووادى الحمض ووادى حنيفة ووادى الدواسر، للأول منبعان أحدهما يبدأ عن " حرة خيبر والثانى عند مرتفعات نجد الجنوبية فليتقيان قرب " عنيزة " ثم يسير مجراهما الموحد باتجاه الشمال الشرقى حتى القصيم حيث يسمى بعد ذلك " الباطن " وهنا يتفرع إلى فرعين يخترقان منطقة صحراوية يسير أحدهما في النفود إلى ان يصل موضعا قرب البصرة. ويبلغ طول هذا الوادى نحو ٩٥٠ كيلو متر.

أما الوادى الثانى (وادى الحمض) فيبدأ من جنوب حرة خيبر ويتجه غربا حتى يصل إلى المدينة المنورة، وبعد أن تتصل به عدة روافد تنحدر إليه من الجبال يصب في البحر الأحمر في صوب قرية الوجه ويبدأ وادى حنيفة عند مرتفعات جبل طويق من الجهة الغربية الشمالية فيشق مجراه قلب العارض وبعد أن تلتقى به عدة روافد ينحدر صوب الخليج العربى ويصب فيه جنوب سواحل قطر.

أما وادى الدواسر فيتكون من بعض الأودية المنحدرة من سلاسل جبال اليمن ويتجه نحو الشمال الغربى حيث تفيض مياهه في الرمال في مواضع عديدة فيكون بعض الواحات التي يزرع عليها. ويعتقد أن هذه الأودية كانت في الأزمنة القديمة أنهارا كبيرة إلا أن الجفاف الذي حل بالبلاد أثر تأثيرا كبيرا في طبيعة شبه جزيرة العرب مما أدى على انقطاع المياه الدائمة عنها فصارت تعتمد على مياه سيول الأمطار في موسم الشتاء والربيع فقط.

ويقسم سكان جزيرة العرب إلى قسمين: بدو وحضر، والبدو هم الرحل الذين يتنقلون من مكان إلى آخر يبحثون عن مساقط الأمطار والمراعى أو منابع الماء، لذلك كانت مساكنهم الخيام والجمال عونهم الكبير في تنقلاتهم، أما مادة حياتهم فهى الأغنام بالدرجة الأولى يأكلون لحمها ويصنعون الدهن من حليبها كما يصنعون من أصوافها خيامهم وملابسهم، هذا عدا الإبل التي تكون ثروة البدو بوجه عام فهى تستخدم في نقل البضائع التجارية عبر الصحارى عدا الاستفادة من لحمها وحليبها ووبرها.

أما الحضر فهم سكان المدن والقرى ومادة حياتهم الزراعة والصناعة والتجارة وهى من حرف الاستيطان والاستقرار. وتقوم هذه المدن والقرى في

دوائر الجزيرة العربية داخل شريط ضيق في الغالب يمتد مع السواحل المحيطة بالجزيرة حيث تسقط الأمطار بصورة دائمة ومنتظمة، وقد استطاع الحضر أن يكونوا دولا لها ملوك ونظم سياسية بينما عاش البدو في نظام القبيلة، وكانت اليمن في جنوب الجزيرة من أقدم الممالك العربية في جزيرة العرب وقد اشتق اسمها من اليمن كما يرى البعض أنها بلاد يمن وبركة، وتتمتع شبه جزيرة العرب بقدسية روحية وتاريخية فهى مهبط الوحى وموطن الرسل والأنبياء، ففى لغة أهل الجزيرة نزل القرآن الكريم رحمة للعالمين.

وقد قسم بطليموس القلوذى الذي وضع كتابه " جغرافيا " في القرن الثانى بعد الميلاد إلى ثلاثة أقسام من الناحية الجغرافية هى: العربية الصحراوية، والعربية الحجرية، والعربية السعيدة. ويراد بالأولى القسم الشمالى من بلاد العرب، وبالثانية شبه جزيرة سيناء، وبالثالثة الحجاز ونجد واليمن وما جاورها. أما العرب فقسموا بلادهم إلى خمسة اقسام هى: الحجاز، وتهامة، ونجد، واليمن، والعروض التي هى اليمامة والبحرين وعمان.

٣ ـ البداوة أساس الحضارة:

وقد يسأل سائل: وهل كان بإمكان سكان الجزيرة البدو الذين احتضنوا رمال صحاريهم وبواديهم أن يؤسسوا الإمبراطوريات والممالك؟!... ويكفى هنا أن نرجع بالقارئ إلى أقرب دور تاريخ منا، أى دور الإمبراطورية الإسلامية، فمن أسسها؟ ألم يكن بدو الجزيرة هم الذين قاموا بتشييد هذه الإمبراطورية العظيمة الواسعة؟ فبدو الجزيرة هم هم لم يتغيروا، فإذا استطاعوا قبل حوالى أربعمائة وألف سنة أن يقيموا مثل هذه الإمبراطورية التي شملت العالم الإسلامى الواسع، فهذا وحده دليل جلى على أنهم ورثوا هذه الكفايات عن تراثهم الأصيل الذي لم يزل حتى يومنا هذا يتمتع بنفس الحيوية في بعث الروح القومية العربية، والتاريخ يعيد نفسه. وهل كان النورمان الذين اجتاحوا أوربا وطبعوها بطابعهم أكثر تمدنا من جزيرة العرب؟.

وأروع ما كتب في هذا الباب، عرض ابن خلدون في مقدمته الشهيرة، إذ يرى أن البداوة هى أصل الحضارة والعمران والأمصار مدد لها، وأن أحوال الحضارة ناشئة عن أحوال البداوة وأنها أصل لها، كما يرى أن تطور البداوة إلى المدنية أمر طبيعى، والسبب في ذلك أن البداوة أقرب إلى الفطرة وتتميز بخصائص خاصة بها بعيدة عن الترف والشهوات كما تتصف بالشجاعة

والعصبية، فيشبه ابن خلدون بالوحشية ويزعم أن الأمم المتوحشة، أى التي تعيش عيشة البداوة، هى التي تكون المدنية والحضارة بما تتمتع به من حيوية وعصبية وشجاعة وهى أقدر على التغلب على الصعاب لأن من عوائق الملك حصول الترف وانغماس القبيل في النعيم.

فيقول: " لما كانت البداوة سببا في الشجاعة كما قلناه لا جرم كان هذا الجيل الوحشى أشد شجاعة من الجيل الآخر فهم أقدر على التغلب وانتزاع ما في أيدى سواهم من الأمم، بل الجيل الواحد تختلف أحواله في ذلك باختلاف الأعصار فكما نزلوا الأرياف وتفتقوا النعيم وألفوا عوائد الخصب في المعاش والنعيم نقص من شجاعتهم بمقدار ما نقص من توحشهم وبداوتهم واعتبر ذلك في الحيوانات العجم بدواجن الظباء والبقر الوحشية والحمر إذ زال توحشها بمخالطة الآدميين وأخصب عيشها كيف يختلف حالها في الانتهاض والشدة حتى في مشيتها وحسن أديمها، وكذلك الآدمى المتوحش إذا أنس وألف وسببه أن تكون السجايا والطبائع إنما هى عن المألوفات والعوائد وإذا كان الغلب للأمم إنما يكون بالإقدام والبسالة فمن كان من هذه الأجيال أعرق في البداوة وأكثر توحشا كان أقرب إلى التغلب على سواه إذا تقاربا في العدد وتكافآ في القوة والعصبية ".

وفى رأى ابن خلدون أيضا أن لدى الأمم والدول أعمارا طبيعية كما للأشخاص فبعد أن تهجر البداوة والخشونة وتنغمس في الملذات والشهوات وتتخذ الدعة والراحة والرقة مألفا وخلقا تأخذ مبادئ العطب وتتضعضع أحوالها وتنزل بها أمراض مزمنة من الهرم إلى أن يقضى عليها ".

ويمضى ابن خلدون فيقول: " وربما يحدث في الدولة إذا طرقها هذا الهرم بالترف والراحة أن يتخير صاحب الدولة أنصارا وشيعة من غير جلدتهم ممن تعود الخشونة فيتخذهم جندا يكون أصبر على الحرب وأقدر على معاناة الشدائد من الجوع والشظف ويكون ذلك دواء للدولة من الهرم الذي عساه أن يطرقها حتى يأذن الله فيها بأمره وهذا كما وقع في دولة الترك بالمشرق فإن غالب جندها الموالى من الترك فتتخير ملوكهم من أولئك المماليك المجلوبين إليهم فرسانا وجندا فيكونوا أجرأ على الحرب وأصبر على الشظف من أبناء المماليك الذين كانوا قبلهم وربوا في ماء النعيم والسلطان وظله وكذلك في دولة الموحدين في أن أفريقيا فإن صاحبها أكثر ما يتخذ أجناده من زناته والعرب ويستكثر منهم ويترك أهل الدولة المتعودين على الترف فتستجد الدولة بذلك عمرا آخر سالما من الهرم

".

لذلك فليس من غريب الاتفاق أن يؤكد توينبى المؤرخ المشهور في هذا العصر النظرية ذاتها بعد ابن خلدون بخمسمائة عام فيرى أن الجفاف الذي حل بالجزيرة العربية وأدى إلى تحويلها إلى صحار قاحلة وحمل أهلها إلى تطوير حياتهم إلى خشونة البداوة، كان " عاملا في نشوء الحضارات المهمة في وادى الرافدين، ويعد الجفاف استثارة للجماعات البشرية من جانب البيئة الطبيعية الآخذة في الجفاف، فانتقلت تلك الجماعات البدائية من طور الصيد وجمع القوت في العصور الحجرية القديمة إلى طور إنتاج القوت أى الزراعة وتدجين الحيوان وإلى طور الحضارة أيضا " (١).

ومثل ذلك يؤكد العلامة ول ديورانت: " إن البربرية تحيط على الدوام بالحضارة، وتستقر في سطحها ومن تحتها، متحفزة لأن تهاجمها بقوة السلاح، أو بالهجرة الجماعية أو بالتوالد غير المحدود، وما أشبه البربرية بالغابة المتلبدة في البلاد الاستوائية تحاول أشجارها على الدوام أن تقضى على معالم الإنسان المتحضر وتقاوم جهوده، ولا تعترف قط بهزيمتها، بل تظل قرونا طوالا صابرة تترقب حتى تتاح لها الفرصة لاستعادة ما فقدته من أرضين بفعل الإنسان المتحضر " (٢).

وفى بحث لجرجى زيدان بعنوان: " البداوة غذاء الحضارة " يقول: " إن الحضارة تبعث على الرخاء والترف والانغماس في الملذات والأركان إلى الراحة فتذهب تلك القوة وتؤول إلى الضعف، والبداوة تقوى الأبدان وتربى النفوس على الاستقلال، فلذلك كان أهل الحضارة أو المدن يستعينون بأهل البداوة أو الجبال فيما يحتاج إلى جهد، حتى إذا شاخت الدولة المتحضرة خلفها جيرانها البدو أو الجبليون بالفتح أو نحوه وقاموا مقامها واقتبسوا عادات أهلها وديانتهم، ثم لا يلبثون أن يدركهم الهرم يخلفهم سواهم من أهل البادية سنة الله في خلقه " (٣).

٤- جزيرة العرب مهد الحضارات السامية:

لقد أجمع العلماء على أن الأكديين والعموريين والكنعانيين والفينيقيين والقرطاجيين والأراميين والأشوريين والعمونيين والموآبيين والأدوميين

---

(١) سومر، م٥، ١٩٤٩، ص ١٣٠.

(٢) " قصة الحضارة "، الترجمة العربية، ج٢، ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٣) " العرب قبل الإسلام "، ص ٣٤.

والعبريين والنبطيين والعرب والصابئة والأحباش يعدون من الأقوام السامية التي تشترك في أسر اللهجات السامية. وقد اعتبر البعض المصريين من الأقوام السامية في الأصل وأن وطنهم الأصلى إنما هو جزيرة العرب هاجروا منها إلى أفريقيا واختلطوا هناك بزنوج وادى النيل. وقد اختلف العلماء في تعيين وطن الساميين الأصلى، فبعضهم اعتبر بابل مهد الساميين والبعض الآخر أواسط آسيا أو أفريقيا أو عمورو[١]، إلا أن هناك شبه إجماع لدى العلماء في الوقت الحاضر على أن شبه جزيرة العرب هى مهد الساميين والحضارة السامية لأن قرائن عديدة دينية ولغوية وتاريخية وجغرافية تشير بوضوح إلى ان جزيرة العرب هى مهد الحضارات السامية ووطن الساميين الأوائل. وقد أيدت جمهرة من العلماء والباحثين هذه النظرية، كان من أوائلهم " سبرنكر " الذي أكد عام ١٨٦١ أن أواسط بلاد العرب، ولاسيما منطقة نجد، هو المكان الذي يجب أن يكون موطن الساميين، وهو الذي جهز الهلال الخصيب بالسكان وطبعه بهذا الطابع السامى. فمن هذا المخزن خرجت طبقات من البشر بعضها فوق بعض، وسكنت في هذه الأرضين التي اتسمت بالسمة السامية، ولا تزال تحتفظ بسمتها هذه حتى اليوم [٢].

ووافقه في ذلك المستشرق " سايس " (Sayce) الذي يجزم بأن " جميع الروايات والآثار السامية تشير إلى أن جزيرة العرب هى الوطن الأول الذي ظهر فيه الساميون " [٣].

كما أيد هذه النظرية آخرون من العلماء أمثال " شرادر " (E.Schrader) [٤]

(1) G.A Barton, “Semites”, Encyclopedia of Religion and Ethics, Vol. 11, pp. 378 - 384.

(2) A.Sprenger, “Das Leben und Lehre des Mohammad”, Berlin 1861, pp. 241 ff; “De Alte Geographie Arabiens”, Bern, 1875, p. 293.

(3) Sayce, “Assyrian Grammar”, Oxford, 1872, p. 13; Barton, “Semitic and Hamitic Origins”, p.4.

(4) E. Schrader, ZDMG, XXVII (1873), pp. 397 - 420; “Die Adstammung der Chaldaer und die Ursitz der Semiten”.

و " دى غويـــــــــه " (DeGoeje) (١٨٣٦ - ١٩٠٩) [١]و " غـــــــــريم " (H.Grimme) (١٨٦٨ - ١٩٤٢) [٢]و " كـــــارل بروكلمــــــان " (C.brockelman) (١٩٦٤ - ١٩٥٦) [٣]و " كينغ " (L.W.King) [٤]و " مـايرز " (J.L. Meyers) [٥]و " وكـوك " (Cook) [٦]و " ديتلـف نيلسـن " (D.Nielsen) [٧]و " رايـت " [٨] (Wright) ومن القائلين أيضا بأن جزيرة العرب هى مهد الساميين " روبرتسن سـميث " (R.Smith) [٩]و " هومـل " (Hommel) [١٠]، و " وكونتنـو " [١١]، كما يقول " فليش " [١٢] أن هذا الافتراض ليس بعيد الاحتمال.

وقـد بسّـط هـذه النظريـة مؤيـدًا إياهـا العلامـة " ديسـو " فـي كتابـه "

(1) De Goeje, "Het Vaderland der Semitiche Volken", Leyden, 1882; Barton, "Semitic…", p. 5.

(2) Wright, "Comparative Grammar of the Semitic Languages", p.8.

(3) "Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitichen Sprache", Berlin, 1908, I, p.2.

(4) L.W. King, "History of Sumer and Akkad", London, 1915, p. 119.

(5) J.L.Meyers, in Cambridge Ancient History, Cambridge, 1923, I, p. 38; Barton, "Semitic…", p.6.

(6) S.A. Cook, in Cambrige Ancient History, I, p. 192 ff.

(7) Nielson, "Handbuck der Altarbischen Aiterumskunde", I Kopenhagen, Paris, Leipzig, 1927, pp. 47, 55.

(8) Wright, "Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic Languages", Cambrige, 1890, p. 8.

(9) R. Smith, "Kinship and Marriage in Early Arabia", p. 178
انظر أيضًا: الهلال، نيسان ١٩٠٦، ج٧، سنة ١٤، ص ٣٩٩.

(10) Hommel, "Ethnologie and Geographie des Alten orient", Muenchen, 1926, p.10.
انظر: الدكتور جواد علي " تاريخ العرب قبل الإسلام "، ج١، ص ١٥١ - ١٥٣؛ " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام "، ج١، ٢٣١ - ٢٣٢.

(11) Contenau, "Manuel d'Archeologie Orientale; la civilization d'Assure et de Babylone" p.43.

(12) Fleisch, "Introduction a l'etude des langues semitiques", pp. 24 - 25.

مونتوغرمرى " في كتابه " ولوج العرب سورية قبل الإسلام " [١]، وممن أيدها أيضًا الباحث المعروف " مونتوغرمري " في كتابه " الجزيرة العربية والتوراة " [٢]، وكذلك ماغدونالد في بحثه عن الأدب العبرى [٣]. وأما المسئول عن الإفاضة في هذه النظرية والتحمس لها بثقة أكثر من أى شخص آخر فإنه العالم الألمانى " وينكلر " (Hugo Winckler) الذي يذهب إلى أن " جزيرة العرب هى المهد الأول للساميين، وأن البابليين والكنعانيين والأراميين خرجوا منها على موجات متتالية على غرار الغزو الإسلامى في القرن السابع الميلادى [٤].

ويؤكد خبير الآثار الأستاذ طه باقر أن النظرية القائلة " بأن جزيرة العرب هى مهد الساميين ما تزال تحتفظ بقوتها وأرجحيتها بالرغم من تردد بعض الباحثين " [٥].

ومن المؤيد لهذا الرأى الدكتور " ويلفنسون " فيقول: " كتابه " تاريخ اللغات السامية " (ص ٥ - ٦) ما نصه: " والذى يمكننا أن أكثر الحركات والهجرات عند أغلب الأمم السامية التي علمنا أخبارها وأسماءها كانت من نزوح جموع سامية من أرض الجزيرة إلى البلدان المعمورة الدانية والقاضية في عصور مختلفة، وأقدم هجرة سامية اتجهت نحو بابل كانت من ناحية الجزيرة، وقد أسست تلك الجموع ملكا عظيما في بقعة الفرات كان لها من الحول والطول حظ وافر في عصور شتى، وكذلك هاجرت البطون الكنعانية والأرامية تاركة بلاد العرب وكان لجوادتها أثر عظيم " حياة العالم القديم ".

ولم تقف هذه الهجرات العربية عند العراق وسورية وفلسطين بل جاوزتها إلى مصر أيضا فقد توغلت قبائل سامية جاءت من ناحية الجزيرة في بلاد النيل وبسطت سلطانها على مصر وكونت في تاريخها الأسر الحاكمة المعروفة بالهكسوس. وكذلك كانت الهجرة العربية بعد ظهور الإسلام إلى جميع أطراف العالم القديم آخر موجة سامية عظيمة غمرت وجه الأرض وهزت العالم بأسره

---

(1) Dussaut, “La penetration des Arabes en Syrie avant 1”Islam”.

(2) J.A. Montgomery, “Arabia and the Bible”, 1934.

(3) D.B. Macdonald, “The Hebrew Literary Genius, Princeton University Press, 1933.

(٤) رينه ديسو، " العرب في سورية قبل الإسلام "، ص ٢٠.

(٥) سومر ١٩٤٩، ج٢، ص ١٣٢.

وكان من نتيجتها أن تغيرت أحوال أمم كثيرة في آسية وأفريقيا وانقلبت فيها كل جوانب الحياة من سياسية واجتماعية وعمرانية، بل لا تزال الهجرة من الصحراءإلى البلدان الدانية والنائية مستمرة بأخطارها الشديدة وعواقبها العظيمة والتاريخ دائما يعيد نفسه ".

وفى رأى فيلبيى الذي قام بدراسات مسهبة لأحوال جزيرة العرب، أن أقسام المنطقة الجنوبية من جزيرة العرب ومن ضمنها اليمن هى الوطن الأصلى للشعوب السامية، فهى مهد العرب ومهد السامية، منها نزحت الموجات البشرية بعد اضطرارها إلى ترك أوطانها القديمة بسبب الجفاف الذي حل بها. وهو يعبر عن رأيه هذا بقوله: " إننى أعتبر بلاد العرب الجنوبية هى الوطن الأم لهذا الجنس من البشر المعروف الآن باسم الساميين وهو يمتاز عن سائر الشعوب بلغته المعروفة باسم اللغة العربية. وكان هؤلاء الساميون بالتأكيد عربا يتكلمون العربية وقد هاجروا من أوطانهم الأصلية في جنوب الجزيرة العربية بعد اضطرارهم إلى ترك منازلهم القديمة، بسبب الجفاف الذي ظهرت بوادره بعد العصر الباليوليثى [١] والتوجه نحو الشمال إلى أطراف الهلال الخصيب في موجات متعاقبة، وقد سلكوا الطرق البرية والبحرية حتى وصلوا إلى العراق وسورية وفلسطين، هاجروا وقد حملوا معهم كل ما يملكون من أشياء ثمينة، حملوا معهم آلهتهم وأهمها الإله القمر (سين) وحملوا معهم لغتهم ثم مدوناتهم الثقافية في الأحقاب التالية، وقد استمرت هذه الهجرات عبر آلاف السنين تارة بطيئة وتارة أخرى سريعة الحركة حتى تمكنت إحدى الزمر السامية أن تثبت أقدامها في السهل الخصيب من أواسط بلاد ما بين النهرين " [٢].

ويؤكد الخبير الأنثروبولوجى المعروف الدكتور هنرى فيلد المستر فيلبيى فيما ذهب إليه من أن جنوب الجزيرة كانت الوطن الأصلى للأقوام التي هاجرت من الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب، فيقول: " أن اليمن وعدن كانتا مأهولتين بالسكان منذ العهد النيوليثى [٣]، وقد هاجر قسم من الناس إلى عمان

---

(١) يقصد به العصر الحجرى القديم الباليوليثى الأعلى الذي يبدأ حسب تقدير العلماء قبل حوالى ٣٥ ألف سنة.

(٢) فيلبيى، " تاريخ العرب قبل الإسلام "، الإسكندرية، ١٩٤٧، ص ٩ وما بعدها.

(٣) أن العصر النيوليثى هو العصر الحجرى الحديث ويحدد العلماء زمنه في الفترة بين سبعة آلاف وخمسة آلاف سنة قبل الميلاد.

والخليج، وهاجر قسم آخر بطريق باب المندب إلى الصومال وكينيا وتنجانيقا وهاجر فريق ثالث بطريق مأرب ونجران إلى شبه جزيرة سيناء وفلسطين والأردن. وهذا وقد عثر السياح على عدد كبير من الكهوف في الحجاز وفى اليمن وفى جنوب الجزيرة اتخذها أسلاف سكان شبه الجزيرة بيوتا لهم التجؤوا إليها وعاشوا أمدا طويلا فيها.

كما يؤيد العلامة ول ديورانت هذا الرأى نفسه فيقول:

" إن مهد الجنس السامى ومرباه جزيرة العرب، فمن هذا الصقع الجدب حيث ينمو الإنسان شديدا عنيفا، وحيث لا يكاد ينمو نبات على الإطلاق، تدفقت موجة إثر موجة في هجرات متتابعة من خلائق أقوياء شديدى البأس لا يهابون الردى، بعد أن وجدوا أن الصحراء والواحات لا تكفيهم، فكان لابد لهم أن يفتتحوا بسواعدهم مكانا خصبا ظليلا يعولهم ويقوم بأودهم، فأما من بقى منهم في بلادهم فقد أوجدوا حضارة العرب والبدو، وأنشؤوا الأسرة الأبوية وما تتطلبه من طاعة وصراحة خلقية، وتخلقوا بالجبرية وليدة البيئة الشاقة الضنينة، والشجاعة العمياء التي تدفع أصحابها إلى وأد بناتهم وتقديمهم قربانا للآلهة. وظلوا وقتا ما يسيطرون على التجارة مع الشروق الأقصى، تتكدس في ثغورهم غلات جزائر الهند، وتحمل قوافلهم تلك الغلات وتنقلها في الطرق البرية غير الآمنة إلى فينيقية وبابل. وشادوا في قلب جزيرتهم العربية المدن والقصور والهياكل، ولكنهم لم يكونوا يشجعون الأجانب على المجئ إليها ورؤيتها، وقد بقى هؤلاء الأقوام آلاف السنين يحيون حياتهم الخاصة بهم، محافظين على عاداتهم وأخلاقهم، متمسكين بآرائهم، ولا يزالون إلى اليوم كما كانوا في أيام كيوبس وجوديا، ولقد شهدوا مئات الممالك تقوم وتفنى من حولهم، ولا تزال أرضهم ملكا لهم يعضون عليها بالنواجد، ويحمونها من أن تطأها الأقدام الدنسة أو تنظر إليها الأعين الغريبة " (١).

وتأييد لهذه النظرية يقول الدكاترة حتى وجرجى وجبور: " إن معظم العلماء اليوم يؤيدون النظرية القائلة بأن بلاد العرب هى مهد الجنس السامى ويدعمونها بالحجج التالية:

" إن معظم سطح الجزيرة صحراء تحيط بها حافة ضيقة من الأرض التي تصلح للسكن ويحيط البحر بهذه الحافة نفسها فإذا ما زاد عدد السكان عن طاقة

(١) " قصة الحضارة "، الترجمة العربية، ج٢، ص ٣٠٩ - ٣١٠.

احتمال الأرض لهم كان على الفائضين أن يبحثوا لهم عن مدى حيوى يعيشون فيه ولم يكن باستطاعتهم التوسع في وسط البلاد وهو صحراء ولا اجتياز البحر حين لم يكن لهم، في تلك الأزمان، الوسائل لذلك، فلم يبق أمامهم إلا أن يسلكوا طريق الساحل الغربى من الجزيرة نحو الشمال حيث يتفرع عند شبه جزيرة سيناء.

٤- جزيرة العرب هى مهد الحضارات السامية:

" وقد اتخذت الهجرة تحت راية الإسلام التي تمت في وضح التاريخ حجة يعتمد عليها القائلون بأن جزيرة العرب هى موطن الساميين الأصلى. وهم يعززون قضيتهم في ملاحظتهم أن العرب قد احتفظوا بميزاتهم السامية الخالصة وأظهروها بوضوح أكثر من بقية أعضاء تلك المجموعة الجنسية وأن اللغة العربية هى أقرب ما تكون إلى ما يرتأيه علماء اللغات بشأن مزايا اللغة السامية الأم وشكلها البدائى.

" إن هجرة جماعات بشرية، جملة وزرافات، من الصحراء وانتقالهم من حياة الرعى إلى الزراعة والاستيطان الدائم إنما يشكلان في الواقع ظاهرة عامة في الشرق الأدنى نستطيع بواسطتها أن نفهم تاريخه الطويل الملئ بغرائب الأحداث. وأن الطريقة التي يحاول بها شعب يميل إلى الهجرة أن يفرض نفسه على شعب تأصلت جذوره في أرضه لتفسر لنا في الغالب كيف أن الغزاة يقتبسون إلى حد ما من الأمة المغلوبة أهم مميزات الحضارة فيها ويكسبون هذه الأمة شيئا من الدم الجديد فيها ولكنهم قلما يستطيعون أن يقضوا عليها أو يستأصلوا جذورها، وهذا بعينه ما جرى في الشرق الأدنى القديم الذي يعتبر تاريخه إلى حد ما نزاعا متواصلا بين الحضر من سكان الهلال الخصيب وبين البدو الغزاة الذين كانوا يحاولون أن يعتصبوا الأرض منهم. ولقد أصاب من قال: ليست الهجرة والاستعمار إلا نوعا مخففا من الغزو والفتح، ويجب أن نلاحظ بشأن هذه الهجرات أنه في كل حالة تقريبا كانت اللغة السامية أقوى على البقاء وقد كان هذا عاملا بعيد الأثر " (١).

ومن بين الباحثين المتخصصين الذين أكدوا الدور الفعال الذي لعبه الساميون العرب من شبه جزيرتهم العربية في التطور السياسى والحضارى لمنطقة الشرق الأدنى وعلاقته الوثيقة بالعنصر السامى العربى، العالم الألمانى الدكتور أنطون

(١) الدكاترة حتى وجرجى وجبور، " المطول في تاريخ العرب "، ج١، ص ١٠ - ١٣.

مورتكات (A. Moortgat) إذ يقول: " لا تعتبر بلدان الشرق الأدنى مركز الديانات وحسب بل مصدر الإشعاع الدينى الذي أنار الأرض بكاملها... ولم يقتصر الإبداع الشرقى على اختراع الأبجدية وحدها بل تعداها ليشمل الكتابة أيضا، أى كيف على الإنسان أن يكتب وبالتالى يكون الشرق قد أوجد أعظم وسيلة لتدوين التاريخ... وقد ساهم في صنع هذا التاريخ سكان مناطق الشرق الأدنى وهم شعوب الصحراء العربية وكنعان والساحل الفينيقى، وجبال آسيا الصغرى، وبلاد ما بين النهرين، ومنطقة الأراضى الرسوبية على الخليج العربى، ثم شعوب جبال إيران وهضابها. وتختلف هذه الشعوب عن بعضها دما وعرقا. إلا أن لجميعها هدفا واحدا هو الوصول إلى أراضى الهلال الخصيب، وبالتالى التمكن من السيطرة على بلاد جنوب ما بين النهرين، بلاد السومريين، التي أول ما عرفت الحضارة المزدهرة عند مطلع الألف الثالثة ق.م، وأقدم هذه الشعوب هى أسرة الشعوب السامية القادمة من الصحراء العربية وبادية الشام، التي دخلت أراضى الهلال الخصيب على شكل موجات عديدة متلاحقة طوال ثلاثة آلاف سنة. وبالمقابل تنتسب الشعوب الجبلية أو على الأقل طبقتها القائدة، إلى المجموعات الهندية الجرمانية، التي وجهت اهتمامها إلى المنطقة وتحركت نحوها في الألف الثانية والأولى ق.م، كما ونجد هناك شعوب أخرى ساهمت في صنع تاريخ هذه المنطقة كالسومريين مثلا الذين لا نستطيع معرفة أصلهم، ذلك لأن لغتهم بعيدة عن أن تكون مرتبطة باللغات المعروفة حتى الآن " (١).

ويؤكد الباحثة يونغ كويلر (Cuyler Young) (٢) هذا الرأى بقوله: " ولا أظن أن واحدا من القراء يشك في أن غربى آسيا كان منذ الأزل البعيد مهدا للحضارة "، وبعد أن يتطرق إلى مدنيات الشرق ومختلف الموجات البشرية التي انحدرت إليه يتابع قائلا: " وكانت العناصر السامية أقوى وأعم العناصر الإنسانية التي عاشت في هذه المنطقة... وقد تميزت هذه العناصر عن سواها بثقافة ذاتية، ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ، حيث كانت تعيش في بعض أنحاء شبه الجزيرة العربية قبل خمسة آلاف من السنين. ومنذ ذلك التاريخ لم يلبث هؤلاء الساميون أن نزحوا في موجات متلاحقة إلى أراضى الهلال الخصيب في هذه

(١) موركات (الدكتور أنطون)، " تاريخ الشرق الأدنى القديم "، ص ١٠ - ١٢.
(٢) يونغ كويلر، " الشرق الأدنى - مجتمعه وثقافته "، الترجمة العربية، ص ٤ - ٥.

المنطقة أثناء العصر البرونزى، وطبعها بطابع متميز في كل مظاهر الحياة الذوقية والعقلية والعملية. وقد ظل الساميون طول عصور ازدهارهم هذه معينا لا يجف يحمل الثقافة والحضارة من الشرق إلى الغرب " (١).

ويذهب الدكتور ديتلف نيلسن المتقدم ذكره في مجرى بحثه عن تاريخ الأديان إلى أن " جزيرة العرب فيما يرجح هى الوطن الأصلى للعنصر السامى، والشعوب السامية الشمالية التي نشأت عنها الحضارات السامية الشمالية الرفيعة. والدين العربى القديم هو الخطوة السابقة للدين البابلى الأشورى المعقد، كما أن ذلك الدين العربى القديم هو الذي مهد لهذا التطور التاريخى للدين العبرى اليهودى مع حرصه على الاحتفاظ بدين الآباء دين الصحراء البدائى الذي دان به آباء الشعب وأجداده الأولون كما أنه بقى زمنا طويلا موضوع نزاع وعراك شديدين بين العقيدتين الدينيتين السامية الشمالية، والسامية الجنوبية، والذى تطور أخيرا إلى الثالوث الإلهى (آب وابن وروح قدس) ومن ثم خطا خطوة أخرى إلى التوحيد المسيحى في صورته القديمة التي نعرفها في الحضارة العربية القديمة (٢).

ويقول في مكان آخر: " إن بلاد العرب هى وطن الساميين ومهدهم الذي لم يخضع يوما من الأيام للأجنبى وسلطانه " (٣).

وقد استند العلماء في دعم النظرية القائلة بأن " الجزيرة العربية هى مهد الحضارة السامية على البيانات التالية:

١- أن البداوة عادة تسبق حياة الحضارة إذ لا يعقل أن ينتقل سكنة الريف والمزارعون من حياة التمدن إلى البداوة بل يحدث العكس، ولما كانت الشعوب السامية قد قضت في أطوارها الأولى حياة بدوية فلابد أن يكون وطنها الأول وطنا صحراويا، وجزيرة العرب هى أصلح المواقع لكى تكون ذلك الوطن السامى الأول.

٢- إن معظم المدن والقرى التي أسست في مناطق الهلال الخصيب على أطراف الجزيرة العربية هى عناصر بدوية استقرت فيها وأخذت تمارس الزراعة

(١) صوت فلسطين، العدد ٥٢، آيار ١٩٧٢، ص ٢٣.
(٢) الدكتور ديتلف نيلسن ورفاقه، " التاريخ العربى القديم "، ص ٥٣.
(٣) المرجع السابق، ص ٢٣٤.

والتجارة، ولا يوجد هناك محل غير جزيرة العرب بإمكانه أن يحتوى هذه العناصر لذلك وبالقياس تكون الجزيرة العربية هى التي غذت الشرق الأدنى الساميين على موجات متتالية.

٣- أن اللغة العربية (لغة جزيرة العرب) حافظت على نسبة كبيرة من خصائص اللغة السامية الأصيلة أكثر من أية لهجة من اللهجات السامية الأخرى [(١)].

٥ ـ العوامل الإقليمية والبشرية وأثرها في بعث الهجرات من الجزيرة العربية:

يتضح مما تقدم أن العوامل الطبيعية بما تخللها من تطورات طرأت على البلاد بسبب الجفاف البطئ واشتداد الحرارة ونضوب المياه الجارية قد لعبت دورا رئيسيا في حمل سكان جزيرة العرب على الهجرة من وطنها الأصلى، ففى مقدمة الذين تبنوا وبحثوا عن ثقة وقناعة النظرية القائلة بأثر تغير المناخ في اندفاع تيار الهجرة من شبه جزيرة العرب التي أدت إلى تكوين الحضارة السامية العلامة الإيطالى كايتانى (١٨٦٩ ـ ١٩٢٦) [(٢)]، فقد لفت كايتانى " أنظار العلماء إلى ظاهرة التغير الذي طرأ على جو بلاد العرب، والجفاف الذي حل بها في أواخر الدورة الجليدية الأخيرة وهو يقول في ذلك:

" في الوقت الذي كانت فيه معظم النواحى الأوربية تغطيها الثلوج كانت جزيرة العرب تتمتع بمناخ معتدل وأمطار غزيرة وأشجار وزروع، ثم أخذت تتقهقر وتفقد رطوبتها واعتدال جوها وأسباب العيش فيها منذ أكثر من أربعة عشر ألف سنة، وإن كان هذا التقهقر بطيئا جدا، فإن تأثيره في حياة السكان لم

---

(1) G. A. Barton, “Ency of Religion and Ethics”, vol.11, P. 379.

(٢) هوليونه كايتاني (Leone Caetani) مستشرق ومؤرخ إيطالي من أهل رومة تعلم في جامعتها وقام برحلات إلى الشرق منها الهند وإيران ومصر والشام، كان يحسن سبع لغات منها العربية والفارسية، ألف بالإيطالية كتاب تاريخ الإسلام وطبع منه بين سنة ١٩٠٥، وسنة ١٩٠٨ ثمانية مجلدات ضخمة مزينة بالرسوم والخارطات، انتهى فيها إلى سنة ٤٠ للهجرة، وكتب في تراجم عدد كبير من علماء المسلمين وأدبائهم في الأندلس، وقد نشر بالعربية كتاب تراجم الأمم لمسكويه (حول كايتاني وأعماله انظر: مجلس المقتبس ٨: ٤٧ ـ ٥٠،== مجلة المجمع العلمي العربي ٢٣ : ٢٥٩، المستشرقون ١٥٩، مجلة المشرق، ج١٢، الأعلام ٦: ١١٨.

يكن فجائيا بل كان مطردا تبعا للقلة في الأمطار وارتفاع حرارة الجو. ولكن هناك ازدحام في السكان كما هو الحال في البلاد المزدحمة الحالية، وكان الناس يعيشون من صيد السمك ويسكنون متفرقين متباعدين، ولذلك يمكن أن يقال إن سكان الجزيرة ظلوا على حياتهم هذه إلى أن أخذوا يشعرون بقلة الزاد والمحصول بسبب ندرة الأمطار، فانصرفوا إلى تدجين الحيوانات البرية ليدفعوا عن أنفسهم غائلة الجوع، ولما اشتدت الحالة بهم ونفذ صبرهم من الفاقة والجوع والعطش ارتحلوا إلى بلاد أخصب تربة وأجود جوا وأكثر أمطارا، وهكذا بدأت أولى هجراتهم التي حدثت غير مرة، فإن الآثار التي استخرجت من جوف أرض ما بين النهرين، الفرات ودجلة، تبرهن على أن أولى الهجرات السامية قد بدأت قبل نحو خمسة آلاف من السنين من ميلاد المسيح، وهذه الاكتشافات يجب ألا تنفى فكرة حدوث هجرات سامية أخرى قبل هذا التاريخ، والأسباب الجوية المبحوث عنها والتى حملت الأقوام على هجرة موطنهم الأول وتركه إلى وطن أحسن منه جوا ورطوبة هى نفسها التي حملت أقواماآخرين على الهجرة العامة(١). فالجفاف الذي طرأ على وادى تريم قرب بحيرة (لوب نور) قد حمل الصينيين على هجر مساكنهم هناك في السنين الأخيرة وعلى ارتحالهم تدريجيا إلى أعالى وادى هونغ - هو في مقاطعة شانسى ومنها إلى البلد الصينية الأصلية ناهيك بما سجلته الهجرات الآرية التي بدأت قبل نحو ألفى سنة من التاريخ المسيحى على خطين مختلفين فقد بدأ خط الهجرة الأول من السهول المحيطة ببحر قزوين مارا بجبال أفغانستان شرقا فجنوبا إلى أن ينتهى ببلاد الهند الشمالية ذات الأنهر الخمسة وهى التي تعرف الآن بمقاطعة البنجاب. أما الخط الثانى الذي اختاره الآريون في هجرتهم فقد سار باتجاه الغرب مارا بالبلاد الواقعة شمال بحرى قزوين والأسود، وقد استقر أولئك الآريون المهاجرون مدة من الزمن في جنوب روسية ثم انتشروا منها في سائر أقسام القارة الأوربية (٢).

وفى بيان التطور الجوى الذي حدث في جزيرة العرب وشمال أفريقيا والذى شمل تأثيره جميع الشرق الأدنى يقول العلامة " جايلد " وهو حجة في الموضوع: " في الوقت الذي كان فيه شمال أوربا مغطى بطبقات الثلوح إلى مساقات بعيدة وصلت إلى " الهازر " وكانت جبال الألب والبرنس مغطاة بجبال من الثلج، كان

(1) Caetani, “Studi di Storia Oeiental”, P. 63.

(٢) الدكتور رفيق التميمى، المقتطف، عدد يوليو ١٩٤٤، ص ١٢٨.

ضغط القطب الشمالى الشديد يسوق أعاصير الأمطار التي تهب على أوربا الوسطى ويجعلها تجتازها وتعبر إلى حوض البحر الأبيض المتوسط وتستمر في سيرها دون أن تستنزفها جبال لبنان فتصل إلى بلاد ما بين النهرين وجزيرة العبر حتى بلاد فارس والهند. فكانت الصحارى التي يلفحها العطش الآن، تتمتع بأمطار منتظمة، ولم تكن الأمطار الذاهبة بعيدا إلى جهة الشرق أكثر مما هى عليه الآن فحسب، بل أنها كانت موزعة على جميع فصول السنة بدلا من أن تكون مقصورة على فصل الشتاء.

ولهذا يجب أن نتوقع وجود المروج والمراعى والبطائح في شمال حوض أفريقيا وجزيرة العرب وفارس ووادى السند على نحو ما يزدهر الآن في شمال حوض البحر المتوسط... وعندما كان المموت والكركدن والرنة يرعون في فرنسا وجنوب انجلترا، كان يعيش في شمال أفريقيا (وربما في جزيرة العرب أيضا) حيوانات من نوع ما يوجد الآن في زمبازى وروديسيا.

" وقد كان من الطبيعى أن تكون الأراضى الخصبة المعشبة في شمالى أفريقيا وجنوب آسيا مأهولة آنذاك بالسكان ومزدحمة بهم... وإنه لمن المعقول أن نحسب أن الإنسان كان بإمكانه أن يتقدم تقدما عظيما في مثل هذه البيئة الملائمة لا بل البيئة المحفزة [١]، ولكن هذه المنطقة الأفريقية الأسيوية تبدلت في نهاية العصر الجليدى تبدلا كبيرا وجزريا فأخذ يحل فيها الجفاف والجدب منذ ذلك الحين وانتهى فيها آخر عصر ممطر وحل فيها بدل ذلك عهد جفاف يقابل الفترة الجليدية الأخيرة في أوربا وشمال أمريكا [٢].

ولقد جاء في النصوص القديمة ما يدل على ان جزيرة العرب كانت من مناطق الغابات المكتظة بالأشجار، فكانت جبال الطائف تمون مكة بالأخشاب الصالحة للبناء والوقود، كما أن المنطقة الواقعة بين العلا و " معون " أو " معان " من المناطق الصحراوية في الوقت الحاضر من أراضى ثمود قديما قد كانت من مناطق الغابات المكتظة بالأشجار، وكانت مملوءة بالحيوانات المفترسة، وكذلك المنطقة بين مكة وعرفة كانت حتى القرن السادس عشر الميلادى مغطاة بالأشجار والعوسج والسلم، حتى أن اللصوص كانوا يتخذونها مخابئ يهاجمون منها القوافل. " ويظهر من اتجاهات الأودية ومن وجود العاديات والخرائب وآثار

---

(١) جايلد " الشرق القديم "، طبعة سنة ١٩٦٤، ص ١٥ - ١٦.

(٢) سومر (١٩٤٩)، ج٢، ص ١٣٠.

السكن على أطرافها، والترسبات التي تمثل قيعان الأنهر، إن هذه الأودية كانت في الحقيقة أنهارا في يوم من الأيام ينبض فيها عرض الحياة، وأنها كانت تضيف عددا كبيرا من الأحياء، أما اليوم فقد اندثرت القرى وجفت أكثر الينابيع، واضطرت غالبية السكان إلى الهجرة والتنقل من مكان إلى مكان، والعيش عيشة الأعراب " [١].

ومن أنهار جزيرة العرب القديمة: وادى الحمث الذي شيدت مدينة يثرب على أحد فروعه وكان هذا النهر يصب في البحر الأحمر وهنالك أنهر ثلاثة أخرى كانت تجرى في السهول الواسعة في منطقتى نجد والحسا، وهذه الأنهر هى **أولاً**: وادى السرحان، الذي كان ينبع شرقى جبال حوران ويخترق سهول الجزيرة الشمالية ويصب في الخليج العربى، **ثانيا**: وادى الرمة وكان منبعه شرقى مكة ومن هناك يسير شرقا ليصب في بحر عمان بعد أن تنضم إليه عدة فروع، **ثالثا**: نهر الدواسر وهو أكبر أنهر الجزيرة العربية ويقع منبعه شرقى بلاد اليمن ويتجه شمالا مخترقا سهل الربع الخالى ثم يتصل بوادى الرمة بالقرب من شواطئ خليج البصرة. وفى هذا الدور الجيولوجى الذي كانت جزيرة العرب تتمتع فيه بأمطار غزيرة كان وادى الشريعة بحيرة عظيمة تبدأ من جنوب جبال حرمون وتمتد حتى وادى العربة ولربما اتصلت مياهه عند مدينة العقبة بالبحر الأحمر [٢].

وقد وجد برترام توماس، صاحب كتاب " العرب " بقايا بحيرة في الربع الخالى عند منخفض أبو بحر كما لاحظ أن وادى الرمة لا يزال مليئا بالصخور الرسوبية والحصى مما يدل على أنه كان في القديم مجرى نهر غزير المياه. ولا تزال بقايا بحيرات مليئة بالمياه في بعض المناطق الصحراوية من الجزيرة العربية، ففى منطقة الخرج عدة بحيرات في وسط الصحراء تستغل الحكومة السعودية مياهها في الوقت الحاضر لزراعة الأراضى المجاورة، وقد أتيح للمؤلف أن قام بدراسة خاصة لهذه البحيرات وإقامة مشروع رى عليها، إذ كانت الحكومة العراقية قد أوفدته على رأس بعثة فنية لدراسة إمكانيات هذه البحيرات، وتقع منطقة الخرج جنوب شرقى الرياض وتوجد فيها خمس بحيرات منها أربع بحيرات إلى الجنوب من اليمامة، أما الخامسة فتقع في الأراضى الصحراوية

(١) الدكتور جواد على، " تاريخ العرب قبل الإسلام "، ج١، ص ٩٧ - ١٠٢.
(٢) الدكتور رفيق التميمى، " المقتطف "، عدد يوليو ١٩٤٤، ص ١٢٥ - ١٢٦.

الواقعة إلى الجنوب من منطقة الخرج على بعد زهاء مائة كيلو متر منها وتسمى " خفس دغرى " وأهم هذه البحيرات ثلاث تبلغ مساحة كل منها أكثر من أربعة آلاف متر مربع، أما عمق الماء فيها فيناهز أربعمائة قدم وتتصل هذه البحيرات بعضها ببعض عن طريق مجارى المياه الجوفية [١].

وقد جاء في نصوص القرآن الكريم ما يؤكد صراحة على وجود الأجواء الممطرة لدى سكان شبه جزيرة العرب القدماء كما قد ذهب إليه الباحثون المحدثون، وقد جاءت كلها في معرض التذكير والدعوة إلى الاتعاظ بمن تقدمهم من الأقوام الذين تمتعوا بوفرة العيش ورغده وذلك بتوافر المياه والمزارع والجنان والعمران. فيقول الدكتور الدواليبى في ذلك: " والمعجزة في هذه النصوص التي تقارب نحوا من أربعين آية أنها تدعم منذ نحو أربعة عشر قرنا وبكل صراحة تلك البحوث والاتجاهات التي أنتجتها الدراسات العلمية الحديثة، تلك الدراسات التي لم يكن من الممكن أن تقوم في تلك العصور " [٢].

وقد ورد في الروايات اليونانية والرومانية القديمة ما يؤيد صراحة وجود أنهار طويلة في بلاد العرب، فقد ذكر هيرودوتس خبر نهر في بلاد العرب دعاه " كورس " وقال عنه أن ملكهم قد عمل على نقل المياه من هذا النهر العظيم إلى الصحراء على مسيرة اثنى عشر يوما عن ساحل النهر. كما ذكر بطليموس اسم نهر عظيم سماه لار (Lar) ويرى البعض أن هذا النهر الذي أشار إليه بطليموس هو " وادى الدواسر " الحالى الذي يمس حافة الربع الخالى " [٣].

وقد توصل العلماء الجيولوجيون إلى أن سطح الأرض قد تعرض في الماضى لعدة تغيرات مناخية في مختلف العصور، فقد مر بأربع دورات جليدية تفصل بينها دورات أو فترات دفيئة ذات مناخ جاف لا يختلف عما هو سائد اليوم، وقد ميزوا الدورة الأولى بزحف جليدى إلى الجنوب غطى معظم سطح الأرض الشمالى، كذلك بقية المناطق من نصف الكرة الشمالى من كل من آسيا وأمريكا. أما منطقة جنوب شرق آسيا بما فيها بلاد العرب والعراق وسورية فقد تميزت في هذه الدورات الجليدية بأمطار غزيرة دائمة أحالت أوديتها أنهارا جارية ومستنقعات وبحيرات، كما ميزوا الدورات الدفيئة بتراجع الجليد إلى

(١) الدكتور أحمد سوسة، " رى سامراء "، ج٢، ص ٥٣٩.
(٢) " دراسات تاريخية عن أصل العرب "، ص ٤١ - ٤٢.
(٣) الدكتور جواد على، " تاريخ العرب قبل الإسلام "، ج ١، ص ٩٨.

الشمال بحيث سادت فيها حرارة مرتفعة وجفاف أحال أكثر المناطق في جنوب شرق آسيا إلى صحارى وأراضى قاحلة غير قابلةللاستقرار والحياة الدائمة.

وقد تمكن علماء الجيولوجيا من تحديد أربع دورات جليدية تفصل بينها دورات دفيئة وقد أطلق عليها الأسماء الأربعة التالية:

١- دورة جليد جنز	Gunz	.... -....... (؟)
٢- دورة جليد مندل	Mindel	٤٣٠٠٠٠ - ٠٠٠ ٣٧٠ ق.م
الدورة الدفيئة الأولى		٠٠٠ ٣٧٠ - ٠٠٠ ١٣٠ ق.م
٣- دورة جليد رس	Riss	٠٠٠ ١٣٠ - ٠٠٠ ١٠٠ ق.م
الدورة الدفيئة الثانية		٠٠٠ ١٠٠ - ٠٠٠ ٤٠ ق.م
٤- دورة جليد فزم	Wurm	٠٠٠ ٤٠ - ٠٠٠ ١٨ ق.م
الدورة الدفيئة الثالثة		٠٠٠ ١٨ - ٠٠٠ ٠٠٠ (؟)

هذا مع العلم أن التحول من الدورات الجليدية إلى الدورات الدفيئة والتحول العكسى كانا بطيئين على شكل تدريجى، إذا كان الجليد يستغرق زمنا طويلا في حركته نحو الجنوب أو باتجاه الشمال.

ويتضح مما تقدم: أن الدورة الدفيئة الكبرى هى تلك التي حصلت بين دورتى جليد مندل وجليد رس، إذ أنها دامت ٢٤٠ ألف سنة، ولابد أنها كانت من أشد الفترات الدفيئة حرارة، كما يتضح أن العالم يجتاز اليوم الدورة الدفيئة الثالثة التي بدأت منذ ١٨٠٠٠ سنة قبل الميلاد.

وقد قدم العلماء نظريات مختلفة لتفسير هذه الظاهرة الطبيعية، فقد عللها البعض بحركة التوازن الدائمة في سطح الكرة الأرضية، وقال آخرون بأن سدما أو سحبا غازية توسطت الفلك ما بين الشمس والأرض، وقال البعض الآخر أن عدة عوامل تضافرت في إحداث هذه الظاهرة.

وهكذا ننتهى إلى أن مناطق الشرق الأدنى بما فيها صحارى أفريقيا وآسيا كانت في الدورة الجليدية الأخيرة (دورة جليد فرم) تتمتع بنعمة الأمطار الغزيرة والطقس البارد الرطب، وإننا نجتاز الآن الدورة الدفيئة ذات الطقس الحار الجاف المتميز بقلة الأمطار، وقد كانت هذه الدورة الدفيئة ذات الطقس الحار الجاف

السبب المباشر في تكون الصحارى ونزوح أهل الجزيرة عن مواطنها [١].

٦ ـ قدم حضارة جزيرة العرب:

لقد تضافرت الأخبار القديمة لتدعيم حقيقة ما كانت عليه جزيرة العرب، من أنواء رطبة وأمطار وأنهار وما طرأ من تغير على جوها حتى أدى إلى الجفاف الذي يكشف هذه البلاد في أوقاتنا الحالية، الأمر الذي أدى بالسكان إلى النزوح عن أوطانهم والهجرة إلى مناطق تتوفر فيها المياه وسبل العيش، وفيما عثر عليه من آثار تركها سكان هذه الأصقاع لدليل قاطع على قدم حضارة جزيرة العرب، ذلك ما يدل على أن أهل الجزيرة الذين هاجروا إلى الهلال الخصيب بسبب الجفاف الذي حل ببلادهم كانوا مزودين بتراث حضارى ورثوه عن أجدادهم وقد جاءوا به معهم من مناطق سكناهم الأصلية فأعانهم على تكوين حضارة خاصة بهم، فقد عثر على أدوات حجرية من العصور الباليوليثية والنيوليثية في مواضع من المملكة العربية السعودية تمتد من الأحساء (الهفوف) إلى الحجاز ومن مدائن صالح إلى نجران مما يدل على قدم حضارة وسكنى هذه المناطق.

ويؤكد المستر فيلبيى أنه وجد آثارا من أصداق المياه العذبة وبقايا من الرواسب النهرية وأدوات صوانية تعود إلى أواخر العصر النيوليثى (حوالى الألف الخامسة قبل الميلاد) كلها تدل على أن صحراء الجزيرة العربية كانت في تلك الأزمان عامرة بأنهارها الدائمة الجرى وبمستوطناتها الزاخرة بالسكان ويرى أن اجتياح الجفاف لتلك البقاع أدى إلى هجرة سكانها وكان ذلك في رأيه في نفس الوقت الذي كانت تظهر فيه معالم أقدم المدنيات في مصر والعراق [٢].

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن جزيرة البحرين كانت مأهولة بالناس أيام العصور الجليدية المتأخرة في أوربا، أى قبل خمسين ألف سنة، وأن ساحل الخليج ولاسيما المنطقة الواقعة بين " الدوامى " وشمال القطيف، كان مزدحما بالسكان في العصور البرونزية أى حوالى ٣٠٠٠ ـ ٢٥٠ ق.م، وقد عثر في البحرين أيضا على عدد من مواد من الصخور الصوانية قدر بعض الباحثين أن عمرها يتراوح بين عشرة آلاف واثنى عشر ألف سنة، وهى ترجع إلى أواخر أيام الرعى وابتداء عهد الاستيطان والاستقرار والاشتغال بالزراعة [٣].

---

(١) الأستاذ محمد مصطفى بازامه، " تاريخ ليبيا "، بنغازى، ١٩٧٣.
(٢) المستر فيلبيى، " الربع الخالى - أنهار مندثرة "، ص ١٤٠.
(٣) الدكتور جواد على، " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام "، ج١، ص٩٨.

ويؤكد الأستاذ محمد دروزة قدم حضارة الساميين العرب الذين نزحوا من الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب، بقوله: ليس هناك من ينكر أماكن كون سكان هذه الجزيرة قد عاشوا عيشة مدنية وسياسية واجتماعية منذ أقدم الأزمنة التي سجل فيها الجنس البشرى حياة مماثلة في بعض الأقطار الأخرى، وبتعبير أدق منذ زمن أقدم من الزمن الذي تشير إليه الآثار المكتشفة في أرض الجزيرة وخارجها أو الأخبار والروايات الواردة في كتب اليونان والرومان وأسفار العهد القديم أو نقوش مصر وبابل وآشور والتى يرجع بعضها إلى أربعة آلاف عام وأكثر قبل العهد المسيحى،ولاسيما أن هذه الآثار تدل على تقدم غير يسير في مضمار الحياة السياسية والمدنية والاجتماعية والعقلية لا يمكن أن يكون قد تم إلا نتيجة تطور وتدرج يرجعان إلى قرون كثيرة قبل الزمن الذي نقشت أو كتبت فيه... " (١)، ومما يمكن أن يقال تأييدا لهذا القول أن الجماعات التي جاءت من جزيرة العرب إلى وادى النيل وحوض دجلة والفرات واستقرت فيهما قبل أكثر من أربعين أو خمسين قرنا قبل الميلاد كانت على شئ غير يسير من مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية ووسائلها ومن المعقول أنها كانت مزودة بها من منشئها الأول " وقد لاحظ الرحالة الألمانى سوينفرت أن القمح والشعير والجاموس والمعز والضأن والماشية وجدت في حالتها لابدة في اليمن وبلاد العرب القديمة قبل أن تستأنس في مصر والعراق " (٢).

ويؤيد ذلك أيضا الدكتور جواد على الذي قام بدراسات مستفيضة في تاريخ العرب قبل الإسلام فيقول: " وتدل آثار السدود والنواظم التي ترجع إلى ما قبل الإسلام على أن العرب كان لهم علم واسع بتنظيم أمور الأرواء والاستفادة من مياه الأمطار والسيول والأنهار، وتدل كثرة المصطلحات في اللهجات العربية الشمالية والجنوبية على معرفة القوم بأنواع الآبار والسدود والمسالك والنحايت، وغير ذلك من الوسائل التي استخدمت للحصول على الماء. وقد عثر رجال شركة النفط العربية السعودية الأمريكية حديثا على صهاريج أرضية متصلة بعضها ببعض بأنفاق وعليها فتحات من مواضع متعددة لاستقاء الماء منها، عثروا عليها في القطيف والأحساء وفى الفلج، وأواسط نجد وأماكن أخرى تعد اليوم من المناطق الصحراوية، كما وجدوا على مقربة منها آثار قرى كانت

---

(١) " تاريخ الجنس العربى "، ج١، ص ٢٥ - ٢٦.

(٢) العقاد، " أثر العرب في الحضارة الأوربية "، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١١.

عامرة ومزارع واسعة، ولم يكن يعرف العلماء سابقا أن أواسط شبه جزيرة العرب والأقسام الشرقية منها كانت تستخدم هذا النوع من نظم الأرواء، بل كان المعروف أن الصهاريج المربوطة بأنفاق إنما كانت تستخدم في الشام وفى فلسطين وإيران والأقسام الشمالية من العراق. وقد اتخذ أصحاب النظرية القائلة بأثر الجفاف في شبه جزيرة العرب من وجود هذه القنوات للأرواء في مناطق صحراوية دليلا على تأييد نظريتهم في جفاف جو شبه جزيرة العرب " (١).

وتدل المعلومات التي جمعها الخبراء من مختلف أنحاء جزيرة العرب على أن الدول القديمة التي قامت في اليمن كانت على اتصال بالسومريين والأكديين والأشوريين والعموريين في وادى الرافدين، كما كانت على اتصال بالكنعانيين في فلسطين وكذلك بمصر والشام والحبشة وعيلام منذ أقدم العصور. وكانت منطقة " مجان " (عمان حاليا) مصدرا مهما للنحاس لسكان وادى الرافدين القدماء منذ عصور ما قبل التاريخ واستمرت كذلك في العهد السومرى والعهود التي أعقبته، وتصفها الكتابات المسمارية بأنها " جبل النحاس " وقد اشتهرت " مجان " أيضا بحجر الديوريت الأسود المشهور، ويرجح أن الدوريت الذي كان ملوك العراق القدامى يستعملونه في صنع التماثيل والأنصاب كان يجلب بالدرجة الأولى من " مجان " وتشير أخبار الدولة الأكدية إلى غزو ترام سين (٢٢٩٢ - ٢٢٥٥ ق.م) حفيد سرجون لمجان حيث كانت تقوم فيها مملكة يبدو من اسم ملكها " أنيثوم " أنه من الساميين العرب، وكانت الدولة العربية في جنوب جزيرة العرب ومنها اليمن مصدر تصدير وتجارة مرور للبخور والعطور كما كانت مركزا هاما للاتصال التجارى بين المحيط الهندى والبلاد الواقعة شرق البحر المتوسط (٢).

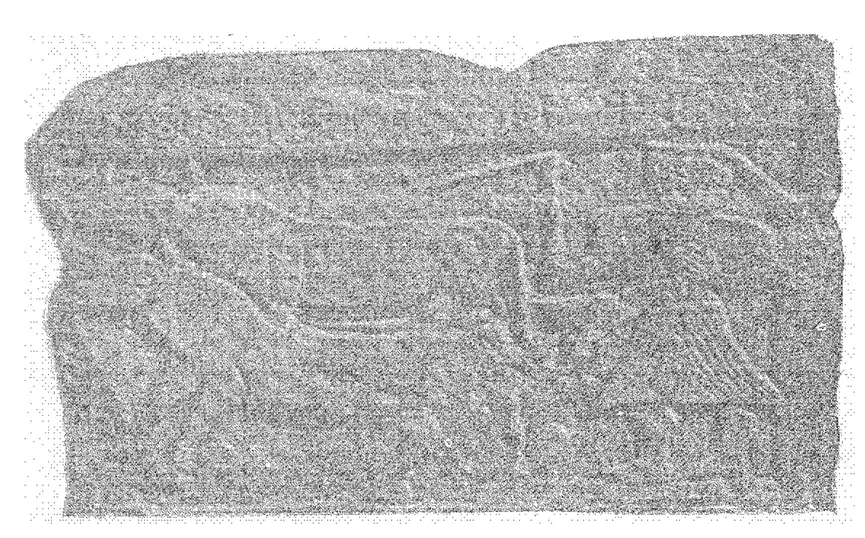
٧ ـ حضارة اليمن القديمة:

أ – مملكة معين:

إن أقدم شعب عربى وصلتنا أخباره من جنوب الجزيرة العربية هم المعينيون، مؤسسو الدولة المعينية التي عاشت في اليمن وظهرت منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد على رأى بعض العلماء ويعتبر المعينيون أقدم الشعوب

(١) " تاريخ العرب قبل الإسلام "، ج١، ص ١٠١ - ١٠٢.
(٢) الدكتور نيلسن ورفاقه، " التاريخ العربى القديم "، ص ١١٣.

التي حملت لواء الحضارة في بلاد العرب الجنوبية، وقد ظهرت هذه الدولة في الجوف وهى منطقة سهلة بين نجران وحضرموت أرضها خصبة ومنبسطة، وقد كانت عاصمة هذه الدولة مدينة " القرن " ومن مدنها " ونشق " و " براقش " و " كمنا " وغيرها. وفى القسم الجنوبى من الجوف تقع خرائب مدينة " معين ". وقد عثر على كثير من الكتابات المعينية وهى من أقدم الكتابات العربية المعروفة، وقد توصل المستشرقون من دراساتهم لهذه الكتابات لمعرفة أسماء عدد من ملوك معين إلا أنهم لم يستطيعوا تنظيم قائمة بأسمائهم حسب تسلسل سنىّ حكمهم، ومن أقدم هذه الأسر التي عثر على أسماء ملوكهم أسر " إيل صادق " و " وقه إيل " و " صدق إيل ". ويلاحظ هنا إضافة اسم الإله " إيل " إلى أسمائهم مما يدل على أن الإله " إيل " الذي دعا إبراهيم الخليل إلى عبادته كان معروفا في الجزيرة العربية وأنه من أصل عربى بحث [١]، ويستدل من الديانات المعينية على أن الإله " ود " كان الإله القومى الرئيسى لشعب معين، وكانت حضرموت جزءا من مملكة معين وما يتبعها من مقاطعات في عهد الملك " صدق إيل " الذي كان يلقب بملك معين وحضرموت.



التصوير رقم (٥٢)
فلاح يمنى يحرث الأرض

كانت أهم المنتوجات اليمانية العطور والتوابل والبخور التي درت على اليمانيين أرباحا كثيرة وأنعشت تجارتهم مع بلد الهلال الخصيب وبلدان البحر المتوسطى حيث كانت تصدر إليها هذه المنتوجات، مع العلم أن العطور والبخور

(١) انظر ما يلى عن إبراهيم الخليل في الفصل الخامس.

كانت تستعمل في المعابد والطقوس الدينية وللتحنيط، كما كانت التوابل من المواد الضرورية للطعام وحفظ المأكولات في تلك الأزمنة، وإلى جانب امتهان اليمانيين الزراعة، كان فيهم رعاة الماشية الذين يعيشون حياة البداوة.

إن أقدم ذكر المعينيين ورد في كتب الكلاسيكيين مثل ديودورس الصقلي وسترابون وبلينيوس وأراتوستين وبطليموس وهو آخر من ذكرهم، ويرى بعض الباحثين أن المقصود بالمعونيين الوارد ذكرهم في التوراة [١]، هم المعينيون الذين كانوا يقطنون في المناطق الشمالية. وآخر ذكر لحكومة معين ورد في المؤلفات الكلاسيكية التي تعود إلى القرن الأول الميلادى، ويتفق أكثر العلماء المختصين على أن حكومة معين انقرضت وحلت محلها حكومة سبأ، مع أن اسم المعينيين ورد في عدد من الكتابات المعينية التي يرجع زمنها إلى ما بعد سقوط حكومتهم.

ب ـ مملكة قتبان:

عاصرت الدولة المعينية مملكة عربية أخرى كانت تعرف باسم مملكة قتبان، وكانت أراضى هذه المملكة تقع في الأقسام الغربية من الجزيرة العربية وإلى الجنوب الغربى من أرض المعينيين وتمتد حتى باب المندب. وقد استدل علماء الدراسات العربية من الكتابات التي حصلوا عليها أن هذه المملكة حكمت حوالى ٨٠٠ سنة بين القرن العاشر والقرن الثانى قبل الميلاد. أما عاصمتها فهى مدينة " تمنع " وتعرف حاليا باسم " كحلان " وتقع في وادى بيجان في منطقة كانت تتميز قديما بخصبها وبكثرة مياهها ومزارعها وبساتينها، وقد كشفت آثار " تمنع " مؤخرا عن بقايا عدد كبير من المعابد والدليل على كثرة المعابد في مدينة " تمنع " أن الكتابات الرومانية ذكرت ان عدد المعابد فيها بلغ ٦٥ معبدا، ويستدل من الكتابات القتبانية على أن الإله القومى الرئيسى الذي كان يعبده القتبانيون من دون بقية الآلهة هو الإله " عم ".

استفاد القتبانيون من موقعهم الجغرافى ومجاورتهم لحضرموت التي تنتج أحسن أنواع البخور فجنوا ثروة كبيرة وصارت لهم قوة حدت من نفوذ المعينيين وهناك أدلة تشير إلى أن حكومة معين خضعت لحكمة قتبان في سنة ٨٢٠ ق.م.

ويستدل من بعض الكتابات القتبانية القديمة أن حكام قتبان كانوا يتلقبون بلقب " مكرب " ووجد في كتابات أخرى أنهم كانوا يتلقبون بهذا اللقب بالإضافة إلى

(١) (١ أ خ ٤: ٤١)، (٢ أ خ ٢٦: ٧).

لقب ملك، ثم صاروا يتلقبون بلقب ملك وحده، وقد نظم علماء الدراسات العربية قوائم بما عثر عليه من أسماء ملوك القتبانيين وبحثوا في سنى ملك كل منهم.

ج ـ مملكة أوسان:

وعرف من الكتابات القتبانية اسم شعب يقال له " أوسن " أو " أوسان " كانت له حكومة ومملكة عثر على أسماء بعض ملوكها، وكانت ممتلكات هذه الحكومة تكوّن جزءا من مملكة قتبان ولكن الأوسانيين ثاروا على قتبان وانفصلوا عنها وكونوا مملكة أوسان التي انضمت إليها أو تحالفت معها قبائل أخرى.

وكان الأوسانيون مثل المعينيين والقتبانيين من أهم شعوب العالم المصدرة للبخور الذي كان يؤلف مادة ثمينة في ذلك الزمن من حيث أنه كان يقدم إلى الملوك وإلى الآلهة لكسب رضاها، وقد وصلتنا كتابات أوسانية كانت من جملة الكتابات التي اعتمد عليها الهمدانى في الحصول على معلوماته عن أخبار اليمن القديمة.

وقد وصلت إلى أيدى المنقبين من هذه المملكة الصغيرة عدد من التماثيل الرخامية لبعض ملوكها تعد من أنفس ما عثر عليه من آثار في شبه جزيرة العرب، وهى أول تماثيل تصل إلينا لملوك العرب وقد كتب على قاعدة كل واحد منها اسم الملك الذي يمثله. والتصوير رقم (٥٣) يمثل أحد ملوك أوسان المدعو معد إيل سلحان بن يصدق إيل، وتفيدنا هذه التماثيل في التعرف على نماذج ملابس الأوسانيين وكيفية تنظيم شعور رؤوسهم بنفس الطريقة التي ما يزال يتبعها البدو في الوقت الحاضر.



التصوير رقم (٥٣)
الملك " معد إيل " سلحان " يصدق إيل " ملك أوسان
(عن مارجوليوت، اللوحة ٣)

د ـ مملكة حضرموت:

ومن الممالك الأخرى من حكومات جنوب جزيرة العرب التي عاصرت ممالك معين وقتبان وأوسان وغيرها من الممالك العربية الصغيرة، مملكة حضرموت وقد ظهرت قبل المسيح بمئات من القرون، وهى تتميز عن الحكومات العربية الأخرى التي عاشت قبل الميلاد في كونها ماتزال تحتفظ باسمها القديم حتى هذا اليوم، وقد ورد اسم حضرموت في التوراة [١]، كما ورد اسمها في الكتابات اليونانية والرومانية وفى الكتابات المعينية.

وقد ورد في الأخبار أن قبيلة عاد التي ورد ذكرها في أكثر المصادر والتى تعد من أقدم القبائل العربية كانت تسكن في حضرموت الشمالية، وهؤلاء على رأى الرواة وأهل الأخبار هم من ضمن قبائل الطبقة الأولى وهى أقدم الطبقات بحسب تقسيم العرب لأنساب القبائل العربية وقد سميت بالعرب البائدة لانقراضها.

وكان الحضرميون يعبدون من بين آلهتهم الإله " سين " (الإله القمر) الذي كان يعد الإله القومى الرئيسى لشعب حضرموت، وقد عثر المنقبون على آثار

(١) (تك، ١٠: ٢٦).

معبد هذا الإله في " الحريضة " ويعتقد أن بعض واجهات المعبد تعود إلى أواسط القرن الخامس حتى القرن الرابع قبل الميلاد وأن قسما من بناء المعبد يعاصر الدور السلوقى. ويلاحظ أن اسم الإله " إيل " (الإله العلى العظيم) أضيف إلى أسماء بعض ملوك حضرموت مما يدل على أن الإله " إيل " كان معروفا لدى العرب منذ القديم.

وقد تمكن العلماء المختصون بالدراسات العربية من الوقوف على أسماء عدد من حكام هذه المملكة فنظموا قوائم بهم حسب تسلسل سنى ملوكهم ومن هؤلاء الملوك " صدق إيل " الذي كان ملكا على حضرموت ومعين وقد ذكر أنه حكم في أواخر القرن الخامس ق. م، وتشير الكتابات الحضرمية إلى الروابط القوية بين حضرموت ومعين، ففى الوقت الذي كان معد يكرب ملكا على حضرموت كان شقيقه ملكا على معين، كما تشير هذه الكتابات إلى أن عددا من المكريين حكموا في حضرموت.

وقد اتخذ ملوك حضرموت مدينة " شبوة " عاصمة لهم وقد ذكرها الكتاب الكلاسيكيون في كتاباتهم كما ذكرها الهمدانى، وقد زار فيلبى موضع هذه المدينة وكشف عن آثار معابدها وقصورها القديمة، كما كشف عن آثار السدود التي كان قد أقامها الحضرميون في وادى شبوة لخزن مياه الأمطار واستغلالها في إرواء الأراضى الزراعية.

هـ ـ مملكة سبأ:

إن هذه الدولة العربية اليمانية التي ورثت حكومات معين وقتبان وأوسان وحضرموت تمثل دولة اليمن الكبرى، فقد ورد ذكر السبئيين في النقوش الأشورية حيث يذكر كل من تغلاث فلاسر الثالث (٧٤٥ ـ ٧٢٧ ق.م) وسنحاريب (٧٠٤ ـ ٦٨٨ ق.م) وأسرحدون (٦٨١ ـ ٦٦٩ ق.م) بأنهم أخذوا الجزيرة من يثعمر وكرب إيلو من ملوك سبأ، كما أن التوراة ذكرت سبأ وهى تارة تدخل أهل سبأ في أسرة الحاميين وتعدهم من كوش بن حام (١)، وتارة أخرى تذكرهم في الساميين (٢)، ثم جعلت شبا من ولد يقطان بن عامر في موضع آخر (٣)، وجعلته من ولد يقشان (١)، ويقشان من أولاد إبراهيم من زوجته قطورة (٢).

---

(١) (تك، ١٠: ٧)؛ (١ أخ ١: ٩)؛ راجع أيضا (أ ش، ٤٣: ٣).
(٢) (تك، ١٠: ٢٨).
(٣) (تك، ١٠: ٢٦ ـ ٢٨).

وقد ورد ذكر السبئيين في المؤلفات اليونانية والرومانية أيضا، كما ورد اسم سبأ في القرآن الكريم [٣] وما في ذلك من أخبار سيل العرم [٤].

أما عن أصل السبئيين فيرى البعض أنه من المحتمل أنهم كانوا في الأصل قبائل بدوية من سكنة الجوف الشمالى من جزيرة العرب غير أنهم تركوا مواطنهم في القرن الثامن قبل الميلاد وارتحلوا إلى جنوب الجزيرة وهناك استقروا وأخذوا يتوسعون في ممتلكاتهم مستفيدين من ضعف المعينيين حتى وصلوا إلى الجوف الجنوبى من الجزيرة، وهناك اتخذوا " صرواح " و " مأرب " عاصمتين لهم. وتقع بلدة مأرب التي اكتسبت شهرتها من سدها العظيم على نحو ستين ميلا إلى الشرق من صنعاء، وكان ملوك سبأ الأقدمون يلقبون بلقب مكرب شأنهم في ذلك شأن ملوك قتبان الأوائل، ثم أخذوا يتلقبون بلقب ملك، وقد وصلت إلينا أسماء ١٥ مكربا و١٢ ملكا.

و ـ سد مأرب أو سد العرم:

اشتهر دور المكارب ببناء السد الشهير المعروف بـ " سد مأرب " الذي يعد أعظم سد أنشئ في الجزيرة العربية إذ كان من أعاجيب العالم القديم، فأول مكاربى سبأ وصل اسمه إلينا " سمح على " حوالى (٨٠٠ ـ ٧٨٠ ق.م) ثم تلاه في الحكم المكرب " يدع إيل ضريح " و " يدع إيل بين " وقد تولى بعد ذلك المكارب " سمح على يناف " و " يثمر وتر " و " كرب إيل بين " هم الذين قدموا الجزية لسنحاريب وأسرحدون، وفى عهد " ذمر على وتر " خلف " كرب إيل بين " بدئ بتشييد سد مأرب أو سد العرم الذي ظل يتردد ذكره بين الناس فدخل خبره كثير من المبالغات والأساطير، قال ياقوت نقلا عن المسعودى: " إن بانيه هو سبأ بن يشجب بن يعرب مات قبل أن يستكمله فأتمته ملوك حمير بعده " كما قال نقلا عن المسعودى أيضا أن لقمان بن عاد هو الذي بنى السد وجعله فرسخا في فرسخ وجعل له ثلاثين مثقبا [٥].

---

(١) (تك، ٢٥: ٣).
(٢) (تك، ٢٥ ـ ١ ـ ٢).
(٣) سورة سبأ، الرقم ٣٤، الآية ١٥.
(٤) سورة سبأ، الرقم ٣٤، الآية ١٦.
(٥) ياقوت ٤: ٣٨٢.

والسد عبارة عن حائط ضخم أصم أقيم في عرض وادى أذنة الذي تتجمع فيه معظم مياه السيول المنحدرة من الجبال الواقعة في أطراف صنعاء، ممتد بطول حوالى ٨٠٠ ذراع وبعرض ١٥٠ ذراعا من الشرق إلى الغرب، وقد بنى السد بالتراب والحجارة، ينتهى أعلاه بسطحين مائلين على زاوية منفرجة تكسوها طبقة من الحصى لمنع انجراف التراب عند تدفق المياه، ويستند السد من طرفيه إلى جبلين وعند أسفل كل من هذين الجبلين منافذ للمياه مبنية بالحجارة الضخمة المتينة يخرج منهما الماء ليسقى الجنتين اليمنى واليسرى، ويصعد من هذه المنافذ إلى أعلى الجبل بمدرجات مبنية على وجه الجبل، وكانت هذه المنافذ تفتح وتسد بواسطة أبواب محكمة وحركات مهندسة فتفتح للسقى حسب الحاجة ثم تسد عند إتمام السقى، وقد أدخلت عدة إضافات على السد بعد بنائه حتى استكمل شكله النهائى في حوالى سنة ٣٠٠ م [١].

أما قصة سيل العرم وخراب السد، تلك الكارثة الكبرى التي أشار إليها القرآن الكريم [٢] فقد اختلف الباحثون في تفاصيلها وخاصة فيما يتعلق بتاريخ انهيار السد الذي عده أكثر الباحثين السبب المباشر لهجرات القبائل العربية من اليمن إلى سورية والعراق وتفرقهم في أطراف جزيرة العرب مما آل إلى تأسيس دولة الغساسنة في سورية والمناذرة في العراق [٣].

فقال حمزة الأصفهانى: أن الحادث وقع قبل الإسلام بأربعمائة سنة [٤]، أى في القرن الثالث الميلادى، وذكر ياقوت أن الحادث وقع في عهد ملك حبشان ولعله يريد الأحباش الذين فتحوا اليمن في القرن السادس الميلادى وأحرقوا كثيرا من قصورها وأبنيتها، كما أفاد ابن خلدون أن السد تهدم في أيام حسان بن تبان أسعد (القرن الخامس الميلادى) وقد وصف الهمدانى في كتابه " الإكليل " بقايا السد التي شاهدها بنفسه في أوائل القرن الرابع للهجرة (العاشر الميلادى) [٥].

---

(١) الدكتور صالح أحمد العلى، " محاضرات في تاريخ العرب "، ص ٢٣.

(٢) سورة سبأ، الآية ١٥.

(٣) انظر ما تقدم حول دولتى الغساسنة والمناذرة.

(٤) " تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء "، الطبعة الثالثة، ١٩٦١، ص ٨.

(٥) انظر كتاب " العرب قبل الإسلام " تأليف جرجى زيدان، ج١، ص ١٥٠، و " تاريخ العرب "، المطول للدكاترة: حتى وجرجى وجبور، الطبعة الرابعة، ج١، ص ٧٠، ٨٤.

والأرجح أن كثرة التصدعات والترميمات في السد كانت هى السبب في اختلاف الإخباريين في تحديد تاريخ انهيار السد وإرجاعه إلى عصور مختلفة إذ كانوا يعدون كل تصدع تهدما. وعلى الغالب أن هجرات القبائل العربية من اليمن كانت على شكل تدريجى وعلى موجات متتالية بسبب هذه التصدعات التي كانت تقلل من فعالية السد نتيجة تعذر إملائه إلى الارتفاع الذي صمم عليه في الأصل حتى انهار نهائيا. ولعل القحط وقلة الأمطار في مواسم متتالية كانت هى الأخرى السبب في نزوح القبائل بطونا وأفخاذا.

ومن المنقبين المحدثين الذين بحثوا عن السد المستشرق الفرنسى أرنولد الذي تمكن من الوصول إلى السد سنة ١٨٤٣ وزار السد بعده كل من هاليفى وكلازر ووافقاه في وصفه وهو يطابق ما قاله الهدانى [١].

وقد عثر لدى التنقيب في أنقاض السد على كتابات بالحرف المسند ورد فيها أن بانى الطرق الأيسر هو " سمهملى ينوف بن ذمر على مكرب " [٢] سبأ وأنه خرق جبل بلق وبنى مصرفا رحبا لتسهيل الرى "، وبانى الطرق الأيمن " يثعمر بن سمهملى ينوف " وقد نقشت نفس العبارة التي على الطرف الأيسر على هذا الطرف أيضا، وهذا ما يشير إلى أن الملك الأب بنى جانبا والملك الابن بنى الجانب الآخر وكلاهما من أهل القرن الثامن قبل الميلاد.

أما عن تهدم السد فقد وفق كلازر إلى اكتشاف أثرين عليهما كتابة مطولة تتعلق بترميم ما انصدع من البناء وقد كتب أحدهما أبرهة الحبشى، وذلك بعد دخول اليمن في حوزة الأحباش وقد أرخت هذه الكتابة في سنة ٦٥٨، وهذه السنة في حساب الحميريين تعادل سنة ٥٤٣ للميلاد [٣].

---

(1) Arnaud, "Plan de la digue et de la ville Mareb" Journal Asiatique, 7me. Serie, Iv, Paris, 1974; Halevy, "Etudes Sabeennes", J.A. 7me Serie, I, II, IV, Paris, 1873 - 74; Glaser, "Der Damme von Marib", O.M.O.XXIII, 1897.

(٢) لقب مكرب كان يطلق على حكام اليمن الأوائل وهى كلمة دينية تعنى المقدس ولكن عندما أخذت الدول العربية تتدرج من النظام الثيوقراطى إلى النظام الملكى الدنيوى حل محله لقب " ملك "..

(٣) انظر نص هذه الكتابة المطولة في كتاب " العرب قبل الإسلام " تأليف جرجى زيدان، ص ١٥٩.

ز ـ العصر الحميرى:

كان السبئيون قد خلفوا المعينيين في نقل التجارة بين الهند والحبشة ومصر والشام والعراق فكانت السلع والأطياب تأتى من الهند والحبشة إلى شواطئ جزيرة العرب فينقلها السبئيون على قوافلهم إلى مصر والشام والعراق فكان أن ازدهرت بلادهم واتسعت ثروتهم وامتد سلطانهم إلى أطراف الجزيرة شمالا وشرقا فعمروا بلادهم بحفر الترع وإنشاء السدود وبناء القصور والهياكل والحصون وقد مارسوا الزراعة على أوسع نطاق مستفيدين من وجود سد مأرب الذي كانوا يرممونه عند كل تصدع يصيبه حتى أخذت طرق التجارة تتحول من البر إلى البحر فصارت تسير في الطريق البحرى من المحيط الهندى إلى البحر الأحمر وتنزل بضائعها في الموانئ المصرية أو في العقبة.

وقد أدى ذلك إلى تدهور أحوال المدن اليمانية التي كانت تعتمد في الأكثر على التجارة المارة بها، ذلك في حين تحول الانتعاش إلى المدن اليمانية الواقعة على ساحل البحر الأحمر فأخذت قوة هذه المدن تزداد تدريجيا حتى استطاعت أن تتغلب على السبئيين وأن تكوّن دولة مستقلة. وكان أصحاب هذه المدن هم " الحميريون " وهم فرع من السبئيين اتخذوا " ريدان " التي هى ظفار الواقعة على بعد مائة ميل من مخا، عاصمة لهم.

ويبدأ العصر الحميرى سنة ١١٥ ق.م حين انتقلت عاصمة السبئيين إلى ريدان وينتهى بانقراض دولة حمير على عهد ذى نواس ٥٢٥ م. وبذلك يكون الحميريون قد حكموا في اليمن ٦٤٠ سنة، وقد عثر علماء الآثار على أسماء ٢٨ ملكا من ملوك حمير حكموا في الفترة الممتدة بين سنة ١١٥ ق.م، وسنة ٥٢٥ ق.م.

وقد ساعد الحميريين موقعهم الساحلى واحتكارهم الملاحة في البحر الأحمر على المساهمة في الحركة التجارية حتى سنحت لهم الفرصة فتغلبوا على إخوانهم السبئيين أو اتحدوا معهم في أواخر أيام دولتهم فصار لقب زعيمهم " ملك سبأ وذى ريدان " وريدان هى ظفار عاصمة الحميريين، وفى نهاية القرن الثالث الميلادى تلقب ملوك سبأ بلقب جديد هو " ملك سبأ وذى ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في الجبال وفى تهامة " مما يشير إلى توسع مملكة الحميريين وامتداد تخومها لتضم تلك المناطق، ومن يمنت جاء اسم اليمن الذي توسع مدلوله ليشمل في العصور الإسلامية أراضى واسعة لم تكن تعد من اليمن قبل الإسلام.

وقد بالغ المؤرخون العرب كثيرا في وصف فتوحات دولة حمير إذ نسب إلى أحد ملوك حمير المدعو أسعد أبو كرب (٣٨٥ - ٤٢٠ م) إنه غزا أذربيجان والقسطنطينية وحارب الترك وهزمهم كما أنهم نسبوا إليه غزوات كثيرة وأعمالا عظيمة منها غزو المدينة (يثرب)، ومن الثابت أن الحميريين استولوا على بلاد الحبشة في القرن الأول قبل الميلاد.

وفى عهد الدولة الحميرية بدأت المسيحية تنتشر في اليمن فاتخذ الأحباش من نصارى اليمن سندا لهم واستولوا على اليمن سنة ٣٤٠م، غير أن الحكم الحبشى لم يدم طويلا فقد استطاع اليمانيون إخراجهم سنة ٣٧٨م، وكان لهذه الحملة رد فعل عند اليمانيين الحميرين ضد النصارى فلما جاء ملك ذو نواس (٥١٥ - ٥٢٥م) عزم على اجتثاث المسيحية من اليمن وفرض على النصارى ترك دينهم فلما أبوا أحرقهم بالنار وحرق الإنجيل، ويرى أن ذا نواس اعتنق اليهودية وتسمى يوسف أو فنحاص، غير أن اضطهاد ذى نواس للمسيحيين وتعصبه لليهودية آثار البيزنطيين فأوعزوا إلى الأحباش بالهجوم على اليمن انتصارا للنصارى، وكان أن جهز الأحباش حملة على الدولة الحميرية واستطاعوا أن يقضوا عليها، فقتلوا أهلها وهدموا حصونها، أما ذو نواس فقد رمى بنفسه في البحر وقال: الموت في البحر أحسن من الأسر، ولكن لم يلبث أهل اليمن طويلا حتى استنجدوا بالساسانيين [1] الفرس وهم أعداء البيزنطيين فأنجدهم أنوشروان بقوة استطاعت أن تخرج الأحباش منها وبذلك تحررت اليمن رغم محاولة الفرس البقاء فيها.

٨ ـ ديانة عرب الجزيرة:

إن أكثر ما في ثقافة أهل الجزيرة العربية القديمة يتمثل بنشاطاتهم الدينية، شأنهم في ذلك شأن الأقوام القديمة التي ازدهرت في تلك الأزمان السحيقة، فكانت ديانة عرب الجزيرة قائمة على الوثنية، وهى نفس ديانة السكان القدماء في الأقطار الأخرى، وقد جاءوا بها إلى مستعمراتهم الجديدة مع لغتهم وثقافتهم الأدبية والمادية حاملين معهم آلهتهم وأهمها الإله القمر " سين ". وكانت عبادة

(١) انظر الدكتور جواد على " تاريخ العرب قبل الإسلام "، ج١، ص ٢٨١ - ٤١١، ج٢، ص ٨ - ٢٧٦، ج٣، ص ١٣٦ - ٢٠٩. جرجى زيدان " العرب قبل الإسلام "، ج١، ص ١٠٣ - ١٦٣. الدكتور أحمد صالح العلى، " محاضرات في تاريخ العرب "، ص ١٧ - ٣٥.

هذا الإله شائعة في جميع أنحاء الجزيرة العربية تقريبا جنوبها وشمالها، كما كان معروفا في بلاد الحبشة. وكأن الإله القمر إلها مذكرا عند سائر الساميين في حين أن الإله الشمس كان إلها مؤنثا عند الساميين في جنوب الجزيرة العربية ومذكرا عند الشماليين.

وعلى العكس من ذلك كانت " الزهراء " إلها مذكرا عند الجنوبيين ومؤنثا عند الشماليين.

ويرى الأستاذ ديتلف نيلسن: أن هذا التغير في جنس الشمس والزهرة يشير إلى انتقال الديانة السامية القديمة من الجنوب إلى الشمال وتغيرها بسبب البيئة الجديدة. ويعتقد أن تسمية سيناء مأخوذة من الإله " سين " المذكور.

ويقول الأستاذ نيلسن في دراسته عن الديانة العربية القديمة[(١)]: أن عدد الآلهة الذين توصل المؤرخون إلى معرفة أسمائهم في الأقسام الجنوبية من جزيرة العرب بلغ أكثر من مائة اسم، منهم خمسون إلها توجد عنهم معرفة تفصيلية. وقد ورد في القرآن الكريم ذكر أسماء خمس من الآلهة التي كانت تعبد في الجزيرة العربية ترجع إلى زمن نوح عليه السلام وهى: " ود " و " سواع " و " يغوث " و " يعوق " و " نسر " [(٢)] كما ورد في القرآن الكريم أيضا ذكر ثلاثة من الآلهة الإناث هى: " اللات " و " العزى " و " مناة " [(٣)].

والجزيرة العربية كانت مهبطا لعدد من الأنبياء والرسل الذين نادوا بالوحدانية، ذكر بعضهم القرآن الكريم مثل نوح وهود وصالح وغيرهم، فقال تعالى:{مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ } [غافر: ٧٨]. وما إبراهيم الخليل عليه السلام إلا أحد هؤلاء الأنبياء الذين يرجع أصلهم إلى الجزيرة العربية[(٤)]، وكذلك الكاهن الأعلى الموحد " ملكى صادق " ملك أورشليم [(٥)].

ثم جاء من بعده الكاهن المديانى الموحد يثرون والذى كان على ما يرجح الباحثون يعبد الإله " يهوه " وهو اسم الإله الذي اتخذه اليهود إلها خاصا بهم فيما

(١) نيلسون ورفاقه " التاريخ العربى القديم "، الترجمة العربية، ص ٨٤.
(٢) سورة نوح، الآية ٢١ وما بعدها.
(٣) سورة النجم، الآية ٢٠، انظر: الدكتور جواد على " أصنام العرب "، مجلة " سومر " المجلد ٢٣، (١٩٦٧)، ص ٣ - ٤٦.
(٤) انظر الفصل الخامس " عصر إبراهيم وإسحاق ويعقوب "..
(٥) انظر الملحق الأول " أورشليم في أقدم عصورها "..

بعد. بشر هؤلاء بالتوحيد قبل ظهور أتباع موسى بألف إلى ألفى عام، دعوا إلى عبادة الإله الواحد خالق السماوات والأرض، وقد نسبت هذه الدعوات النبوية كلها إلى أصل واحد، هو السلالة السامية العربية ختمت بدعوة محمد (عليه الصلاة والسلام) التي جاءت متممة لها.

وهناك ما يدل على أن بعض القبائل العربية في الجزيرة كانت تمارس دين التوحيد الذي نادى به إبراهيم الخليل عليه السلام من قبل والذى يرتقى إيمانه به إلى زمن يسبق عهد موسى واليهود، فيقول الدكتور غوستاف لوبون: " لقد وجد بين العرب في جزيرة العرب من يعبد إلها واحدا وسمى هؤلاء بالحنفاء، وكان محمد ﷺ يحب هذا الاسم، وليست عقيدة التوحيد، التي هى من أهم مبادئ القرآن، كل ما عند الحنفاء، بل قالوا أيضا، كما قال القرآن فيما بعد، إن على الإنسان أن يسلم بقضاء الله وقدره تسليم إبراهيم حينما رأى ذبح ابنه اسحاق (والصحيح ابنه إسماعيل) ولذا لم يكن من الخطأ إخبار محمد ﷺ في القرآن بوجود مسلمين قبل ظهوره [١]، والحنيف ذكر في الغالب مقترنا بإبراهيم في القرآن الكريم مشيرا إلى وحدانية الله:{مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا} [البقرة: ١٣٥]، و{حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ} [الحج: ٣١] هذا مع العلم أن ذكر (الله) كان شائعا عند شعراء الجاهلية قبل الإسلام فمعظمهم كان يدرك معنى الإله العلى الذي يهيمن على كل شئ خالق السماوات والأرض. فقد جاء في ديوان امرئ القيس الشاعر العربى الشهير ما يشير بوضوح إلى رفضه عبادة الأصنام وميله إلى وحدانية الإله [٢].

فكان الاصطلاح " ملة إبراهيم حنيفا " شائعا عند العرب قبل ظهور الإسلام وقد اشتهر بهذا اللقب أفراد من مفكرى العرب سمت نفوسهم عن عبادة الأوثان إذ كانوا يرون أن التقرب إلى الله بالحجارة أمر لا قيمة له، لذلك فقد أطلق اللقب المذكور على من عرف بنبذه الشرك وميله إلى التوحيد [٣].

والمسعودى يؤيد ذلك بقوله: " إن العرب كانت في جاهليتها فرقا: منهم الموحد المقر بخالقه، المصدق بالبعث والنشور، موقنا بأن الله يثيب المطيع،

---

(١) " حضارة العرب "، ترجمة عادل زعيتر، ص ٩٩ - ١٠٠ (الطبعة الرابعة).
(٢) انظر " أديان العرب قبل الإسلام "، مجلة العربى، العدد ١١٦٨، تشرين الثانى ١٩٧٢،
ص ٤٤ - ٤٩.
(٣) ولفنسون، " تاريخ اليهود في بلاد العرب "، ص ٧٨ - ٨٠.

ويعاقب العاصى، فهناك من دعا إلى الله عز وجل ونبه أقوامه على آياته كقس بن ساعدة الأيادى ورئاب الشنى وبحيرا الراهب، وكانا من عبد القيس، ومنهم أمية بن أبى الصلت المتوفى سنة ٦٢٤م، وكانت تربطه بالرسول صلى الله عليه وسلم قرابة عن طريق أمه (١).

٩ ـ قبائل العرب البائدة:

وقد أورد الإخباريون العرب ذكر أسماء عدد من القبائل العربية القديمة في شبه جزيرة العرب كانت لها حضارة قديمة ترجع إلى ما قبل الميلاد، وقد ورد ذكر بعضها في القرآن الكريم، ويقول الرواة وأهل الأخبار أن هذه القبائل العربية هى من ضمن قبائل الطبقة الأولى، وهى أقدم الطبقات بحسب تقسيم الإخباريين لقدم القبائل العربية وقد سميت بالعرب البائدة بسبب انقراضها واندثارها. ويكاد يتفق المؤرخون على أن هذه الطبقة تشتمل على أقدم القبائل العربية وهى: عاد وثمود ومعين وسبأ والعمالقة وطسم وجديس وأميم وعبيل وجرهم الأولى وحضورا. ومن المتفق عليه أن جميع قبائل العرب البائدة هذه هى من أولاد إرم بن سام بن نوح عليه السلام وقد كانت على ما أورده الإخباريون موجودة في عهد إبراهيم الخليل الذي هو منها بصفته من القبائل الأرامية (٢).

والظاهر أن هلاك هذه القبائل كان بسبب كوارث طبيعية نزلت بها كالعواصف الرملية أو البراكين أو الهزات الأرضية، ولعل أهم من كل ذلك انحباس المطر واجتياح الجفاف للمنطقة مما أدى إلى نزوح الإنسان والحيوان من وطنهما والارتحال عنه إلى مناطق تتوفر فيها أسباب العيش وفى مقدمتها المياه.

أما القبائل التي كتب لها البقاء بعد هلاك الطبقة الأولى فهم العرب القحطانيون في الجنوب والعرب العدنانيون في الشمال، وقد سموا في عرف بعض النسابين " العرب العاربة " (الطبقة الثانية) والعرب المستعربة أو المتعربة (الطبقة الثالثة) على التوالى، وقحطان هو " يقطان " الذي ورد اسمه في التوراة

(١) انظر في موضوع الحنفاء:
ابن هشام، السيرة، ج١، ٢٤٢ ـ ٢٢٤؛ المسعودى، " مروج الذهب "، ج٢، ص ١٠٢، محمد بن حبيب البغدادى، " المحبر "، صدر آباد، ١٩٤٢، ص ١٧١ ـ ١٧٢؛ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينورى، " المعارف "، القاهرة، ١٩٦٠، ٥٨ ـ ٦٢؛ الألوسى، " بلوغ الأرب "، ج٢، ٢٤٤ ـ ٢٨٦؛ ابن الكلبى، " الأصنام "، ٦٠ ـ ٦١.
(٢) انظر ما تقدم عن " القبائل الأرامية والعرب البائدة "، في الفصل الأول.

وهو يقطان بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح [١]، وعلى ذلك فالقحطانيون هم أقدم عهدا من " قوم موسى ". ووطن القحطانيين الأصلى اليمن حيث تولى العرب الرياسة بعد قحطان.

أما العدنانيون ويقال لهم أيضا النزاريون أو المعديون وهم من صلب إسماعيل ابن إبراهيم وامرأته رعلة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى سموا بالعرب المستعربة لأنهم انضموا إلى العرب العاربة وأخذوا العربية منهم. ووطن العدنانيين الأول هو مكة التي اعتبرت المهد الأول للإسماعيليين ثم اضطرتهم عوامل قاهرة إلى التفوق والهجرة [٢].

وهكذا نشأت بين البيئة الشمالية والبيئة الجنوبية فروق ميزت بين عرب الجنوب أهل المدر الذين كانوا يقطنون اليمن وحضرموت وما جاورهما من السواحل، وبين عرب الشمال أهل الوبر الذين كانت غالبيتهم تعيش في بيوت من الشعر في نجد والحجاز، لذلك تفوق عرب الجنوب على عرب الشمال في حضارتهم وثقافتهم وصناعتهم وأحوالهم السياسية.

وكذلك كانت لغة أهل الشمال تختلف عن لغة أهل الجنوب، فالأولى هى لغة القرآن الكريم، أى اللغة العربية، بينما ظلت الثانية لغة سامية قديمة، أى لغة سبأ ومعين أو حمير، وهى تمت بصلة ما إلى اللغة الحبشية، كما أنها تتصل أيضا باللغة الأكدية (البابلية القديمة) من حيث تراكيب الأسماء وتصاريف الأفعال والضمائر والمفردات، ثم تراجعت لغة أهل الجنوب أمام لغة أهل الشمال التي احتلت مكانها، وقد ساعدت على هذا التحول الأسواق الأدبية ومواسم الحج السنوية المنتظمة إلى الكعبة والعلاقات التجارية التي أنشأتها مكة مع غيرها من البلدان، حتى جاء الإسلام فسادت لغة الشمال وحلت محل لغة الجنوب التي لم يبق منها غير لهجتى مهرة وسوقطرة.

أما الكتابات التي استعملها العرب في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام فتقسم إلى فرعين رئيسيين أيضا، تفرع كلاهما من خط طور سيناء، وهما الخط السامى الشمالى ويمثله الخط الفينيقى الكنعانى الذي يشمل عدة خطوط في آسيا الصغرى والخط العبرى القديم ثم الخط الآرامى وفروعه والهندى والنبطى والبهلوى والتدمرى والسريانى والعبرانى المربع المسمى (بالخط الأشورى)، والخط

(١) انظر جدول الأمم (تك ١٠: ٢٥ - ٣٠).
(٢) الدكتور جواد على، " المفصل في تاريخ العرب "، ج١، ص ٢٩٤ - ٤٠٩.

السامى الجنوبى الذي يشمل الحميرى والسبئى والمعينى واللحيانى والثمودى والصفوى، ويطلق أحيانا على بعض الخطوط الجنوبية كالسبئى والمعينى اسم الخط المسند لأن حروفه كلها عبارة عن خطوط تستند إلى أعمدة، ومن الخط السبئى اشتق الخط الحبشى، والمسند هو أعتق الأقلام التي عرفت في شبه جزيرة العرب حتى الآن. وكان قد نشأ في اليمن ثم انتقل منها إلى العراق حيث تعلمه أهل الحيرة ومنها تعلمه أهل الأنبار ومنهم تعلمته جماعة قامت بنقله إلى الحجاز.

١٠ ـ الزراعة والتجارة قوام الحضارات السامية في الشرق الأدنى:

قال تعالى في قرآنه الكريم:{وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ} [الأنبياء: ٣٠]، فمنذ الأزل كان الماء ومازال مصدر الحياة والازدهار، فما قامت حضارة ذات شأن في تاريخ الإنسان القديم إلا كانت الزراعة وما يرافقها من مشروعات إروائية تحتضن تلك الحضارة، فتسير معها جنبا إلى جنب في مسيرة تطورها وتقدمها.ولا أدل على ذلك من ازدهار الحضارات القديمة على ضفاف الأنهار حيث الماء والأرض، العنصران الأساسيان لازدهار الحياة. وعلى هذا قامت في ربوع الرافدين - دجلة والفرات - وفى وادى النيل أقدم وأرقى حضارتين معروفتين في تاريخ العالم القديم، وقد كان لوادى الرافدين نصيب أكبر في الدور الذي لعبه في تأسيس أقدم الإمبراطوريات السامية في العالم وذلك في ظل أقدم نظام للرى الدائم عرفه التاريخ.

وقد أطلق العلماء على هذه الحضارات تسمية الحضارات الإروائية أو الحضارات النهرية، أى الحضارات التي تقوم على الزراعة المعتمدة على الإرواء لتمييزها عن الحضارة المطرية التي تعتمد في إروائها على الأمطار فقط. فكانت مراكز هذه الإمبراطوريات على ضفاف وادى الرافدين، فعواصم الأكديين والبابليين والكلدانيين كانت على ضفاف نهر الفرات وعاصمة الأشوريين على نهر دجلة، وكان وادى الرافدين الخصيب الموئل الرئيسى الذي أسست على ضفافه أقدم المستوطنات الزراعية السامية فامتدت على طول النهر ابتداء من " كركميش " (- جرابلس) شمالا حتى بلدة " كيش " في جوار بابل جنوبا على مسافة حوالى ١٤٠٠ كيلو مترا بطريق النهر وذلك لتوافر العناصر الأساسية للحياة فيه، وهى الماء والأرض وحرارة الشمس.

ويرى الأستاذ " كوتزه " : أن سيطرة الملوك الساميين القدامى امتدت إلى أبعد من ذلك جنوبا فشملت بلدة " نيبور " (نفر الحالية) البلدة السومرية المقدسة

[(1)]، وكانت أبرز الحضارات التي ازدهرت على النهر حضارة " تل حلف " في منابع نهرى البليخ والخابور،وهى ترجع إلى ٤٨٠٠ سنة قبل الميلاد ثم حضارة العموريين في " مارى " وفى " باغوز " والأخيرة ترجع إلى أكثر من ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد، ثم حضارة " حمدة نصر " في العراق التي ترجع إلى سنة ٣٥٠٠ ق.م.

وقد ذهب بعض الباحثين إلى التأكيد أن توسع الأعمال الزراعية والحاجة إلى تنظيم مشاريع الإرواء هى التي خلقت الحكومة، وقد عد تنظيم الرى للأغراض الزراعية عند كثير من الباحثين عاملا بالغ الأهمية في إحداث التماسك الاجتماعى والسياسى، ولا عجب في أن أقدم الشرائع المعروفة في العالم ظهرت في وادى الرافدين، وهى تعالج بالدرجة الأولى ما يترتب على الفلاح من واجبات وعلاقته مع الذين لهم صلة بالمسك الزراعى الذي يعتمد على الإرواء.

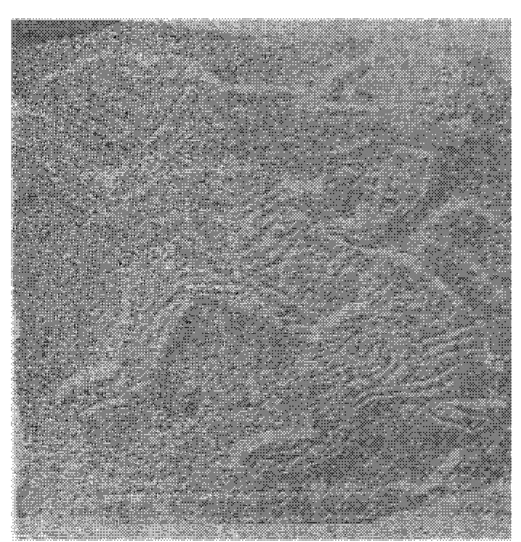
ومما لا جدال فيه أن حاجة سكان وادى الرافدين القدامى إلى توسع رقعة أراضيهم الزراعية بعد تكاثر عددهم هى التي دفعت بهم إلى إتقان هندسة الرى المشتملة على شق الجداول السيحية ونقل المياه إلى مسافات طويلة حتى تصل إلى الأراضى الزراعية فترويها سيحا. هذا فضلا عن إتقان وسائل رفع المياه إلى الأراضى المرتفعة مما أدى بهم إلى اختراع الدولاب واستخدام الطاقة المائية والحيوانية في تدويره. وقد رافق هذا الإتقان دراسة العوامل الطبيعية وتأثيراتها على الحياة الزراعية كمعرفة المواسم وخصوصا مواسم الفيضان وتتبع الأحوال الجوية والحركات الفلكية وما إلى ذلك من الأمور المتصلة بالزراعة كتعيين مواسم كل من الزروع الشتوية والصيفية. هذا كما أدى التوسع في الأعمال الزراعية إلى إتقان أعمال المسح بغية تحديد حدود ملكيات الأراضى وذرعة المساحات، ومن ضمن ذلك تثبيت قواعد خاصة للمقاييس الطولية والسطحية والحجمية وكذلك المكاييل والموازين.

وقد كان لاختراع المحراث أثر كبير في التقدم الزراعى، وقد تمخض عن كل ذلك تأسيس المدن على ضفاف الأنهار وتجمع السكان في مجتمعات مدنية تتولاها حكومات ذات سلطة تحكم بموجب أنظمة وقوانين تعالج الشئون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وقد كان للدين دور رئيسى في تحديد

(1) A.Goetz, “Early Kings of Kish”, Jour. Of Cuneiform studies, XV, No. 3, p.111.

العلاقات الشخصية والعامة في هذه المجتمعات. وكان تجاوز الإنتاج الزراعى المقدار المطلوب لسد حاجات الاستهلاك المحلى حافزا على التعامل مع البلاد المجاورة التي تحتاج إلى الأطعمة.

ومن هنا توطدت العلاقة التجارية لتصدير المنتوج الزارعى واستيراد الحاجات غير المتوفرة في البلد المصدر للحبوب كالمعادن والأحجار الكريمة وغيرها من المواد. ومما يدل على أهمية التجارة كعنصر أساسى في حياة المجتمع العربى القديم أن القبائل العربية رغم اختلافها ونزاعها الدائم المستمر فيما بينها قد اتفقت على تعيين أشهر يحرم القتال فيها وذلك لتأمين سلامة القوافل التجارية وتجار القبائل [١]، ولذلك يمكن القول بأن حضارة وادى الرافدين القديمة كانت قائمة بالدرجة الأولى على عاملين رئيسيين هما: الزراعة المعتمدة على الإرواء ثم على التبادل التجارى، وأوضح دليل على صلة الرى بالحضارة بصورة عامة أن الإله " أنكى " (آيا) إله المياه كان ذاته يعتبر إله الحضارة.



التصوير رقم (٥٤)
نقش رائع من حفائر تل حلف

١١ ـ حياة البداوة في الجزيرة العربية ونظمها [٢] :

ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن الجزيرة العربية خلفت حضارة خاصة بها إلى جانب الحضارة النهرية حملت معها الطابع العربى السامى الأصيل إلى

(١) الخربوطلى، العرب والحضارة، ص ٢٣.
(٢) انظر كتاب الدكتور صالح العلى، " محاضرات في تاريخ العرب "، ص ١٠٤ - ١٤٢.

المناطق المجاورة، ولا تزال آثار هذه الحضارة تتمثل بحياة البداوة ونظمها المعمول بها في المجتمع البدوى حتى يومنا هذا، وقد يحسن أن نعرض هنا نبذة عن حياة البداوة ونظمها وتقاليدها التي ورثتها من العصور القديمة:

إن أولى صفات البدوى عيشة حياة ترحال دائمة قائمة على التنقل من مكان إلى آخر حيث توجد الآبار والعيون والمراعى، وهذه الصفة هى أساس حياته منذ أن وجد في موطنه الصحراوى، والبدوى مرتبط قبل كل شئ بالأسرة والقبيلة والنظم القبلية التي تستند إلى العرف والتقاليد التي ورثها عن أسلافه منذ أقدم الأزمنة، هذا مع تمتعه بحق الحرية الشخصية برغم صلته بأسرته وقبيلته، لذلك فوطنية البدوى وطنية قبلية، هى يحمى القبيلة والقبيلة تحميه، هذا ما يسمى بالعصبية. فالقبيلة أساس الحياة الاجتماعية في الصحراء التي فرضت هذا النظام من الحكم وما يرافقه من حقوق وواجبات بالنسبة لأفراد بعضها مع بعض.

وتتفرع القبيلة إلى فروع كثيرة لكل منها شيخ يرأسها ويعرف كل فرد نسبه وصلته بكل فرع من الفروع، ويتزعم شيوخ القبائل شيخ أرفع مقاما يعرف بشيخ المشايخ. وقد تظل الرئاسة في أسرة واحدة عدة أجيال ولكن يتوقف ذلك على موافقة القبيلة، وقد يعزل الشيخ وتنتخب القبيلة رئيسا آخر. أما سلطة الشيخ فتعتمد بالدرجة الأولى على صفاته الشخصية والثقة التي يتمتع بها بين أفراد عشيرته، ولشيخ المشايخ سلطة تقرير الحرب والسلم وعقد الاتفاقيات فهو صاحب الاختصاص في ذلك مع مراعاة مطاليب جمهور العشيرة وبعد استشارة مشايخ قبيلته.

وأكثر النزاعات في هذا المجتمع البدوى مبعثها تنازع البقاء في الجزيرة منذ القدم إذ تدور حول الماء والمرعى مما أدى إلى التناحر بين القبائل وغزو بعضهم البعض، ومع أن الصراع فرق البدو إلى شيغ صغيرة متنافرة، ولكن نضالهم المشترك ضد الطبيعة القاسية قد قرب بعضهم من بعض وأدى إلى أن اعترف العرب جميعا بواجب واحد وغالوا في المحافظة عليه ألا وهو واجب الضيافة وحماية اللاجئ المستجير، وقد أطلق العرب القدماء على هذه الصفات لقب " المروءة " وهى تشمل الكرم والشجاعة معا.

ولما كان البدوى مسئولا عن حماية نفسه وحماية قطعانه في الصحراء المنعزلة فقد أصبح محاربا بالفطرة مقاتلا شجاعا لا يبزه أحد في استعمال القوس والحربة وغيرهما من السلاح، وقد أكسبت الطبيعة البدوى صفات تناسب بيئته،

فهو ضعيف الوزن، نحيف البدن، قوى نشيط، يتحمل التعب والمشقات، وعظيم الصبر والاحتمال، يكفيه طعام قليل متواضع، وصفات البدوى هى نفس صفات الجنس السامى: الفطنة، والذكاء، والدهاء، وسرعة البديهة، والخيال المتوقد، ويتميز بالكبرياء وعزة النفس التي تبدو واضحة في عينيه السوداوين إلى جانب فصاحته " (١).

ويصف الأستاذ عبد الجبار الراوى خبير البادية المعروف مسكن البدوى فيقول: " ليس في البادية مساكن ثابتة وإنما هناك بيوت شعر للسكنى ومنها البيت الصغير الذي لا يكاد يسع أصحابه، ومنها الكبير جدا ذو الأعمدة الذي يستوعب الأهل والضيوف وربما أدخلوا فيه (في الشتاء القارص حيث تتجمد المياه) صغار الغنم والإبل والخيل خوفا عليها من البرد، وبعض بيوت الشعر صغير مرفوع بعمودين فقط وبعضها مرفوع بثلاثة أعمدة وأربعة.

ويقسم البدو بيوت الشعر الكبيرة إلى شبه غرف مستقلة بينها الحواجز المصنوعة من الشعر أو القصب وتخصيص كل قسم لغرض معين فواحد للضيوف، والآخر للنوم، والثالث للطبخ. وكثير من البدو يصنعون بيوتهم بأيديهم وأيدى نسائهم غزلا ونسجا من شعر الماعز وأوبار الإبل... والبدوى راضى جدا بحالته... وما يزيد في ارتياحه وسروره أنه خفيف الحمل، يرحل في أى وقت شاء من الشرق إلى الغرب، ومن الغرب إلى الشرق، أو من الشمال إلى الجنوب، أو بالعكس إذا دعاه داع إلى المرعى والأرض، لا يمنعه من ذلك مانع، فيعمد إلى إبله يشد عليها رحاله، ويحملها ما عنده ويرحل إلى حيث يريد ويختار، هذا هو سر رضا البدوى، وتفضيله هذه الحياة الحرة على قيود القرى والمدن والانقياد لأحكام القوانين والأنظمة " (٢).

إن القواعد في حسن الدعاوى في البادية قديمة توارثها الأبناء عن الآباء، وللبدوى حق طلب التحكيم عند أحد (العوارف) في حالة نزاعه مع خصمه، وأحكام (العوارف) أن تكون نافذة، لكن يجوز استئنافها عند (عوارف) آخرين أكثر شهرة إذا اتفق الطرفان على اختيارهم، والعوارف هم الخبراء من ذوى الاختصاص يختص كل واحد منهم بقضايا معينة يرجع إليه في الفصل فيها.

وكان العوارف يعرفون عند العرب القدمين باسم العرافين، وقد أفاضت الكتب

(١) دكتور على حسنى الخربوطلى، " العرب والحضارة "، ص ٢٨.
(٢) " البادية "، الطبعة الثانية، ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

بأخبار هؤلاء وأحكامهم [١]، " والفقه البدوى فقه فطرى يقوم على العرف والعادة، تمشت عليه القبائل منذ أقدم الأزمنة حتى أن بعض قضاتهم كان يرجع في قضية فصل فيها شيخ قبل مائة سنة قبل أن يفصل في قضية مشابهة. وربما اختلف هذا الفقه عند غيرهم اختلافا بسيطا في الأصول فقط، ولكنه يتشابه من حيث الأساس. ويمكن تصنيف الفقه البدوى إلى فقه عام، وفقه خاص. ويقسم الفقه العام إلى خارجي، وعندهم منه إعلان الحرب، وحقوق الغزاة والصلح. وفقه داخلى، وعندهم منه إدارة العشيرة الداخلية " [٢].

والجزيرة العربية نزلها الساميون من العرب منذ أقدم الأزمنة وكان جدب الجزيرة العربية وخشونة الحياة فيها من أهم عوامل نجاتها من الاستعمار والنفوذ الأجنبى، ولما كثر عدد السكان وضاقت بهم الجزيرة خرجوا إلى البقاع المنتشرة على مشارف الجزيرة العربية وطبعوها بالطابع السامى، ولكن معظم هؤلاء العرب احتفظوا ببداوتهم ولم يقبل على الزراعة والتجارة إلا نفر قليل منهم. كانت الجزيرة العربية متوسطة بين الشرق والغرب وكانت قوافل العرب التي تنقل البضائع التجارية تجوب أرجاء العالم القديم مما أدى إلى اتصال العرب بمعالم الحضارات المختلفة فتأثروا بها إلى حد ما ولكن دون أن يفقدوا خصائص التراث البدوى الصحراوى الذي هو أساس الحضارة السامية.

ويحدثنا علماء الاجتماع عن هذا التراث فيذهبون إلى أنه يمثل ثقافة اجتماعية قائمة بذاتها لها طابعها ومقدساتها الخاصة بها، وهى المعروفة بالإنجليزية بمصطلح (Culture)، كما يحدثنا أخصائيو علم الاجتماع عن تأثير البداوة في حياة المجتمع المتمدن بحيث يصبح البدوى المتحضر متقمصا شخصية مزدوجة، فالشعب الذي هجر حياة البداوة وأخذ بسبل الحضارة وبقى في حياته الاجتماعية تحت تأثير النزعة القبلية البدوية فصار يعانى صراعا اجتماعيا ونفسيا على توالى الأجيال، فهو من ناحية لا يستطيع أن يطمئن إلى قيمه الحضرية زمنا طويلا، لأن الصحراء تمده بين كل آونة وأخرى بالموجات التي تقلق عليه طمأنينته الاجتماعية، ولا يستطيع من الناحية الأخرى أن يكون بدويا كابن الصحراء لأن الحضارات المنبعثة من وفرة مياهه وخصوبة أرضه تضطره

(١) المرجع السابق، ص ٢٧٨.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٨٠.

إلى تغيير القيم البدوية الوافدة إليه لكى يجعلها ملائمة لظروفه الخاصة [١]، وهذا إن دل على شئ إنما يدل على صحة كون الجزيرة العربية منبع الهجرات السامية إلى الهلال الخصيب وبذلك تعتبر بحق مهد الحضارة السامية العربية.

١٢ ـ دور الجمال في تأمين المواصلات الصحراوية:

وقد لعب الجمل بعد تدجينه دورا مهما في تأمين المواصلات الصحراوية وتنمية الصلات التجارية في جميع أنخاء الشرق الأدنى، إذ كانت الإبل عماد حياة البدو في الصحراء، يأكلون من لحومها ويشربون من ألبانها، ويكتسون من أوبارها، ويقومون بها ثروتهم، ويفتدون بها أسراهم، ويمهرون بها في الزواج، ولجميع هذه الأسباب اهتموا بتربية الإبل وكيفوا حياتهم وفقا لحياتها، ورحلوا من مكان إلى آخر من أجلها، وبنوا كثيرا من لغتهم عليها، وضربوا فيها الأمثال الكثيرة، وتغنى الشعراء في وصفها وحدائها، وكانت لدى العرب أيضا الخيل يعنون بها، ولكنها كانت متاع المترفين، بينما كانت أفبل متاع العرب جميعا [٢].

والإبل عند البدو أصناف منها الأصلية ومنها ما يقتصر استخدامه في السفر وحمل الأثقال وتعتبر جمال الحسا من أحسن الجمال. والجمال الأصلية عند البدو هى العمانية والحرة والبطينية والأرضية. ويدعى القطيع الأبيض من الجمال بالمفاذير أما النياق البياض فتدعى بالوذة وهناك قطعان سوداء تدعى بالشروف، وبصورة عامة فإن الجمال البيضاء والفاتحة تأتى من الشمال والسوداء والغامضة تأتى من الجنوب، وللضفير وعنزة فخر بقطعانها البيضاء أما عتيبة فجمالها سوداء بينما تفضل العوازيم والمطير الجمال الحمراء وقد يفخر المطير أيضا بالشروف. وتدعى الناقة المستعملة للركوب الذلول.

ولكل قبيلة وشم خاص بجمالها وأبالها فيضع آل سعدون في المنتفك خلقه دائرية على الخد الأيسر للجمل أما الضفير فتضع خطا عموديا في الرأس الأعلى للحيوان[٣].

ويستفاد من النصوص القديمة أن الجمال استخدمت منذ زمن بعيد كواسطة نقل صحراوية تربط الجزيرة العربية بأجزاء منطقة الهلال الخصيب التي نزح

(١) الدكتور على الوردى، " دراسة عن طبيعة المجتمع العراقى "، الفصل الأول الصراع بين الحضارة والبداوة.
(٢) الخربوطلى، " العرب والحضارة "، ص ٢٩.
(٣) " البدو والقبائل الرحالة في العراق " تأليف مكى جميل، ١٩٥٦، ص ١٨٥ - ١٩٠.

إليها أهل الجزيرة العربية مما سهل الاتصال بين الوطن الأم والمستوطنات الجديدة، وبذا كان للجمال دور هام في تأمين المواصلات الصحراوية وتنمية الصلات التجارية في جميع أنحاء الشرق الأدنى. وقد احتكر البدو ورعاة الإبل وسائل النقل بين العراق وبلاد الشام وبين الشام وبلدان البحر المتوسط وبلاد الحجاز وشمال الجزيرة وجنوبها. وقد مكنهم ذلك من مد نفوذهم وبسط سيطرتهم على طرق المواصلات والمدن التي تمر منها القوافل، الأمر الذي أتاح لهم المجال لجمع ثروة كبيرة من اقتناء قطعان الجمال. لذلك كانت بعض القبائل على تقتني سوى الإبل التي عليها مدار معيشتها وليس لها من الغنم ما لا يكفيها وضيوفها من لحومها.

وصفات الجمل تؤهله لسكنى البرية، ففى معدته تجويف مقسوم إلى غرف أو حويصلات تملتئ عند شربه ماء يكفيه مدة تختلف بين العشرين والثلاثين يوما، وأما طعامه فأغصان الأشجار والشوك والعشب... إلخ. وهو يحمل من ١٠٠ إلى ١٦٠ رطلا ومعدل سيره ثلاثون ميلا في اليوم وهو يعمر من الثلاثين إلى الأربعين سنة، ولحم الجمل ولبنه ووبره وجلده نافع للإنسان لذلك يعد اقتناؤه من الغنى والثروة.

ومما يدل على وجود الجمال في الجزيرة العربية منذ عصور واغلة في القدم عثور المنقبين على تصوير الجمل منقوش على صخرة في جبل " طبيق " عند الحدود الجنوبية الشرقية للأردن في الموقع المسمى " قلوة " (Kilwah) يرجع تاريخه إلى العصور الحجرية (العصر الميسوليثى) ويمثل هذا التصوير حملا ذا سنام واحد وهو نفس نوع جمال الجزيرة العربية حاليا. كما ورد عن عثورهم على صورة جملة لهجين وراكبه ترجع إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، وظهور الراكب في الصورة يدل على أن الجمل دحن في هذه المناطق منذ زمن بعيد. وقد عثر أيضا على تصاوير للجمل في النقوش المصرية ترجع إلى الألف الثالثة قبل الميلاد (١).

وقد أثبت العلماء وجود الجمال بنوعيها، ذى السنام والسنامين، في زمن الأكديين (القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد) وقد استخدموه في تنقلاتهم الصحراوية، وأن تسمية " جملو " و " إيبلو " الأكدية مأخوذة من كلمتى " جمل "، و " إبل " العربيتين، وقد عرف الجمل عند السومريين أيضا وكانوا يطلقون عليه اسم (حمار أرض البحر)

(1) Hitti, "History of Syria", PP. 52 - 53.

وأرض البحر عندهم صحراء سواحل الخليج، وقد عثر أيضا على ألواح طينية نقش عليها صورة الجمل في " الورفاء " في جنوبى العراق، وفى " عقرقوف " (دور كوريكالزو) عاصمة الكاشيين.

ويؤخذ من مدونات التوراة أن من جملة مقتنيات إبراهيم الخليل كانت الجمال[١]، وكما أن هذه المدونات تدل على أن الإسرائيليين كانوا يستخدمون الجمال في تنقلاتهم بين فدان أرام في منطقة حران وفلسطين [٢]، وكانت في جملة قطعان يعقوب الإبل [٣]، وقد أشارت التوراة إلى استخدام المديانيين والعمالقة للجمال في أخبار قتالهم مع الموسويين [٤]، وقد ورد في سفر أيوب ما يشير إلى أن أيوب كانت له سبعة آلاف جمل [٥].

إن أكثر ما كان يستخدم الموسويون في تنقلاتهم الحمير، وكان الجمل معدودا من الحيوانات غير الطاهرة بحسب الشريعة اليهودية [٦].

ويقول الباحثون: أن الجمل كالحصان يرجع أصله إلى قارة أمريكا وهو وحشى وقد هاجر على تلك الحال إلى شمال شرقى آسيا قبل ملايين من السنين عندما كانت أمريكا وآسيا قارة واحدة، ومن هناك وصل إلى شمال غربى الجزيرة العربية وإلى جنوبى سورية وذلك عن طريق كشمير والهند [٧].

(١) (تك، ١٢: ١٦، ٢٤: ٣٥).
(٢) (تك، ٢٤: ٦١، ٦٣، ٦٤).
(٣) (تك، ٣٠: ٤٣، ٣١: ١٧).
(٤) (قض، ٦: ٥، ٧: ١٢، ٨: ٢١، ٢٦)؛ (١ صم، ١٥: ٣، ٢٧: ٩، ٣٠: ١٧).
(٥) (أيوب، ١: ٣٠، ٤٢: ١٢).
(٦) (لا، ١١: ٤)؛ (تث، ١٤: ٧).
(7) Hitti, "History of Syria", P. 52.



التصوير رقم (٥٥)

تمثال من الطين المشوى يمثل فتاتين عربيتين شاعرتين تمتطيان جملا

وتشاهد الفتاتان في هودجهما المريج إحداهما تنفخ بالأرغول والثانية تضرب على الطبلة، وهذا التمثال محفوظ في متحف اللوفر في فرنسا ويرجع زمنه إلى عهد الرومان ويظهر أن هذا المنظر كان محببا عند السوريين في ذلك الزمان.

وقد أعد المستر فورنس صاحب الدراسات العلمية الشهيرة بحثا مستفيضا عن تاريخ ظهور الجمال في الجزيرة العربية، فيقول في ختام بحثه: " إن الإحصاءات الأركيولوجية التي بين أيدينا تسوقنا إلى أن نستنتج أن الجمل دجن في أواسط آسيا في أواخر العصر الحجرى النيوليثى (٧٠٠٠ - ٥٠٠٠ ق.م) وربما دجن واستخدم في الجزيرة العربية قبل ذلك من فصائل أخرى من الجمال الوحشية [(١)].

ويرى ألبرايت أن الجمل لم يدجن ولم يستخدم في أغراض النقل في جزيرة العرب إلا في أواخر النصف الثانى من الألف الثانية قبل الميلاد، أما ما قبل ذلك " فقد كان العربى لا يستطيع اجتياز البوادى واختراقها لأن حماره الذي كان واسطة التنقل عنده لا يتحمل ولوج البادية ولا يستطيع أن يعيش فيها وأن يصبر

(1) R. J Forbes, “The coming of the camel”, Stydies in Ancient Technology, Vol. II. Leiden, 1955, pp. 187 - 203.

عن شرب الماء أو الأكل صبر الجمل، لذلك كان عرب الجزيرة في الألف الثانية قبل الميلاد وقبل وقت تدجين الجمل رعاة في الغالب، وسائط تنقلهم الحمير، ولم يكونوا قد طرقوا البوادى أو توغلوا فيها توغل العرب أصحاب الوبر فيما بعد " المفصل في تاريخ العرب " للدكتور جواد على ١٩٨١ جاء هذا الرأى مخالفا لما توصل إليه الباحثون. أما نحن فنرجح الأخذ برأى الباحثين الآخرين الذين يرجعون وجود الجمل في الجزيرة العربية إلى زمن أبعد بكثير مما أورده ألبرايت.

١٣ ـ الخيول العربية في جزيرة العرب:

اشتهرت جزيرة العرب بالخيول العربية التي امتازت بوفرة وجودة نوعها، فيمتاز الجواد العربى بجماله وحسن تركيبه وطباعه وشدة صبره وتحمله الجوع والعطش وشدة البرد والحر، فلا يدانيه بهذه الصفات أى جواد من عروق الخيول الأخرى، والجواد العربى سريع الجرى لا تسبقه غير خيل السباق الإنجليزية الأصلية المعروفة بـ (الثوربورد) والتى يجرى في عروقها دم الخيول العربية، والسلالات الأصلية من الخيول العربية هى ثمرة ما جادت به جزيرة العرب التي تؤول إليها كافة أنساب الخيول العربية الممتازة في العالم، فلعشائر شمر في الشمال وفى الشمال الغربى وعنزة في الغرب والضفير، وآل سعدون في الجنوب وفروع هذه العشائر وغيرها يؤول الفضل في تربية السلالات العريقة والمحافظة عليها ومنها انتشرت إلى مختلف الأقطار.

١٤ ـ اللغة العربية هى اللغة الأم لجميع لهجات الأقوام السامية:

والمسلم به بإجماع الباحثين أن القبائل العربية التي نزحت من الجزيرة العربية كانت كلها تتكلم لغة واحدة هى اللغة العربية الأصلية قبل أن تتفرق " وكانت الأرض كلها لسانا واحدا ولغة واحدة [١] ". ثم تفرع من هذه اللغة عدة فروع الطبع كل منها بطابع المكان والبيئة الجديدة على مقتضى ناموس الارتقاء، وهكذا تطورت اللغة الأصلية تتطور لهجات الأقوام الناطقة بها في مستوطناتها الجديدة حتى أضحت هذه اللهجات مغايرة لأصلها، ولكنها مهما تباعدت بألفاظها وتشعبت تراكيبها فإنها بقيت محتفظة بالخصائص الأصلية التي تتميز بها لأنها ترجع إلى أصل واحد مشترك. وقد سمى العلماء هذه اللهجات باللهجات أو اللغات السامية نسبة إلى سام بن نوح تمييزا لها عن اللغات الآرية والطورانية. وتتميز

(١) (تك، ١١: ١).

صفات اللغة السامية في كونها مؤلفة من أصول ثلاثية الأحرف ثابتة وتمتاز بحصول معظم الاشتقاق بواسطة تغيير الحركات وعلى هذه الحركات يتوقف نوع الدلالة. ولما كان العلماء قد صاروا يعتمدون على أصل اللغات في تعيين صلات الأقوام بعضها ببعض، فقد قسم بعض علماء الساميات (اللغات السامية) إلى أربع مجموعات هى المجموعة السامية الشرقية، ومنها الأكدية والبابلية والأشورية، والمجموعة الشمالية ومنها العمورية والأرامية، والمجموعة الغربية، ومنها الكنعانية والفينيقية والموآبية والعبرانية، والمجموعة الجنوبية، ومنها المعينية والسبئية والأثيوبية والعربية والأمهرية.

ويرجح عدد من الخبراء أن اللغة التي يتكلم بها بدو الجزيرة العربية حاليا هى أقرب جميع اللهجات إلى اللغة العربية الأصيلة التي كان يتكلم بها أبناء الجزيرة قبل أن تنفصل لهجاتهم في مستوطناتهم الجديدة، وذلك على أساس أن هؤلاء بقوا منعزلين في صحرائهم دون أن يختلطوا بالأقوام الأخرى الغريبة في لغاتها وقومياتها. وفى هذا الموضوع.

يقول الأستاذ أولمستيد: " إن البدو العرب كانوا أول من تكلم باللغة السامية، وإذا أردنا أن نتفهم الخصائص الأصلية لهذه المجموعة من اللغات السامية على حقيقتها فعلينا أن نتجه إلى العربى ابن البادية الذي يجوب شمال جزيرة العرب، لأن هؤلاء هم وحدهم حافظوا على العادات والتقاليد القديمة دون أن يطرأ عليها أى تغيير " (١).

وممن أيد ذلك من المحققين المستشرقين الباحث المعروف عبد الله فيليبى الذي قام بدراساته المسهبة لأحوال جزيرة العرب، والذى يقول: " أن اللغة العربية التي يعترف الخبراء في كونها أقرب من جميع اللغات السامية إلى اللغة الأم الأصلية التي اشتقت فيها جميع هذه اللغات هى على أغلب الاحتمالات أقدم لغة في العالم مازالت حية حتى يومنا هذا " (٢).

ويرجع الفضل إلى القرآن الكريم الذي حافظ على أصل اللغة الأم - لغة الضاد - وهى مازالت اللغة التي يتكلم بها أكثر من ثمانين مليون نسمة في الأقطار العربية العديدة، وذلك رغم تعرض البلاد إلى غزوات الكثير من الأقوام الغريبة في ثقافاتها ولغاتها قبل ظهور الإسلام. فقد صمدت الثقافة العربية السامية

(١) أولمستد، " تاريخ فلسطين "، ص ٣٦.
(٢) المستر فيليبى، " تاريخ العرب قبل الإسلام "..

أمام جميع هذه التيارات مما يدل على أن التراث العربى العريق في حضارته وحيويته كان أقوى وأمضى من جميع الثقافات الأخرى التي استوطنت الشرق الأدنى وهو ما يزال سائدا في جميع البلاد المعروفة بالبلاد العربى حتى يومنا هذا محتفظا بخصائصه دون أن يندمج أو يزول من الوجود.

وفى تعليق للدكتور جواد على حول هذا الموضوع يقول: " وبالجملة إن هناك جماعة من المستشرقين ترى أن اللغة العربية على حداثة عهدها بالنسبة إلى اللغات السامية الأخرى، هى أنسب اللغات السامية الباقية للدراسة وأكثرها ملائمة للبحث، لأنها لغة لم تختلط كثيرا باللغات الأخرى، ولم تتصل باللغات الأعجمية قبل الإسلام، فبقيت في مواطنها المعزولة صافية، أو أصفى من غيرها في أقل الأحوال، ثم إنها حافظت على خواص السامية القديمة مثل المحافظة على الأعراب، على حين فقدت هذه الخاصة المهمة أكثر تلك اللغات، ولهذه الأسباب وغيرها رأوا أن دراستها تفيد كثيرا في الوقوف على خصائص السامية القديمة ومزاياها [١].

ويرى " نولدكه " الخبير في اللغات السامية، مثل هذا الرأى إذ يقول: " إنه لمن الضرورى عند القيام بدراسة مقارنة بين اللغات السامية البدء باللغة العربية، وذلك بأن ندون خصائصها ومميزاتها وقواعدها وطريقة نطق ألفاظها وما إلى ذلك ومن ثم مقارنة هذه النتائج مع ما يقابلها في بقية اللغات السامية حتى نقف على ما بين تلك اللغات من مفارقات ومطابقات " [٢].

وقد أيده في هذا الرأى " دى غويه " إذ أنه " يرى أن اللغة العربية، من بين جميع اللغات السامية، هى أقربها إلى اللغة السامية الأم وأكثرها اتصالا مباشرا بها " [٣].

ومثله يؤيد الدكاترة حتى وجرجى وجبور هذا الرأى بما نصه: " إن السبب في كون عرب الجزيرة ولاسيما البدو بنوع خاص خير من يمثل السلالة السامية من النواحى البيولوجية والنفسية والاجتماعية واللغوية، يعود إلى انعزالهم الجغرافى واتساق الحياة المطرد في الصحراء، فكان النقاوة السلالية هى المكافأة

(١) الدكتور جواد على، " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام "، ج١، ص ٢٥٥ - ٢٥٦.

(٢) الدكتور جواد على، " تاريخ العرب قبل الإسلام "، ج٧، ص ٢١.

(٣) الإبراشى، " الآداب السامية "، ص ١٠.

التي تمنحها البيئة المقفرة الشديدة النكرات كتلك التي في أواسط جزيرة العرب، ولقد أصاب العرب في تسمية بلادهم جزيرة العرب، فهى جزيرة حقا تحيط بها المياه من جهاتها الثلاث والرمال من جهتها الرابعة وتعتبر هذه الجزيرة مثلا للعلاقات التي لا تنقطع بين السكان والتربة. ولسنا نعرف فاتحا أو غازيا نجح في اختراق الحواجز الرملية لهذه الجزيرة وفى تثبيت قدميه في تلك البلاد. أجل لقد ظل سكان الجزيرة كما هم طيلة أزمان التاريخ " (١).

ويؤيد الدكتور ولفنسن أيضا هذا الرأى إذ يقول: " يؤكد العلامة أولسهوزن أن اللغة العربية هى أقرب جميع لغات الساميين إلى اللغة السامية القديمة ودعم رأيه هذا بجملة شواهد وأدلة ارتاح لها كثير من علماء الإفرنج... ونحن إذا نظرنا إلى المعضلة من ناحية القرابة بين إحدى اللغات السامية واللغة الأصلية يمكننا أن نقول أن اللغة العربية تشتمل على عناصر لغوية قديمة جدا بسبب وجودها في مناطق منعزلة عن العالم بعيدة عما يتوارد عليه من تقلبات وتغيرات يكثر حدوثها وتختلف نتائجها اختلافًا مستمرا في البلدان العمرانية " (٢).

ومع أن الأستاذ أوليناري يؤيد كون الجزيرة مهد اللغات السامية وأن اللغة العربية تمثل اللغة السامية النقية لعدم تأثرها بالعناصر الأجنبية إلا أنه يرى بأن اللغات السامية لم تأخذ بساميتها الخالصة إلا بعد خروجها من موطنها الأصلى أى بعد احتكاكها مع خليط من السكان غير الساميين نتيجة للهجرات من جزيرة العرب فيقول: " يبدو أن اللغة العربية تمثل إلى حد معين اللغة السامية النقية لأنها حافظت على كونها اللغة الأقل تأثرا بالعناصر الأجنبية، ولكننا غالبا ما نجد بأنه على الرغم من اختفاء التراكيب العربية في العبرية والأشورية بعد أن كانت ظاهرة فيها بوضوح تام فإن آثارها باقية في العربية... وقد كان انتشار اللغات السامية من الجزيرة العربية كمركز لها، وهذا لا يحتم بأن الجزيرة العربية كانت موطنا للجنس السامى، أو أن اللغات السامية لم تكن مقتبسة من اللغة الحامية أو غيرها. غير أن الشئ الواضح هو أن الجزيرة العربية كانت الموضع الذي ظهرت فيه الخصائص التي تتميز بها اللغات السامية، إلا أننا لا يمكننا اعتبار اللغة ظاهرة بساميتها الخالصة إلا بعد خروجها من موطنها الأصلى، إذ نستطيع أن نحدد بثقة وإلى حد بعيد تاريخ الفترة أو التاريخ المضبوط في بعض الأحيان

(١) الدكاترة حتى وجرجى وجبور، " تاريخ العرب "، الطبعة الرابعة، ص ٨.
(٢) ولفنسون، " تاريخ اللغات السامية "، ص ٧.

لظهور إحدى اللغات السامية خارج الجزيرة العربية، هذا في حين أنه ليس لدينا أى دليل يقودنا إلى تحديد تاريخ ظهور اللسان السامى الأول في الجزيرة.

ويدلنا التاريخ على أن انتشار اللغات السامية مرتبط بهجرات الساميين المتتابعة من جزيرة العرب إلى بلاد ما بين النهرين، وأرض كنعان، وسورية، والحبشة، وشمال أفريقيا. أما تكوين اللغات خارج الجزيرة كانت تحت تأثير التداول بين خليط من السكان غير الساميين مما أدى إلى حدوث تغييرات لفظية وتعديلات لغوية فضلا عن إهمال القواعد النحوية، كل ذلك أدخل عدة إضافات على مفردات اللغة " (١).

١٥ ـ سامية أم عربية:

إن تسمية " السامية " أطلقت على الشعوب التي زعم أنها انحدرت من صلب سام ابن نوح، وكان أول من أطلقها بهذا المعنى العالم النمساوى شلوتزر عام ١٧٨١ للميلاد فشاعت منذ ذلك الحين وأصبحت عند علماء الغرب علما لهذه المجموعة من الشعوب وسرت إلى المؤرخين العرب وباحثيهم بطريق الاقتباس والتقليد، على الرغم من أن هذه التسمية لا تستند إلى واقع تاريخى أو إلى أسس علمية عنصرية صحيحة أو وجهة نظر لغوية، إذ تعتبر أكثر ما تعتبر الحدود الجغرافية والعلاقات السياسية (٢). فكتبة التوراة مثلا حشروا في السامية شعوبا لا يعدها العلم الحديث من جماعة السامريين مثل العيلاميين واللوديين وأقصوا جماعة كان ينبغى إدخالها في زمرة الساميين مثل الفينيقيين والكنعانيين، مع أنهم كانوا يعلمون حق العلم أن الكنعانيين هم الساميون العرب الأصليون سكان فلسطين الأوائل(٣).

ثم إن اصطلاح السامية يشير إلى نسب، لذلك ذهب بعض الباحثين إلى تخطئة تسمية السامية وتأكيدهم أن تسمية " العربية " هى أكثر تمشيا مع الواقع التاريخ والعلمى، لأن اسم العرب ورد منذ القديم في الكتابات البابلية والأشورية، ثم أطلق الفرس واليونان والرومان اسم العرب على سكان جزيرة العرب منذ الألف الأولى قبل الميلاد (٤).

(١) أوليسارى، " قواعد المقارنة للغات السامية "، ص ٦٠٥.
(٢) نولدكه، " اللغات السامية "، الترجمة العربية، ص ٨.
(٣) (تك، ص ١٥).
(٤) محمد عزة دروزة، " تاريخ الجنس العربى "، ج١، ص ١٨.

وأحسن من عبر عن الرأى القائل بوجوب تسمية الأقوام العربية وكل من سكن الجزيرة العربية أو خرج منها بالعرب، الباحث والمؤرخ المعروف الدكتور جواد على، فقال في بحثه عن تاريخ العرب قبل الإسلام ما هذا نصه:

" إنى سأطلق لفظة (عرب) على جميع سكان الجزيرة بغض النظر عن الزمان الذي عاشوا فيه، والمكان الذي وجدوا فيه، سواء أكانوا سكنوا في الأقسام الشمالية أم في الأقسام الوسطى من جزيرة العرب أم في الأقسام الجنوبية، فكل هؤلاء في نظرى (عرب) وعرب علم لقومية خاصة ومصطلح ظهر متأخرا في النصف الأخير من الألف الأولى قبل الميلاد، وتركز وتثبت بعد الميلاد خاصة، وقبيل ظهور الإسلام على الأخص. وعلى هذا فالذين عاشوا قبل الميلاد بقرون عديدة وبألوف السنين، هم (عرب) بالطبع وإن لم يدعوا (عربا) لأن هذه الكلمة لم تكن معروفة بهذا المعنى في أيامهم ولكنهم عرب أصالة ومن أحق وأجدر بأن نطلق عليه هذه اللفظة منهم، هم سكان الجزيرة وأصحابها الشرعيون مهما اختلفت لهجاتهم وتباينت لغاتهم، وتعددت أماكنهم هم الأصل، ومن جاء بعدهم الفرع، وليس الفرع كالأصل.

" ولعلنى لا أكون مخطئا ومبالغا إذا قلت أن الوقت قد حان لاستبدال مصطلح " سامى " و " سامية " بـ " عربى " و " عربية " فقد رأينا أن تلك التسمية تسمية مصطنعة تقوم على أساس التقارب في اللهجات وعلى أساس فكرة الأنساب الواردة في التوراة، وهى كما قلت آنفا، فكرة لا تستند على أسس علمية، وإنما قامت على بواعث عاطفية، على أساس حب الإسرائيليين أو بغضهم لمن عرفوا من الشعوب، أما مصطلحنا " العرب " الذي يقابل السامية،فهو أقرب - في نظرى - إلى العلم.. ففى العرب لهجات ولغات، كما أن بين الساميين لهجات ولغات... وليس ببعيد ولا بغريب عن العلم والمنطق أن نعد السامية عربية لكونها ظهرت في جزيرة العرب ونحن نعلم أن كثيرا من العلماء يرون أن جزيرة العرب هى مهد الساميين.

ولما كان العلماء قديما وحديثا قد أطلقوا على هذه الأرض التي ظهرت فيها شعوب كثيرة ولغات عديدة اسم " جزيرة العرب "، أو " شبه جزيرة العرب " غير مراعين في ذلك تعدد المواضع أو اللغات واللهجات أو القبائل، ولا تاريخ ظهور لفظة " العرب " إلى عالم الوجود، جاز لنا بل وجب علينا الآن - على ما أرى - أن نستبدل مصطلح (السامية) بمصطلح " العربية " فنكون بذلك قد لاحظنا

عاملين مهمين: عامل القرابة اللغوية والأصل اللغوى، وعامل وحدة المكان. فسواء أظهرت السامية في اليمن أم في أى موضع آخر من جزيرة العرب أم في العراق، فإن كل هذه المواضع هى من شبه جزيرة العرب، لأن البادية والهلال الخصيب هما من الأقسام التي تعد اليوم من بلاد العرب، وثقافة سكانها ثقافة عربية، ولغتهم السامية هى اللغة العربية، وهى أوسع لغة سامية بقاية على وجه الأرض، ولذلك فهى اللغة الكبرى التي تمثل المجموعة اللغوية السامية سواء أكانت قديمة أم حديثة، ويجدر أن لا نتحدث باسم السامية في القرن العشرين... وإذا وافقنا على إقرار هذا الاصطلاح نكون قد تقربنا نحو العلم، وابتعدنا عن الأساطير، أسطورة انحدار الساميين من صلب رجل هو سام، وحرى بالعلم أن يبنى أحكامه على حقائق علمية، وأن يبتعد عن القصص والأساطير " (١).

ويذهب أكثر المؤرخين الفرنج إلى أن العرب والساميين شئ واحد، فهذا سبرنجر (Sprenger) على سبيل المثال يقول أن جميع الأقوام التي تنتسب إلى العرق السامى كالأشوريين والبابليين والفينيقيين والعبرانيين والأدوميين وغيرهم من الأقوام التي كانت تضطر إلى النزوح والهجرة من الجزيرة العربية كلما امتلأت بهم جزيرتهم أو أجدبت بسبب انحباس المطر أو كلما تشوقت تلك الأقوام لإيجاد أرض تكون أخصب من أرض جزيرتهم العربية هم عرب (٢).

وفى تعليق له على نظرية شلوزر يقول الأستاذ أوليناري:

" إن نظرية شلوزر تقوم على أساس من التعاقب الدورى كما هو منصوص عنه في جدول الأمم والذى يجعل من أرام أرفكشار ولدين لسام (٣)، ومن ثم يجعل أرفكشارا جدا لإبراهيم (٤)، بحيث يصبح الإسرائيليون ساميين باعتبارهم انحدروا من صلب إبراهيم ومثلهم العرب الذين يدّعون أنهم أولاد إسماعيل، وإذا تفحصنا هذه الأنساب بدقة تبين لنا أن ربط هذه الجماعات بأرومة واحدة إنما جاء طبقا لعلاقات سياسية، وعلى هذا الأساس اعتبر جدول الأمم عيلاما ولودا أخوين لأشور من أبناء سام (٥). ومما لا شك فيه أن تعريف تلك الجماعات بالرموز

(١) الدكتور جواد على، " تاريخ العرب قبل الإسلام "، ج٢، ص ٢٨٧ - ٢٨٨.
(٢) دكتور على حسنى الخربوطلى، " العرب والحضارة "، ص ١٣ - ١٤.
(٣) (تك، ١٠: ٢٢).
(٤) (تك، ١١: ١٢ - ٢٦).
(٥) (تك، ١٠: ٢٢).

(كالأحرف والأرقام) هو الأفضل وذلك لتجنب بعض التسميات كالسامية والهندو - أوربية وغيرها. ونحن وإن كنا لا نستطيع تبرير إطلاق السامية على تلك الجماعات بصورة مطلقة إلا أن هذه التسمية تبقى مصطلحا شائعا ومقبولا " [١].

١٦ ـ العرب مخترعوا الحروف الهجائية (الأبجدية):

لقد اعتبر العلماء اختراع الحروف الهجائية (الأبجدية) من أعظم المخترعات التي أوجدها العقل البشرى بل من أجل البركات التي هبطت على البشرية في مسيرتها نحو التقدم الحضارى. ثم تأتى بعدها البركة الروحية في الدعوة لعقيدة التوحيد والاهتداء إلى عبادة الإله الواحد. والفضل في كلا الحادثين كما ثبت يرجع إلى الثقافة العربية التي نمت وازدخرت على يد الأقوام العربية التي نزحت من جزيرة العرب واستقرت في الهلال الخصيب منذ أقدم الأزمنة. ومن المتفق عليه الآن أن الكنعانيين كانوا أول من استعمل الحروف الهجائية في الكتابة ومنهم انتقلت إلى الفينيقيين الذين نقلوها بدورهم بين سنة ٨٥٠ و ٧٥٠ ق.م، إلى الإغريقية واللاتينية [٢]، وصارت تعرف في اليونانية باسمها العربي " الألف باء " (Alphabet)، وقد احتفظ اليونانيون بنفس الترتيب الذي وضعه الفينيقيون من حيث تسلسلها ومن حيث طريقة كتابتها من اليسار إلى اليمين وفق الطريقة الفينيقية الأصلية. والفينيقيون والكنعانيون تسميتان لمسمى واحد [٣].

وقد ظل أكثر العلماء الذين قاموا بدراسة نشوء الحروف الهجائية يرون أن الأبجدية الفينيقية هى أول الأبجديات وأقدمها، وأن الفينيقيين هم أول من استعمل طريقة الكتابة بها وقد أخذوا أصولها من الكتابة الهيروغليفية المصرية، بل وعثر على كتابة بالأحرف متصلة بالكتابة المصرية أقدم بكثير من الأبجدية الفينيقية، وهى الكتابة التي اكتشفت في شبه جزيرة سيناء في موضع يسمى " سرابيط الخادم " ويعود تاريخها إلى سنة ١٨٥٠ ق.م [٤]، وقد أطلق عليها اسم " كتابة طور سيناء " أو " الأبجدية الطور سينائية " وهذه الكتابة البسيطة جاءت

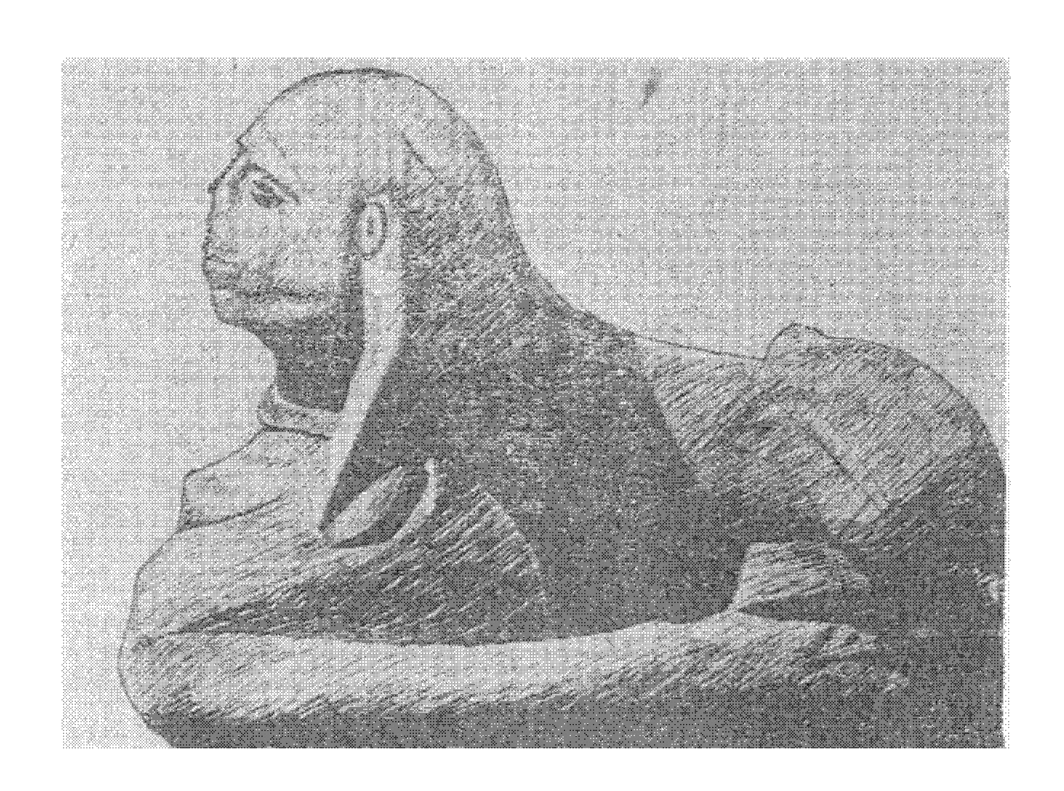
(١) أوليسارى، " القواعد المقارنة للغات السامية "، ص ٣.

(2) T.H. Gaster, “Canaan” Enc. Brit. 1965, Vol, 4, p, 728.

(٣) انظر ما تقدم عن الكنعانيين والفينيقيين في الفصل الأول.

(٤) اختلفت الآراء في تعيين تاريخ هذه الكتابة فبعضهم حدده في التاريخ المذكور أعلاه غير أن البعض الآخر يرى أن تاريخ هذه الكتابة لا يتعدى النصف الثانى من الألف الثانية قبل الميلاد وهذا هو رأى الأستاذ طه باقر أيضا.

باللهجات الكنعانيية القديمة وتعد حلقة الوصل بين الهيروغليفية التصويرية والأبجدية.



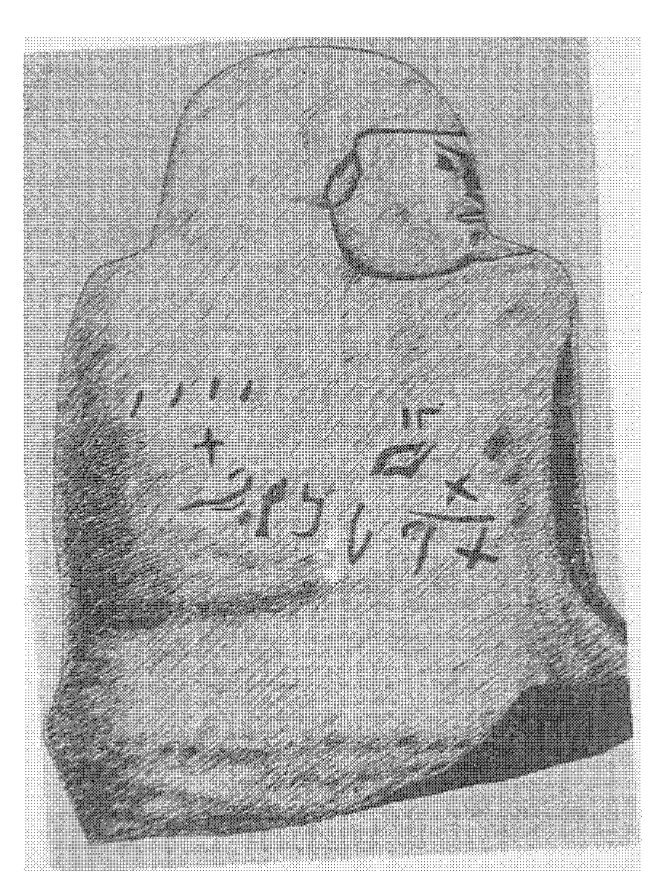
التصوير رقم (٥٦)
" أبو هول "

عثر عليه في المعبد المصرى عند سرابيط الخادم بجوار مناجم الذهب المصرية القديمة في سيناء عليه أقدم كتابة كنعانية بالحروف الأبجدية وهى تمثل اسم الآلهة " بعل إيث " (الإلهة حتحور السامية). وهذه الكتابة البسيطة غير المنتظمة تشكل حلقة الوصل بين الهيروغليفية والأبجدية (عن " قصة توراة ").

وقد عثر عليها في المعبد المصرى القديم عند مناجم الذهب المصرية في سيناء وهى تحمل اسم الإلهة " بعل إيث " الإلهة السامية العربية المعروفة باسم الإله " حتحور " [١] ثم وجد عدد من هذه النماذج بنفس الأحرف في سيناء أيضا،

(١) الإله حتحور هى إلهة السماء عند المصريين وكانت تلقب بعين شمس وهو اللقب الذي كان يعطى لكثير من الآلهات الكبرى (انظر كتاب أرمان)، " ديانة مصر القديمة "، ص ٢٥، وصورة حتحور على ص ٣٧.

كما وجد من هذه النماذج أيضا في جنوب فلسطين و " شكيم " و " لخيش " وقد كتبت كل هذه النماذج باللهجة الكنعانية القديمة، ويؤكد دايرنجر " أن مصدر اختراع الأبجدية يرجع إلى منطقة فلسطين وسورية وهى تنفرد بين جميع مناطق الشرق الأدنى في هذا الاختراع الذي يمثل شبه جسر يجمع بين حضارتى مصر وبلاد الرافدين " (١).



التصوير رقم (٥٧)

عثر على هذا التمثال في سيناء نقشت عليه كتابة في شبه أحرف تعد أقدم كتابة توصل بين الهيروغليفية والأبجدية وقد حدد العلماء في أحدث تحقيق

(1) Diringer, “Writing”, P. 120.

تاريخها بالقرن الخامس عشر قبل الميلاد عن كتاب " قصة التوراة " ص ١٠٩.

ويعلل الخبراء كيفية نشوء فكرة الأخذ بالأحرف بدلا من الصور هو أن الكنعانيين الذين كانوا يعملون في مناجم طور سيناء اهتدوا إلى التدوين بالحروف الأبجدية بأن احتزلوا الكتابة الهيروغليفية التي تشير إلى المعانى ومقاطع الكلمات بصور وإشارات واكتفوا بالحروف الأولى من أسماء الصور فتكونت عندهم مجموعة من الحروف كونت الأبجدية الأولى، فأخذوا مثلا صورة رأس الثور عن الهيروغليفية، فأغفلوا لفظها في اللغة المصرية وأطلقوا عليها ما يقابله في لغتهم الخاصة بهم فصارت هذه العلامة الألف، وعلى هذا النمط عالجوا صورة البيت فأطلقوا عليها ما يقابله في لغتهم واعتمدوا على الحرف الأول من اسمها وهى الباء وهكذا دواليك، فتكونت من هذه الأحرف الأبجدية وهى مؤلفة من اثنين وعشرين حرفا وقد انتشرت هذه الأبجدية التي تعد أقدم أبجدية معروفة حتى الآن شرقا وشمالا وجنوبا، فصارت أصل الأبجديات في هذه الأماكن بعد أن تطورت في كل منها حسبما اقتضته طبيعة لغة أهله، فمنهم من حافظ على شكلها الأصلى كما وضعت في الأصل ومنهم من غير فيها وأضاف إليها أو نقس منها (انظر المرتسم رقم ١٣ جدول تطور الأبجديات). ويؤكد الدكتور ولفنسون: " أن الخط الكنعانى هو من صنع الكنعانيين واختراعهم وحدهم لأنه لا دليل مطلقا على وجود أبجدية حرفية من هذا النوع عند غيرهم من الأم " [١].

ومن أهم هذه الأبجديات التي اكتشفت الأبجدية اليغاريثية وقد عثر عليها سنة ١٩٤٩ في " رأس الشمرة " (موضع يغاريث الفينيقية القديم)، ويرجع تاريخ هذه الأبجدية التي كتبت على لوح من الفخار إلى القرن الخامس عشر أو القرن الرابع قبل الميلاد. وقد عثر على ألواح كثيرة أخرى كتبت بهذه الأبجدية على الصلصال المفخور بالنار على الطريقة العراقية وقد دونت بالكتابة المسمارية مع أنها لا علاقة بالكتابة المسمارية العراقية. وقد ظهر من هذه الكتابات أن " الأبجدية اليغاريثية هذه كانت تتألف من اثنين وثلاثين حرفا وقد دونت من اليسار إلى اليمين على خلاف الأبجديات الأخرى مع أنه وجدت كتابات يغاريثية في فلسطين

(١) ولفنسون، " تاريخ اللغات السامية "، ص ٩٩.

دونت من اليمين إلى اليسار وهذه الكتابات كلها دونت باللهجة الكنعانية القديمة ".

عربي	لاتيني	اغريقي يوناني	اوغاريتي	فينيقي	عربي جنوبي	المعنى	سينائي
ء	A	A	[illegible]	[illegible]	[illegible]	رأس ثور	[illegible]
ب	B	B	[illegible]	[illegible]	[illegible]	بيت	[illegible]
ج	CG	(	[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]
د	D	Δ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	باب	[illegible]
هـ	E	E	[illegible]	[illegible]	[illegible]	شباك	[illegible]
و	FV	Y	[illegible]	Y	[illegible]	وتد	[illegible]
ز	...	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	(زين) سلاح	[illegible]
ح	H	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	حيت (حائط)	[illegible]
ط	...	⊗	[illegible]	⊕	[illegible]		...
ي	I	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	يد	[illegible]
ك	...	K	[illegible]	[illegible]	[illegible]	كف اليد	[illegible]
ل	L	⅃Λ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	لمد (عصا)	[illegible]
م	M	M	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ماء	[illegible]
ن	N	N	[illegible]	[illegible]	[illegible]	افعى	[illegible]
...	X	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	سمكة	[illegible]
ع	O	o	[illegible]	o o	O	عين	[illegible]
ف	P	Γ	[illegible]	[illegible]	◇	فم	[illegible]
ص	...	...	[illegible]	[illegible]	[illegible]	صياد	[illegible]
ق	Q	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]
ر	R	P	[illegible]	[illegible]	[illegible]	رأس	[illegible]
س ش	S	[illegible]	[illegible]	W	[illegible]	قوس	[illegible]
ت	T	T	[illegible]	X	X	صليب	+

المرتسم رقم (١٣)
جدول تطور الأبجديات

وقد عثر في موضع " بيبلوس القديمة " (جبيل الحالية) وهى مدينة فينيقية أخرى تقع على مسافة ٢٥ ميلا شمال مدينة بيروت، على كتابة مهمة نقشت على تابوت حجرى لملك بيبلوس " أحيرام " وقد دونت بأبجدية مؤلفة من ٢٢ حرفا من اليمين إلى اليسار، وقد أرجع تاريخ هذه الأبجدية إلى القرن الحادى عشر أو العاشر قبل الميلاد(١)، كما اكتشفت كتابات بالأبجدية الفينيقية في قبرص ومالطا وصقليا وساردينيا واليونان وشمال أفريقيا ومارسيليا وأسبانيا وشرق قليتية، وقد عثر على أبجدية متأخرة دونت فيها كتابة على مسلة تعود إلى عهد الملك " ميشع " ملك موآب (منتصف القرن التاسع قبل الميلاد) عرض فيها انتصاراته على ملك بهورام ملك إسرائيل (٨٥٢ - ٨٤١ ق.م) (٢).

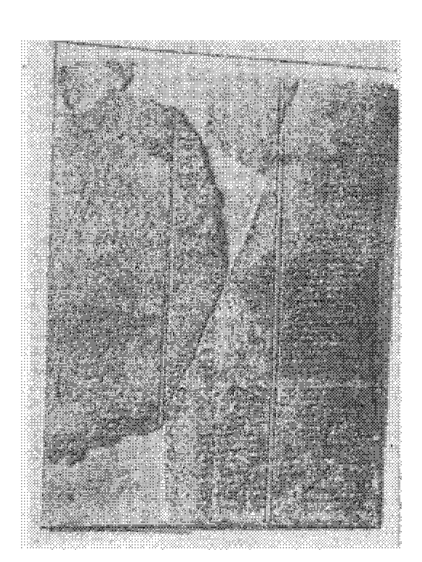
وفى وصف أدبى رائع لتطور الأبجدية وإثبات أصلها الكنعانى العربى، يقول العقاد: " وأيا كان قول المؤرخين والرواة فهذه المسألة - مسألة الأبجدية - من المسائل التي لا حاجة بها إلى التاريخ والرواية. لأن أسماء الحروف وأشكالها ومعانيها شاهدة بانتقالها من المصادر العربية، سواء كانت فينيقية أو أرامية أو يمنية من الجنوب، فالأبجدية تسمى عند اليونان " ألفا بيتا " وتبدأ بالألف والباء والتاء، ثم تتوالى فيها حروف كثيرة بلفظها العربى في العصر الحاضر على وجه التقريب. وليس لأسماء الحروف معان مفهومة في اللغة اليونانية، ولكنها بهذه الأسماء مفهومة المعنى في لغتنا العبرية العصرية، فضلا عن اللهجات العربية الغابرة، وأقرب هذه الحروف إلى المعانى العربية الشائعة في أيامنا حرف الباء من بيت، وحرف الجيم من جمل، وحرف العين من عين، وحرف الفاء من فم، وحرف الكاف من كف، وحرف الميم من ماء، وحرف الياء من يد. وأشكالها المرسومة قريبة من أسمائها الأولى كما يرى في شكل البيت وشكل رقبة الجمل وشكل العين وشكل الفم، وغيرها من الأشكال، وإذا رجعنا إلى نطق أسماء الحروف كما شاعت أو استعمالها في البلاد العربى تبينت من العلاقة بين أشكالها ومعانيها جميعها بغير استثناء حرف واحد من الحروف. فكلها أوائل كلمات مفهومة من بقايا الكتابة التصويرية التي ترسم الشكل كله وتأخذ من الكلمة حرفها

---

(1) Diringer, “Writing”, P. 131.

(٢) (٢ مل، ٣: ١ - ٢٧).

الأول عند الكتابة بالحروف "[1].

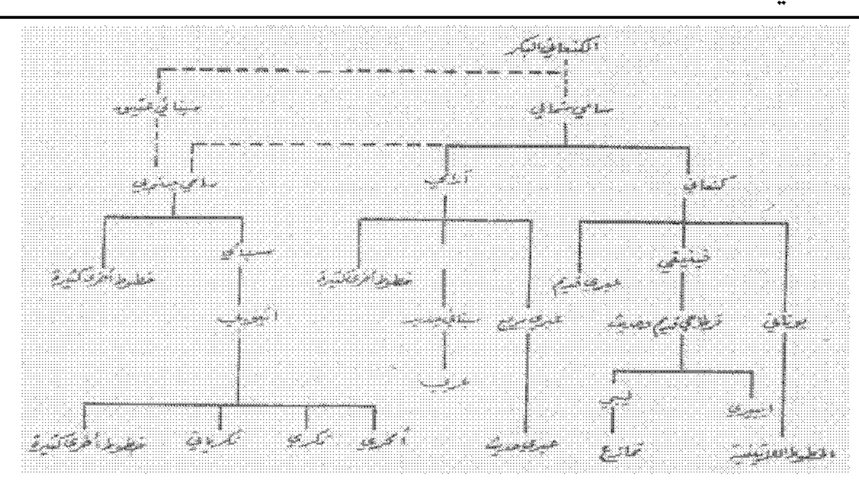


التصوير رقم (٥٨)

لوح من ألواح رأس الشمرا ويمثل كتابة فينيقية بالأبجدية المسمارية ترجع إلى القرن ١٤ ق.م
(عن مارتسون " التوراة صحيحة "، ص ٢١)

يتضح مما تقدم أن أقدم كتابة بأقدم حروف أبجدية معروفة حتى الآن هى الكتابة الكنعانية السينائية القديمة، وقد قسم علماء اللغات الأبجدية التي تفرعت من الكنعانية القديمة إلى مجموعتين رئيسيتين، المجموعة السامية الشمالية والمجموعة السينائية العتيقة، وقد تفرع من المجموعة الأولى الكنعانية وفروعها الفينيقية والعبرية القديمة والقرطاجية والليبية والأرامية وفروعها النبطية والعبرية المتأخرة المعروفة بالمربع والسينائية المتأخرة والعربية وغيرها، أما المجموعة الثانية أى السينائية العتيقة فقد تفرعت منها السامية الجنوبية والسبئية والأثيوبية وغيرها (انظر المرتسم رقم ١٤).

(١) " الثقافة العربية "، ص ٢٩.



المرتسم رقم (١٤)
تقسيمات تفرعات الخط الكنعانى القديم

نستدل من كل ذلك على أن الجزيرة العربية لعبت أكبر دور في تطوير الثقافة العالمية، فهى كما ثبت مهد الكتابة الأبجدية التي أظهرها الكنعانيون لأول مرة في طور سيناء وفى جنوبى فلسطين كما تقدم شرحه، وبعد أن تنقلت في أرجاء الجزيرة وأطرافها تطورت إلى عدة أبجديات ثم عادت فاستقرت في قلب الجزيرة في شكلها الأخير (عربية القرآن الكريم) المأخوذة عن النبطية المتأخرة، كما يتضح أيضا أن الكتابة العبرية لم يكن لها أى دور لا من قريب ولا من بعيد في نشوء الأبجدية وتطورها، وهى لم تتعد كونها أحد الفروع التي اقتبست أبجدياتها من الأبجدية الكنعانية العربية الأصلية [١].

---

(١) أن المراجع عن نشوء الأبجدية وتطورها كثيرة، وقد اعتمدنا في عرض هذا الموجز على أحدث المصادر التي تتناول أحدث الاكتشافات، منها كتابا الدكتور حتي " سورية " و " لبنان " وكتاب الدكتور جواد علي " العرب قبل الإسلام "، وخاصة كتاب دايرنجر " الكتابة "، وفيما يلي مجموعة من المراجع في الموضوع:

B.F. G Atkinson & J.Whatmough, “Alphabet”, Enc, Brit, 1965, Vol, I, pp. 662 - 669; H. Bauer. “Zur Entzifferrung der neuntdeckten Sinaischrift”, 1918; E. Clodd, “The Story of the Alphabet”; M. Cohen, “Lagrande invention de l’ecriture”, 1958; F. M. Jr, Cross, “The Evolution of the Proto-Canaanite Alphabet”, Amer. Sch of Oriental Research Bulletin, 134 : 15 - 24 (April 1954); D.Diringer, “The Alphabet”, 1948; “The Story of the Aleph Beth”, 1958; A.H. Gardiner, “The Egyptian Origin of the Semitic

وأخيرا نختتم الكلام على نشوء الأبجدية وصلتها بالعرب بتعليق الأستاذ مرجليوث إذ يقول: " يرد على الخاطر سؤال عن أسماء المواقع التي تظهر على خريطة اليونان كـ (عسكرا) أى المعسكر، وفندس، أى الجبل من الفند وهو الجبل العظيم باللغة العربية، ولاريسا، أى العريش أو الخيمة، إلى أمثال هذه الأسماء التي تشبه أسماء المواقع في الأندلس بعد الفتح الإسلامى، فيبادر إلينا السؤال: " فلا تشير هذه الأسماء إلى حضارة عربية عريقة وصلت إلى اليونان ومعها حروف الأبجدية قبل أن يصل إليها الفينيقيون بحروف تخالفها " (1).

١٧ ـ عالم عربى واحد تعززه وحدة جغرافية مترابطة الأجزاء:

والآن بعد عرضنا صورة إجمالية للأحداث التي شهدتها البلاد العربية في فجر التاريخ والتى كان أبرز حدث فيها هجرات أهل جزيرة العرب ونشرهم الحضارة السامية في أرجائها، فلنلق نظرة على الوضع الذي كانت عليه بلاد الشرق الأدنى وهى تسبح في بحر الألف الثالثة قبل الميلاد فماذا نرى؟.. عالما واسعا يؤلف فراغا شاسعا من الصحارى تحده الحضارة المستقرة على ضفاف وادى النيل من جهة الغرب وحضارة وادى الرافدين في جنوبى العراق من الجهة الشرقية: حضارتان فعدتهما نعم الحياة بما أغدقته عليهما من أرض خصبة ومياه عذبة يقف بينما شعب تائه في صحرائه حائر في أمره في وجه الجفاف الذي صار يهدده في صميم حياته بعد أن حرمته الطبيعة من مصدر وجوده، وهو متعطش ينشد حياة جديدة في وطن جديد يسد فيه حاجاته للقمة العيش، فكان عليه أن يحارب الطبيعة ويشق طريقه عبر البوادى القاحلة إلى الحياة التي كان

Alphabet", Journal of Egyptian Archaology, 3: 1 ff. 1916; I. I. G.elb, "A Study of Wriniting", 1952; L.G. Gray, "Introduction to Semitic Comparative Linguistics", 1934; W. Loslaw, "Semitic Languages", Ene. Brit., 1965, Vol, 20, pp. 314 - 317; W. Marcais & M, Cohen, "Precis de linguistique semitique", 1910; Sir W.F. Petrie, "The Formation of the Alphabet", 1912; M. Sprengling, "The Alphabet: Its Rise and Deveiopment form the Sinai Insoriptions", The Universal Jewish Enc., I, p. 198; H, Torczyner, "Tur-Simai", N.S. 1950 The Jewish Quarterly Review, 83 - 109, 159 - 179.

(1) Margoliouth, "Relations between Arabs and Israeliters", p. 11.

ينشدها، وهو واثق بوحى الغريزة من أجل الحياة بأن ما وراء هذا البحر من الرمال عالما غير عالمه تتوفر فيه وسائل الخلاص مما هو عليه من مصير يضمر بين طياته هلاكا حتميا، فقطع الصحارى كما قطع كولمبس البحار ليكتشف عالمه الجديد في أواخر القرن الخامس عشر بعد الميلاد حتى وجد الشعب ضالته في وادى الأردن وتخوم وادى النيل في جهة الغرب، ووادى الرافدين في جهة الشرق، فأخذت الحشود تتوافد على هذا العالم الجديد على موجات متتابعة كما توافد أهل أوربا على أمريكا في منتصف القرن السابع عشر بعد الميلاد فشمر هؤلاء الأشاوس قاهرو الصحارى عن سواعدهم وأخذوا يبنون حياة جديدة في عالمهم الجديد، مستغلين الزراعة والتجارة وتربية المواشى في بناء عالمهم الجديد، فتمكنوا من وضع أسس أعظم حضارة عرفها تاريخ الإنسان القديم.

وتذكرنا هجرات سكان الجزيرة إلى الهلال الخصيب بهجرات النورمان المتوالية من أعالى أوربا نحو جنوب القارة الأوروبية وشرقها في القرن الثامن بعد الميلاد وفيما بعده وتوغلهم في روسيا وفرنسا وانجلترا وإيطاليا حيث طبعوا بلاد أوروبا بطابعهم الخاص الذي لا يزال إلى يومنا موجودا، مع الفارق أن النورمان انحدروا من الشمال إلى الشرق والجنوب والغرب في حين أن سكان الجزيرة صعدوا شمالا وشرقا نحو الهلال الخصيب في آسيا الغربية.

وكانت مستوطنات شعب الجزيرة في عالمه الجديد تؤلف عالما عربيا واحدا يتميز بقوميته العربية تعززه وحدة جغرافية واحدة مترابطة الأجزاء تضم الجزيرة العربية (الأم) وأبناءها في البلاد المهاجر إليها (وادى الرافدين وسورية ولبنان وفلسطين إلى مصر السفلى) وهو عالم متصل مفتوح السبل لأهله، مرتبط بعضه ببعض بوشائج الأصل السامى العربى، قائم بذاته، يتكلم أهل لغة واحدة،هى اللغة العربية الأم: منهم أهل السواحل خبروا البحار، ومنهم أهل الصحارى (أهل الوبر) احتضنوا البوادى، ومنهم أهل المدن والقرى (أهل المدر) احترفوا الزراعة والتجارة، ومنهم الرعاة أصحاب المواشى، فقد صهرتهم الوحدة الجغرافية في مصير واحد مشترك، فتعاونوا على الرغم من اختلاف نزعاتهم، على وضع أسس الحضارة السامية الكبرى.

وقد شمل هذا العالم حضارة ساحل البحر الأحمر والخليج العربى ثم حضارة ساحل البحر المتوسط، فالحضارة الصحراوية البدوية، ثم الحضارات النهرية: حضارة وادى الرافدين، وحضارة وادى النيل، وحضارة وادى الأردن.

وغطى هذا العالم المنطقة الواسعة التي يحدها جبل حمرين والخليج العربى وخليج عمان من الشرق، وبحر العرب وخليج عدن من الجنوب، والبحر الأحمر والبحر المتوسط من الغرب، وجبال طوروس من الشمال. وقد سيطر هذا العالم بجماله على طرق المواصلات الصحراوية، كما سيطر بسفنه على طرق المواصلات البحرية. وكان كل ذلك قبل أن يشهد الشرق الأدنى غزوات الأقوام الآرية غير السامية، وقبل أن يظهر أتباع موسى على مسرح الأحداث بزهاء ألفى عام.

وكان وادى الرافدين امتدادا لجزيرة العرب، بل كان جزءا لا يتجزأ منها، فكان الموئل الرئيسى الذي أسست على ضفافه المستوطنات الزراعية، فأسس الأكديون والعموريون والبابليون والأراميون وكلهم ساميون أصلهم من جزيرة العرب، أولى مستوطناتهم فيه، ومن الأمثال المعروفة في بادية العراق قولهم: " نجد أم والعراق داية "، والمقصود بذلك ارتباط نجد بوادى الرافدين.

وكان النظام القبلى الذي يستند إلى العادات والعرف والتقاليد المتوارثة والذى يتولى فيه شيوخ القبائل السلطة هو السائد في هذا المجتمع الواحد، إذ كانت تمتد سلطة رؤساء القبائل إلى جميع توابعها: بطونها وأفخاذها، أينما وجدت، وكانت لهم أنظمة خاصة بالحروب والغزوات التي تنشب فيما بينهم، يتداولها ويتقبلها الجميع عن طيب خاطر.

والدليل على أن بلاد الشرق الأدنى كلها كانت تعرف كوحدة قومية واحدة ترجع إلى أصل واحد، الأصل السامى العربى " أن تسمية (أراميين) كانت تشمل جميع القبائل الساكنة قديما في البلاد الفسيحة الواسعة المحدودة ببلاد الفرس شرقا والبحر المتوسط غربا وبلاد الأرمن وبلاد اليونان في آسيا الصغرى شمالا وحدود جزيرة العرب جنوبا كانت قاطبة معروفة ببنى آرام والأراميين " [١]. والأراميون ومعهم أهل الشام الذين كانوا يسمون أنفسهم بالأدوميين عرفهم الأشوريون باسم " العريبى " أى العربى وقد سبقت الإشارة إلى ذلك [٢]. ويؤكد الأستاذ موسكاتى مؤيدا الوحدة العربية المتماسكة في تلك العصور فيقول: " إن

(١) " دليل الراغبين في لغة الأراميين "، للقس منا الكلدانى، ص ٧.

(٢) انظر ما تقدم في الفصل الأول " هجرة الأراميين إلى سورية والعراق "..

المناطق الثلاث - الجزيرة العربية وسورية ومن ضمنها فلسطين [١]. وبلاد ما بين النهرين - كلها تكون وحدة جغرافية مترابطة الأجزاء كانت في تلك الأزمان مسرحا رئيسيا للنشاط البشرى وأن الأقوام الذين مثلوا هذه الأحداث المسرحية لعبوا الدور المعد لهم بحكم طبيعة أحوالهم. وقد صهرتهم هذه الوحدة الجغرافية في مصير مشترك بحيث أن تلك صدمة أو حركة تصيب القطاع الواحد يمتد انعكاسها إلى الأقطار الأخرى... وأن الأقوام الذين استوطنوا هذه الأصقاع هم الذين رسموا شكل تاريخها وحضارتها في ضوء أحوال بيئتهم الطبيعية ". ثم يضيف إلى ذلك قوله: " والمنطقة بأسرها كانت مفتوحة مكشوفة أمام أهل جزيرة العرب بحيث كان يسهل عليهم التوغل في جميع أنحائها من جميع الجهات، وهكذا فقد انصبت عليها موجات الهجرة المتتالية لما تخللته من مغريات الخصوبة ووفرة وسائل العيش " [٢].

١٨ ـ فلسطين عربية المنشأ في حضارتها وقوميتها وثقافتها:

يتضح مما تقدم من عرض للأحداث التي دارت حول الشرق الأدنى في تاريخه القديم أن الفترة التي عاشتها فلسطين في الألف الثالثة والثانية قبل الميلاد هى فترة عربية بحتة في قوميتها وثقافتها ولغتها، ولا توجد لعصر موسى واليهود الذي يأتى بعد أكثر من ألفى سنة من حياة فلسطين العربية هذه أية صلة بهذا العصر القديم كما سيأتى شرحه مفصلا في الفصول التالية. إن فلسطين نشأت عربية منذ أكثر من خمسة آلاف عام، سكنها أول من سكنها الكنعانيون العرب الذين نزحوا من الجزيرة العربية، وذلك قبل ظهور موسى بأكثر من ألفى عام كما تقدم. والكنعانيون - العرب - هم سكانها الأصليون الشرعيون بدليل احتفاظهم حتى يومنا هذا باسم بلادهم الأصلى " فلسطين " التي عرفت به منذ هجرة " الفلسطينيين " إلى سواحل أرض فلسطين واندمجوا مع الكنعانيين [٣]. وهذه

---

(١) يقصد العلماء عندما يتحدثون عن سورية في التاريخ مفهومها الواسع الذي يشمل - عدا سورية - فلسطين ولبنان وفينيقية وسيناء.

(2) S. Moscati, "Ancient Semitic Civilizations", London, 1957, PP. 13 =K 21 K 108.

=الدكتور محمود الغول، " صلاة عرب الجزيرة بخارجها فيما قبل الإسلام "، العربى ٥٩ (١٩٦٣)، ٥٨ - ٦٢.

(٣) انظر ما تقدم عن هجرة الفلسطينيين في الفصل الأول.

(أورشليم) المدينة المقدسة مدينة كنعانية عربية المنشأ في تسميتها وقوميتها " [١].

أفلا يحق لنا بعد كل ما تقدم أن نسأل أولئك الذين يتمسكون بإرجاع تاريخ عصر موسى واليهود إلى عصور فلسطين القديمة: أين دور اليهود من أحداث تلك العصور؟، أين حضارتهم؟، أين ثقافتهم؟... أين الدليل على مساهمتهم بحضارة الكنعانيين والعموريين والأراميين والأكديين والبابليين؟، أين كانوا حين نزح هؤلاء من الجزيرة العربية إلى بلاد الهلال الخصيب وأسسوا مستوطناتهم وحضاراتهم فيها؟، وكيف نسمح لأنفسنا أن نحشر هذه الجماعة في إحداث تلك الفترة من تاريخ فلسطين من غير أن يكون لهم وجود فيها؟... هذه أسئلة يفرضها البحث في تاريخ فلسطين القديم ونترك الإجابة عليها إلى أولئك الذين لا يزالون يصرون على حشد اليهود في إحداث لم يكن لهم وجود فيها لا من قريب ولا من بعيد.

١٩ ـ أسماء مدن فلسطين كنعانية عربية الأصل:

ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن معظم المدن والقرى والمناطق الفلسطينية التي اعتبرها اليهود خاصة بهم وتحدثوا عنها وكأنها مدنهم القديمة لمجرد ورد ذكرها في التوراة نمت وازدهرت قبل عهد موسى واليهود بعشرات من القرون، وقد حافظت على أسمائها الكنعانية القديمة حتى هذا اليوم، ويرجع بعضها حسب تقدير العلماء إلى ما قبل سبعة آلاف عام، فبلدة " أريحا " مثلا أرجع الخبراء تاريخها إلى سنة ٥٠٠٠ ق.م ويعدها البعض أقدم مدينة في العالم مازالت قائمة حتى اليوم [٢]، وقد سبقت الإشارة إلى تسميتها وفى قوميتها وفى ثقافتها، وكلمة " صهيون " كلمة كنعانية الأصل كانت تطلق على رابية من أورشليم كان قد تحصن بها اليبوسيين أبناء عمومة الكنعانيين العرب سكان أورشليم الأصليون وحتى إسرائيل كانت اسم موضع في فلسطين يرجع إلى ما قبل عصر موسى واليهود.

وقد عثر على جدران هيكل بلدة طيبة المصرية على جداول بأسماء ١١٨ مدينة كنعانية يعتقد أنها المدن التي افتتحها تحوطمس الثالث (١٥٠٣ ـ ١٤٤٩

---

(١) انظر الملحق الأول " أورشليم في أقدم عهودها "..

(2) W.Keller, “The Bioble as History”, p. 159; J.Garstang & J.F.E.Garstang. The Story of Jericho”, 1948, K.Kenyon, “Earlest Jericho”, Antiquity, Vol. 33, 1959, pp. 5 - 9.

ق.م) (١)، وهذا يعتبر أقدم ذكر للمدن الكنعانية إذا استثنينا ذكر بعضها في وصف حملات الفراعنة الأقدمين على بلاد كنعان التي ترجع إلى الألف الثالثة قبل الميلاد.

ويحاول الصهيونيون اليوم إحياء الأسماء القديمة في فلسطين المحتلة باعتبارها أسماء عبرية (يهودية) والحقيقة هى أن هذه الأسماء كلها ومن ضمنها أورشليم والقدس أسماء كنعانية عربية الأصل حتى كلمة صهيون وإسرائيل اللتين اتخذوهما شعارا لتصميمهم العدائى ضد أهل فلسطين العربية هما كلمتان كنعانيتان عربيتا الأصل كما تقدم ولم يستطع اليهود تغيير الأسماء، لأنه لم تكن لديهم لغة خاصة بهم في تلك العصور لتحويلها إليها. فاللغة التي اقتبسوها في فلسطين هى الكنعانية لغة سكان البلاد الأصليين ولم تكن اللهجة العبرية (بمعنى اليهودية) المأخوذة من الأرامية قد تكونت بعد.

وهنا لابد من توضيح نقطة مهمة فيما يخص دور العبرية في تطور الثقافة الفلسطينية، وعلينا قبل كل شئ أن نفرق بين اللغة وبين الكتابة أو الخط: فالرأى المتفق عليه هو أنه ليس لليهود أية لغة أو لهجة خاصة بهم، لأن الموسويين عندما جاءوا إلى فلسطين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد أخذوا بالثقافة الكنعانية بما فيها اللغة الكنعانية والشعائر الدينية - الثقافة التي كانت قد نمت وازدخرت على أيدى الكنعانيين سكان فلسطين الأصليين منذ الألف الثالثة قبل الميلاد. ثم بعد أن انتشرت الأرامية، وهى من أصل عربى مثل الكنعانية، اقتبسها اليهود مع بقية الأقوام، وباللهجة المعروفة بأرامية التوراة دونت التوراة في الأسر في بابل وفى عهد الأخمينيين أو بقيت هذه اللهجة مقتصرة على الكتب المقدسة. أما الكتابات العبرية القديمة فقد نمت من مصدرين، من الكتابة السامرية وهى من الأبجديات التي تفرعت من الأبجدية السينائية ولا يزال السامريون يستعملونها حتى هذا اليوم، ثم من الكتابة التي ظهرت على سكة النقود التي ترجع إلى العهد المكابى، وإلى جانب ذلك اتخذ اليهود الحرف المسمى بالحرف المربع الذي دونت به التوراة، وهو مقتبس من الأبجدية الأرامية ولا يزال يستعمل في الكتابة العبرية (اليهودية الحديثة) (٢).

يتضح مما تقدم أن اليهود أخذوا ولم يسهموا في شئ في تقدم الحضارة،

---

(١) انظر ما تقدم عن هجرة الكنعانيين في الفصل الأول.

(2) D. Diringer, “Writing”, P. 128.

وليس لهم أى تراث قومى خاص بهم، فاللهجة التي دونوا بها التوراة والمقتبسة من الأرامية لم تكن من اللغات الحية، إذ بقيت مقتصرة على الكتب المقدسة، وليس ثمة أى دليل على أنها انتشرت كلغة تخاطب حتى بين اليهود أنفسهم، لقد أخذ اليهود بلغات الأقطار التي استقروا فيها واستعملوا الحروف العبرية في الكتابة في أكثر الأحيان، لذلك فإن ما ورد من أسماء وأماكن فلسطينية في التوراة هو من أصل كنعانى عربى ولا يمكن بأى حال من الأحوال اعتبارها أسماء عبرية بمعنى يهودية لأن اللهجة التي اتخذها اليهود في كتابة توراتهم، أى أرامية التوراة لم تكن قد تكونت بعد. فالثقافة الكنعانية بما فيها الديانة الكنعانية وشعائرها بقيت هى السائدة في البلاد حتى في زمن داود وسليمان وفى زمن الملوك والانقسام.

الفصل الثالث

التوراة والديانة اليهودية

١ ـ تمهيد:

يتفق الباحثون عموما على أن التوراة التي تمثل الديانة اليهودية مقتبسة من أصول قديمة، وهى تعتمد على ثقافة الكنعانيين والمصريين والبابليين بالدرجة الأولى، ومع أنها تركز على تاريخ اليهود فهى تنقل من خلال عرضها للحوادث معلومات جغرافية وتاريخية هامة عن أسماء المدن والأماكن والشخصيات الكنعانية القديمة في فلسطين كما كانت عليه قبل غزو قوم موسى إياها في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، لذلك يتحتم علينا عرض نبذة عن تاريخ التوراة والديانة اليهودية.

تقوم الديانة اليهودية [١] على مصدرين أساسيين أولهما الأساس وهو التوراة، ويعرف أيضا بالعهد القديم أوالعهد العتيق لتمييزه عن العهد الجديد (الإنجيل) والعهد القديم مقدس عند اليهود وعند المسيحيين على السواء ويعتبر جزءا من الديانة المسيحية ويسمى كلا العهدين، العتيق والجديد، " الكتاب المقدس ". أما المصدر الثانى فهو " التلمود " ومعناه التعاليم أوالشرح والتفسير ويشتمل على مجموعة الشرائع اليهودية وشروح وتعليقات على التوراة وضعها علماء اليهود الأحبار والحاخامون بعد المسيح فبنوا عليها سننا وآدابا أصبحت على مر الزمن محل تقديس عند اليهود كالتوراة. لذلك لم يرد أى ذكر للتلمود لا في الأناجيل ولا في الحوار بين المسيحيين والفرق اليهودية كما أنه لم يرد ذكر للتلمود لا في القرآن الكريم ولا في الأحاديث النبوية.

٢ ـ العهد القديم من " الكتاب المقدس " (التوراة) [٢]:

يتألف العهد القديم من الكتاب المقدس أو ما يسمى بالتوراة وبالعبرية " توره

(١) نقول: الديانة اليهودية ولا نقول: الإسرائيلية لأن اليهود ودورهم في التاريخ - كما نفهمه - هم غير بنى إسرائيل الذين يرجعون إلى عهد إبراهيم الخليل كما سنوضح ذلك فيما بعد.

(٢) وضعت هذه الدراسة بالنسبة " للكتاب المقدس " الترجمة البروتستانية الكاملة إصدار لجنة التوراة الأمريكانية وطباعة مطبعة الجامعة الأمريكانية في بيروت باعتباره المرجع الأساسى (راجع تنبيهنا في مطلع الكتاب). ولكن لما كان " الكتاب المقدس " إصدار وطباعة المطبعة الكاثوليكية لعام ١٩٦١، هو أيضا أحد مراجع هذا الكتاب فقد أشرنا إلى الفروق بين الطبعتين بوصفهما الطبعتان الأكثر تداولا في الشرق بدون المقارنة بينهما لأن كل مقارنة بين الاثنتين بعيدة عن مرمى هذا الكتاب. (انظر فيما يلى ترجمات " الكتاب المقدس " العربية الكاملة).

" أى " الهدى والإرشاد " من ٣٩ سفرا [١]، ويقسم إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول منه يتألف من خمسة أسفار، وهى:

١- سفر التكوين Genesis.
٢- سفر الخروج Exodus.
٣- سفر اللاويين [٢] Leviticus.
٤- سفر العدد Numbers.
٥- سفر التثنية Deuteronome.

وقد أطلق على هذه الأسفار الخمسة الأولى اسم " كتب موسى الخمسة " وقد سميت باليونانية Pentatichus " بنتاتيك " أى الكتاب ذو الأسفار الخمسة وقد انتقلت هذه اللفظة اللاتينية إلى معظم اللغات العصرية، وتطلق أحيانا لفظة " التوراة " على الأسفار الخمسة باعتبارها في بعض المذاهب الأسفار التي تعود إلى عهد النبى موسى. وقد نسق العهد القديم على أساس تسمية كل سفر حسب محتواه، فسمى السفر الأول " التكوين " لأنه يصف الخليقة وبدء العالم والشعب المختار بنوع خاص، ودعى الثانى سفر الخروج لأنه يتحدث عن خروج من سمو أنفسهم " بنى إسرائيل " من مصر وعن الوحى على جبل سيناء، وقد دونت أحكام الشريعة ومن ضمنها الوصايا العشر في الإصحاح العشرين من هذا السفر [٣]. والثالث " سفر اللاويين " ويحتوى على طقوس الكهنة أبناء لاوى، وأطلق على الرابع اسم " سفر العدد " لما تضمنه من إحصاءات الشعب المختار، وتنتهى هذه المجموعة بـ " سفر تثنية الاشتراع " الذي يبدو كتكرار وتتمة لشريعة موسى. وقد تضمن السفران الأخيران وصفا للفتح الذي تم على يد النبى موسى في الجانب الشرقى من الأردن وتوزيع الأراضى المستولى عليها على سبطين

---

(١) ٤٦ سطرا حسب الترجمة الكاثوليكية.
(٢) سفر الأحبار حسب الترجمة الكاثوليكية.
(٣) الوصايا العشر:
أنا الرب إلهك، فلا يكن لك آلهة أخرى أمامى (خر ن ٢٠: ٢ - ٣)، لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما (خر، ٢٠: ٤)؛ لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا (خر، ٢٠: ٧)؛ اذكر يوم السبت لتقدسه (خر، ٢٠: ٨)؛ أكرم أباك وأمك (خر ٢٠: ١٢)؛ لا تقتل (خر، ٢٠: ١٣)؛ لا تزن (خر، ٢٠: ١٤)، لا تسرق (خر، ٢٠: ١٥)؛ لا تشهد بالزور (خر، ٢٠: ١٦)؛ لا تشته بيت قريبك ولا شيئا مما يملك (خر، ٢٠: ١٧).

ونصف سبط. وقد جاءت هذه المجموعة على مزيج من القصص والشرائع تربط سياق الحوادث منذ خلق العالم حتى موت النبي موسى.

أما القسم الثانى وهو المسمى " نبييم " أى الأنبياء فيشتمل على مجموعتين الأولى خاصة بالأنبياء الأول والثانية بالأنبياء المتأخرين، وتتناول الأولى تاريخ بنى إسرائيل من دخول يشوع فلسطين حتى هدم الهيكل في بيت المقدس وهذه الأسفار هى:

١- سفر يشوع ويحتوى على تفاصيل توغل الموسويين في فلسطين (الجانب الغربى من الأردن) وتقسيم الأراضى التي تم فتحها على تسعة أسباط ونصف.

٢- سفر القضاة ويشمل فترة عهد القضاة بين موت يشوع وولادة صموئيل.

٣، ٤ - سفرا صموئيل الأول والثانى - الأول خاص بتاريخ صموئيل وشاؤل والقسم الأول من عهد داود والثانى خاص بحكم داود [١].

٥، ٦ سفرا الملك الأول والثانى - ويبحثان في الفترة من موت داود حتى بدء السبى البابلى [٢].

٧، ٨ - سفرا أخبار الأيام الأول وأخبار الأيام الثانى - وهما كناية عن وثائق غير مصنفة وسلالات نسب وأجزاء روائية من آدم حتى بداية عهد قورش.

والمجموعة الثانية الخاصة بالأنبياء المتأخرين تتألف من ١٤ سفرا هى: أشعيا وأرميا وحزقيال ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم [٣] حبقوق وصفنيا وحجى [٤] وزكريا وملاخى.

وأما القسم الثالث فيسمى " كتوبيم " (الكتابات والأشعار) ويتألف من اثنى عشر سفرا هى: مزامير داود وأمثال سليمان وأيوب ونشيد الإنشاء [٥]، وراعوث وهو شع ومراثى أرميا والجامعة وأستير ودانيال وعزرا ونحميا.

وعلى هذا يكون العهد القديم مؤلفا من ٣٩ سفرا ومقسما إلى ثلاثة أقسام هى:

(١) سفرا الملوك الأول والثانى حسب الترجمة الكاثوليكية.
(٢) سفرا الملوك الثالث والرابع حسب الترجمة الكاثوليكية.
(٣) نحوم حسب الترجمة الكاثوليكية.
(٤) حجاى حسب الترجمة الكاثوليكية.
(٥) نشيد الأناشيد حسب الطبعة الكاثوليكية.

البنتاتيك والنبييم والكتوبيم [١].

وتعتبر الديانة اليهودية ديانة كهنوتية إذ أن الكهنة هم الذين يقومون بتفسير التوراة ذاتها، وهم الواسطة بين اليهود وإلههم " يهوه " وهم الذين ينفذون الشريعة ويوجهون الشعب اليهودى في ممارسة شعائرهم الدينية، وكانت وظيفة الكهان عندهم وراثية وقد حصرت في نسل هارون وهم اللاويون على قول التوراة [٢].

وقد لعب مجمعهم الدينى الأعلى المسمى بالسنهدرين دورا رئيسيا في حياة اليهود الدينية والاجتماعية والسياسية في الفترة التي تلت رجوع اليهود من السبى البابلى وخاصة فيما يتعلق بمحاكمة السيد المسيح عليه السلام.

٣ ـ السنهدرين (المجمع الدينى الأعلى):

" السنهدرين " وفى بعض الأحيان يكتب خطأ بالميم (سنهدريم) هو المجلس العلمى الدينى الأعلى عند اليهود. وأصل الاصطلاح يونانى ومعناه المجلس، ظهر في زمن خلفاء الإسكندر في أورشليم حيث كانت المنطقة اليهودية بعد الرجوع من السبى بين المد والجذر فتارة كانت تقع تحت نفوذ البطالسة في مصر

(١) الطبعة الكاثوليكية تضم ٤٦ سفرا وتقسم العهد القديم إلى أربعة أقسام، وهذه الأقسام هى=أ - الكتاب ذو الخمسة أسفار (البانتنيك) ويتألف من الأسفار الخمسة الأولى (التكوين، الخروج، الأحبار، العدد وأخيرا تثنية الاشتراع).
ب - كتب التاريخ وتشمل أسفار (يشوع، قضاة، راعوت، أسفار الملوك الأول والثانى والثالث والرابع، سفرى أحبار الأيام الأول والثانى، عزرا، نحميا، طوبيا، يهوديت، استبر وأخيرا سفرى المكابيين الأول والثانى وعددها ١٦ سفرا).
جـ - كتب الشعر والحكم وتشمل أسفار (أيوب، المزامير، الأمثال، الجامعة، نشيد الأناشيد، الحكمة وأخيرا يشوع بن سيراخ) وعددها ٧ أسفار.
د - الأنبياء وتشمل أسفار (أشعيا، إرميا، مراثى إرميا، باروك، حزقيال دانيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبيديا يونان، ميخا، نحوم، حبقوق، صفنيا، حجاى، زكريا وأخيرا ملاخى) وعددها ١٨ سفرا، وهكذا يصبح عدد أسفار العهد القديم في الترجمة الكاثوليكية ٤٦ سفرا أى بزيادة ٧ أسفار من الترجمة البروتستانية والأسفار الزائدة هى: يهوديت، طوبيا، مكابيين أول وثانى، حكمة، يشوع بن سيراخ وأخيرا باروك.
ورأى الكنيستين في هذه الأسفار كما هو مبين في كلامنا عن ترجمات " الكتاب المقدس " العربية الكاملة.

(٢) (خر، ص ١٨)؛ (عد، ص ١٦).

وتارة أخرى تكون تابعة لسلطة السلوقيين في سورية، واستمرت الحالة كذلك حتى ظهور المكابيين ومن بعدهم الرومان على مسرح الأحداث.

وقد بقى السنهدرين قائما في العهد الرومانى حتى إلغائه سنة ٧٠م، عندما هدمت أورشليم وهكيلها فانتقل أعضاؤه إلى بلدة " يبنة " قرب يافا ومن " يبنة " إلى طبرية، وفى عهد الإمبراطور أنتونينس بيوس (١٣٨ - ١٦١ م) أعيد تشكيل السنهدرين في الجليل في بلدة " أوشا " وقد بقى منصب رئاسة السنهدرين وراثيا في عائلة هليل أكثر من ثلاثة قرون.

ويحاول الكُتّاب اليهود جعل بداية وجود السنهدرين منذ الرجوع من السبى على الأقل أى إرجاعه إلى أواخر القرن السادس قبل الميلاد، وأما التقليد اليهودى فيعتبر أن أول سنهدرين وجد كان في عهد النبى موسى عندما دعا إليه السبعين رجلا ليعملوا معه لما قام أتباعه يتذمرون ويطالبون بالعودة إلى مصر [١]. تتمثل في السنهدرين فئتان، الفئة الأولى (سادوسى) وهى الفئة المتمسكة بتعاليم الدين ومهمتها حمل الناس على الزهد والتعبد، والفئة الثانية وتسمى (بيروشيم) وهى التي تدفع الناس إلى ناحية العمل أو الكسب والإثراء ليصبح الشعب اليهودى ذا قوة مادية.

وكانت صلاحية السنهدرين تضيق وتتسع من وقت إلى آخر حسب إرادة الرومان بعد احتلالهم سورية سنة ٦٤ ق.م وقد منح الرومان السنهدرين صلاحيات دينية واجتماعية واسعة شريطة عدم تأثير ذلك على المصالح السياسية الرومانية والسنهدرين هو الذي قام بمحاكمة السيد المسيح ومن ثم بصلبه سنة ٢٩ ب.م على ما جاءت به الأخبار [٢].

وكان السنهدرين عندئذ في أقصى ما وصل إليه من نفوذ وصلاحيات. وكان يتألف حينذاك من ٧١ عضوا وكلهم من كبار الكهنة والشيوخ وأشهر الحاخاميين، وكان يحصل النصاب فيه بحضور ٢٣ عضوا، ولما عين " غابينوس " أول وال رومانى على سورية سنة ٥٧ ق.م قسم المنطقة اليهودية إلى خمسة أقسام وأقام في كل منها سنهدرين محلى مؤلف من سبعة أعضاء وقد سمى السنهدرين الرئيسى في أورشليم السنهدرين الأعلى تمييزا له عن الهيئات المحلية [٣].

---

(١) (عد، ١١: ١٦ - ١٧، ٢٤).
(٢) (مر، ١٤: ٥٣ - ٦٤)؛ (مت، ٢٦: ٥٦ - ٦٨).
(٣) انظر:

٤ ـ فئة من اليهود لا تعترف بغير الأسفار الخمسة الأولى من التوراة:

وتوجد هناك فئة قليلة من اليهود لا تعترف من التوراة بغير الأسفار الخمسة الأولى المنسوبة إلى النبى موسى، وتعرف هذه الطائفة السامرية نسبة إلى السامرة وهم يسكنون في نابلس (شكيم القديمة)، وتوجد لديهم نسخة قديمة من الأسفار الخمسة على رق يدعون بأنها ترجع إلى ما قبل عهد المسيح، وهم يرفضون كل ما عداها وما يزالون يتمسكون بها حتى اليوم، وقد استقلت تلك الفئة بكيانها الدينى، وعمل اليهود على إخراجهما من الحظيرة اليهودية فلم يفلحوا، وقد بنت لها هيكلا خاصا بها على جبل " جرزيم " عند نابلس واعتبرته بمثابة " جبل الطور " وقد قام بينها وبين اليهود عداء استمر قرونا حتى راح السامريون أحيانا يعينون في كثير من الأحيان من يريد ضرب اليهود من الغزاة.

ويعتقد أن هؤلاء السامريين هم بقايا الجماعات التي نقلها الأشوريون من بابل وعيلام وسورية وبلاد العرب ليحلوا محل اليهود الذين تم سبيهم إلى أماكن بعيدة فاختلطوا مع اليهود الباقين وتكونت منهم هذه الفئة المسماة بالسامريين أو " السامرة " كما سماهم بعض المؤرخين. وقد تم عزل عزل هذه الطائفة عن المجتمع اليهودى كليا بعد رجوع اليهود من السبى البابلى وحرمت من التزاوج مع اليهود والاختلاط بهم، ولا تزال بقايا من هذه الطائفة موجودة حتى هذا اليوم في نابلس ولا يتجاوز عدد أفرادها المئتى نسمة ولغتهم هى العربية (١).

وفى رواية للبيرونى المتوفة سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٨م) أن السامريين هم الذين أعانوا نبوخذ نصر ودلوه على نقاط الضعف عند اليهود حين غزا مملكة يهوذا وسبى اليهود إلى بابل لذلك لم يمسهم بأذى، وقال في ذلك ما نصه: " السامرة هم المعروفون باللاسامية وهم الأبدال الذين بلدهم بختنصر بالشام حين أسر اليهود.. وكان السامرة قد أعانوه ودلوه على عورات بنى إسرائيل فلم يحركهم ولم يقتلهم ولم يسبهم وأنزلهم فلسطين من تحت يده... وعامتهم يكونون بموضع من فلسطين يسمى نابلس وبها كنائسهم.. ولا يمسهم الناس وإذا مسوهم اغتسلوا ولا يقرون

S.B. Hoenig, “The Great Sanhedrin”, “Sanhedrin”, Ency. Brit. (1965, 19: 945A); Rabbi M.A. Gutstein, “Sangedrin”, in Collier Encyclopedia (1957), Vol. 17, p. 324.

(1) Hitti, “History of Syria”, PP. 197 - 198.

بنبوة من كان بعد موسى من أنبياء بنى إسرائيل " [١].

ولقد أوردت مجلة العربى، في استطلاع مصور لها عن مدينة نابلس، أحدث المعلومات عن هذه الطائفة السامرية تحت عنوان " السامريون: طائفة لا نظير لها في العالم) ومعه صور ملونة بديعة واحدة لجبل جرزيم أو جبل الطور الذي تقول عنه إنه الجبل الذي دعا الرب سيدنا إبراهيم الخليل لتقديم ولده الوحيد عليه، وأخرى لأحد كهنة هذه الطائفة حاملا بيديه الكتاب المقدس الخاص بها وهو الكتاب المعروف بالكتاب ذى الأسفار الخمسة وثالثة لثلاثة من رؤساء عشائرها في نابلس يحملون كتابهم المقدس الذي يقولون عنه أنه التوراة الحقيقية. ورابعة غير ملونة لرجل سامرى يقف فوق جبل جرزيم. وهذا ما نشرته مجلة العربى عن هذه الطائفة بالحرف الواحد:

" وتقيم في مدينة نابلس طائفة السامريين، وهى طائفة كانت دوما في تاريخها القديم في صراع مع اليهود ومع الرومان. وقد قاموا بثورات زمن الإمبراطوري زينو (٤٧٤ - ٤٩١ م) فطردهم من مقرهم في جبلهم المقدس جزريم وبنى فيه كنيسة، وثاروا زمن الإمبراطور جوستنيان فنكل بهم، ودمر معبدهم وأقام كنائس في المدينة، فهرب بعضهم إلى إيران، واعتنق البعض الآخر المسيحية.

" بعد الفتح العربى عاد السامريون إلى نابلس وعاشوا في أمان، وعادوا يقيمون طقوسهم بحرية تامة ".

" وطائفة السامريين من أقل الطوائف على وجه الأرض عددا، إذ يبلغ مجموع أفرادها ٣٣٧ شخصا بين ذكور وإناث، وقد مر عليهم وقت غير بعيد لم يزد عددهم فيه عن ١٠٠ نفس متفرقين في قرى مختلفة، وقبل ٣٥٠ سنة لم يكن قد بقى منهم سوى خمسة ذكور وخمسة إناث لا غير، فجمعهم الكاهن صدفة في نابلس بعد أن كانوا يعيشون متفرقين في دمشق وغزة ومصر، ويرى السامريون أنهم ورثة بنى إسرائيل جميعا وحماة التوراة العاملون بتعاليمها ووصاياها العشر وأن الله قد اختارهم، وأنهم هم البقية الباقية من أولاد يعقوب عليه السلام.

" وتقوم عقيدة السامريين على خمسة أركان: وحدانية الله، ونبوءة موسى عليه السلام، وقداسة جبل جرزيم، والإيمان بأن التوراة (الخمسة أسفار الأولى

(١) " الآثار الباقية في القرون الخالية "، طبعة ليزيك، ١٩٣٢، ص ٢١.

من العهد القديم) منزلة من الله، والإيمان بيوم الدينونة والبعث وأنه لا ريب فيه " [١].

والغريب هنا أن هؤلاء السامريين يرجعون أصلهم مثل ما فعل اليهود،إلى يعقوب (إسرائيل) في حين أنهم كما تؤكد بعض المظان التاريخية، من بقايا الأقوام التي حلت محل اليهود المسبيين كما أن اليهود هم من بقايا قوم موسى المصريين الأصل، وفى الفقرات الآتية شرح لذلك.

وهناك فرقة يهودية مؤلفة من طبقة الكهنة وبعض الكتبة تسمى بالصدوقيين نسبة إلى رائدهم الأول " صدقة " وقد ظهرت في زمن السلوقيين، وهؤلاء لا يقرون ما يأتى به الشيوخ والكتبة مما هو خارج عن الوحى المدون في أسفار التوراة الخمسة المنسوبة لموسى، ويقولون علينا أن لا نراعى إلا ما ورد في النص المدون ولا نأخذ بما جاءت به التقاليد الشفوية الموروثة عن الآباء والأجداد، وهم في ذلك يقفون مع السامريين على صعيد واحد [٢].

٥ ـ تاريخ التوراة، لغتها، مكان وزمان ظهورها:

إن البحث في هذا الموضوع يحتاج أولا إلى توضيح نقطة مهمة تدول حول استعمال مصطلح بنى إسرائيل كما جاء في التوراة: فالتوراة اعتبرت بنى إسرائيل الموضوع الرئيسى الذي ترتكز عليه جميع الحوادث الواردة فيها، وقد عدتهم موجودين في كل زمان ومكان حتى في الأدوار التي سبقت ظهورهم إلى عالم الوجود، فقد اعتبرت وجودهم في دور إبراهيم الخليل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد قبل أن يخلق يعقوب (إسرائيل)، كما أنها اعتبرت وجودهم بعد عهد أبيهم يعقوب بحوالى ستمائة سنة، أى في عهد النبى موسى عندما نزحت جماعته من مصر إلى أرض فلسطين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ثم اعتبرت وجودهم في جميع الأدوار التالية ومن ضمنها عهد الملوك وعهد الانقسام وما تلا ذلك. وحتى يهود العالم اليوم هم، على رأى التوراة، نفس أبناء يعقوب الذي عاش قبل ٣٧٠٠ سنة، فيا لغرابة هذا المنطق!!...

أما إذا أردنا تتبع الأدوار التاريخية حسب تسلسلها الزمنى فيتوجب علينا التمييز بين عصر إبراهيم الخليل ويعقوب (إسرائيل) وبين زمن قوم موسى وبين

(١) راجع العدد ٢٩ (إبريل ١٩٦١)، ص ٨١ / ٨٤ ـ ٨٧.
(٢) انظر: " بروتوكولات حكماء صهيون "، للأستاذ عجاج نويهض، م٢، ص ٩٨ - ١٠١، ١٣٤ ـ ١٣٥.

زمن مملكة يهوذا التي جاء اسم " يهود " منها، وذلك حسب أدوارهم كما ذكرهم القرآن الكريم بهذه التسميات الثلاثة. فإبراهيم الخليل عاش في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وكانت اللغة في زمنه لغة واحدة (اللغة الأم) يتكلم بها أبناء الجزيرة العربية المنتشرون في أنحاء الشرق الأدنى، وذلك قبل أن تتفرق هذه اللغة إلى اللهجات الكنعانية والأرامية والعبرية وغيرها. وهكذا كانت لغة العشائر الأرامية التي كانت ينتمى إليها إبراهيم الخليل هى نفس اللغة التي كان يتكلم بها الكنعانيون وهى قريبة جدا من اللغة الأم قبل أن تنفصل إلى عدة لهجات.

أما حفيده يعقوب (إسرائيل) فالأرجح أنه كان يتكلم نفس اللغة الكنعانية الأرامية وهو أرامى مثل إبراهيم بحكم النسب. كما أنه من الأرجح أن أبناء يعقوب في زمن يعقوب على الأقل كانوا يتكلمون نفس اللغة الكنعانية الأرامية. وهذا هو الدور الذي يمكن تسميته بالدور الأول الذي عاش فيه إبراهمي الخليل وحفيده يعقوب. وهؤلاء كلهم يدينون بدين إبراهيم عليه السلام. وقد انتهى هذا الدور بعد أن هاجرت أسرة يعقوب إلى مصر وانضمت إلى يوسف على قول التوراة، فاندمجت وذابت كليا في البيئة المصرية. إذ لا يمكن أن نتصور أسرة تهاجر إلى بلد غريب عن وطنها الأصلى وتمكث ستمائة عام في هذا البلد الجديد دون أن تنصهر في البيئة الجديدة وتذوب فيها كليا [١].

ثم جاء الدور الثانى بعد حوالى ستمائة عام وهو دور موسى وجماعته عندما نزحت هذه الجماعة إلى أرض كنعان، ولقد كانت أشبه ما تكون بحملة مصرية مؤلفة من جماعة من المصريين ومن بقايا الهكسوس. ويمكن أن نطلق على هذه الجماعة اسم " قوم موسى " كما ورد اسمهم في القرآن الكريم، وهؤلاء بطبيعة الحال كانوا يتكلمون اللغة المصرية وبها كلمهم موسى على وجه التأكيد، وقد نسبت التوراة هذه الحملة إلى بنى إسرائيل بغية ربط هذه الجماعة بيعقوب وإبراهيم الخليل كما نسبت موسى إلى كهنة بنى لاوى بن يعقوب (إسرائيل) ورواية التوراة نفسها تشير إلى أن موسى تربى في البلاد الفرعونى إذ اتخذته ابنة فرعون ابنا لها [٢]، ثم تزوج من امرأة كوشية (أثيوبية) [٣]. فلو كان أبناء

(١) انظر الشرح الذي يلى حول ذلك في الفصل الخامس، " عصر إبراهيم وإسحاق ويعقوب " إسرائيل ".
(٢) (خر، ٢: ١٠).
(٣) (عد، ١٢: ١).

لاوى في الوجود في زمنه لتزوج من إحدى بنات عمومته، ومن الثابت لدى العلماء أن اسم موسى اسم مصرى صميم تسمى به أباطرة عصر الإمبراطورية: أحمس أو أخ موسى، تحوتمس أو تحوت موسى [١]. رعمسيس أو رع موسى [٢]، كما كان اسم الكاهن الأعلى لمدينة ممفيس عاصمة مصر بتاح موسى وبتاح هو أهم آلهة ممفيس، وقد تسمى باسم موسى أبناء ذلك العصر الذي عاش في غضونه موسى عليه السلام.

وتقول التوراة: أن شريعة موسى نزلت عليه في جبل سيناء " وهى من صنع الله ومنقوشه على لوحى حجر مكتوب على جانبيهما بإصبع الله، وقد كتبها الله بيده مرة ثانية بعد أن ألقى موسى بهما على الأرض وكسرهما بسبب غضبه عندما شاهد قومه يعبدون العجل ويرقصون حوله [٣]. ولكن أصل الشريعة التي كتبت على لوحى الحجر اختفت ولم يبق لها وجود. أما لغة هذه الشريعة فالأرجح عندنا أنها كانت اللغة المصرية، وهى لغة قوم موسى وقد كتبت بالهيروغليفية التي كان موسى قد أتقنها في البلاد الفرعونى.

وقد ورد ذكر لوحى التوراة الموسوية في أخبار المعركة التي دارت بين قوم موسى والفلسطينيين في منتصف القرن الحادى عشر قبل الميلاد والتى انتصر فيها الفلسطينيون استولوا على تابوت العهد الذي كان يحتوى على اللوحين المذكورين ثم ردوه إلى الملك داود ووضعه سليمان في الهيكل ولم يعرف مصيره بعد ذلك [٤].

---

(١) تحوت أو تحوط إله من آلهة المصريين (رب الحكمة) عبد في أول الأمر على شكل الطائر أيبس (أبى منجل) في الدلتا ثم بعد أن وجد لنفسه موطنا جديدا في مصر الوسطى واعتقد الناس فيه أنه إله القمر وهو أيضا الذي يدير الوقت (الزمن) ويشرف على نظام العالم لذلك ظهر اسمه مسطورا في كل من قصتى خلق العالم والإله (أوزوريس) (أرمان) " ديانة مصر القديمة "، ص ١٣ - ٢٦، انظر صورة الإله تحوت على الصفحة ٤٨ من الكتاب المشار إليه.

(٢) " رع " إله من آلهة المصريين المشهورين عبد في الشمال وفى الجنوب على السواء وهو اسم من أسماء إله الشمس يشرق في الصباح، والإله " رع " يمزق الصواعق ويبعد الأمطار ويفتت البرد أقيم له معبد خاص ذو طابع خاص. (أرمان، المصدر السابق، ص ١٩ - ٢١، ٣١).

(٣) (خر، ٣١: ١٨، ٣٢: ١٥ - ١٦، ١٩، ٣٤: ١).

(٤) انظر ما تقدم عن هجرة الفلسطينيين في الفصل الأول.

وتابوت العهد هذا حسب المآثر الإسرائيلية خزانة من الخشب مكسوة بالذهب اعتبرها الموسويون رمزا لوجود الله وقد أودع فيها اللوحان الحجريان اللذان نقشت عليهما الشريعة وأشياء دينية أخرى وصارت هذه الخزانة تشغل أقدس جزء من طقوسهم الدينية ووجودها بين ظهرانيهم يكفل النصر له، لذلك كانوا يحملونها معهم في رحلاتهم وفى معاركهم على أعمدة طويلة (١).

وقد ورد في التوراة أيضا أن موسى تلقى الوصايا وأحكام الشريعة التي أوصى بها الرب في عربات موآب فكتبها وسلمها للكهنة (٢)، ونستخلص من ذلك أن أحكام هذه الشريعة كتبت بيد النبى موسى نفسه، وهى غير الشريعة التي كتبت بيد الله على الحجر على قول التوراة، ولعلها كتبت على رق من رقوق البردى التي كان يستعملها المصريون في كتابتهم، أما اللغة التي كتبت بها فلابد من أنها نفس اللغة المصرية التي كتبت بها الشريعة على لوحى الحجر، إلا أنه لم يعثر على أى أثر لكلتا الكتابتين.

وقد أخذت جماعة موسى بعد أن استقرت في فلسطين بالحضارة الكنعانية وتقاليدها وعاداتها كما أخذت بلغتها الكنعانية، لذلك نجد التوراة عندما تتحدث عن لغة هذه الجماعة التي تسمى نفسها بنى إسرائيل في حين أنها أبعد ما تكون عن بنى إسرائيل الذين عاشوا قبل حوالى ستمائة عام، فإنها تسميها " بشفة كنعان " (٣) أى لسان كنعان. وكان هؤلاء الموسويون يستعملون حروفا فينيقية قديمة في كتابتهم ثم أخذوا يكتبون بالخط السامرى، أما لغتهم التي صارت تسمى بالعبرية، في وقت لاحق فهى إحدى اللهجات التي اقتبسوها من الأرامية وقد تكونت بعد مرور أكثر من ستمائة عام على دخولهم أرض فلسطين وبها كتبت التوراة في بابل بعد عهد موسى بثمانمائة عام. وبعد مرور عدة قرون اقتبست هذه الجماعة الكثير من أسس الديانة والعبادة الكنعانية وصارت جزءا من ديانتها، كما سنوضح ذلك فيما يلى(٤).

أما الدور الثالث فهو الدور الذي يبدأ بسبى اليهود إلى بابل في القرن السادس

---

(١) (خر، ٣٧: ١ - ٩، ٢٥: ١٠ - ٢١)؛ (عد، ١٠: ٣٣ - ٣٦)؛ (تث، ١٠: ١ - ١٥)؛ (يش ٣: ٦).
(٢) (تث، ٣١: ٩).
(3) G.Rabin, "He brew Language", Enc. Brit., Vol. 2, B. 279.
(٤) انظر ما يلى في الفصل الرابع، " التوراة في ضوء المكتشفات الأثارية "..

قبل الميلاد (٥٩٧ - ٥٨٦ ق.م) وهؤلاء هم بقايا جماعة يهوذا وقد سموا باليهود نسبة إلى مملكة يهوذا المنقرضةوقد كان لهؤلاء في هذا الدور الأخير النصيب الأكبر في تكوين الديانة اليهودية، ففى بابل مارس اليهود شعائرهم الدينية وواصل كهنتهم أعمالهم الدينية بتحرير أهم فصول التوراة والتمهيد لتدوين التعاليم اليهودية باسم التلمود البابلى، حتى أن السبى البابلى كان عاملا قويا في تطوير الديانة اليهودية في القرون التي تلت.

وقد وردت كلمة يهود في الكتابات الشورية وفى القرآن الكريم مما يؤيد صحة وجود هذه الفئة باسم اليهود آنذاك، في هذا الدور بالذات دونت أهم فصول التوراة، دونها الكهنة اليهود باللغة العبرية المعروفة بأرامية التوراة، وهى لهجة مقتبسة من الأرامية، واستعملوا الخط المسمى بالخط المربع وهو مأخوذ من أقدم الأقلام الأرامية فحفظوه إلى يومنا هذا ويسمى الآن بالخط الأشورى المربع.

ومما يذكر في هذا الصدد أن هؤلاء الكتبة هم كبار الكهنة والحاخاميين اليهود وقد عاصروا مملكة يهوذا في أواخر أيامها قبل السبى الأخير (٥٨٦ ق.م) وكانوا بصفتهم علماء ذلك العصر يحسنون جميع اللغات القديمة ومن ضمنها السومرية، وكذلك الكتابة المسمارية التي نشأت في جنوب العراق بالإضافة إلى الكتابة الهيروغليفية، فجلس هؤلاء الكهنة وأمامهم الأكداس من الرقم الطينية في شتى المواضيع في مختلف اللغات والخطوط وفى مقدمتها المواضيع الدينية التي كانت تشغل حيزا كبيرا من تفكير أقوام تلك العصور.

ويبدو لأول وهلة عندما نستعرض مدونات التوراة أن الهدف الأول الذي كان يهدف إليه هؤلاء الحاخامون هو تمجيد تاريخ الزمرة اليهودية التي كانوا يعيشون وسطها وهم منها وجعلها صفوة الأقوام البشرية والجماعة المختارة التي اصطفاها الرب من دون بقية الشعوب. ولتحقيق هذا الهدف كان لابد لهم من إرجاع أصل هذه الجماعة اليهودية (الإسرائيلية) إلى أقدس شخصية في التاريخ القديم، أى إبراهيم الخليل الذي كان صيته قد عم جميع أرجاء عالم تلك الأزمان.

أما الهدف الثانى فهو تثبيت عقيدة الأرض الموعودة على لسان إبراهيم ويعقوب وموسى وهم بريئون منها. وقد حالفهم النجاح في سرد هذا التاريخ حسب أهوائهم ونزعاتهم بلباقة ومهارة لم يسبق لهما نظير في الأدب القديم وإن أصح ما جاء في الحوادث المدونة هى الوقائع التي تعود إلى العهد الأشورى الأخير والعهد الكلدانى، لأنها كانت وقائع قريبة جدا من عصرهم وقد عاشوا فعلا في وسط الوقائع الأخيرة في

السبى الأخير.

ثم جاء عهد اليونان فأضاف أخلاقهم في فلسطين إصحاحى المكابيين إلى التوراة، وهذان الإصحاحان كتبا في الأصل باليونانية ثم ترجما إلى العبرية، ويبحثان في تاريخ فترة المكابيين (١٦٧ - ٣٧ ق.م)، وكتابات التوراة عن هذه الأدوار المتأخرة تعتبر تاريخا للوقائع السياسية والحروب التي وقعت في الشرق الأدنى في العهود الأشورية والبابلية والإغريقية، أما ما ورد في التوراة من مزامير وأمثال وأشعار وشرائع وما إلى ذلك من أساطير وقصص فهو مستقى من المصادر الأدبية القديمة لمختلف الثقافات التي اطلع عليها كتبة التوراة ومن المعتقدات والتقاليد الاجتماعية التي عاشوها ومارسوها فعلا في فلسطين وبابل وهى كنعانية بابلية مصرية الأصل.

ويتضح مما تقدم أن التوراة قد كتبت بعد إبراهيم الخليل بألف وثلاثمائة عام وبعد عهد موسى بأكثر من سبعة قرون، وهى بالطبع غير التوراة التي نزلت على النبى موسى.

ويؤكد لودز ذلك بقوله: " إننا لا نستطيع أن نؤيد صحة رجوع تاريخ أى قسم من الأسفار الخمسة وحتى الوصايا العشر إلى عصر موسى، لأن ما ورد من روايات في هذه الأسفار قد تعرض أكثر من بقية أسفار التوراة إلى تكرار وإعادة تصنيف وإلى تغيير وتوسيع مستمرين على مر العصور " (١).

ثم يضيف إلى ذلك قوله: " إذا أمعنا النظر إمعانا دقيقا في العهد القديم نجد أن الوصايا العشر أدخلت في سفر الخروج وسفر التثنية في وقت متأخر حيث ظهرت في الكتابات اليهودية في القرن السابع قبل الميلاد " (٢).

ويعترف العالم اليهودى سيلفر بأن التوراة الحالية لا تمثل توراة موسى الأصلية في أية ناحية وحتى الوصايا العشر التي يكاد يجمع العلماء أنها الشئ الوحيد المتبقى من التوراة الأصلية لم تكن في شكلها ومضمونها الحاليين كتلك التي أتى بها موسى (٣).

ويقول العالم الألمانى الدكتور مورتكات: " لا يمكن الاعتماد من الناحية

(١) لودز، " إسرائيل "، ص ٣٥٩.
(٢) لودز، المصدر السابق، ص ٣١٥.
(٣) الدكتور سامى سعيد الأحمد: " الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية " نقلا عن:
A. H. Silver, “Moses and the Original Tocah”, P. 76.

العلمية على أساطير التوراة، لذا برهنت الأبحاث الأثرية على عدم صحة أكثر تلك الأساطير التي وردت فيها كما وتوجد أبحاث تبرهن عكس هذه الأساطير " (١).

ويقول الأستاذ شبل أيضا: " وانفرد اليهود في هذا الميدان بإقدامهم على رفع سجل تاريخهم إلى منزلة التقديس ونجاحهم نجاحا لا يبارى في إيهام مئات الملايين من البشر على مدى الأحقاب والعصور بأن تاريخهم كتاب مقدس، مصير من لا يصدقه أو يناقشه مناقشة علمية عقاب الله في الدنيا والآخرة " (٢).

وفى نفس المعنى يقول المرحوم العقاد: " ومن أعجب العجب أن تنسب هذه الأسفار (الخمسة) إلى موسى وفيها وصف موته ودفنه، ومقارنة بينه وبين التابعين له من الأنبياء، ومعنى ذلك أن الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية كتب بعد قيام أنبياء كثيرين تنعقد المقارنة بينهم وبين موسى عليه السلام، فمن الثابت قطعا أن هذه الأسفار العبرية كتبت بعد عصر موسى عليه السلام بعدة قرون " (٣).

وكان اليهود في بابل يتكلمون اللغة الأرامية بعد أن انتشرت هذه اللغة في جميع البلاد الشرقية واستمروا يتكلمونها فيما بينهم بعد عودة بعضهم إلى فلسطين وقد اقتصرت اللهجة العبرية على الكتب الدينية (٤).

ويحسن بالقارئ أن يلاحظ تسلسل هذه الأدوار بالقياس إلى اللغة والديانة حسب أزمانها عند متابعة هذا البحث ليكون على بينة من الزمن الذي ينتمى إليه كل حادث من الأحداث التاريخية، لأن كتبة التوراة تعمدوا الخلط بين الأدوار التاريخية وإهمال التسلسل الزمنى فربطوا العصور بعضها ببعض، وذلك لكى يرجعوا إلى عصور لم يكن لهم أى وجود فيها فيلتبس الأمر على القارئ، وهذه الأدوار هى كما تقدم:

أولا: الدور الأول:

دور إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وترجع حوادثه إلى القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد، وهو دور مستقل بذاته ليس له أية صلة بدور النبى

(١) الدكتور مورتكات، " تاريخ الشرق الأدنى القديم "، ص ٢٧٢.
(٢) الأستاذ شبل، " مشكلة اليهودية العالمية "، ص ٩.
(٣) العقاد، " الصهيونية العالمية وقضية فلسطين "، ص ١٥٠.
(4) Hitti, "History of Syria", P. 223.

موسى أو اليهود أو التوراة، ولغة هذا الدور اللغة السامية العربية الأم والديانة وحدانية إبراهيم الخليل الخالصة.

ثانيا: الدور الثاني:

دور حملة النبي موسى المصرية على فلسطين، وتقع حوادثها في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أي بعد حوالي سبعة قرون من الدور الأول، ولا صلة لهذا الدور بعصر إبراهيم الخليل ويعقوب (إسرائيل). لذلك فإننا سوق نستخدم تسمية قوم موسى " أو " موسويين " عند الكلام عن أتباع موسى الذين دعتهم التوراة " بني إسرائيل " بقصد ربط صلتهم بإبراهيم ويعقوب، ولغة هذا الدور هي اللغة المصرية في البدء ثم تلتها الكنعانية التي اقتبسها الموسويون في كنعان.

ثالثا: الدور الثالث:

دور اليهود، وهم كتبة التوراة الحالية، وتقع حوادثه في القرن السادس قبل الميلاد، أي بعد عهد النبي موسى بثمانية قرون وبعد عصر إبراهيم الخليل بثلثمائة وألف عام. وقد ميز القرآن الكريم بين الإسرائيليين واليهود. فعندما نزلت الآية الشريفة:{ مَاكَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا } [آل عمران: ٦٧]، لم يرد هنا اسم إسرائيل المرتبط بعصر إبراهيم الخليل، ولغة هذا الدور الأرامية في التخاطب واللهجة المسماة " بأرامية التوراة " التي كتبت بها التوراة، وأما الديانة فهي وحدانية " يهوه " الخاصة باليهود فقط.

ويتضح مما تقدم أن أحبار اليهود عندما دونوا التوراة في الأسر حاولوا تجاهل الثغرة بين عهد إبراهيم وإسحاق ويعقوب من جهة ودور حملة النبي موسى المصرية على فلسطين من الجهة الأخرى (بين الدور الأول والثاني). وكذلك تجاهلوا الثغرة بين دور النبي موسى من جهة ودور اليهود من الجهة الأخرى (بين الدور الثاني والثالث)، ثم تداركوا الأمر بإظهار عبادة الإله يهوه على المسرح وربطها بدوري إبراهيم الخليل وموسى لتثبيت الاستمرار بينها وبينهما، تقول لبني إسرائيل: يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق ويعقوب أرسلني إليكم [(١)].

ولقد خيل إليهم أنهم سدوا الثغرتين ولم يدركوا أن الفتق أصبح أوسع مما يستطيعون سده في إيجادهم " يهوه " وأن الترقيع ظاهر جلي معما حاولوا إخفاءه.

(١) (خر، ٣: ١٥).

وفي هذا الموضوع يقول فرويد: " لقد تحرى الكهنة في سردهم أن يوجدوا استمرارا بين عصرهم وعصر موسى، وأرادوا أن ينفوا ما يمثل في نظرنا أبرز واقعة في تاريخ الدين اليهودى وأعنى به وجود ثغرة بين شرائع موسى والديانة اليهودية المتأخرة عنها في الزمن، ثغرة سدت في البداية بعبادة يهوه ثم تم التخلص منها فيما بعد رويدا رويدا وعلى مهل. ولقد كانت رواية الكهنة تخضع لنفس الميل المحرف والمشوه، الذي كان جعل من الإله الجديد " يهوه " إله الآباء الأوائل ".

٦ ـ أقدم الآثار الخطية للتوراة:

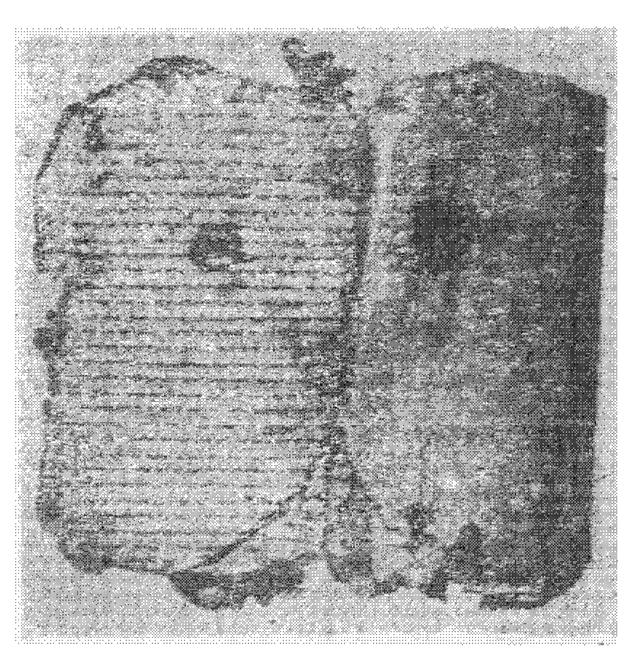
إن أقدم نصوص التوراة التي عثر عليها حتى الآن هى بعض أسفار العهد القديم التي تعود إلى القرنين الأخيرين قبل الميلاد (١)، فقد عثر أحد الرعاة العرب من عشيرة التعامرة في كهف يقع عند مصب وادى قمران في الساحل الغربى الشمالى من بحر الميت على بعد اثنى عشر كيلو مترا جنوب أريحا على لفائف اسطوانية من الرقوق مغلفة بقماش قديم من الكتاب داخل جرار من الخزف، وهذه تحتوى على بعض أسفار العهد القديم منها درج كامل لنبوة إشعيا. كما عثر في كهوف أخرى في نفس المنطقة على بقايا من هذه الرقوق كان من بينها درج يحتوى على جزء من كتاب اللاويين ومقطوعات كبيرة من رؤيا أورشليم الجديدة ودرج من المزامير ونص لسفر أيوب بالأرامية، وقد عثر المنقبون في زاوية من زوايا هذه الكهوف أيضا على مقاطع من أسفار التكوين والخروج والتثنية ونبوءة إشعيا. ويعتقد أن فرقة من اليهود كانت تقيم في هذه المنطقة وكان لهذه الفرقة طقوس دينية خاصة تميزها عن باقى الفرق اليهودية (٢).

وكان قد عثر على مقدار من هذه الطوامير المشتملة على بعض أسفار العهد القديم في زمن العهد القديم في زمن هارون الرشيد في منطقة الغور قرب أريحا وقد أسهمت هذه الطوامير المشتملة على بعض أسفار العهد القديم إلى أيدى علماء اليهود

(١) فرويد، " موسى والتوحيد "، الطبعة العربية، ص ١٠٨ ـ ١٠٩.

(٢) كان أتباع هذه الفرقة يسمون بـ " الأسينيين " أو " المغتسلين " وقد اعتزلوا المدن وأقاموا رجالا لا نساء بينهم، في الكهوف والمغاور حول البحر الميت في منطقة قمران، واتخذوا لهم نظاما= =سكنيا خاصا بهم أشبه بنظم الرهبان في العصور المسيحية على مبادئ اشتراكية جماعية، وقد انقرضوا في القرن الأول المسيحى عند تدمير الرومان مدينة القدس.

(١).



التصوير رقم (٥٩)
نموذج من رقوق وادى قمران التي تعود إلى القرنين الثانى والأول قبل الميلاد
(عن موسكاتى " الحضارات السامية القديمة " ، ص ١٢٩)

٧ ـ ترجمة التوراة إلى اللغات الأوربية واللغة العربية:

إن أقدم ترجمة للتوراة هى الترجمة المعروفة اليوم بالترجمة السبعينية، وهى المنقولة من العبرية إلى اليونانية، وقد تمت هذه الترجمة في الإسكندرية بمصر -

---

(١) انظر المراجع العربية الآتية:

الأستاذ عجاج نويهض، " بروتوكولات حكاء صهيون "، م٢، ص ٤٥ - ٤٦ و ١٣٦؛ الدكتور أسد رستم، " مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران "، هدية المسرة سنة ١٩٥٩؛ القس جيمس ولبي وإبراهيم مطر، " مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران "، ١٩٥٧؛ ميللر بروز، " مخطوطات البحر الميت "، ترجمة محمود العابدي، عمان، ١٩٧٦.

انظر أيضًا المراجع الأجنبية التالية:

M. Burrows, “The Dead Sea Scrolls”, 1956; “More Light on the Dead Sea Scrolls” 1958; S.Fritsch, “Qumran Community”. 1956; T.Gaster, “Scriptures of the Dead Sea Sect”, 1957; J.Allegro, “The Dead Sea Srolls”, 1958; “The people of the Dead Sea Scrolls”, 1959: J.A. Sanders, “The Dead Sead Sea Psalms Scroll”, 1967.

حوالى سنة ٢٥٠ قبل الميلاد تلبية لرغبة بطليموس فلادلفوس (٢٨٠ - ٢٤٧ ق.م)، والمعروف عن بطليموس المذكور أنه كان قد أوفد وفدا إلى الكاهن الأعلى في أورشليم يطلب إليه تزويده بنسخة من التوراة، كما أنه طلب إرسال من يقوم بترجمتها إلى اليونانية من العلماء اللغويين لهذا العمل، وقد استجاب الكاهن الأعلى إلى طلب ملك مصر فأرسل نسخة من الكتاب مع اثنين وسبعين عالما لإنجاز هذه المهمة فسميت هذه الترجمة بالترجمة السبعينية. ثم ترجمت إلى اللغة الحبشية عام ٣٢٠ للميلاد، ويرى المؤرخون المحققون أن المقصود هنا بالتوراة هو الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس المنسوبة لموسى. وفيما يلى الترجمة السبعينية كما أوردها العلامة سارتون: " ديمتروس الفاليرونى " شرح للملك بطليموس الثانى ضرورة نقل التوراة إلى الإغريقية فبعث برسولين إلى رئيس الكهنة لكل سبط. وقد حظى المطلب الملكى بالقبول وسرعان ما استقر في جزيرة فاروس " ٧٢ حبرا يهوديا عكفوا على ترجمة الكتاب المقدس، وقد أنجزت هذه الترجمة إلى الإغريقية بالفعل خلال القرن الثالث قبل الميلاد. وترجم غيرها من كتب العهد القديم فيما بعد، ترجم أكثر هذه الكتاب في القرن الثانى قبل الميلاد ولم يترجم آخرها الذي هو (سفر الجامعة) إلا حوالى سنة ١٠٠ بعد الميلاد. ولهذه الترجمة الإغريقية للعهد القديم أهمية كبيرة لأنها أخذت عن نص عبرى أقدم من النص العبرى الذي وصل إلينا فيما بعد " [١].

أما أقدم ترجمة للتوراة إلى اللغة العربية فإنها ترجع إلى عهد هارون الرشيد فقد ذكر ابن النديم أن أحمد بن عبد الله بن سلام الإنجيلى هو الذي ترجم التوراة من اللغة العبرانية إلى اللغة العربية، ويؤكد أنه التزم بالنص حرفيا ولم يزد عليه ولم ينقص منه مخافة التحريف [٢].

وقد ذكر المسعودى ثلاثة نقول أخرى: " الأول لحنين بن إسحاق النسطورى المتوفى عام ٢٦٠ هـ (٨٧٣ - ٨٧٤ م) وقد اعتمد فيه على الترجمة اليونانية، والاثنان الآخران لحبرين من أحبار اليهود هما أبو كثير المتوفى عام ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م) وسعيد بن يوسف الفيومى المشهور بسعد بن جاءون المتوفى عام ٣٣١ هـ (٩٤٣م) [٣].

(١) سارتون، " العلم القديم والمدنية الحديثة "، ص ٤٨ - ٤٩.
(٢) " الفهرست "، ص ٢٢.
(٣) " الشبيه والإشراف "، ص ١١٢ - ١١٣.

وقد نقل الاثنان من النص العبرى الأصلى [١]، ولم يبق من كل هذه النقول إلا نقل سعديا (طبعة درنبوج، باريس ١٨٩٣م) والنقل الوحيد الآخر الذي بقى من هذا العهد هو الذي أنجز عمله في الأندلس عام ٣٤٥ هـ (٩٥٦ م) وقد نقل عن اللاتينية، وهناك عدة نقول أخرى متأخرة عن القبطية والسريانية والعبرانية قام بها النصارى والسامريون، فصلها هزرج في مقاله الموسوم بـ [٢]:

Bibeobersetzun - Relenzykudie Gen. Arabiche

إن أقدم ترجمة عربية كاملة لكل الكتاب المقدس هى ترجمة يوحنا نقل عن اللاتينية، وهناك عدة نقول أخرى متأخرة عن القبطية والسريانية والعبرانية التي شاعت في أسبانيا في القرن السابع الميلادى وما بعد، والظاهر أن هذه الترجمة لم تطبع.

ويقول الإخباريون أن الحاخام سعديا المعلم المشهور في مدرسة بابل ترجم في القرن التاسع الميلادى كل العهد القديم أو أكثره إلى العربية لمنفعة اليهود الذين كانوا يتكلمون العربية. وقد ترجم بعض أسفار التوراة إلى العربية عدة مرات بين سنة ١٥١٦ و ١٧٢٥م، وطبعت هذه الترجمات في حلب وفى لندن وفى جنوى وفى رومية وفى لبنان. وفى القرن التاسع عشر للميلاد قام المستشرقان الفرنسيان البارون دى ساسى (S. de Sacy) (١٧٥٨ - ١٨٣٨ م)، وكاترمير (E.M. Quatremere) (١٧٨٢ - ١٨٥٢ م) بالإشراف على طبع التوراة بالعربية [٣].

أما ترجمات " الكتاب المقدس " العربية الكاملة، بشقيه العهد القديم والعهد الجديد، فهناك ثلاث ترجمات أنجزت جميعها خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر، وهذه الترجمات هى التالية:

أولا: الترجمة البروتستانتية الأمريكية التي قام بها الإرساليون الأمريكان في بيروت بواسطة لجنة مؤلفة من خمسة أعضاء أضيف إليها سادس فيما بعد برئاسة العلامة جورج بوست.

(١) الظاهر أن هذه النقول قد اشتملت على ما رواه المسعودى على التوراة والأنبياء والزبور (مزامير داود) وهى أربعة وعشرون كتابا.
(٢) انظر: (مادة التوراة) في دائرة المعارف الإسلامية - الترجمة العربية، ج٦، ص ١ - ٧.
(٣) العقيقى، " المستشرقون "، ص ١٧٩ - ١٨٥.

وقد فرغت هذه اللجنة من تحقيقاتها بإصدار العهد الجديد عام ١٨٦٠ والعهد القديم عام ١٨٦٥ ومن ثم عمدت إلى ضم العهدين معا في مجلد واحد ضخم، وقد تمت طباعة هذه الترجمة على مطابع الجامعة الأمريكية وعلى نفقة اللجنة التوراتية الأمريكانية.

ثانيا: الترجمة الكاثوليكية التي قام بها الآباء اليسوعيون في بيروت أيضا. وقد استغرقت هذه الترجمة تسع سنوات ١٨٧٢ - ١٨٨٠ وانتهت بإصدار العهد الجديد عام ١٨٧٨ والعهد القديم ١٨٨٠ وقد جرت طباعتها على مطابع ونفقة المطبعة الكاثوليكية في بيروت، وفى عام ١٩٦٠ عاودت المطبعة الكاثوليكية طباعة هذه الترجمة في مجلد واحد يضم العهدين معا.

تعتبر هاتان الترجمتان الأكثر تداولا بين المسيحيين العرب ويقول كل من القائمين بهما أنهم استندوا في ترجمتهم على الكتب الأصلية في اللغات اليونانية والكلدانية والعبرية، ويضم العهد القديم في الترجمة الأولى ٣٩ سفرا بينما تضم الثانية ٤٦ سفرا أى بزيادة سبعة أسفار هى أسفار يهوديت، طوبيا، الحكمة، يشوع بن سيراخ، باروك والمكابين (سفران). ورأى الكنيسة البروتستانتية أن هذه الأسفار مدسوسة على التوراة بينما أقرتها الكنيسة الكاثوليكية.

ثالثا: أما الترجمة الثالثة فهى الترجمة التي كانت قد عهدت بها إحدى اللجان الإنجليزية إلى الأستاذ فارس الشدياق وقام بترجمتها سنة (١٨٥١م) وقد صدرت هذه الترجمة إلا أنها منعت من التداول لكون صاحبها أعلن بعد الفراغ منها إسلامه واتخذ له اسم أحمد وتكنى بأبى العباس كرد على ما وجده من المغالطات والتناقضات التي يندى لها جبين المؤمن، والشدياق هو من أصل لبنانى ومن عائلة الشدياق إحدى العائلات المسيحية اللبنانية المشهورة [١].

٨ ـ قوانين الحرب في التوراة:

إن أغرب ما يلاحظه المتتبع لمدونات التوراة الأمر بقتل الأطفال والنساء والشيوخ وحتى البهائم، ففى التعاليم الخاصة بحرب الموسويين مع أهل فلسطين وردت الوصايا التالية:

١- " احترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض التي أنت آت إليها لئلا

(١) انظر: " بروتوكولات حكماء صهيون "، للأستاذ عجاج نويهض، م٢، ص ٢٤ - ٢٥، ص ٢٧١ - ٣٠٣.

يصير فخا في وسطك " [١].

٢- " وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما، بل تحرمها تحريما الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحوريين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك " [٢].

٣- " اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها لكن جميع الأطفال من النساء اللواتى لم يعرفن مضاجعة ذكر ابقوهن لكم حيات " [٣].

وفى غزو إسرائيل لمدينة أريحا دمر الموسويون المدينة وأحرقوها بالنار وقتلوا كل من فيها من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بأمر إلههم " يهوه " كما جاء في التوراة [٤]. وبأمر إلههم " يهوه " أيضا ضرب الملك شاؤول العمالقة العرب وهذا نص الأمر كما ورد في سفر صموئيل الأول: " فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ما له ولا تعف عنهم بل اقتل رجلا وامرأة، طفلا ورضيعا، بقرا وغنما، جملا وحمارا [٥] " ولما أبقى شاؤول على خيار البقر والغنم أحياء لم يغفر له الرب ذلك فقيل له " إنك رفضت كلام الرب فرفضك الرب من أن تكون ملكا على إسرائيل " [٦].

وقد جاء في القرآن الكريم تحذير لبنى إسرائيل من مغبة هذه الأعمال المنكرة التي أدخلوها في كتبهم وقالوا هذا من عند الله [٧]. فنزلت الآية الشريفة:{مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا} [المائدة: ٣٢].

وفى القرآن الكريم آيات أخرى تأمر بالمودة وتجنب المعاداة، والبر بمن لا يقاتل تقييما للنفس حتى بالنسبة للأعداء، ففى سورة الممتحنة قال تعالى:{عَسَى ٱللَّهُ أَن

(١) (خر، ٣٤: ١٢).
(٢) (تث، ٢٠: ١٠ - ١٧).
(٣) (عد، ٣١: ١٧ - ١٨).
(٤) (يش، ٦: ٢١).
(٥) (صم، ١٥: ٢٣).
(٦) (صم ١٥: ٢٣).
(٧) انظر ما يلى عن تحريف التوراة.

يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨)} [الممتحنة: ٧ - ٨]، وبمثل ذلك يأمر الإنجيل المسيحيين فيقول: " زيدوا على إيمانكم الفضيلة، وعلى الفضيلة، التعقل، وعلى التعقل التقوى وعلى التقوى المودة الأخوية، وعلى المودة الأخوية المحبة " (١).

ولنا أن نعتبر بالتعاليم الإسلامية التي تأمر بعدم الاعتداء:{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣)} [البقرة: ١٩٠ - ١٩٣]، وهذه التعاليم كانت ومازالت النبراس الذي اهتدى به المسلمون في حروبهم مع جميع الشعوب، وما أكثر الدلائل والأمثلة على تسامح المسلمين ورأفتهم بالمغلوبين!. وأبرز ما جاء في تطبيق التعاليم الإسلامية في هذا الصدد وصية أبى بكر الصديق إلى قواده: " لا تخونوا ولا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تقصوا نخلا ولا تحرقوه، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ".

وقد جاء في التوراة أيضا: أن نساء بنى إسرائيل (أتباع موسى) حينما عزمن على الخروج من مصر استعرن حلى جاراتهن المصريات ليتجملن بها وقد زعمن أنهن ورجالهن سيحتفلون بالعيد في الصحراء فهربن بالحلى إلى سيناء، وكان هذا السلب بأمر إلههم (يهوه) أيضا، وهذا نص الوصية: فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين، بل تطلب كل امرأة من جارتها، ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة، وأمتعة ذهب، وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين. وفعل بنو إسرائيل (أتباع موسى)(٢) بحسب قول موسى، وطلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهبا وثيابا وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم

(١) رسالة القديس بطرس الثانية ١: ٥ - ٧.

(٢) لم يكن بد من استعمال مصطلح بنو إسرائيل مجاراة لشرح التوراة التي سمت أتباع موسى ببنى إسرائيل على الرغم من انقطاع صلتهم بإسرائيل.

فسلبوا المصريين " [١].

٩ ـ تحريف التوراة الأصلية:

والآن وبعد أن شرحنا كيفية تدوين أحكام الديانة اليهودية فلابد من أن يرد على ذهن السؤال التالى: هل التوراة التي تحدث القرآن الكريم عنها وعن نزولها على النبى موسى هى نفس التوراة التي بين أيدينا وقد حافظت على أصلها؟ إن فيما مر " دليل قاطع على أن التوراة المتداولة في الوقت الحاضر قد دونت بعد النبى موسى بمدة طويلة فحرفت وأضيف إليها ما اتفق مع رغبات ونزعات وميول الكتبة مارة بعدة أدوار من الرواية الشفوية والانتخاب والحذف والإضافة إلى دور التدوين وإلا كيف يمكن أن يكون قد نزل أمر بقتل الأطفال والنساء والشيوخ لاسيما وأن إحدى الوصايا العشر تأمر بعكس ذلك؟

ويعترف رجال الدين المسيحيين بذلك إذ جاء في مقدمة الكتاب المقدس من الطبعة الكاثوليكية لسنة ١٩٦٠ بهذا المعنى ما نصه: " فما من عالم كاثوليكى في عصرنا يعتقد أن موسى ذاته كتب كل البانتاتيك منذ قصة الخلق إلى قصة موته كما أنه لا يكفى أن يقال أن موسى أشرف على وضع النص الذي دونه في الشرائع الموسوية سببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية ".

وقد ندد المسيح عليه السلام بأعمال من سماهم بالكتبة الفريسيين والناموسيين (رجال الشريعة وأنذرهم بالويلات لانحرافهم عن الفضيلة وتكالبهم على الدنيا [٢].

كما ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى ان اليهود حرفوا التوراة:{فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾} [البقرة: ٧٩].{أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾} [البقرة: ٧٥]. وفى آيات أخرى تأكيد لتحريف اليهود للتوراة:{مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ} [النساء: ٤٦].

ويقول الدكتور سامى سعيد الأحمد في ذلك: " وعندما ذكر القرآن الكريم قبل زهاء أربعة عشر قرنا أن اليهود قد حرفوا التوراة الأولى نجد الآن وبعد كل ما

(١) (خر، ٣: ٢٢، ١٢: ٣٥ - ٣٦).
(٢) (مت، ص: ٢٣)؛ (لو، ١١: ٥٢).

سمعنا به ونلمسه من البحث الدقيق والتقدم العلمى الكبير الذي سهل على علماء الآثار المؤرخين عملهم أن هذا الكلام هو عين الحقيقة " [١].

وهكذا فقد أصبح من المتعذر تحديد القسم الذي يرجع إلى زمن النبى موسى ثم تمييز القسم الذي أضيف فيما بعد ذلك أو القسم المحرف من الأسفار الواردة في التوراة إلا أنه من المرجح أن الوصايا العشر كانت هى أصل الشريعة التي كتبت على " لوحى الشهادة " التي جاء ذكرها في التوراة.

وفى الوقت الذي تؤمن التعاليم الإسلامية بعصمة الأنبياء والرسل باعتدادهم صفوة البشرية الذين يجب أن يتخذ الناس من سلوكهم قدوة يقتدون بها نرى التوراة تفترى عليهم بأعمال قبيحة تتنافى ومكانتهم الدينية والاجتماعية: " فقد نسبت إلى الملك داود أنه زنا بزوجة أحد قواده " [٢]. وإلى لوط إثما مع ابنتيه [٣]، وإلى أمنون بن داود اغتصاب أخته تامار [٤]... إلخ.

ومن أهم مظاهر الانحراف عن توراة موسى الأصلية: أن التوراة التي كتبها الكهنة بعد عصر موسى بعدة قرون تقوم على التفرقة العنصرية وذلك أن تجعل اليهود شعب الله المختار وتنظر إلى ما عداه نظرتها إلى شعوب دونهم منزلة في المجتمع الإنسانى، وتضع شريعتها على هذا الأساس فتبيح لليهودى امتيازات خاصة دون سواه من غير اليهود، في حين أن ديانة موسى الأصلية كانت تقوم على أساس التوحيد العالمى المطلق من غير أن تفرق بين الأقوام. وفضلا عن ذلك أن التوراة الأصلية التي أنزلها الله على موسى كانت تقر البعث والنشور واليوم الآخر في حين أن التوراة التي كتبها أحبار اليهود فيما بعد عهد النبى موسى بعدة قرون قد خلت من ذكر اليوم الآخر والجنة والنار.

ومن الفلاسفة المسلمين الذين كتبوا في موضوع تحريف التوراة الأصلية التي أنزلت على النبى موسى ابن حزم، الفيلسوف الأندلسى الشهير [٥]، ففى كتابه

---

(١) " الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية "، ص ٨.
(٢) (٢ صم، ١١: ٢ - ٢٦).
(٣) (أمل، ١١:١ - ٩).
(٤) (تك، ١٩: ٣٠ - ٣٧).
(٥) هو على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى: عالم عربى أندلسى، فقيه ومؤرخ وشاعر مشهور، ولد سنة ٣٨٤ هـ (٩٩٤م) في قرطبة ونشأ فيها كانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، وقد عرض نفسه إلى تهجم

" الفصل في الملل والأهواء والنحل " (الفصل في مناقضات ظاهرة وتكاذيب واضحة في الكتاب الذي تسميه اليهود التوراة وفى سائر كتبهم ومن الأناجيل الأربعة يتيقن تحريفها وتبديلها وأنها غير الذي أنزل الله عز وجل) [١] يبين ما في نصوص التوراة الحالية التي كتبها أحبار اليهود بعد عصر موسى بوقت طويل من أكاذيب وخرافات ومتناقضات وذلك بعد عرض تلك النصوص وتعليقه على كل منها. فيذكر ابن حزم أن السامريين يزعمون بأنهم يحتفظون بالتوراة الأصلية المنزلة ويقطعون أن التي بين أيدى اليهود محرفة مبدلة، أما هو، أى ابن حزم، فيبرهن بما قدمه من أدلة على أن كلتا التوراتين محرفتان مبدلتان وهما غير الذي أنزله الله على موسى.

وقد أكد في ملاحظاته على بعض النصوص التوراتية أنها تنقل " فضائح وأكذوبات وأشياء تشبه الخرافات ".

ويشير ابن حزم إلى عدد الكذبات والمناقضات في التوراة فيقول: " إن الفصل الواحد منها يجمع سبع كذبات أو مناقضات أو تحريفات فكيف وهى سبعة وخمسون فصلا ثم ينتهى إلى القول " إن التوراة عند بنى إسرائيل من أول دولتهم أثر موت موسى عليه السلام إلى انقراض دولتهم إلى رجوعهم إلى بيت المقدس إلى أن كتبها لهم عزرا الوراق بإجماع من كتبتهم واتفاق من علمائهم دون خلاف يوجد من أحد منهم في ذلك وما اختلفوا فيه من ذلك نبهنا عليه ليتيقن كل ذى فهم أنها محرفة مبدلة وبالله تعالى نستعين...

هنا انتهى ما أخرجناه من توراة اليهود وكتبهم من الكذب الظاهر والمناقضات اللائحة التي لا شك معه في أنها كتب مبدلة محرفة مكذوبة وشريعة موضوعة مستعملة من أكابرهم ولم يبق بأيديهم بعد هذا الشئ أصلا ولا بقى من فساد دينهم شبهة بوجه من الوجوه والحمد لله رب العالمين ".

بعض العلماء والفقهاء لانتقاده إياهم، فأجمعوا على تضليله حتى أقصى وطورد فرحل إلى بادية ليلة (من بادية الأندلس)، وتوفى فيها سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤م).
انظر الأعلام ٥٥ ن ص ٥٩، جرجى زيدان، " آداب اللغة العربية "، ج ٣، ص ١٠٤ - ١٠٥؛ ابن القفطى، ص ٢٣٢ - ٢٣٣، دائرة المعارف الإسلامية، م١، ص ١٣٦ - ١٤٤.

(١) انظر الجزء الأول من كتابه، طبعة القاهرة ١٣١٧ - ١٣٢١ هـ، ص ١١٦ - ٢٢٤.

١٠ ـ ازدواجية التوراة:

إن العديد من التناقضات التي تسود التوراة والغموض العالق بالفترة الزمنية ما بين عصر يعقوب ويوسف من جهة وبين عصر موسى واليهود من الجهة الأخرى، ثم الفترة الزمنية ما بين عصر النبى موسى وبين عصر اليهود (كتبة التوراة) من الجهة الأخرى وسكوت التوراة سكوتا يكاد يكون مطبقا عن هاتين الفترتين، كل ذلك حمل الباحثين على مواجهة التساؤلات محاولين إيجاد الحلول لهذه العقدة في التوراة فكان أن نشأ بينهم شبه اتفاق على ازدواجية التوراة، أى أن التوراة تخلط بين العصور والأدوار وبين الأقوام والديانات دون أن تتقيد بالتسلسل الزمنى لتجنب الدخول في التفاصيل، إلا أن الباحثين اختلفوا في تعيين نوعية الازدواج، فبعضهم يعترف بالأصل الكنعانى العربى لإبراهيم وعدم ارتباطه بعصر موسى واليهود، مخالفا في ذلك ادعاء كتبة التوراة بأن إبراهيم (إبرام) شخصية يهودية باعتباره (أول آباء اليهود).

فيرى الأستاذ الفرد المر مثلا أن التوراة تضمنت بصورة رئيسية، تيارى التسجيل اليهيوى [١] والإيلوهيمى [٢]، وأن التيار الإيلوهيمى هو تيار كنعانى الأصل، وقد اصطدم بالتيار اليهيوى منذ موسى ولم يتمكن التيار اليهيوى من اقتلاعه بدلالة بقاء آثاره في التوراة حتى زمن متأخر، أى إلى زمن كتابة التوراة ذاتها. أما التيار الإيلوهيمى فقد كان تيارا دينيا صرفا على الأرجح بينما التيار اليهيوى تيار عنصرى سياسى استيلائى [٣].

ويرى البعض الآخر أن التوراة توحى بين سطورها دلائل على وجود إبراهيمين لا إبراهيم واحد، فيقول الدكتور كامبيل: " لابد هنا من وجود إبراهيمين جاء أحدهما بعد الآخر بزمن طويل ". ثم يضيف إلى ذلك قوله: " ولما امتزج العموريون والعبريون واشتركوا في العبادة وفى السيادة صعد العبريون نسبهم إلى جد مدنون في حبرون يسمى إبرام، وذكروا أن قبره مشترى بالمال من ملوك الأرض الأصلاء، وأن ليس في دفنه ثمة عدوان ولا ادعاء "، وقد تبنى هذه النظرية ذاتها السير ليونارد وولى مؤلف كتاب " إبرام والكشوف الأخيرة " وهو يرجح بأن إبراهيم هو غير إبرام لأن تسمية الحفيد باسم الجد مألوفة جدا في البلاد

(١) نسبة إلى " يهوه "..
(٢) نسبة إلى " إيل "..
(٣) قاسم الشواف، " مع الكلمة الصافية "، ص ٣٢٨.

البابلية، " فإذا كان لإبراهيم جد باسم إبرام جاء في كثير من الروايات، فالأقرب إلى المألوف أن المتأخرين بعد عصره جمعوا بين أخبار الاثنين ووصلوا عمر أحدهما بعمر الآخر فبلغوا بهما مائة وخمسا وسبعين سنة، وغير بعيد أن يكون العبريون المتأخرون قد تكلموا عن إبراهيمين لا عن إبراهيم واحد. وهذا التاريخ الغامض قد زاده اختلاطا على اختلاط دعوى الطائفة العبرية التي تنتسب إلى إبراهيم، أنها ذريته التي ترثه في الأرض والسماء وأنها ورثت أرض فلسطين من أيام إبراهيم، مع أنهم كانوا إلى أيام موسى يشترون المرعى والمورد فيها بالفضة، ولم يستطيعوا أن يدخلوا فلسطين إلا بعد أن ضعف العموريون والحيثيون والهكسوس " (١).

ثم جاء العالم النفساني الشهير فرويد فتبنى نظرية أخرى عن ازدواجية التوراة وهى أن هناك شخصين يحملان اسم موسى، ويرى أن هناك عددا من الثنائيات التي تحكم اليهود فتجعل تفكيرهم نابعا من ازدواجية قديمة فهم ليسوا شعبا واحدا بل شعبين ولهم إلهان ودينان طغى أحدهما على الآخر ونبيان كل واحد منهما اسمه موسى قتل الثانى فيهما أفكار الأول بعد أن كان اليهود قد قتلوه فعلا.. ".

وفى ازدواجية التوراة يرى ويلز " أن هناك فكرة في التوراة تدحضها كتب التوراة ذاتها في تفصيلها، وهذه الفكرة هى القول بأن كل الناس قاطبة هم أبناء إبراهيم، وثمة هناك فكرة أخرى عن وعد قطعه " ياهوه " لإبراهيم بأن يفضل الشعب اليهودى على جميع الأجناس الأخرى، وثمة فكرة ثالثة هى الاعتقاد بأن " ياهوه " هو أعظم وأقوى آلهة القبائل طرا. فكانت هناك فكرة رابعة نشأت عن هذه الفكرات الثلاث هى الفكرة القائلة بأن هناك زعيما منتظرا ومسيحا منتظرا يحقق ما ترامى به الزمن من وعود " ياهوه " التي طال الأمد عليها (٢).

فهذه النظريات جميعها التي قدمها الباحثون لتحليل وتحديد نوعية هذه الازدواجية التوراتية سواء من وجود إبراهيمين أو وجود شخصين يدعيان موسى لم تأت بالحل المتوخى بل إنها زادت تعقيدا لأنها تفتقر إلى قرائن تاريخية تدعمها إذ أنها جميعا من قبيل الحدس والرجحان. أما الحقيقة فإننا نراها واضحة جلية في ضوء الاكتشافات التي وصلتنا عن تحديد أزمان الوقائع التاريخية، حيث يتجلى

(١) عباس محمود العقاد، " إبراهيم سيد الأنبياء "، ص ١٢٩ - ١٣٠.
(٢) ويلز، " تاريخ معالم الإنسانية "، الكتاب الرابع، ص ٢٩١ - ٢٩٢.

لنا فيها نوع الازدواج على حقيقته، ففى التوراة حوادث تاريخية وقعت وأسماء لشخصيات عاشت في عصور مختلفة بنى عليها كتبة التوراة شتى الأساطير والقصص والخرافات وفق ما أملته عليهم أهواؤهم ورغباتهم تحقيقا لأغراض معينة وقد أشرنا في عدة مناسبات إلى ماهية هذه الأغراض، ومن بين سطور التوراة نخلص إلى أن هناك ثلاثة أقوام أو ثلاث جماعات لكل منها ثقافتها الخاصة بها ظهرت في أزمنة متباعدة منفصلة الواحدة عن الأخرى حاول كتبة التوراة الجمع بينها واعتبارها جماعة واحدة مما أدى إلى التناقضات الآنفة الذكر وهذه الأقوام أو الجماعات هى:

أولا: الجماعة الإبراهيمية الإيلوهيمية، جماعة إبراهيم وإسحاق ويعقوب المرتبطة بالعصر الكنعانى (السامى العربى).

ثانيا: قوم موسى المختلط والمؤلف من جنود مصريين وبقايا الهكسوس وعبيد فارين.

ثالثا: اليهود العنصريون المرتبطون بدين " يهوه " الذي كتبه الأحبار وقد ربطوا صلتهم عرقيا وتاريخيا بإبراهيم وعصره وبفلسطين التي وعدهم إلههم يهوه بها [(١)].

هذه هى الازدواجية التي نلاحظها في التوراة والتى حاول كتبة التوراة ربط خيوطها بشبكة واحدة يستمدون منها أصلهم وتاريخهم فباءوا بالفشل في هذه المرحلة إذ أنها لم تصمد أمام التحليل العلمى المنطقى وفى ضوء الاكتشافات الأثرية الحديثة.

١١ ـ التلمود في الديانة اليهودية:

يعد كتاب التلمود عند اليهود جزءا من أحكام الديانة اليهودية، والتلمود معناه التعاليم أو الشرح أو التفسير، وهى مجموعة الشرائع اليهودية التي نقلها الأحبار اليهود شرحا وتفسيرا للتوراة واستنباطا من أصولها، وأصل كلمة " تلمود " من العبرية (لامـاد) أى (يعلم). ويقسم التلمود إلى قسمين " المشنة " أى النص أو المتن، و " الجمارا " أى التفسير والشرح.

(١) في تفسير الزوهر أن عبارة " عظيم هو الرب " (من ١٤٥: ٣)، تشير إلى الإله يهوه في حين أن عبادة " الرب سيد الأرض كلها " (يش، ٣: ١٣) تشير إلى الرب " دون " سيد الأرض كلها. انظر:

G. G. Scholem “Zohar”, 1963, P. 100.

والتلمود اسم جامع للمشنة والجمارا معا. والمشنة عبارة عن مجموعة من تقاليد اليهود المختلفة في شتى نواحى الحياة اليهودية مع بعض الآيات من كتاب التوراة. أما الجمارا فهى مجموع المناظرات والتعاليم والتفاسير التي وضعت في المدرسة العالية بعد الانتهاء من وضع المشنة. ويزعم اليهود بأن هذه التقاليد والتعاليم ألقاها النبى موسى عليه السلام شفاهة على شعبه، وقد أعطيت له حين كان على الجبل ثم تداولها هارون وأليعازر ويشوع وسلموها للأنبياء ثم انتقلت من الأنبياء إلى المجمع العلمى الأعلى (سنهدرين) (١) وخلفائهم حتى القرن الثانى بعد المسيح عليه السلام ويعتبر أكثر اليهود التلمود كتابا منزلا ويضعونه في منزلة التوراة ويرون أن الله أعطى موسى التوراة على طور سيناء، ولكنه أرسل على يده التلمود شفاهة (٢).

وهناك تلمودان يعرف أولهما بالتلمود الفلسطينى ويسميه اليهود الأورشليمى(٣)، ويعرف الثانى بالتلمود البابلى(٤)، ولكل من هذين التلمودين طابعه الخاص هو طابع البلد الذي وضع فيه، ولغتا التلمودين مختلفتان وتمثلان لهجتين أراميتين، التلمود الفلسطينى بالأرامية الغربية، أما التلمود البابلى فلهجته أرامية شرقية أقرب ما تكون إلى الندائية (العراقية) وقد احتوى على بعض مصطلحات يونانية ولاتينية، وحجم التلمود البابلى أوسع من التلمود الفلسطينى بأربعة أضعاف ويقع في ٥٨٩٤ صفحة ويطبع عادة باثنى عشر جزءا.

وقد دون التلمود الفلسطينى في طبرية حيث نشأت في فلسطين طبقة من العلماء يعرفون بـ " التنائيم " فأخذ هؤلاء يشرحون أحكام التوراة ويدونون قوانينها وتبويب شرائعها في مجموعة أصبحت تعرف بـ " المشنة " وقد استغرق وضعها حوالى مائتى سنة (١٠ - ٢٢٠ م) حيث تم جمعها بعناية الحبر الأكبر يهوذا بن شمعون الملقب بالربن الأقدس (١٣٥ - ٢٢٠ م) سنة ٢٠٠م. وهو الراب الأكبر يهوذا بن الربن عمليال سابع رؤساء المجمع اليهودى الأعلى

---

(١) انظر ما تقدم عن السنهدرين.

(٢) الدكتور أحمد شلبى، " مقارنة الأديان اليهودية "، ص ٢٦٦.

(3) L.Ginsberg, “The Palestinian Talmud”, N.Y., 1941; Radkinson. “History of the Talmud”; J.Beckley, “The Talmud”.

(4) C.Danby, “The Talmud”; Dra ch, “The Harmony between the Church and the Synagoge”.

(سنهدرين) جامع المشنة التي أصبحت أساسا للتلمود [١]، و " التنائيم " كلمة أرامية جمع (ثناء) أى (معلم).

ثم نشأت في فلسطين أيضا طبقة ثانية من الربانيين يعرفون بـ " الأمورائيم " أى الأساتذة المحدثون فأخذ هؤلاء يدرسون المشنة ويعلقون عليها التعليقات الضافية ويشرحون متونها شرحا وافيا يتناول شرائع اليهود وتقاليدهم وطقوسهم وتاريخهم، وقد جمعت هذه التعليقات والشروح في مجموعة أصبحت تعرف بالتلمود الأورشليمى، وكان الفراغ منه في أواخر القرن الثالث الميلادى وقد فقد قسم كبير منه. و " الأمورائيم " كلمة عبرية جمع " أمورا " أى مكلم أو شارح.

ولما اشتد ضغط الرومان على اليهود في فلسطين لم يعد باستطاعة الرابيين الاستمرار على الدرس والبحث بحرية وأمان فاضطر عدد كبير منهم إلى الهجرة إلى العراق حيث أنشؤوا مدارس كبرى للأمورائيم. وفى هذا المحيط الذي كان يسوده الأمان والحرية الدينية المطلقة استطاع الأمورائيم أن يشرحوا المشنة شرحا أكثر تفصيلا وأتم موضوعا مما اضطلع به علماء فلسطين فصارت مجموعة الشروح العراقية تعرف بالتلمود البابلى الذي تم وضعه سنة ٤٩٠م وبها انتهى دور الأمورائيم ".

وقد تأسست في العراق أربعة مراكز رئيسية للدراسات الدينية تحت إشراف الرابيين قد تعاونت فيما بينها في وضع التلمود البابلى، ثلاثة منها على نهر الفرات أعلاها " نهر دعه " في منطقة الفرات الأوسط بجوار عانه وتليها جنوبا بلدة " فومبديتة " في جوار مدينة الأنبار و " سورا " في منطقة بابل، ثم " ماحوزا " على نهر دجلة بجوار طيسفون [٢]، هذا مع العلم أن " نهر دعه " كانت من مدن التلمود المهمة وكان موقعها في منطقة الفرات الأوسط والظاهر أن اسمها كان يشمل الإقليم بأجمعه ومن ضمنه مدينة الأنبار، وقد تعرضت " نهر دعه " إلى هجوم أذينة الثانى ملك تدمر. فبعد انتصاره على الملك شابور الأول سنة ٢٦٢م هاجم المدينة وهدمها بما فيها مدرستها الدينية اليهودية.

---

(١) رحلة بنيامين، ص ١٩٧.

(٢) يقول ابن العبرى في مؤلفه " مختصر تاريخ الدول، ص ١٤٩: " أن كسرى الأول (أنوشروان) بعد أن استولى على إنطاكية نقل سكانها إلى مدينة جديدة خصصها لهم قرب المدائن سماها أنطاكية ثم استخدم الكتاب السريان واليهود اسم " ماحوزة " للدلالة على كل بلاء سلوقية.

وعلى أثر ذلك انتقلت المدرسة إلى " ماحوزة " ثم أصبحت " سورا " مركزا رئيسيا للدراسات الدينية اليهودية في بابل بعد أن أسس فيها أبا أريحا المسمى بالراب مدرسة كبرى سنة ٢١٩م. ونشأت معها " فومبديثة " بجوار مدينة الأنبار التي تأسست فيها أيضا إحدى كبريات المدارس التلمودية. ولفظة فومبديثة تعنى " فم البداة " والبداة ذكرها ياقوت ووصفها بأنها والبجة معها تشكلان طوجين سواد الكوفة [١].

وقد ذكر بنيامين القطى الذي زار العرق في القرن الثانى عشر للميلاد أن الأنبار هى " فومبديثة " في " نهر دعة " ويقيم فيها نحو ألفى يهودى بينهم العلماء والفقهاء، ومنهم الربيون حنين وموسى والياقيم وبها من القبور قبور الربيين يهوذا وصموئيل، وبها أيضا كنيس ر. بستناى رأس الجالوت[٢]. والربين ناثان ونحمن بن بابه [٣]. أما " سورا " فكانت تقع بجوار الحلة على صدر شط النيل المتفرع من الفرات وكان يعرف قديما بـ " نهر سورا " ويسميه ابن سرابيون بالصراة الكبرى وقد أعاد حفره الحجاج بن يوسف، وكان عند سور جسر شهير يعرف بقنطرة الفامنغان، وكان رأس الجالوت في سورا عندما تأسست فيها مدرسة كبرى سنة ٢١٩م، كما تقدم بيانه، وقد استمرت هذه المدرسة تقوم بمهمتها ثمانية قرون حتى أغلقت ومعها المدارس الأخرى في خلافة القادر بأمر الله (٩٩١ - ١٠٣١ م) ومن ثم انتقل مركز اليهود العلمى إلى الأندلس

(١) ياقوت الحموى، " معجم البلدان "، ج١، ص ٧٧٠، م٢، ص ٣١.

(٢) رأس الجالوت اصطلاح عربي أطلق على رئيس الطائفة اليهودية في دار الإسلام (الدولة الإسلامية)، وأصل اللفظة أرامي تعني رأس الجالية أما اليهود فكانوا يطلقون عليه لقب " ريش جالوتا ". وفي خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه تولى رئاسة الجالوت بستناي بن حنيناي سليل رؤساء الجالوت الأقدمين من آل داود، فأقره الخليفة في منصبه بكتاب عهد وجه إليه، وكان مقر رأس الجالوت في مدينة " سورا "، وكانت سلطة رأس الجالوت في عهد الخلفاء العباسيين كما تنا بنيامين التطلي في رحلته (ص ١٣٥ - ==١٣٨)، تسرى على جميع الطوائف اليهودية المنتشرة في العراق وفي بلاد خراسان واليمن وجزيرة العرب وما بين النهرين وأرمينيا وأذربيجان وجورجيا حتى شواطئ نهر جيحون وسمرقند والتبت وديار الهند، وبعد تأسيس مدينة بغداد في عهد المنصور سنة ٧٦٢م، انتقل رأس الجالوت إلى العاصمة الجديدة.. ويرجع تنظيم جماعات اليهود تحت رياسة رأس الجالوت إلى القرنين الثاني والثالث الميلاديين.

(٣) " رحلة بنيامين "، ص ١٢٩.

فأسسوا في مدينة قرطبة مدرسة كان طلاب العلم يسمونها في كل حدب وصوب. وقد نبغ منها جماعة انصرفوا إلى دراسة فلسفة أفلاطون فخرجوا عن السلطة الدينية التي كانت متمركزة في مدينة سورا، وقد اشتهر من بين فلاسفة قرطبة موسى بن ميمون الذي كان اجتهاده منصبا على الوفيق بين فلسفة أفلاطون والأسفار المقدسة. ثم تدهورت الدولة الأموية في الأندلس فتعرض اليهود للاضطهاد. وفى أواخر القرن الخامس عشر طرد اليهود من أسبانيا فاضمحلت الفلسفة اليهودية التي كانت تشغل المحل الثانى بعد الفلسفة العربية في عصر كانت فيه أوربا غارقة في ظلمات الجهل [١].

وقد نشأت في العراق بعد انتهاء دور " الأمورائيم " طبقة من العلماء عرفت بـ " السبورائيم " وهى كلمة عبرية معناها الأساتذة الشارحون وكانت تطلق على طبقة من العلماء اليهود استمر نشاطهم العلمى في بابل من سنة ٥٠٠ إلى سنة ٥٨٨ بعد الميلاد وكانت أهم أعمالهم التعليق على التلمود وتنظيم أبوابه وفصوله بالشكل الذي هو عليه حتى يومنا هذا. وأخيرا تولى الغاؤونيم مسئولية تعليم التلمود، وإصدار الفتاوى الدينية ليهود الشق والغرب وقد استمر عمل الغاؤونيم حوالى ٤٥٠ سنة بين سنة ٥٨٩ وسنة ١٠٣٠م، و الغاؤونيم كلمة عبرية جمع " غاؤون " وكانت تطلق على الرابيين من رؤساء المدرستين الدينيتين اليهوديتين في " فومبديثة وسورا " في بابل.

وفيما يلى أدوار الرابين الذين تعاونوا على وضع التلمود وتعليمه:

" التنائيم " في فلسطين ١٠ - ٢١٩م

" الأمورائيم " في فلسطين والعراق ٢١٩ - ٥٠٠م

" السبورائيم " في العراق ٥٠٠ - ٥٨٨م.

" الغاؤونيم " في العراق ٥٨٩ - ١٠٣٠

وفى التلمود تأكيد لمبدأ الاستعلاء والتفوق العنصرى اليهودى على بقية شعوب الأرض وجعل الناس عبيدا لليهود باعتبارهم الشعب المختار وأن الله قد اصطفاهم من دون سواهم من شعوب الأرض، كما تتجسم فيه انعزالية الشعب اليهودى، وحقه في جميع خيرات الأرض التي وهبها له إلهه الخاص دون

(١) ميللر بروز، " مخطوطات البحر الميت "، ترجمة محمود العابدى، عمان، ١٩٦٧، ٤٦.

الآخرين من الناس، فكان التلموديون يصورون اليهود " وكأنهم من طينة أرفع من طينة باقى الجنس البشرى غير اليهودى التي لم تعتنق الديانة اليهودية خدم لهم كغيرهم من الحيوانات غير العاقلة [١]. وتحت عنوان " عصر الإيمان " يقول العلامة ديورانت: " إن الربانيين والحاخاميين أخذوا يفسرون التوراة حسب أهوائهم بالشكل الذي يرضى غرائزهم الشريرة ونزوعهم إلى الاستعلاء على بقية أجناس البشر " [٢].

وينص التلمود على أنه " يجب على كل يهودى أن يبذل جهده لمنع تسلط باقى الأمم في الأرض، حتى تصير السلطة لليهود وحدهم، فإذا لم تصر إليهم السلطة عدوا أنفسهم وكأنهم في حياة المنفى والأسر، ويعيش اليهود في حرب مع باقى الشعوب حتى ينتقل لهم الثراء والسلطان من الجميع وحينئذ يدخل الناس أفواجا في دين اليهود " [٣].

أما نظرة التلموديين إلى المسيحية فقد جاء في التلمود الكثير من عبارات الطعن والشتم للمسيحية والسيد المسيح عليه السلام مما لا يستسيغه المستوى الخلقى الإنسانى ونحن نحجم عن نقل تلك العبارات التي يندى الجبين لها خجلا حتى ولو قيل أن ناقل الكفر ليس بكافر[٤] ويجيز التلمود استخدام الكذب والنفاق مع غير اليهود [٥].

ويقول التلمود " بالتناسخ " وهو فكر كان تسرب من الهند إلى بابل وأخذه حاخامات بابل من المجتمع البابلى [٦].

وأسس مباحث التلمود تقوم على ستة أبواب:

١- الفلاحة.

٢- الأعياد والمواسم.

٣- النساء وما يتعلق بهن من زواج وطلاق وحضانة ونذور وإرث ووصية.

---

(١) " الكنز المرصود في قواعد التلمود " ص ١٠.

(٢) ديورانت دل، " قصة الحضارة "، " فصل عصر الإيمان "..

(٣) " الكنز المرصود في قواعد التلمود "، ص ٤٨، ٤٩.

(٤) الدكتور أحمد شلبى، " مقارنة الأديان اليهودية "، ص ٢٧٠.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٦٨.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٦٧.

٤- النواهى والعقوبات.

٥- الذبائح وما يتعلق بالتقدمات والقرابين ومراسم الهيكل وما إلى ذلك.

٦- الطهارة.

وكان اليهود حريصين على أن لا يطلع على التلمود غيرهم إلا من يأمنون جانبه من غير اليهود ممن يؤيد نزعاتهم خوفا من ثورة العالم المسيحى ضدهم، فقد أخفوه أربعة عشر قرنا منذ أن وضعه حاخاموهم، وفى سنة ١٢٤٣م أمرت الحكومة الفرنسية في باريس بإحراق التلمود علنا بعد أن كشف ما يحتوى عليه من عبارات الطعن والإهانة ضد الأغيار من الناس وضد المسيحية بوجه خاص، وقد تم حرقه عدة مرات في مختلف الأزمان والأقطار.

وأقدم نسخة مخطوطة للمشنة موجودة في " بارما " ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث عشر الميلادى، وفى كل من كمبريج ونيويورك نسخة تعود إلى القرنين العاشر والحادى عشر بعد الميلاد، وقد ظهرت أول طبعة مشروحة للمشنة في بيبلس بإيطاليا سنة ١٤٩٢، أما الطبعات الحالية فهى من القرن الخامس عشر والسابع عشر للميلاد، وأهم ترجمة إنجليزية للمشنة البابلية هى ترجمة كانون دنبى سنة ١٩٣٥م.

ولما كانت العربية هى لسان اليهود في التخاطب في شئون الحياة العملية في البلاد العربية فقد وضع موسى بن ميمون، الفيلسوف اليهودى القرطبى الأندلسى (١١٣٩ - ١٢٠٥م) بعد انتقاله إلى مصر تفسيرا وشرحا مفصلا بالعربية لكتاب المشنة سماه " السراج " وكتبه لفظا وتعبيرا باللغة العربية الدارجة في مصر وجعل الكتابة بالحرف العبرى، وقد أتم وضع الكتاب سنة ١١٦٨م، وقد ألف أيضا مصنفا آخر بالعبرية يبحث في الفقه اليهودى استمده من التلمود وشروحه وهوامشه وأطلق عليه اسم " تثنية التوراة " وقد اعتمد في ذلك على التلمود البابلى مع الاستعانة بالتلمود الأورشليمى كلما دعت الحاجة إليه. كما وضع ابن ميمون كتابا آخر بعنوان " دليل الحائرين " حاول فيه أن يدعم المعتقدات اليهودية بأدلة عقلية منطقية لا نقلية وقد جرى في كتابه هذا على النحو الذي سلكه في كتابه " السراج " فهو بالعربية ولكنه كتب بحروف عبرية، وقد نسخ الكتاب بحروف عربية كما وأنه ترجم إلى العبرية، ويلاحظ أن موسى بن ميمون كغيره من الكتاب اليهود في القرون الوسطى لم يعن عناية كافية بقواعد الإعراب على

النحو الصحيح في اللغة العربية[١].

وكانت أول طبعة كاملة للتلموديين الفلسطيني والعراقى بعد ظهور وسائل النسخ والمسخ تلك التي طبعت خلال سنى ١٥٢٠ ـ ١٥٢٤ في البندقية، وقد أحرق في إيطاليا سنة ١٥٥٣م [٢]. ويبلغ التلمود في اللغة الإنجليزية بأصوله ومتونة وشروحه وتعليقاته ٣٦ مجلدًا [٣]، وقد نقل الجزء الأول إلى العربية سنة ١٩٠٩ وهو يذكر أهل الرجال في كل جيل من أجيال علماء التلمود. والعثور على نسخ كاملة من التلمود صعب للغاية نظرا لما حذفه المتأخرون من العبارات. فقد قرر المجمع الذي انعقد في بولونيا سنة ١٦٣١م بالإجماع أن العبارات التي تهين الأغيار يجب حذفها، وأن التعاليم القائلة بأن المسيحيين سافلوا الأخلاق لا يستحقون المحبة والعدل لا يجوز نشرها.

١٢ ـ طائفة القرائين ورفضهم التلمود:

إن حركة إنكار التلمود وعدم الاعتراف بأحكامه وبتعاليم الربانيين والحاخامات والتمسك بأسفار العهد القديم وحدها، تلك الحركة الإصلاحية الدينية التي نادى بها السامريون والصدوقيون من قبل، ظهرت من جديد في القرن الثامن للميلاد على لسان عدد من اليهود، فقد ظهر حوالى سنة ٧٢٠ ميلادية يهودى من أهل سورية يدعى " المسيزينوس " نادى بنبذ التلمود وجعل شعاره " اتركوا تعاليم التلمود " وصار له أتباع كثيرون حتى أعلن أنه هو المسيح المنتظر. وكان ذلك في خلافة يزيد بن عبد الملك (٧٢٠ ـ ٧٢٤م) فأمر بتسليمه لليهود أنفسهم ليتولوا محاكمته وانتهى بذلك أمره. ثم ظهر بعده يهودي آخر من أصفهان يدعى عوبديا بن عيسى نادى بالإصلاحات نفسها أى عدم الاعتراف بالتلمود، وأدخل تعديلات كثيرة على الأحكام اليهودية.

وكان ذلك في حوالى سنة ٧٥٠م وكانت تعرف هذه الفرقة بالعيسوية وأتباعها يقرون بنبوة عيسى ونبوة محمد ﷺ.

يقول ابن حزم في كتاب " الفصل في الملل والأهواء، والنحل (ج١، ٩٩) في وصف العيسوية بما نصه: " العيسوية وهم أصحاب أبى عيسى الأصبهانى رجل

(١) ولفنسون، " موسى بن ميمون "، ص ٤١ ـ ١٤١.

(2) “Jewish Encyclopedic Handbooks”, N. Y. vol. I, P. 218.

(٣) عجاج نويهض، " بروتوكولات حكماء صهيون "، م٢، ص ١٤٩ ـ ١٩٩.

من اليهود كان بأصبهان وبلغنى أن اسمه كان محمد بن عيسى وهم يقولون بنبوة عيسى ابن مريم ومحمد صلى الله عليه وسلم، ويقولون أن عيسى بعثه الله عز وجل إلى بنى إسرائيل على ما جاء في الإنجيل وأنه أحد أنبياء بنى إسرائيل، ويقولون أن محمدا ﷺ نبى أرسله الله تعالى بشرائع القرآن إلى بنى إسماعيل عليهم السلام وإلى سائر العرب كما كان أيوب نبيا في بنى عيص وكما كان بلعام نبيا في بنى مؤاب بإقرار من جميع فرق اليهود ".

وقد ظهرت في القرن الثامن للميلاد فرقة يهودية أسسها الحبر عنان بن داود وهى تدعو لرفض التلمود وتنادى علنا بنبذه وتصف تعاليم الربانيين بأنها خارجة على التوراة، وقد أطلقت جماعة هذه الفرقة على نفسها اسم القرائين، أى قارئوا التوراة دون التلمود، وكان عنان متشبعا بآراء المعتزلة القائلة بأن العبد مسؤول عن عمله. وقد استمالت هذه الحركة كثير من يهود العراق فانضم إليها عدد كبير منهم وانتشرت الدعوة في مصر والشام وتركيا وإيران وبعض أجزاء من روسيا وأروبا الشرقية، وأخذ القراءون يدققون نصوص التلمود ويتعمقون في تحليلها علميا بقصد تفنيدها وفضحها. وقد رجعوا إلى الأديان السماوية التي شجبت العقلية التلمودية الاستعلائية كالإنجيل والقرآن، فقال عنان: " إن عيسى ابن مريم لم يكن زنديقا وأنه لم يشوه التوراة ولم يكذبها أو ينسخها، وأنه كان رجلا من البشر تقيا صالحا لم يفكر قط في النبوة أو الألوهية وإنما كان رجلا مصلحا أراد أن يخلص شريعة موسى من المفاهيم التي ألصقها الناس بها ". ونادى عنان كذلك " بأن محمدًا ﷺ نبى حق وأنه كعيسى: ابن مريم لم يفكر قط في مخالفة التوراة أو التعدى عليها أو نسخ شرائعها ".

وقد اشتد الصراع بين القرائين والربانيين فنادى رؤساء كل من الفريقين بتكفير الفريق الآخر، ولم يترك القراءون أية ناحية ضعيفة في العقلية التلمودية إلا ولجوها بقصد فضح الربانيين والسخرية منهم.

وبلغت العداوة بين الفريقين أشدها حتى أن التلموديين أخذوا يغذون حقدهم على القرائين فحرموا الزواج منهم وإذا حدث ذلك اعتبروه زنا، كما اعتبروا الأطفال المولودين من هذا الزواج غير شرعيين ولا ينتمون إلى شعب الله المختار.. وقد أفتى بعض الربانيين برفض عودة القرائين إلى اليهودية على اعتبار أنه مرتد عن الدين... وقد نهى الحاخام الربانى البيزنطى كبالى أن يعلم أحد الربانيين التوراة القرائى كما حرم على الربانيين أن يقرؤوا في نسخة من

التوراة كتبها أحد القرائين حتى ولو كانت صحيحة على أساس أنهم غير طاهرين. وقد اشتد غضب الربانيين على القرائين فشكوا الأمر إلى الخليفة المنصور باتهام عنان الزندقة ونقض شريعة موسى فأمر الخليفة بسجن عنان، وقد صادف أن التقى عنان في السجن بالإمام أبى حنيفة النعمان الذي كان المنصور قد سجنه لرفضه توليه القضاء، فقص عنان عليه قصته فنصحه الإمام بأن يدعى أنه أراد تطهير اليهودية من شوائب التلمود الذي كان من وضع الأحبار وأنه لم يقل بنقض شريعة موسى، فأطلقه المنصور على أن لا يبقى في بغداد فغادرها عنان إلى القدس حيث بنى كنيسة لجماعة القرائين، وقد ألف كتابين دعا فيهما إلى تحرير التوراة من قيود التلمود، الأول يدعى " كتاب الفرائض "، والثانى " كتاب الفذلكة ".

وقد تفاقم الخلاف بين القرائين والربانيين في مصر أيام الملك الفاطمى الظاهر ابن الحاكم بأمرالله (١٠٢٠ - ١٠٣٥م) وذلك بسبب الخصومة الناشئة بين الطائفتين على شؤون الذبائح التي كان مذهب القرائين فيها يختلف عن مذهب الربانيين التلموديين، فالقراؤون يحرمون ذبح أنثى الحيوان في أثناء حملها بينا يجيز ذلك الربانيون مما أحدث مشادة عنيفة بين الطائفتين، فطلب القراؤون أن يسمح لهم بفتح حوانيت خاصة تخضع لإشرافهم هم ولا تخضع لتفتيش الربانيين وأن يسمح لهم بفتح حوانيتهم في أعياد الربانيين التي لا يعترفون هم بمواقيتها، وقد استجاب الخليفة الظاهر لمطالب القرائين وأصدر مرسوما في ١١ من جمادى الأول من سنة ٤١٥هـ (١٠٢٤م) هذا نصه:

" من تتبع عاداتكم، واستمراركم في تقاليدكم التي أخذتموها عن دياناتكم دون عائق يقوم من طائفة ضد الأخرى أو قيام معاملة خشنة بينكما، فهذا يدعو إلى السماح لكل طائفة بأن تعيش وتعيد كما تهوى، مع تمكين كل طائفة في بيع وشراء ما تشتهى، وأن تحتفل بعيدها كما تريد ومتى ترغب بكامل حريتها ومطلق إرادتها، وأحذر الطائفتين من التدخل في شئون بعضهما أو إحداث شغب أو مضايقة بعضهما، إن الأمان مكفول لهم جميعا، وعليكم عدم تمكين شرير بينكم من الإتيان بشئ ممنوع، وعليكم تجنب المناقشات التي تؤدى إلى سوء العاقبة، وعليكم المحافظة على ذلك، والعقوبة ستحل بكل فرد يتجاوز حدوده ويأتى بأعمال محرمة. فمثل هذا الشخص سيعاقب عقوبة شديدة وسيكون مثالا لغيره

حتى لايحتذيه أحد، كذلك يحرم التدخل في شئون طائفة القرائين في معابدهم الخاصة بهم وحدهم ".

" وهذا الأمر صادر من أمير المؤمنين، فعليكم العمل على تنفيذه واحترامه، وعلى أمير الجيوش - ساعده الله - أن يساعد على تنفيذه، وعلى رؤساء الأقاليم العناية العادلة بالطائفتين، وعلى الحكام إصدار الأوامر الخاصة بوجوب العناية والمحافظة على أفراد الطائفتين والعمل على عدم اضطهادهم.

" حرر في يوم الأربعاء ١١ جمادى الأول عام ٤١٥ هـ (١٠٢٤م) (الأكوز على عبد الواحد وافى " للأسفار المقدسة " ص ٦٥ عن الملل والنحل عن ابن حزم.

واستمرت حركة القرائين العلمية نشيطة على يد زعماء من أقطار الفكر القرائى حتى مستهل القرن السابع عشر الميلادى فظهرت مع الزمن مدارس علمية قوية في مجتمع القرائين، ثم تقلص ظل القرائين مع انتشار اليهود الربانيين بأعداد كبيرة في أوربا وأمريكا وكثير من البلاد التي استعمرها الغرب في أفريقيا وآسيا وظل القراءون منكمشين في الشرق. وقد كان لظهور الصهيونية واتساع نفوذها الأثر الكبير في إخماد حركة القرائين وتقلص ظلهم، وذلك على الرغم من ظهور علماء متبحرين في الفقه اليهودى من بين طائفتهم ووضعهم العديد من كتب التفاسير والشروح الدينية، حيث كانت الصهيونية ترى في طائفة القرائين أكبر خطر يهدد مشروعها السياسى الاستعمارى الذي خطته بالاتفاق مع الربانيين للاستيلاء على فلسطين واتخاذها وطنا قوميا لليهود بالقوة.

وفى ذلك يقول الدكتور ظاظا: " وكان للقرائين في تركية وروسيا ومصر نشاط ملحوظ ضد الصهيونية، ولكن هذه الأخيرة استعانت بالجواسيس والعملاء واستغلت ظروفا حربية وسياسية معينة لاصطياد بضعة آلاف من القرائين وإدخالهم إلى إسرائيل، وهم يعيشون هناك كرهائن وكوسيلة للمساومات السافلة مع من بقى من القرائين خارج هذا الشرك إذ أرغمتهم الصهيونية على التزام الصمت والكف عن مهاجمتها حرصا على حياة أبناء طائفتهم في إسرائيل وأمنهم ".

ويختتم الدكتور ظاظا كلامه عن " القرائية والصهيونية " بقوله: " والآن هل تنتفض القرائية وتنهض من جديد؟ هذا أمر مستبعد تحت الثقل الساحق للربانية وصهيونيتها، ولكن ربما أثر المذهب القرائى في الفكر اليهودى العام بحيث تتولد

من هذا التفاعل اتجاهات أكثر تعقلا " [١].

١٣ ـ القبالة والزهور:

وقد ظهر بعد إنجاز كتابة التلمود عدد من الأحبار اليهود، الذين تأثروا بالآراء الشرقية ودين الفرس وزرادشت فخرجوا بمجموعة باطنية من الحكم التي لها علاقة بأسرار الكون وبالإله والكائنات ونشأت عنهم حركة دعيت في مراحلها الأولى " الحكمة المستورة " وصارت تعرف عند اليهود بـ " القبالة " وهى كلمة عبرية معناها القبول أو تلقى الرواية الشفوية. ويذهب أولئك الأحبار إلى أن هذه الحكم نزلت على القديسين منذ أقدم الأزمنة وقد احتفظ بها بعض الأحبار.

وبالرغم مما أخذته القبالة من الرزادشتية من جموح وخيال وتطوح أعطاها صيغة ميثولوجية فقد بقيت في جوهرها موسوية يهودية " [٢].

وهذا الوحى الذي يتناول القوى الباطنية للسماء والأرض كان الخوض فيه مقصورا على نخبة مختارة هم الفاهمون والعقلاء، الذين انصرفوا للبحث عن السر الإلهى فيما يتعلق بمصير الإنسان، وكانوا قبل كل شئ يبحثون عن معرفة العلائم التي تنبئ بظهور المسيح اليهودى الذي ينقذ الشعب المختار من الآلام التي يعانيها، هذه هى " عقيدة المسيح المنتظر " التي انبثقت من عقيدة السيادة والامتياز للشعب اليهودى.

" ويدعى القباليون أن كتاب التكوين عندهم مستمد من موسى، وأن موسى قد استمده من إبراهيم، إذا لم يكن من آدم، أو ممن هو أقدم من آدم وأعلى مقاما " [٣]، أما المنابع الرئيسية التي استقت منها القبالة مادتها فهى كما يقول الحاخام بوكس: " أن المنابع التي استقت القبالة منها مادتها هى الروايات الباطنية التلمودية ومذهب التصوف الذي راود الغاؤونيم والفلسفة العربية الأفلاطونية " [٤].

وكانت هذه الدراسات خلال القرن الثالث عشر الميلادى وما بعده مقتصرة على فئات محدودة ثم انتشرت انتشارا واسعا مما أدى إلى ظهور مجموعة أدبية كتبت بلهجة خاصة من اللغة الأرامية، وقد جمعت كلها في كتاب مقدس جديد هو

(١) الدكتور حسن ظاظا، " الفكر الدينى الإسرائيلى "، ١٩٣١، ص ٢٩٥ ـ ٣٠٦.
(٢) عجاج نويهض، " بروتوكولات حكماء صهيون "، م٢، ص ١٠٧.
(٣) المرجع السابق، م٢، ص ١٩١.
(٤) الحاخام بوكس، " تراث إسرائيل "، ص ٣٢.

" الزوهر " والزوهر كلمة عبرية معناها " النور " أو " الضياء " والتسمية مأخوذة من التوراة " والفاهمون يضيؤون كضياء الجلد " [١].

وأما واضعه فإنه موسى الليوبى (١٢٥٠ - ١٣٠٥م) وقد دونه بالأرامية في أسبانيا، غير أن المعروف أن ما احتواه الزوهر من الشعائر الصوفية وما إليها من حكم ترجع إلى زمن الحاخام سمعان بن يوشاى من القرن الثانى الميلاد الذي قيل عنه أنه بقى متخفيا في إحدى مغاور فلسطين ثلاث عشرة سنة كشفت له خلالها أسرار السماء والأرض فيها. وتتصل أسرار الزوهر بالتوراة وكل كلمة أو حرف من حروفها يحمل باعتقاد القباليين معنى باطنى. وفى أسطورة من أساطير الزوهر أن الاثنين والعشرين حرفا من الأبجدية العبرية نزلت من السماء قبل الخليقة بستة وعشرين جيلا وأنها تقشت بنار ملتهبة [٢].

والحياة في عرف الزوهر صراع بين الخير والشر، وكلاهما يخدمان غاية مقدسة، فكل عمل خير وكل صلاة حارة تبعث قوة روحية تؤدى إلى انتصار الخير على الشر ذلك الذي سوف يظهر بكل جلاء وبهاء مع ظهور المسيح المنتظر [٣]، ومن القباليين المشهورين نخمان وموسى بن ميمون وكلاهما ظهرا في الأندلس وقد سبقت الإشارة إلى بعض مؤلفات الأخير [٤].

١٤ ـ عقيدة " المسيح المنتظر ":

يتضح مما تقدم أن القبالة لعبت دورا هاما في تطور العقل اليهودى، وقد كانت كل هذه التوغلات الصوفية الأسطورية الباطنية تدور حول شئ واحد هو التطلع إلى ظهور المسيح اليهودى المنتظر الذي سينقذ اليهود (شعب الله المختار) من آلامه ويملكه على العالم. ويؤخذ من مجمل التفسيرات التلمودية التي تعود

---

(١) (دأ، ١٢: ٣).

(2) Ben Shahen, “The Alphabet of Creation - An Ancient Legend from the Zohar with Drawings”, 3d printing, NY., 1972.

(3) R.Learsy, “Israel”, p. 305.

(٤) انظر عجاج نويهض، " بروتوكولات حكماء صهيون "، م٢، ص ١٩٠ - ٢٠٥.
وانظر أيضًا:

A.E Waite, “The Holy Kabbalah”; 2 vol; A, Frank, “The Kabbalah”, Paris, 1843; Ginsperg “The Kabbalah”, Benson, “The Zohar in Moslem Spain”; Pauley, “The Zohar”; G.G.Scholem (editor), “Zohar - The Book o f Splendor”, N.Y., 1963.

لنصوص التوراة أن المسيح المنتظر هو إما من نسل داود أو من نسل يوسف وعرضت له أسماء متعددة حسب النصوص المعتمدة. ولما كان مجئ المسيح اليهودى يعتبر تجديدا للعالم فلابد وأن يسبق مجيئه عودة للفوضى، وكانت كل الآلام والمصاعب التي تحملها اليهود عبر تاريخهم تفسر وتقبل على أنها (آلام المخاض). وبعد مجئ المسيح وانقضاء فترة (المخاض) فإن العالم الجديد المقبل لن يكون كالعالم الحالى. فالسلام سيعم العالم الجديد، البكاء والأنين يحتفيان من العالم ولن يكون بعد ذلك شكوى أو احتجاج أو حزن، تبارك إسرائيل بمجئ المسيح اليهودى وينتهى عنها الضغط وتتبوأ مركزها العالمى الذي أعده لها الرب. ويتبدل مصير إسرائيل لدرجة أن كثيرا من الغرباء سيحاولون الانضمام إلى الطائفة، ولكنه يتوجب رفضهم لأن رغبتهم ينقصها الخلاص (لا مهتدى يقبل في أيام المسيح). وأغرب ما تضمنته معتقدات العالم الآخر اليهودى، هو محاكمة الأمم حيث تشهد محاكمة أعداء إسرائيل الأرضيين، ومجمل هذه المعتقدات مستوحى من حياة تشتت وصلت إلى مداها الأبعد، في الفترة الرومانية، وولدت حقدا وكراهية لبقية الشعوب، وولدت آمالا مسيانية بنهاية العالم لخدمة مصالح اليهود في عالم آخر مادى أو غير مادى وللانتقام من أمم الأرض التي ناصبت اليهود العداء [١].

ويرى البعض أن فكرة المسيح المنتظر برزت من الفكر اليهودى في وقت متأخر ولم تظهر إلا بعد سقوط دويلة اليهود وأسرهم في بابل ثم خضوعهم للفرس[٢]، وهذا ما دفع كثيرين من الباحثين إلى الاعتقاد بأن فكرة المنقذ المخلص مستعارة من الرزادشتية التي كان يدين بها الفرس [٣]، وتتحدث التوراة في بعض أسفارها [٤] عن المسيح المنتظر فتقول: " يولد لنا ولد، ونعطى ابنا، وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا ويكون إلها قديرا وأبا أبديا رئيس السلام، لنمو رياسته يجلس على كرسى داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن وإلى الأبد، غيرة رب الجنود تفعل هذا " [٥].

(١) قاسم الشواف، " مع الكلمة الصافية "، ص ١٥٠ - ١٥٦.
(٢) الدكتور أحمد شلبى، " اليهودية "، ص ٢١١٠.
(٣) المرجع السابق، ص ٢١١.
(٤) أشعيا وأرميا وعاموس.
(٥) (إش، ٩: ٦ - ٧).

وقد رسم اليهود الصورة التي تخيلوها للمسيح المنتظر فذكروا أن الناس في ظله لن يعيشوا وحدهم في العالم الجديد في سلام وسعادة بل يشاركهم في ذلك كل أنواع الحيوانات، فالذئب يسالم الحمل، والعجل يداعب الأسد، ويربض النمر مع الجدى، والعجل المسمن والشبل معا، وصبى صغير يسوقها، والبقرة والدبة ترعيان، تربض أولادهما معا... الخ. ويكون في ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ليقتنى بقية شعبه التي بقيت من أشور ومن مصر ومن... ومن حماة ومن جزائر البحر، ويرفع راية للأمم ويجمع منفيى إسرائيل، ويضم مشتتى يهوذا من أربعة أطراف الأرض [(١)]، وظهر عيسى ابن مريم وأعلن بعض اليهود أنه المسيح المنتظر ولكن أكثرهم رفضوا هذا الرأى وقاوموا دعوة عيسى حتى حاكموه وصلبوه.

وانطلاقا من عقيدة " المسيح المنتظر " قام واحد بعد الآخر من الأدعياء والدجالين كل يدعى أنه المسيح المنتظر، ففى عام ٦٤٠م ادعى يهودى من بيت أراميا من قرية الفلوجة بالعراق أنه المسيح المنتظر، وقد تجمع حوله حوالى ٤٠٠ شخص من مختلف المهن وحرقوا ثلاث كنائس وقتلوا عمدة المنطقة، ولما بلغ خبر هذا المسيح وأعوانه السلطة أرسلت ثلة من الجيش أعملت فيه بطشا وتقتيلا وقبض على المسيح المنتظر وأعدم [(٢)].

ومن أولئك الأدعياء في الشرق الإسلامى خلال القرون الوسطى، دجال ظهر في الشام في آخر خلافة عمر بن عبد العزيز وأول خلافة يزيد الثانى (٧٢٠ - ٧٢٤م) وآخر من بلدة شيرين ادعى أنه المسيح المنتظر، ووعد بأنه سيحقق معجزة استعادة فلسطين، وفى القرن ظهر يهودى آخر من بلدة أصفهان يدعى عبيد الله أبو عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهانى ابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بنى أمية مروان بن محمد (٧٤٤ - ٧٥٠م) وقال إن عودة فلسطين لن تتم إلا بالقتال، وأعد جيشا قوامه عشرة آلاف مقاتل من اليهود، وقد عاشت حركته فترة من الزمن في عهد السفاح إلا أن الخليفة المنصور قضى على هذه الحركة وهزم جيش اليهود، وفر أبو عيسى باتجاه الشمال [(٣)].

وفى حوالى ١١٦٠م وفى عهد خلافة المقتفى لأمر الله العباسى حدثت فتنة

---

(١) الدكتور أحمد شلبى، " اليهودية "، ص ٢١٩، ٢١٢ - ٢١٣.
(٢) موسيل، " الفرات الأوسط "، النص الإنجليزى، ص ٢٨٠.
(٣) الدكتور أحمد شلبى، " اليهودية "، ص ٢١٤.

كان سببها يهودى يدعى داود بن الروحى كان قد ادعى أنه المسيح المنتظر. وداود هذا نشأ في سواد الموصل ثم انتقل إلى بغداد حيث تفقه بعلوم اليهود في مدارسهم الكبرى، وقد برع في علوم العرب ولغتهم، يضاف إلى ذلك إتقانه لفنون السحر والشعوذة، وقد اختار بلدة العمارية في شمال العراق ليعلن نبوته فيها، إذ كان ينوى الاستيلاء على قلعتها الشهيرة بالقوة فبلغ خبر ذلك صاحب العمادية فقتله [١].

وقد بقيت فكرة مجئ المسيح المنتظر مسيطرة على العقل اليهودى وكانت تشتد كلما وقعت حركة اضطهاد ضد اليهود، ولما وقعت حوادث الاضطهاد باليهود التي حلت باليهود في بولونيا سنة ١٩٤٨م، قيل عنها أنها بشير لليهود بقرب مجئ المسيح، وقد ظهر هذه المرة شاب يهودى يدعى " ساباتاى زيوى " من أهل أزمير (تركيا) لم يكن قد تجاوز بعد الثانية والعشرين من عمره، وكان قبالى متحمسا لتعاليم الزوهر، وادعى أنه المسيح المنتظر، وما أن أعلن دعوته حتى تبعه عدد كبير من اليهود المتحمسين رغم إنكار رجال الدين دعوته، وأول عمل نادى به هو إلغاء بعض الطقوس الدينية الموروثة ثم إدخال تعاليم جديدة تتفق مع روح القبالة والزوهر ومن ثم دعا إلى شطب اسم السلطان محمد الرابع من الخطب وإحلال اسمه " ساباتاى المسيح " محله وأضاف إليه لقب ابن داود وسليمان. واستمر ساباتاى ينشر مدعياته في الأوساط الدينية اليهودية في العالم فصار له أعوان كثيرون صاروا يسمون معارضيهم " كوفريم " أى الكفار، وفى سنة ١٦٦٦م غادر ساباتاى أزمير مع جمهرة من أعوانه متجها نحو استامبول لممارسة سلطته كملك، ولكن الباخرة التي كانت تقله مع أعوانه داهمتها عاصفة شديدة اضطرتها إلى اللجوء إلى مضايف الدردنيل ومن هنا سيق مكبلا بالحديد إلى استامبول حيث قدم توا إلى الوزير الأعظم أحمد كوبريلى، ومع أن الوزير كان يشعر بخطورة الوضع بسبب الهياج والقلق اللذين أحدثهما " ساباتاى " إلا أنه كان يرى بأن الحالة تكون أخطر إذا استعملت الشدة فأمر بسجنه تحت الرقابة في استامبول، ولما حاول ساباتاى مغادرة العاصمة تقرر نقله إلى قلعة أبيدوس على الدردنيل، غير أن إبعاده زاد من نفوذه ومكانته الدينية، فصار الناس من أتراك ويهود يذهبون لزيارته في سجنه حتى أصبح مقره في أبيدوس محجا لأعوانه ولمعتنى دعوته وقد لقى " ساباتى " أعوانا متنفذين يبثون الدعاية له، ففى

---

(١) " رحلة بنيامين التطلى "، ص ٢٠٦ - ٢٠٩، ١٥٤ - ١٥٧.

استامبول أبرز إبراهيم ياكينى أحد رجال الدين كتابا قديما يشير إلى أن المسيح المنتظر هو " سباتاى زيوى " وفى القاهرة انتصر له ودعم دعوته اليهودى الثرى روفائيل يوسف جلبى، فكان ظهيرا حارا لدعوة سباتاى ومده بالمال الكثير لينفقه على أعوانه وعلى يهود أورشليم، وفى غزة وجد سباتاى في ناتان بنيامين لاوى أكبر عون لبث دعوته، ولما توسع نفوذ ساباتاى وازداد سلطانه بين الطائفة اليهودية في تركيا أمر السلطان محمد الرابع الذي أصبح يخشى اغتصاب سباتاى الحكم منه بنقله إلى أدرنة، وعقد السلطان اجتماعا للتداول في مشكلة ساباتى وإيجاد حل لها فاستقر الرأى على تكليف إحدى الشخصيات ذات النفوذ من اليهود أن تتولى أمر إقناع ساباتى وحمله على إعلان إسلامه إنقاذا له ولأتباعه من الدمار والهلاك، وقد تم ذلك بالفعل فأعلن سباتاى إسلامه وسمى محمد أفندى وأجرى له السلطان راتبا شهريا، ولكن سباتاى رغم إسلامه استمر بالادعاء خفية بأنه المسيح [١]، وأخذ يبث تعاليمه الدينية بين طائفة الدونمة في تركيا وهم اليهود الذين خرجوا من أسبانيا فاعتنقوا الإسلام في الظاهر بينما كانوا يمارسون طقوسهم في الخفاء ولا يتزاوجون من غير الدونمة، وكان ساباتاى يدعى بأنه يبشر بالدين الإسلامى بين اليهود، ولكن هذه الحيلة لم تجده نفعا فنفى إلى مدينة دلسيكنو في ألبانيا وقد توفى فيها سنة ١٦٧٦م.



التصوير رقم (٦٠)

(١) عجاج نويهض، " بروتوكولات حكماء صهيون "، م٢، ٢٠ - ٢١٣، جواد رفعت اتليفان، " الخطر المحيط بالإسلام "، ترجمة وهبى عز الدين، ص ٧٨، روفوس ليرى، " إسرائيل "، ص ٣٦٠ - ٣٦٩.

زيوى ساباتاى

١٥ ـ دور الحركة القبالية في القرن الثامن عشر:

على أن دعوة سباتاى لم تخمد بل استمرت حماسة أنصاره خلال القرن الثامن عشر وأسفر نشاط المدرسة القبالية عن حركة جديدة في بولونيا فظهر كثير من الأدعياء القباليين، وكان أشهرهم " إسرائيل البدولى " الذي أسس طائفة " الحسديم " في سنة ١٧٤٠م، ويرجع إسرائيل تعاليمه إلى الزوهر، بيد أنه لم يسلم قط بنظرية القبالة القائلة في أن الكون هو صورة من صور الله، بل زعم أن الكون كله هو الله، وأن الشر عنصر من عناصره إذ أن الشر ليس خبيثا ذاته وإنما هو خبيث في علاقته بالإنسان وعليه فإنه ليس للخطيئة وجود مادى، وكان إسرائيل بارعا في ضروب السحر والشعوذة فالتف حول دعوته كثير من اليهود الذين خرجوا على تعاليم التلمود وتقاليده الأخلاقية، ثم ظهر في أثره داعية آخر هو " حويل بن أورى " وعكف على مزاولة الشعوذة والخوارق باسم الله وجمع حوله نفرا من الأنصار استمروا بعد وفاته يستغلون سذاجة العامة حينا [(١)].

وكانت أشهر الجمعيات القبالية في القرن الثامن عشر طائفة الفرنكيين نسبة إلى مؤسسها يعقوب فرانك سنة ١٧٥٥، وقد عرف منتسبوها بـ " الزوهريين " أيضا أو " أخوان الشعلة " لانتمائهم إلى الزوهر. " وكان فرانك أحد أمهر دعاة القبالية وأعلمهم بأسرارها وتعاليمها انتمى إليه في منتصف القرن الثامن عشر في بودوليا (إحدى مقاطعات بولونيا) جمهور كبير من الأنصار والدعاة وعاش في بذخ شرقى هائل لم يهتد أحد إلى حقيقة مصدره، وقد نقم الأحبار اليهود على الزوهريين لنشاطهم في هدم اليهودية، وامتدت الخصومة بين الفريقين حتى أن الزوهريين أعلنوا في النهاية خروجهم على اليهودية واعتنقوا النصرانية علنا كما فعل فرانك نفسه، وانضموا إلى أسقف كامنيك في مقاومة الأحبار واليهودية. وقد استقر فرنك أخيرا في المانيا حيث أقام في أرفنباخ قرب فرانكفورت وتسمى بالبارون فون أو فنباخ، واستأنف بذخه الطائل مما كان يرد إليه من هبات أنصاره والمعجبين به.

---

(١) محمد بن عبد الله عنان، " تاريخ الجمعيات السرية "، القاهرة، ١٩٢٦، ص١١٩.



التصوير رقم (٦١)
يعقوب فرانك

وقد وصف ملمان بذخ فرنك بما نصه: " كانت له حاشية من بضع مئات من الفتيان والفتيات اليهود من ذوى الحسن الرائع، وكان يذاع أن صناديق الأموال تنهمر عليه كل يوم ولاسيما من بولونيا، وكان يخرج كل يوم في موكب حافل ليقيم شعائره في العراء في عربة تجرها جياد مطهمة ويحرسه عشرة أو اثنا عشر فارسا يرتدون الثياب الموشاة بالذهب وقد رفعوا الرماح ووضعوا في قبعاتهم أهلة أو شموسا أو أقمارا، وكان أنصاره يعتقدون فيه الخلود، بيد أنه توفى سنة ١٧٩١م ودفن في بذخ يعدل كل بذخ حياته [١].

وأكبر داعية من دعاة القبالة هو " حاييم صموئيل يعقوب فوك " أو " الدكتور فوك أو دى فوك " الشهير بـ " زعيم الشعب اليهودى بأسره " كان عضوا في جمعية البناء الحر ومتصلا بزعماء الجمعيات السرية. وقد ولد فوك في بودوليا في مطلع القرن الثامن عشر واتصل بالزوهريين ولبث حينا يزاول ضروب السحر والشعوذة في بودوليا وألمانيا. وكان يزعم أنه ذو قدرة خفية، وأنه يستطيع اكتشاف الكنوز الدفينة، ثم اضطهد وحكم عليه بالحرق لاتهامه بالسحر ففر إلى انجلترا وهناك استقبل بالترحاب وطار صيته وأذيعت عن قدراته أغرب الروايات. وقد ظهر فوك في لندن سنة ١٧٤٢م معدما لا مورد له، بيد أنه ما لبث أن أثرى فجأة وبدت عليه علامات البذخ الطائل فاتخذ له قصرا فخما أقام فيه بيعة خاصة ازدانت موائده بآنية الذهب

(١) المرجع السابق، ص ١٢٠.

والفضة، وكان فوك مبجلا من المجتمع اليهودى وأحباره، وتوفى فوك في نيسان ١٧٨٢م واحتفل بدفنه احتفالا فخما في إحدى مقابر لندن، ومما نقش على قبره: " هنا يثوى الشيخ الشريف، وهو رجل عظيم قدم من المشرق، وهم حكيم متبحر وداعية قبالى... وقد طار صيته إلى أقاصى الأرض والجزر النائية " [(١)].

١٦ ـ التوراة في القرآن الكريم بوجه عام:

لقد احتوت التوراة التي كتبها الأحبار بعد عهد النبى موسى على الكثير من المفاهيم الخاطئة التي شاعت بمرور الزمن إلى أن نزل القرآن الكريم فنبهنا إليها بدون لبس وغموض بحيث جاءت المكتشفات الأثارية والدراسات العلمية الحديثة مؤيدة للحقائق الواردة في القرآن الكريم.

ويمكن أن نوجز هذه الحقائق بما يلى:

أولا: يؤخذ من سور القرآن الكريم أن التوراة التي كانت بين أيدى الناس في زمن نزول القرآن المحمدى والتى هى نفسها بين أيدينا الآن هى غير التوراة التي أنزلت على النبى موسى في سيناء وقد كتبت في وقت لاحق بيد الأحبار اليهود حسب أهوائهم ورغباتهم، وقد أثبتت الاكتشافات والدراسات العلمية الحديثة التي حددت تواريخ الوقائع التاريخية حسب تسلسلها الزمنى هذه الحقيقة التاريخية " [(٢)].

ثانيا: ينبهنا القرآن الكريم إلى فرية ادعاء التوراة المحرفة والقائلة بأن إبراهيم الخليل وحفيده يعقوب (إسرائيل) أجداد اليهود وأن اليهود من نسلهما، ففى الآية الكريمة:{ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾} [آل عمران: ٦٧]، ما يوضح بأجلى بيان نفى هذا الادعاء من حيث الأساس، وبذلك يكون القرآن الكريم أول من كشف لنا عن هذه الحقيقة التي تعنى بأن إبراهيم ما كان على دين (يهوه) إله اليهود بل كان حنيفا مسلما أى مسلما على الفطرة، كما تعنى أن عهد إبراهيم الخليل هو غير عهد اليهود ولا يتصل بعهد اليهود الأخير الذي يرجع إلى أكثر من ألف عام بعد عهد إبراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب [(٣)].

---

(١) المرجع السابق، ص ٢١ ـ ١٢٣.

(٢) ما تقدم عن تحريف التوراة وأقوال القرآن الكريم في ذلك.

(٣) انظر ما يلى في هذا المآل.

ثالثا: ينبهنا القرآن الكريم أيضا إلى أن إبراهيم الخليل مرتبط بالجزيرة العربية (بيت الله العتيق) [١] وقد جاءت المكتشفات الأثارية حول الهجرات السامية من الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب ودراسة علم المقارنة بين اللغات مؤيدة لهذه الحقيقة نفسها التي تربط صلة إبراهيم الخليل بجزيرة العرب والحجاز [٢].

رابعا: ينبئنا القرآن الكريم بأن الديانة اليهودية على عهد النبى موسى كانت في أصلها تقر بالبعث والنشور واليوم الآخر والحساب والجنة والنار ولكن أسفار العهد القديم التي بين أيدينا الآن تخلو من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه [٣]، وهذا دليل آخر على أن التوراة التي كتبها اليهود في الأسر هى غير التوراة التي أنزلت على النبى موسى قبل ذلك بعدة قرون.

١٧ ـ هل كان اليهود أول من قال بعقيدة التوحيد؟

أما ادعاء اليهود بأنهم أول من قال بعقيدة التوحيد وأنهم هم الذين قدموها للعالم وللبشرية وأن الفضل يرجع إليهم في وضع أسس الديانة التي يدين بها الموسويون والمسيحيون والإسلام اليوم، وهو الادعاء الذي يؤيدهم به كثير من الكتاب، فلا يستند إلى أى أساس أو واقع تاريخى، فهل كان نوح عليه السلام الذي عاش قبل أكثر من خمسة آلاف عام يهوديا، وهل كان الأنبياء الذين ظهروا بعده يهودا، وأخيرا هل كان النبى إبراهيم الخليل يهوديا؟. هؤلاء كلهم نسبوا إلى أصل واحد وهو الجنس السامى العربى، قد نادوا بعقيدة التوحيد قبل أن يكون هناك يهود في العالم، لذلك فإن حشر هؤلاء الأنبياء مع الشعب اليهودى في زمن لم يكن لليهود وجود فيه لا يتفق والمنطق بل هو تشويه للتاريخ وللحقائق. إن هؤلاء كلهم كانوا أنبياء نادوا بعقيدة التوحيد الخالصة، عقيدة الإله الواحد لجميع الأمم والمخلوقات، قبل أن وجد اليهود الذين اتخذوا إلههم الخاص بهم، فظهر بعض الأنبياء في الجزيرة ذاتها والبعض الآخر في العراق ومنهم نوح و إبراهيم الخليل عليهما السلام، وهؤلاء عاشوا بين الألف الثالثة قبل الميلاد وأوائل الألف الثانية قبل الميلاد.

وهناك دلائل على أن فكرة الإله العلى الواحد مالك السماوات والأرض كانت

---

(١) سورة البقرة الآيات ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨.
(٢) انظر ما يلى في ذلك.
(٣) الدكتور على عبد الوافى، " اليهودية واليهود "، ص ٤٦.

معروفة عند الكنعانيين بشكل من الأشكال، فالتوراة تشير إلى أن ملكى صادق ملك شاليم (أورشليم) الكاهن لله العلى عندما بارك إبراهيم الخليل قال " مبارك إبرام من الله العلى مالك السماوات والأرض " [١]. فهل كان الكاهن موحدا؟ فإذا كان الأمر كذلك فالأرجح أن فكرة الإله الواحد خالق السماوات والأرض كانت معروفة عند الكنعانيين وهناك من كان يؤمن بها ولاسيما في مدينة أورشليم المقدسة (مدينة السلام). ولعل استعمال الكنعانيين لنفس كلمة إيل الواردة في التوراة [٢] للدلالة على الإله العلى مما يؤيد ذلك [٣].

وتعترف التوراة كما سبقت الإشارة إليه بأن جماعة موسى عندما جاءوا إلى كنعان أن أهل كنعان ومنهم ملك موآب المدعو (بالأق بن صعور) ومعهم شيوخ مديان أرسلوا رسلا إلى بلعام بن بعور، وهو نبى موحد، وطلبوا إليه أن يلعن قوم موسى فأوحى إليه الرب بعدم الاستجابة إلى طلبهم، وهذا النبى هو نبى كنعان كان هو وشعبه يدينون بدين التوحيد. كل ذلك يدل على أن دين التوحيد كان معروفا عند الكنعانيين وكانت بعض قبائلهم تمارسه وهم من أصل عربى.

* * *

(١) (تك، ١٤: ١٨).
(٢) (تك، ١٢: ٨)، راجع أيضا (يش، ٨: ٩، ١٢).
(٣) راجع أيضا (مز، ١١٠: ٤)؛ (عب، ٥: ٦).

الفصل الرابع

التوراة في ضوء المكتشفات الأثارية

١ ـ التوراة كمرجع في بحث تاريخ فلسطين القديم:

لقد كانت التوراة قبل الاكتشافات الآثارية قبل قرن أو يزيد، باستثناء الكتابات اليونانية والرومانية المتأخرة، المصدر الأساسى أو الوحيد تقريبا، الذي يرجع إليه الباحثون في تاريخ فلسطين القديم ودور اليهود فيه، باعتبارها أقدم كتابة في تاريخ البشرية فضلا عن قدسيتها، وكان كل ما ورد في التوراة من عرض للأحداث والوقائع لابد من تقبله كحقائق دون نقاش أو جدال لكونه من المسائل المقدسة من جهة ولعدم أى ثبت قديم ينافسه في هذا الميدان من جهة أخرى.

والسؤال الذي يفرض نفسه في تحقيق منزلة التوراة كمرجع تاريخى موثوق به هو: " أين، ومتى، وكيف، وبأية لغة ظهرت التوراة، وما هى صلة التوراة بالثقافات القديمة التي سبقتها؟.. " إن المعروف عن أسفار التوراة ومثلها التلمود أنه قام بجمعها وتدوينها عدد من الكتبة والأحبار بلغات وأقلام مختلفة خلال فترات متقطعة وفى مواطن متعددة استغرقت مائتين وألف عام تقريبا، أى من القرن السابع قبل الميلاد حتى القرن الخامس بعد الميلاد، ودون معظمها أثناء الأسر في بلاد بابل في القرن السادس قبل الميلاد، وقد أعيد تنقيح أكثرها في فلسطين بعد السبى، أى في العهد الأخمينى (٥٣٩ ـ ٣٣١ ق.م)، ثم دون بعض الأسفار في العهد السلوقى البطلمى. ويعتقد أن سفر عاموس كان أقدم ما دون من أسفار التوراة وكان ذلك في حوالى القرن السابع قبل الميلاد على رأى البعض، في حين أن آخر ما دون من مجموعة الشرائع اليهودية التلمود الذي اكتسب صيغته النهائية في أوائل القرن السادس بعد الميلاد [١].

ويلقى العلامة وول ديورانت نفس السؤال الذي عرضناه ويجيب عليه في فقرة واحدة حسب تعبيره، فقال ما هذا نصه: " كيف كتبت أسفار التوراة؟ ومتى كتبت؟ وأين كتبت؟ ذلك سؤال برئ لا ضير منه ولكنه سؤال كتب فيه خمسون ألف مجلد، ويجب أن نفرغ منه في فقرة واحدة نتركه بعدها من غير جواب. إن العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هما القصتان المتشابهتان المنفصلة إحداهما عن الأخرى في سفر التكوين، تتحدث إحداهما عن الخالق باسم " يهوه " على حين تتحدث الأخرى باسم إلوهيم ويعتقد هؤلاء العلماء أن القصص الخاصة بيهوه كتب في يهوذا، وأن القصص الخاصة بألوهيم كتبت في أفرايم،

(١) انظر ما تقدم عن تاريخ التوراة في الفصل الثالث.

وأن هذه وتلك قد امتزجتا في قصة واحدة بعد سقوط السامرة. وفى هذه الشرائع عنصر ثالث يعرف بالتثنية أكبر الظن أن كاتبه أو كتابه هو أو هم غير كتاب الأسفار السالفة الذكر، وثمة عنصر رابع يتألف من فصول أضافها الكهنة فيما بعد. والرأى الغالب هو أن هذه الفصول تكون الجزء الأكبر من سفر الشريعة الذي أذاعه عزرا، ويبدو أن هذه الأجزاء الأربعة قد اتخذت صورتها الحاضرة حوالى عام ٣٠٠ ق.م [(١)].

ومن الواضع أن أسفار التوراة ومدونات التلمود لا يمكن اعتبارها مرجعا أصيلا يعمد عليه في بحث تاريخ فلسطين القديم لما خالطها من نزعات دينية وعنصرية وسياسية عبر فترة تدوينها الطويلة، فضلا عن أن التوراة لم تبحث الأحداث التاريخية الخاصة بفترة ما قبل عصر إبراهيم الخليل إلا عرضا بقدر ما لموضوع اليهود من صلة بها على الشكل الذي اختاره مدونوها.

٢ ـ مدونو التوراة يتعمدون إهمال التسلسل الزمنى:

والتوراة عند عرضها للحوادث التاريخية، لم تحدد التسلسل الزمنى، ولم تنسق الحوادث بحسب أزمانها وأدوارها، وذلك لكى يلتبس الأمر على القارئ فيعجز عن تحديد مراحل الأحداث التاريخية وتتبع زمن كل منها، والأرجح أن مدونى التوراة تعمدوا ذلك لترك المجال مفتوحا لإرجاع تاريخهم، وهم من بقايا بيت يهوذا، إلى أزمنة قديمة لم تكن لها أية صلة بها، فخلطوا بين أدوار تفصل بينها عدة قرون، إذ ربطوا أحداثا تعود إلى عصور متباعدة وعدوها عصرا واحدا. ومن ذلك مثلا، أنهم ذكروا في توراتهم أن إبراهيم الخليل عليه السلام ذهب على أبيمالك [(٢)] ملك الفلسطينيين في جرار وتغرب في أرضهم، ومثل ذلك ورد عن ابنه إسحاق وصلته بإبيمالك المذكور [(٣)]، هذا في حين أن الدراسات المبنية على الاكتشافات الآثارية الأخيرة تشير على وجه التأكيد إلى أن عهد إبراهيم الخليل كان يقع في القرن التاسع عشر قبل الميلاد بحسب أوثق تقديرات العلماء لعهده، بينما يرجع عصر الفلسطينيين الذين سميت أرض فلسطين باسمهم

(١) " قصة الحضارة "، الترجمة العربية، م١، ص ٣٦٧.

(٢) ويغلب الظن أن اصطلاح " أبيمالك " كان لقبا لملوك الفلسطينيين (قاموس الكتاب المقدس، الطبعة الجديدة لسنة ٩٧١، ص ٢٣).

(٣) (تك، ٢٠: ١ ـ ١٨، ٢١؛ ٢١ ـ ٣٤، ٢٦: ١ ـ ١١).

إلى القرن الثانى عشر قبل الميلاد [١]، وهذا ما يجعل فاصلا بين عهد إبراهيم الخليل وعهد الفلسطينيين يمتد حوالى سبعة قرون من الزمن، وبذلك تكون مدونات التوراة قد ربطت العصرين وعدتهما عصرا واحدا. ومثل ذلك فعلت بربط عصر إبراهيم الخليل بعصر اليهود على الرغم من وجود فاصل يفصل بين العصرين يمتد أكثر من ألف عام عبر الزمن [٢].

وكذلك تتحدث التوراة عن أور الكلدانيين في عهد إبراهيم الخليل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، في حين أن الكلدانيين لم يظهروا إلا بعد سقوط نينوى في سنة ٦١٢ ق.م بعد ألف وثلاثمائة عام.

والغاية الأساسية التي كان يرمى إليها مدونو التوراة من وراء ربط اليهود بعصر إبراهيم الخليل وتأكيدها ذلك مبررا في سفر التكوين هى إرجاع تاريخ بقايا بيت يهوذا وعزو نسبهم إلى إبراهيم الخليل مباشرة، واعتبار إبراهيم الخليل الذي كانت قد انتشرت شهرته في الآفاق في تلك الأزمان كنبى عظيم، رئيسهم الأعلى قبل أن يظهروا إلى عالم الوجود. وهذا يفسر لنا كيفية شيوع التقليد الذي تؤكده الكتابات اليهودية، قديما وحديثا، أن إبراهيم الخليل غادر العراق ومعه اليهود إلى فلسطين في حين أن اليهود ظهروا بعد عهد موسى أى بعد إبراهيم الخليل بأكثر من ألف عام، وقد قبلت الأجيال ذلك من غير تمحيص للتسلسل الزمنى وملاحظة العصور بحسب تواريخها.

ويلاحظ أن أكثر الكتاب العرب بل وحتى جميعهم يقلدون التوراة بإهمال التمييز بين عصر وآخر عندما يبحثون في تاريخ فلسطين القديم، فيأخذون بأسلوب التوراة في عرض الحوادث التاريخية، وآخر ما مر علىّ من كتب تبحث في تاريخ فلسطين كتيب طبعته على ما يظهر إدارة الجامعة في لندن باللغة الإنجليزية بعنوان " غرباء في فلسطين " وكنت أتصور من العنوان وقبل أن أتصفح الكتاب أن المؤلف يريد أن يبرهن على ما جاء في العنوان أى أن اليهود كانوا غرباء في فلسطين ولا صلة تاريخية بها وأنهم طارئون عليها كما هو الواقع التاريخى فعلا، فإذا بالكاتب يستعرض تاريخ اليهود في فلسطين بنقل الحوادث كما وردت في التوراة من غير تمييز بين عصر وآخر وعند ذكره تاريخا واحدا من تاريخ

(١) انظر ما تقدم عن هجرة الفلسطينيين إلى فلسطين في الفصل الأول.
(٢) انظر ما يلى عن عصر إبراهيم الخليل في الفصل الخامس.

فلسطين القديم وقع في خطأ لا يغتفر على المؤرخ الحقيقى، وهو جعل تاريخ غزو فلسطين على عهد يشوع سنة ٧٠٠ قبل الميلاد في حين أن التاريخ الحقيقى هو القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أى قبل التاريخ المذكور بستة قرون (١).

والمفروض أن هذا الكتيب أعد لإظهار حق العرب في فلسطين في حين أنه لم يحقق إلا عكس المطلوب، فخدم كاتبه الدعاية الصهيونية من حيث لا يدرى، وذلك بقبوله كل ما ورد في التوراة كحقائق تاريخية مقبولة، وهذا هو الذي يريده الصهاينة بالضبط فجاء على لسان العرب أنفسهم.

وقد وقع الكتاب بمثل هذه الأخطاء نتيجة عدم ملاحظتهم تسلسل الأدوار حسب أزمانها، وخاصة زمن تكون اللغة العبرية بمعنى اليهودية وزمن تدوين التوراة، مما أدى بهم إلى اعتبار كل ما ورد في التوراة من أسماء الأشخاص أو الأماكن مثل إبرام ويعقوب ويوسف أورشليم وصهيون وإسرائيل وغيرها من الأسماء القديمة عبرية بمعنى يهودية، في حين أن هذه الأسماء كنعانية عربية الأصل كانت متداولة بين الكنعانيين وقد وردت في الكتابات الكنعانية والمصرية القديمة قبل ظهور اليهود وقبل تكون اللغة العبرية بمعنى اليهودية بعدة قرون، مع العلم أنه لا توجد لغة عبرية بمعنى يهودية خاصة باليهود فاللغة والحروف المسماة بالعبرية تكونت في عهد متأخر وهى مقتبسة من الأرامية.

٣ ـ مدونو التوراة يتعمدون إقصاء الكنعانيين من الأسرة السامية:

ولقد تعمد مدونو التوراة أيضا إقصاء الكنعانيين والفينيقيين سكان فلسطين الأصليين من الدوحة السامية لعداء اليهود الشديد لهم فعدوهم من الكوشيين كما ورد ذلك في العهد القديم (٢)، مع أنهم كانوا يعلمون حق العلم أنهم هم الساميون العرب الأصلاء أهل البلاد، في حين أنهم حشروا في الأسرة السامية شعوبا لا يعدها العلم الحديث من جماعة الساميين مثل العيلاميين واللوديين (٣). وقد صب كتبة التوراة جام حقدهم على الكنعانيين فنعتوا كنعان بالمعلون " وعبد العبيد يكون لإخوته وعبدا ليافث " (٤)، وكذلك اعتبرت التوراة الحيثيين من ذرية كنعان (٥)، في

(1) "Strangers in Palestine", London, P. 83.

(٢) (تك، ١٠: ٦).

(٣) (تك، ١٠: ٢٢).

(٤) (تك، ٩: ٢٥ - ٢٧).

(٥) (تك، ١٠: ١٥).

حين أنهم من الأقوام الهندية الأوربية ومثل ذلك اعتبرت العموريين من صلب حام[١].

ويقول " بروكلمن " في ذلك " : إن العبرانيين (أى اليهود) كانوا قد تعمدوا إقصاء الكنعانيين من جدول أنساب سام، بسبب العداء الذي كان بينهم وبين الكنعانيين والذى يتمثل في قصص الحروب التي نشبت بين الطرفين ودونت أخبارها في أسفار التوراة، فحملهم عداؤهم لهم وحقدهم عليهم على التنصل منهم، وعلى التبرؤ من إلحاق نسبهم بشجرة أنساب سام بن نوح ".

٤ ـ التوراة في ضوء الاكتشافات الآثارية:

ولحسن الحظ في توافرت لدينا الآن ثروة من المعلومات الأصلية التي تركها الأقدمون الذين سبقوا عهد التوراة ـ وهو السومريون والكنعانيون والفينيقيون والبابليون والحيثيون، والأشوريون والمصريون، وقد عثر المنقبون على بعضها خلال القرن ونصف القرن الأخير وترجموها إلى اللغات الحديثة وأصبحت في متناول أيدى القراء والباحثين.

وهذه وصلت على ايدى المنقبين كما هى في الأصل وبلغاتها وحروفها الأصلية على عكس ما عهدناه في التوراة من تباعد في اللغة وفى العصر. ويقدر عدد هذه الوثائق الأصلية التي تناولت مختلف شئون الحياة في تلك الأزمان أكثر من نصف مليون قطعة عثر عليها بين أطلال مدن حضارات الشرق الأدنى القديمة بمختلف اللغات والحروف، ويعد العلماء هذه الاكتشافات أعظم إنجازات الإنسان في العصر الحديث: فقد كشفت لنا هذه المدونات عن كثير من الأمور الغامضة، إذ أمكن في ضوئها التمييز بين الحقائق الواقعة والأساطير الخيالية والتحريفات المتعمدة في التوراة، وقد تمكن علماء الآثار من تعيين تواريخ الحوادث من هذه المدونات بصورة مضبوطة خاصة ما يتعلق بالأدوار المتأخرة، وكذلك تشخيص أكثر مواقع المدن والأماكن التي ورد ذكرها في هذه المدونات وفى التوراة، مما جعل إمكانية عرض الأحداث التاريخية القديمة بحسب تسلسلها الزمنى وتوضيح علاقة الأقوام بعضها ببعض وتعيين أدوارها بشكلها الحقيقى بمقارنة الحوادث التي وردت في كل من المصدرين.

ومن أهم ما أوضحت لنا هذه الاكتشافات المكاسب العلمية الآتية:

---

(١) (تك: ١٠: ٥).

١- تشجيع أكثر مواقع المدن والأماكن التي ورد ذكرها في هذه المدونات القديمة وفى كتابات التوراة.

٢- تعيين تواريخ الحوادث بصورة مضبوطة بحسب تسلسلها الزمنى وتوضيح علاقة الأقوام بعضها ببعض وتعيين أدوارها، وخاصة هجرة الأقوام بوجه عام وتطور ثقافاتها ولغاتها.

٣- تتبع أزمان الهجرات السامية من جزيرة العرب إلى فلسطين وإلى بلاد الهلال الخصيب قبل ظهور النبى موسى وشرح دور هذه الهجرات العربية في تطور وتقدم الحضارة السامية.

٤- تعيين زمن الحوادث التاريخية الوارد ذكرها في التوراة بالقياس إلى الوقائع الحربية والسلالات الحاكمة في كل عصر من العصور بحسب تسلسها الزمنى.

٥- توصل الخبراء إلى أن الكثير مما ورد في التوراة من قصص وأساطير وشرائع يرجع إلى أصل قديم وجد مثيله أو ما يشابهه في المدونات السومرية والأكدية والكنعانية والبابلية والأشورية والمصرية، مما يدل على أنه ليس لليهود أدب مبتكر أو ثقافة خاصة بهم.

٦- توصل الخبراء إلى أن مواد عديدة في التوراة مأخوذة من شريعة حمورابى والشرائع القديمة الأخرى، وأن أكثر التراتيل والمزامير والتسابيح الدينية التي وردت في التوراة مقتبسة من الكنعانيين في " أوغاريث " (فينيقيا) ومن المصريين.

٧- توصل الخبراء إلى أن معظم شرائع التوراة هى نفسها الشرائع التي كان يمارسها الكنعانيون والبابليون من قبل وقد اقتبسها اليهود منهم ومارسوها ثم أدخلوها في كتبهم المقدسة.

٨- ثبوت كون اليهود غرباء دخلاء على فلسطين وأن كل ما يملكون من المقومات الثقافية ومن ضمنها اللغة وكتابهم المقدس مقتبس من الثقافة الكنعانية والأرامية وأنها من أصل سامى عربى، وأن الأسماء التاريخية الواردة في التوراة سواء كانت اسمها أشخاص أو أسماء أماكن من أصل كنعانى عربى ترجع إلى ما قبل ظهور اللغة العربية بأكثر من ألفى سنة.

٩- ثبوت كون اليهود عاشوا في فلسطين وهم أقلية بين السكان الأصليين طيلة مدة مكوثهم فيها.

١٠- ثبوت عجز اليهود في أى دور من أدوار التاريخ عن إنشاء دولة مدنية زمنية تضم كل فلسطين، وأن دولتى داود وسليمان كانتا قائمتين في القرن العاشر قبل الميلاد على تراث كنعانى بحث قبل نشوء العبرية (اليهودية) بعدة قرون.

وتشير الدلائل على ان مدونى التوراة أخذوا عن القدماء نفس أسلوبهم في تدوين الحوادث ومن ذلك التشابه بين طريقة التوراة وبين الطريقة السومرية المتبعة في تقدير أعمار الأشخاص مما يؤيد اقتباس مدونى التوراة الطريقة السومرية ذاتها، فقد ورد ذكر أشخاص في التوراة قيل عنهم أنهم عاشوا ثمانمائة أو تسعمائة عام [١]، وهذه نفس الطريقة التي اتبعها السومريون الأوائل في تدوين مدد حكم ملوكهم، فمن جملة مدوناتهم أن ثمانية من ملوكهم حكموا قبل الطوفان (٣٤١٢٠٠ سنة)، وفى جدول آخر يرتفع هذا الرقم إلى (٤٥٦٠٠٠ سنة)، وهذه الأرقام الخيالية في تدوين أعمال الأشخاص مازالت لغزا لم يتوصل علماء الآثار إلى حله حتى الآن، فيرى البعض أن احتساب هذه الحقب الطويلة للأعمار هى مجرد رمز للاعتقاد السائد بأن هناك عصرا ذهبيا دائم الازدهار كان يعمر فيه الملوك آلافا من السنين لما كانوا يتمتعون به من مقام الألوهية التي هى فوق الطبيعة البشرية.

ويرجح السير ليونارد وولى أن السومريين كانوا يؤرخون حكم الملوك بالآلاف من السنين إذ كانوا يعبرون عن أعمارهم بوحدة قياسية تدعى " سار " وهى حقبة أمدها ٣٦٠ سنة [٢]، وهناك رأى أن الأقوام الأولين كانوا يعدون كل شهر عاما فإذا قالوا ألفا ومائتى سنة فإنما يعنون مائة عام من أعوامنا [٣]. وللمعرى أبيات بهذا المعنى حيث يقول:

وروَوا للمعمـــــرين أمـــــورا ::: لســت أدرى مـا هـــن في المشـــهور
أتـــراهم فيمـــا تمضـــى مـــن الأيـــا ::: م عــــدوا ســــنيهم بالشــــهور
كلمــــا لاح للعيــــون هــــلال ::: كـــان عامـــا لـــديهمو في الـــدهور
وكــــذا ينبغــــى وإلا فــــإن الــــ ::: ــعقل يــثنى في حالــة المبــهور [٤]

وقد خالف عالم الآثار إدوارد كبيرا هذا الرأى، أى الرأى القائل بأن بضعة

(١) (تك، ٥: ١٦ - ١٧).
(2) C.L. Woolley, “The Sumerians”, 4th imp, 1930, P. 29.
(٣) راجع الدكتور أحمد سوسة، " الرى والحضارة في وادى الرافدين "، ص ٩٦.
(٤) النجار، " قصص الأنبياء "، ١٩٣٦، ص ٦٨.

أيام كانت تعادل عند البابليين واليهود سنة فيعلق على ذلك بقوله: " فقد قدرت سنوات حكم بعض الملوك نصف الأسطوريين الأوائل بـ ٧٢ ألف سنة وفى هذا نجد تشابها مع أعمار الكهنة اليهود الطويلة، ولا نزال نأمل الحصول على شئ من دراسة التدوينات وأرقام السنين العالية لكلا المصدرين. وأنه لضرب من الجنون أن نحاول التغلب على الصعوبة التي تثيرها هذه الأرقام الضخمة عندما نتصور أن كل سنة لهؤلاء الكهنة الأقدمين كانت أقصر من سنتنا، وبناء على ذلك لم تكن حياة " ميتوشالح " أكثر من حياة اعتيادية لم تتجاوز السبعين عاما، فإذا فعلنا ذلك مع " ميتوشالح " الذي يقال أنه عاش تسعمائة وتسعا وتسعين سنة، فماذا نفعل لملك حكم ٧٢ ألف سنة؟ ومن الواضح أننا لا نستطيع أن نصدق أن البابليين واليهود يعدون دوما كل بضعة أيام سنة.

" وقد برزت من هذه الطريقة الصعبة طريقة أخرى سهلة وهى: أن مؤرخى اليهود الذين حاولوا ملء الفراغ الواقع بين ما اعتقدوا أنه التاريخ الصحيح لخلق العالم، والفترات التاريخية التي اعتمدوا في تعيينها على ما عندهم من تدوينات موثوق بها بعض الثقة فوجدوا عددا محدودا من الأسماء ليستعينوا بها في ملئ هذا الفراغ وبدلا من أن يبتكروا أسماء جديدة مدوا في حياة الأشخاص الذين عندهم ليسدوا هذا الفراغ في السنين " [١].

ويسود الشعور الآن بين الكتاب المحدثين أن الوقت قد حان للكشف عن صلة الثقافة اليهودية ومن ضمنها الديانة اليهودية بالثقافات السامية القديمة، فيقول الأستاذ هوك في مقدمة كتابه " أصول الديانات السامية القديمة ": " إننا الآن في وضع أكثر ملاءمة من أى وقت مضى لتوضيح علاقة العناصر الأساسية للديانة اليهودية بشبكة الشعائر الدينية التي كانت سائدة في البيئة السامية القديمة من وجهة نظر تاريخية جديدة " [٢].

ونحن نقول: " لقد آن الأوان للباحثين أن يتحرروا من التقيد بمدونات التوراة في بحث تاريخ فلسطين القديم، وعليهم أن يتوغلوا في أحداث الاكتشافات للنصوص القديمة التي سبقت عصر التوراة بعشرات من القرون فمهدت السبيل للتمييز بين الغث والسمين واقتفاء التواريخ حسب تسلسلها الزمنى.

٥ ـ قصة الخليقة عند البابليين وعند اليهود:

(١) إدوارد كييرا، " كتبوا على الطين "، ترجمة محمود الأمين، ١٩٦٤.

(2) S.H. Heoke, "The origins of Early Semitic Ritual", 1938, P.VII.

إن أصل الوجود والخليقة من الأمور التي شغلت تفكير القدماء منذ أقدم العصور، وقد عثر علماء الآثار على كثير من النصوص من الأدب العراقى التي تعبر عن اعتقادات الأقوام السومرية والبابلية والأشورية والمصرية في الخليقة وأصل الوجود، أكثرها يتفق مع المآثر اليهودية في التوراة مع الفارق في صيغة الشرك، أى تعدد الآلهة، في الأديان القديمة مقابل صفة الإله الواحد الخاص باليهود في الديانة اليهودية، وأكمل القصص القديمة التي عثر علها القصة البابلية المشهورة برقم الخليقة السبعة، لأنها دونت على سبعة ألواح من الطين. وقد وردت هذه القصة بألف سطر تقريبا ويعتقد أنها ترجع إلى عهد حمورابى حين أصبح الإله مردوخ سيد الآلهة، رغم أنها كتبت في وقت لاحق. وملخص القصة أنه لم يكن في البدء سوء العماء (Chaos) المكون من " البحر الأول " أو " المياه الأولى ". والعماء كما يفسره الباحثون جريا على ما ذهب إليه بعض فلاسفة الإغريق يمثل المادة التي تكونت منها الموجودات. وهذه المادة مؤلفة من عنصرين من الماء: الماء العذب (وهو العنصر المذكر) والماء المالح (العنصر المؤنث).

وقد جسّد البابليون هذين العنصرين من الماء وجعلوهما إلها وإلهة، وهما " آبو " و " تيامة " وعدوهما أصل الآلهة الأخرى وأصل جميع الأشياء، وقد ولد هذان الإلهان آلهة أخرى، وحدث بعد دهور أن نشبت حرب بين الآلهة القديمة والآلهة الحديثة قتل فيها الإله " أبسو "، ثم دارت حرب أخرى بين " تيامة " زوج " آبسو " والآلهة الحديثة قضى فيها على " تيامة ". ومن بقايا جسمها خلق العالم الممثل بالسماء والأرض، وقد أطلق على ذلك مصطلح " آن - كى " وهى كلمة مركبة تعنى السماء والأرض، ولما كان الإله " آن " إله السماء ذكرا والإلهة " كى " أى الأرض، كانت أنثى فمن اتحاده هذين الإلهين ولد الإله " أنليل " إله الهواء، ثم فصل الإله " أنليل " هذا السماء عن الأرض وأخذ أمه الأرض وهيأ لخلق الإنسان والحيوان والنبات وتأسيس المدنية. أما عن أصل الأجرام فقد اعتبروا الإله القمر المعروف بالاسمين " سين " و " ننا " ابن الإله " أنليل " كما اعتبروا الإله الشمس المسمى " أوتو " (شمش) ابن سين الإله القمر.

والتشابه بين قصة الخليقة البابلية وبين التوراة واضح، فكلتاهما تشير إلى وجود (عماء) مظلم من الماء، كما أن الكلمتين المستعملتين متشابهتان في كلا المصدرين، فتقول التوراة: " وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة

وروح الله يرف على وجه المياه " [١] والاختلاف بين العقيدة البابلية وبين رواية التوراة تنص على وجود الله منذ الأزل وقد سبق وجود المادة وهو الذي خلق المادة، في حين أن الرواية البابلية تشير إلى أن المادة وجدت منذ الأزل ولكنها كانت ذات صفة ثنائية لأنها كانت إلها في الوقت نفسه فولدت من هذه " المادة الإله " جميع الأشياء والموجودات.

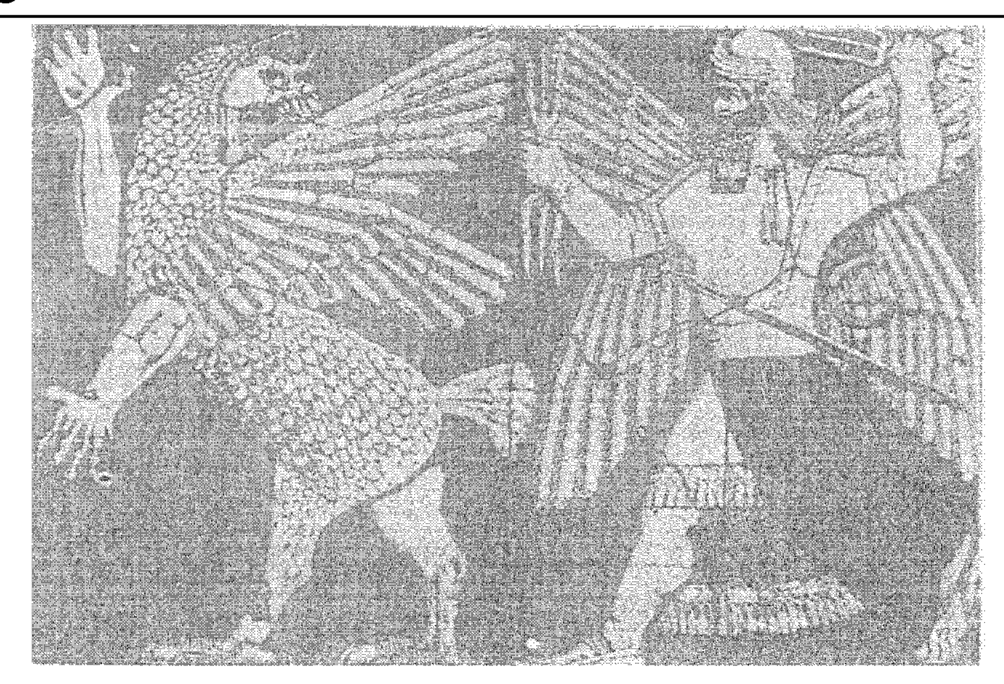
وتتفق قصة الخليقة البابلية مع رواية التوراة اليهودية وذلك بفصل المياه الأولى فقد فصل الإله مردوخ جسم " تيامة " (الماء المالح المؤنث) وكون من نصفه السماء، وصنع من شطره الثانى الأرض بهيئة قبة (أى نصف كرة) ووضعها في البحر، أى مياه " الأبسو " (مياه البحار السفلى ومصدر المياه جميعها).

وورد في سفر التكوين [٢] أن الأرض أول ما خلقت كانت طافية في الماء، وفى اليوم الثالث أمر الله أن تجتمع المياه جميعها في موضع واحد فظهرت اليابسة، وتطغى على أساطير الخليقة البابلية صبغة الشرك أى تعدد الآلهة التي هى من أبرز ميزات الدين البابلى.

أما عن أصل الوجود والخليقة عند الفراعنة فإننا نجد في أسطورة فرعونية قديمة ما يشبه الوصف البابلى للخليقة حيث تقول: " في البدء كان الماء الأول أو المحيط المظلم، وكان الإله (أنون) وحده فخلق الآلهة والبشر والأشياء ". وهناك أسطورة فرعونية أخرى تقول: " أن الأرواح كانت ترفرف فوق البحار، وفى الفضاء، ونفذ روح الإله (أمون) في ذلك الفضاء، وخلق الأرض والسماء والبشر وكل شئ ".

وهناك تشابه بين المدونات السومرية والبابلية وبين مدونات التوراة في صفة كون الإنسان خلق على صورة الإله أو الآلهة " فقد عزا السومريون والبابليون إلى آلهتهم صفات البشر جميعها، لها عواطفها وميولها مثل البشر، وهى تعيش وتأكل وتتزاوج وتسكن في بيوت، هى المعابد المشيدة لها وفيها خدمها وطهاتها وكهنتها، ولكل إله زوج أو زوجات وسرارى ومعشوقات وله بنات وأولاد... الخ.

(١) (تك، ١: ٢).
(٢) (تك، ١: ٩ - ١٠).



التصوير رقم (٧٤)

أحد الآلهة القديمة يقاتل تنينا " أقرنا " يمثل " العماء ": ففي اللاهوت القديم كان الإله " أنليل " هو الذي هشم التنين، وفى اللاهوت المتأخر قام الإله مردوخ بطل آلهة بابل بهذا الدور.

ولما أخذ اليهود بهذه الأساطير الدينية أصبح القائم بهذا الدور إلههم " يهوه ": " أنت سحقت رهب مثل القتيل "، (مز ٨٩: ٨ - ١٢) انظر:

King, "Bapylonian Religion and Mythology", Cunelform Parallels, P. 487

ومن ظواهر صفة التشبيه تأليه الملوك العظام في حياتهم وبعد مماتهم. وتمتاز الآلهة عن البشر بصفات أبرزها أنها تتصف بصفة الخلود فهى بخلاف الإنسان لا تموت، وإن مات بعضها مثل الإله الذي يمثل فصل الربيع فإنما يكون ذلك لأمد محدود، وأن رجوع الإله الميت إلى الحياة أمر ممكن بعكس الإنسان. ومساكن الآلهة الأصلية في السماء وبإمكانها أن تنزل إلى الأرض وفى يدها مصير البشر... وكانت الغاية من خلق الإنسان ليعبدها ويمدها بما تحتاجه من المؤن لعيشها. لذلك فإن عدم تحقيق هذه الغاية أو التقصير فيها يعرض الإنسان إلى بطشها ونقمتها وغضبها في هذه الحياة بشتى ضروب العقاب.. إذن فالحصول على رضا الآلهة هو أقصى ما يتوق إليه العبد ويسعى إليه لأن سخط الآلهة مجلبة للويلات والدمار ".

ومثل ذلك ورد في التوراة: فالإله الرب خلق الإنسان على صورته ذكرا وأنثى[١]. ثم إن نفس ما ورد في النصوص السومرية والبابلية حول كسب رضا الإله الموجود في التوراة، فعلى بنى إسرائيل (اليهود) أن يكسبوا رضا إلههم " يهوه " وإلا فعاقبتهم وخيمة إذا أعرضوا عن عبادته وطاعته فيسلط عليهم الأعداء ويعرضهم إلى شتى أنواع العقوبات، وكذلك فإن النص السومرى الذي يشير إلى أن الإله ينزل من السماء ويختار الأماكن على الأرض هو نفسه وارد في التوراة [٢].

ويوجد تشابه بين قصة خلق الإنسان السومرية وبين رواية التوراة اليهودية فحسب القصة السومرية أن الإنسان صنع من الطين، ونص التوراة مشابه تمامًا لذلك حيث ورد في سفر التكوين [٣] ما هذا نصه: " وجبل الرب الإله آدم ترابًا من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفسًا حية ".

يتضح مما يتقدم أن اليهود اقتبسوا أكثر قصصهم ورواياتهم من الآداب السومرية والبابلية والكنعانية، وقد جاء أسلوب تدوينهم للأحداث مطابقا للأسلوب المتبع في تدوين القصائد والملاحم السومرية والبابلية والتى من صفاتها الإعادة والتكرار، فقد اقتبس اليهود هذا النوع من الشعر من البابليين والسومريين وهو شعر موزون ولكنه غير مقفى.

ويؤكد الأستاذ طه باقر هذا الرأى في بحثه عن أصل الخليقة في معتقدات قدماء سكان العراق، فيقول: " ومما لا شك فيه أن العبرانيين (أى اليهود) أخذوا أشياء كثيرة عن البابليين ولعل أبرز ما يجده المرء من ذلك قصة الخليقة البابلية والمعروفة بـ " أنيوما - أبليش " [٤].

٦ - البعث والقيامة عند اليهود وعند السومريين والبابليين والمصريين:

(١) (تك، ١: ٢٧، ٥: ١ - ٢).
(٢) (ت، ١١: ٥) ، (خر، ١٩،: ٣، ٢٠).
(٣) (تك، ٢: ٧).
(٤) اعتمدنا في عرض هذه الخلاصة عن قصة الخليقة عند البابليين والسومريين على كتابة كريمر " الأساطير السومرية "، وعلى المقالين التاليين للأستاذ طه باقر:
١- " ديانة البابليين والأشوريين "، سومر م٢ (١٩٤٦)، ص ١ - ١٩، ١٧٩ - ١٩٦.
٢- " الخليقة وأصل الوجود "، سومر م ٥ (١٩٤٩)، ص ١ - ٣٦، ١٧٥ - ٣١٤.

وتدل النصوص السومرية والبابلية على أن هناك تشابها تاما بين تلك النصوص وبين نصوص التوراة حول فكرة البعث والنشور في حياة أخرى بعد الموت، فكلاهما ينكران البعث والقيامة، فقد وصف السومريون والبابليون العالم الآخر أنه عالم الظلام والرهبة، وهو المكان الذي إذا ذهب إليه الإنسان لا يخرج منه أبدا. وقد سماه السومريون العالم السفلى الذي يحكم فيه الإله " نرجال " وينعتونه أحيانا بمدينة الأموات، وقد سماه البابليون " أرالوا " والناس في هذا العالم كما ورد في ملحمة جلجامش متساوون، وقد ورد وصف الآخرة في القصيدة التي تصف نزول الإلهة عشتار إلى هذا العالم في بداية الربيع من كل عام لتخرج زوجها تموز إله الخضار والربيع فقيل إنه موضع مخيف مسور بسبعة أسوار ضخمة يحرس كلا منها مردة الشياطين وتتولاه الإلهة إيرشكيكال إلهة الظلام والدجى والموت [١].



التصوير رقم ٧٥

أنابيب خزفية في جوف الأرض لإيصال النذور والقرابين إلى آلهة العالم الأسفل

إن هذه الأنابيب الخزفية وجدت مدفونة تحت الأرض في مدية أور السومرية وجدت ممتدة بصورة عامودية إلى عمق زهاء أربعين قدمًا ويعتقد أنها دفنت تحت الأرض بهذا العمق بغية إيصال النذور والقرابين إلى الآلهة " إيرشكيكال " Ereshkigal آلهة الظلام والموت. وقد استدل الباحثون على ذلك بما عثروا عليه في داخل الأنابيب من شقف الأواني التي رميت في فتحة الأنبوب تحت أرضية

(١) انظر:

Jastrow, “Hebrew and Babylonian Tradition”, N.Y., 1914, (Cahp. IV) Wooley, “Excavations at Ur”, pp. 108 - 109.

البناء وهي من نوع الأواني التي كان السومريون يقدمون فيها نذورهم إلى الآلهة فوق الأرض.

وخلاصة القول أنه ليس في عقائد البابليين والسومريين ما يوعد بها الإنسان من آمال دينية لذيذة بعد الموت، أى لا توجد عندهم جنة ونار أو نعيم وجحيم، وأثر هذا الاعتقاد في الحضارة السومرية البابلية جلى واضح في جميع مقوماتها حيث تطغى عليها صفة المادية والنعيم والمتعة في هذه الحياة.

وكان أقرب مثال واقعى للموت عند الأقوام هو النوم، فكان السومريون والبابليون يعتقدون بأن الميت يحتفظ بشئ من الشعور يستمر ملازما له عند اللحظة التي يغمض فيها عينيه، وكانوا يتصورون " أن روح الميت تتمثل في شبح سموه (أدمو) ينزل مع الميت إلى العالم السفلى ويبقى معه هناك في حال دفن الميت وفق الطرق والمراسيم الدينية المقررة، وإذا لم تتوفر هذه الشروط انقلب هذا الشبح روحا خبيثا يخرج من عالم الأموات في الأرض السفلى ويكون ديدنه إلحاق الضرر والأذى بالأحياء ولاسيما بأقارب الميت، ولذلك عنى الناس عناية شديدة بدفن الميت بموجب القواعد الدينية منعا لخروج (أدمو) من عالم الأرواح [١].

أما إذا رجعنا إلى التوراة فلا نجد أى ذكر فيها لفكرة البعث والنشور في حياة أخرى أو لدار العقاب ودار الثواب في العالم الآخر. والتشابه ظاهر جلى في كلا المصدرين البابلى والتوراتى في الثواب والعقاب الزمنيين، فالنص التوراتى يشبه تمام النص البابلى في أن العقاب زمنى في هذه الدار الدنيا كالآلام والمرض وفقد المال والموت العاجل وتسلط الأعداء.. الخ [٢]. أما بعد الموت فيذهب الإنسان إلى دار الأموات " وفى الظلام يذهب واسمه يغطى بالظلام [٣] " وهذا نفس عالم الظلام البابلى حيث يتساوى الجميع فيه، " أليس إلى موضع واحد يذهب الجميع

(١) اعتمدنا في عرض هذه الخلاصة عن عقيدة العالم الآخر عند البابليين والسومريين على المقالات التالية للأستاذ طه باقر:
١- " ديانة البابليين والأشوريين "، سومر م٢ (١٩٤٦)، ص ١ - ١٩، ١٧٩ - ١٩٦.
٢- " ملحمة جلجاش والطوفان "، سومر ٦ (١٩٥٠)، ص ٤٢ - ٨٠، ١٤٣ - ١٩١.
٣- " عقائد سكان العراق القدماء في العالم الآخر "، سومر م ١٠ (١٩٥٤)، ص ٨ - ٣٩.

(٢) (جا، ٥: ١٨ - ٢٠).

(٣) (جا، ٦: ٤).

[١]، وكلمة التساوى هذه هى نفس التعبير الوارد في النص البابلى، وقد سمت التوراة العالم السفلى البابلى والسومرى باسم " سلاه " [٢] ولعل كلمة " سلاه " تعريب لكلمة " شيئول " العبرية التي تعنى الهاوية، والهاوية معناها في الأصل الميثولوجى مكان الأموات من هبط إليه لا يصعد [٣]، وهذا نفس كلام السومريين والبابليين " المكان الذي لا خروج منه "،وسمته أيضا " الظلام وظل الموت " [٤]، وهو نفس كلام البابليين " عالم الظلام والرهبة "، وفى مكان آخر سمته "الجب وأسافل الجب " [٥] ووادى ظل الموت [١]. ومن المرجح أن الكنعانيين

---

(١) (جا، ٦: ٦).

(٢) وردت كلمة " سلاه " ٧٤ مرة في التوراة (العهد القديم). والمعنى الأساسى المقصود بها غير معروف بالضبط، فقد ورد في قاموس الكتاب المقدس (الطبعة الجديدة لعام ١٩٧١) أنها تعبير موسيقى يعنى تقوية اللحن وتوقيفه بشدة. ويلاحظ أن " سلاه " وردت في التوراة بصفة إله الأموات مثل إله العالم السفلى السومرى " نرجال " والإلهة " إيرشكيكال " إلهة الظلام والموت البابلية:
" كل الأرض تسجد لك وترنم لك لاسمك سلاه " (مز، ٦٦: ٤).
" يا ممالك الأرض غنوا لله رنموا للسيد سلاه " (مز، ٦٨: ٣٢).
" يخطفك ويقلعك من مسكنك ويستأصلك من أرض الأحياء سلاه " (مز، ٥٢: ٥).
انظر أيضا:
(مز، ٦٨: ٧، ١٩؛ ٨٤: ٤؛ ٨٨: ١٠ - ١٢).

(٣) " الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد " (أى: ٧: ٩).
" سلاه أبعدت عنى معارفى، جعلتنى رجسا لهم، أغلق على فما أخرج " (مز، ٨٨: ٨).
ثم انظر في صفات الهاوية:
(مز، ١٦: ٥، ١٦: ٨ - ١٠، ٣١: ١٧، ٤٩: ١٤ - ١٥، ٥٧: ٦، ٨٨: ١٢، ١٣٩: ٨)؛ (تث، ٣: ٢٢)؛ (أش، ٣٨: ١٠)؛ (١ صم، ٢٨: ٨ - ١٩)؛ (٢ صم، ٢٢: ٦)؛ (عا، ٩: ٢)؛ (عد، ١٦: ٣٠ - ٣٢)؛ (جا، ٩: ١٠)؛ (نش، ٨: ٦)؛ (أم، ١: ١٢، ٩: ١٨، ١٥: ١١).

(٤) (أى، ٣: ٥، ١٠: ٢١).

(٥) " لكنك انحدرت على الهاوية إلى أسافل الجب " (أش، ١٤: ١٥).
" دعوت باسم يا رب من الجب السفل " (مرا، ٣: ٥٥).
=

الذين أخذ الإسرائيليون عنهم تقاليدهم وعاداتهم بل وأكثر شرائعهم كانوا يحملون نفس الفكرة التي اعتمدها اليهود في هذا الصدد.

وقد ظهرت جماعة من اليهود مؤلفة من طبقة الكهنة وبعض الكتبة كانت تجاهر بمبدأ نكران البعث والنشور والقيامة وتذهب إلى أن عقاب العصاة وإثابة المحسنين إنما يحصلان في حياتهم، وهؤلاء صاروا يعرفون بالصدوقيين نسبة على رائدهم الأول صدوق أو صادق، وكان هؤلاء يرفضون كل ما هو خارج عن الوحى المدون في أسفار موسى الخمسة ثم نشأة فكرة العقاب عند علماء اليهود في وقت لاحق، فقال بعضهم بوجود سبع دور متناوبة الدرجات، ورأى بعضهم أن للعقاب دارين دار عليا وأخرى سفلى، واحدة لعقاب الجسد في هذه الحياة وأخرى لعقاب النفس في الآخرة، ولهذه سبع درجات متفاوتة حسب تفاوت الذنوب، ومنهم من قال أن الناس يقسمون بعد الموت ثلاث فرق، فرقة صالحة حسناتها تربو على سيئاتها تتمتع بالسعادة الأبدية حالا وفرقة طالحة تزيد سيئاتها عن حسناتها تعذب عذابا أبديا، وفرقة ثالثة بين بين تعذب في جهنم مدة حتى تطهر من ذنوبها فتصعد إلى السماء.

وقد ظهرت قبيل عهد المسيح فرق من اليهود تؤمن بالقيامة وبالعقاب وبالملائكة فكان أقدمهم السامريون الذين اتخذوا لهم هكيلا خاصا بهم في جبل جرزيم في شكيم (نابلس الحالية) حيث مارسوا عبادتهم منعزلين عن اليهود الذين كانوا على خلاف دينى معهم وقد اشتدت العداوة بينهم.

" ويلاحظ في سفر المكابيين تأكيدا قويا للمجازاة في الحياة الأخرى ولقيامة الموتى وذلك دليل على فكرة متطورة عما بعد الموت اعتنقها فيما بعد الفريسيون

= " أهبطك مع الهابطين في الى شعب القدم وأجلسك في أسافل الأرض في الخرب الأبدية مع الهابطين في الجب لتكونى غير مسكونة وأجعل فخرا في أرض الأحياء " (مز، ٢٦: ٢٠).

راجع أيضا:

(مـــــز، ٢٨: ١، ٤٠: ٢، ٥٥: ٢٣، ٨٨: ٤ و ٦، ١٤٣: ٧)؛ (أم، ١: ١٢)؛ (أش، ٣٨: ١٨)؛ (حز، ٣١: ١٤، ٣٢: ١٨).

(١) " إذا سرت في وادى ظل الموت.. " (مز، ٢٣: ٤).

راجع أيضا (مز، ١٠٧: ١٤، ١٤٣: ٣)؛ (أى، ٣٤: ٢٢).

وعلمها المسيح وتركها للكنيسة " [١].

والفريسيون فرقة من الفرق اليهودية المتأخرة يؤمن منتسبوها بالقيامة وبالروح وبالملائكة على نقيض الصدوقيين الذين لا يؤمنون بالقيامة ولا بالروح ولا بالملائكة، وكان بولس الرسول فريسيا من حيث إيمانه بالقيامة قاومه اليهود وناصبوه العداء هم والصدوقيون.

" ولما علم بولس أن قسما منهم صدوقيون والقسم الآخر فريسيون صاح في المحفل أيها الرجال الأخوة أنا فريسى وأنا على الرجاء وقيامة الأموات أحاكم، فلما قال ذلك وقع خلاف بين الفريسيين والصدوقيين وانشقت الجماعة، لأن الصدوقيين يقولون بعدم القيامة وعدم الملاك والروح والفريسيين يقرون بذلك كله " [٢]

ولابد من الإشارة في هذا الصدد إلى أن قول بولس أنه فريسى إنما عنى به اتفاقه معهم في الإيمان بالقيامة، ولكنه كان يختلف معهم في قبول الأحكام المتوارثة على لسان الأسلاف وفى جملتها التلمود، لذلك كان الفريسيون بزعامة يوحنا بن ذكاى الذين يقبلون بالشرائع الشفوية الموروثة ومعهم الصديقيون الذين لا يؤمنون بالقيامة قد ناصب كلاهما المسيح وأعوانه العداء.

أما المصريون القدماء، فكانوا يعتقدون بوجود دار للعقاب ودار للثواب، وأن النفس بعد الموت تحاكم في حضرة الإله " أوسيرس " واثنين وأربعين قاضيا، وتوزن هى وأعمالها، فإذا وجدت ناقصة حكم عليها بالعقاب، إما بأن تساق إلى الأرض لتحل في جسم حيوان من الحيوانات النجسة أو تلقى في دار العقاب حيث النار والأبالسة، وقد تطهر من آثامها فيسمح لها بالعودة إلى الأرض والظهور في جسد الناس [٣]. ذلك ما يدل بوضوح على أن الاعتقاد بخلود الروح وفى الحياة بعد الموت كان مبدأ دينيا أساسيا في حياة المصريين القدماء، بخلاف ما كان عليه السومريون في هذه الناحية، وذلك على الرغم من العثور في مقبرة أور السومرية على مواد تركت للأموات عند حجر قبورهم والتى تعطى الانطباع على أن السومريين كانوا يعتقدون بالحياة الأخرى أيضا، إذ يؤكد المستر وولى الذي قام

(١) الكتاب المقدس، الطبعة الكاثوليكية لسنة ١٩٦٠، م٢، ص ٧٦٩.

(٢) (أ ع، ٢٣: ٦ - ٨).

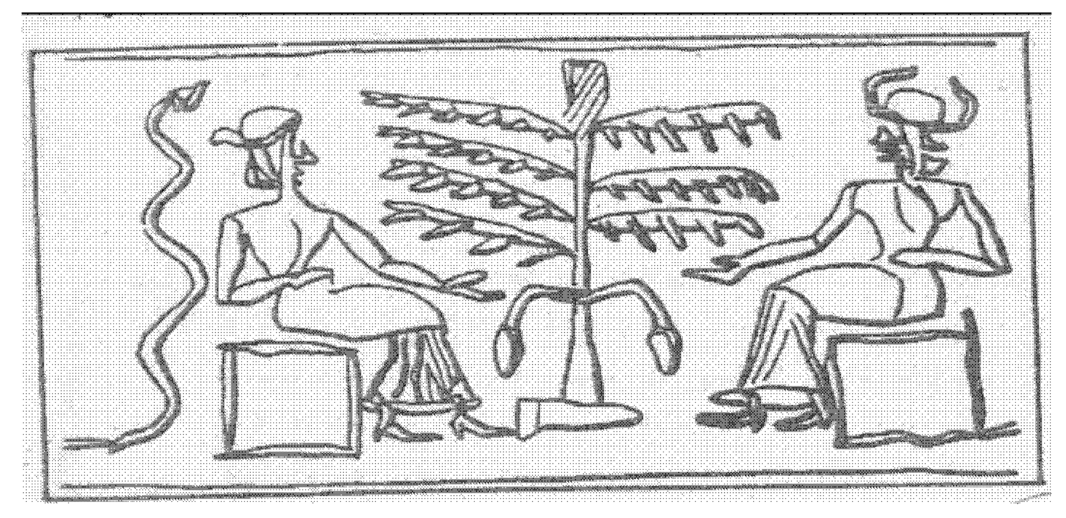
(٣) سومر م ٢ (١٩٤٦)، ص ٩، المقتطف م١٥ (١٨٩١)، ص ١٨ وما بعد، وص ٧٦ وما بعد.

بالتنقيب في هذه المقبرة أنه لم يجد أى دليل على ارتباط هذه المواد بأية صلة دينية تتعلق بالاعتقاد في الحياة بعد الموت(١).

وقد ابتكر المصريون طريقة التحنيط للأجسام لحفظها من عوامل البلى وشيدوا أهراماتهم وجعلوها قبورا تحفظ فيها الأجساد بعد انفصالها عن الأرواح، لذلك كان الأهل والأقرباء يتركون في الحجرة التي يوضع فيها الدفين ما يحتاجه بعد عودة الحياة إليه من مفاخر الطعام ولذيذ الشراب. وكانوا يزينون حجرة الميت بزخارف ينقشونها على الجدران تشتمل على مشاهد تمثل مختلف تحركات الميت في حياته اليومية الأكثر دينية.

٧ ـ قصة آدم وحواء في تصوير السومريين:

ومما يثير الدهشة والغرابة أن المكتشفات الأخيرة قد دلت على أن قصة آدم وحواء بما فيها قصة جنة عدن التي وردت في التوراة قصة قديمة ترجع جذورها إلى عهود ما قبل التوراة، فقصة آدم وحواء التي تشير إلى إغراء الحية لحواء وتناول حواء وآدم من ثمر شجرة معرفة الخير والشر بالرغم من منعهما من الأكل منه.



التصوير رقم (٧٦)

قصة آدم وحواء وإغراء الحية لهما على نقش سومرى

إن هذه القصة ذاتها، نجدها مصورة على نقش سومرى (٢)، يشاهد فيه رجل على رأسه قلنسوة ذات قرنين وامرأة حاسرة الرأس جالسين الواحد أمام الآخر

(1) Woolley, "Excavations at Ur", P. 55.

(2) W.H. Ward, "The seak Cylinders of Western Asia", 1990.

وقد نبتت شجرة بينهما تشبه شجرة النخل تدلى عذقان من التمر من طرفيها، ويشاهد الرجل مادا يده اليمنى نحو الغدق أمامه ليقطف من ثمره، كما تشاهد المرأة وهى مادة يدها اليسرى نحو العذق الذي أمامها لتقطف من ثمره أيضا، ثم تشاهد الحية وهى منتصبة على ذنبها خلف المرأة تغريها في الأكل من هذا الثمر المحرم عليها أكله. وهذا دليل على ان شجر النخل وجد على تربة جنوب العراق منذ أقدم الأزمنة وأن شجرة معرفة الخير والشر هى شجرة النخل بالنسبة للسومريين (انظر التصوير رقم ٧٦).

ومما يذكر أن هذا النقش التاريخى وضع قبل التوراة بزهاء ألفى عام، مع العلم أن البعض يشك في كون هذه الصورة تمثل قصة آدم وحواء من غير أن يعطى هؤلاء تفسيرا آخر ونحن نميل إلى ضم صوتنا إلى أصوات القائلين بأنها تمثل القصة لأن الصورة تتكلم عن نفسها دونما حاجة إلى شرح.

٨ ـ فكرة الفردوس عند السومريين والساميين:

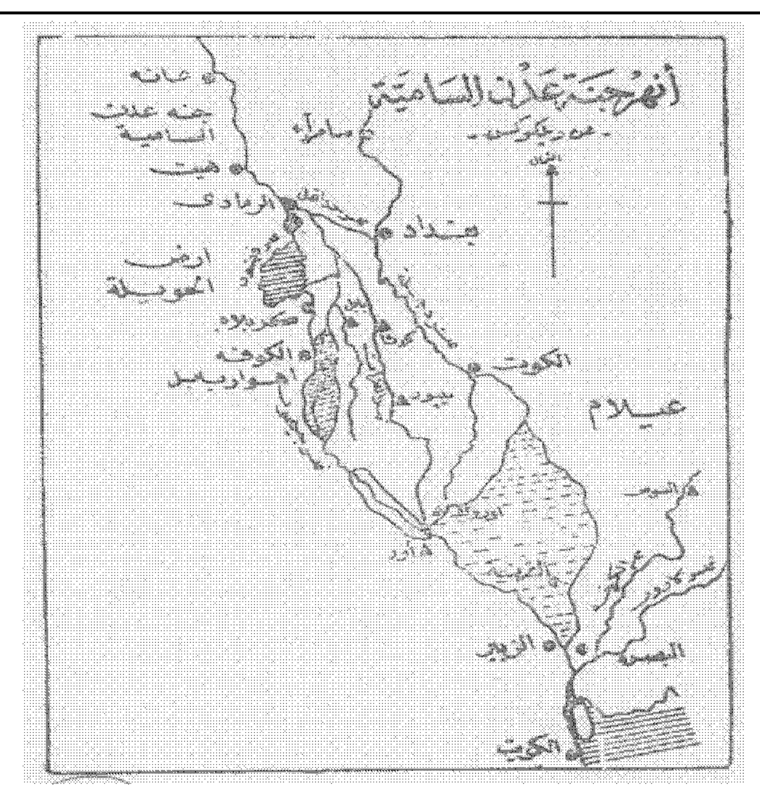
أما موضوع " جنة عدن " التي أوردتها التوراة فقد خلص الخبراء في ضوء الاكتشافات الأخيرة إلى أن فكرة الفردوس (الفردوس الإلهى) ترجع إلى عهود قديمة أيضا، إذ عثر على لوح نقشت عليه قصيدة سومرية فيها تشابه بين المدونات التوراتية والقصة السومرية. وكان موضع الفردوس بموجب القصة السومرية في أرض " دلمون " التي رجع بعض الباحثين أنها كانت في الجهة الجنوبية الغربية من بلاد فارس، بينما يرجح البعض الآخر أنها كانت في الجهة الغربية من ساحل الخليج العربى وقد عين هؤلاء الباحثون المحققون مكانها في البحرين، وتذهب القصة السومرية إلى أن بلاد " دلمون " كانت جزيرة تتمتع بقدسية خاصة وكانت فيها آلهة تعبد لها أهل العراق، وقد وصفت بكونها " أرض الخلود التي لا يوجد فيها مرض أو موت أو حزن ولا ينعق فيها غراب، ولا ترفع الطيور أصواتها بعضها فوق بعض، ولا تفترس أسودها، ولا يأكل ذئب فيها حملا، إلا أنه كان ينقصها الماء العذب اللازم لحياة الحيوان والنبات، فأمر إله الماء السومرى العظيم " أنكى "، " أوتو " إله الشمس أن يملأها بالمياه العذبة النابعة من الأرض. وهكذا تحولت " دلمون " إلى حديقة إلهية غناء مملوءة بالأثمار والمروج والرياض.

والأرجح في رأينا أن فكرة الفردوس الإلهى كان أول من ابتدعها الساميون العموريون الذين استقروا على ضفاف نهر الفرات في جوار عانة وهيت لأن

أكثر العلماء الأثاريين متفقون على أن الساميين كانوا قد نزحوا من الجزيرة العربية إلى ضفاف الفرات في حوالى الألف الرابعة قبل الميلاد، وبذلك يكونون قد سبقوا السومريين في الاستيطان بحوالى ألف عام. وهكذا فقد حددوا موقع الجنة بالنسبة إلى مستقرهم على نهر الفرات في رأس دلتا نهر الفرات حيث تبدأ تفرعات النهر فوصفت بكونها تقع على نهر الفرات في المكان الذي يتفرع النهر فيه إلى أربعة فروع، هى فيشون وجيحون وحداقل والفرات، فيمثل الأول منخفضى الحبانية وأبى دبس، والثانى نهر الهندية الحالى، والثالث مجرى الصقلاوية القديم، أما الرابع فهو نهر الفرات أى المجرى القديم المعروف بنهر كوثا (انظر أنهر عدن السامية عن ويلكوكس). والأرجح أن مدونى التوراة اقتبسوا هذه القصة من الساميين العموريين الأوائل عن طريق البابليين فأدخلوها في التوراة [(١)].

أما السومريون فقد اكتفوا بوصف فردوسهم الإلهى بالنسبة إلى منطقة الغمر " أبسو " التي تمثل مياه الأهوار من غير أن يتطرقوا إلى تفرغات نهر الفرات لبعدها عنهم شمالا. ومثل ذلك كان فيما يخص قصة آدم وحواء، إذ اتخذ السامريون شجرة التفاح لتمثل شجرة الحياة، بينما اتخذ السومريون النخلة لتمثل شجرة الحياة لوجوجها في بيئتهم، لذلك نرجح أن يكون السومريون قد أخذوا فكرة القصتين من الساميين الذين سبقوهم في الاستيطان على نهر الفرات فحوروها لتتفق مع بيئتهم، إلا أن " كريمر " يخالف هذا الرأى إذ يرى أن اليهود تأثروا بالكنعانيين الذين أخذوا فكرة الفردوس الإلهى عن السومريين.

(١) (تك، ٢: ١٠ - ١٤).



المرتسم رقم (١٥)

" وكان نهر يخرج من عدن فيسقى الجنة، ومن ثم يتشعب فيصير أربعة رؤوس، اسم أحدها فيشون وهو المحيط بجميع أرض الحويلة. حيث الذهب، وذهب تلك الأرض جيد، وهنالك المقل وحجر الجزع، واسم النهر الثانى جيحون وهو المحيط بجميع أرض كوش. واسم النهر الثالث حداقل، وهو الجارى شرقى آشور، والنهر الرابع هو الفرات " (تك، ٢: ١٠ - ١٤).

وردنا على هذا أن الكنعانيين كانوا بعيدين كل البعد عن المنطقة السومرية، فهو يقول في كتابه " من ألوح سومر ": " لقد ترك الأدب الذي أوجده السومريون أثره العميق في العبرانيين (اليهود) ومن أكثر الأمور المثيرة هى تقصى أوجه الشبه والمطابقة بين الأفكار والبواعث السومرية والتوراتية. والشئ المؤكد بهذا الصدد أن السومريين ما كان بإمكانهم أن يؤثروا في العبرانيين مباشرة وبدون واسطة لأنهم (أى السومريين) كانوا قد زالوا من الوجود قبل أن يظهر العبرانيون، ولكن لا يوجد أدنى ريب في أن السومريين قد أثروا تأثيرا عميقا في الكنعانيين الذين سبقوا العبرانيين في استيطان البلاد التي عرفت بعدئذ باسم (فلسطين).

ويعلق الأستاذ كريمر على أوجه الشبه بين أسفار التوراة والآداب السومرية فيقول: " فقد أصبح في وسعنا الآن أن ندرك أن هذه المجموعة العظمى من المآثر الأدبية، أى التوراة لم تظهر إلى الوجود وهى كاملة النمو كالأزهار الاصطناعية النامية في الفراغ، وإنما تمتد جذورها امتدادا عميقا في الماضى البعيد وتنتشر انتشارا واسع المدى في البلدان المجاورة، فإن أسفار التوراة في صيغتها ومضمونها كليهما ليست بالقليلة الشبه بالآداب التي خلقتها وأوجدتها الحضارات القديمة في الشرق الأدنى " (١).

٩ ـ قصة قابيل وهابيل التوراتية في الملاحم السومرية:

وقد اتضح من الأساطير السومرية التي عثر عليها المنقبون أن قصة قابيل وهابيل الواردة في التوراة والتى تمثل النزاع بين الفلاح والراعى ترجع جذورها إلى عهد موغل في القدم أيضا، فمن الأساطير السومرية قصة تدعى " إيميش وأينتين " وهى شبيعة بقصة " قابيل وهابيل " في التوراة، وتتلخص الأسطورة بما يأتى: " أراد إله الهواء " أنليل " أن تنمو الأشجار والحبوب وأن تحل في البلاد الوفرة والرخاء فخلق لهذه الغاية مخلوقين أخوين هما (إيميش) و (أينتين) ليعنيا بشئون الزراعة والفلاحة وتربية الحيوان، ويبدو من سياق القصة أن نزاعا شب بين الاثنين أفضى بهما إلى التحكيم، ولكن " أنليل " اختار " أينتين " وجعله فلاح الآلهة. وتتألف هذه القصة من ثلثمائة سطر أكثر من نصفها كامل لا إبهام فيه.

ومن الأساطير الأخرى التي تمثل طرفا في النزاع المستحكم بين البدو والحضر، بين الراعى والفلاح، أسطورة الإله " لهار " إله الماشية وأخته الإلهة " إنشان " إلهة الحبوب، وهذه القصة تدور مثل القصة الأولى حول أصل النزاع بين قابيل وهابيل، وخلاصتها أن " لهار " و " إنشان " نزلا من السماء وخصص الإلهان " أنليل " إله الهواء و " أنكى " إله المياه الماشية إلى " لهار " وعينا له الخضار والعشب وبنيا لانشان بيتا وقدما لها النير والمحراث، وهكذا يبدو الصفاء بين الأخ الراعى والأخت الفلاحة ويمضيان دون حدوث ما يكدر تعاونهما وعيشهما، ولكن بعد حين تظهر فكرة الرواية، وهى العداء المستحكم بين الراعى والفلاح أو بين " أهل المدر والوبر " أى بناة الطين وبناة الشعر أو الحضر والبدو، وذلك عندما شربا الخمرة وثملا، فبدأ الشجار والخصام بينهما في

(١) " الأساطير السومرية "، الترجمة العربية، ص ٢٢٩ ـ ٢٤٠.

المزارع والحقول، ودار النزاع فيما بينهما بأن أخذ كل منهما يمتدح ويعظم أعماله ونتاجه ويزهد في أعمال الآخر، فاضطر الإلهان أنليل وأنكى إلى أن يتدخلا بين الأخت والراعى، أما نتيجة هذا القرار فمفقود.

وهناك أسطورة سومرية ثالثة شبيهة بقصة قابيل وهابيل سميت " أنانا تفضل الفلاح " وهى تمثل فكرة النزاع بين الفلاح والراعى أيضا، وأبطال القصة أربعة هم " أنانا " وأخوها " أتو " إله الشمس و " دموزى " (تموز) الإله الراعى، و " أنكيمدو " الإله الفلاح، وخلاصتها أن " أنانا " عزمت على اختيار زوج لها وكان أخوها " أتو " يحثها على الزواج من " دموزى " الراعى، ولكنها كانت تفضل " أنكيمدو " (الفلاح) فيأتى إليها " دموزى " ليعرف السبب الذي يجعلها تفضل الفلاح عليه، إلا أن " أنانا " لم تبد جوابا، ويظهر أن " أنكيمدو " راح يسعى لترضية منافسة الراعى، بيد أن الراعى يأبى الانثناء عن عزمه إلى أن يعده الفلاح بتقديم أنواع من الهدايا لإرضائه. وهنا يتعذر فهم ما تبقى من كتابة الرقيم، غير أن الظاهر أن " دموزى " الإله الراعى قد تغلب على " انكيمدو " الإله الفلاح [(١)].

١٠ ـ قصة طوفان نوح في التوراة وفى المدونات السومرية والبابلية:

أما قصة طوفان نوح الواردة في التوراة فقد جاءت مشابهة لمدونات السومريين والبابليين حيث تتفق الروايتان على أن طوفانا هائلا وقع في وادى الرافدين في أحد مواسم الفيضان الخارقة العادة، وكان هذا الطوفان من الاتساع وشدة الاندفاع بحيث غمر منطقة دلتا الرافدين كلها وقضى على جميع معالم المدنية والعمران في هذه المنطقة الواسعة، ولم ينج من السكان إلا زعيم دينى وأفراد أسرته والحيوانات التي حملها معه في الفلك التي أوحى إليه من قبل ببنائها.

ومما لا يقبل الجدل والشك هو أن قصص الطوفان الواردة في الروايات السومرية والبابلية تتفق تماما مع ما ورد في التوراة فيما يتعلق بأسباب الطوفان، إنه فساد البشر وعدم إطاعتهم لإرادة الخالق وآثام الإنسان وخطاياه، مع الفارق بين الشرك السومرى والبابلى من جهة وبين الوحدانية اليهودية من جهة أخرى.

وبذلك تكون قصة الطوفان حادثة واقعية حدثت في الأزمنة القديمة في أحد

---

(١) سومر م٥ (١٩٤٩)، ج٢، ص ١٧٩ ـ ١٨٣، ٢٠٣ ـ ٢٠٥.
S.N. Kramer, “Sumerian Mythology”, pp. 49 ff, 53 ff, and 101 ff.

الفيضانات الخارقة العادة، بدلالة إشارة المدونات السومرية إلى وقائع وأحداث يرجع بعضها إلى ما سبق الطوفان وأحداث أخرى جاءت في أعقابه، إلا أن ذلك لا يساعد على تعيين تاريخ هذا الحد الفاصل بالضبط.

ويلاحظ أن علماء الآثار حددوا الألف الثالثة قبل الميلاد تحديدا عرفيا كحد فاصل بين أحداث ما قبل الطوفان (طوفان نوح) وبين أحداث ما بعده. وللألف الثالثة هذه التي تتفق وعهد أول فرعون من السلالة المصرية الأولى دلالة انتقالية مهمة في تطور تاريخ العراق القديم، حيث أصبح هذا التاريخ في عرف علماء الآثار حدا فاصلا يرمز إلى الانتقال من حضارة العصور الحجرية إلى مدنية العصور التاريخية التي تبدأ بفجر السلالات السومرية (١).

أما الطوفان فلا يمكن أن يكون قد حدث في غير المنطقة الممتدة بين " سيبار " (٢) في الشمال وبين " أور " (٣) في الجنوب حيث مواطن الأكديين الساميين والسومريين على السواء وهى المنطقة المنبسطة التي تتأثر بمياه الفيضان، والراجح أن فلك نوح صنعت من نفس المواد المحلية التي تصنع منها العسبية الحالية في هيت وطلى كلا وجهيها الداخلى والخارجى بالقار على النحو الذي

(١) راجع الدكتور أحمد سوسة، " فيضانات بغداد في التاريخ "، ج١، ص ١٤٩ - ٢٠١.

(٢) " سيبار " إحدى المدن الأكدية السامية تقع بقاياها اليوم في التل المسمى " تل أبو حبة " الواقع جنوب غربى بلدة المحمودية الحالية على نحو عشرين ميلا من بغداد. وقد أظهرت التنقيبات فيها أنها ذات تاريخ قديم جدا، وقد ورد ذكرها بين المدن التي وجدت قبل الطوفان، كانت تقع على الضفة الشرقية من مجرى نهر الفرات القديم قبل أن يبدل مجراه، وقد كشف فيها على عدد كبير من الألواح بين سنة ١٨٧٨ وسنة ١٨٩١م فقدر عدد الألواح التي استخرجت منها بـ ١٣٠٠٠٠ لوح كان بعضها داخل حباب من الفخار كالحباب المستعملة للماء.

(٣) " أور " المدينة السومرية الشهيرة وتعرف أطلالها اليوم باسم " تل المقبر " تقع على مسافة ١٦ كيلو متر جنوب غرب مدينة الناصرية الحالية، اكتشفت فيها آثار ثمينة وكنوز أثرية عظيمة عن حياة سكان وادى الرافدين في فجر التاريخ منها المقبرة الملكية المشهورة والجدار المقدس= الذي أنشأه نبوخذ نصر والهيكل المسمى " أى - جيش - سركال " أى دار النور وزقورته وموقع الإله القمر " فنار "، الجدار الذي شيده " أورضو " " (٢٠٥١ - ٢٠٣٤ ق.م).

تطلى به (القفة) والعسبية [١].

ويقول أولبرايت: " لقد أصبح مؤكدا الآن أن القصص العبرية المتعلقة بالخليقة والطوفان والجنة... الخ إما أن تكون مأخوذة من السومريين مباشرة أو مأخوذة عن طريق الأكديين والعموريين " [٢].

ويرى العالم الآثارى إدوارد كييرا أن قصة الطوفان مأخوذة من الأدب البابلى والأدب الأشورى، فيقول في كتابه " كتبوا على الطين " [٣]: " أن قصة الطوفان انبعثت من الأدب البابلى والأدب الأشورى وأنها تشبه حقا قصة الطوفان التي وردت في التوراة.

وفى قصة الطوفان البابلية والأشورية نجد الفلك المطلى بالقار، وهو نفسه الذي ورد ذكره في التوراة، كذلك ورد ذكر رجل معين مع أسرته حذرته الآلهة بقرب حدوث فيضان وانهمار مطر غزير يغرق الأرض ويميت الناس، ثم ترسو السفينة على جبل ويرسل هذا الرجل ثلاثة طيور ثم يخرج المنقذ من السفينة ويقدم القرابين، إن أوجه الشبه بين القصتين أمر يدعو إلى الدهشة ويجعل كل شخص يوافق على أن القصتين أصلهما واحد. ومن الطبيعى أن تكون بينهما بعض الفروق، فالقصة البابلية تعكس أساسا من الشرك فيه كثير من الآلهة التي تقوم بأدوارها... ولا يمكننا تخيل يهوه في ذلك الدور، وفى القصة البابلية شاعرية، مع أنها تمثل الشرك، أما قصة التوراة فتعوزها تلك المسحة الشعرية [٤].

١١ ـ قصة يوسف مع امرأة سيده ومثيلتها في النصوص القديمة:

وقد عثر في مصر على نصوص لأسطورة فرعونية قديمة تسمى قصة الأخوين تشبه من أوجه عديدة قصة يوسف مع امرأة سيده قوطيفار المصرى، وهذه مكتوبة على ورقة من البردى نشرتها مجلة كل شئ والدنيا المصرية [٥]،

---

(١) انظر البحث حول العسيبة والقفة في كتاب المؤلف " الرى والحضارة في وادى الرافدين "، ص ١١٦ - ١١٨.

(٢) أولبرايت، " الشعب اليهودى قديما وحديثا "، ج١، ص ٢٩.

(٣) إدوارد كييرا، " كتبوا على الطين "، الترجمة العربية، ص ١٥١.

(4) Jastrow, “Religion of Babylonia and Assyria”, p. 502; Pritchard, “The Ancient Near East”, p. 69.

(٥) " العدد ٥٤٦ "، الصادر بتاريخ ٢٢ إبريل ١٩٣٦.

وخلاصتها أنه كان لأنوبيس امرأة حسناء راودت أخاه " باتا " ولكن باتا هذا أبى أن يذعن لإرادتها حتى إذا ما رجع إليها زوجها من حقله قالت له: " إن أخاك الأصغر دعانى لمضاجعته وتمنعت عليه فلم أعد أطيق رؤيته، أفلا يستحق منك القتل؟ ولما بلغ " باتا " أن أخاه يبغى قتله لاذ بالفرار واستنجد بالآلهة لتبين الظالم من المظلوم، وبعد روايات كثيرة لا تتصل بالموضوع خلف " باتا " فرعون وصار ملك مصر العظيم ودخل في مصاف الآلهة (١).

١٢ ـ قصة ولادة موسى ومثلتها في النصوص البابلية:

وهناك أسطورة بابلية مكتوبة بالخط المسمارى عثر عليها في المنطقة الأكدية في جنوب العراق وهى تشبه قصة ولادة موسى ونشأته، والأسطورة منقولة عما رواه سرجون الأول ملك الأكديين (٢٣٨١ ـ ٢٣١٦ ق.م) عن نفسه من أن أمه كانت إحدى عذارى الهيكل ولا يعرف أباه فحملت به ووضعته سرا، فخبأته في صندوق من البردى وأحكمت بابه بالقير وألقته في نهر الفرات، فعثر عليه " أكى " الفلاح فرباه ليكون ابنه، ثم صار سرجون اللقيط بستانيا فساقيا لحاكم كيش وقد عشقته الآلهة عشتار فصار ملك سومر وأكد (٢).

وقد تناول فرويد بحث أسطورة انتشال البطل من الماء بقوله: " إن أقدم من نعرفه من الأشخاص الذين ارتبطت بهم خرافة الولادة هذه هو سرجون الأكدى، مؤسسة بابل حوالى عام ٢٨٠٠ ق.م وألف الأسماء إلينا في السلسلة التي تبدأ مع سرجون الأكدى أسماء موسى وقورش ورومولوس بيد أن راتك أمكنه في البحث الذي نشره بعنوان " أسطورة ميلاد البطل " أن يجمع عددا كبيرا من وجوه الأبطال الذين تتردد أسماؤهم في الأشعار أو في الأساطير والذين عاشوا طفولة مشابهة كليا أو جزئيا.. ووضع الطفل في سلة تمثل رمزى صريح للولادة، إذ ترمز السلة إلى بطن الأم، والماء إلى السائل السابيائى، والعلاقات بين الوالدين والأطفال تمثل في عدد لا يحصى من الأحلام، في فعل الانتشال من الماء أو

---

(1) G.A. Barton, “Archaeology and the Bible”, pp. 326 - 328; aho, “Petrie’s Egyptian Tales”. 2nd series, pp. 36 ff.

(٢) هذا ما جاء في كتاب سيتون لويد " الرافدين " (الترجمة العربية، ص ٥١ ـ ٥٢)، غير أن الأستاذ طه باقر قد أثار في تعليقه على ذلك أن النص الوارد في كتاب سيتون لويد " يمثل رأيا قديما وأن البحث الحديث يرى أن أم سرجون كانت كاهنة عليا من صنف الكاهنات المحرم عليهن الزواج أو على الأقل إنجاب الأطفال "..

الإنقاذ من الماء... إن أصل هذه ا لأسطورة يهودى، فالخرافة خلقت من قبل الشعب اليهودى، أى ربطت في صيغتها المعروفة بشخص زعيم هذا الشعب... وهنا بالتحديد تتيح لنا وجهة نظرنا الإقرار بأن الأسرة الأولى، الأسرة التي هجرت الطفل، وهى بكل تأكيد خيالية، وبأن الأسرة الثانية، الأسرة التي تولت تربية الطفل، هى الحقيقة " [١].

١٣ ـ شريعة حمورابى وشريعة التوراة:

تستقى الشرائع أحكامها عادة من البيئة الجغرافية ومن ظروف المجتمع السياسية والدينية والمعاشية بحيث تنسجم مع نمط حياة السكان ومشاكلهم، ولابد من أن تتأثر هذه الشرائع بعض الشئ بالشرائع التي سبقتها في مختلف المجتمعات، وفى التقاليد المرعية وفى العرف المحلى في مجرى تطورها ونموها. ولا أدل على ذلك مما هو واضح في الشريعتين شريعة حمورابى [٢]،

---

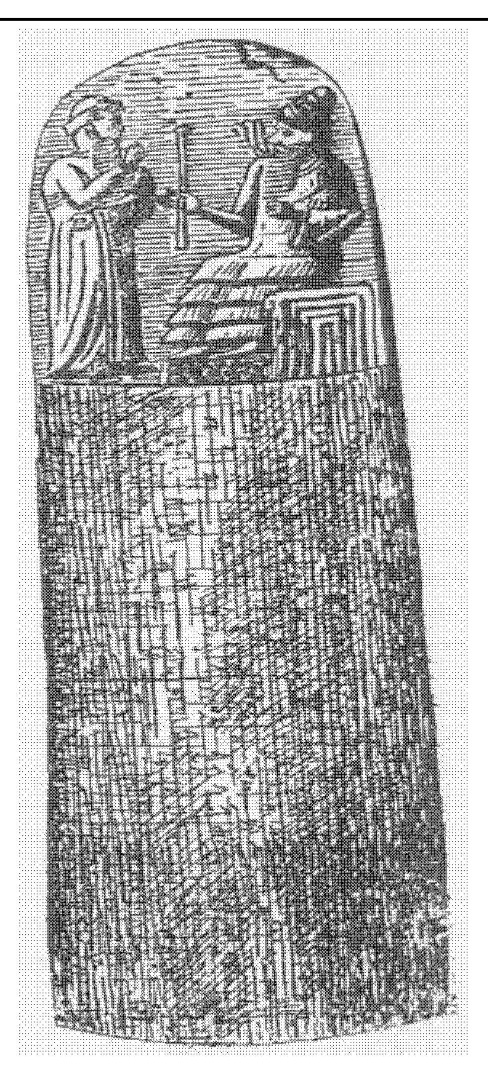
(١) فرويد، " موسى والتوحيد "، الترجمة العربية، ص ١٦ ـ ٢٤.

(٢) إن شريعة حمورابي ترجع إلى عهد صاحبها حورابي سادس ملوك سلالة بابل الأولى الذي حكم في بابل في الحقبة الممتدة بين سنة ١٧٩٢، وسنة ١٧٥٠ ق.م، وهو القائل: " أن الآلهة قد نادتني لأمنع الأقوياء من أن يظلموا الضعفاء ولأنشر العدل والنور في الأرض وأرعى مصالح الخلق "، وقد دونت شريعته المكونة من ثلاثة آلاف سطر باللغة البابلية (السامية) وبالخط السماري الأكدي على مسلة كبيرة من حجر الديورانت الأسود، وقد نصب حمورابي هذه المسلة في فناء معبد " ايزاكيلا " معبد الإله " مردوخ " الإله الرسمي للدولة البابلية ونصب مثلها في معبد الإله " شماش " في مدينة سيبار، الإله الرئيسي للمدينة ، ويظهر حمورابي في هذه المسلة وهو يتسلم بخشوع عصا الراعي ليكون راعي البشر وشريط القياس للبناء من الإله " شماش " وهو جالس على عرشه، وقد ارتدى حمورابي رداء الكهنة والعمامة وهو لباس الرأس عند الساميين الغربيين، وقد صنفت الشريعة إلى اثنى عشر قسمًا يظهر فيها ٢٨٢ مادة بوضوح، ومن المرجح أنها كانت تزيد على ثلاثمائة مادة بقليل، وقد عثر على هذه المسلة في السوس من خوزستان، أي البلاد العيلامية قديمًا وكان قد نقلها إلى مدينة الآثاريون الفرنسيون سنة ١٩٠٢ إلى دار التحف الأثرية في اللوفر (انظر " قوانين حمورابي والقوانين البابلية الأخيرة "، ترجمة وتعليق الدكتور محمود الأمين في مجلة كلية الآداب، العدد ٣ (كانون الثاني، ١٩٦١)، ص١٧٦ ـ ٢٦٠.

وشريعة التوراة [١]، فهناك تشابه كلى في بعض مواد الشريعتين في حين أن هناك مواد أخرى تختلف في أحكامها بين الاثنتين ومواد أخرى موجودة في الواحدة دون الأخرى.

وهذا الاختلاف ناجم كما ذكرنا عن اختلاف البيئة واختلاف الظروف السياسية والاجتماعية والدينية والمعاشية في كل من البلدين اللذين وضعت فيهما الشريعتان، غير أنه لابد من الاعتراف بأن المتشابه بين الشريعتين لابد أن يكون معظمه مقتبسا من أقدمهما، أى أن المتشابه الوارد في التوراة يكون مقتبسا من شريعة حمورابى التي سبقت شريعة التوراة بأكثر من خمسمائة عام، هذا إذا أخذنا بالتاريخ الذي ظهر فيه موسى في زمن الخروج بغض النظر عن التاريخ الذي دونت فيه التوراة في وقت لاحق أى بعد تدوين شريعة حمورابى بثلثمائة وألف عام.

(١) لقد تعمدنا هنا اتخاذ مصطلح شريعة التوراة بدلا من شريعة موسى لأن عزو كل ما جاء في شريعة التوراة إلى موسى أمر مشكوك فيه للأسباب التي سبق أن أوضحناها في كيفية تدوين التوراة.



التصوير رقم (٧٧)
مسلة حمورابى
ويظهر فيها حمورابى وهو يتسلم عصا الراعى ليكون راعى البشر ومعه شريط القياس للبناء من الإله شماش وهو جالس على عرشه

إن تأثير الاختلاف بين بيئة كل من البلدين اللذين وضعت فيهما الشريعتان ظاهرة في موادهما، فنجد مثلا أن شريعة التوراة تفرق بين الإسرائيلى وغير الإسرائيلى بوجه عام في أحكامها وأنها خاصة ببنى إسرائيل حصرا، ويكون العبيد في حكم التوراة من غير بنى إسرائيل[1]، هذا في حين أن الأحكام البابلية

(١) (لا، ٢٥: ٣٩ - ٤٦)، راجع أيضًا (خر، ٢١: ٢ - ١٠، ٢٠، ٢٦، ٢٧)؛ (تث، ١٥: ١٢ - ١٨).

تفرق بين طبقات الشعب في فرض عقوباتها، فالعقوبة على الشريف تختلف عن العقوبة التي تفرض على غيره من طبقات الشعب الأخرى ومنهم الأرقاء، ففى الشريعة البابلية مثلا إذا صفع سيد حد فرد فتقطع أذنه، أما إذا شخص اعتيادى صفع شخصا اعتياديا آخر على خده فعليه أن يدفع له عشر شاقلات [١]. من الفضة [٢]. كذلك إذا فقأ شخص عين ابن أحد الأشراف فعليهم أن يفقؤوا عينه، أما إذا فقأ عين سيد اعتيادى فعليه أن يدفع منا [٣] من الفضة [٤].

هذا وقد تناولت شريعة حمورابى بشئ من التفصيل القضايا المتعلقة بشئون الرى وزراعة الحقول وبساتين النخيل، وفرضت عقوبات لتنظيم العلاقات بين المزارعين، كما أنها قد تناولت في كثير من موادها القضايا الناجمة عن علاقة الملاك بالفلاح، في حين أن مثل هذه المواد لم ترد في التوراة لأن كل مزارع من مزارعى بنى إسرائيل كان يفلح أرضه، والزراعة في فلسطين تعتمد على الأمطار وأكثر بساتينها الكروم والزيتون. وهناك مواد تتعلق بالأسعار وتعيين أجور الأعمال ومواد أخرى تتعلق بالسفن وبخزن الحبوب وبالشئون التجارية وردت في الشريعة البابلية وهى غير موجودة في شريعة التوراة، ذلك ما يدل على أن مستوى حياة المجتمع البابلى ونظمه الحضارية كانت أرقى من مستوى المجتمع اليهودى بالرغم من أن اليهود ظهروا بعد زمن حمورابى بأكثر من خمسمائة عام.

ويلاحظ أن التلمود الذي وضع في بابل تناول الكثير من القضايا المتعلقة بالأراضى وإنشاء الجداول وصيانة السداد لصد الفيضان ومعالجة القضايا المتعلقة بشئون الزراعة المرتكزة على الرى أكثرها مقتبس من أنظمة الحياة البابلية بعد أن أخذ اليهود يمارسون الزراعة على الرى في بابل بعد السبى.

ولدينا من الدلائل على أن مدونى التوراة كانوا مطلعين على الشرائع المختلفة التي وضعها المصريون في مصر والسومريون والبابليون والأشوريون في العراق والحيثيون في فلسطين وخاصة شريعة حمورابى التي اقتبسوا منها المواد المتشابهة بين الشريعتين، الشريعة البابلية والشريعة التوراتية، وفيما يلى

---

(١) الشاقل: نوع من الوزن البابلى يزن ٨ غرامات أو ١٨٠ حبة.

(٢) المادتان ٢٠٤ و ٢٠٥.

(٣) المنا: نوع من الوزن البابلى يزن ٥٠٠غرام ويعادل ستين شاقلا.

(٤) المادتان ١٩٦ و ١٩٨.

مقارنات بين أوجه الشبه بينهما.

أ – حكم العين بالعين والسن بالسن:

يعتبر أكثر الباحثين التقليد القديم الذي ينطوى على " حكم: العين بالعين، والسن بالسن " القاعدة الأساسية التي تقوم عليها الشريعة البابلية وهم يردونه إلى حمورابى واضعه الأول.

فحسب شريعة حمورابى " إذا فقأ سيد عين أحد الأشراف فعليهم أن يفقأوا عين ذلك السيد " [١]، و " إذا كسر سيد عظم سيد آخر فعليهم أن يكسروا عظمه " [٢]،

و " إذا قلع سيد سن سيد من طبقته فعليهم أن يقلعوا سنه " [٣]. و " إذا بنى بناء لسيد بيتا ولم يكن شغله متينا بحيث انهار ذلك البيت الذي بناه وقتل صاحب البيت فيجب قتل ذلك البناء " [٤]. و " إن قتل ابن صاحب البيت فعليهم أن يقتلوا ابن ذلك البناء " [٥].

وقد أخذت التوراة بهذا المبدأ أيضا ومعنى وطبقته في أماكن متعددة من شريعتها، فحسب شريعة التوراة " وإن حصلت أذية تعطى نفسا بنفس، وعينا بعين، وسنا بسن، ورجلا برجل، وكيا بكى، وجرحا بجرح، ورضا برض " [٦]. و " إذا أمات أحد إنسانًا فإنه يقتل، ومن أمات بهيمة يعوض عنها نفسا بنفس، وإن أحدث إنسان في قريبه عيبا فكما فعل يفعل به، كسر بكسر، وعين بعين، وسن بسن، كما أحدث عيبا في الإنسان كذلك يحدث فيه، من قتل بهينة يعوض عنها ومن قتل إنسان يقتل " [٧]. و " لا تشفق عينك، نفس بنفس، عين بعين، سن بسن، يد بيد، رجل برجل " [٨].

(١) المادة ١٩٦.
(٢) المادة ١٩٧.
(٣) المادة ٢٠٠.
(٤) المادة ٢٢٩.
(٥) المادة ٢٣٠.
(٦) (خر، ٢١: ٢٣ - ٢٥).
(٧) (لا، ٢٤: ١٧ - ٢١).
(٨) (تث، ١٩: ٢١).

ب – تهريب الرقيق وسرقة الإنسان لبيعه:

أجازت الشريعتان البابلية والتوراتية الرق فكان لابد لهما من معالجة هذه الظاهرة الاجتماعية.

فشريعة حمورابى تعالج مسألة الرق بوصفها تشكل ظاهرة اجتماعية لها خطورتها ودورها الهام في المجتمع البابلى الزراعى وقامت على هذا الأساس بتحديد حقوق الرقيق وحدوده وواجباته [١]، من وجهة إنسانية فلا يكون هناك رق أبدى ولكنها في الوقت نفسه حكمت على " كل من احتفظ في بيته برقيق هارب أو ساعد رقيقا هاربا أو أمة هاربة " بعقوبة الإعدام [٢].

وقد أخذت التوراة بهذا المبدأ " فمن سرق إنسان وباعه أو وجد في يده يقتل قتلا " [٣]. ولكنها حصرته في بنى إسرائيل (بمعنى اليهود) " إذا سرق أحد نفسا من أخوته بنى إسرائيل واسترقه وباعه أو وجد في يده يقتل قتلا " [٤].

فهى لا تعالج مسألة الرق من حيث أنها تشكل ظاهرة اجتماعية وإنما من وجهة عنصرية بحتة ومن حيث علاقتها ببنى إسرائيل فليس هناك رق أبدى للعبد الإسرائيلى أما العبد من غير بنى إسرائيل فقد حولته إلى متاع يتوارثه الخلف عن السلف [٥]، ومن جهة أخرى فإنها تشجع على تهريب الرقيق من عند غير الإسرائيلى " عبدا أبق إليك من مولاه لا تسلم إلى مولاه، عندك يقيم في وسطك في المكان الذي يختاره في أبوابك حيث يطيب له، لا تظلمه " [٦].

جـ – انتهاك حرمة الأبوين:

كلتا الشريعتين: شريعة حمورابى وشريعة التوراة، توجبان إكرام الوالدين " أكرم أباك وأمك " واحترامهما وتنهيان عن العقوق والتطاول عليهما أو على أحدهما وتعاقبان الابن الذي يرتكب مثل هذه العصية، ولكنهما تتخالفان في درجة عقوبتها وشدتها [٧]، فبينما نجد شريعة حمورابى تقضى بقطع يد الابن الذي

(١) المواد ٢٧٨ - ٢٨٢.
(٢) المواد ١٤ - ٢٠.
(٣) (خر، ٢١: ١٦).
(٤) (تث، ٢٤: ٧).
(٥) (لا، ٢٥: ٣٩ - ٥٥).
(٦) (تث، ٢٣: ١٥ - ١٦).
(٧) (خر، ١٩: ١٢)، راجع أيضًا (لا، ١٩: ٣)؛ (مت، ١٥: ٤)؛ (أف، ٦: ٣).

يضرب أباه وأمه[١]، نجد شريعة التوراة تشدد العقوبة إلى حد القتل " من ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا.. كل إنسان سب أباه أو أمه فإنه يقتل، قد سب أباه أو أمه. دمه عليه " [٢]. وكذلك تشدد عقوبة الابن المعاند أو المارد إلى درجة الموت بواسطة الرجم " إذا كان لرجل ابن معاند ومارد لا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ويؤدبانه فلا يسمع لهما يمسكه أبوه وأمه ويأتيان به إلى شيوخ مدينته وإلى باب مكانه. ويقولان لشيوخ مدينته. ابننا هذا معاند ومارد لا يسمع لقولنا وهو مسرف سكير، فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت " [٣].

د - الزنى والاغتصاب:

الشريعتان كلتاهما تحاربان الفحشاء " لا تتزوج بغيا، إنها لا تنتشلك من ورطتك، ففى خصامك تتبذأ عليك، إذ ليس لها حياء ولا طاعة، وعليك، إن هى استولت على البيت أن تسرحها. إن فكرها مع الغريب. البيت الذي تدخله تخربه، وزوجها لا يتوفق " [٤]، وتنهيان عن الزنى " لا تزن " [٥] و " لا تشته امرأة قريبك " [٦]، وهما تتشابهان في أحكامهما في هذا الباب إلى درجة يصعب معها التفريق في أيهما الأصل وأيهما الفرع لولا أن شريعة حمورابى هى الأقدم وبذلك تكون الأصل وشريعة التوراة هى الأحدث وبذلك تصبح الفرع، وحكمهما في هذا الباب على اختلاف أشكالهما هو الموت إما بالقتل أو الحرق أو الرجم أو الإلقاء في الماء (بمعنى الإغراق في النهر) وفى بعض الأحيان بالطرد (أى النفى).

فحسب شريعة حمورابى " إذا قبض على امرأة سيد مضطجعة مع سيد آخر، فيجب عليهم أن يوثقهما ويلقونهما في الماء (بمعنى النهر) ويمكن لزوج المرأة أن يبقى زوجه على قيد الحياة كما يمكن للملك أن يخلى أمته " [٧]. و " إذا اختار

---

(١) المادة ١٩٥.

(٢) (خر، ٢١: ١٥ و ١٧) راجع أيضا (تث، ٢٠: ٩).

(٣) (تث، ٢١: ١٨ - ٢١).

(٤) من الأدب البابلى راجع لطفى الخورى الدكتور محمود الأمين، " رسائل الآباء إلى الأولاد "، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٣، الرسالة الأولى سطر ٣٠ - ٣٩ راجع نفس الرسالة باللغة الإنجليزية في:

Pritchard, "Ancient Near Eastern Tets", P. 436.

(٥) (خر، ٢٠: ١٤)، راجع أيضا (لا، ٢٠: ١)؛ (مت، ١٩: ١٨).

(٦) (خر، ٢٠: ١٧).

(٧) المادة ١٢٩.

سيد عروسا لابنه ودخل ابنه عليها ولكن بعدئذ ينام هو حجرها ويقبضون عليه فعليهم أن يوثقوا ذلك الرجل وأن يلقوا به في الماء (النهر) " [١].

و " إذا قبض على سيد مضطجعا في حجر زوج أبيه (زوجة الأب) التي ولدت أولادا فيجب طرده من بيت أبيه " [٢]، و " إذا نام سيد في حجر أمه بعد والده (أى بعد وفاة والده) فعليهم أن يحرقونهما كليهما " [٣]. و " إذا جامع رجل ابنته فعليهم أن يطردوا (أن ينفوا) ذلك السيد من المدينة " [٤].

أما حسب شريعة التوراة " إذا وجد رجل مضطجعا مع امرأة زوجة بعل يقتل الاثنان الرجل المضجع مع المرأة والمرأة " [٥]. و " إذا اضطجع رجل مع كنته فإنهما يقتلان كلاهما [٦]. قد فعلا فاحشة [٧]. دمهما عليهما " [٨].

ولا توجد عقوبة محددة لمن كشف عورة أمه، أما " إذا اتخذ رجل امرأة وأمها فقد ارتكب رذيلة، بالنار تحرقونه وإياهما " [٩]. و " لا تدنس ابنتك بتعريضها للزنى " [١٠]. ولا عقوبة محدودة في التوراة لمن زنى مع ابنته.

وتتخالف الشريعتان في كون الشريعة البابلية قد نظمت شؤون العائلة وحددت حقوق أفرادها وواجباتها وعلاقاتهم فيما بينهم [١١]، بينما لا نجد في التوراة أية إشارة إلى مثل هذه الظاهرة الاجتماعية الحضارية المتقدمة.

وهما تتخالفان أيضا من حيث كون شريعة حمورابى لم تعالج مسألة اللواط ومضاجعة البهائم والوقوف أمامها لنزائها وقد انفردت شريعة التوراة بهذه المسألة " لا تضاجع ذكرا مضاجعة امرأة. إنه رجس " [١٢] فـ " إذا اضطجع

---

(١) المادة ١٥٥.
(٢) المادة ١٥٨.
(٣) المادة ١٥٧.
(٤) المادة ١٥٤.
(٥) (تث، ٢٢: ٢٢).
(٦) (لا، ١٨: ١٥).
(٧) (لا، ٢٠: ١٢).
(٨) (لا، ١٨: ٧).
(٩) (لا، ٢٠: ١٤).
(١٠) (لا، ١٩: ٣١).
(١١) المواد ١٢٧ - ١٩٥.
(١٢) (لا، ١٨: ٢٢).

رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسا، إنهما يقتلان، ودمهما عليهما " [١]، ولا تجعل مع بهيمة مضطجعك فتتنجس بها ولا تقف امرأة أمام بهيمة لنزائها، إنه فاحشة [٢]. فـ " إذا جعل رجل مضطجعه مع بهيمة فإنه يقتل والبهيمة تميتونها. وإذا اقتربت امرأة إلى بهيمة لنزائها تميت المرأة والبهيمة. إنما يقتلان، دمهما عليهما " [٣].

فهذا التخالف بين الشريعتين إن دل على شئ فإنما يدل على مدى التقدم الحضارى في المجتمع البابلى على قدمه والتردى والبدائية في المجتمع اليهودى على حداثته.

هـ - السرقة والنهب:

السرقة محظورة في كلتا الشريعتين " لا تجعل نفسك تغويك لارتكاب سرقة ما " [٤]، حسب الآداب البابلية و " لا تسرق " حسب شريعة التوراة وهما تقومان على مبدأ التعويض وقد تصل شريعة حمورابى في بعض أحكامها إلى حد القتل أو قطع اليد، أما شريعة التوراة فلا تصل إلى مثل هذه الحدود في أحكامها [٥].

فحسب شريعة حمورابى " إذا سرق شخص ثورا أو شاة أو حمارا أو خنزيرا أو قاربا يعود للإله أو القصر فإنه يعوضه بثلاثين مثلا، أما إذا كان المسروق يعود إلى مسكين فإنه يعوضه بعشرة أمثال. وإن لم يكن لديه التعويض الكافى فإنه يقتل بجنايته " [٦]. " إذا قام سيد بالسرقة وقبض عليه أثناءها فإنه يقتل [٧]. وكذلك " إذا سرق سيد ثروة تعود للإله أو القصر فإنه يعدم. وكذلك يعدم من يتقبل السروقات من يده " [٨]. وتخفف عقوبة القتل إذا كان المسروق زرعا أو أكلا " إذا استأجر سيد سيدا وعينه على حقله وسلمه الأكل والبقر وتعهد بزرع

(١) (لا، ٢٠: ١٢).
(٢) (لا، ١٨: ٢٢ - ٢٣).
(٣) (لا، ٢٠: ١٥ - ١٦).
(٤) راجع السطر ٤٦ من الرسالة المشار إليها في رقم (٧٧).
(٥) (خر، ٢٠: ١٥)، راجع أيضًا (خر، ٢١: ١٦)؛ (لا، ١٩: ١١)؛ (مت، ١٩: ١٨).
(٦) المادة ٢٣ من شريعة حمورابى.
(٧) المادة ٢٢ من شريعة حمورابى.
(٨) المادة ٦ من شريعة حمورابى، راجع أيضا المواد ٨، ٩، ١٠، ١١، ٢١، ٢٥.

الحقل، فإذا سرق هذا السيد الزرع والأكل ومسكت في يده فإن يده تقطع " [(١)].

أما حسب شريعة التوراة " إذا سرق إنسان ثورا أو شاة فذبحه أو باعه يعوض عن الثور بخمسة ثيران وعن الشاة بأربعة من الغنم، إن وجد السارق وهو ينقب فضرب ومات فليس له دم، ولكن إذا أشرقت عليه الشمس فله دم. إنه يعوض وإن لم يكن له بيع بسرقته، إن وجدت السرقة في يجده حية ثورا كانت أم حمارا أم شاة يعوض باثنين " [(٢)].

ولا يقتصر الخلاف بين الشريعتين، شريعة حمورابى وشريعة التوراة على الخلاف في شدة أحكامها وإنما من حيث الشكل والمضمون، فشريعة حمورابى هى شريعة مدنية تتحلى بروحية من التشريع تعادل أرقى ما نجده في شرائع اليوم بينما تبقى شريعة التوراة شريعة كهنوتية تزج بالرب والكهنة في حل قضايا مدنية.

" إذا أعطى إنسان صاحبه فضة أو أمتعة للحفظ فسرقت من بيت الإنسان فإذا وجد السارق يعوض باثنين وإن لم يوجد السارق يقدم صاحب البيت دعواه إلى الله ليحكم هل مد يده إلى ملك صاحبه. في كل دعوى جناية من جهة ثور أو حمار أو شاة أو ثوب أو مفقود ما يقال إن هذا هو. تقدم إلى الله دعواهما. فالذى يحكم الله بذنبه يعوض صاحبه باثنين [(٣)]. و " إذا أخطأ أحد وخان خيانة بالرب وجحد صاحبه وديعة أو أمانة أو مسلوبا أو اغتصب صاحبه، أو وجد لقطة وجحدها وحلف كاذبا على شئ مما يفعله الإنسان مخطئا به. فإذا أخطأ يرد المسلوب الذي سلبه أو المغتصب الذي اغتصبه أو الوديعة التي أودعت عنده أو اللقطة التي وجدها، أو كل ما حلق عليه يعوضه برأسه ويزيد عليه خمسة إلى الذي هو له. يدفعه له يوم ذبيحة إثمه، ويأتى إلى الرب بذبيحة لائمة كبشا صحيحا من الغنم بتقويمك ذبيحة إثم إلى الكاهن، فيكفر الكاهن عنه أمام الرب. فيصفح عنه في الشئ الذي فعله مذنبا به " [(٤)]. والمذنب يقدم ذبيحة إثم كبشا صحيحا من الغنم والكاهن يحصل على أطايب الذبيحة فيكفر عنه والرب مجبر على الصفح وتنتهى القصة بلا غالب ولا مغلوب.

---

(١) المادة ٢٥٣ من شريعة حمورابى.
(٢) (خر، ٢٢: ١ - ٤).
(٣) (خر، ٢٢: ٧ - ٩).
(٤) (لا، ٥: ٤ - ٧).

و – اتهام امرأة أو فتاة بالفحشاء بغير إثبات:

إن التشابه في العقوبة التي تفرضها كل من الشريعتين في هذا الباب واضح وجلي فحسب شريعة حمورابى " إذا ما نسب شخص إلى امرأة الفحشاء ولكنه لم يستطع إثبات ذلك فيجب عليهم جلب ذلك الرجل أمام القضاة الذين يعلمون جبينه قصا " [(١)] أما شريعة التوراة فإنها تترك إلى شيوخ مدينته أمر تأديبه وتغريمه بمقدار من الفضة [(٢)].

ز – الاتهام الكاذب والشهادة الكاذبة:

لقد نهت الآداب العامة عند البابليين عن قول ما ليس للإنسان به علم بل وحتى عن إعطاء النصيحة الكاذبة، " لا تقل ما ليس لك به علم ولا تعط نصيحة كاذبة " [(٣)]، وجعلت من مخالفها خارجا على القانون فجاءت شريعة حمورابى لتفرض عقوبات صارمة بحث كل من يتهم الغير كذبا " إذا ما اتهم سيد سيدا وأقام عليه دعوى بالقتل ولكنه لم يستطع إثباتها فإن ذلك السيد يعدم " [(٤)]. وكذلك يعدم من يدلى بشهادة كاذبة " إذا أدلى سيد بشهادة كاذبة في دعوى ما ولم تثبت صحتها فإن كانت تلك الدعوى تتعلق بحياة فإن ذلك السيد يعدم " [(٥)].

وكذلك نهت التوراة في أماكن متفرقة وعديدة عن شهادة الزور وقول الكذب واعتبرته من صلب شريعتها " لا تشهد على قريبك شهادة زور " [(٦)]، و " لا تقبل خبرا كاذبا، ولا تضع يدك مع المنافق لتكون شاهد ظلم " [(٧)] و " ابتعد عن كلام الكذب " [(٨)]. وقد أخذت في أحكامها على كل من يخرج على هذه التقاليد بمبدأ " السن بالسن، والعين بالعين... " فـ " إذا قام شاهد زور على إنسان ليشهد عليه بزيغ يقف الرجلان اللذان بينهما الخصومة أمام الكهنة والقضاة الذين يكونون في تلك الأيام، فإذا فحص القضاة جيدا وإذا الشاهد شاهد كذب قد شهد بالكذب على

(١) المادة ١٢٧.
(٢) (تث، ٢٢: ١٣ - ١٩).
(٣) راجع نفس الرسالة الواردة في الرقم ٧٩ سطر ٥.
(٤) المادة الأولى من شريعة حمورابى.
(٥) المادة الثالثة من شريعة حمورابى راجع أيضا المادة ١١.
(٦) (خر، ٢٠: ١٦)؛ (تث، ٥: ٢٠).
(٧) (خر، ٢٣: ١).
(٨) (خر، ٢٣: ٧)؛ راجع أيضا (مز، ٢٧: ١٣، ٣٥: ١١).

أخيه فافعلوا به كما نوى أن يفعل بأخيه... ولا تشفق عينك، نفس بنفس، عين بعين، سن بسن، يد بيد، رجل برجل " [١]. وهى لم تعالج مسألة الاتهام الكاذب ولكن يبقى بالإمكان الأخذ بنفس هذا المبدأ قياسا.

ومما لابد من الإشارة إليه هنا هو أنه كما سبق وأشرنا إليه مرارا أن الشريعة التوراتية تبقى شريعة كهنوتية عنصرية.

ح – السحر وتعاطيه:

السحر محظور بحسب الشريعتين أما شريعة حمورابى فحكمها " على الساحر بأن يلقى في النهر فإذا أثبت النهر أنه برئ من التهمة وخرج سالما فإن الذي اشتكى عليه بتهمة السحر يعدم " [٢]، بينما تقضى شريعة التوراة بقتل الساحر " لا تدع ساحرة تعيش " [٣]، و " إذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعة فإنه يقتل، بالحجارة يرجمونه، دمه عليه " [٤] وقد نهت التوراة في أماكن متعددة منها عن السحر وتعاطيه [٥].

ط – الديون وكيفية استيفائها:

أجازت الشريعتان، البابلية وشريعة التوراة، بيع أحد أفراد العائلة سدادا لدين استحق ولم يكن بمقدور المدين سداده، فحسب شريعة حمورابى " إذا حان الاستحقاق (استحقاق الدين) على سيد وباع زوجه أو ابنه أو ابنته وارتبط هو نفسه بالخدمة فيجب عليهم أن يعملوا في بيت من اشتراهم أو الدائن ثلاث سنوات وتعاد لهم حريتهم في السنة الرابعة " [٦]. وهذا قول صراح لا لبس فيه يشمل

(١) (تث، ١٩: ١٦ - ٢١).
(٢) المادة ٢ من شريعة حمورابى.
(٣) (خر، ٢٢: ١٨).
(٤) (لا، ٢٠: ٢٧).
(٥) " لا تلتفتوا إلى الجان والتوابع "، (لا، ١٩: ٣١)، " والنفس التي تلتفت إلى الجان والتوابع لتزنى وراءها اجعل وجهى ضد تلك النفس واقطعها من شعبها "، (لا، ٢٠: ٦).
" لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته في النار ولا من يعرف عرافة ولا عائق ولا متفائل ولا ساحر ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جانا أو تابعة، ولا من يستشير الموتى "، (تث، ١٨: ١٠ - ١١).
راجع كذلك في هذا الموضوع (٢ مل، ٢٣: ٢٤)؛ (أى، ٢٧: ٩ - ١٠).
(٦) المادة ١١٧ من شريعة حمورابى.

جميع المواطنين لا فرق بين مواطن وآخر، أما التوراة فقد أخذت بذلك نصا ومعنى وإن كانت زادت في عدد سنوات الخدمة، ولكن بعد أن خصته بالعبرانى دون الأجنبى " إذا اشتريت عبدا عبرانيا فست سنين يخدم وفى السابعة يخرج حرا مجانا. إن دخل وحده فوحده يخرج، إن كان بعل امرأة تخرج امرأته معه. إن أعطاه سيده امرأة وولدت له بنين أو بنات فالمرأة وأولادها يكونون لسيده ويخرج وحده " (١).

فالعبد العبرانى ومثله الأمة العبرانية لا يسترقان وإنما يخرجان في سنة اليوبيل على عكس الأجنبى الذي يسترق ويدخل في أملاك سيده يتوارثه الخلف عن السلف كأى متاع آخر " وإذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده استعباد عبد، كأجير كنزيل يكون عندك. إلى سنة اليوبيل يخدم عندك. ثم يخرج من عندك هو وبنوه معه ويعود إلى عشيرته، وإلى ملك آبائه يرجع، لأنهم عبيدى الذين أخرجتهم من أرض مصر، لا يباعون بيع العبيد، لا تتسلط عليه بعنف. وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم، منهم تقتنون عبيدا وإماء، وأيضا من أبناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم الذين يلدونهم في أرضكم فيكونون ملكا لكم. وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك، تستعبدونهم إلى الدهر، وأما أخوتكم بنى إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف، وإذا طالت يد غريب أو نزيل عندك وافتقر أخوك عنده وبيع للغريب المستوطن عندك أو لنسل عشيرة الغريب، فبعد بيعه يكون له فكاك، يفكه واحد من إخوته، أو يفكه عمه أو ابن عمه أو يفكه واحد من أقرباء جسده من عشيرته أو نالت يده يفك نفسه، فيحاسب شاريه من سنة بيعه له إلى سنة اليوبيل ويكون ثمن بيعه حسب عدد السنين. كأجير يكون عنده. إن بقى كثير من السنين فعلى قدرها يرد فكاكه من ثمن شرائه، وإن بقى قليل من السنين إلى سنة اليوبيل يحسب له وعلى قدر سنيه يرد فكاكه، كأجير من سنة إلى سنة يكون عنده، لا يتسلط عليه بعنف أمام عينيك، وإن لم يفك بهؤلاء يخرج في سنة اليوبيل هو وبنوه معه، لأن بنى إسرائيل لى عبيد، هم عبيدى الذين أخرجتهم من أرض مصر " (٢).

و " إذا بيع لك أخوك العبرانى أو أختك العبرانية وخدمتك ست سنين ففى السنة السابعة تطلقه حرا من عندك، وحين تطلقه من عندك فلا تطلقه فارغا، تزوده

(١) (خر، ٢١: ٢ - ٤).
(٢) (لا، ٢٥: ٣٩ - ٥٥).

من غنمك ومن بيدرك ومن معصرتك، كما بارك الرب إلهك تعطيه. لا يصعب عليك أن تطلقه حرا من عندك لأنه ضعفى أجرة الأجير خدمك، ست سنين " [١]، و " إذا باع رجل ابنته أمة فلا تخرج كما يخرج العبيد " [٢].

وكذلك شرعت التوراة بالنسبة لاسترداد الديون في سنة الإبراء، العبرانى يبرأ وأما الأجنبى فلا " في آخر سبع سنين تعمل إبراء، وهذا هو حكم الإبراء، يبرئ كل صاحب دين يده مما أقرض صاحبه لا يطالب صاحبه ولا أخاه لأنه قد نودى بإبراء الرب، الأجنبى تطالب، أما ما كان لك عند أخيك فتبرئه يدك منه " [٣].

ى – تعاطى الربا:

كان الربا معروفا عند البابليين ومعمولا به وقد حددته شريعة حمورابى بحوالى ٢٠% " إذا أقرض تاجر حبوبا بفائض، فإنه يستسلم ستين قوا من الحبوب لكل كور كفائض، وإذا أقرض دراهم بفائض فإنه يستلم سدس الثقل ست حبات لكل ثقل من الفضة كفائض " [٤]، ولما كان الكور يعادل ثلثماية قو وكل ثقل يعادل ماية وثمانين حبة فإن الفائض يكون ٢٠%، أما التوراة فإنها تحرم تعاطى الربا بالنسبة للإسرائيلى وتحلله للأجنبى " إذا أقرضت فضة لشعبى الفقير فلا تكن له كالمرابى، لا تضعوا عليه ربا " [٥] و " إذا افتقر أخوك وقصرت يده عندك فاعضده غريبا أو مستوطنا فيعيش معك، فضتك لا تعطه بالربا وطعامك لا تعط بالمرابحة " [٦] و " لا تقرض أخاك بربا، ربا فضة أو ربا طعام، أو ربا شئ ما مما يقرض بربا، للأجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا " [٧].

ومما تجدر الإشارة إليه هنا هو، كما أسلفنا إلى ذلك مرارا، كم تتجلى العنصرية التي كانت تسيطر على كتبة التوراة عندما قاموا بتدوينها بعد عدة قرون على وفاة موسى عليه السلام بوضوح فبينما نجد التوراة تنهى عن تعاطى

---

(١) (تث، ١٥: ٦ - ١٤ و ١٨).
(٢) (خر، ٢١: ٧ - ١٠).
(٣) (تث، ١٥: ١ - ٢).
(٤) المادة ٨٨ من شريعة حمورابى.
(٥) (خر، ٢٢: ٢٥).
(٦) (لا، ٢٥: ٣٥ - ٣٧).
(٧) (تث، ٢٣: ٩ - ٢٠).

الربا إذ تخصه للإسرائيلى (بمعنى اليهودى) وتقره بالنسبة للأجنبى.

ك – التعويض عن الأضرار:

لقد سارت الشريعتان على مبدأ التعويض وأخذتا به وأنهما تخالفتا في تحديد نوع التعويض في كل منهما، ولقد عالجت شريعة حمورابى في كثير من موادها مسألة التعويضات الواجب دفعها في القضايا التجارية والزراعية مثل استعارة الأشياء والمواد الزراعية والدواب التي يعطيها المستفيد أو يلحق بها ضررا كالكسر أو الموت أو السرقة أو النهب، فشريعة حمورابى جعلت على سبيل المثال التعويض الواجب في حالة رعى حقل ما أن يعطى الراعى إلى صاحب الحقل عشرين كورا [١] من الحبوب لكل ثمانية عشر أيكو من الأراضى الزراعية [٢]، أما التوراة فتكتفى بتحديد نوع التعويض دون الكمية " إذا رعى إنسان حقلا أو كرما وسرح مواشيه فرعت من حقل غيره فمن أجود حقله وأجود كرمه يعوض " [٣].

وقد وضعت الشريعة البابلية أربع مواد [٤] تقتضى بالتعويض عن الأضرار التي تحدث بالزروع من جراء الغرق والتى يسببها أشخاص نتيجة إهمالهم تقوية السدود ومراقبة جداولهم. ولعدم وجود أعمال رى في كنعان ولكون زروعها مهددة بخطر الحريق بالدرجة الأولى فقد تضمنت شريعة التوراة مادة تقضى بالتعويض عن الأضرار التي يحدثها أشخاص نتيجة حرقهم لأكداس الغلة بسبب إهمالهم أو تعمدهم إيقاد النار فيها [٥].

ل – تعدد الزوجات:

أجازت الشريعتان الزواج بأكثر من امرأة، فحسب شريعة حمورابى " إذا تزوج شخص امرأة ولم تنجب أولادا فلهذا الرجل أن يأخذ جارية كامرأة ثانية، ولا يجوز أن تتساوى مع الزوج الأولى إلا إذا أنجبت أولادا [٦]. وقد نظمت

---

(١) الكور نوع من المكاييل السومرية ويقابل عندنا الغرفة ويعادل حوالى ١٨٠ حقة (٨.٥٠ بوشل): والأيكو من مقاييس المساحات البابلية ويعادل حوالى ٠.٨٧٥ من الفدان.
(٢) المادة ٥٧ من شريعة حمورابى.
(٣) (خر، ٢٣: ٥).
(٤) المواد ٥٣ - ٥٦.
(٥) (خر، ٢٣: ٦).
(٦) المادة ١٣٧ من شريعة حمورابى.

شريعة حمورابى مراسم الزواج وشعائره ومما قالت به في الزواج الثانى وجوب نصب الزوج الثانى عرشا في الهيكل للزوج الأولى وقيامها بغسل رجليها قبل بدء مراسم زواجها. ومنه جاء تقليد غسل العروس قبل انتقالها من بيت أبيها إلى بيت الزوجية هذا التقليد الذي يعود إلى زمن حمورابى وما يزال ساريا حتى يومنا هذا، وكذلك نظمت حقوق كل واحدة من الأزواج في الأولاد [١].

أما التوراة فإنه لم يرد فيها نص صريح يقول بجواز تعدد الزوجات وإنما أوردت عدة حوادث تعددت فيها الزوجات جعلت منه عرفا له صفة القانون، فكان أول من اتخذ له زوجين في وقت واحد بحسب التوراة هو لامك بن متوشائيل بن محديائيل بن عيراد بن حنوك بن قايين " واتخذ لامك لنفسه امرأتين " [٢] كان هذا قبل الطوفان، أما بعد الطوفان فكان أول من اتخذ له امرأتين هو إبرهيم عليه السلام تزوج هاجر المصرية حيث أخذت سارای امرأة إبرام هاجر وأعطتها لإبرام رجلها زوجة له [٣]. ومن ثم " عاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة " [٤]. أما حفيده عيسو فقد جمع بين خمس زوجات من الكنعانيات هن يهوديت بنت بيرى الحثى وبسمة بنت إيلون الحثى[٥]، وعدا بنت إيلون الحثى وأهو ليبامة بنت عنى بنت صعبون، وبسمة بنت إسماعيل أخت نبايوت [٦]، وتزوج يعقوب (إسرائيل) من ابنتى خاله لابان وراحيل ومن جاريتهما زلفة وبلهة [٧]، وكان لجدعون سبعون ولدا خارجين من صلبه لأنه كان له نساء كثيرات وسريته التي في شكيم ولدت له ابنا أسماه إبيمالك " [٨]. وجدعون هذا هو قاضى إسرائيل عبدون بن هليل الفرعوني فقد كان له " وكان له أربعون ابنا وثلاثين حفيدا " [٩].

وكان لرمتايم صوفيم وهو أبو صموئيل امرأتان اسم الواحدة حنة

(١) المواد ١٤٤ - ١٤٧ من شريعة حمورابى.
(٢) راجع (تك، ٤: ١٧ - ١٩).
(٣) (تك، ١٦: ٣).
(٤) (تك، ٢٥: ١).
(٥) (تك، ٢٦: ٣٤).
(٦) (تك، ٣٢: ٢ - ٣).
(٧) راجع (تك، ٢٩: ٢١ - ٣٠، ص ٣٠).
(٨) (قض، ٨: ٣٠ - ٣١).
(٩) (قض، ١٢: ١٤).

والأخرى فنة[١]، والمتعارف عليه عند العامة أن داود الملك وهو نبى أيضا تزوج تسعا وتسعين امرأة وسرية وأوصل عددها إلى المابة بزواجه من زوج أوريا الحثى الذي قتله، وإن لم تقل التوراة صراحة بذلك ولكنها تقول أن داود ترك عشرا من نسائه لحفظ البيت عند هربه من وجه أبشالوم ولده [٢]، وتقول أيضا: " وأخذ داود سرارى ونساء من أورشليم " [٣] وقد سمت من نسائه ميكال بنت شاول [٤] وإبيجايل أرملة نابال وأخينوعم من يزرئيل [٥] وملكة بنت تلماى وحجيث وإبيطال عجلة [٦] وبتشبع بنت اليعام امرأة أوريا الحثى [٧] وكانت آخر زوجة لداود ذكرتها التوراة هى أبيشج الشمونية [٨] أما بالنسبة لسليمان فتقول التوراة: " وأحب سليمان نساء غريبة كثيرة مع ابنة فرعون مؤابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاثة مئة من السرارى " [٩].

ولاشك في أن ورود مثل هذه الأحداث من تعدد الزوجات في التوراة يعطيها صفة القانون النافذ، وبما أن التوراة أقرت تعدد الزوجات فكان لابد لها من تنظيم حقوق أولاد الزوجات " وإذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له بنين المحبوبة والمكروهة، فإن كان الابن البكر للمكروهة، فيوم يقسم لبنيه ما كان يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكرا على ابن المكروهة البكر بل يعرف ابن المكروهة بكرا " [١٠] وإن كانت التوراة قد تجاوزت هذه القاعدة في ولدى داود أدونيا أدونيا وسليمان [١١].

(١) (١ صم، ١: ١ - ٢).
(٢) (٢ صم، ٢٠: ٣).
(٣) (٢ صم، ٥: ١٣).
(٤) (١ صم، ١٨: ٢٧).
(٥) (١ صم، ٢٥: ٤٢ - ٤٣)، راجع أيضا (١ صم، ٣٠: ١٨).
(٦) (٢صم، ٣: ٣ - ٥).
(٧) (٢ صم، ص ١١، ص ١٢).
(٨) (١ مل، ١: ٣ - ٤).
(٩) (١ مل، ١١: ١ و٣).
(١٠) (تث، ٢١: ١٥ - ١٧).
(١١) (١ مل، ١: ٥ وما بعده).

وفيما يلى المواد الواردة في الشريعة البابلية [١] وما يقابلها من أحكام توراتية مشابهة بشكل محسوس فيما يحمل المرء على أن ينظر إلى هذه المواد والأحكام وكأنها تعود إلى مصدر واحد.

مواد الشريعة البابلية	الأحكام المقابلة في شريعة التوراة
رقم ٧	(لا، ٦: ٢ - ٧)
رقم ٨	(خر، ٢٢: ١١)
رقم ١٤	(خر، ٢١: ٦)
رقم ٢١	(خر، ٢٢: ٢ - ٤)
رقم ٥٣ - ٥٦	(خر، ٢١: ٦)
رقم ٥٧	(خر، ٢٢: ٥)
رقم ١١٧ - ١١٩	(خر، ٢٢: ٢ - ١١)
رقم ١٢٥	(خر، ٢٢: ٧ - ٩ و ١٢)
رقم ١٥٥	(لا، ٢٠: ١٠)
رقم ١٥٧	(لا، ٢٠: ١٢)
رقم ١٩٥	(لا، ٢٠: ١١)
رقم ١٩٦ - ١٩٧	(خر، ٢١: ٢٤ و ٢٥)
رقم ٢٠٠	(لا ٢٤: ٢٠)
	(تث، ١٩: ٢١)
رقم ١٩٩	(خر، ٢١: ٢٦ - ٢٧)

(١) لقد كانت هناك شرائع أخرى عدا شريعة حمورابى، فقد عثر على شريعتين سومريتين أقدم من شريعة حمورابى إحداهما ترجع إلى عهد الملك أورنمو مؤسس سلالة أور الثالثة (٢١١٣ - ٢٠٩٦ ق.م) والثانية ترجع إلى عهد لبيت عشتار ملك أيسن (١٩٣٤ - ١٩٢٤ ق.م) كما عثر على شريعتين ساميتين إحداهما أقدم من شريعة حمورابى وهى الشريعة المكتشفة في تل حرمل والمعروفة بشريعة مملكة أشنونا (نحو ١٩٠٠ ق.م)، والثانية دونت في القرن التاسع قبل الميلاد من العهد الأشورى، وقد عثر أيضا على شريعة للحيثيين ترجع إلى سنة ١٣٥٠ ق.م، والمهم في هذه الشرائع أن بعض موادها تقابله مواد مشابهة في شريعة حمورابى وشريعة التوراة.

انظر:

G.A Barton m “Archaeology and the Bible”, 1927.

رقم ٢٠٦	(خر، ٢١: ١٨ - ١٩ و ١٢ - ١٣)
رقم ٢٠٩ - ٢١٠	(خر، ٢١: ٢٢ - ٢٥)
رقم ٢٤٥	(خر، ٢٢: ١٤ - ١٥)
رقم ٢٥٠	(خر، ٢١: ٢٨)
رقم ٢٥١ و ٢٥٢	(خر، ٢١: ٢٩ و ٣٢) [١]

ويقول المؤرخ الشهير ويلز Wells أن ثمة نصوصا من المصادر البابلية التي عثر عليها تعد مرجعا هام لقصة شمشوم من قصص العهد القديم [٢] كما أن ترانيم التوبة البابلية قد اقتبست في بعض أسفار التوراة [٣].

وخلاصة القول: أن الدارس لكلا الشريعتين يجد نفسه أمام حقائق مذهلة وهى أن كتبة التوراة كانوا قد درسوا شريعة حمورابى أثناء وجودهم في بابل أيام السبى فأخذوا عنها ما وجدوه ملائما لهم وأضافوا إليه ما يلائم مجتمعهم البدائى ويحارب مفاسدهم بقصد تنزيه شعبهم، ولكن بعد أن ملؤوا التوراة بمباذلهم التي تمس جميع أبطالهم في التوراة، وهذا إن دل على شئ إنما يدل على الشريعة التوراتية التي بين أيدينا لم يضعها النبى موسى لأنه لم يكن يدين من سبقه وأن

(١) انظر المراجع التالية التي تبحث في هذا الموضوع:

G.A. Barton, "Archaeology and the Bible", 5 th ed. 1927, pp. 340 - 368; A.T. Clay, "Light on the Old Testament form Babel". 1907, pp 223 - 234; F.Kenyon, "The Bibble and Archaeology", pp. 118 - 125; D.D. Luckenbill and Ed. Chiera, "The Origin an History of =Hebrew Law" 1931; L.W. Waterman, "Pre-Israelite Laws in the book of the Convenant", AJSLL, Vol. 38, 1921 - 22, pp. 36 - 62;= S.A. Cook. "The Laws of Moses and the Code of Hammurabi", London 1903; W.W. Daveis, "The Codes of Hammurabi and Moses", Cincinnati, 1905; C.H.W. Johns, "The Relations between the laws of Babylonia and the Law of the Hebrew Peoples", 1914.

(٢) " معالم تاريخ الإنسانية "، الترجمة العربية، الكتاب الرابع، ص ٢٩١.

(٣) عصام الدين حنفى، " محنة التوراة "، ص ٥٧.

ويجد القارئ معلومات واسعة عن موضوع ديانة بابل وكذلك أساطيرها وتأثير ذلك في نشوء الدين اليهودى وتطوره في كتاب هومر سميث، " الإنسان وآلهته "، المكتبة العمومية ١٩٦٠.

W.H. Smith, "Man and his Gods", Universal Library, 1956.

الشريعة التي نادى بها النبى موسى تنحصر في الوصايا العشر وأنه وضعها لجميع الأمم. أما كتبة التوراة الذين جاءوا من بعده هم الذين دبجوها بقصد تنزيه أرومتهم فأوقعوا التوراة في كثير من التناقض.

١٤ ـ التلمود في ضوء المدونات الآثارية:

وكما أن معظم مدونات التوراة مستقاة من كتابات قديمة سبقتها، كذلك نجد تشابها بين مدونات التلمود البابلى وبين كتابات السومريين والبابليين، وخاصة ما يتعلق منها بشؤون الرى والزراعة، ففى التلمود شروح وتعاليم وإرشادات تتعلق بالزراعة المرتكزة على الإرواء وعلاقة المزارعين بعضهم مع بعض من حيث الواجبات والحقوق، وهذه موجهة بالدرجة الأولى إلى اليهود الذين كانوا يمارسون مهنة الزراعة في بلاد بابل، فقد تناول التلمود شرح طرق الإرواء والزراعة من ضمن ذلك الحراثة والإسقاء والحصاد ومواسم الزراعة مع ذكر أنواع المحاصيل الزراعية الشتوية والصيفية، كما تناول بالشرح طريقة زراعة النخيل وتربية المواشى وإنشاء المراعى ونظام الأراضى وضرائب الأرض والماء.

ولما كانت الحياة الزراعية والعلاقات الاقتصادية والتجارية في بلاد بابل تستند بالدرجة الأولى على مشاريع الرى فقد تناول التلمود بحث كيفية حفر الجداول وتنظيم شبكة الإرواء سبحا ورفعا وصيانتها ومراقبتها، ثم توزيع المياه بين الزراع بصورة عادلة. وكان تطهير الأنهر من ترسبات الغرين من أهم الأعمال التي كان أكثرها يقع على كاهل اليهود في بلاد بابل، فقد سكبوا على شواطئها دموعا سخية لما كانوا يقاسونه من الإرهاق في هذه الأعمال المضنية (١).

وهناك دلائل لا تقبل الجدل والشك في أن أكثر ما ورد في التلمود من شروح وإرشادات تتعلق بالزراعة المرتكزة على الرى مستقاة من كتابات قديمة سابقة

---

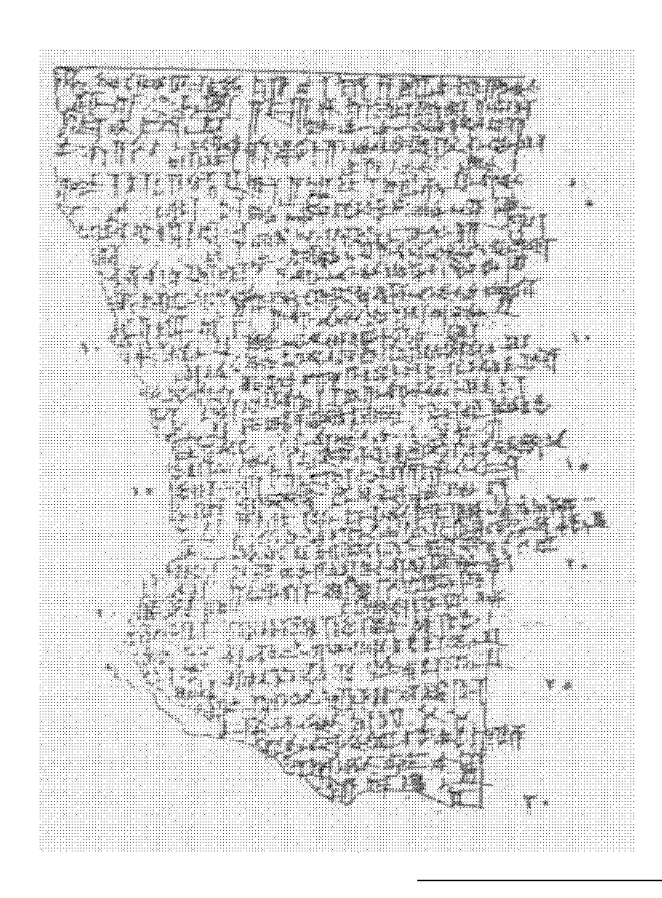
(١) الحاخام نيومان، " حياة اليهود الزراعية في بابل " طبعة مطبعة جامعة أوكسفورد سنة ١٩٢٣، وعنوانه بالإنكليزية:

Rabbi J.Newman, “The Agricultural Life of the Jews in Babylonia”. 1932.

انظر أيضًا:

S.Daicbes, “The Jeus in Babylonia”, 1910.

لعهد التلمود، فقد عثر المنقبون بين أطلال مدينة نيبور على تقويم لأحد المزارعين السومريين فيه نصائح وإرشادات يوجهها هذا المزارع إلى ولده حول أصلح الطرق التي يجب اتباعها في تنظيم وإدارة شئون مزرعته كي يحصل على أجود منتوج وأوفر محصول، ومن ضمن ذلك طريقة إعداد الأرض وإنجاز عملية الحرق ونثر البذور وتنظيم الرى والإعداد لحصد الزرع بعد نضوجه، ثم دراسته وذروه وتجميع المحصول وقد دونت هذه الوثيقة التي يرقى تاريخها إلى ما قبل أكثر من أربعة آلاف عام على رقيم من الطين يتكون من ١٠٨ أسطر بالخط المسمارى باللغة السومرية، وهى تعد أقدم تقويم زراعى في تاريخ الحضارة حول الأساليب الفنية للرى والزراعة المتبعة في تلك الأزمنة القديمة. ومما لا شك فيه أن هذه القواعد في تنظيم الرى والزراعة في الحقول كانت معروفة لدى السومريين والساميين الأوائل قبل ذلك العهد وظلت معروفة لدى البابليين في العصور التي تلت حيث عثر على قطع من هذه الموسوعة نقلها البابليون عن أسلافهم [١].



(١) المؤلف، " الرى والحضارة في وادى الرافدين "، ص ٢١٠ - ٢٢٥.

التصوير رقم (٧٨)
أقدم تقويم زراعى في تاريخ البشرية

أما ما ورد في التلمود حول العناية ببساتين النخيل فقد ظهر مثله في المدونات السومرية والبابلية، إذ عنى السومريون والبابليون في زراعة النخيل، فقد أتقنوا الطرق الناجعة في زراعة النخيل، وكانوا أول من مارس تلقيحها.

ولاشك في أنه كان لأشجار النخيل دور اقتصادى هام في ضمان استمرار حياة المستوطنين الأوائل في هذه المنطقة لعديد فوائدها واستعمالاتها. ففى وثيقة سومرية ترجع إلى عهد الملك شوسن أور الثالثة (١٩٧٨ - ١٩٧٠ ق.م) إشارة إلى حقل من نخيل التمر يعود إلى معبد إله بلدة " أوما " [١] " معنى بربه كل العناية "، وقد قسم هذا الحقل إلى ثمانى مجموعات من النخيل وصنف كل منها بحسب عمر النخيل، المثمر وغير المثمر، وتشير الوثيقة إلى كميات التمر التي ينتجها الحقل بالحجم لا بالوزن كما هى العادة المتبعة في وقتنا الحاضر. وقد خصصت عدة مواد في شريعة حمورابى (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق.م) تتناول زراعة النخيل والمعاملات الخاصة بها، فهى تفرض غرامة كبيرة على من يقطع شجرة نخل [٢]، وتحدد علاقة الفلاح بالمالك [٣]، فـ " إذا أعطى رجل بستانه إلى فلاح للتلقيح والعناية به فعلى الفلاح أن يسلم ثلثى حاصل البستان إلى صاحبها طوال مدة شغله في البستان ويأخذ لنفسه الثلث، وإذا أهمل البستانى ولم يلقح البستان وسبب تقليل الحاصل فعليه أن يؤدى إيجار البستان على أساس البساتين المجاورة " [٤].

يتضح مما تقدم أن اليهود نقلوا الحضارة البابلية أثناء وجودهم في السبى وما بعده وسرقوا جميع الحضارات الأخرى ونسبوها لأنفسهم بعد أن ردوها على إرادة إلهية. وفى ذلك يقول المؤرخ الشهير ويلز: " والحقيقة المجردة المستخلصة من رواية الكتاب المقدس هى أن اليهود ذهبوا إلى بابل همجا وعادوا منها

---

(١) " أوما " مدينة سومرية تعرف أطلالها محليا باسم " تل جوخة " وتقع على الجانب الأيمن من شط الغراف الحالى في الجهة الشمالية الغربية من مدينة الشطرة الحالية، وتاريخ هذه المدينة ملئ بحوادث سياسية وعسكرية وخاصة حروبها غير المنقطعة مع جارتها " لكاش " بسبب النزاع على الأراضى والرى.

(٢) المادة ٥٩.

(٣) المادتين ٦٤، ٦٥.

(٤) المؤلف، " الرى والحضارة في وادى الرافدين "، ص ٤٥ - ٤٧.

متمدنين، خرجوا جمهورا مختلطا ومنقسما على نفسه، لا يربطه وعى ذاتى وطنى، وعادوا بروح قومية شديدة وجنوح إلى الاعتزال، ذهبوا وليس لهم أدب مشترك معروف بينهم كافة وعادوا ومعهم الشطر الأكبر من مادة (العهد القديم) بعد أن عاشوا في ذلك الجو الباعث على النشاط الذهنى في العالم البابلى، فإن العقل اليهودى ما لبث أن خطا خلال مدة الأسر خطوة عظيمة إلى الأمام. وعندما عاد اليهود إلى أورشليم لم يكن قد اكتمل لهم غير الأجزاء الخمسة الأولى المسماة بالبنتاتيك، ولكن لم يكن هناك مفر من أن يتلو ذلك تجميع سائر الكتب التاريخية "، ويضيف ويلز إلى ذلك قوله: " دام الأسر البابلى قرابة خمسين عاما ويعتقد كثير من الأعلام الثقات أن اليهود اختلطوا بالبابليين خلال تلك الفترة اختلاطا عنصريا وفكريا عظيما " [١].

١٥ ـ المدونات الأوغاريتية الكنعانية والتوراة:

ولقد كشفت المدونات الكنعانية التي عثر عليها في أوغاريت (رأس الشمرة) شمال مدينة اللاذقية بكل جلاء أن أكثر ما دونه اليهود في التوراة من القطع الأدبية من مزامير وأشعار وتراتيل ترجع إلى أصل كنعانى، فهناك تعابير وردت في أسفار المزامير والأمثال ونشيد الأنشاد يظهر فيها التشابه واضحا مع التعابير الأوغاريتية الكنعانية، ومن أمثلة ذلك أن الأخيرة تنعت إلهها " بعل " براكب السحب في حين أن الأولى تطلق على إلهها " يهوه " (الراكب في قفار) [٢].

وقد جاء الزموران ١٨ و ٦٨ من مزامير التوراة (وهما مكرران في سفر صموئيل الثانى الإصحاح الثانى والعشرين) بنفس التعابير الواردة في المدونات الكنعانية. وقد وجد مثل هذا التشابه في سفرى أيوب ومزامير [٣] حيث تصف التوراة فيهما صوت الإله " يهوه " بالرعد (اسمعوا سماعا رعد صوته والزمزمة الخارجة من فيه) وهو نفس الوصف الوارد في الكتابات الكنعانية التي تنعت صوت إلهها " بعل " بالرعد أيضا. وقد جاء المزمور ٢٩ بأجمعه مطابقا لما ورد في المدونات الأوغاريتية في ترتيلة كنعانية للإله " بعل " كما أن تسمية لوياثان بالحية المتحوية [٤] وردت هى نفسها في الكتابات الكنعانية [١]، ومقدار التراتيل

(١) ويلز، " تاريخ معالم الإنسانية "، الكتاب الرابع، ص ٢٩٠ ـ ٢٩١، ٢١٤.
(٢) (مز، ٦٨: ٤).
(٣) (أى، ٣٧: ٢ ـ ٥)، (مز، ٢٩: ٣ ـ ٥، ١٠٤: ٧).
(٤) (أش، ٢٧: ١).

الكنعانية التي عثر عليها في أوغاريت تساوى نصف حجم كتاب المزامير في التوراة [٢]، كما أن القصة التي وردت في سفر أيوب وجد ما يشابهها تماما في الكتابات البابلية، ويعتقد أن القصة مأخوذة من أصل نص أدومى حيث ورد فيها ذكر أحد ملوك أدوم القدماء باسم يوباب بن زارح [٣]، والمرجح عند الباحثين أن صاحب سفر أيوب الوارد في التوراة عربى الأصل، إذ يعتقد أن هذا الكتاب قد نظم في الأصل شعرا عربيا في القرن العشرين قبل الميلاد على أثر نزوح الساميين العرب من جزيرة العرب إلى بلاد ما بين النهرين، ثم ترجمه الكهنة اليهود إلى العبرانية وعد من الأسفار المقدسة وضاع أصله العربى، فإذا صحت عربية سفر أيوب يكون العرب أسبق الأمم إلى قرض الشعر، أى قبل إلياذة هوميروس بألف سنة [٤].

وفى بحث لأدولف أرمان (A. Hermann) تقدم به إلى المجمع العلمى البروسى سنة ٩٢٤ تحت عنوان " مصدر مصرى لأمثال سليمان " شرح لاكتشاف مؤلف لحكيم مصرى مدون على أوراق البردى جاء على شكل نصائح وحكم في ثلاثين بابا، وقد تكررت هذه الحكم نفسها بشكل واضح في سفر الأمثال من العهد القديم [٥].

١٦ ـ التقاليد التي اقتبسها اليهود من القدماء:

ومن التقاليد التي مارسها القدماء وأخذها اليهود عنهم وأدخلوها في فرائضهم الختان مثلا، فقد اكتشف العلماء أن المصريين كانوا يمارسون الختان في منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد، أى قبل ظهور أتباع موسى بألف وثلاث مئة

---

(1) P.Hitti, "History of Syria", pp. 128, 140.

(2) J.Pritchard, "Archaeology and the Old Testament", p 110.

(٣) (تك، ٣٦: ٣٣ - ٣٤)، راجع أيضًا في هذا الموضوع المراجع التالية:
M.Jastrow, "A Babylonia Parallel to the Story of Job". J.B.L., Vol. XXV, Part II, 1906, pp. 135 - 191. R.W. Rogers, "Cuneiform Pararllels to the Old Testament", N.Y, 1912, pp. 164 - 169; J.H. Patton, "Cananite Pararllels in the book of Psalms". 1944; J.W. Jack, "The Ras-Shamra Tablets: bearning on the Old Testement", 1935.

(٤) جرجى زيدان، " تاريخ الآداب العربية "، ج١، ص ٢٦.

(٥) الدكتور شلبى، " مقارنة الأديان "، ص ٢٣٦.

عام [١]، وقد ثبت أن عادة الختان كانت شائعة عند بعض القبائل في الجزيرة العربية منذ عصور غابرة وأنها لم تسر من اليهود إلى العرب كما يظن[٢].

ويقول نولدكه أن الختان كان معمولا به بين العرب عموما إذ كانوا يعتبرونه جزءا من طقوسهم الدينية والعمل به إجبارى، لذلك أصبح بعد ظهور الإسلام جزءا منه بصورة طبيعية [٣] ويذهب أرمان إلى أن المصريين كانوا أول من سن الختان وكان ذلك حقا بقصد النظافة والطهارة على أنه أصبح كذلك عادة للكهان ولم يكن يسمح بأدائه لأبناء أسرهم إلا بإذن من الكاهن الأعلى، وكان ذلك فقط عندما كان يثبت قدماء الكهنة أن الصبى يخلو من أية علامة تجعله غير صالح لأن يكون كاهنا. ومن عاداتهم أيضا نفورهم من الخنازير [٤].

وكذلك قدم الأستاذ ماير شواهد على أن الفينيقيين كانوا يمارسون الختان [٥]. ومما ذكر أيضا في هذا الخصوص أن الختان كان يستعمل في فلسطين من قبل أقوام غير اليهود في القرن الأول والثانى بعد الميلاد [٦]. وقد اعتبر الختان بحسب مآثر التوراة علامة العهد بين الرب وبين إبراهيم [٧]، وقد جعلت عقوبة من لا يختتن الموت لأنه نكث للعهد [٨]، وقد عملت صفورة زوجة موسى المديانية بهذه الطقوس بالنسبة لابنها [٩]، وتشير التوراة أيضا أن أتباع موسى بعد أن قضوا أربعين سنة في القفر قام يشوع يختن جميع الذين ولدوا خلال هذه الفترة [١٠].

ومن العادات التي كان يمارسها البابليون أمام آلهتهم وأخذها اليهود عنهم

(1) A. Clay, “Light on the Old Testament”, P. 6.

(٢) الدكتور إسرائيل ولفنسون، " تاريخ اليهود في بلاد العرب "، ١٩٢٧، ص ٧٨.

(3) The Noldeke, “Rncy of Religions and Ethics”, Vol. I, P. 669.

(٤) إرمان، " ديانة مصر القديمة "، ص ٣٧٦، ٤٤٤.

(5) S.H. Hooke, “The Origins of Early Semitic Ritual”, PP. 62 - 63.

(6) “The Story of the Bible”, Vol. II, P. 932.

(٧) (تك، ١٧: ١٠ - ١٣)، راجع أيضا (خر، ١٢: ٤٣ - ٤٨)، (لا، ١٢: ٣)، (تث، ١٠: ١٦).

(٨) (تك، ١٧: ١٤).

(٩) (خر، ٤: ٢٥ - ٢٦)؛ (يش، ٥: ٣).

(١٠) (يش، ٥: ٢ - ٩).

تقديم اثنى عشر قرصا من الخبز أمام الرب كما ورد في فرائض التوراة [١]. ومثل ذلك حرق كبد ذبيحة الخطية والكليتين مع الشحم على المذبح كما أمر الرب موسى تطبيقه كان البابليون والمصريون يمارسونه من قبل أيضا. ومن التقاليد الأخرى التي أخذها اليهود عن الأقدمين تعيين حصة الكهنة من الذبائح [٢] ورش دم الذبيحة على عتبة الباب، فكان البابليون يمارسون العادة الأخيرة على عتبات قصورهم وعلى الأنصاب على طرفى المداخل، أما اليهود فكانوا يمارسونها في عيد الفصح[٣].

ويقول البروفسور ووترمان في هذا الصدد: " لقد أصبح من المسلم به الآن أن جميع الأعياد اليهودية ماعدا عيد الفصح كانت بالأصل من الطقوس الدينية في كنعان وأن شرح طريقة تطبيقها ومراعاتها يكون مجموعة من الشرائع لنا كل الحق أن نعتبرها أساسا من عهود ما قبل إسرائيل " [٤] كما يقول الأستاذ ريك "أن اليهودلايزالون يحتفظون ببقايا كنعانية من طقس أدونيس وذلك في عيد المظال (السكوت) " [٥].

١٧ ـ المدونات التوراتية كنعانية وبابلية ومصرية الأصل:

وقد ذهب بعض الآثاريين المعروفين إلى أبعد مما تقدم، فصار هؤلاء يطلقون على الشريعة التوراتية اسم الشريعة الكنعانية باعتبارها شريعة واحدة، فيشير الأستاذ أولمستد الخبير في تاريخ فلسطين القديم إلى " أن الكنعانيين وضعوا أول شريعة في شكيم (نابلس حاليا) التي تعتبر عاصمة الكنعانيين في فلسطين في تلك العصور ومركزهم الدينى الرئيسى المقدس حيث كان هيكل إلههم " بعل " هناك.

ثم يضيف قوله: " والفضل يرجع إلى حمورابى وشريعته في حمل الكنعانيين على إعادة النظر في شريعتهم الأولى وتنسيقها من جديد بإضافة بعض التعديلات

(١) (لا، ٢٤: ٥)، راجع أيضا (خر، ٣٩: ٣٦، ٤٠: ٢٣).
(٢) (تث، ١٨: ٢) راجع أيضا (لا، ٧: ٣١ - ٣٤).
(٣) الأستاذ ريك، " الطقوس الوثنية في الديانة اليهودية "، ص ٥.
(4) A.Clay, op. cit, pp 10 - 12 L.Waterman, “Pre-Israelite Laws in the book of the Convenant”; AJSLL, Vol. 38. 1921 - 22, pp. 36 - 37.
(٥) الأستاذ ريك، " الطقوس الوثنية في الديانة اليهودية "، ص ٥.
الدكتور سامى سعيد الأحمد، " الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية "، ص ٢١.

عليها وحذف البعض الآخر منها وجعلها شريعتهم الخاصة بهم، وهى نفس الشريعة التي جاءت في التوراة وقد حافظ عليها اليهود بإدخالها في كتبهم المقدسة فوصلت إلينا عن طريق ممارستهم الفرائض التي وردت فيها [١] ".

ويؤيد ذلك الأستاذ ووترمن فيقول: " وهكذا فإن بنى إسرائيل (الموسويين) وجدوا شرائع معدة ومهيأة فعملوا بها في مسيرة حياتهم في كنعان "، ثم يضيف مؤكدا: " أن التحقيقات الأركيولوجية التي يمكن أن تزودنا بمعلومات في هذه الناحية لا تعترف بوجود أى فاصل ثقافى بين الكنعانية واليهودية " [٢].

ويؤكد ذلك الأستاذ كوجنبرت بما يؤدى إلى نفس المعنى فيقول: " لقد ثبت الآن أن دين العبرانيين (بمعنى اليهود) لا يمكن أن يكون تطور ونما محليا، بل كانت عناصره الجوهرية قد استيقت من آراء كانت متراكمة ومن معتقدات كانت شائعة بين الأقوام السامية في الشرق... وأن هذه الوثائق القديمة تبرهن، بما لا يتطرق إليه الشك، على أن انعزال الديانة اليهودية عن غيرها في الزمن القديم لم يكن سوى خرافة بحتة ".

ويقرر ول ديورانت " أن أساطير الجزيرة العربية كانت المعين الغزير الذي أخذت منه قصص الخلق والغواية والطوفان التي يرجع عهدها في تلك البلاد إلى ثلاث آلاف سنة أو نحوها قبل الميلاد.. ولعل اليهود قد أخذوا بعضها من الأدب البابلى في أثناء أسرهم، ولكن أرجح من هذا أنهم أخذوها قبل ذلك العهد بزمن طويل من مصادر سامية وسومرية قديمة كانت منتشرة في جميع بلاد الشرق الأدنى ".

ويقول ديورانت كذلك: " أن القصص الشعبية العالمية كانت مصدرا من المصادر التي اقتبس منها كتاب أسفار العهد القديم، فقد كان شائعا في مصر والهند والتبت وبابل وبلاد الفرس واليونان والمكسيك وغيرها من البلاد، قصص شعبية عن الجنة وما فيها من نعيم، وما فيها كذلك من الأشجار المحرمة والأفاعى التي سلبت الناس الخلود أو نفثت السم في الجنة... أما قصة الطوفان فهى أكثر انتشارا من قصة الخلق نفسها، فلا يكاد يوجد في الأمم القديمة أمة لم تعرفها، وقلما وجد جيل في آسيا لم يرس عليه راكب السفينة الذي قدر له أن

(1) A.T Olmetead. “History of Palestine and Syria”, pp. 106 - 107.

(2) L. Waterman, “Pre-Israelite Laws in the book of the Convenant” AJSLL, Vol. 38, 192 - 22, pp. 37, 54.

ينجو من الطوفان، وكانت الأسفار التي تليت على الشعب بأمر يوشيا وعزرا هى التي صيغت منها القوانين التي قامت عليها الحياة اليهودية كلها فيما بعد " [(١)]، ويمضى ديورانت فيقول: " وكانت معظم الآداب المصرية الأولى آدابا دينية، وأقدم العقائد المصرية ترانيم نصوص الأهرام، وقد أخذ الشعراء العبرانيون عن المصريين والبابليين هذه الطريقة وخلدوها في المزامير " [(٢)].

ويؤكد العلامة بريستد " أن التوراة الحالية تحتوى على اقتباسات من الأدب الفرعونى المصرى القديم.. وأن مزامير داود أخذت الكثير من أناشيد أخناتون، كما ورد في سفر الأمثال الكثير مما كتبه الحكيم المصرى " أمينمنوبى " وفى وصاياه لابنه وهو يورد في كتابه عددا من المقابلات بين الكتابين، وفى ذلك يقول: " إن جميع العلماء بكتاب العهد القديم الذين يعتد بآرائهم وأبحاثهم فيه يجزمون الآن بأن محتويات ذلك الجزء الذي يؤلف نحو فصل ونصف فصل من كتاب الأمثال قد أخذ معظمه بالنص عن حكم الحكيم المصرى القديم أمينمنوبى، أى أن النسخة العبرانية هى تقريبا ترجمة حرفية عن الأصل الهيروغليفى العتيق. ولذلك صار من الواضح أيضا أن حكم " أمينمنوبى " شائعة في مواضع عدة من كتاب العهد القديم حيث نراها مصدرا لتلك الأفكار والتشبيهات والمقاييس الخلقية لا في كتاب الأمثال وحسب بل وفى القوانين العبرانية وفى سفر أيوب وفى سفر شاؤول وإرميا أيضا. إن الأبحاث والكشوف والأخيرة قد غيرت موقفنا تغييرا جوهريا حيث صار لدينا الآن الأصل الهيروغليفى الذي ترجمت ونشرت فقرات كاملة برمتها في كتاب العهد القديم العبرانى، فقد تعرف هوجو جرسمان بلا تردد على المنهل المصرى الذي استقى منه المزمور ١٠٤ الذي انحدر إلى فلسطين على ما يعتقد عن طريق فينيقية " [(٣)].

وفى تعليق للأستاذ كرايمر خبير الآثار السومرية حول تأثير الآداب السومرية على الآداب التوراتية وغيرها من الآداب اللاحقة يقول: " لقد كان للأدب السومرى تأثير كبير على أوسع المجالات الروحية في الآداب التوراتية التي تؤلف المبتكرات الأدبية عند العبرانيين، وكذلك الإلياذة والأدويسة وهما الملحمتان الزاخرتان بالقصص الأسطورية الملحمية الإغريقية، و (الركفيدا) التي

---

(١) " قصة الحضارة "، الترجمة العربية، ج٢، م١، ص ٣٦٨ - ٣٧٠.

(٢) المرجع السابق، ص ١١٣.

(٣) بريستد، " فجر الضمير "، ص ٣٩٤، ٣٩٧.

تمثل النتاج الأدبي عند قدامى الهنود، كل هذه المجموعات والتآليف الأدبية لم تكتب في صيغتها الحالية قبل النصف الأول من الألف الأولى قبل الميلاد في حين أن أدبنا السومرى المدون على الألواح يعود تاريخه إلى ما يقرب من ألفى سنة قبل الميلاد، أى أنه أقدم من تلك الآداب بما يزيد على ألفى سنة، يضاف إلى ذلك فرق حيوى آخر وهو أن نصوص التوراة والإلياذة والأوديسة والريكفيدا والأفستا (الإبستان) كما هى بأشكالها الحالية قد طرأ عليها التعديل والتحوير والحذف والتنقيح من قبل جامعى هذه المواد لشتى الأغراض والدوافع ووجهات النظر ولم يكن أدبنا السومرى كذلك إذ أنه لا يزال محتفظا بنصه الأصلى الذي كتبه الكتاب القدامى منذ أربعة آلاف سنة دون ما تحوير أو حذف أو تعديل، ولهذا السبب نستطيع القول جازمين بأن القيمة الأساسية للأدب السومرى وأهميته الحقيقية بالنسبة للدراسات الإنسانية المتصلة به قد أصبحت واضحة وجلية " [١]

١٨ ـ حضارة اليهود المزعومة:

ومن الثابت أن موسى دخل فلسطين وأكثر أتباعه من الأميين لا يملكون أى قسط من الحضارة والثقافة، فاقتبسوا من الكنعانيين لغتهم وآدابهم وثقافتهم، وقد مرت عليهم فترة من الزمن تمكنوا خلالها أن يتوصلوا على تدوين كتاباتهم الخاصة بهم بحروف هجائية اقتبسوها من الكنعانيين (الفينيقيين). ثم أخذوا يمارسون الزراعة والأعمال الأخرى المتصلة بالحياة المستقرة عن الكنعانيين أيضا. وقد تأثروا بالديانة الكنعانية وقلدوا الكنعانيين في طقوسهم وشعائرهم الدينية وخاصة فيما يتعلق بالخصب والغلة والتذرع إلى الآلهة الكنعانية وفى مقدمتهم الإله " بعل " الذي كان أشعر الآلهة في بلاد العرب، إذ كان اليهود يمارسون الشعائر الخاصة بتقديم القرابين والعطايا، وهى عادة قديمة عامة متبعة في جميع الشرق الأدنى. ومن ذلك يتضح أنه لم يكن لليهود أية مساهمة في تقدم الحضارة الإنسانية وأن أكثر مدوناتهم الدينية وغير الدينية مأخذوة عن الثقافات القديمة وعن النصوص الأدبية والدينية من عهود السومريين والكنعانيين والفينيقيين والأكديين والبابليين والأشوريين والكلدانيين والمصريين. ومجمل القول أن الموسويين تسلموا حضارة لم تكن من إبداعهم بل كانت من نتاج غيرهم ويعترف بذلك الدكتور إسرائيل ولفنسون، وهو يهودى، إذ يقول: " أن يهود بلاد العرب لم يظهروا شيئا من النبوغ والعبقرية مطلقا ولم يشتهر من

---

(١) كرايمر، " الأساطير السومرية "، الترجمة العربية، ص ٤٣ ـ ٤٤.

بينهم شخصية واحدة في كل عصورها بالرقى الفكرى [١] ولكنه يعلل ذلك بقوله أن البيئة الجديدة شلت قوى اليهود الروحانية فتغلبت عليهم العقلية البدوية، وهذا التعليل غير وارد لأن البيئة الجديدة لا يمكن أن تشل القوى الروحانية بل على العكس من ذلك فهى تغذى القوى الروحانية.

ويؤكد العلامة الدكتور غوستاف لوبون هذه الحقيقة فيقول: " لم يكن لليهود فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أى شئ تقوم به حضارة، واليهود لم يأتوا قط بأية مساعدة مهما صغرت في إشادة المعارف البشرية، واليهود لم يجاوزوا قط الأمم شبه المتوحشة التي ليس لها تاريخ " [٢].

ويقول العلامة بريستد تأييدا لذلك: " إن بنى إسرائيل (قوم موسى) عندما جاؤوا إلى بلاد كنعان كانت المدن الكنعانية ذات حضارة قديمة نشأت منذ ألف وخمسمائة سنة ومنازل متقنة فيها كثير من أسباب الراحة وحكومة وصناعة وتجارة وعلم ومعرفة بالكتابة وديانة حضارة، اقتبسها هؤلاء العبرانيون (الموسيون) الساذجون من مواطنهم، وقد أحدث الامتزاج مع الكنعانيين تغييرات جوهرية في حياة العبرانيين (الموسويين) فغادر بعضهم سكنى الخيام وشرعوا يبتنون بيوتا كبيوت الكنعانيين وخلعوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها في البادية ولبسوا عوضا عنها الثياب الكنعانية المصنوعة من منسوجات صوفية زاهية " [٣].

ويضيف بريستد ما يشير إلى نفس المعنى قوله: " لقد كانت بعض العناصر الهامة في المدينتين البابلية والمصرية القديمة عاملا جوهريا في تكييف الحياة والثقافة في مدن الساحل الفينيقى الزاهرة التي كانت تتألف منها المراكز التجارية الفينيقية.. وأما في بلاد فلسطين التي دخلها العبرانيون (الموسويون) فيما بعد، فإن الكنعانيين الذين كانوا يسكنون هذه البلاد قبل العبرانيين، كانوا قد اجتازوا مرحلة من النمو المتحضر تبلغ أكثر من ألف سنة حينما غزا العبرانيون البلاد.

" وقد عرفنا من النقوش التاريخية البابلية والمصرية القديمة وكذلك من الحفائر الأثرية، شيئا كثيرا عن هذه المدنية الفلسطينية الراقية النامية السابقة لعهد العبرانيين، كما أنه كان للثقافة البابلية أثر هام خالد في فلسطين الكنعانية، وعن

(١) " تاريخ اليهود في بلاد العرب "، ص ١٢.
(٢) غوستاف لوبون، " اليهود في تاريخ الحضارات الأولى "..
(٣) بريستد، " العصور القديمة "، الترجمة العربية، بيروت، ١٩٢٦، ص ٥٥.

طريق الكنعانيين - بوجه خاص - وصل أثر البابليين في الفن والأدب والدين إلى العبرانيين، يضاف إلى ذلك أن هذا الإقليم كان منذ زمن بعيد واقعا تحت نفوذ الحضارة المصرية القديمة. فقد بدأ المصريون يبسطون سيطرتهم على الساحل الفينيقى قبل أن يطأ العبرانيون فلسطين بأكثر من ألفى سنة، إذ اقتحمت الجيوش المصرية فلسطين قبل سنة ٢٥٠٠ق.م، ولما فتح الفراعنة المصريون آسيا الغربية ووصلوا في فتوحهم إلى نهر الفرات في خلال القرن السادس عشر ق.م، بقيت فلسطين مستعمرة في أيديهم أكثر من أربعة قرون، والواقع أنهم حكموا فلسطين مدة قرنين بعد دخول العبرانيين فيها، وبذلك بلغت المدنية الكنعانية مرتبة سامية في القرون التي احتلتها فيها مصر. فلما غزاها العبرانيون كانت قد صبغت مرارا وتكرارا بالعناصر المصرية... والواقع الذي لا شك فيه أن اللغة التي وجدها العبرانيون الفاتحون، وهى اللغة الكنعانية، لغة البلاد وقتئذ، قد اتخذها العبرانيون أنفسهم لغة لهم، وهى التي انحدرت إلينا فيما بعد في ثوب اللغة العبرانية التي كتبت بها التوراة " [١].

وكتب المرحوم العقاد بأسلوبه الأدبى الرائع في هذا الموضوع، حيث يقول: " إن بنى إسرائيل [٢] قبيلة لم تتطور، وقد ظلت بين البادية والحاضرة، قبيلة لم تستوف أطوار البادية ولم تتحول إلى أطوار الحضارة شعبا (مدنيا) يتمشى مع الحياة المدنية على سنة جميع الشعوب، ولازمتها عادة المعيشة على السمسرة والوساطة فلم تتقدم إلى آخر الشوط في تثمير أعمال البدو ولا في تثمير أعمال الحضر، فهى في حالة العزلة الاجتماعية وما يلازمها عند البدو من عزلة العصبية بالدم والسلالة " [٣].

ولم يقتصر تأثر اليهود في الحضارة الكنعانية على الدين والأدب بل شمل الناحية العمرانية الفنية أيضا، فيقول الأستاذ طه باقر في ذلك: " أن هيكل سليمان المشهور لم يقتصر على أن بنائية كانوا من (صور) بل أنه بنى بموجب تصميم معبد كنعانى، وكذلك يقال في زخرفته وتزويقه، وهكذا كانت قصور ملوكهم في أورشليم "، وأن كلمة " هيكل " أخذها اليهود من كلمة " هياكل " الكنعانية [٤].

(١) بريستد، " فجر الضمير "، ص ٣٧٢ - ٣٧٣.
(٢) وهو يسمى أتباع موسى ببنى إسرائيل مجاراة للتوراة.
(٣) " الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين "، ص ٥٦.
(٤) طه باقر، " مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة "، ج٢، ص ٣٠٠ - ٣٠١.

١٩ ـ ملاحظات ختامية:

نستخلص مما تقدم: أن شريعة التوراة التي دونها الكهان اليهود في فلسطين وفى بابل لا تخرج عن نطاق الشرائع البداية القديمة التي كان يعمل بها أقوام تلك العصور وقد اقتبسوها منهم وهى لا تصلح لغير أزمان تلك المجتمعات البدائية. ومما لا شك فيه أن مدونى التوراة الذين دونوا أكثر موادها في الأسر في بابل في عهد الكلدانيين كانوا محيطين بالمدونات القديمة التي كانت في متناول أيديهم وكانوا يحسنون جميع لهجاتها السامية وحتى اللغة السومرية وكذلك الهيروغليفية، ومن الثابت أنهم اقتبسوا الكثير من هذه المدونات التي لم نعثر حتى الآن إلا على جزء يسير ويسير جدا منها بين الأنقاض. وهذا كله يدل على أنه ليس فيما دون في التوراة أدب مبتكر خاص باليهود لأن أهم ما ورد فيها مقتبس من مدونات سبقتها كان رجال الدين من اليهود محيطين بها ولم يصل إلينا منها إلا النزر اليسير كما ذكرنا. لذلك فإذا كان لليهود فضل على الحضارة فهو ينحصر بمحافظتهم بوجه خاص على جانب من ثقافة الكنعانيين العرب وآدابهم الدينية وجغرافية بلادهم وذلك باقتباسها وضمها إلى كتبهم المقدسة ثم نقلها إلينا عبر الزمن الطويل.

ومن الغريب حقا بعد كل هذا أن أكثر الكتاب الأجانب عندما يتطرقون إلى التشابه بين المدونات الآثارية وبين كتابات التوراة فإنهم بدلا من أن يعترفوا صراحة أن الثانية مقتبسة عن الأولى يحورون التعبير فيقولون أن المدونات الآثارية جاءت مؤيدة لما ورد في التوراة، وكأنهم بذلك يريدون أن يعتبروا كتابات التوراة هى القديمة وأن المدونات الآثارية جاءت مؤيدة لها، وهذا لا يخلو من المغالطة التي تجعل الباحث يحتار في أمره، هل أن التوراة هى الأقدم أم المدونات الآثارية؟

وقد سار الكتاب على هذا النهج في بحثهم عن اللغة العبرية فلم يستطيعوا التخلص من تأثير الكتابات الأجنبية التي تدخل العبرية (بمعنى اليهودية) في كل مكان وفى كل زمان: أن المعلوم في الأوساط التاريخية أن الكنعانية هى للغة الأصلية القديمة التي كانت سائدة في فلسطين قبل مجئ موسى وأتباعه بعدة قرون وقد اقتبسها الموسويون من الكنعانيين، ثم تكونت بعد ذلك اللهجة العبرية المقتبسة من الأرامية بعد مرور أكثر من خمسمائة عام على دخولهم أرض فلسطين. ولكن على الرغم من اعتراف الاختصاصيين بعدم وجود أية لغة عبرية (بمعنى

يهودية) في فلسطين غير الكنعانية في تلك العصور، يعودون فيطلقون على الكنعانية تسمية " عبرانية التوراة " (العبرية القديمة).

فيقول الأستاذ الإبراشى مثلا: " يتضح أن العبرية القديمة نشأت في فلسطين حتى قبل مهاجرة الإسرائيليين (الموسويون) إلى كنعان " [١]. فإذا كانت هذه اللغة نشأت قبل ظهور موسى وأتباعه فكيف يطلق عليها اسم العبرية (بمعنى اليهودية) قبل أن يكون قد وجد اليهود في كنعان!.

ومثل ذلك يعتبر المطران يوسف الدبس " اللغة الموآبية فرعا من اللغة العبرية (اليهودية) [٢]، ففى مجرى حديثه عن مسلة ميشاع ملك وآب التي أقامها بمناسبة انتصاره على ملك إسرائيل في حوالى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد يقول: " إن النص الوارد على هذه المسلة، هو باللغة الموآبية وبالحروف الأبجدية الفينيقية يمكن رد كل كلماته إلى أصل عبرانى (يهودى) [٣]، وهنا نقف لنسأل " أية من اللغتين كانت الأقدم!، هل كانت الموآبية أم العبرية بمعنى اليهودية!، فمن المعلوم أن الموآبيين والكنعانيين كانوا سكان فلسطين الأصليين وقد كون الموآبيون مثل الكنعانيين حضارة خاصة بهم وكانت لهم حكومات وملوك استمرت عدة قرون قبل عصر موسى واليهود وقبل أن تتكون اللغة العبرانية (اليهودية) المقتبسة من اللغة الأرامية بأكثر من ألف عام، فيكف يمكن أن تكون اللغة الموآبية والحالة هذه فرعا من العبرانية أى اليهودية؟! ثم بدلا من أن يقال أن اللغة العبرية تشبه اللغة الكنعانية باعتبارها اللغة الأقدم يذكرون أن الكنعانية تشبه العبرانية مما يوهم القارئ ويجعله يتصور أن العبرية هى الأقدم، بل أنهم ذهبوا أبعد من ذلك بحيث اعتبروا اللغة العبرية (بمعنى اليهودية) أصلا لكل الكتابات السامية الأخرى، ولكن كيف يمكن التوفيق بين هذا الادعاء ووجود الكنعانيين في فلسطين قبل موسى واليهود بأكثر من ألفى عام؟..

يقول الأستاذ أوليناري في تعليقه على ذلك: " وقد دفع التحيز اللاهوتى باليهود لأن يعتبروا اللغة العبرية (بمعنى اليهودية) هى اللغة الأم، ليس فقط اللغتين الأرامية والعربية ولكن لجميع اللغات كذلك " [٤].

(١) الإبراشى، " الآداب السامية "..
(٢) المطران يوسف الدبس، " تاريخ سورية "، ج١، م ٢.
(٣) " نفس المصدر السابق "، ص ٧.
(٤) أوليناري، " القواعد المقارنة للغات السامية "، ص١.

ويعترف الدكتور ولفنسون وهو كاتب يهودى " أن الأحبار اليهود كانوا منذ العصور القديمة يعتبرون أن اللغة العبرية (اليهودية) هى أقدم لغة في العالم، وسرت هذه العقيدة من اليهود إلى غيرهم من الباحثين حتى أن العرب في القرون الوسطى كانوا يعتقدونها " [١]. وعلى هذا الأساس فقد اعتبرت أقدم الكتابات التي عثر عليها في فلسطين، وهى كتابة تقويم جازر التي ترجع إلى القرن العاشر قبل الميلاد وكتابة نبع عين سلوان في القدس التي ترجع إلى عهد اليبوسيين سكان القدس الأصليين وغيرهما من الكتابات القديمة ككتابة شكيم ولخيش، نماذج من الكتابة العبرية القديمة أى اليهودية. إلا أن دايرنجر الخبير في تاريخ الكتابة يقول: " إنه من المستحسن أن تسمى هذه الكتابات بالكتابة الكنعانية القديمة " [٢].

ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن محطة إذاعة لندن العربية كانت قد أذاعت مساء يوم ٢٢ شباط ١٩٧١ خبرا مفاده أن المنقبين توصلوا إلى اكتشاف هام، هو العثور على مخطوطات في الخليل بلغة سكان فلسطين الأصليين ترجع إلى سنة ٧٠٠ق.م، وتقول الإذاعة أن هذا ما يؤيد أن اللغة العبرية أى اليهودية متأخرة وأن المتكلمين بها أقلية في حين أن لغة سكان فلسطين الأصليين هى التي كانت سائدة في البلاد وتعد أقدم اللغات في فلسطين، وهذه العبارة نسمعها لأول مرة من جهة أجنبية وهى تعترف بالحقيقة أى أن اليهود كانوا غرباء طارئين على فلسطين وأقلية فيها وأن لغة سكان فلسطين الأصلية هى التي كانت سائدة في البلاد لا العبرية بمعنى اليهودية كما اعتاد الباحثون ترديد ذلك في جميع كتاباتهم.

ولم أدع أمر هذا الاكتشاف وما يترتب عليه من مفاهيم جديدة أن يمر من غير تعقيب وتحقيق، فاتصلت بمحطة الإذاعة البريطانية في لندن وطلبت المزيد من المعلومات عن هذا الاكتشاف، فأحالتنى المحطة إلى المكتشف العلامة " مندنهول " (G.E. Mendenhall) أستاذ لغات الشرق الأدنى في جامعة ميشيغان الأمريكية فاتصلت به على الفور، وما أن تسلم رسالتى حتى أجابنى مشكورا على أسئلتى في كتاب مطول مؤرخ في ٨ تموز ١٩٧١. ولما كان هذا الكتاب ماثلا للطبع فقد انتهزت هذه الفرصة لأضيف إلى ما تقدم العبارة التالية: يؤكد الأستاذ " مندنهول " بعد اعترافه بتعقيد هذا الموضوع وغموضه أن اللغة في عهد داود وسليمان وفيما بعدهما هى اللهجة الكنعانية وذلك لأن النبى أشعيا

(١) ولفنسون، " اللغات السامية "، ص ٧.
(٢) دايرنجر، " الكتابة "، ص ١١٨ - ١١٩.

سمى لغة ذلك العصر من تاريخ اليهود في القرن الثامن قبل الميلاد بـ " شفة كنعان " أى لسان كنعان [١]. والغريب أن " مندنهول " مع تأكيده بأن الكنعانية هى لغة ذلك العصر في فلسطين وأن الثقافة الكنعانية بما فيها الوثنية كانت هى السائدة آنذاك فهو لا يزال يعتبر هذه اللغة الكنعانية الخالصة " عبرانية التوراة (العهد القديم) ".

وبذلك يرجع العبرانية (أى اليهودية) والعهد القديم إلى عصر لم يكن لهما أى وجود فيه وذلك على النحو الذي ذهبت إليه التوراة التي تعتبر وجود اليهوديةو اللغة العبرية في جميع الأزمنة حتى قبل ظهور اليهود إلى عالم الوجود، وهذا هو نفس كلام الأستاذ الإبراشى الذي يعتبر نشوء " عبرية قديمة " (بمعنى يهودية) قبل ظهور اليهود.

ومما يذكر في هذا الصدد أن أول من بث هذه النظرية الوهمية الحاخامون والكهنة وانتقلت منهم إلى الكتاب اليهود فقبلها الناس دون تمحيص كما قبلوا نظرية إرجاع تاريخ اليهود إلى أزمان تسبق ظهورهم إلى عالم الوجود، ومن أمثال هؤلاء الكتاب: الكاتب اليهودى الدكتور إسرائيل ولفنسون، فهو يضرب على نفس الوتر على رغم اعترافه بأن الأحبار اليهود هم الذين نشروا هذه النظرية منذ أقدم العصور كما تقدم بيانه، نراه يقول مانصه: " ومع أنه قد وجدت أمم سامية قبل بنى إسرائيل بآلاف من السنين فإن الباحثين يرون في اللغة العبرية وآدابها مقياسا صالحا للبحث في جميع اللغات السامية (كذا)، لأن الذي وصل إلينا من آثار البابليين والأشوريين، والأراميين ضئيل جدا بالقياس إلى ما وصل إلينا من تراث بنى إسرائيل.. واللغة العبرية من أمهات اللغات السامية، فقد كانت شائعة قبل نشوء بنى إسرائيل وظهورهم في العالم (كذا)، إذ كانت لغة أهل فلسطين الكنعانية ولغة كثير من القبائل في طور سيناء وشرق الأردن، وكان من أهم تلك الأمم بنى أدوم وعمون وموآب وقبائل عماليقية ومديانية وإسماعيلية ثم ظهرت بطون بنى إسرائيل بين هذه الأقوام في طور سيناء وأطراف الحجاز وانتشرت منها إلى الأقاليم الأخرى وبقيت هذه اللغة صاحبة السلطان والنفوذ مدة طويلة (كذا) إلى أن ظهر تأثير إحدى اللهجات الكنعانية وهى الأرامية فأخذت اللهجات العبرية والكنعانية الأصلية تضمحل مع التغييرات السياسية إلى أن أصبحت أغلب بطون فلسطين وسورية والعراق وطور سيناء تتكلم باللهجات الأرامية " [٢]. والغريب في ذلك أن أكثر الكتاب الإفرنج بل كلهم إطلاقا يأخذون بهذه الأقوال القائمة على اللف والدوران دون أن يقفوا لحظة ليسألوا أنفسهم: كيف يمكن أن تنسب اللغة الكنعانية القديمة إلى العبريين أى اليهود قبل أن يكون اليهود

(١) انظر ما تقدم عن ذلك في الفصل الثالث مادة " تاريخ التوراة مكان وزمان ظهورها "..
(٢) ولنفسون، " تاريخ اليهود في بلاد العرب "، المقدمة، ص ز.

قد ظهروا إلى عالم الوجود؟

وإنه لمن المؤسف حقا أن نجد العلماء يتقبلون مثل هذه النظريات التي لا تستند إلى أى واقع تاريخى بل تنافى حدود المنطق والعقل السليم، فتقلب الصورة رأسا على عقب كمن يجعل قدم المرء في الأعلى ورأسه في الأسفل، وكتاب ولفنسون المذكور كان يدرس في مصر على الطلاب ومعترفا به كثقة باعتبار مؤلفه مختص باللغات السامية وقد أشرف عليه الدكتور طه حسين.

* * *

الفصل الخامس

عصر إبراهيم وإسحاق ويعقوب

١- فلسطين أرض غربة بالنسبة لإبراهيم وإسحاق ويعقوب (إسرائيل):

طرح عليّ أحد الزملاء على أثر نشرى مقالا في موضوع " حضارة العرب في فلسطين " السؤال التالى: " ما هى صلة بنى إسرائيل بفلسطين؟... وأين كان وطنهم الأصلى هل هو فلسطين كما يدعون؟

" ولاحتمال ورود السؤال نفسه على ذهن القارئ أى قارئ، أجيب على ذلك السؤال باختصار مستندا كليا إلى نصوص التوراة بما يأتى:

أولا: إن أرض فلسطين باعتراف التوراة ذاتها كانت أرض غربة بالنسبة إلى آل إبراهيم وآل إسحاق وآل يعقوب إذ كانوا مغتربين في أرض فلسطين بين الكنعانيين سكانها الأصليين، والتوراة تتحدث عنهم بصفتهم غرباء وافدين طارئين على فلسطين " [١]. أما وطنهم الأصلى فهو " أرام النهرين " أى منطقة حاران (حران الحالية) حيث كانت العشائر الأرامية التي ينتمون إليها قد استقرت عند منابع نهر البليخ بعد هجرتها من الجزيرة العربية [٢]. ثم نزحت فروع من

---

(١) " وقال إبراهيم لعبده كبير بيته المستولى على ما كان له، ضع يدك تحت فخذى، فأستخلفك بالرب إله السماء وإله الأرض أن لا تأخذ زوجة لابنى من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم. بل إلى أراضى وإلى عشيرتى تذهب وتأخذ زوجة لابنى إسحاق " (تك، ٢٤: ٣ - ٤). " ثم أخذ العبد عشرة جمال من جمال مولاه ومضى وجميع خيرات مولاه في يده. فقام وذهب إلى أرام النهرين إلى مدينة ناحور " (تك، ٢٤: ١٠). راجع أيضا (تك، ٢٤: ٣٣ - ٣٨).
أليست هذه عادة عربية أصيلة لا علاقة لها بالتقاليد اليهودية؟ ثم ألا يستشف منه أن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام كان غريبا وفردا في أرض كنعان؟ أو لم يكن بإمكانه فيما لو كان هناك يهود من عشيرته تزويج ولده من إحدى بناتهم بدلا من إرسال عبده إلى أرام النهرين لجلب عروس لابنه من هناك فلا يفرح بزواج ولده الوحيد؟.
راجع أيضا (تك ٢٨:١ - ٣)، (تك، ٤٧: ٧ - ٩).

(٢) يجب التمييز هنا بين بنى إسرائيل عند هجرتهم إلى مصر في القرن السابع عشر قبل الميلاد، وهم أسرة واحدة لم يتجاوز عدد أفرادها السبعين شخصا، وبين قوم موسى عندما نزحوا إلى فلسطين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، لأن أسرة إسرائيل انصهرت وذابت في المجتمع المصرى على مر الزمن بحيث لم يبق لها أى أثر عندما غزا النبى موسى وأتباعه أرض فلسطين بعد خروجهم من مصر بعد مرور حوالى ستمائة عام على زمن دخول أسرة= =يعقوب إلى مصر. لقد كان هؤلاء يؤلفون حملة مصرية بحتة أكثرها من بقايا الهكسوس ومن الجنود المصريين الفارين كما سنوضح ذلك فيما بعد.

هذه القبائل إلى جنوبى العراق (منطقة بابل) فكان إبراهيم الخليل من ذريتها، وقد وردت كلمة " اغتراب " كلما ذكر تنقل إبراهيم الخليل في فلسطين وفى مصر، فقيل: " تغرب إبراهيم في أرض الفلسطينيين " [١]، و " انحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك " [٢] وانتقل إبراهيم إلى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرب في جرار " [٣]. ولما اشترى إبراهيم أرض مغارة المكفيلة من الحيثيين في حبرون قال لهم: " أنا غريب ونزيل عندكم أعطونى ملك قبر معكم ولأدفن ميتى " [٤]. ومثل ذلك ورد في التوراة فيما يخص إسحاق ويعقوب: " وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه في أرض كنعان [٥]. " وجاء يعقوب إلى إسحاق أبيه إلى حبرون، حيث تغرب إبراهيم وإسحاق " [٦]، " تصرح وتقول أمام الرب إلهك: أراميا تائها كان أبى فانحدر إلى مصر وتغرب هناك "، وهكذا فلا يمكن أن تكون كلمة " تغرب " بمعنى اتجه نحو الغرب لأن ورود كلمة " أرض الغربة " تنفى هذا الاحتمال.

ثانيا: أن أبناء إسرائيل الاثنى عشر ولدوا كلهم باعتراف التوراة في فدام أرام (منطقة حران) [٧]، حيث مكث أبوهم يعقوب المسمى بإسرائيل عشرين سنة [٨]. ويعنى ذلك أن مولدهم ونشأتهم كانا خارج فلسطين، وهؤلاء هم بنو إسرائيل الذين ورد ذكرهم في التوراة، وقد عرضت التوراة قصة يوسف مع إخوته وما حدث له في مصر بعد أن بيع فيها وكيف دخل في خدمة فرعون وتولى إدارة

(١) (تك، ٢١: ٣٤) راجع أيضا (تك، ٢٢: ١٩).
(٢) (تك، ١٢: ١٠).
(٣) (تك، ٢٠: ١).
(٤) (تك، ٢٣: ٤).
(٥) (تك، ٣٧: ١)، راجع أيضا " وظهر الرب لإسحاق وقال لا تنزل إلى مصر اسكن في الأرض التي أقول لك تغرب في هذا الأرض (تك، ٢٦: ١ - ٣).
(٦) (تك، ٣٥: ٢٧) راجع أيضا ثم أخذ عيسو نساءه وبنيه وبناته وجميع نفوس بيته من وجه أخيه يعقوب لأن أملاكهما كانت كثيرة على السكن معا ولم تستطع أرض غربتهما أن تحملهما من أجل مواشيهما " (تك ٣٦: ٦ - ٧).
(٧) " وكان بنو يعقوب اثنى عشر أخا، بنو ليئة: رأوبين وشمعون ولاوى ويهوذ ويساكر وزبولون، وابنا راحيل: يوسف وبنيامين، وابنا بلهة جارية راحيل: دان ونفتالى، وابنا زلفة جارية ليئة: جاد وأشير ". وهؤلاء بنو يعقوب الذين ولدوا في فدان أرام (تك، ٣٥: ٢٣ - ٢٦).
(٨) (تك، ٣٢: ٢٨).

شئون الدولة ثم نزوج إخوته إلى مصر مع أبيهم يعقوب (إسرائيل) ويعتقد أن نزوحهم هذا قد تم في عهد حكم الهكسوس في مصر ١٧٨٥ - ١٥٨٠ ق.م) [١].

وتقول التوراة: أن النبى موسى ظهر بعد ذلك في مصر على أثر الاضطهاد والتسخير الذين تعرض لهما أتباعه على عهد فرعون رعمسيس الثانى (١٣٠٤ - ١٢٣٧ ق.م) فخرج موسى بهم إلى أرض كنعان (فلسطين) وهذا هو الذي أطلق عليه اسم " الخروج " في التاريخ اليهودى، كما تذكر التوراة أن ابنى يوسف (منسى وأفرايم) ولدا في أسنات بنت " فوطى فارع " كاهن " عون " في مصر ونشأ فيها [٢].

ففى كل ذلك دلائل وافية على أن وطن بنى إسرائيل الأصلى لم يكن فلسطين بل منطقة حران الأرامية حيث كانت تقطن العشائر الأرامية التي هم من أفخاذها، وأن جميع الإخوة الذين ورد ذكرهم في التوراة ولدوا ونشؤوا خارج فلسطين، ونحن حين نؤكد ذلك نستند إلى مرجع التوراة ذاتها التي تعترف بصراحة تامة بذلك.

٢ ـ عصر إبراهيم وإسحاق ويعقوب هو غير عصر موسى واليهود ولا صلة بينهما:

سبق أن عرضنا في الفصل الثالث (مادة تاريخ التوراة) أن الأحداث التاريخية التي مرت على اليهود والتوراة تدعونا إلى التمييز بين ثلاثة أدوار بالاستناد إلى التسميات الثلاث (إسرائيل، وقوم موسى، ويهود) هذه التسميات التي تم تداول كل منها في دوره الخاص به. وقد أشرنا بصورة مقتضبة إلى أن دور إبراهيم وإسحاق ويعقوب (إسرائيل) هو دور مستقل بذاته ليس له أية صلة بدور النبى موسى وقومه أى اليهود. والسؤال الذي يفرض نفسه والذى سنجيب عنه بالأدلة المقنعة: هل الجماعة التي خرجت من مصر بقيادة موسى تنتمى إلى إسرائيل كما ادعى مدونو التوراة؟

من الواضح أن أهم ما كان يهدف إليه كتبة التوراة عندما أخذوا بتدوينها بعد عهد إبراهيم الخليل بأكثر من ألف وثلاثمائة عام وبعد عهد موسى بسبعمائة عام هو إرجاع نسب بقايا الجماعة التي خرجت من مصر بقيادة النبى موسى، ومدونو

---

(١) انظر ما تقدم عن الهكسوس في الفصل الأول.
(٢) (تك، ٥٠: ٥٢).

التوراة هم أنفسهم من بقايا هذه الجماعة، إلى إبراهيم الخليل بغية إرجاع أصلها المجهول إلى أقدس العروق من الأجناس البشرية، ثم تثبيت عقيدة الأرض الموعودة (الوهمية) على لسان إبراهيم وموسى وهما بريئان منها. واندفاعا وراء تحقيق هذا الهدف ربط مدونو التوراة صلة هذه الجماعة مباشرة بإبراهيم الخليل وبحفيده يعقوب (إسرائيل) لكى ترفع مكانتها بين البشر وتجعل منها الشعب المختار، وذلك من غير أن تتطرق إلى الفاصل الذي يفصل بين جماعة موسى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وبين جماعة إبراهيم الخليل وحفيده يعقوب في القرن التاسع عشر قبل الميلاد على التوالى، وهو الفاصل الذي يمتد سبعمائة عام بين عهد إبراهيم الخليل وعهد جماعة موسى.

إن جماعة يعقوب المسماة ببنى إسرائيل غادرت أرض وطنها الأصلى " حاران " (حران حاليا) وأرض غربتها (فلسطين) في حوالى القرن السابع عشر قبل الميلاد إلى مصر، وتقول التوراة: إن ذرية هذه الجماعة نفسها خرجت من مصر بعد مرور زهاء خمسة قرون وقد سمتها ببنى إسرائيل لتغزو فلسطين (أرض كنعان) متجاهلة ما حدث لهذه الجماعة في مصر خلال فاصل القرون الخمسة. أما إذا رجعنا إلى المكتشفات الآثارية نجد أن هذه الغزوة المنسوبة إلى من سمى ببنى إسرائيل إن هى إلا حملة مصرية على فلسطين وهذه ليست الغزوة المصرية الأولى لفلسطين، فقد سبقتها عدة غزوات مماثلة على عهد الفراعنة الأوائل، إذ كانت مصر تعد أرض فلسطين أشبه بمحمية مصرية لأن سلامتها مرتبطة مباشرة بها لوقوعها على حدودها الشرقية، وهى الطريق الطبيعية للغزاة الذين يقصدونها من الشرق، فقد نقلت لنا الكتابات المصرية القديمة أن الفرعون تحوطمس الثالث (١٤٧٩ - ١٤٤٧ ق.م) وحده قام بسبع عشرة حملة على أرض آسيا وهذه كلها عن طريق فلسطين بطبيعة الحال [1].

لذلك كانت مصر تؤازر الملوك الكنعانيين وتسندهم بكل ما لديها من قوة مادية ومعنوية ضد الغزاة من الأقوام المجاورة لهم وذلك من غير أن تتدخل في شئونهم الثقافية والدينية. وهناك دلائل قوية قلى أن ما عزاه كتبة التوراة لبنى إسرائيل في حملتهم على فلسطين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد بقيادة النبى موسى لم يكن إلا حملة مصرية بحتة على نمط الحملات المصرية العديدة التي سبقتها، فقائدها نبى مصرى، وهى حملة مؤلفة من بعض الجنود المصريين ومن

(1) Iods, “Israel”, P. 46.

فلول بقايا الهكسوس والبعض الآخر، كما يقول الدكتور غوستاف لوبون من الأسرى والعبيد الفارين من سادتهم [١].

ومما لا شك فيه أن جميعهم كانوا يتكلمون اللغة المصرية، هذا مع فارق كون هذه الحملة منشقة على الدولة الأم (دولة الفراعنة) وهى لا تتمتع بالتنظيم العسكرى المألوف كما أنها لا تتمتع بإسناد الدولة كما كانت تتمتع به حملات الفراعنة السابقة العديدة على فلسطين خلال الألف والخمسمائة عام المنصرمة، والفارق الآخر هو أن أهداف هذه الحملة لم تكن أهدافا سياسية ترمى إلى خدمة مصلحة الدولة المصرية، وإنما جاء أفرادها فارين من وجه الاضطهاد الذي كانوا يعانونه من المجتمع الوثنى، وقد جاؤوا ليحتلوا أرضا عامرة بوسائل الحياة ليأووا إليها ويعيشوا عليها. ولم تكن لديهم القوة الكافية لطرد سكان البلاد والحلول محلهم لذلك بقوا زهاء نصف قرن بلا مأوى حتى تمكنوا من تثبيت أقدامهم في الجانب الشرقى من الأردن.

والدليل على اهتمام مصر بفلسطين أنها احتضنت فيما بعد ما سمى بدولة إسرائيل ومدتها بالمال والمعونة وأكثر من ذلك أن فرعون مصر زوج ابنته من الملك سليمان على قول التوراة [٢]. وأرسل جيشا لمعاونته في احتلال بعض المدن التي عجز عن إخضاعها [٣].

ويجب قبل شرح الدلائل التي تسوقنا إلى هذا الاستنتاج أن نذكر أن هناك حادثين مهمين وقعا في مصر خلال فترة القرون الخمسة التي تلت هجرة أسرة يعقوب إلى مصر، وهى الفاصل الذي يفصل بين جماعة يعقوب (إسرائيل) وجماعة موسى مما أدى إلى ذوبان جماعة يعقوب في البيئة المصرية كلها، أولهما حكم الهكسوس في مصر (١٧٨٥ - ١٥٨٠ ق.م) [٤] وقد كان يوسف أخو بنى إسرائيل في زمام حكم مصر آنذاك مع الملاحظة أن هجرة آل يعقوب إلى

---

(١) " اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر، ص ٣٣.
انظر أيضا:

J. Smith, "God and Man in Early Israel", P. 36. =

(٢) (١ مل، ٣: ١).
(٣) (١ مل، ٩: ١٦).
(٤) انظر ما تقدم عن الهكسوس في الفصل الأول.

مصر وقعت في هذا العهد بالذات.

ويجب أن لا ننسى أن قبائل الهكسوس الحاكمة التي عاش يوسف وإخوته في كنفها، أن هذه القبائل ذاتها أخذت باللغة المصرية وبثقافتها كما هو معلوم وصار أتباعها في آخر عهدهم مندمجين بالمحيط المصرى حتى أخذوا يتسمون بأسماء مصرية كما أخذ ملوكهم يقلدون الفراعنة في سيرة حياتهم، مع أنهم لم يبقوا في مصر أكثر من قرنين من الزمن.

إن موسى نبى تعترف بنبوته الديانات الثلاث، ولكن هل هناك دلائل على أن موسى كان محتفظا بدم بنى لاوى الذين جاءوا إلى مصر قبل زهاء خمسمائة عام، أى أنه يرجع إلى طبقة الكهنة الذين كانوا يرعون الشؤون الدينية في مجتمع بنى إسرائيل على حد قول التوراة [١].

فالباحثون في هذا العصر يرون غير ذلك، فيقول الكاتب اليهودى المشهور فرويد أن موسى كان قائدا مصريا في الجيش المصرى ولم يكن من اللاونيين كما جاء في التوراة، لذلك يكون من سمى في التوراة ببنى إسرائيل من أتباع موسى النبى لا يمتون بأية صلة بمحيط الساميين العرب الذي عاشه إبراهيم الخليل وحفيده يعقوب قبل مئات من السنين، كما أنهم لا يمتون بأية صلة بذرية إسماعيل وإسحاق الذين بقوا محافظين على الدم السامى العربى الخالص الذي يرجع إلى عهد إبراهيم الخليل، والدليل على ذلك أن أتباع موسى قد جاءوا وهم غرباء بل أعداء لبنى إسماعيل ولبنى عيسو، ولسكان كنعان بوجه عام ينوون غزو بلدهم وإبادتهم ليحلوا محلهم ولم تربطهم بسكان كنعان أية صلة، أفلم تقل التوراة أن النبى موسى تربى في بلاد فرعون وأن ابنة فرعون اتخذته ابنا لها وهو طفل؟ فهل تربى في البلاط بلسان يعقوب (إسرائيل) أم بلسان فرعون مصر؟ فإن سمت التوراة أتباع موسى ببنى إسرائيل أو لم تسمهم، فهم لا يرتبطون بعهد إبراهيم الخليل اطلاقا، ولا صلة لهم به قطعا، لأن لغة إبراهيم كانت غير لغتهم، وعهد إبراهيم غير عهدهم، وإله إبراهيم غير إلههم، وأن ارتباط إبراهيم بجزيرة العرب وبقبائل العرب البائدة تجعله منعزلا عنهم انعزالا تاما.

وصفوة القول بأن عصر إبراهيم الخليل لم يكن له أي ارتباط بقوم موسى الذين سموا التوراة ببني إسرائيل للغرض الذي شرحناه وقد ظهروا بعد سبعمائة عام من دور إبراهيم الخليل، فهو عصر قائم بذاته ولا علاقة له بمن سموا ببني

(١) (خر، ٢: ١).

إسرائيل في عهد موسى لا في الثقافة ولا في اللغة ولا في العرق، فدور إبراهيم الخليل مرتبط كما نبهنا إليه القرآن الكريم ببيت الله العتيق، أي بالجزية العربية التي هو منها وإليها يعود وهي وطن آبائه وأجداده الأصلي قبل هجرتهم إلى وادي الرافدين، فدوره يرتبط بتاريخ العرب مباشرة وهو العصر العربي القديم عصر القبائل العربية التي هو منها والتي سميت بالعرب البائدة فيما بعد لانقراضها، والدليل على أن عهد إبراهيم الخليل ويعقوب عهد مستقل لا صلة له بعهد موسى واليهود أن الآثاريين ميزوه عن الأدوار التالية، إذ أطلقوا عليه اسم " عصر الآباء الجوالين (The wandering of the patriarchs).

ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن القرآن الكريم كان ول من كشف لنا عن هذه الحقيقة التاريخية وقد جاءت المكتشفات الآثارية حول الهجرات السامية العربية إلى الهلال الخصيب ودراسة علم المقارنة بين اللغات مؤيدة لهذه الحقيقة نفسها التي تربط صلة إبراهيم الخليل بجزيرة العرب وبالحجاز.

وقد يسأل سائل: كيف يفسر بقاء أسماء يعقوب وإسرائيل ويهوذا بعد عهد إبراهيم الخليل بعدة قرون، وكيف يمكن التوفيق بين نظرية زوال أسرة إسرائيل وذوبانها بالبيئة المصرية وبين بقاء هذه الأسماء في عصور لاحقة ترجع إلى ما بعد عهد موسى؟

وهنا ينبغي أن نرجع إلى العهود القديمة التي تعود إلى عهد البابليين والكنعانيين، إذ ثبت أن جميع هذه الأسماء - إبرام ويعقوب وإسماعيل وإسرائيل ويوسف وناحور وتارح وصهيون وبنيامين ودان وأشير وزبولون وغيرها من الأسماء الواردة في التوراة - كانت أسماء كنعانية بابلية متداولة في العالم العربى السامى قبل ظهور قوم موسى وقد وردت في النصوص القديمة وظلت متداولة بين الناس في شرقنا العربى السامى حتى يومنا هذا. فإن اسم يهوذا في القرن التاسع قبل الميلاد ليس معناه أنه نفس يهوذا بن يعقوب في القرن السابع عشر قبل الميلاد. فضلا عن أن " يهوذا " اسم قديم لمنطقة قديمة في كنعان وكذلك اسم إسرائيل.

ومرة أخرى نقول: ليس من السهل التخلص من التقليد الشائع منذ آلاف من السنين وهو التقليد الذي يربط كل شئ باليهودية وبالتوراة، أما الحقيقة فهى أن هذه الأسماء كلها أسماء عربية بحتة وليست يهودية بمعنى خاصة باليهود لمجرد ورود ذكرها في التوراة، فهى أسماء عامة كانت متداولة بين الساميين العرب منذ

عصور سحيقة واغلة في القدم وهى ترجع إلى ما قبل عهد اليهود أو بنى إسرائيل كما تسميهم التوراة بزمن طويل، ولا شك في أن الذين كانوا يتسمون بهذه الأسماء كثيرون لا يحصى عددهم على مدى الأدوار المختلفة كما نجدها اليوم مثل أسماء إبراهيم ويعقوب وإسماعيل المتداولة بين الآلاف من الناس، فليس معنى ذلك أن كل يعقوب وكل إسماعيل يمت بصلة للأشخاص الذين عاشوا قبل آلاف من السنين، إن جماعة موسى أجداد اليهود اقتبسوا كما أوضحنا الثقافة الكنعانية بما فيها اللغة والديانة والعادات والتقاليد وكانت من جملتها الأسماء التي تسمى بها الكنعانيون، ولا صلة لهذه الأسماء بحوادث الأدوار التاريخية القديمة.

ويرى بريستد أن أبناء يعقوب (إسرائيل) كانوا على أصح الاحتمالات عربا تابعين لإمبراطورية الهكسوس مؤيدا بذلك نظرية يوسفوس القائلة بأن بنى إسرائيل قوم من الهكسوس، وهذا يتفق مع نظرية كون دور إبراهيم وحفيده يعقوب دورا عربيا لا يمت بصلة إلى موسى واليهود. وهذا ما يقوله بريستد في هذا الصدد: " ويستنتج من رواية مانيثو ومن أخبار سورية وفلسطين بعدئذ أن إمبراطورية الهكسوس سامية الأصل، وقد عثر على جمل لفرعون من عهد الهكسوس منقوش عليه اسم (يعقوب) إشارة إلى تبوء أحد رؤساء بنى إسرائيل الملك في تلك العصور الغامضة، وهذا الأمر يتناسب مع احتمال دخول بنى إسرائيل مصر وقتئذ. وإذا صح الاستنتاج كان عبرانيو مصر عربا تابعين لإمبراطورية الهكسوس، ولا يبعد أن يكون وجود هؤلاء العرب بمصر سببا في تلقيب تلك الإمبراطورية " دولة الرعاة " ولا يبعد أيضا أن تكون نظرية يوسفوس القائلة بأن بنى إسرائيل قوم من الهكسوس فيها شئ من الحقيقة وإن لم تكن هناك أدلة على صحة ذلك " [١].

ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن القرآن الكريم فرق بين بنى إسرائيل ذرية إبراهيم الخليل من جهة وبين اليهود من جهة أخرى وذلك باستعمال اسمين يحدد بهما هذا القوم أو ذاك، فيطلق اسم بنى إسرائيل في موضع الرضا ويسمون باليهود في حالات السخط عليهم.

ويقول الأستاذ فتحى رضوان: " ومن صور المنهج الرفيع في القرآن الكريم استعمال اسمين عند التحدث عن العبرانيين، فهم تارة " اليهود " وتارة أخرى " بنو إسرائيل " وتقوم عبارة (الذي هادوا) في بعض المواضع مقام لفظ (اليهود).

(١) بريستد، " تاريخ مصر "، الترجمة العربية، ص ١٤٢ - ١٤٣.

والقرآن الكريم حينما يستعمل الاسمين لا يفعل كأنهما مترادفان، كما يقول مثلا المسيح و " عيسى ابن مريم " بل يطلق عليهم " اليهود " و " الذين هادوا " في مواضع السخط عليهم، أو التنديد بسيئ أعمالهم أو عند حكاية ما أصابهم من الذلة والعبودية لفساد طويتهم وسوء نيتهم، أما إذا جاءت مواضع في القرآن الكريم تذكر بفضل الله على هؤلاء القوم ذاتهم أو اصطفاء الله لهم، وإسناد الرسالة إلى رجال منهم، وإسباغ الحكمة والنبوة عليهم.. الخ، فاسمهم في هذه المواضع جميعها " بنو إسرائيل " واستعمال هذين الاسمين مقصود لم يأت عفوا فإسرائيل هو يعقوب ويعقوب نبى من أنبياء الله ورث عن أبيه إسحاق وعن أبيه إبراهيم رسالة الدين الحنيف، ومن هنا لا يتحدث القرآن عن أولاد يعقوب أى بنى إسرائيل إلا بالخير والرضا، فإذا صدر منهم ما يغضب فالقرآن يسميهم اليهود [(١)].

٣ ـ النبوة الإلهية عربية لفظا ومعنى:

ويؤكد المرحوم الأستاذ العقاد: أن الإسرائيليين (اليهود) تعلموا النبوة الإلهية بلفظها ومعناها من شعوب العرب، ولم تكن لهذه الكلمة عند الإسرائيليين (اليهود) لفظة تؤديها قبل وفودهم على أرض كنعان ومجاورتهم للعرب المقيمين في أرض مدين، فيقول: " أن كلمة نبى عربية لفظا ومعنى لأن المعنى الذي تؤديه لا تجمعه كلمة واحدة في اللغات الأخرى والعبريون قد استعاروها من العرب في شمال الجزيرة بعد اتصالهم بها، لأنهم كانوا يسمون الأنبياء القدماء بالآباء، ولم يفهموا من كلمة النبوة في مبدأ الأمر إلا معنى الأنذار. فكانوا يسمون النبى بالرائى [(٢)]، أو الناظر أو رجل الله، ولم يطلقوا عليه اسم النبى إلا بعد معرفتهم بأربعة من أنبياء العرب المذكورين في التوراة، وهم ملكى صادق وأيوب وبلعام وشعيب الذي يسمونه يثرون وهو معلم موسى الكليم " [(٣)].

وقد سمى إبراهيم الخليل برئيس الآباء [(٤)]. ويستشهد العقاد ببعض علماء الأديان الغربيين الذين ذهبوا إلى تأييد اقتباس أتباع موسى كلمة النبوة من العرب مثل الأستاذ هولشر والأستاذ شميدت اللذين يرجحان أن الكلمة دخلت اللغة

(١) فتحى رضوان، " اليهود وبنو إسرائيل "، الأهرام (١٧ / ١٠ / ٧٢)، ص ٧).
(٢) (عا، ٧: ١٢).
(٣) العقاد، " الثقافة العربية "، ص ٧١.
(٤) (عب، ٧: ٤).

العبرية بعد وفود القوم على فلسطين. فتشير التوراة إلى أن عاموس اغتاظ وغضب لما أطلق عليه اسم نبى وقال: " لست أنا نبيا ولا أنا ابن نبى بل أنا راع وجانى جميز، فأخذنى الرب من وراء الضأن وقال الرب اذهب تنبأ لشعبى إسرائيل " (١).

٤ ـ من هم العبرانيون؟ مسألة " العبرى " و " العبيرو " :

لقد اعتاد أكثر الذين كتبوا في تاريخ بنى إسرائيل من إفرنج أن يستعملوا " عبرى " أو " عبرانى " بغير معناها الذي جاءت به في المصادر القديمة، إذ كانت هذه الكلمة تطلق في نحو الألف الثانية قبل الميلاد وفيما قبل ذلك على طائفة كبيرة من القبائل العربية في شمال جزيرة العرب وفى بادية الشام، وكانت العبرية (بمعنى لغة هؤلاء العبريين) آنذاك لغة أهل فلسطين الكنعانية ولغة كثير من القبائل في طور سيناء وفى شرقى الأردن ومنهم العمالقة والمديانيون وغيرهم من الأقوام العربية في المنطقة حتى صارت كلمة " عبرى " مرادفة لابن الصحراء أو ابن البادية بوجه عام. وبهذا المعنى وردت كلمة " الأبرى " و " الهبيرى " و " الخبيرو " و " العبيرو " في المصادر المسمارية والفرعونية ولم يكن لليهود وجود في ذلك الحين، ولما وجد اليهود وانتسبوا إلى موسى كانوا هم أنفسهم يقولون عن " العبرية " أنها لغة كنعان " شفة كنعان " أى لسان كنعان، ثم انطوت " العبرية " (الكنعانية) في الأرامية التي غلبت على القبائل جميعا بين فلسطين وسورية والعراق، وعندئذ أصبحت كلمة " عبرى " تشمل جميع الأراميين وكلهم عرب نزحوا من موطنهم الأصلى في جزيرة العرب قبل أن يكون لليهود وجود (٢).

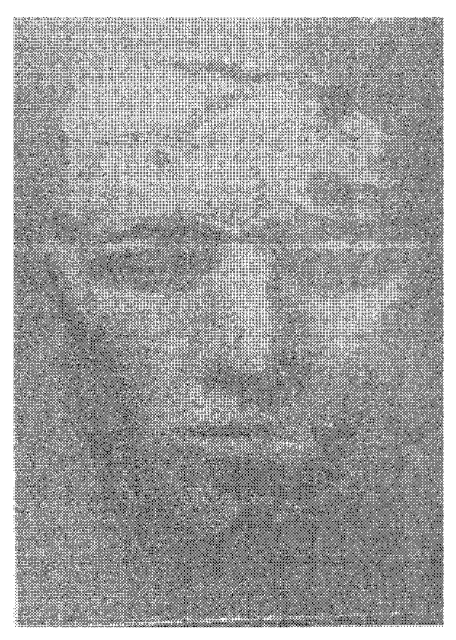
لذلك سوف نحجم عن استعمال كلمة " عبرى " أو " عبريين " للدلالة على اليهود في هذا البحث لتجنب الالتباس خاصة ما يتعلق ببحث تاريخ فلسطين القديم، أى بحث فترة ما قبل ظهور قوم موسى على مسرح الأحداث في الشرق الأدنى، الفترة التي يجب أن تبحث كدور مستقل ليست له أية صلة بدور موسى وذلك مراعاة للتسلسل الزمنى. ولابد من الإشارة في هذا الصدد إلى أن كتبة التوراة والكتاب اليهود بعدهم صاروا يستعملون مصطلح " عبيرو " (عبرى)

---

(١) (عا، ٧:١٤ ـ ١٥).
(٢) ولفنسون، " تاريخ اليهود في بلاد العرب "، ص ز، العقاد، " إبراهيم أبو الأنبياء "، ص ١٣٢.

للدلالة على اليهود بقصد إرجاع تاريخهم وأصلهم إلى العبرانيين (عهد العبيرو القديم) الذي لا ينتمون إليه بأية صلة.

وإذا استعرضنا الدور الخطير الذي لعبه أهل البادية في تطوير حياة منطقة الشرق الأوسط بأسرها نتيجة توغلهم في جميع أنحاء الهلال الخصيب في هجراتهم المتتالية، تجلت لنا ظاهرة اهتمام الأقوام القديمة بالعبيرو " أهل الصحراء " فقد ورد ذكرهم في جميع الكتابات القديمة وذلك قبل ظهور موسى بعشرات القرون، فكان السومريون يسمونهم " سا - كاز " منذ عهد أور الثالثة (أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد) وقد ورد ذكرهم أيضا في نصوص " بابل " و " نوزى " و " مارى " و " أوغاريت " كما ورد ذكر " العبيرو " في رسائل " تل المعارنة " المصرية التي بعث بها ملوك كنعان إلى الملك أمنحوتب الثالث والملك أخناتون والتى تعود إلى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد، وقد دلت التحريات على أن " العبيرو " تمكنوا من اختلال مدينة " أريحا " قبل عصر موسى بحوالى قرنين من الزمن [1]. ثم اختفى ذكر موسى وأتباعه في المنطقة.



التصوير رقم (٧٩)

مومياء الملك أمنحوتب الثالث الذي حكم مصر بين سنة ١٤١٣ و ١٣٧٥ ق.م وهو الذي بعث إليه ملوك كنعان برسائلهم التي وجدت في تل المعارنة يطلبون فيها مساعدتهم لصد غزو القبائل البدوية '' العبيرو ''

(1) T. H. Garter. Ency. Brit, 1965, vol. 4,P. 727.

ويذهب البروفسور بروجير إلى أن معنى " الأبيرو " مغبر أو مغطى بالغبار، ثم أخذ هذا الاصطلاح على مر الزمن يستعمل بالمعنى العام للدلالة على الأجنبى أو المهاجر [١].

ويعلق فرويد على مسألة " العبيرو " بقوله: " ونحن نعرف أخبار هؤلاء المحاربين من الرسائل المكتشفة عام ١٨٨٧ في سجلات مدينة العمارنة المتهدمة فهى تسميهم باسم " عابيرو " وقد أطلق هذا الاسم فيما بعد لسنا ندرى كيف، على الغزاة الجدد اليهود: العبرانيين الذين ما كان في مستطاع رسائل العمارنة أن تذكره لأنهم قدموا في زمن لاحق " [٢].

٥ ـ العبرى أو العبرانى هو غير اليهودى في عرف التوراة:

والتوراة تتحدث عن العبرانيين بصفتهم غرباء عنهم وليسوا منهم، فقد ورد في الأحكام التي وضعها موسى أمام أتباعه ما يشير إلى أن الإسرائيليين (بمعنى اليهود) إذا اشترى عبدا عبرانيا فست سنين يخدم وفى السابعة يخرج حرا مجانا [٣]، ثم تقول التوراة أيضا: أن العبيد يجب أن يكونوا من غير بنى إسرائيل [١]،

---

(١) لقد كتب كثيرون في موضوع " العبيرو " (العبري) وهذا دليل على اهتمام الباحثين به، والذي نستخلصه من هذه التآليف أن أكثرية الباحثين يتفقون على أن اصطلاح " العبيرو " (العبري) كان يطلق على القبائل البدوية النازحة من الجزيرة العربية قبل عهد موسى لوروده في المدونات الآثارية التي ترجع إلى ما قبل ذلك العهد بعدة قرون، وفيما يلي مختارات من كتاباتهم في هذا الموضوع:

J.Bottero, “Le probleme des Haburus”, 1954; M.Greenberg, “The Habiru”, 1955; M.G.Kline, “The Habiru, Kin or Foe of Israel”, Westminister Theological Jour., Vol. XIX (1956), pp. 1- 24 et 170 - 194, et Vol XX (1957), 46 - 70; R. Borger, “Das Problem der Apiru (Habiru)”, ZDPVLXXIV, 1958, pp. 121 - 132; J. –R= =Kupper, “Les Nommades en Mesopothamie au temps des rois de Mari”, 1957, Chap. V; I. J. Gelb, “The Early History of the West Semitic peoples”, Journal of Cuneiform Studies, 15, 1961, pp. 28 ff; “Hebrew, Ubru et Hapiru”, Syria, 3 (1958), pp. 198 - 217; M.Funger, “Israel and Arameans of Damascus”, 1957, pp. 10 - 11.

(٢) فرويد، " موسى والتوحيد "، الترجمة العربية، ص ٤٧.

(٣) (خر، ٢١: ٢).

لأن بنى إسرائيل " عبيدى الذين أخرجتهم من أرض مصر لا يباعون بيع العبيد... وأما إخوتكم بنو إسرائيل فلا يسلط إنسان على أخيه بعنف..و إذا بيع أخوك للغريب المستوطن عندك أو لنسل عشيرة الغريب فبعد بيعه يكون له فكاك يفكه واحد من إخوته [٢].. وهذا دليل واضح على أن العبرانى هو غير اليهودى في عرف التوراة نفسها.

وكان اليهود أنفسهم بين العبرانية والإسرائيلية، فالسامريون كانوا يسمون لغتهم السامرية القديمة التي يصلون بها اللغة العبرانية تمييزا لها عن اللغة الإسرائيلية (اليهودية) زاعمين أن لغتهم هذه هى العبرانية القديمة الحقيقية التي نزلت الشريعة بها والاختلاف ينحصر في استبدال الأحرف واللفظ. ولعل المقصود هنا بالعبرانية القديمة الحقيقية اللهجة الأصلية التي اقتبسها اليهود من الكنعانيين وهى غير اللهجة العبرية التي تكونت مع بقية اللهجات في وقت لاحق. ولدى السامريين اليوم أسفار موسى الخمسة محفوظة في وعاء من نحاس مكتوبة بالخط السامرى واللغة السامرية وهى كل ما يعترفون به من التوراة [٣].

والأمر الذي ينبغى ألا يغيب عن الذهن هو أن التوراة عندما تحدثت عن لغة الموسويين لم تقل لغة العبرانيين، فقد سمتها بـ " شفة كنعان " أى لسان كنعان ثم " يهوديت " و " لسون حقوديس " أى اللسان المقدس. أما كلمة عبرى " عبريت " و " عبراى " بالأرامية فقد صاغها حاخامو فلسطين في وقت لاحق. هذا ما ذكره " درايفر " أستاذ اللغة العبرية في أكسفورد في مقاله في دائرة المعارف البريطانية حول أصل كلمة " عبرى " [٤]. إذ وجد الحاخامون اليهود أن أحسن طريقة يمكن اتباعها لربط تاريخهم بأقدم العصور واعتبار عصر اليهود متصلا بأقدم الأزمنة هو استعمال مصطلح " عبرى " أو " عبيرو " للدلالة على اليهود

---

(١) سبق أن أوضحنا أن التوراة لم تتقيد بالتسلسل الزمنى فقد اعتبرت بنى إسرائيل موجودين في كل الأزمنة حتى قبل أن يخلق إسرائيل لذلك فهى تسمى أتباع موسى الذين نزحوا إلى فلسطين بعد إسرائيل بزهاء ستمائة سنة ببنى إسرائيل أيضا، فعلى القارئ أن يميز بين أتباع موسى وبين بنى إسرائيل كل حسب الدور الذي وجد فيه وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

(٢) (لا، ٢٥: ٤٢، ٤٧ - ٤٨).

(٣) انظر ما تقدم في الفصل الثالث عن هذه الفئة من اليهود.

(4) G.R.D. Driver, “Hebrew Language”, Ency. Brit, 1965 ed, vol.II, P. 279.

بوجه عام. وبذلك يكون تاريخ فلسطين تاريخا واحدا متصلا ومرتبطا منذ أقدم العصور بالشعب اليهودى. وإنه لغريب جدا أن يتقبل العلماء هذه الادعاءات المزيفة التي كشفتها تنقيباتهم الآثارية.

ويلاحظ هنا أن درايفر، مع أنه يعترف بأن كلمة عبري صاغها حاخامو فلسطين في وقت لاحق واعتبروها هي وكلمة يهودي بمعنى واحد، يحاول بتلاعبه بالألفاظ واللف والدوران أن يخفي وجود الكنعانية (العبيرو) من مسرح الأحداث، وعندما يذكرها يضمها بين قوسين وكأنه يريد بلك الانتقاص من دور الأساس في تكوين الثقافة الفلسطينية في تلك الفترة السحيقة من تاريخ فلسطين، ولكن مهما أراد أن يطوي صفحة الكنعانية من أحداث هذه الفترة فلا يمكن أن تكون اللغة التي يطلق عليها اسم (اللغة الشبيهة بالعبرية) تارة واسم (اللغة السامية الغربية) تارة أخرى غير اللغة الكنعانية (اللغة الأم) لأنها كانت متداولة في كنعان قبل مجيء (اليهود إليها، وقد أخذ بها هؤلاء اليهود بعد دخولهم إلى أرض كنعان ، وقد وردت في التوراة ما يؤكد تسمية هذه اللغة التي كانت متداولة في كنعان قبل نزوح اليهود إليهم بـ (شفة كنعان) و (لغة كنعان) (أشعية ١٩ - ١٨) وكان خبير اللغات (دايرنجر) أول من رد على بيانات درايفر ورابين وغيرهم من الباحثين الذين جاروهما فيما بعبارة رقيقة قال: " أنه من المستحسن أن تسمى هذه الكتابات بالكتابة الكنعانية القديمة " [١].

لقد استغل الكتاب اليهود الاصطلاح (العبري) للتمويه والتشويش فاعتبروه هو واليهودي اسمين لمسمى واحد، وبذلك أرجع كل ما يمت بصلة إلى اليهود في وقت لاحق إلى عهد (العبريني القديم)، (العبيرو) الذي لم يكن لهم أي وجود فيه، والدليل على أن تسمية عبري للدلالة على اليهودي متأخرة أنها لم تستعمل في روسيا حتى القرن الخامس عشر للميلاد.

ودرايفر نفسه يعترف من غير أن يخفي حقيقة الأمر فيؤكد أن الخاخامين هم الذين صاغوا هذا الاصطلاح (عبريت) أي (عبري) للدلالة على اليهود في وقت متأخر وقد سبقت الإشارة إلى ذلك وهكذا فقد أسدل الكتاب اليهود الستار على الكنعانية (لغة فلسطين الأم) واعتبروا التراث العبري (اليهودي) الكل في الكل فسموا اللغة الكنعانية الأصلية القديمة بها المشنة بـ (عبرية التوراة) (Biblicak Hebrw) اللهجة الآرامية التي كتبت بها المشنة بـ (عبرية المشنة)

(١) انظر ما تقدم على ص ٤٠١.

(Mishndic - Hebrew) ثم عبرية القرون الوسطى (Medieval Rebrew) والعبرية الحديثة (Modern Hebrew) وقد سار كل المتدينين على هذا النمط من التفكير المعقد الغامض فقلبوا الطبخة التي طبخها الخاخامون في وقت لاحق في خلطهم بين العبرية واليهودية على علاتها دون تمحيص أو تدقيق ثم يأتي رابين معاون أستاذ اللغة العبرية في الجامعة العبرية في القدس وهذا يؤكد بدوره في مقال عن الآداب العبرية نشر في دائرة المعارف البريطانية لعام (١٩٦٥ج ١١ ص ٢٨٤) بأن " أهل كنعان الذين وجدوا في فلسطين قبل نزوح اليهود إليها"، كانوا يتكلمون بلغة قديمة " شبه عبرية " وأن قطع المزامير التي اكتشفت في تل العمارنة دليل على أن الأدب العبري (اليهودي) كان مزدهرًا في كنعان في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، أي قبل دخول اليهود إلى فلسطين، ومع أن رابين يعترف بالحقيقة (أي وجود لغة كنعانية يتكلم بها أهل كنعان قبل دخول اليهود إليها) فإنه يلجأ إلى نفس طريقة التلاعب بالألفاظ التي اتبعها زميله درايفر للتمويه وهو يحاول إبعاد الكنعانية عن مسرح الأحداث فيطلق على الكنعانية اسم (اللغة القديمة الشبيهة بالعبرية) (An Earlier From o Hebrw) مجانبًا بذلك حقيقة وجود الكنعانية وهو مثل درايفر ينسب كل اللهجات التي ظهرت في وقت لاحق إلى العبرية أي اليهودية، وقد حذت (الأنسكلوبيديا) القياسية اليهودية لسنة ١٩٦٦ حذو من سبقها من الباحثين اليهود فهي تردد نفس النغمة فتقول: " لقد ثبت من رسائل تل العمارنة أن العبرية " بمعنى اليهودية " كانت لسان سكان فلسطين قبل دخول الإسرائيلين (اليهود) إليها، والسؤال الذي يفرض نفسه هنا فهل من المعقول أو المنطق أن ننسب لغة سكان فلسطين الأصليين أي الكنعانيين إلى (اليهود) قبل أن يكون هؤلاء قد دخلوا في فلسطين؟ إن اليهود اقتبسوا لغة الكنعانيين بعد أن دخلوا إلى فلسطين واحتكوا بالكنعانيين، أما قبل ذلك فكل شيء كنعاني بحت لا يمت بأي صلة إلى الإسرائيليين (اليهود) على الإطلاق لا من بعيد ولا من قريب.

لقد حان الأوان لأن يعيد العلماء النظر في المفاهيم المغلوطة التي ثبتها ورسمها لنا الخاخامون والكتاب اليهود لتحقيق مآرب ومقاصد خاصة فيصححونها ويضعون النقاط على الحروف تثبيتًا للحقائق التاريخية.

وقد ظل الباحثون متمسكين بالنظرية التي تجعل العبرية التي أطلق عليها اسم عبرانية التوراة (Biblical Hebrew) أقدم لغة سامية معروفة متجاهلين وجود الكنعانية قبل العبرية بعدة قرون حتى توصل المنقبون مؤخرًا إلى اكتشاف أقدم

لغة سامية معروفة في مملكة إبلا السامية العربية في جنوب حلب لضحد مفتريات الكتاب اليهود وادعاءاتهم الملفقة..

وقد صرح خبير اللغات الإيطالي كلوفاني بيتيناتو (Glovani Pettinato) وهو أحد المكتشفين لهذه اللغة القديمة (لغة ابلا) بأنها الكنعانية القديمة مؤيدًا بذلك الرأي الذي ذهب إليه خبير اللغات دايرنجر قبل هذا الاكتشاف الجديد [١] وهكذا لم يبق بعد اكتشاف اللغة الكنعانية القديمة (أم اللغات السامية) أي مجال لترويج الادعاءات الصهيونية القائلة بوجود العبرية بمعنى اليهودية منذ أقدم الأزمنة وأنها أقدم اللغات السامية، وعلى أن لغة أبلا التي تنحدر منها لغة التوراة ولكن الدكتور عفيف البهنسي مدير الآثار السوري فند هذه المزاعم بقوله: هذه اللغة المكتشفة (لغة أبلا) تسبق أي لغة أو لهجة ورد فيها ذكر التوراة بما يزيد ألفي عام فاللاحق هو الذي يأخذ عن السابق وبين التاريخين تاريخ لغة أبلا وتاريخ ظهور التوراة قرون عديدة [٢] .

٦ ـ عدم ورود مصطلح " عبرى "، و" عبرانى " في القرآن الكريم مطلقا

وأثبت دليل على صحة ما تقدم أن كلمة " عبرى " أو " عبرانى " لم ترد في القرآن الكريم مطلقا، فقد ورد ذكر الإسرائيليين بصيغة " بنى إسرائيل " و " قوم موسى "، و " يهود " (الذين هادوا) ذلك مما يدل على أن العرب في زمن النبى محمد صلى الله عليه وسلم لم يعرفوا اليهود بغير التسميات المذكورة، فلو كانوا يعرفونهم بالعبرانيين أو العبريين لورد ذكرهم في القرآن الكريم بهذه التسمية، وكذلك نجد أن أشهر المؤرخين العرب كانوا يسمون اليهود " بنى إسرائيل " في كتبهم وذلك تمشيا مع نهج القرآن الكريم، ومثل ذلك فعل الأشوريون قبل الإسلام بأكثر من ألف ومائتى عام، فعندما دون سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق.م) تفاصيل حملته على مملكة يهوذا سمى حزقيا ملك يهوذا (حزقيا اليهودى) ولم يستعمل

---

(1) New Archaeolog Ical Discovery III uminates the past, by L: L: Arabbt, The plan Tauth, A Magazine of under anding Vol - XII. No 5 My 1977. P.9.

(٢) انظر مقال " الحملة الصهيونية " لاستغلال كشف مملكة أبلا المنشور في مجلة العربي العدد ٢٢٦ (أيلول ١٩٧٧)، ص ٥٢ ـ ٥٦).

=انظر أيضًا المقال المنشور في مجلة آفاق عربية السنة الثالثة رقم (٤) كانون الأول ١٩٧٧، بعنوان حول الاكتشافات الحديثة لموع أبلا للدكتور أحمد سوسة.

كلمة عبرى أو عبرانى [1]. وهذا دليل آخر على ان كلمة " عبرى " لم يسبق أن استعملت للدلالة على اليهود في تلك العصور التاريخية.

٧ ـ هل " العبرى " و " العربى " كلمة واحدة بمعنى عربى!

ويبدو لنا لأول وهلة عندما يرد ذكر " العبرى " و " العربى " أن هناك تقاربا وثيقا في اللفظ بينهما حتى أنه ليتراءى للمرء أن الكلمتين تكادان تكونان كلمة واحدة ومن أصل واحد. إلا أن السؤال الذي يرد إلى الذهن هو أى اللفظين مشتق من الآخر؟ فالأستاذ عبد الحق فاضل الذي كتب مقالا في سومر عنوانه: " عربى، أرامى، عبرى " [2]، ثم أحلفه بكتاب عنوانه " مغامرات لغوية " طبع في بيروت (بلا تاريخ) يرى أن العربية والأرامية والعبرية مشتقة من أصل واحد من كلمة واحدة هى العربية باعتبارها أم اللغات السامية وأكثرها شبها باللغات السامية المتطورة. والذى يهمنا هنا هو " العبرية " و " العربية "، فهو يذهب إلى أن اشتقاق العبرى من العربى كان بطريق القلب على حد تعبيره، ويضيف إلى ذلك قوله: " وما أكثر ما صنعت العرب ذلك منذ أقدم عهودها " [3]، ونحن مع ترجيحنا رأيه القائل بأن العبرى والعربى من أصل واحد ومن كلمة واحدة، إلا أننا لا نتفق وإياه بأن العبرى مشتق من العربى إذ نرجح عكس ذلك، أى أن العربى مشتق من العبرى وذلك نتيجة تقديم وتأخير في اللفظ. ودليلنا على ذلك هو التسلسل الزمنى، فأى اللفظين جاء ذكره قبل الآخر، هل هو العربى أم العبرى؟

لقد سبق أن أشرنا إلى أن أقدم ذكر لكلمة " العبيرو " و " الخبيرو " و " الهبرى " (العبرى) يرجع إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، حيث ورد هذا اللفظ مرات كثيرة في رسائل العمارنة وكان يقصد به عرب البادية أو البدو الرحل، ومما لا شك فيه أن استعمال هذا اللفظ بهذا المعنى كان قبل ذلك بكثير، أما لفظة " عربى " فأقدم ذكر لها ورد في الكتابات الأشورية، إذ وردت أول إشارة ثابتة إلى العرب في نقش للملك الأشورى شلمنصر الثالث (٨٥٩ ـ ٨٢٤ ق.م) الذي قام بحملة على ملك دمشق عام ٨٥٤ق.م، ثم وردت في كتابات

---

(1) J. Pritchard, “Archaeology and the Pld Testament”, P. 157.

(٢) سومر، ١٤، ١٩٥٨، ص ١٨٠ ـ ١٨٨.

(٣) عبد الحق فاضل، " مغامرات لغوية "، بيروت، بدون تاريخ، ص ٢١.

أخلاف شلمنصر[١]، وقد سمى ملوك بلاد العرب بملوك " العريبى " كلما أطلقت كلمة " العريبى " على الأراميين والأدوميين أيضا مما يدل على أن الأشوريين كانوا يعتبرون الأراميين والأدوميين من العرب كما هو واقع الحال. وقد مرت بنا الإشارة إلى مقال بعنوان " العبرى (العبيرو) والعربى "، نشر في إحدى المجلات [٢]. لم يتيسر لنا الاطلاع عليه، والأرجح أنه يتناول بحث نفس الموضوع الذي نحن بصدده. ومما يذكر في هذا الصدد أن العلماء اختلفوا في كيفية نقل كلمة " عربى " من النصوص الأشورية فقرئت Arab، Arbi، Urbi، Arabi، Aribi وهذا مما يزيد الاحتمال بأن كلمة عربى تحريف للعبرى بالتقديم والتأخير. وقد وردت تسميات " العرب " و " ملوك العرب " و " بلاد العرب " و " الإعرابى " في العهد العتيق (التوراة) [٣].

ويؤيد الدكتور ولفنسون " ارتباط المصطلح " عبرى " بكلمة " عربى " بقوله:

" وليلاحظ أن كلمة عبرى ترتبط بكلمة عربى ارتباطا لغويا متينا لأنهما مشتقتان من أصل واحد وتدلان على معنى واحد.. إن كلمة عبرى تؤدى المعنى الذي تؤديه كلمة عربى نفسها، أى أن العبريين هم قبائل رحل كانت تنتقل بخيامها وإبلها من مكان إلى آخر، وكان هذا الاسم يطلق على بنى إسرائيل (أبناء يعقوب)

---

(١) لقد أشار الدكتور جواد علي في كتابه " تاريخ العرب قبل الإسلام "، (ج١، ص ١٦٩)، إلى أن أول إشارة إلى العرب وردت في نص أشوري يعود إلى أيام الملك شلمنصر الثاني ملك أشور معتمدًا في ذلك على ماركوليوث والدكتور حتي ودائرة المعارف اليهودية، إلا أن التحقيق الحديث هو أن أول إشارة ثابتة إلى العرب في النصوص الأشورية ترجع إلى زمن شلمنصر الثالث كما ذكرنا أعلاه، ويظهر أن الدكتور جواد علي قد صحح هذا الخطأ في كتابه الأخير " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام " (ج١، ص ٥٧٤)، حيث ذكر أن أول إشارة إلى العرب ترجع إلى زمن شلمنصر الثالث كما بينا أعلاه، ويظهر أيضًا أن الدكتور حتي هو الآخر قد صحح نفس الخطأ في الطبعة الأخيرة من كتاب " تاريخ العرب " (المطول) الطبعة الرابعة ١٩٦٥ (ج١، ص ٤٥)، ونود أن نزجي شكرنا إلى الأستاذ طه باقر لتنبيهنا إلى هذا الخلاف.

(2) A. Guillaume, “The Harbiru, the Hebrews and the Arabs”, Palestine Exploration Quarterly, 1946, PP 64 FF.

(٣) (حز، ٢٧: ٢١)؛ (أر، ٣: ٢، ٢٥: ٤)؛ (أش، ١٣: ٢١، ١٣).

والقبائل الرحل التي كانت في جهات طور سيناء وبادية سورية وفلسطين " [١].



التصوير رقم (٨٠)

خيالة تغلات فلاسر يطاردون بعض الأعراب الغزاة وقد سقط منهم بعض القتلى

٨ ـ{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا} (قرآن كريم):

يتضح مما تقدم أن تسمية أبرام (إبراهيم الخليل) بالعبراني كما وردت في التوراة [٢] كان يراد بها معنى " العبريين " القبائل البدوية العربية، ومنها القبائل الأرامية التي ينتمى إليها إبراهيم الخليل نفسه، وبهذا المعنى جاءت كلمة " عبيرو " التي عثر عليها في النصوص المصرية والتى تعود إلى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد، ويعترف جورج بوست في مصنفه " قاموس الكتاب المقدس " بأن لقب إبرام بالعبراني لم يقصد به الإسرائيلى وإنما يمكن تأويله على حد تعبيره بأبرام السائح أو المهاجر [٣].

---

(١) " تاريخ اللغات السامية "، ص ٧٨، ١٦٤.

(٢) (تك، ١٤: ١٣).

(٣) يلاحظ أن هذه العبارة قد حذفت من الطبعة الجديدة لقاموس الكتاب المقدس لعام ١٩٧١، بل وأكثر من ذلك حذفت جميع الدراسات العلمية التي قام بها العلامة جورج يوست ليوضع مكانها، خلافا لما جاء في المقدمة، ما يؤكد ربط اليهود بعصر إبراهيم الخليل واعتبار كلمة عبرانيين أو عبريين شاملة لكل أدوار اليهود التاريخية التي تبدأ بإبراهيم الخليل وفقا للتقاليد اليهودية التي تعتبره جد اليهود. ويلاحظ أيضا أن هذا القاموس

فقد عثر في تل العمارنة بمصر على ست رسائل من أحد ملوك منطقة أورشليم الكنعانية اسمه " عبد - خيبا " موجهة إلى ملك مصر أمنوفيس الرابع " أخناتون " (١٣٧٥ - ١٣٥٨ ق.م) يطلب فيها إرسال نجدة لصد غارات " العبيرو " الذين اجتاحوا بلاده. ولما كانت أرض فلسطين في هذا الدور محمية مصرية فإن " عبد - خيبا " يقول في رسائله: " لم يبق في ارض مولاى الملك شئ.. نهب (العبيرو) كل البلاد من سيدى الملك.. البلد وقعت في أيدى (العبيرو).. ".

ومن الواضح هنا أنه لا يمكن أن يكون " العبيرو " الذين ورد ذكرهم في هذه الرسائل هم اليهود [١]. وهكذا فإن التوراة حين تصف إبراهيم الخليل بالعبرانى تساير واقع الحال باعتباره من قبائل الخبيرو (العبيرو) التي ينتمى إليها، أى القبائل الأرامية، قبل أن يكون لليهود وجود بعد [٢].

ويؤيد ذلك المستشرق ثورير ثوردارسون، أستاذ اللاهوت في جامعة أيسلندا، فيرى " أن إبراهام كان شبه بدوى ينتمى إلى القبائل القديمة المسماة بالعبيرو ولعله ينحدر من هذا العرق القبائلى نفسه " [٣].

فقد عاش إبراهيم الخليل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، أى في زمن يسبق عهد موسى بسبع مئة عام، وقد ظلت هذه التسمية أى تسمية عبرى وعبرانى، تطلق على الجماعات من القبائل النازحة من البادية ومن جهة فلسطين إلى مصر، وعلى هذا الأساس صار المصريون يسمون الإسرائيليين بالعبرانيين باعتبارهم من تلك الجماعات البدوية [٤].

وأما ما أورده الباحثون من أن كلمة " عبرى " مشتقة من عبر أى قطع نهرا أو غيره أو من " عابر " أحد أسلاف إبراهيم [٥]. فغير مستند إلى أى دليل أو

الجديد يدعم النظرية الصهيونية الحديثة التي تعتبر جميع الأسماء الواردة في التوراة من أسماء أشخاص وأماكن عبرية أى يهودية الذي سار عليه في وقت متأخر للتمويه (انظر الحاشية " ٥٩ "). أن العبرية القديمة هى في الحقيقة لغة عهد (العبيرو) أى الكنعانية لأن العبرية بمعنى اليهودية متأخرة ولم تكن قد وجدت في ذلك العهد القديم.

(1) G. A. Barton, "Archaeology and the Bible", Phil,PP. 403 - 406.

(٢) انظر ما تقدم عن الأخلامو والخبيرو في بحث الأراميين في الفصل الأول.

(٣) " دائرة المعارف البريطانية "، ١٩٢٥، م١، ص ٤٥.

(٤) (تك، ٣٩: ١٤، ١٧، ٤٠: ١٥، ٤١: ١٢)؛ (خر، ١: ١٥، ١٦، ١٥، ٢: ٦، ٧، ١١، ١٣).

(٥) (تك، ١٠: ٢٤، ١١: ١٤).

أساس وهى من قبيل الحدس والاجتهاد. وقد نبه القرآن الكريم إلى هذه الناحية حيث قال تعالى: { يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾} [آل عمران: ٦٥ - ٦٧]، ولهذه الآية الشريفة معنيان: المعنى الأول هو أن إبراهيم ما كان على دين (يهوه - إله اليهود - بل كان حنيفا مسلما) كما تقدم، والمعنى الثانى هو أن دور إبراهيم الخليل هو غير دور اليهود ولا يتصل بدور اليهود الأخير.

يتضح من التنبيه الذي ورد في القرآن الكريم أن هناك من وقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه الكتاب العرب اليوم بربطهم عهد إبراهيم الخليل باليهود وأن هذا التنبيه إلى أن إبراهيم الخليل ظهر قبل وجود اليهود وأنه لا يمكن أن يكون يهوديا ثم الإشارة إلى اتصاله بالجزيرة العربية (بيت الله العتيق) يتفق تماما مع ما توصل إليه العلماء في ضوء الاكتشافات الأخيرة وعلى الباحثين أن يتبعوا ما نبه إليه القرآن الكريم في هذا الموضوع، لأن استعمال كلمة عبرى بمعنى يهودى عندما يبحث عن تلك الأزمان القديمة لأن يتفق مع المسند العلمى التاريخى، فضلا عما يحدثه من ارتباك، إذ يربط اليهود بأدوار تاريخية قديمة لم يكن لهم أى وجود فيها، لذلك فإذا أردنا أن نتعرف على حياة إبراهيم الخليل علينا أن نرجع إلى وطنه الأصلى وطن آبائه وأجداده في جزيرة العرب ثم إلى المناطق الأرامية في منطقة الفرات الأوسط حيث استقر أجداده عرب البادية النازحون من الجزيرة فنزل بعضهم إلى العراق ومن جملتهم أسرة إبراهيم الخليل، هذا مع ملاحظة العصر والزمن اللذين وجد فيهما إبراهيم الخليل، ثم العصر الذي ظهر فيه الموسويون على أساس أن كلا منهما يمثل عصرا مستقلا بذاته.

٩ - إبراهيم الخليل - مولده وسيرته:

هو: إبرام بن تارخ بن ناخور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح عليه السلام. هذا هو نسبه كما ورد في التوراة [(١)]. وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى:{وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً} [الأنعام: ٧٤] وقد فسره بعض المفسرين " إن تارح " هو (الاسم العلم) لأبى إبراهيم و " آزر " اسمه (الوصفى) كما يقول البيضاوى أما الأستاذ النجار فإنه يعلق على

(١) (تك، ١١: ١٠ - ٢٦).

ذلك بقوله: " إذا صح أنه كان لوالد إبراهيم اسم (علم) واسم (وصفى) فيكون معناه القوى أو الناصر أو المعين لأن لفظ آزر من الأزر، أى القوة والنصر والعون ومنه الوزير أى المعين [١]. وهى كذلك في اللغات السامية التي منها لغة إبراهيم، ومن ذلك عازر وعزيز في العبرية " [٢].

إن أحدث التحقيقات الآثارية التي توصل إليها العلماء تشير إلى أن إبراهيم الخليل عليه السلام ظهر في القرن التاسع عشر قبل الميلاد أى قبل حوالى أربعة آلاف عام، وهذا يتفق مع ما ذكره بعض المؤرخين العرب في تعيين تاريخ عهد إبراهيم الخليل عليه السلام، فقد حدد المسعودى الفترة الممتدة بين عهد إبراهيم الخليل وبين عهد خروج موسى من مصر بخمس مئة وسبع وستين سنة [٣]، ولما كان العلماء قد توصلوا إلى تعيين زمن الخروج بالقرن الثالث عشر قبل الميلاد فيكون هذا التحديد مطابقا تماما لما وصل إليه العلماء بتعيين زمن إبراهيم الخليل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد.

ويتفق المؤرخون على أن مولد إبراهيم الخليل كان في العراق[٤]، إلا أن الروايات قد اختلفت في تعيين مكان ولادته من العراق بالضبط، فبعضهم ذكر أن مولده كان في أور الكلدانيين والبعض الآخر عينه في بلدة (أوروك) (الوركاء)،

---

(١) " تاج العروس "، ج٣، ص ١١.

(٢) النجار، " قصص الأنبياء " الطبعة الثالثة، ص ٧٠.

(٣) " التنبيه والإشراف "، طبعة مصر، ١٩٣٨، ص ١٧١.

(٤) لقد أبدى بعض الباحثين الشك في كون مولد إباراهيم الخليل في العراق، ويميل هؤلاء إلى الرأي بأن هناك مدينة أخرى باسم أور غير أور العراقية تقع بالقرب من حران، حيث أسست جملة مدن قديمة كانت بالدرجة الأولى مراكز تجارية وعرفت باسم أور، إلا أن هذه النظرية لا تستند إلى دليل، فالعراق مملوء بمقامات ومزارات وآثار كلها تحمل اسم إبراهيم الخليل فضلاً عن إجماع المؤرخين العرب على كون ولادته في العراق، والعثور على ألواح بابلية تحمل اسم أبرام دليل جديد على أن هذا الاسم كان من الأسماء الشائعة عند البابليين، والأرجح أن أسماء هذه المدن بجوار حران منقولة من أور العراقية تبركا باسم= =المدينة التي جاء منها إبراهيم الخليل، ومن هذه المدن " أورفة " التي تشتمل على عدة مواضع مقرونة باسم إبراهيم الخليل مما يشير إلى احتمال زيارته لأورفة عند ذهابه إلى حران وهي قريبة منها، وتقع في نفس المنطقة، ويجب أن لا ننسى أن التوراة أوردت ذكر مدينة أور وهي مقرونة بالكلدانيين وكتبة التوراة كانوا في منطقة أور ذاتها عندما دونوا فصولها وكانوا مطلعين على مدونات البابليين وآرائهم الموروثة عن العصور القديمة.

وفى نقول أخرى أن مدينة " كوثا " كانت مسقط رأسه وفيها طرح في النار، وأطلال مدينة كوثا مازالت قائمة حتى يومنا هذا وتسمى " تل إبراهيم " وإلى جانب التل مزار يعرف بمقام إبراهيم. هذا ويقول ابن بطوطة أن مولده كان في البرس (برس نمرود) وقد ورد ذكر محاولة النمرود لحرق إبراهيم هناك. وفى البرس تل مرتفع يقوم عليه مزار حديث يعزى إلى كونه مقام إبراهيم الخليل أو قبره إلا أن أكثرية المراجع الإسلامية تؤكد ولادته في كوثا.

وقد جاء ذكر إبراهيم الخليل عليه السلام مقرونا بعهد الملك نمرود، ومما ورد في ذلك أن الملك نمرود دفعته أحلامه المزعجة إلى مراقبة الحوامل وقتل الذكور من مواليدهن، وزار عماله أم إبراهيم عوشاء للكشف عليها قبل أن يأتيها المخاض، وجسوا جانبها الأيمن فاختفى الجنين في الجانب الأيسر، وجسوا الأيسر فاختفى الجنين في الجانب الأيمن، فانصرفوا دون أن يظفروا بطائل، الأمر الذي اضطر عوشاء أن تلجأ إلى كهف بالقرب من كوثا، وهناك رأى إبراهيم الخليل نور الحياة للمرة الأولى [١] وفى ذلك دليل على كون عشيرة إبراهيم الخليل كانت تسكن في منطقة كوثا التي كانت تعتبر مركزا هاما للساميين في العراق منذ أقدم العصور بعد أن هاجروا من الجزيرة العربية وأخذوا يؤسسون مستوطناتهم على ضفاف الفرات في سورية وفى العراق.

وإبراهيم الخليل بحسب رواية التوراة ينتمى إلى القبائل الأرامية [٢]، وهى قبائل عربية نزحت من وطنها الأصلى في جزيرة العرب واستقرت على ضفاف الفرات في شمال سورية، ثم نزلت بعض أسرها إلى العراق ومن جملتهم أسرة إبراهيم الخليل، وإذا أخذنا بما توصل إليه العلماء حول تعيين تاريخ هجرة الأراميين فتكون أسرة إبراهيم الخليل قد جاءت إلى منطقة بابل في حوالى أوائل الألف الثانية قبل الميلاد. وهكذا يمكن القول أن إبراهيم الخليل كان عراقيا بالولادة عربيا في قوميته التي ترجع إلى وطنه الأصلى الجزيرة العربية.

ويقول البروفسور " ديشز " (Daiches) " إن أسرة إبراهيم الخليل كانت قد جاءت إلى بلاد بابل من أرض كنعان التي كانت وطنها الأصلى " [٣]. وهذا لا

(١) الكسائى، الثعلبى، الطبرى، الزمخشرى، البيضاوى، ابن الأثير، ياقوت، البكرى، المقدسى، وابن صحون.

(٢) (تك، ٢٤: ٤، ٣٨: ٤٠)؛ (تث، ٢٦: ٥).

(3) S. Daiches, "The Jews in Babylonia", 1910. P. 7.

يغير كون وطن إبراهيم الأصلى هو جزيرة العرب، لأن الكنعانيين ومعهم العموريون والأراميون كلهم نزحوا من الجزيرة العربية في الأصل.

ولما نادى إبراهيم الخليل بعقيدة التوحيد بين قومه الوثنيين لاقى كثيرا من أنواع التعذيب والاضطهاد وقد خرج منها سالما [١]. ثم دحر نمرود بينما سار إبراهيم وأتباعه إلى " حاران " (حران حاليا) ومنها إلى أرض كنعان (فلسطين). وقد اجتاحت البلاد موجة من القحط والغلاء فانحدر إبراهيم هذه المرة إلى مصر [٢].

وكان لوط ابن أخيه معه، فأقام في مصر مدة من الزمن صارت له فيها ثروة كبيرة، وقد أصاب لوط من غنى عمه شيئا غير يسير، ثم غادر إبراهيم مصر وكل ما كان له عائدا إلى كنعان وأقام في حبرون، وهى اليوم الخليل [٣].

ثم وقع نزاع بين رعاة إبراهيم ولوط أدى إلى انفصالهما فاختار لوط أن يرتحل إلى سهل الأردن حيث كانت " سدوم وعموره " [٤]، وحدث بعد هذا أن بعض ملوك البلدان الواقعة على الفرات أغاروا على مدن سهل الأردن فأخذوا سدوم وأسروا لوطا مع أهل بيته واستولوا على أملاكه. فلما بلغ الخبر إبراهيم سلح غلمانه وعبيده وكبسهم ليلا فكرسهم واسترجع لوطا وأملاكه ونساءه وجميع الأسرى وكل ما كان لهم، فخرج ملك سدوم لاستقباله بعد رجوعه وباركه ملكى صادق ملك شاليم (أورشليم) قائلا: " مبارك أبرام من الله العلى مالك السماوات والأرض، ومبارك الله العلى الذي أسلم أعداءك في يدك " فأعطاه إبراهيم عشرا من كل ما استولى عليه وأبى أن يأخذ لنفسه شيئا من الغنيمة [٥].

وقد رزق إبراهيم ابنا من الجارية المصرية هاجر أسماه إسماعيل [٦]، ثم ولدت

---

(١){ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ } [الأنبياء: ٦٨ - ٧١].

(٢) (تك، ١٢: ١٠).

(٣) (تك، ١٣: ١، ١٨).

(٤) (تك، ١٣: ٦ - ١٣).

(٥) (ك، ص ١٤).

(٦) (تك، ١٦: ١٥).

له زوجته سارة ابنا في شيخوخته وسماه إسحاق [١]، وتذكر التوراة أنه رزق في أخريات أيامه أولادا أيضا من زوجته الأخيرة " قطورة " [٢]، ومات وعمره مئة وتسعون سنة ودفنه إسحاق وإسماعيل في حبرون في نفس المقبرة التي دفنت فيها امرأته سارة [٣].

وقد ورد في كتب تواريخ الصابئة أن إبراهيم الخليل تربى في كوثا ولما خالف جماعته احتج عليه الناس إلى أن سجن وكان يستمر في مناقشة الناس أياما وهو في السجن فلما خاف الملك أن يفسد عليه سياسته ويرد الناس عن أديانهم نفاه إلى أطراف الشام [٤].

ونخلص مما تقدم إلى أن إبراهيم الخليل قد نادى بعقيدة التوحيد قبل حوالى أربعة آلاف عام، أى قبل ظهور موسى بحوالى سبع مئة عام، ومما لا شك فيه أن دعوته هذه إلى الإله الأوحد، إله السماوات والأرض، المخالفة للعقائد الوثنية المحلية والمقاومة التي جابهها بسبب ذلك هى التي ألجأته بوحى من الرب إلى الهجرة من العراق شأنه في ذلك شأن الأنبياء المصلحين [٥].

١٠ ـ شخصية إبراهيم الخليل وصلته بالجزيرة العربية:

كان إبراهيم الخليل زعيما ذا مقام سام اجتماعيا ودينيا وسياسيا بين جميع بلاد الشرق وقد اشتهر باستقامة سيرته وسمو مبادئه، والأرجح أنه كان من أكبر زعماء قبائل العرب المسماة بالبائدة، وكانت كلها في قيد الحياة في زمنه قبل أن تنقرض الواحدة بعد الأخرى، وعلى هذا فقد كان نطاق اتصالاته يشمل كل الهلال الخصيب تقريبا ومن ضمنه الجزيرة العربية ودلتا النيل الشرقية، حتى ليقال أنه كان أميرا من أمراء البابليين قبل مغادرته العراق، وعندما حل بدمشق وهى في أول نشأتها قيل أنه نصب ملكا عليها.

ويرى الأستاذ هيوز: " أن أغلب الظن بأن ذلك قد سجل في تاريخ مدينة دمشق بين سكانها الأولين لأن أليعازر الدمشقى الموكل على بيته كان من هناك ". ويرجح أن إبراهيم الخليل بصفته من الزعماء الروحانيين قد تبادل الرأى وبحث مع كبار

---

(١) (تك، ٢١: ٢ - ٣).
(٢) (تك، ٢٥: ١).
(٣) (تك، ٢٥: ٧ - ١٠).
(٤) الدكتور إسرائيل ولفنسون، " موسى بن ميمون "، ص ١١٢.
(٥) (تك، ص ١٢).

رجال الدين المصريين معتقده الديني [١]. ويقول الأستاذ كنيون: أن الحيثيين الذين كان إبراهيم الخليل يسكن في جوارهم في فلسطين كانوا ينظرون إليه كأمير عظيم بينهم [٢].

وقد روى يوسيفوس [٣] نقلا عن نيقولاوس الدمشقي (القرن الأول قبل الميلاد) أن إبراهيم الخليل بلغ دمشق أولا وولى أمرها، وهذا كلام الدمشقي الذي رواه يوسيفوس: " خرج إبراهيم الخليل بجحفل كبير من بلاد الكلدان.. فملك في دمشق ثم زايلها بعد مدة وأقام في أرض كنعان.. وما برح اسم إبراهيم إلى الآن موقرا ومشتهرا في بلاد دمشق وهناك قرية تسمى باسمه ويقال أنها كانت مسكنه ". وعد يوستينوس ملوك دمشق فقال: " ومن بعد دمسقوس ملك حزال ثم أدوراس ثم إبراهيم وإسرائيل ".

ورأى كثير من العلماء أن هذه التقليدات لا تخالف الصواب ولا أقل من أن تكون دليلا على إقامة إبراهيم مدة في دمشق بمنزلة أمير ثرى وأليعازر قيم بيته كان من دمشق [٤]، وقد جاء ذكر هذا التقليد في كتب علماء مسيحيين ومسلمين " [٥].

ومما يدل على أن إبراهيم الخليل كان ينتمى إلى أسرة من الأمراء في بابل ما رواه ياقوت الحموى من أن جد إبراهيم الخليل أبا أمه قام بحفر نهر كوثى وهو أول نهر أخرج بالعراق من الفرات. فذكر ياقوت نقلا عن أبى المنذر أن " نهر كوثى سمى بكوثى من بنى أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وهو الذي كراه فنسب إليه وهو جد إبراهيم عليه السلام أبو أمه بونا بنت كرنيا بن كوثى وهو أول نهر أخرج بالعراق من الفرات ".

ومما لاشك فيه أن نبوءة إبراهيم الخليل قد انتشرت في الآفاق حتى خلد اسمه في جميع البقاع التي مر بها كما نشاهدها اليوم في المزارات والمقامات العديدة التي تحمل اسمه وهى منتشرة في البلاد العربية عامة. ومع أن إبراهيم الخليل كان قد استقر في العراق إلا أنه كان على اتصال دائم مع أبناء عشيرته والقبائل

(1) G.S. Hughes, "Ancient Civilizations", 1896, P. 352.
(2) F. Kenyon, "The Bible and Archaeology", 1940, P. 81.
(٣) " تاريخ اليهود "، (ك ١، فصل ٧).
(٤) (تك، ١٥: ٢).
(٥) المطران يوسف الدبس، تاريخ سورية، ج١، م٢، بيروت ١٨٩٥، ص ١٠.

العربية التي كانت تربطه بها صلة القرابة والوطن الواحد. وكان شأنه في ذلك شأن العرب الذين كانوا يستقرون في المدن والقرى ويأخذون بحياة الحضر ولكن في الوقت نفسه لم ينفروا عاداتهم القديمة من البداوة وما إليها لأن طابع العرب الميل إلى البداوة وحكم القبيلة والاعتزاز ببداوتهم وتمسكهم بتقاليدها. وهكذا فقد كان إبراهيم الخليل مرتبطا كليا بالجزيرة العربية وكانت له جمال وأغنام كما كانت له اتصالات تجارية وسياسية وزراعية مع القبائل التي كانت تسكن البادية المتصلة بالفرات والأردن والحجاز، وكان خبيرا بطرق البادية ومواقع آبارها، ولما كانت اللهجات العربية لم تكن قد تباعدت عن بعضها البعض في زمنه فقد كان إبراهيم الخليل يفهم لسان أهل البلاد التي توجه إليها، إذ كانت كلها تتكلم بلغة واحدة، فقد نزح من أور الكلدان واجتاز سورية وفلسطين ومن المحتمل أن يكون قد مر بالحجاز لزيارة مكة المكرمة وذلك قبل رحليه إلى مصر، وهذه كلها بلاد عربية خالصة، وقد كانت له اتصالات برؤساء قبائلها، وإذا أخذنا بما ورد في التوراة عن ارتباط إبراهيم الخليل بعشيرته في منطقة حران (أرام النهرية وفدان أرام) (أرام) (١) فيكون في توجيهه إلى حران قد حل بين أهله وعشيرته، لأن منطقة حران كانت في زمن إبراهيم الخليل مستوطنة أرامية نزح أهلها من شمال الجزيرة واستقروا في السهل الممتد بين البليخ والفرات، كما أوضحنا ذلك فيما تقدم (٢).

ومن المحتمل أن يكون إبراهيم الخليل قد زار منطقة أورفة الواقعة جوار حران على بعد عشرين ميلا شمالا، والتقليد القديم عند بعض الطوائف في أورفة بأن إبراهيم الخليل سكن فيها وتستشهد بالمغارة عند سفح الجبل إلى الجنوب الشرقي من المدينة حيث ولد إبراهيم على ما يزعمون، وهناك بركة تدعى بركة إبراهيم الخليل، ولعل تسمية أور المدينة باسم أورفة مشتقة من مدينة أور التي نزح إبراهيم الخليل فسميت باسم مدينته أور تبركا بها.

وفي سيرة إبراهيم الخليل وصلته بالبلاد العربية يقول الأستاذ مونتوغومري:

(١) ورد في كتاب " قصص الأنبياء " للنجار ما يشير إلى أن " فدان آرام " التي ورد ذكرها في التوراة تقع في العراق ولعله يقصد بالعراق وادى الرافدين الذي يشمل كل المنطقة الواقعة على وادى الفرات بما في ذلك منطقة حران الكائنة على منابع البليخ وهو أحد روافد الفرات الأوسط.

(٢) انظر ما تقدم عن هجرة الأراميين في الفصل الأول.

" إن ما اتسم به إبراهيم الخليل من الخلق الرفيع وعزة النفس هو من صفات الآباء والاعتداد بالنفس التي يتصف بها الشيخ العربى، وملاحظة هذه الظاهرة تكشف لنا عن الصفة البارزة من صفات الساميين، فقد حافظ الساميون على مقوماتهم الأصلية حتى هذا اليوم على الرغم من التأثيرات الأجنبية الدخيلة التي زاحمت تلك المقومات القديمة.

فبعد سقوط الإمبراطوريات الساميات اجتاحت البلاد دولة فارس ثم اليونان فروما فبيزنطة فبلاد فارس من جديد، وأخيرا حكم الصليبيين المتقلب، وكل هؤلاء من العنصر الهندو - أوربى، ومع اجتياح العديد من هذه العناصر الغريبة في العرق والدين للبلاد بقى العنصر السامى على أصله محافظا على اللسان العربى تعززه ديانة عربية خالصة متغلبة ومتصدرة " [١].

١١ ـ الطريق التي سلكها إبراهيم الخليل في هجرته إلى كنعان:

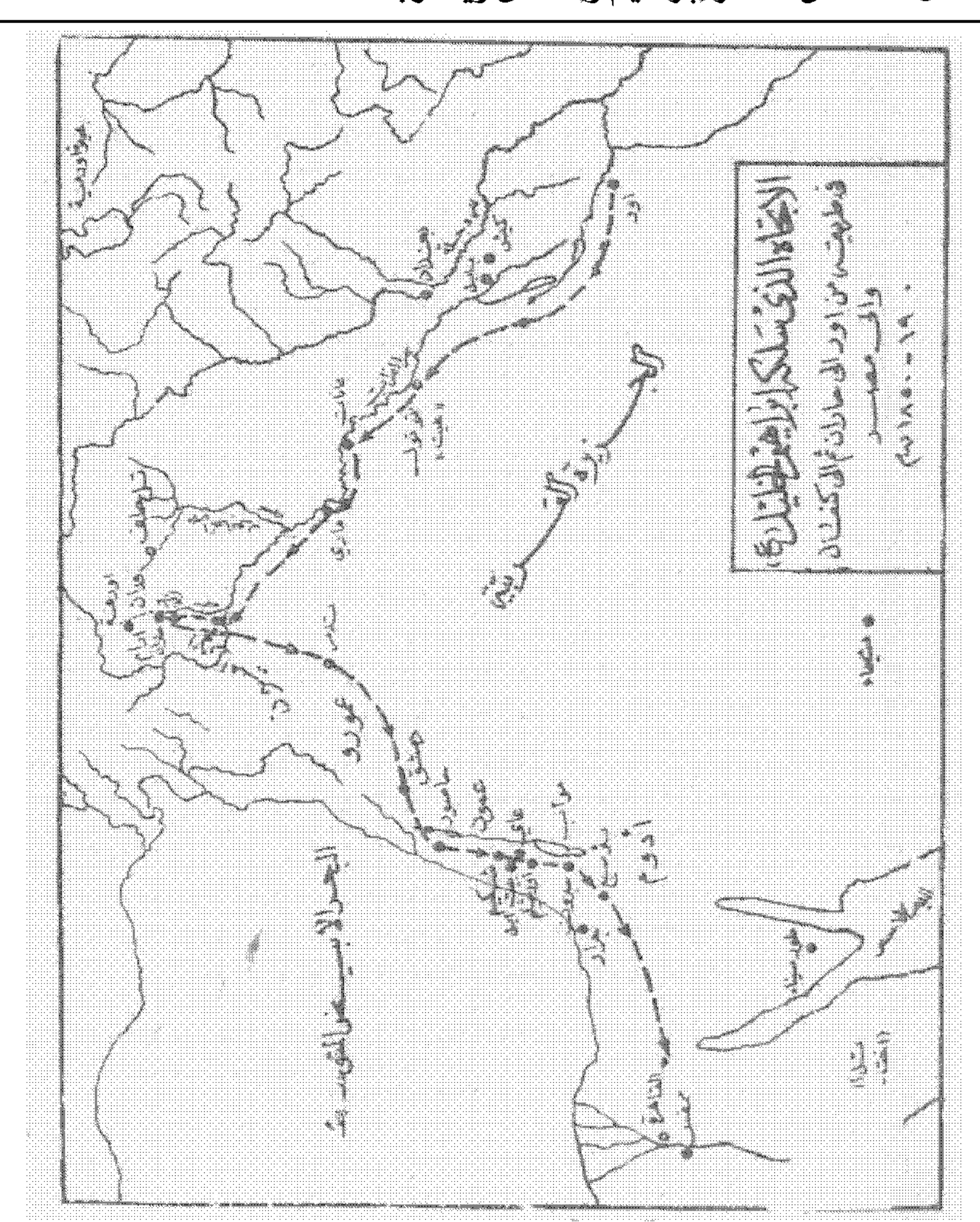
يتفق الخبراء على أن إبراهيم الخليل عليه السلام سلك طريق الفرات اليمن في رحلته من أور إلى حران، وهى نفس الطريق التي كانت تسلكها القوافل، وكانت مع إبراهيم الخليل جماعته وممتلكاته من قطعان الأغنام والمعزى والحمير والجمال، فيكون قد قطع في هذه الرحلة ٥٦٠ ميلا (٩٠٠ كيلو متر) بين أور وحران، فمر أولا بمدينة " مارى " السامية وهى عاصمة العموريين الذين ظهرت منهم السلالة البابلية الأولى والملك حمورابى الشهير، وقد كانت هذه المدينة آنذاك تتمتع بأوج ازدهارها، ثم ذهب منها إلى حاران (حران الحالية)، وبعد أن غادر حران متوجها إلى دمشق بطريق تدمر ومنها إلى فلسطين قاطعا مسافة حوالى ٦٠٠ ميل (٩٦٠ كيلو متر) أخرى بين حران وكنعان.

أما الطريق الذي سلكه في سفرته إلى مصر فهو اختراق صحراء شبه جزيرة سيناء حيث القبائل المديانية والقينية [٢].

---

(١) مونتغومرى، " الجزيرة العربية والتوراة "، ص ٢٤.

(٢) كان المديانيون، وهم من القبائل العربية القديمة، يقطنون في شبه جزيرة سيناء حيث تلقى موسى، بحسب مآثر التوراة، العهد المقدس، وتذكر التوراة أن موسى تزوج في مدين من ابنة كاهن هذه المنطقة الذي كان على ما يرجح موحدا يعبد الله باسم " يهوه " لذلك يرجح أن أصل اسم " يهوه " إله من آلهة البدو العرب الشماليين. وكان المديانيون من أقدم الذين استعملوا الجمال في غزواتهم الصحراوية.



المرتسم رقم (١٦)

وقد ذهب الأستاذ " لورد " " إلى أن الطريق التي سلكها إبراهيم الخليل كانت بمحاذاة الجانب الأيسر من نهر الفرات [1]، وهذه الفرصة غير مقبولة لكثرة

أما القينيون فهم من القبائل التي سكنت أرض مديان بين فلسطين وسيناء وشرقى خليج العقبة وكان يثرون حمو موسى قينيا، وكان القينيون أصحابا للكنعانيين والعمالقة(العرب).

(1) Rev. F.T. Lord, "The Story of the Bible", Vol.I, P. 32.

العوارض في هذا الجانب فضلا عن أن جميع المدونات القديمة تشير إلى أن الطريق العام، طريق القوافل، كانت يسير بمحازاة الجانب الأيمن من الفرات مارا بمدينتى هيت وعانة ثم ببلدة " مارى " عاصمة العموريين الشهيرة وبعد أن يمر بمدينة اليوكمال والميادين ودير الزور يعبر الفرات عند الرقة ثم يصعد شمالا مع نهر البليخ حتى يصل إلى حران (انظر المرتسم رقم ١٦ الذي يمثل الخارطة التي وضعناها مع هذا البحث).

وبذلك يكون إبراهيم الخليل عليه السلام قد قطع مسافات طويلة عبر البوادى متنقلا بين القبائل العربية من منطقة إلى أخرى في متاهات شاسعة من الجزيرة العربية محتكا بمدنها وقراها وسكانها، ورؤساء عشائرها، ففى سيرته هذه تتجلى لنا أبين التجلى الرسالة الروحية والإنسانية التي كان يحملها معه أينما حل.

وفى سيرته هذه تبرز الرابطة القوية التي تربط العالم العربى بعضه ببعض بوشائج الثقافة واللغة والتراث الصحراوى الباعث على النبوغ والتسامى في سماء الروحانيات التي انبثقت منها النبوة السامية التي تصل الخالق بالمخلوق، فكان والحالة هذه رسولا حاملا علم العروبة بين وادى الرافدين ووادى النيل، رسول المحبة والتوحيد والسلام، يوصل بين أعظم حضارتين في العالم القديم، كان كل ذلك قبل أن يعرف العالم أو يسجل التاريخ وجود الموسويين بسبعمائة عام.

١٢ ـ صلة إبراهيم الخليل بالقبائل العربية البائدة وبجزيرة العرب:

ومن الواضح أن إبراهيم الخليل لم يدخل فلسطين غازيا ولا محاربا ولا فاتحا ولا محتلا وإنما جاء متنقلا بين العراق مسقط رأسه وبين المستوطنات العربية السامية على ضفاف وادى الفرات مثل " مارى " و " حران " وفى المناطق الغربية مثل " تدمر " و " دمشق " و " كنعان " شأنه في ذلك شأن القبائل العربية التي كانت تنتقل في البادية من مكان إلى آخر فتعتبر كل الجزيرة وكل الوادى (وادى الفرات بوجه خاص) وطنها، وهكذا فقد استقبل إبراهيم الخليل بكل ترحاب هو وأتباعه وما معه من جمال وقطعان من المواشى وما إلى ذلك مما ملكه من مال أينما حل لما كان يتمتع به من سمعة وشهرة في جميع البلاد العربية. ففى حران كان بين عشيرته وأقربائه وهم جماعة الأراميين الذين كانوا قد استوطنوا في منطقة حران قبل فترة وجيزة، وفى بلاد كنعان استقبله الكنعانيون بالتجلة والتعظيم وقد سبق لهم أن استقروا في أرض كنعان منذ أوائل

الألف الثالثة قبل الميلاد، وهم كالأراميين ساميون في أرض كنعان منذ أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد، وهم كالأراميين ساميون عرب من أهل الجزيرة العربية وكانوا كلهم يتكلمون لغة واحدة، هى لغة الجزيرة الأم قبل أن تتفرع إلى لهجات عديدة، ومع أننا نعلم أن العناصر غير السامية لم تكن قد تسللت إلى هذه المناطق بعد، فإن التوراة تشير إلى ان بعض الحيثيين قد حلوا كأفراد في كنعان في زمن إبراهيم الخليل إلى جانب الكنعانيين إذ جاء في التوراة أن إبراهيم الخليل اشترى من عفرون ابن صوحر الحثى " مغارة المكفيلة التي له في طرف حقله ليتخذها مقبرة له ولسارة امرأته " [١].

وقد ورد في التوراة أيضا ذكر عدد من القبائل كانت موجودة في زمن إبراهيم الخليل يرجح أنها من فروع القبائل الكنعانية أو العمورية وهذه القبائل هى قبائل القينيين والقدمويين والفرزيين والرفائيين والجرشانيين واليبوسيين " [٢].

ومما يذكر أن القبائل العربية المنقرضة (البائدة) التي أشار إليها الإخباريون العرب والتى ورد ذكر أهمها في القرآن الكريم مثل عاد وثمود ومعين وسبأ والعمالقة، كانت موجودة في زمن إبراهيم الخليل على ما جاء في كتابات المؤرخين العرب، ومن المرجح جدا أن إبراهيم الخليل كان على اتصال وثيق برؤساء هذه الإمارات العربية المنتشرة في أنحاء الجزيرة العربية والتى كان لها دور هام في تنشيط الحركة التجارية في الشرق الأوسط بسيطرتها على طرق القوافل بين العراق وسورية ومصر والحجاز وبقية المواضع المهمة في شمال الجزيرة العربية وجنوبها، وقد عد العرب القبائل البائدة هذه من نسل إرم بن سام، أى أن هذه القبائل والقبائل الأرامية التي ينتمى إليها إبراهيم كانت ترجع إلى أصل واحد [٣]. والمشهور من أقوال من تعرض للكلام عن القبائل البائدة وخاصة قبيلة عاد وقوم هود أنهم بادوا بعد إبراهيم الخليل، وبناء البيت بمكة المكرمة.

وهكذا فقد كان إبراهيم الخليل مرتبطا ارتباطا كليا بجزيرة العرب وبعشائرها وبقبائلها المعروفة بالبائدة ومن ضمنها الحجاز ولم تنقطع صلاته بها مع سكناه في العراق كما أسلفنا. وقد ورد في القرآن الكريم ما يؤيد ذلك حيث جاء اسما إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام مقرونين بالجزيرة العربية وبيت الله العتيق

(١) (تك، ص ٢٣).
(٢) (تك، ١٥: ١٩ - ٢١).
(٣) انظر ما تقدم في الفصل الأول عن الأراميين والقبائل البائدة.

(مكـة المكرمـة): {وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾} [البقرة: ١٢٥ - ١٢٨].

١٣ ـ هجرة إبراهيم الخليل حقيقة واقعية وليست خيالا:

ولقد ظهر من المدونات التاريخية القديمة التي اكتشفها الأثاريون أن هجرة إبراهيم هى حقيقة واقعية لا مجال للشك فيها، فقد ورد في هذه المدونات ما يشير إلى وقوع نزاعات دينية أساسية في العراق في حوالى نفس الفترة التي هاجر فيها إبراهيم الخليل حول منزلة إله الساميين (الإله القمرسين) الذي جاء به الساميون العرب من موطنهم الأصلى فابنثقت من هذه النزاعات والحوارات العقيدة الوحدانية التي بشر بها إبراهيم الخليل وأصبح هو المؤسس لها وحامل لوائها. وتشير النصوص القديمة التي عثر عليها أن سلالة من السلالات السامية البابلية حكم فيها أمراء كانوا يتقبلون عقيدة التوحيد وقد أخذوا بها إلا أن الوثنيين انتزعوا منهم الزعامة وأخرجوهم من البلاد.

وهذا نص ما أورده المستر فيلبى في هذا الصدد: " أن الساميين الجنوبيين (ويقصد أهل جنوب الجزيرة العربية) نقلوا معهم (إلى بابل) الإله القمر الذي كانوا يعبدونه، وقد احتل هذا الإله مكانة رفيعة بين مجموعة الآلهة ولم ينافسه إلا الإله القمر الذي كان يعبده الآريون الشماليون. وقد انبثقت من هذا النزاع الحساس بذرة فكرة الخالق الأوحد العظيم الذي يسير جميع هذا الكون، وهى تعدأعظم ما اقتبسته الإنسانية في تاريخ العالم. وتنسب الأقوال المتواترة هذه المرحلة من التفكير الإنسانى إلى الأب إبراهام الذي كان حامل لواء النظرية الجديدة. ويظهر أن هذه الفكرة الجديدة قد حازت إقبالا وتقبلا من الوثنيين. ففى بعض الألواح التي عثر عليها المنقبون في منطقة بابل ما يوضح جليا أن هناك ثلاثة ملوك يؤلفون سلالة بابلية سامية قد حكموا ما يقرب من قرن كامل في المنطقة الجنوبية من بابل، وهؤلاء نادوا وجاهروا بعقيدة التوحيد إلا أن الوثنيين أسقطوا الملك الثالث ونفوه من البلاد، ولو محصنا بدقة ما ورد في المدونات البابلية وفى كتابات التوراة لوجدنا أدلة كافية على أن هذا الملك هو إلا إبراهام

الذي غادر بابل وتوجه إلى فلسطين، وذلك بعد سقوط السلالة السامية الموحدة المذكورة (١).

ثم يضيف المستر فيلبى أن أسماء هؤلاء الملوك الثلاثة وهى أسماء عربية سامية مقترنة بصلة الإله الأوحد، فاسم الأول " أيلوما - أيلوم (Ilima Ilum) ومعناه " الإله هو الإله الواحد "، أما الملك الثانى فاسمه " إيتى - إيلى - نيبى " (Itti - ili - nibi) ومعناه (الله هو حسبى)، وهذا الاسم مشابه تماما لأسماء ملوك جنوب الجزيرة العربية، وأهم ما في الأسماء الثلاثة هو اسم الملك الثالث " يائع - إيل " (Yathi - Il) ومعناه كما ترجمة العلامة Doughty " إلهه الواحد صديق له "، وهو كما ورد اسم النبى إبراهيم الخليل في الكتابات الإسلامية، أى إبراهيم الخليل (٢)، ويختم المستر فيلبى حديثه عن صلة إبراهيم الخليل بعقيدة التوحيد قائلا: " ومما لا شك فيه أن إبراهيم لعب دورا رئيسيا في تاريخ العالم السامى بتأسيسه ديانة التوحيد وقد انتصر أخيرا في كفاحه ضد وثنية الجزيرة العربية القديمة..ولا نرانا بحاجة للتأكيد أن إبراهيم كان شخصية ذات مكانة مرموقة ويشير السير وولى إلى أنه النبى الوحيد من الأنبياء الذي سمى بـ (خليل الله) (٣).

وخلاصة القول أن ما تقدم يدل دلالة واضحة على أن إبراهيم الخليل كان شخصية عظيمة، وزعيما سياسيا وروحيا، لعب أكبر دور في تاريخ الإنسانية، وهو عربى قح متصل بالقبائل العربية في جزيرة العرب وليس تله أية صلة بعهد موسى واليهود الذي يقع بعد عهده بحوالى سبعمائة عام كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وقد عثر فيما عثر عليه من كتابات عمورية بين أطلال مدينة (مارى) السامية على دلائل تؤيد صحة ما ورد في التوراة وفى القرآن الكريم حول شخصية إبراهيم الخليل باعتبارها حقيقة واقعية وليست أسطورة خيالية كما كان

(1) H. ST. J.B. Philiby, "The Background of Islam", 1947, pp. 10 -11.

(٢) " إيل " هو نفس إله إبراهيم الخليل خالق السماوات والأرض الذي ورد ذكره في التوراة وفى الكتابات القديمة ومعناه " الإله الواحد " وجمعه " إيلوهيم " كما سبق وأشرنا على ذلك (انظر ما تقدم في مادة " إله إبراهيم الخليل هو غير إله قوم موسى "..

(3) "The Background of Islm", PP. 22 - 23.

يرى بعض الباحثين.

وقد تمكن الخبراء الآثاريون من تعيين زمن هجرة إبراهيم الخليل بحوالى سنة ١٩٠٠ ق.م، ويرجح البعض الآخر أن الهجرة وقعت في حوالى ١٨٥٠ ق.م، وقد انتهى الباحثة الفرنسى الأستاذ (دى فو) في أحدث دراسة قام بها في هذا الموضوع (١٩٦٥) إلى تحديد عصر إبراهيم الخليل بالقرن التاسع عشر قبل الميلاد [١]، وهذا يقع في أوائل عصر المملكة البابلية القديمة (١٨٩٤ - ١٥٩٥ ق. م).

وقد دلت التنقيبات التي أجريت في منطقة بابل أن تسمية إبراهام أو أبرام وردت في عديد من الألواح البابلية من زمن سلالة بابل الأولى بصيغة (إبراما) و (إبام راما) وموضوع هذه الألواح يدور حول عقود ومقاولات تتعلق بمعاملات زراعية وتجارية. وقد وجدت هذه الألواح في مكان يقع بين بابل وبورسيبا وهى في حوزة جامعة يال الأمريكية، كما ورد اسم أبرام في وثائق مصرية تعود إلى عهد شيشنق الأول (٩٤٧ - ٩٢٥ ق.م) حيث ورد فيها ذكر مزرعة باسم " مزرعة إبرام " في جنوبى فلسطين لعلها تقع في جوار حبرون [٢]، كما ورد اسم أبراموا أو إبرام في كتابات أشورية تعود إلى عهد أسرحدون (٦٨١ - ٦٦٩ ق.م).

---

(1) W.Keller, “The Bible as History”, p. 69; R. De Vaux, “Les Patriarches Hebreux et L’Histoire”, revue Biblique, 72 (1965), pp. 5 - 28.

انظر المراجع التالية:

L.H Woolley, “Abraham, Recent Discoveries and Hebrew Origins” 1963; A. Parrot, “Abraham et son temps”, 1962; Revue= =des Etudes Semitiques, “La legende des Patriarches et les decouvertes modernes”, Revue Biblique. 53 (1946), pp. 321 - 347; 55 (1948). Pp, 321 - 347; 56 (1949). Pp. 7 - 36; T.K. Thordarson, “Abraham”, Enc Brit., 1965 ed, Vol. I, p 44ff; H.S. N.K. Thordarson, “Abraham”, in I. Engely and A. Fridrichen, Svenskt Bibliskt Uppslagsverk, Vol. I, Col 8 - 11, 1948.

(2) G.A. Barton, “Archaeology and the Bible”, pp. 316 - 319; A. T. Olmstead, “History of Pa;estine and Syria”, p. 83.

وقد عثر أيضا على كتابة في " لارسا " في جنوب العراق تعود إلى عهد حمورابى (١٧٩٢ - ١٧٥٠ق.م) ظهر فيها اسم شخص يدعى " أهوبا بن إسماعيل " بصفته أحد الشهود (١). وقد عثر في مارى على مدينة اسمها " ناحور " وهو نفس اسم أخى إبراهيم الخليل كما عثر على أسماء مدن كثيرة تحمل أسماء أفراد عائلة إبراهيم مثل " توراحكى " يشبه اسم والده " تارح " ومدينة " سروج " وهى اسم جده (٢). كما عثر في مارى على اسم قبيلة عمورية باسم بنيامين (أحد أسباط اليهود) مما يدل على أن هذه القبيلة كانت معروفة بهذا الاسم قبل ظهور النبى موسى واليهود بزمن طويل (٣).

١٤ ـ أحوال العراق السياسية أثناء هجرة إبراهيم الخليل منه:

وإذا رجعنا إلى الأحوال السياسية والاجتماعية التي كانت تسود العراق أثناء هجرة إبراهيم الخليل منه، نجد أن زمن هجرته الذي حدد بحوالى القرن التاسع عشر قبل الميلاد يقع في فترة حرجة كانت تجتازها البلاد وهى في حالة اضطراب وتوتر، وهى الفترة التي أطلق عليها الآثاريون اسم فترة أيسن ولارسا " فكان نتيجة تنازع أيسن ولارسا أن تنازعت الدولتان على الحكم في مدن أيسن ولارسا وبابل، فألف الأولى جماعة من العموريين الساميين هجموا على العراق في موجة سامية جديدة جاءت من سورية، أما الثانية فألفها العيلاميون بعد غزوهم لجنوب العراق، وقد عرفت هاتان الدويلتان بسلالتى أيس ولارسا (٢٠٠٦ - ١٨٠٠ ق.م) والتى كانت تتنازع فيها ثلاث دويلات، حوالى قرنين من الزمن على حكم العراق، وفى خلال هذه الفترات ظهرت سلالة أخرى هى سلالة بابل الأولى وأصلها من العموريين الساميين أيضا فانتصرت على سائر الأمراء وضمت مدنهم إلى مملكة موحدة حكمت الشرق الأوسط بأسره وعرفت بالمملكة البابلية القديمة وهى من تأسيس الأقوام السامية العربية، وكانت بداية هذه السلالة في أوائل القرن التاسع عشر قبل الميلاد، ودامت حوالى ٣٠٠ عام (١٨٩٤ - ١٥٩٥ ق.م) برز منها الملك الشهير حمورابى (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق.م) (٤).

---

(1) G. Smith, “The Chaldean Account of Genesis”, 1876, pp. 296 - 298.

(٢) العربى، العدد ١٤٣، تشرين الأول، ١٩٧٠، ص ٨٨.

(3) Parrot, “Archaeology and Old Testament Study”, P, 141.

(٤) انظر ما تقدم من الإمبراطورية البابلية القديمة في الفصل الأول.

ومن الحوادث المهمة التي حدثت في هذا الدور حدوث فيضان خطير جدا في نهرى دجلة والفرات أحدث تخريبات واسعة، ويرجح أن مجرى الفرات الذي كان يسير باتجاه كوثا وسيبار تحول غربا إلى مجرى جديد يمر ببابل، كما أن مجرى دجلة تحول من مجراه الأصلى باتجاه العمارة إلى جهة الغراف في نفس الوقت نتيجة لهذا الفيضان مما أدى إلى حرمان بعض المدن من مصدر حياتها (الماء) وإغمار مدن أخرى وتدميرها [١]، ومما لاشك فيه أن هذا الحادث الذي يعتقد أنه حدث في القرن التاسع عشر قبل الميلاد قد أحدث اضطرابات شاملة في البلاد[٢].

١٥ ـ أحوال مصر السياسية أثناء هجرة إبراهيم الخليل إليها:

أما أحوال مصر السياسية في الفترة التي هاجر فيها إبراهيم الخليل إلى وادى النيل فكانت تتميز بالاستقرار والازدهار والرخاء في ظل المملكة الموحدة القوية تحت حكم السلالة الثانية عشرة في عهد الفرعون (سنوسرت الثانى) (١٨٩٧ - ١٨٧٧ ق.م)

و(سنوسرت الثالث) (١٨٧٢ ـ ١٨٤٣ ق.م)، فقد تمكنت مصر في هذا الدور من بسط نفوذها السياسى على سورية ولاسيما في البلاد الساحلية، كما فرضت سيطرتها على بلاد كنعان في أعقاب حملة قام بها " سنوسرت الثالث " في حوالى سنة ١٨٥٠ ق.م، وقد توطدت علاقات تجارية قوية بين مصر والأقطار المجاورة، فكانت مصر تجلب التوابل والبهار وما إلى ذلك من المواد العطرية والصمغية التي كانوا يستعملونها في معابدهم وفى التحنيط من جنوب جزيرة العرب، كما كانت تجلب الذهب والتوابل من السودان والنحاس الأحمر وحجر الزبرجد والفيروز من مناجم طور سيناء والفضة من طوروس وأخشاب الأرز من لبنان، وكانت بلاد كنعان إذ ذاك حلقة وصل بين مصر وكل هذه الأقطار وقد احتلت مركزا مهما من النواحى الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية، وذلك باعتبارها ممرا دوليا على الطريق التجارى الرئيسى للعالم القديم. لذلك فإن ذهاب إبراهيم الخليل إلى مصر كان أمرا طبيعيا نظرا للروابط المتينة والصلات الوثيقة التي كانت تربط الكنعانيين بمصر فقد كانت مصر تشكل الموئل الطبيعى الذي يتجه إليه الكنعانيون في حالات المحل والقحط للاكتيال منها.

(١) انظر الدكتور أحمد سوسة، " وادى الفرات "، الجزء الثانى.

(2) J.G Macqueen, “Babylon”, London, 1964, p. 38.

١٦ ـ أين اليهود من عصر إبراهيم الخليل!

لقد سبقت الإشارة إلى أن أكثر الكتاب المتأثرين بالتوراة درجوا على ربط تاريخ اليهود بإبرهيم الخليل وقد أخذ عنهم الكتاب العرب هذه الادعاءات المخالفة للواقع التاريخى دون تمحيص. ومن الأقوال التي شاع ترديدها وتناقلها الكتاب والمؤرخون من الإفرنج والعرب أن جماعة من اليهود هاجروا مع إبراهيم الخليل من العراق إلى فلسطين، بل راحوا إلى أبعد من ذلك فاعتبروا إبراهيم الخليل عبريا بمعنى يهوديا نتيجة الخلط بين كلمة العبرى القديمة واليهود ذلك الخلط الذي أوضحناه فيما تقدم[١].

ومن أغرب ما قيل في ذلك هو تعيين عدد اليهود الذين رافقوا إبراهيم الخليل في رحلته من العراق، وقد اعتبروا على هذا الأساس أن اليهود يعودون إلى المكان الذي نشأ فيه إبرهيم الخليل وهو أرض العراق. ومن هؤلاء الأستاذ أحمد زكى البدوى الذي يقول ما نصه بالحرف الواحد: " رحل إبراهيم متزعما الإسرائيليين (اليهود) إلى فلسطين " [٢].

وقد نقلت نشرة أصدرتها وزارة الثقافة والإعلام العراقية عن فلسطين من أرشيفها في طبعتها الثانية [٣] ما يشير إلى أن " إبراهيم وأهله هاجروا من مدينة أور في العراق سنة ١٨٠٦ ق. م وكان عدد اليهود الذي رافقوه في هذه الهجرة قليلا.. وقد انتهت هذه الهجرة عام ١٦٥٦ " وقد ذكر الأستاذ إميل الغورى عضو الهيئة العربية العليا نفس الكلام [٤]. والواقع أن الكتاب العرب قد استندوا في نقل مثل هذه الادعاءات إلى المصادر الأجنبية، وهى مصادر يهودية في معظمها دون أن ينتبهوا إلى التسلسل الزمنى للحوادث التاريخية.

وقد سبقت الإشارة إلى أن مدونى التوراة تعمدوا إهمال التسلسل الزمنى وذلك لإفساح المجال أمامهم لإرجاع تاريخ اليهود إلى أزمنة سابقة لوجودهم ومنها عصر إبراهيم الخليل [٥].

---

(١) انظر ماتقدم عن مسألة العبرى والعبيرو في نفس هذا الفصل.
(٢) " تاريخ التطور الدينى "، ص ٣٣.
(٣) النشرة رقم (١)، الطبعة الثانية، ص ٦.
(٤) إميل الغورى، " فلسطين "، وزارة الإرشاد القومى العراقية، رقم ٤٤، ١٩٦٣.
(٥) انظر ما تقدم في الفصل الرابع عن عصر إبراهيم الخليل.

ففى كتاب سولوف " كيف نما الشعب اليهودى " [1]مثلا نجد ما يفيد أن

(1) Mordecoi I. Solaff. "How the Jewish people grew up?.."
هذا ما يقوله سولوف وقد جاراه فيه كثير من العلماء والأساتذة مع الأسف ولكن هلا يكون بإمكان أولئك الأفاضل أعلامنا عما سيكون عليه مصير التوراة التي بين أيدينا في حال ثبوت هذا الزعم؟!..
فالتوراة تؤكد دعوة الرب إبراهيم بمفرده بدلالة ما يلي:
(أ) " وقال الرب لإبرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك " (تك، ١٢ : ١) " فذهب إبرام كما قال له الرب وذهب معه لوط، وكان إبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حارات، فأخذ إبرام ساراي امرأته ولوطًا ابن أخيه وكل مقتنياتهما التي اقتنيا والنفوس التي امتلكا في حاران، وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان ، فأتوا أرض كنعان " (تك، ٢٤: ٤ - ٥).
فأين هم اليهود الذين قادهم إبراهيم في هجرته إلى أرض كنعان؟!..
(ب) تؤكد التوراة كون إبراهيم عليه السلام فردًا بين الكنعانيين:
" وشاخ إبراهيم وتقدم في الأيام، وبارك الرب إبراهيم في كل شيء، وقال إبراهيم لعبده كبير بيته المستولي على كل ما كان له، ضع يدك تحت فخذي، فأستحلفك بالرب إله السماء وإله الأرض أن لاتأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم، بل إلى أرضي وإلى عشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لابني إسحاق "، (تك، ٢٤: ١ - ٤) " ثم أخذ العبد عشرة من جمال مولاه ومضى وجميع خيرات مولاه في يده، فقام وذهب إلى أرام النهرين إلى مدينة ناحور " (تك، ٢٤ : ١٠ وكذا راجع كامل الإصحاح ٢٤). ط =
=فلو كان هناك يهود قادهم إبراهيم إلى أرض كنعان وإن لم يكن بإمكانه أن يزوج ابنه الوحيد من إحدى بناتهم وتقر عينه بدلاً من إرسال عبده إلى آرام النهرين إلى عشيرته فلا تقر عينه بزواج ولده الوحيد.
وكذلك فعل إسحاق عندما أوصى ولده يعقوب بأن يذهب إلى حاران ليأخذ له زوجة من هناك (تك، ٢٨: ١ - ٢) ولقد ولد أولاد يعقوب جميعهم وهم كل ذرية إبراهيم الخليل في فدان أرام (تك، ٣٥: ٢٣ - ٢٦)، وكان يعقوب (إسرائيل) يصف نفسه وأباه إبراهيم بالآرامي التائه (تك، ٢٦: ٥).
فكيف يكون إبراهيم وإسحاق ويعقوب أراميين ويهودا، في آن واحد.
(ج) لو كان هناك يهودا فهم لا براح عشيرة إبراهيم ولكن إبراهيم خلف عشيرته في آرام النهرين كما جاء أعلاه وإذا كان هناك يعود غير عشيرة إبراهيم فكيف يعودون إليه بحسب مآثر التوراة.

الشعب اليهودى نزح إلى فلسطين من بلاد الرافدين في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد بقيادة إبراهيم الخليل ولم يكن عددهم آنذاك يتجاوز أربعة آلاف شخص [(١)]، وهذا هراء في هراء ليست له أى نصيب من الصحة ولا أى سند من واقع التاريخ، ولكن لم يزل عدد غير قليل من الكتاب العرب من يأخذ بهذا التزييف. وكتاب سولوف المذكور يدرس الآن في أمريكا في المدارس اليهودية وغير اليهودية باعتباره يمثل تاريخ اليهود، ولم يتصد أحد من المؤرخين والباحثين لتفنيد هذه الادعاءات الوهمية، ولنا أن نسأل أين دعاية العرب من هذه الادعاءات المزيفة؟ هل رد أحد عليها؟ هل أدخل العرب في مدارسهم منهجا لتوضيح حقيقة تاريخ فلسطين القديم ودور اليهود فيه؟

ومن حقنا ومن حق كل باحث أن يسأل: كيف يمكن أن يكون إبراهيم الخليل يهوديا وقد عاش قبل أن يعرف التاريخ جماعة يسمون أنفسهم يهودا بحوالى ألف وثلاثمائة عام؟ ثم أين كان الشعب اليهودى في سنة ٤٠٠٠ ق.م لاسيما وأن تسمية يهود لم تظهر إلى عالم الوجود إلا بعد ٢٣٠٠ عام من هذا التاريخ، كما أن إبراهيم الخليل نفسه لم يظهر إلا بعد أكثر من ألفى عام من التاريخ نفسه.

ولنا أن نسأل أيضا: كيف جاء اليهود إلى العراق وكيف اتصلوا بإبراهيم الخليل في حين أنه لم يكن لهم أى وجود بعد؟ وكيف يتزعم إبراهيم الخليل اليهود في رحيله إلى فلسطين قبل أن يكون قد خلق يهوذا الذي جاءت تسمية يهود منه أو يكون قد خلق يعقوب (إسرائيل)؟

نعم، إن العراق حوى اليهود، ولكن حواهم كأسرى في زمن نبوخذ نصر، وكان ذلك بعد إبراهيم الخليل بأكثر من ألف وثلاثمائة عام، ولم يكن لهم أى وجود في العراق لا من بعيد ولا من قريب في عهد إبراهيم الخليل لأنهم لم يكونوا قد ظهروا للوجود بعد.

ويميل بعض الباحثين إلى الاعتقاد أن اليهود تعمدوا نشر قصص التوراة

(د) لو كان إبراهيم قد قاد اليهود وعددهم ٤٠٠٠ رجل فكيف يكون آراميًا تائهًا بحسب وصف حفيده يعقوب له و ٤٠٠٠ رجل في تلك الأيام البعيدة كانت تشكل جيشًا كاملا؟...

فهلا نحصل على جواب على تساؤلنا من سولوف ومن أولئك الذين ينحون منحاه؟!..

(١) شريف يوسف، " تاريخ اليهود كما يلقنه الصهاينة لأبنائهم "، العربى، - العدد ١٠٨، تشرين الثانى ١٩٦٧، ص ١٠٥.

والتلمود بين العرب لأسباب سياسية ودينية وأنها في حقيقة الأمر دسيسة لفقها اليهود لعرب تزلفا إليهم واحتيالا على كسب عطفهم وتوثيق عرى المودة والألفة بينهم. فيقول أحد العلماء: " إن هذه الطريقة هى من سنن اليهود المألوفة إذ لوحظ عليهم كثيرا أنهم متى رأوا المصلحة في التودد إلى قوم قالوا لهم أنتم إخواننا ونحن وأنت صنوان. وظلوا منذ ذلك العهد إلى ظهور الإسلام وهم يبذلون جهدهم في إشراب العرب عقيدة كونهم وإياهم ذرية أب واحد حتى نجعت فيهم هذه الأكذوبة التي كان العرب أجهل من أن يتبينوا ما فيها من كذب وتلفيق " (١).

١٧ ـ هجرة إبراهيم الخليل من العراق وهجرة جماعة موسى من مصر:

لقد اعتاد أكثر الكتاب والمؤرخين ومنهم الباحثون العرب، أن يعتبروا هجرة إبراهيم الخليل من العراق وهجرة جماعة موسى من مصر وكأنهما هجرتين لقوم واحد أو لجماعة واحدة، فقالوا هجرة العبرانيين بمعنى اليهود الأول، أى هجرة إبراهيم الخليل، وهجرتهم الثانية أى خروج جماعة موسى من مصر، وشتان ما بينهما إذ لا توجد أية علاقة بين الهجرتين، فهجرة إبراهيم الخليل من مسقط رأسه العراق وقعت في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، أى قبل ظهور جماعة موسى بسبعة قرون، وكانت لهجرته هذه أسبابها وأهدافها السامية، فقد اضطر إبراهيم بسبب دعوته إلى عقيدة التوحيد وتبشيره بها بين مواطنيه الوثنيين إلى مغادرة العراق تحت ضغط السكان ورجال الدين في ظروف مشابهة لظروف النبى محمد عليه الصلاة والسلام عند هجرته من مكة المكرمة، أما الهجرة الثانية، هجرة جماعة موسى من مصر إلى فلسطين والمعروفة بالخروج، فقد حدثت في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وتنسب التوراة إلى موسى زورا أن الإله " يهوه " إله اليهود أمره بأن يحتل فلسطين الأرض الموعودة بعد إبادة سكانها، شيوخًا ونساء وأطفالا، ليحل اليهود محلهم فيها.

١٨ ـ بداية تاريخ اليهود وصلتها بهجرة إبراهيم الخليل:

وكما أن الكتاب صاروا يخلطون بين هجرة إبراهيم الخليل من العراق وهجرة جماعة موسى من مصر كذلك صاروا يربطون بداية تاريخ اليهود بهجرة إبراهيم الخليل من أرض العراق. وهذا لا يتفق والحقائق التاريخية، لأن تسمية يهود ظهرت بعد وجود مملكة يهوذا التي اشتق منها اسم يهود. لذلك فإن بداية تاريخهم لا يمكن أن تحدد بغير زمن الخروج حين ظهر أتباع موسى على مسرح

(١) ولفنسون، " تاريخ اليهود في بلاد العرب "، ص ٧٥.

الأحداث في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وفضلا عن ذلك فإننا لو استعرضنا تسلسل الأحداث الواقعية لتوصلنا إلى أن إبراهيم الخليل لم يرتبط بأية صلة باليهود لا من حيث العصر ولا من حيث المبدأ والعقيدة ولا من حيث اللغة أو القومية. فقد عاش إبراهيم الخليل في بيئة واسعة النطاق تشمل جميع بلاد الشرق الأدنى التي كانت تتسم بالقومية السامية العربية لارتباطه بعالمه الواسع الذي كان يضم الجزيرة العربية وطن آبائه الأصلى ومعها العراق وسورية وفلسطين ومصر. لذلك يجب على الباحثين والمؤرخين تمسكا بأمانة البحث وأسلوب المنطق ومراعاة للتسلسل التاريخى ألا يخلطوا بين دور إبراهيم الخليل ودور اليهود، الدورين الذين تفصل بينهما سبعة قرون من الزمن.

ويلاحظ أنه ما يزال هناك بعض أساتذة التاريخ عندنا يأخذون بالنظرية القائلة بأن تاريخ اليهود يبدأ بسفر إبراهيم الخليل من أرض العراق، فقد أفاد الأستاذ الدكتور محمد رشيد الفيل صاحب الدراسات الجغرافية والتاريخية القيمة أن " تاريخ اليهود يبدأ بسفر إبراهيم من أرض الكلدانيين غربا إلى أرض كنعان " [١]، وهذا مأخوذ طبعا من الكتابات الكثيرة التي أخذت بهذا المفهوم الخاطئ الشائع عن قصد أو غير قصد.

ومن هذه الكتابات ما قرأناه للكاتب السياسى الألمانى المعروف، الدكتور غروبا، أنه يطلق على إبراهيم الخليل فيما كتبه عنه أنه ملك اليهود[٢]. ومن الواضح هنا أن الدكتور غروبا متأثر بالتوارة كبقية المسيحيين يربط عصر إبراهيم الخليل بزمن اليهود من غير ملاحظة للتسلسل الزمنى.

وقد قلد الكتاب العرب الكتاب الأجانب في ربط وجود اليهود واليهودية بعهد إبراهيم الخليل حتى في عناوين مؤلفاتهم، فقد اتخذ الدكتور رياض بارودى مثلا عنوان " اليهودية العالمية منذ زمن إبراهيم إلى وقتنا الحاضر " لكتابه، فمن حق الباحث أن يسأل المؤلف: أين كانت اليهودية في زمن إبراهيم الخليل، وهل كانت هناك يهودية في عهده؟ [٣].

(١) " اليهود وعلم الأجناس "، ص ٨٢.

(٢) " العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب "، ترجمة الأستاذ نجدة فتحى صفوت، ١٩٦٩، ص ١٢٤.

(٣) أن تسمية يهود نسبت إلى مملكة ومنطقة يهوذا (٩٣١ - ٥٨٦ ق.م) ولم تستعمل على ما وصل إليه علمنا إلا في عهد مملكة يهوذا، لذلك فهى تسمية متأخرة ولا صلة لها

١٩ ـ العقاد في كتابه " أبو الأنبياء ":

وأحسن الكتاب العرب الذين كتبوا في هذا الموضوع هو في نظرنا، المرحوم عباس محمود العقاد، الكاتب العربى المعروف في كتابه " أبو الأنبياء " فعلى رغم اتسام كتابه هذا بطابع أدبى فقد تناول حقائق تاريخية ذات أهمية بالغة، ومما قاله في هذا الصدد: " أن الدعوات النبوية التي بدأتها سلالة إبراهيم دعوة لم يظهر لها نظير في غير الأمم العربية، والأمم السامية، وقد ختمت بدعوة محمد وجاءت دعوة محمد متتمة لها، فلا تفهم واحدة منها منفصلة عن سائرها، بترتيب كل منها في زمانها، وعلاقة كل منها بمكانها، فلا لبس فيها من جانب العصر ولا من جانب البيئة، ومن قرائن الثبوت أن هذه الدعوات النبوية نسبت إلى أصل واحد هو السلالة السامية العربية، قبل أن يعرف الناس علم المقارنة بين اللغات.. وقد كان إبراهيم زعيم قبيلة بادية مضطلعا في شؤون الجزيرة وأحوال العرب وزعمائهم وعاداتهم فلا يمكن أن يقال عنه أنه إسرائيلى لأن كلمة إسرائيل أول ما استعملت أطلقت على يعقوب حفيد إبراهيم، ولا يمكن أن يقال عنه أنه يهودى لأن اليهودية نسبت إلى يهوذا رابع أبناء يعقوب [1]، ولا يقال عنه أنه عبرى إذا كان مقصودا بالعبرية لغة مميزة بين اللغات السامية تتفاهم بها طائفة من الساميين دون سائر الطوائف.

فالعبرية كانت كلمة عامة تطلق على طائفة كبيرة من القبائل الرحل في صحراء الشام، وكان من أبناء هذه القبائل من يعمل كالجنود المرتزقة، وبهذا

بيهوذا ويعقوب الذين عاشا في القرن السابع عشر قبل الميلاد، ولعل يهوذا كانت مثل إسرائيل اسم مدينة في فلسطين منذ عهد الكنعانيين.

(١) لقد درج أكثر الكتاب والباحثين على الأخذ بهذا الرأى، أى أن تسمية " يهود " منسوبة إلى يهوذا رابع أبناء يعقوب، وهذا يخالف الواقع لأن اليهود لم يكونوا قد وجدوا في عهد يعقوب وابنه يهوذا، فقد وجدوا بعد ظهور موسى وجماعته أى بعد عهد يعقوب بأكثر من ستمائة عام، وتسمية يهوذا مثل تسمية إسرائيل كانت تطلق على إحدى المناطق الكنعانية في فلسطين منذ العهد الكنعانى القديم جريا على العادة المتبعة في تسمية المدن والمناطق بأسماء الأشخاص من ذوى الشهرة الذين يتخذون هذه الأماكن مساكن لهم، وبعد أن نزحت جماعة موسى إلى فلسطين تكونت مملكة يهوذا بعد عصر يعقوب وابنه يهوذا بحوالى= =ألف عام في منطقة يهوذا الكنعانية فسميت باسمها، ثم انتشر استعمال اسم اليهود بعد السبى البابلى نسبة إلى مملكة يهوذا المنقرضة، فقد وردت تسمية يهودى في كتابات الملك الأشورى سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق.م).

المعنى وردت كلمة العبرى والإبرى والهبيرى وما قاربها لفظا في المدونات التي عثر عليها في تل العمارنة وفلسطين وآسية الصغرى والعراق، وجاءت بهذا المعنى في الكتابات المسمارية والفرعونية ولم يكن لليهود وجود في ذلك الحين. فإبراهيم كان يتكلم لغة يفهمها جميع السكان في بقاع النهرين وكنعان، ولم تكن العبرية قد انفصلت عن سائر اللغات السامية في تلك الأيام، وقد يقال عنه أنه سامى ينتمى إلى سام بن نوح، ولكنها نسبة إلى جد وليست نسبة إلى قوم وقد تكلم باللغة السامية أناس كالأحباش ليسوا من السريان ولا من الأراميين ولا من الحيريين، فإذا فتشنا عن نسبة لإبراهيم لم نجد أصدق من النسبة العربية كما كانت العربية يومئذ بين جزيرة العرب وبقاع الهلال الخصيب ".

* * *

الفصل السادس

عصر النبى موسى واليهود

١ ـ تمهيد:

لقد سبق أن أشرنا إلى أن النبى موسى على رأس الباحثين مصرى تربى في البلاد الفرعونى، وكان قائدا مصريا، وأن حملته على أرض كنعان " فلسطين " التي أطلق عليها كتبة التوراة " خروج بنى إسرائيل " إن هى إلا حملة مصرية مؤلفة من جماعة من الجنود المصريين ومعهم فلول من بقايا الهكسوس الذين كانوا يدينون بدين التوحيد الذي ورثوه عن أخناتون، فاضطروا إلى الهرب من مصر من وجه اضطهاد السلطة الحاكمة وضغط السكان الوثنيين بعد موت أخناتون، وقد جاءوا بقيادة النبى موسى ليحتلوا بقعة من الأرض المعمورة في كنعان يأوون إليها، وهؤلاء هم " قوم موسى " جاءوا إلى أرض كنعان وهم غرباء عنها يتكلمون اللغة المصرية ولم تكن لهم أية صلة ببنى إسرائيل الذي كانوا قد جاءوا إلى مصر في عهد يوسف قبل عصر موسى بستمائة عام والذين انصهروا واندمجوا بشعب مصر وبيئة مصر نهائيا، كما سبق وشرحنا الغرض الذي من أجله سمى كتبة التوراة هذه الجماعة ببنى إسرائيل وهو إرجاع أصلها إلى أقدس العروق من الأجناس البشرية فربطوا صلة هذه الجماعة مباشرة بإبراهيم الخليل وبحفيده يعقوب وبكل مكان مقدس من فلسطين وجعلوا كل التوراة تدور حولهم وقد اعتبروا من سمى ببنى إسرائيل موجودين في كل زمان ومكان وأنهم وجدوا حتى قبل أن يخلق يعقوب (إسرائيل) وما بعده بعدة قرون.

٢ ـ شخصية النبى موسى وديانته التوحيدية الخالصة:

إن أقدم ما وصل إلينا عن نظرية كون موسى مصريا: عدا ما اتصل اسمه بالمصرى وما ورد في التوراة من أنه تربى في البلاط الفرعونى وأن ابنة فرعون اتخذته ابنا لها [١]، ما رواه المؤرخ اليهودى الشهير فلافيوس يوسفوس الذي عاش في القرن الأول الميلادى [٢]، أنه قبل حوالى ألف سنة، من أن موسى

(١) (خر، ٢: ١٠).

(٢) يوسفوس (٣٧ / ٣٨ ـ ٩٣م)، كاهن مؤرخ يهودى ولد في القدس، كان مضطلعا في الفقه اليهودى، انضم إلى فرقة الفريسيين، أوفد سنة ٦٤ م كمندوب عن اليهود للمفاوضة مع الرومان حول إطلاق سراح بعض الأسرى من اليهود، فحظى في روما بالمثول بين يدى الإمبراطورة " بوبايا " Poppaea، اشترك في حرب اليهود ضد الرومان سنة ٦٦ م، ووقع أسيرا بيد الرومان ٦٧م، وأنقذت حياته بتحقيق تنبوآته بأن فسياسيانوس سيصبح إمبراطورا، فأطلق سراحه سنة ٦٩م، اعتبره اليهود خائنا لأنه عمل مع تيتوس كمترجم= =عندما ضرب تيتوس حصارا حول أورشليم، ثم رافق

كان حاكما أو كاهنا مصريا، وقد كان قائدا كبيرا بالجيش المصرى خلال الحملة المصرية على الحبشة التي حقق فيها نصرا كبيرا، وقد تزوج هناك من " تربيس " بنت ملك الحبشة [١]، كما أن الفيلسوف اليهودى الإسكندرى " فيلون " (٣٠ ق.م - ٤٠ ب.م) أيد بأن موسى كان مصريا، وبذلك يكون كلاهما قد خالفا الإجماع اليهودى على عبريته [٢]، وقد ورد في التوراة ما يؤيد زواج موسى في الحبشة، فقالت أنه تزوج من امرأة كوشية (أثيوبية)، كما ورد في التوراة أنه تزوج أيضا من ابنة يثرون كاهن مديان [٣]. ففى كلا الزواجين لم نجد ظاهرة تدل على أنه كان لموسى صلة ببنى إسرائيل الذين عاشوا قبل حوالى ستمائة عام من عصره[٤].

وفى التوراة أيضا ما يشير إلى أن موسى سمى بالمصرى في قول بنات يثرون لآبيهن عن نجدة موسى لهن من الرعاة " فقلن رجل مصرى أنقذنا من أيدى الرعاة وأنه استقى لنا أيضا وسقى الغنم " [٥].

ويؤكد ول ديورانت أن موسى اسم مصرى ولعله اختصار للفظ حموس [٦]، ويقول نقلا عن جارستانج عضو بعثة مارستن التابعة لجامعة لفربول أنه اكتشف في مقابر أريحا الملكية أدلة تثبت أن موسى قد أنجبته في عام ١٥٣٧ق.م. بالتحقيق الأميرة حتشبسوت (الملكة حتشبسوت فيما بعد ١٥٠١ - ١٤٧٩ ق.م)

تيتوس إلى روما حيث منح معاشا وحقوق المواطن، وله من المؤلفات: " حرب اليهود "، و " تاريخ اليهود القديم " و " تاريخ حياته "، و " رسالة في الدفاع عن اليهود " (دائرة المعارف البريطانية ج١٣، ص ٨٩)، لقد ترجم كتاب " تاريخ اليهود القديم "، إلى العربية وطبع في المطبعة العلمية ليوسف صادر في بيروت.

(١) الدكتور أحمد شلبى، " مقارنة الأديان اليهودية "، ص٤٣.
انظر أيضا:

Freud “Moses and Monotheism”,P. 47; Josephus, “Antiquities”, ch.2,PP. 7 - 11; Rappoport, “Myth and Legend of Ancient Israel”, P. 365.

(٢) الدكتور سامى سعيد الأحمد، " الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية "، ص ١٣.
(٣) (عد، ١٢: ١).
(٤) (خر، ٢: ٢١).
(٥) (خر، ٣: ١٩).
(٦) انظر ما تقدم عن اسم الفرعون " أح موسى " مؤسس السلالة الثامنة عشرة.

وأنه تربى في بلاطها بين حاشيتها، وأنه فر من مصر حين جلس على العرش عدوها تحوطمس الثالث (١٤٧٩ - ١٤٤٧ ق.م).

ويضيف ديورانت أن يوسفوس ينقل عن مانيثون - وهو مؤرخ مصرى عاش في القرن الثالث قبل الميلاد - أن موسى كان كاهنا مصريا خرج للتبشير بديانة التوحيد(١). وقد ورد في التقليد أن ابنة فرعون أقامت عليه أساتذة من الكهنة يفقهونه علوم المصريين (٢).

ويذهب بريستد إلى أن موسى اسم مصرى بل هو نفس الكلمة المصرية القديمة " مس " ومعناه طفل وهى مختصرة من اسم مركب كامل الأسماء " أمن مس " ومعناه " أمون الطفل " أو " بتاح مس " ومعناه بتاح الطفل.

ولاشك أن والد موسى كان قد وضع قبل اسم ابنه اسم إله مصرى مثل أمون أو بتاح، ثم زال ذلك الاسم الإلهى تدريجيا بكثرة التداول حتى صار الولد يسمى موسى (٣).

وهناك رواية أخرى ذكرها المؤرخ اليهودى يوسفوس هى أن ترموثيس Thermuthis هو الذي اختار لموسى هذا الاسم لينسجم مع رواية انتشاله من النهر وهو مؤلف من كلمتين " مو " ومعناها الماء عند المصريين و " أوسى " التي تشير إلى معنى الإنقاذ من مكان ما (٤).

وقد نقل المؤرخ اليهودى يوسفوس (القرن الأول الميلادى) عن مانيثون الذي عاش وكتب تاريخه المشهور في حدود سنة ٢٨٠ ق.م، أن موسى من أهل هليوبولس وأحد كهانها وكان اسمه أوسارسيف على اسم أوسيرس إله هليوبولس ولكنه بدل اسمه إلى موسى، وأنه تزعم ثورة على عبادة الأوثان التي كان يعمل بها السكان (٥).

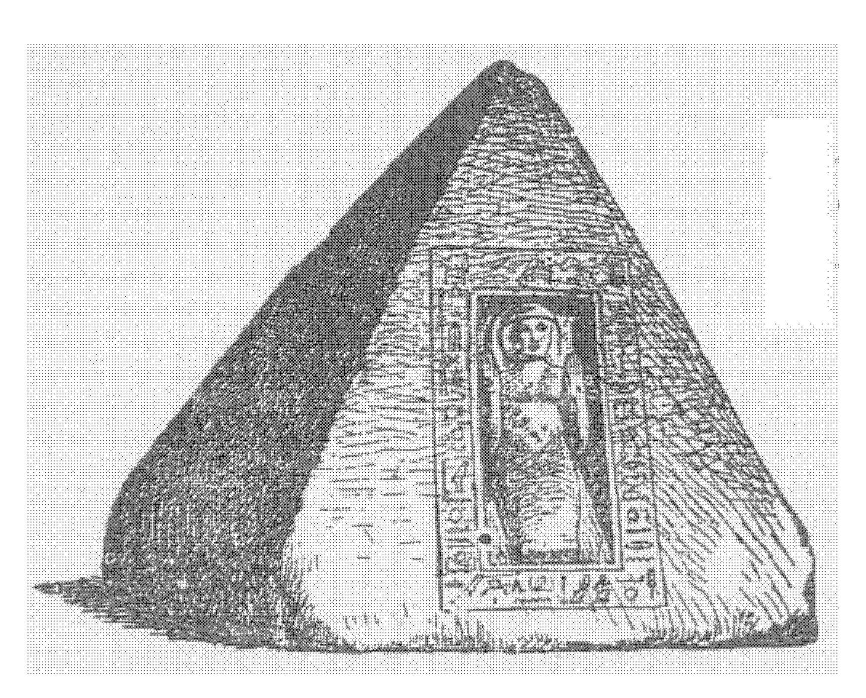
ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن الكاهن الأعلى لمدينة ممفيس، عاصمة مصر المشهورة في عهد تحوطمس الثالث (١٤٧٩ - ١٤٤٧ ق.م) كان يدعى "

---

(١) ول ديورانت، " قصة الحضارة "، الترجمة العربية، ج٢، م١، ص٣٢٦.
(٢) المطران يوسف الدبس، " تاريخ سورية "، ١٨٩٥، ج١، م٢، ص ٩١.
(٣) " فجر الضمير "، ترجمة الدكتور سليم حسن، ص ٢٧٦.
(4) W. Whiston, “The Complete Works of Josephus”, “Antiquities “m Book 11, Chap IX, P. 33.
(٥) المرجع السابق، ص ٥٤٣ - ٥٤٨.

بتاح موسى " وقد عثر على هرم له (انظر التصوير رقم ٨١). وبتاح هو أهم آلهة ممفيس قدسه معظم المصريين واعتقدوا أنه هو الذي خلق الدنيا، ثم تطور هذا الاعتقاد فيما بعد فتوصلوا إلى أنه أبو جميع الآلهة، الإله العظيم صاحب البداية الأولى، " أول إله في الخليقة " (١).

ومن العلماء المحدثين الذين بحثوا هذه الناحية من حياة النبى موسى العالم النفسانى المشهور سجمند فرويد، ففى تحليله لشخصية موسى في كتابه المعروف " موسى والتوحيد " الذي كتبه عام ١٩٣٨م قبيل وفاته انتهى إلى أن موسى كان مصريا وليس إسرائيليا مما أثار غضب الصهيونية عليه، لأن الصهيونية كما هو معلوم لا تقر بغير يهودية موسى المتصلة بنسب إبراهيم الخليل وبيعقوب، مع أن البعض يقر مصرية موسى من حيث نشأته ويعده يهوديا من حيث مولده (٢).



تصوير رقم ٨١
هرم " بتاح موسى " الكاهن الأعلى لمفيس عاصمة مصر الفرعونية يرجع تاريخه

(١) أدولف أرمان، " ديانة مصر القديمة "، ص ٢٩، ٣١٤.
(٢) انظر ما تقدم عن " عصر إبراهيم وإسحاق ويعقوب هو غير عصر موسى ولا صلة بينهما "، في الفصل الخاص، كذلك " تاريخ التوراة، لغتها ومكان ظهورها "، في الفصل الثالث.

إلى عهد تحوطمس الثالث (١٤٧٩ - ١٤٤٧ ق.م) - عن أرمان
" ديانة مصر القديمة "، ص ٣١٤ (برلين ٢٢٧٦)

لذلك هاجم الصهيونيون هذا الكتاب وحطوا من أهميته وقيمته التاريخية واعتبروه دون المستوى الذي اعتاد أن يقدمه للناس فعدوا كتابه نتاج عقل زحفت عليه الشيخوخة فأفسدت أحكامه ورجوا، من قبيل التكريم لفرويد، فيما زعموا، لو مضى الكتاب دون أن يتنبه إليه أحد وقال بعضهم تعقيبا على الكتاب: أنه لو لم يكن من تأليف فرويد لكان الأرجح ألا يجد ناشرا يقبل نشره، وهاجمه موريس كوهن أحد فقهاء التلمود قائلا: " لو أن شخصا آخر كتب هذا الكتاب لكان خليقا أن نعده كتابا لأفاق مكابر. ثم عاد وقال: " صحيح أن هذا الكتاب الذي يفتقر إلى الأسس السليمة لن يضل أى باحث جاد في اليهودية، ولكن يخشى أن يتأثر به جمهور القراء فيعدونه مساهمة ذات قيمة من التحليل النفسى في فهم التاريخ اليهودى " [١].

ومن ردود الكتاب اليهود على فرويد ونظريته رد دافيد باكان (David Bakan) أستاذ علم النفس بجامعة ميسورى الأميركية، فقد وضع مؤلفا بعنوان " سجموند فرويد والتراث اليهودى " وخرج فيه بأن فرويد تأثر ببعض التيارات الإلحادية المتوارثة بين يهود شرق أوربا، ثم يتهجم فيه على كتاب فرويد ككل ويصفه بأنه نتيجة حالة " خرف وشيخوخة " [٢].

ويعرب فرويد عن دهشته لأخذ المؤرخين بالفكرة القائلة أن موسى اسم مصرى وأنه تهذب بكل حكمة المصريين ولكن مع ذلك لم يخرج أحد منهم بالنتيجة المنطقية التي تترتب عليها استنتاجات تاريخية خطيرة، ويرجع فرويد ذلك إلى " أن التراث الإنجيلى كان سدا منيعا في وجههم، إذ ربما يبدو مريعا تصور أن موسى كان شيئا آخر غير كونه عبريا (يهوديا)، ولذلك فإن اكتشافهم أن الاسم المصرى لم يكن عاملا يدعوهم إلى الحكم على أصل الرجل. ولكن لما كانت جنسية هذا الرجل العظيم تعتبر في غاية الأهمية فإن أية مواد جديدة تقدم إجابة يجب الاهتمام بها " [٣].

ثم ينتهى فرويد إلى تكوين الرأى بثنائية العقيدة اليهودية، فيقول: " إن التاريخ

---

(١) الدكتور صبرى جرجس، " التراث اليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى "، ص ٣٩٧.
(٢) محمد العزب موسى، " موسى.. مصريا "، ص ٨١ - ٩٥.
(٣) محمد العزب موسى، " موسى.. مصريا "، ص ١٩ - ٢٠.

اليهودى يقوم على الثنائية، فقد كان هناك شعبان اندمجا معا في أمة واحدة ولم تلبث هذه الأمة أن انقسمت إلى مملكتين، وهناك اسمان للإله في أصل التوراة، بل كانت هناك عقيدتان في الواقع طردت الأولى بوساطة الثانية ولكنها لم تلبث أن ظهرت منتصرة في النهاية، وكان هناك مؤسسان لهاتين العقيدتين حمل الاثنان نفس الاسم (موسى). وقد قمنا في هذا البحث بالفصل بين الشخصيتين، وكل هذه الثنائيات جاءت كنتيجة ضرورية لنقطة البداية المزدوجة " [١].

وفى تحليل شخصية النبى موسى عليه السلام وما نسبه إليه كتبة التوراة من أعمال يقول الأستاذ لودز (Lods): " ونظرا لفقدان الوثائق المعاصرة لزمن موسى فقد أصبح من أصعب الأمور القول على وجه الصحة من كان موسى وما كان العمل الذي قام به؟ إلا أنه لا يسعنا التهرب من الاعتقاد بأنه لابد وأن تكون قد برزت، خلال التقليد الطويل شخصية قوية تولت الزعامة، لأننا حين نرتفع إلى مستوى عال في مجرى التكوين الحضارى نجد أن العوامل الأساسية التي تؤثر في الحياة الدينية عند الشعوب لا تقوم إلا على يد شخصيات قوية ذات مواهب خارقة هى التي تقرر مصير الدعوة التي تنطوى عليها هذه العوامل. إلا أن المحاولات في سبيل صياغة شخصية أسطورية خارقة للطبيعة من موسى كانت غير ناجحة.. إن موسى يمثل رمزا أسطوريا ولكن هناك وراء هذا الرمز الأسطورى حقيقة واقعية، هى أن هناك شخصية قوية برزت على أثر الاضطهاد المصرى " [٢].

٣ ـ قصة خروج موسى وجماعته من مصر:

أما قصة خروج موسى وجماعته من مصر ـ القصة التي استرسل كتبة التوراة في شرحها في سفر الخروج من العهد القديم ـ فهى لم تكن خرافية كما يرى البعض، وإنما هى حادثة تاريخية حقيقية تنطوى على خروج جماعة من مصر في عهد معين وتوجه هذه الجماعة نحو أرض كنعان المجاورة، وذلك بقيادة زعيم روحى عرفته الأجيال باسم النبى موسى. وقد شاءت الأقدار أن يسدل الستار عن حقيقة هذه الجماعة وأسباب خروجها، إذ لم يعثر حتى الآن على مصدر قديم من المخطوطات الآثارية يعاصر خروج هذه الجماعة من مصر يشرح لنا هويتها على حقيقتها أو الدوافع التي حملتها على الخروج من مصر.

(١) المرجع السابق، ص ٨٠.

(2) Lods, “Israel., PP. XV, 309.

والمصدر الوحيد الذي بين أيدينا عنها هو التوراة التي كتبها مدونوها في الأسر بعد ثمانمائة عام من الحادث، فجاءت القصة مشوهة ومحورة بالشكل الذي يخدم مقاصد خاصة وأهدافا معينة، فأصبحت في نظر الكثير أشبه بالأساطير الخيالية منها بالحقائق التاريخية.

إن أقدم ما وصل إلينا من معلومات عن قصة الخروج بعد التوراة ترجع إلى عهد يوسفوس المؤرخ اليهودى الشهير (القرن الأول الميلادى) الذي ينقل عن مانيثون المؤرخ المصرى الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد قوله: " إن سبب خروج جماعة موسى من مصر هو رغبة المصريين في أن يتقوا شر وباء تفشى بين العبريين المستعبدين المملقين " وقوله " إن موسى نفسه كان كاهنا مصريا خرج للتبشير بين اليهود " المجذومين " وأنهم علمهم قواعد النظافة على نسق القواعد المتبعة عند كهنة المصريين " [١].

ومن المتناقضات التي وردت في التوراة عند سردها قصة الخروج أنها بعد أن تصف بمنتهى التفصيل والتطويل والتكرار ممانعة فرعون بالسماح لجماعة موسى بالخروج من مصر تعد لتصفها كما لو كانت طردا من مصر [٢].

ويفسر روبنسون قصة الفرعون عدو موسى " بأنها قد انحدرت إلى اليهود من قصة مصرية تركز للصراع الدامى بين أحموسى وفرعون الهكسوس الشرير الذي هزمه أحموس واستكمل تحرير مصر بعد استشهاده والده " سقنن رع " ووفاة أخيه الملك " كاموسى ". فكان اليهود وفقا لهذه النظرية قد واءموا بين صراع أحموسى بطل مصر القومى ضد الهكسوس، وصراع موسى بطلهم القومى المصرى الأصل والذى تخصص بعبء قيادتهم وإخراجهم من مصر " [٣].

ولو سلطنا أضواء علم النفس على الفئة التي دونت التوراة، وهى نفسها من بقايا الجماعة التي خرجت من مصر قبل ثمانماية عام، لوجدنا أنها كانت فئة منبوذة مشردة قابعة في زاوية الأسر لا وطن لها، مهيضة الجناح، لا حول ولا قوة لها تستند إليهما، وهذه الفئة نفسها جلست لتدون تاريخ الجماعة التي هى من بقاياها كما سبق وسمعت به من الأسلاف عن خروجها من مصر قبل مدة غارقة

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٢٦.
(٢) (خر، ٦: ١، ١١: ١، ١٢: ٣١).
(٣) الأستاذ شبل، " مشكلة اليهودية العالمية "، ص ٣٨.

في القدم. أجل إنها جلست لتدون هذا التاريخ الذي لمست بعض خيوطه الغامضة، وهى غاطسة في خضم الأحلام التي كانت تساورها وتستأثر بتفكيرها، فتارة تحلم بالحصول على القوة التي تسندها، وتارة أخرى بالحياة الذي يرفع من منزلتها، ثم بالوطن الذي تأوى إليه، فاتخذت من إلهها " يهوه " ومن شخصية النبى موسى قوة دينية تتشبث بها على الأعداء كما اتخذت من إرجاع أصلها إلى إبراهيم الخليل وحفيده يعقوب عليهما السلام النسب الأصيل الذي يجعلها أهلا لتكون الشعب المختار، ومن كنعان اتخذت عقيدة " الوطن الموعود " الذي يفيض لبنا وعسلا وعزت كل ذلك إلى الإله " يهوه " وإلى إبراهيم ويعقوب وكلهم بريؤون منها.

وينفى العالم الألمانى الدكتور مورتكات ما جاء في أساطير التوراة القائلة بقرابة اليهود والأراميين الذين ينتمى إليهم إبراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب (إسرائيل) فيقول: " إن الأبحاث الأثرية برهنت على عدم صحة أكثر الأساطير التي وردت في التوراة كما وهناك أبحاث تبرهن على عكس هذه الأساطير التي تقول بقرابة الأراميين والعبريين (اليهود) [١]. ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن القرآن الكريم فرق بين بنى إسرائيل ذرية إبراهيم الخليل من جهة وبين اليهود من جهة أخرى، وذلك باستعمال اسمين لهذا القوم، فيطلق اسم بنى إسرائيل في مواضع الرضا ويسمون باليهود في حالات السخط عليهم وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

ولا ريب في أن كل جماعة تكتب تاريخها كما تحب وتوهى لا كما تريد الحقيقة المجردة من كل غرض، فهى تجتهد في إظهار أصلها مقترنا بأسمى الشخصيات من الأجداد التي تتمتع بماضى عريق وشهرة واسعة وفى مجرى التاريخ حوادث كثيرة من مثل هذا التمويه. وهذا يفسر لنا كيفية شيوع التقليد الذي تؤكده الكتابات اليهودية، قديما وحديثا، من أن إبراهيم الخليل غادر العراق ومعه اليهود إلى فلسطين، في حين أن اليهود ظهروا بعد إبراهيم الخليل بأكثر من ألف عام وقد قبلت الأجيال ذلك من غير تمحيص للتسلسل الزمنى وملاحظة العصور بحسب تواريخها، ويرى فرويد أن كتبة التوراة أدخلوا الآباء الأولين في ديانتهم واعتبروهم من أسلافهم بغية إعطاء دليل على أن اليهود ليسوا غرباء على أرض كنعان وأنهم لم يدخلوها بصفتهم غرباء، فيقول في ذلك أنهم " لجؤوا إلى هذه

(١) مورتكات، " تاريخ الشرق الأدنى القديم "، ص ٢٧٢.

الحيلة الماهرة وهى أن إلههم يهوه قد وعدهم بالأرض التي كان يحتلها أسلافهم بالفعل... أولئك الأسلاف الذين كانوا يعبدون يهوه أيضا تحت اسم آخر " [١].

وبهذا يسلط فرويد الضوء على حقيقة هامة هى أن اليهود لم يكن لهم حق تاريخى في دخول أرض كنعان وإنما افتعلوا هذا الحق افتعالا وبذلك يعتبر أن استقرارهم في كنعان بصورة مؤقتة لن يغير من حقيقة كونهم غرباء عليها.

تلك هى الحوافز النفسية التي كانت تحون حول تفكير هذه الزمرة الكهنوتية عندما جلست لتدون تاريخ جماعتها مستمدة من حوادث وشخصيات تاريخية معينة القواعد التي بنت عليها ما عن لها من أهواء وتخيلات للتنفيس عما كانت تشعر به من ضيق ويأس ومن عقد نفسية مستحوذة عليها، فاتخذت من حادث خروج موسى وجماعته من مصر قبل ثمانماية عام، وهى من بقايا هذه الجماعة كما أسلفنا القول في ذلك، قصة مطولة تهدف بالدرجة الأولى إلى تحقيق الأهداف الثلاثة: الحصول على قوة الإله والنبى، والتشبه برفعة الأصل، والتمتع بالوطن الطيب الموعود. فالقصة في جملتها تدور حول هذه الأهداف الثلاثة. انطلاقا من هذه الأحاسيس والعقد النفسية اتخذ كتبة التوراة من النبى موسى بطلها ومن الإله " يهوه " ربها الخاص بها ونسبوا كل شئ تمنوه وله صلة بمصلحتهم إليهما. كما اتخذوا من يعقوب (إسرائيل) النسب واعتبروه جدهم ومن إبرام (إبراهيم الخليل) الصلة الروحية واعتبروه جدهم الأكبر: وكانت هذه الشخصيات تتمتع بقدسيتها الموروثة وسمو مسلكها الكهنوتى في البلاد.

كما اتخذوا من القواعد الأساسية لديانتهم ما دونه هؤلاء الكتبة على لسان إبراهيم وإسحاق ويعقوب والإله الرب وبخاصة ما يتعلق ببدعة " الأرض الموعودة " التي لا أصل لها على الإطلاق وإنما هى من نسج الخيال الروائى، كما أن ما نسبوه إلى جماعتهم من نسب يرجع إلى يعقوب وإبراهيم الخليل هو بدوره من قبيل التفاخر بإرجاع أصلهم المجهول إلى أقدس شخصيتين روحيتين في البلاد.

فقد ورد اسم يعقوب في الكتابات الأرامية التي ترجع إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وهو عصر يعقوب بالذات، لموضع في منطقة " حاران " (حران حاليا).

---

(١) محمد العزب موسى، " موسى.. مصريا "، ص ٧١ - ٧٢.

كما ورد اسم إبرام وإسرائيل في الكتابات المصرية لموضعين في كنعان، وهذه أسماء كنعانية مقدسة كانت تطلق على الأشخاص والأماكن تبركا بها، وذلك قبل عهد الخروج وقبل تدوين التوراة بألف وخمسمائة عام على أقل تقدير.

ويؤكد ذلك الأستاذ يرميا Jeremias فيقول أن إبراهيم ويعقوب كانا زعيمين دينيين ورئيسيين من كبار رؤساء القبائل وكانا يتمتعان بمكانة قدسية في البلاد [١].

والنظرية التي يعتمد عليها اليوم عدد غير قليل من العلماء هى أن الأسماء التي أطلقها كتبة الأسفار على أبطال قصصهم هى في الأصل أسماء كنعانية لأشخاص لهم مكانتهم السامية في مجتمعهم القديم، عرف كل منهم بإقامته في إحدى الأمكنة من فلسطين فسميت هذه الأماكن بأسمائهم تكريما لأصحابها، وهؤلاء هم الذين اتخذهم كتبة التوراة أسلافا لهم. وهكذا فقد حاك اليهود حول هذه الشخصيات وأمكنة سكناها ما شاء لهم الهوى من القصص والأساطير واحتكروها باسم أسلافهم المزعومين [٢]، وفى ذلك يقول الكاتب الفرنسى جان لوى برنار:

" ونتحسس كل التحسس أن الأحبار قد اقتبسوا من تواريخ الأقطار التي جاسوا خلالها بعض الحكايات (فعبرنوا) كل المعلومات (أى جعلوها عبرانية بمعنى يهودية) ولكن لماذا هذه اللصوصية من قبل الصهاينة؟ الغرض منها تلفيق أكذب تاريخ للعالم يثير أعظم ضجة فيه وكل ذلك لاختراع (ملفقة الشعب اليهودى المختار) [٣].

ويجب ألا يغرب عن البال بأننا حين نتحدث عما أورده مدونو التوراة في الأسر عن قصة الخروج وغيرها من الادعاءات الخيالية، أننا نواجه كتابات صنفته جماعة بتأثير دوافع وانفعالات نفسية لتحقيق أهداف معينة بعد أن وقعت هذه الجماعة فريسة للعقد النفسية التي انتابتها نتيجة انقراض دولتهم الهزيلة (يهوذا) من الوجود واستحواذ اليأس عليها، فراحت تسبح في خضم تمنياتها بـ

(1) Lods, “Israel”, P. 256.

(٢) س. ناجى، " المفسدون في الأرض أو جرائم اليهود السياسية والاجتماعية عبر التاريخ "، دمشق، ١٩٦٥، ص ٢٥.

(٣) " أسطورة الشعب المختار "، ترجمة الدكتور أكرم فاضل، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٦٩، ص ٢١.

(الأرض الموعودة) حين دونت تاريخها بعد أن صبغته بالصبغة الدينية المقدسة واتخذته عقيدة وشريعة لمن لاذ بها. والحقيقة هى أن قصة الخروج لم تكن خرافية وإنما هى حادثة تاريخية واقعية تنطوى على خروج جماعة من " مصر بقيادة زعيم دينى وذلك بسبب اضطهادها لاعتناقها ديانة لا يرتضيها سكان البلاد، فبنى مؤلفو التوراة بعد مرور ثمانمائة عام على الحادث ما عن لهم من أساطير وتخيلات خرافية وادعاءات وهمية تنفيسا لإحساساتهم الغارقة في عقد نفسية معينة نتيجة اليأس وتبدد الآمال. وهذا هو أبعد ما يكون من توراة موسى الأصلية التي تعد شريعة خالصة خالية من الأساطير والخرافات والادعاءات الوهمية، فيقول الدكتور أحمد شلبى معلقا على ذلك: " أن اليهود بعد أن انحرفت معتقداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية لأنها كانت تختلف عما أرادوا من طباع وخلق، وكتبوا سواها مما يتناسب مع ما يريدون من تاريخ ومن معتقدات " [(١)].

ثم يضيف الدكتور شلبى إلى ذلك قوله: " وهكذا كتبت أسفار العهد القديم - باسم الله - والله منها براء، إنها في الحقيقة صدى لانفعالات اليهود وأحاسيسهم، وبهذا السبب وبسبب كثرة الكتاب الذين اشتركوا في تدوين العهد القديم كثرت الأخطاء فيه " [(٢)].

وفى تعليق للأديبة أبكار السقاف على سفر الخروج تقول: " يقينا لقد خاض مؤلف سفر الخروج في خضم الترهات خوضا عجيبا لا لأنه قد انتزع من وهاد الربوبية القبلية هذا الرب انتزاعا وجعله لإسرائيل إلها فحسب وإنما لأنه قد افترى على موسى عليه السلام إذ نسب إليه هذه الافتراءات، وقال عنه أنه بهذا الرب أتى وجعله لإسرائيل إلها ثم يعدهم باسمه امتلاك أرض كنعان ميراثا!...) ثم أضافت في ملاحظاتها " لفتة هامة " حيث تقول: " إن الإسلام الذي يبسط جناحيه بالرحمة ويرفرف بالسلام يؤمن بتوراة هى على موسى قد أنزلت ولكنه فرق بين توراة موسى وتوراتهم هذه المفتراة على موسى التي كتبها بيت يهوذا في أعقاب الأسر البابلى.. لذلك حارب محمد صلى الله عليه وسلم اليهود وسماهم كفارا لكذبهم على موسى ولنبذهم إياه كما نبذوا من بعده روح الله عيسى عليه السلام.... وصدق الله العظيم إذ قال فيهم:{ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ

(١) " مقارنة الأديان " ص ٢٢٩.

(٢) " المرجع السابق "، ص ٢٣٩.

وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾} [آل عمران: ١١٢] (١).

ومما تجدر ملاحظته هنا هو أن الإله الذي كان يدعو موسى إلى عبادته هو الإله الواحد خالق السماوات والأرض، ولا صلة لموسى بالإله " يهوه " الخاص باليهود وحدهم باعتبارهم الشعب المختار، وهو الإله الذي استعاره كتبة التوراة ونسبوا إليه صلته بموسى زورا.

أما حقيقة قصة الخروج فهى، كما يستدل من الأحداث التاريخية، أن جماعة من المصريين أتباع موسى ومن بقايا الهكسوس الذين بقوا في مصر بعد طرد الهكسوس منها وكانوا يعرفون بالعبريو أو العبيرو، بمعنى البدو الرحل الأسيويين الذين اضطروا بعد موت أخناتون إلى الخروج من مصر بسبب ديانتهم المناوئة للوثنية، وقد انضم إلى هؤلاء بعض الأسرى الهاربين والعبيد الفارين من أسيادهم. والظاهر أن فلسطين كانت أقرب ملجأ للعبيد المصريين الفارين من أسيادهم، فيؤكد ذلك الكاتب الفرنسى جان برنار إذ يقول: " لقد كان وضع فلسطين المؤلم قد خلع عليها في الشرق اسم المنطقة التي تؤوى إليها العبيد الآبقين من أسيادهم... " (٢) أما النبى موسى الذي خرجت الجماعة بقيادته فهو نفسه مصرى صميم ووصف بأنه قائد مصرى. أما ما دونه كتبة التوراة من أن هذه الجماعة ترجع في أصلها إلى إبراهيم الخليل وأنها من ذرية يعقوب (إسرائيل) وقد سميت ببنى إسرائيل ونسبت كل شئ إلى إلهها " يهوه "، فلا يوجد أى دليل تاريخى أو حتى مجال افتراضى للأخذ به كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

ومما يدل على أن الجماعة التي سخرها رعمسيس الثانى (١٣٠٠ - ١٢٣٢ ق.م) لبناء مدينته المسماة باسمه " رعمسيس " وقد اعتبرت التوراة هذه الجماعة بنى إسرائيل، هى من بقايا الهكسوس وليست من بنى إسرائيل لأن المدينة بنيت في موضع مدينة " أفارس " (هوراس) عاصمة الهكسوس في مصر، وبطبيعة الحال فإن من بقى من الهكسوس في مصر لابد وأن يكون قد تجمع في هذه المنطقة ذاتها فسخروا في بناء المدينة الجديدة في نفس المكان، مع العلم أن المصريين كانوا يعتبرونهم بعد القضاء على حكم الهكسوس في مصر مصدر خطر على الدولة. ومما يؤيد ذلك " أن المؤرخ المصرى القديم مانيثون يشير إلى أن بقايا الهكسوس الذي تخلفوا في مصر بعد زوال

---

(١) أبكار السقاف، " إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة "، ص ١٧٥.

(٢) " أسطورة الشعب المختار "، ترجمة الدكتور أكرم فاضل، ص ١١.

حكم الهكسوس من البلاد قد تحصنوا في العاصمة أفاريس ولم يستطع المصريون التغلب عليهم فلجأوا إلى المصالحة على أن يخرج الجميع مع ممتلكاتهم من غير أن يمسوا بسوء ".

ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن المصريين كانوا يسمون بقايا الهكسوس " عبريو " أو " عبيرو " وقد صار هؤلاء خطرا على البلاد، بعد تزايدهم فيما إذا انضموا إلى الأعداء، فأجبروا على العمل في بناء الرعمسيوم والبيتوم وعاشوا في مصر عيشة العبودية يعملون في الحقل وفى البناء، وقد ورد اسمهم في برديتين مصريتين تعودان بتاريخهما إلى عهد رع موسى الكبير (رعمسيس الثانى ١٣٠٠ - ١٢٣٣ ق.م) إذ ورد في إحداهما، وهى رسالة الكتاب " كويسر " إلى " بكنفتاح " يقول: " اعط الجنود قوتهم واعط أيضا العبريو الذين ينقلون الحجارة لبناء الملك رع موسى.. الخ " وأما الرسالة الثانية فهى رسالة من " كينا " إلى " كجاناهو " يقول فيها: " أطعت ما أمرنى به سيدى قائلا: اعط الجنود أرزاقهم والعبريو أيضا الذين ينقلون الحجارة لهيكل الشمس الذي انصرفت إليه عناية رع موسى [١].

والمقصود هنا بالعبريو (العبيرو) القبائل العربية البدوية وليس بنى إسرائيل [٢]. ذلك مما يثبت أن الجماعة التي عاشت في مصر عيشة العبودية وأجبرت على العمل في الحقل وفى البناء تمثل بقايا الهكسوس وليس بنى إسرائيل كما روى كتبة التوراة. ويؤكد الباحثون على أن هناك دلائل قوية على أن " العبيرو " التحقوا بالهكسوس الساميين عندما غزوا مصر، وهم نفس " الهبيرو " و " الأبيرو " الذين ورد ذكرهم في الكتابات المصرية. وهؤلاء كانوا يدخلون في خدمة الأقوام الغاية في أكثر الأحيان، وكانوا أشبه بالبدو الرحل يتجولون من مكان إلى آخر على أطراف الجزيرة العربية[٣]. وذلك ما يؤيد بأن الاضهاد الذي أدى إلى الخروج من مصر كان موجها ضد معتنقى ديانة أخناتون وأكثرهم من بقايا الهكسوس وليس لهم أية صلة ببنى إسرائيل.

(١) المطران يوسف الدبس، " تاريخ سورية "، ج١، م٢، ص ٨٩؛ أبكار السقاف: " إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة "، ص ١٥٥ - ١٥٦.

(٢) انظر ما تقدم عن " العبيرو " في الفصل الخامس.

(3) K. M. Kenyon, "Amorites and Canaanites", P. 65.

إن حقيقة كون اليهود يرجعون إلى عهد متأخر غير مرتبطين بأية صلة بالتاريخ القديم وأن أكثر الجماعة التي خرجت من مصر هم من بقايا الهكسوس الرعاة جاءت مدعومة ببيانات المؤرخين المصريين القدماء وفى مقدمتهم مانيثون الذي عاش وكتب تاريخه المشهور في حدود سنة ٢٨٠ ق.م، فهذا مانيثون الذي نقل كلامه المؤرخ اليهودى يوسفوس يقول ما نصه: " إن هؤلاء الأقوام الذين سميناهم بالملوك الرعاة (أى الهكسوس) بعد أن حكموا في مصر ٥١١ سنة أخرجوا من مصر في زمن حكم تحوطمس (ويبدو أنه يقصد هنا تحوطمس الثالث (١٥٠٤ - ١٤٥٠ ق.م). فقد قام ملوك ثيبايس (ولعله يقصد طيبة) ومعهم رؤساء أقاليم مصر الأخرى بثورة ضد الرعاة فنشبت بينهما حرب طاحنة طويلة المدى، وفى عهد أحد الملوك المسمى السفراكموثوس (Alesphragumthosis) تمكن المصريون من إخضاع الرعاة (أى الهكسوس) وطردهم من أكثر أقسام المملكة المصرية إلا أن عددا منهم تخلف وتجمع في منطقة مساحتها عشرة آلاف فدان تسمى (أفاريس) فحصنوها بسور واسع ومنيع حولها وجمعوا هناك جميع ممتلكاتهم وقد حاول تحوطمس ولد السفراكموثوس ومعه ٤٨٠٠٠٠ رجل احتلال هذه المنطقة عنوة فضرب الحصار عليها وقطع عليهم باب النجاة ولكنه لم يفلح بالتغلب عليهم فلجأ إلى المصالحة على أن يخرج جميع من في المنطقة من مصر من غير أن يمسوا بسوء فخرجوا وعوائلهم ومعهم ممتلكاتهم وعددهم ٢٤٠٠٠٠ نسمة، واتجهوا في رحيلهم من مصر في البرية نحو سورية، ولما كانوا يخشون خطر الأشوريين الذين فرضوا سلطانهم على آسيا اتجهوا نحو فلسطين " (١).

وفى هذا دليل واضح على ان عددا كبيرا من الهكسوس بقى في مصر وتحصن في منطقة عاصمتهم " أوفاريس " بعد إخراج قوات الهكسوس من الأقاليم المصرية الأخرى وظلوا يدافعون عنها بحيث لم يستطع المصريون التغلب عليهم عنوة فاضطروا إلى مصالحتهم والسماح لهم بالخروج من مصر مع عوائلهم وممتلكاتهم من غير أن يمسوا بأذى، والذى يستوحى من خلال هذا المقال أن كتبة التوراة اتخذوا من هذه الحادثة الخيوط التي نسجوا منها قصة الخروج التي ربطوها بتاريخهم القديم وخرجوا بها بصورة منمقة ترجع بأصل اليهود إلى أقدس الشخصيات المعروفة في تلك الأزمان.

---

(1) W.Whiston, “The Complete Works of Josephus”, pp. 543 - 548.

أما قصة الاثنى عشر سبطًا الواردة في سفري الخروج ويشوع التي حاكها كتبة التوراة فمن المحتمل أنهم استوحوها من نظام الإيرتوسكين السياسي الديني، فقد كان المجتمع الإيتروسكي الذي هاجر من بحر إيجة مثل القبائل الفيليستينة يتألف من اثنتي عشرة قبيلة منها اسم مشتق من عاصمته وكانت هذه القبائل مرتبطة مع بعضها بحلف فدرالي وكانت تعقد اجتماعًا عامًا في كل سنة لتعيين ملك عليها، وكانت هذه القبائل الإيتروسكية قد أسست مدنًا في شمالي وفي وسط إيطاليا من القرن الثامن قبل الميلاد وبلغت المدينة الإيتروسكية أوج ازدهارها في القرن السادس قبل الميلاد[١].

٤ ـ زمن خروج موسى وأتباعه من مصر:

يعين المؤرخون تاريخ خروج النبى موسى وأتباعه من مصر إلى أرض كنعان (فلسطين) في حوالى سنة ١٢٩٠ ق.م، يوم كان رعمسيس الثانى على عرش مصر (١٣٠٠ ـ ١٢٣٣ ق.م) [٢] وقدر بعض الباحثين عدد هذه الجماعة آنذاك بحوالى ٦٠٠٠ / ٧٠٠٠ نسمة عند خروجهم من مصر [٣]، ولا ندرى على أى أساس توصل هؤلاء إلى هذا الرقم. ويلاحظ أن التوراة تقدر عدد جماعة موسى " بستمائة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد " [٤] وهذا من جملة المبالغات التي اختص بها كتبة التوراة التي لا يمكن أن يتقبلها العقل.

(١) انظر دائرة المعارف البريطانية لسنة ١٩٦٥، ٨: ٧٩٧ ـ ٨٠٤)، انظر أيضًا ما تقدم عن الأيتروسكيين على ص ١٦٢.

(2) Hitti, "History of Syria", P. 178.

(٣) المرجع السابق، ص ١٧٩.

(٤) (خر، ١٢: ٣٧).



التصوير رقم (٨٢)
مومياء الملك رعمسيس الثانى الذي خرج في زمنه الموسويون من مصر وهى محافظة على حالتها الأصلية (١٣٠٠ - ١٢٣٣ ق.م)

والغريب في ذلك أن الباحثين يعرضون تخمينهم لعدد نفوس أتباع موسى عند خروجهم من مصر من غير أن يتطرقوا إلى جسامة الفرق بين تخمينهم لعددهم وبين العدد الخيالى الوارد ذكره في التوراة، شأنهم في ذلك شأن سكوتهم على النتائج المترتبة على المكتشفات التاريخية التي تشجب أكثر روايات التوراة.

ويلاحظ أن بعض الباحثين حاول أن يربط بين ما ورد في مسلة مرنفتاح، التي تصف حملات هذا الفرعون والتى تشير إلى إخضاعه بلاد اللوبيين ومدن عسقلان وجازر وإسرائيل في فلسطين، بحادث خروج أتباع موسى من مصر [١]. وهذا غير وارد لأن النص صريح فهو يشير إلى أسماء مواضع من فلسطين منها عسقلان وجاز وإسرائيل، وليس ذلك أية علاقة ببنى إسرائيل في مصر أو خروج موسى وأتباعه من مصر. ثم إن العلماء متفقون على أن الخروج حدث في أوائل القرن الثالث عشر قبل الميلاد في حين أن حملة مرنفتاح وقعت في حوالى سنة ١٢٣٠ ق.م ويؤيد ذلك العلامة ديورانت فيقول: " وليس في هذه الأقوال ما يدل على أن مرنفتاح هو الفرعون الذي خرج بنو إسرائيل (أتباع موسى) من مصر في عهده، وكل ما تثبته أن الجيوش المصرية اجتاحت فلسطين مرة أخرى " [٢]. وهذا ما يراه فرويد ومابر إذ يؤكدان أن مسلة مرنفتاح لا يمكن أن تمثل من الخروج الذي يجب أن يسبق عهد مرنفتاح [٣].

ولقد وجد نص في مخطوطات بحر الميت (وادى قمران) التي تعود إلى القرنين الأخيرين قبل الميلاد [٤]، ما يشير إلى استعمال كلمة إسرائيل للدلالة على مدينة أورشليم، والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن: هل مدينة إسرائيل التي ورد ذكرها في مدونات مرنفتاح وتم احتلالها في زمنه هى نفس أورشليم؟ ومهما يكن الأمر فإن الشئ الذي يمكن استخلاصه هو وجود مدينة في فلسطين تدعى إسرائيل وهى تعود إلى ما قبل عهد النبى موسى.

٥ ـ الطريق التي سلطها الموسويون من مصر إلى شرقى الأردن:

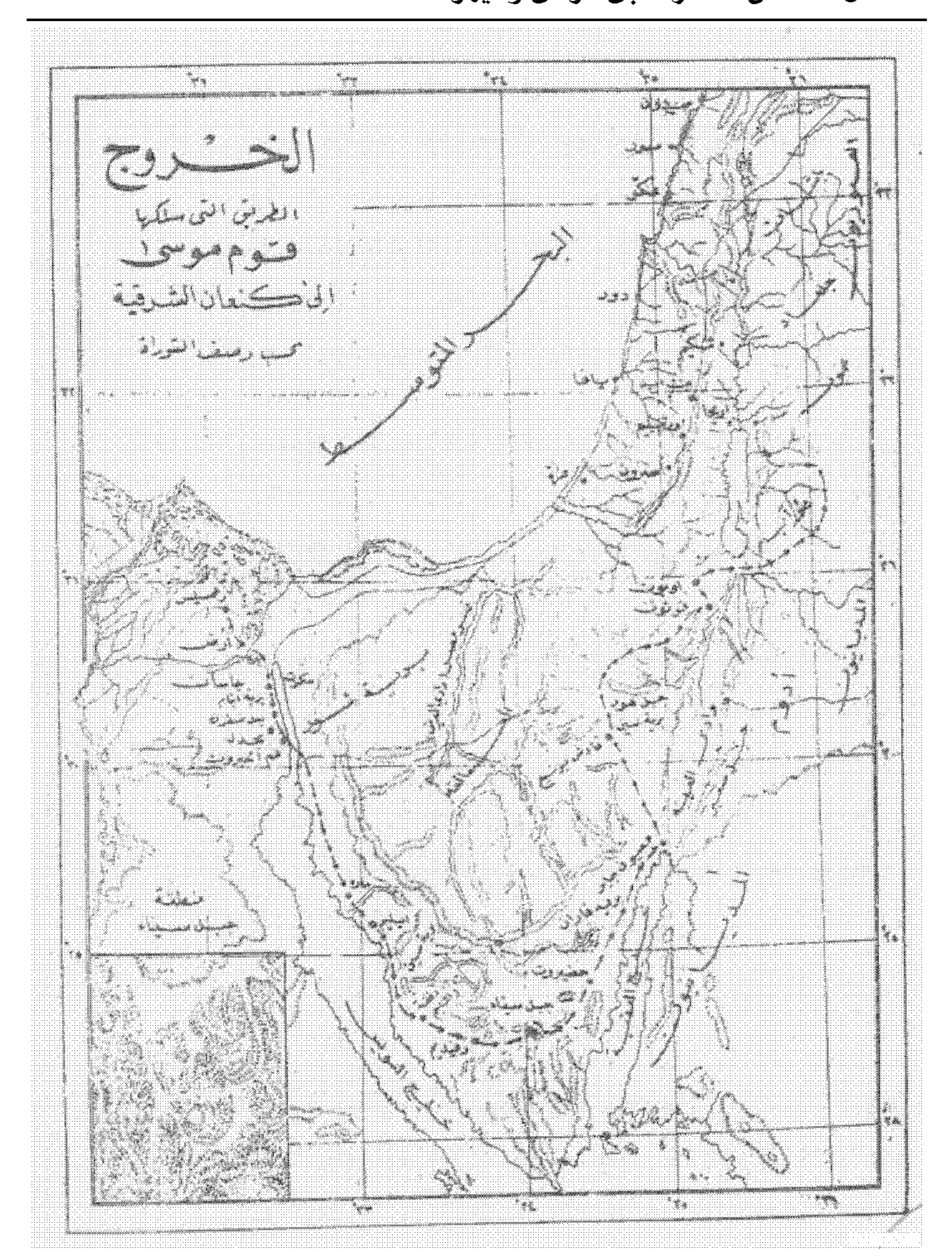
ويرجح الباحثون مستندين إلى وصف التوراة أن الطريق التي سلكها الموسويون في خروجهم من مصر هى طريق عمال المناجم القديم إلى سيناء، فارتحلو من بلدة رعمسيس في أرض " جاسان " وهى التي عرفت بمدينة

(١) أبكار السقاف، " إسرائيل.. "، ص ١٨٣ - ١٩٠.
(٢) " قصة الحضارة "، ج٢، م١، ص ٣٢٤.
(3) Freud, “Moses …”, P. 78 ; Meyer, “Die Israeliten …”, P. 222.
(٤) انظر الفقرة ٦ من الفصل الثالث.

المخازن، وتوجهوا إلى " سكوت " [١]، ومن " سكوت " نزلوا في " إيثام " في طرف البرية [٢]، نزلوا أمام " فم الحيروت " بين " مجدل " والبحر أمام " بعل صفون " مقابلة عند البحر [٣]، وسعى المصريون وراءهم وأدركوا وهم نازلون عند البحر عند " فم الحيروث " أمام " بعل صفون ". ثم ارتحلوا من بحر سوف وخرجوا إلى " برية شور " [٤]، ووصلوا إلى " مارة " [٥]، ومن " مارة " ذهبوا إلى إيليم "، وهناك اثنتا عشر عين ماء فنزلوا عند الماء[٦]. ثم رحلوا من " إيليم " إلى برية سين التي بين " إيليم " وسيناء، ثم ارتحلوا من برية سين ونزلوا في " دفقة " [٧] و " دفقة " هذه تقع في مدخل جبل سيناء في وادى فيران التي كانت فيها مناجم النحاس التي كان يستثمرها المصريون منذ أقدم الأزمنة. ثم ارتحلوا من " دفقة " ونزلوا في " الوش " ومن " الوش " نزلوا في رفيديم [٨]. وفى " ريفيديم " دارت أول معركة بين الموسويين وبين العمالقة سكان البلاد [٩]. ومن " رفيديم " ارتحلوا إلى برية سيناء حيث نزل الموسويون مقابل الجبل [١٠]، والجبل هو جبل سيناء "جبل موسى " الذي نزلت فيه الشريعة، وهنا التقى موسى بزوجه صفورة وابنه وحميه يثرون الذين جاءوا من مديان للالتحاق به [١١].

---

(١) (خر، ١٢: ٣٧).
(٢) (خر، ١٣: ٢).
(٣) (خر، ١٤: ١ - ٢).
(٤) (خر، ١٥: ٢٢).
(٥) (خر، ١٥: ٢٣).
(٦) (خر، ١٥: ٢٧).
(٧) (عد، ٣٣: ١٢).
(٨) (عد، ٣٣: ١٤)؛ (خر، ١٧: ١).
(٩) (خر، ١٧: ١٣).
(١٠) (خر، ١٩: ٢).
(١١) (خر، ١٨: ١ - ٦).



المرتسم رقم (١٧)
الخروج الطريق التي سلكها قوم موسى إلى كنعان الشرقية بحسب وصف التوراة

وقد بقى الموسويون في برية سيناء حوالى السنة، ثم ارتحلوا منها في السنة

الثانية بأمر الرب [١]، إلى " قادش برنيع " الواقعة على بعد ١٥٠ ميلا من سيناء شمالا سالكين الطريق الذي يمر ببلدة " حضيروت " على الضفة الغربية لخليج العقبة ومن " حضيروت " نزلوا في " برية فاران " [٢]، ثم توجهوا إلى " عصيون جابر " الواقعة عند آخر نقطة من ساحل خليج العقبة مارين بعدد من القرى [٣]، ثم رحلوا من " عصيون جابر " إلى " برية صين " التي هى " قادش برنيع " [٤]، ومنها نزلوا في " جبل هور " في طرف أرض أدوم [٥] (انظر المرتسم رقم ١٧).

٦ ـ غزو الموسويين لشرقى الأردن:

ولما كان الموسويون في " فاران " أرسل موسى رجالا ليتجسسوا أرض كنعان وقال لهم: " اصعدوا من هنا إلى الجنوب واطلعوا إلى الجبل وانظروا الأرض ما هى، والشعب الساكن فيها أقوى هو أم ضعيف، قليل أم كثير،وكيف هى الأرض جيدة أم رديئة " [٦]. وأتوا وقالوا لموسى قد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها وحقا أنها تفيض لبنا وعسلا وهذا ثمرها (وقد أتوا بعنقود من العنب مع بعض الرمان والتين اقتطفوه من منطقة حبرون) غير أن الشعب الساكن في الأرض معتز والمدن حصينة عظيمة جدا [٧]، وقد رأينا هناك الجبابرة بنى عناق فكانوا في أعيننا كالجراد وهكذا كنا في أعينهم [٨]. وهذه الخطوة التي خطاها النبى موسى بإرسال الجواسيس إلى داخل كنعان هى بحد ذاتها دليل واضح على أن موسى كان ملما بالقواعد العسكرية التي توجب الاستطلاع قبل الهجوم أو التحرك ضد العدو.

وكان لوصف الكنعانيين بالجبابرة والأشداء وقع سيّئ في نفوس الموسويين فتذمروا على موسى وعلى هارون أخيه فصعدوا إلى الجبل رغم تحذيرهما فنزل

---

(١) (عد، ١٠: ١١ - ١٢).
(٢) (عد، ١٢: ١٦).
(٣) (عد، ٣٣: ١٦ - ٣٦).
(٤) (عد، ٣٣: ٣٦).
(٥) (عد، ٣٣: ٣٧).
(٦) (عد، ١٣: ١٧ - ١٨).
(٧) (عد، ١٣: ٢٧ - ٢٨).
(٨) (عد، ١٣: ٣٣)؛ (تث، ١: ٢٨).

العمالقة والكنعانيون الساكنون في ذلك الجبل وضربوهم وكسروهم [(١)]، ولم توضح التوراة الوضع بعد هذه المرحلة فقد جاء كلامهما غامضا، غير أن فقرة تشير إلى ان الرب أتاه الموسويين في البرية أربعين سنة حتى فنى الجيل الذي فعل الشر في عينيه: " فحمى غضب الرب على إسرائيل وأتاههم في البرية أربعين سنة حتى فنى كل الجيل الذي فعل الشر في عينى الرب " [(٢)].

ونخلص من هذا إلى أن الموسويين لم يقوموا بأى غزو أو فتح حتى جاء الجيل الجديد بعد أربعين سنة، فقد قضوا هذه الفترة مع موسى في منطقة قادش التي كانت آخر محطة نزلوها في جوار جبل هور في طرف أرض أدوم، وهناك مات هارون في السنة الأربعين لخروجهم من أرض مصر [(٣)]. وقد كان الموسويون في هذه الفترة في مأمن من أى خطر يهددهم من جهة الشرق لأن الأشوريين كانوا خاضعين آنذاك لحكم الكاشيين في العراق، كما أن الأراميين لم يكونوا قد بلغوا من القوة ما يشجعهم على القيام بمغامرة ضدهم.

وإذا أخذنا بمدونات التوراة يكون الغزو الحقيقى قد بدأ بعد مرور أربعين سنة قضاها موسى وأتباعه بالبرية، وعزت التوراة سبب ذلك إلى غضب الرب على إسرائيل (قوم موسى) حتى فنى كل الجيل الذي فعل الشر في عينى الرب. والسبب الحقيقى على ما نراه من مجرى الأحداث التاريخية، هو أن أرض كنعان كانت آنذاك ساحة حرب بين رغمسيس والحيثيين، فقد اصطدم الطرفان في معركة ضارية خاضها رعمسيس ضد غريمه " مواتاليس " ملك الحيثيين في قادش (شمال فلسطين) كاد الحيثيون أن ينتصروا فيها، إلا أن رعمسيس تمكن من الصمود بشجاعة أمام الحيثيين حتى وصلته الإمدادات فواصل القتال إلى أن انتهى الصراع بعقد صلح بين العاهلين، ورعمسيس والملك الحيثى حاتوشيلى الثالث، والتوقيع على ميثاق دفاع مشترك ضد أى غزو خارجى، أو ثورة داخلية سنة ١٢٦٩ ق.م، لذلك تجنب موسى التوغل في داخل فلسطين.

والظاهر من وصف التوراة أن موسى كان قد عقد العزم بعد انقضاء الأربعين سنة على غزو كنعان من جهة شرقى الأردن لصعوبة اختراق الجبهة الغربية. وكانت في هذه الجبهة خمس ممالك: الأولى مملكة عوج في باشان وهى

(١) (عد، ١٤: ٤٢ - ٤٥).
(٢) (عد، ٣٢: ١٣)؛ (تث، ٢: ٧).
(٣) (عد، ٣٣: ٣٨).

تبدأ في أقصى الشمال عند حدود جبل حرمون (جبل الشيخ حاليا) وهى بيد الرفائيين والثانية مملكة سيحون في جلعاد وهى بيد العموريين، والثالثة مملكة عمون وقد استولى عليها العموريون من العمونيين، والرابعة مملكة موآب بيد الموآبيين والخامسة مملكة أدون بيد بنى عيسو. وقد تم للموسويين بقيادة موسى الاستيلاء على ثلاث من هذه الممالك ولم يتحرشوا بمملكتى موآب وأدوم لمناعة تحصيناتهما، وقد عزت التوراة ذلك إلى ما أمر به الرب.

وقد علق المارشال اللورد مونتغمرى على سيرة موسى ومهمته كقائد بقوله: " إن المهمة التي ألقيت على عاتق موسى كانت في غاية الصعوبة - وهى قيادة بنى إسرائيل (قوى موسى) الذي كانوا شعبا من الرعاة، من مصر إلى أرض كنعان - الأرض التي هاجروا إليها، وإنى لا أصدق أبدا أنهم بعد أن خرجوا من مصر، هاموا على وجههم من غير هدى في صحراء سيناء أربعين سنة - أى تاهوا، وأعتقد أن موسى كان يعلم حق العلم أنه لا يستطيع أن يحقق الجزء الثانى من مهمته، والذى كان ينطوى حتما على قتال كثير، إلا إذا مات المتبرمون القدامى من قومه، وظهر مكانهم جيل جديد مطعم بروح القتال، ومدرب على الحرب، ولقد أدرك أنه ليس في الإمكان تحويل أناس مستعبدين إلى شعب مقاتل في أسابيع قليلة أو حتى في أشهر. وأنه لابد من روح جديدة تبعث فيهم - وهو أمر يتطلب وقتا لا يستهان به، وكان من العبث الإقدام على غزو أرض كنعان من غير خطة سليمة، خطة يمكن تنفيذها بسرعة والوصول إلى الهدف المنشود بغير انتكاسات، وكان اجتناب الانتكاسات أمرا مهما، إذ أن الانكسار في المعركة كان يؤدى في الغالب إلى فقدان الثقة بقيادة موسى... لذلك قرر موسى أن يلغى خطته الرامية إلى التقدم نحو أرض كنعان من الجنوب، وصمم بدلا من ذلك أن يجعل بنو إسرائيل (أتباعه) يتنقلون في الصحراء مدة من الزمن تكفى لتحويلهم إلى قوة وطنية صلبة مدربة على القتال [(١)]. ثم ينتهى منتوغمرى إلى رأيه في كفاية موسى القيادية فيقول: " ما عسى أن نقوله عن موسى قبل أن نتركه، ما كانت منجزاته في القيادة؟ لقد ربته أميرة مصرية وثقف ثقافة عالية. وربما كانت له علاقة ما بالجيش المصرى. ومهما يكن الحال، فقد كان ماهرا في الحكم على ما يمكن وما لا يمكن إنجازه في الحرب بالموارد المتيسرة، وقد أبى أن يقحم

(١) المارشال اللورد مونتغمرى / " السبيل إلى القيادة "، الترجمة العربية، الطبعة الثانية، ص ٢٧٤ - ٢٧٦.

إسرائيل (أتباعه) في القتال قبل أن يستعد لذلك فالجنود يتبعون دائما القائد الناجح، وفى الحقل التعبوى (التكتيكى) أدرك أن الوقت المصروف في الاستطلاع لا يذهب سدى - ولاشك أن ذلك ينطبق على الاستطلاع الذي كان قد أمر به [(١)].

٧ - الغموض في موت موسى:

ومن أغرب ما ابتدعه كتبة التوراة عن وفاة موسى أنهم اتهموا هذا الرسول الجليل كما اتهموا أخاه هارون بخيانة الرب فعاقبهما الرب بالموت " كلم الرب موسى قائلا: مت في الجبل كما مات هارون أخوك في جبل هور... لأنكما خنتمانى.. عند ماء مريبة قادش في برية صين إذ لم تقدسانى... فإنك تنظر الأرض من قبالتها ولكنك لا تدخل إلى هناك إلى الأرض التي أنا أعطيتها لبنى إسرائيل [(٢)]... يشوع بن نون هو يدخل إلى هناك [(٣)].. لا تعبر هذا الأردن وأما يشوع هو يعبر... " [(٤)] وقد كان من الطبيعى في ضوء ما تقدم أن تثار تساؤلات فيما يتعلق بكيفية موت موسى، هل مات موتا طبيعيا، أم هل أمر الرب بموته حقا؟ فقد استخلص الباحث الألمانى " سيللين " من بعض الفقرات في سفر هوشع من العهد القديم " أن هناك دلائل بأن موسى مات شهيدا اغتاله الكهنة الذي قاوموه فهدموا كل ما نادى به من تعاليم دينية تقريبا " [(٥)]. وهناك من يرى أن يشوع بن نون هو الذي اغتال موسى حيث استصحبه إلى أعلى الجبل ثم عاد بدونه ليعلن أن الأمر بموت موسى قد تم تنفيذه وفقا لأمر الرب.

وإذا كان موسى في نظر التوراة التي بين أيدينا خائنا فكيف تنسب هذه التوراة إليه وتسبغ عليها صفة القدسية؟ هذا هو السؤال الذي تلقيه الكاتبة الأديبة أبكار السقاف التي تقول: " إن هذه التوراة التي بين أيدينا، وهى مصدر العقيدة للدين اليهودى الحالى، تعتبر موسى خائنا وأن الرب غضب عليه وأمر بموته جزاء خيانته، فكيف بعد ذلك، يمكن أن ينسب هذا الدين اليهودى إلى موسى؟! ".

ويقول فرويد: " إن ما استخلصه سللين عن اغتيال موسى على أيدى أتباعه

(١) نفس المرجع السابق.
(٢) (تث، ٣٢: ٥٠ - ٥٣).
(٣) (تث، ١: ٣٨).
(٤) (تث، ٣: ٢٨).
(5) Lods, “Israel”, p. 308; E. Sellin, “Mose und seine Bedeutung fur dieisr - jud Rel”; Freud, “Moses…”, p. 59.

محتمل جدا لأن موسى الذي تربى في مدرسة أخناتون لابد أن يكون قد استعمل العنف والقسوة على طريقة أخناتون في فرض شعائر دينية صارمة على أتباعه ولعلها أكثر صرامة من تلك التي فرضها سيده على الشعب المصرى مما أدى إلى أن يلقى موسى نفس المصير الذي لقيه أخناتون قبله وهذا مصير كل عظماء الرجال أصحاب مبدأ أو عقيدة ".

ويضيف إلى ذلك قوله: " إن الطبع المسالم الذي يتصف به المصريون بوجه عام ساعد على بقاء أخناتون على قيد الحياة حتى لقى حتفه بصورة طبيعية، ولكن الساميين ذوى الطباع الخشنة التي تقرب من الوحشية لم يصبروا حتى يموت موسى فثاروا عليه وقتلوه [١].

ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن القرآن الكريم كان أول من كشف لنا هذه الحقيقة، أى قتل اليهود للأنبياء:{وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنْبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ} [آل عمران: ١١٢].

٨ ـ عهد يشوع:

وقد انتقلت القيادة إلى يشوع بعد وفاة موسى، وتقول التوراة أن الرب أمره بعبور الأردن إلى الجانب الغربى وقد قضى على ٣١ ملكا من ملوك كنعان وكانت أريحا أولى المدن الكنعانية التي احتلها الإسرائيليون (الموسويون) " فحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها، إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب " [٢].

ومن بين المدن التي استولى عليها يشوع: " بيت إيل " و " عاى " و " لخيش " و " عجلون " و " حبرون " و " دبير. إلا أن الفلسطينيين [٣] المتحصنين في مدنهم الساحلية بين غزة ويافا صدوا تقدم الموسويين غربا، وكان هؤلاء الفلسطينيون متفوقين على الموسويين في معداتهم الحربية إذ كانوا يعتمدون على أسلحة من الحديد الذي أتقنوا تعدينه وصنع الدروع والأسلحة الأخرى منه.

لذلك لم يجرؤ يشوع على محاربتهم فتجنبهم كما تجنب المدن المحصنة ومنها أورشليم لمناعتها. أما المدن الشمالية (الكنعانية الفينيقية) فكانت في حرز

(1) S. Freud, "Moses …", PP. 76 - 77.

(٢) (يش، ٦: ٢١، ٢٤).

(٣) انظر ما تقدم عن هجرة الفلسطينيين في الفصل الأول.

حريز لمناعتها وراء سلسلة جبال لبنان وكانت موانيها على ساحل البحر تساعدها على تنمية مصالحها التجارية والاقتصادية مع الخارج، وكان دخول عنصر الحديد في البلاد خلفا للنحاس والقصدير قد فتح لها عهدا جديدا فأخذت هذه المدن تمارس صناعة الحديد لصنع الأسلحة وبيعها وذلك باستيراد الحديد الخام من بلاد الحيثيين فتقدمت صناعيا وازدهرت تجارتها (١).

ومما ساعد على تقدم الفتح في بلاد كنعان بقيادة يشوع ملاءمة الظروف السياسية السائدة آنذاك. فقد كانت البلاد منقسمة على نفسها تتصارع فيما بينها دويلات لا يحصى عددها فيها حكام إقطاعيون مستبدون همهم الوحيد الحفاظ على سيطرتهم. ويرجع توطيد دعائم هذا النظام الإقطاعى في هذه المناطق إلى عهد الهكسوس الذين دام حكمهم فيها وفى مصر السفلى حوالى قرنين من الزمن بين سنة ١٧٨٥ وسنة ١٥٨٠ق.م (٢). ولما أخرج المصريون الهكسوس من بلادهم لاحقوهم في مستعمراتهم الشرقية واستولوا عليها ومنها بلاد كنعان التي ضموها إلى مملكتهم، ولكن المصريين لم يحاولوا تغيير الأوضاع السياسية في هذه المناطق فتركوها على حالها، وكان جل اهتمامهم جمع الجزية من البلد على يد مأمورين متفسخين، وفضلا عن ذلك أن مصر كانت عندما غزا يشوع بلاد كنعان عاجزة عن التدخل ومد ملوك كنعان بمساعداتها. ومع ذلك تشير المصادر المصرية على قيام مرنفتاح ابن رعمسيس الثانى (١٢٣٣ - ١٢٢٣ ق.م) بحملة عسكرية على فلسطين مما يدل على أن يشوع لم يحقق النصر الذي نسبته التوراة إليه على المدن الكنعانية.

ونستخلص من رواية التوراة أن أورشليم كانت من بين المدن التي لم يستطع يشوع احتلالها لمناعتها وصلابة سكانها اليبوسيين. ويؤكد ذلك الأستاذ بيرون في مقاله عن تاريخ أورشليم بقوله: " ومن الجلى الواضح أن مدينة أورشليم كانت قبل مجئ الإسرائيليين (الموسويين) بقيادة يشوع مدينة كنعانية خالصة على جانب كبير من الأهمية والمنعة " (٣).

٩ ـ عهد القضاة:

ويستدل من عرض التوراة لوضع الموسويين في كنعان بعد موت يشوع

(1) Heller, “The Bible as History”, PP. 155 - 159.

(٢) انظر ما تقدم عن هجرة الهكسوس في الفصل الأول.

(3) S.W. Perwone, “Jerusalem”, Ency. Brit. Vol. 12, p. 1007.

على أنهم أصبحوا مهددين بالفناء وقد اضطروا أن يخلوا بعض المدن التي استولوا عليها، فضاق بهم الأمر جدا حتى أقام لهم الرب قضاة ليخلصوهم من يد أعدائهم، لذلك سمى هذا العصر بعصر القضاة وقد استمر حسب تقدير المؤرخين حوالى قرن كامل بين سنة ١١٢٥ و ١٠٢٥ق.م [١].

وكان عهد القضاة عهدا مضطربا تخللته عدة نكسات كادت تهدد الموسويين في فلسطين بالفناء إذ تعترف التوراة أن الكنعانيين والفلسطينيين أصبحوا من القوة بحيث تمكنوا من إخضاع الإسرائيليين (الموسويين) تحت حكمهم في فترات متواصلة قبيل وخلال عهد القضاة. فكان أول من أخضعهم كوشان رشعتايم ملك أرام النهرين ثماني سنين [٢]، ثم هجم عليهم بنو عمون والعمالقة فضربوهم واستولوا على مدينة أريحا (مدينة النخيل) [٣]، ثم ضايقهم يابين ملك كنعان في حاصور بشدة عشرين سنة [٤]، واستعبدهم بنو عمون والفلسطينيون ثماني عشرة سنة [٥]، وفي أواخر عهد القضاة أوقع الفلسطينيون بالإسرائيليين (الموسويين) هزائم شديدة حتى أنهم استولوا على " تابوت العهد " [٦] وخضع الإسرائيليون (الموسويون) إلى حكمهم أربعين سنة حتى ظهر شمشون فحارب الفلسطينيين [٧].

١٠ ـ لم يستطع الموسويون طرد سكان فلسطين:

وتعترف التوراة بصمود سكان فلسطين أمام الموسويين على أراضيهم إذ تؤكد مرارا وتكرارا بأن الإسرائيليين (الموسويين) لم يستطيعوا طرد سكان فلسطين الأصليين من أراضيهم وقد سكنوا وشاركوهم في وطنهم، فتذكر أنهم " سكنوا في وسط الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحيويين واليبوسيين، واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساءا وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم " [٨]. وهذا دليل قاطع على بقاء سكان فلسطين على أراضيهم واستمرار سيادة

(1) Hitti, "History of Syria", P. 120.

(٢) (قض، ٣: ٨).
(٣) (قض، ٣: ١٣).
(٤) (قض، ٤: ٣).
(٥) (قض، ١٠: ٨).
(٦) (١ صم ن ٥: ١). انظر ما تقدم عن تابوت العهد في الفصل الثالث.
(٧) (قض، ١٣: ١).
(٨) (قض، ٣: ٥ - ٦).

الثقافة الكنعانية في البلاد. وإليك التأكيدات التي وردت في التوراة بهذا المعنى:

١- " لم يطرد بنو إسرائيل (الموسويون) الجشوريين والمعكيين (وهم من قبائل الجانب الشرقى من الأردن) فسكن الجشورى والمعكى في وسط إسرائيل إلى هذا اليوم " (١).

٢- " لم يطرد منسى أهل بيت شان وقراها ولا أهل تعنك وقراها ولا سكان دور وقراها ولا سكان يبلعام وقراها ولا سكان مجدو وقراها فعزك الكنعانيون على السكن في تلك الأرض، وكان لما تشدد إسرائيل أنه وضع الكنعانيين تحت الجزية ولم يطردهم طردا " (٢).

٣- " ونفتالى لم يطرد سكان بيت شمس ولا سكان بيت عناة بل سكن في وسط الكنعانيين سكان الأرض " (٣).

٤- " زبولون لم يطرد سكان قطرون ولاسكان نهلول فسكن الكنعانيون في وسطه " (٤).

٥- " أفرايم لم يطرد الكنعانيين الساكنين في جازر فسكن الكنعانيون في وسطه في جازر " (٥).

٦- " وأخذ يهوذا غزة وتخومها وأشقلون وتخومها وعقرون وتخومها... ولكن لم يطرد سكان الوادى " (٦).

٧- " لم يطرد أشير سكان عكو (عكا) ولا سكان صيدون وأحلب وأكزيب وحلبة وافيق ورحوب فسكن الأشيريون في وسط الكنعانيين سكان الأرض لأنهم لم يطردوهم " (٧).

٨- " الحويون سكان جبعون صالحوا إسرائيل (الموسويين) وكانوا في وسطهم " (٨).

---

(١) (يش، ١٣: ١٣).
(٢) (قض، ١: ٢٧).
(٣) (قض، ١: ٢٣).
(٤) (قض، ١: ٣٠).
(٥) (قض، ١: ٢٩).
(٦) (قض، ١: ١٨ - ١٦).
(٧) (قض، ١: ٣١ - ٣٢).
(٨) (يش، ١٠: ١).

وتؤكد التوراة أيضا أن الإسرائيليين (الموسويين) لم يستطيعوا طرد اليبوسيين سكان أورشليم الأصليين، واليبوسيون قبيلة من القبائل الكنعانية بقوا في مدينتهم وفى أرضهم في جميع الظروف، وتعترف التوراة صراحة بأن بنى يهوذا لم يستطيعوا طرد سكان أورشليك، وهذا نص ما ورد فيها بهذا المعنى:

" وبنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان أورشليم فسكن اليبوسيون مع بنى بنيامين في أورشليم إلى هذا اليوم " (١).

وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بنى يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم " (٢).

ولعل المقصود بـ " إلى هذا اليوم " إلى ما بعد السبى البابلى وهو زمن تدوين التوراة. وأوضح دليل على أن أورشليم بقيت في أيدى سكانها الأصليين هو أن الملك داود لما أراد أن ينشئ الهيكل في القدس قام بشراء قطعة الأرض التي اختارها لهذا الغرض من أصحابها اليبوسيين (٣).

وليس هناك ما يشير إلى أى حدث تاريخى اضطر سكان القدس غير الإسرائيليين (الموسويين) بسببه مغادرة مدينتهم إذ لم يصبهم شئ من تيارات التشريد والتقتيل والسبى التي أصابت الإسرائيليين (الموسويين) (٤). والدليل على احتفاظ سكان البلاد الأصليين بأرضهم أنهم تمكنوا من إخضاع بنى إسرائيل (الموسويين) لحكمهم قبيل وخلال عهد القضاة وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

أما المدن الفينيقية الكنعانية الأصل فقد حافظت على استقلالها السياسى لما كان لها من تحصينات قوية على الجبال الساحلية التي أقيمت عليها فلم تخضع إلى الموسويين في أى دور من أدوارها، كما أن الفلسطينيين قاوموا الموسويين مقاومة عنيفة ولم يستطع الموسويون إخضاعهم إلا في فترات قصيرة، هذا من جهة الغرب، أما من جهة الشرق فقد كانت أمارات أدوم وموآب وعمون مستقلة في أكثر أدوار الموسويين التاريخية.

ومن الغريب حقا أن الكتاب اليهود عندما يتطرقون إلى موضوع الكنعانيين

---

(١) (قض، ١: ٢١).
(٢) (يش، ١٥: ٦٢).
(٣) (٢ صم، ٢٤: ٢٤ - ٢٥).
(٤) انظر الملحق الأول، " أورشليم في أقدم عصورها.

يدعون أن اليهود أبادوا الشعب الكنعانى ولم يبق له وجود [(١)]، وذلك على الرغم من أن التوراة ذاتها تؤكد مرارا وتكرارا أن اليهود سكنوا إلى جانب الكنعانيين، إذ لم يستطيعوا طردهم من ديارهم كما تقدم شرحه، مما يدل على أن الموسويين لم يدخلوا فلسطين كغزاة حاكمين بل سكنوا بين أهل البلاد الأصليين كلاجئين، أما الروايات القائلة بأنهم دخلوا فلسطين كمقاتلين فهى تناقض مدونات التوراة المتقدمة. واستنادا إلى نظرية الكتاب اليهود بإبادة الشعب الكنعانى كان يرى هرتزل " أن الحل البسيط للقضية اليهودية هى عبارة عن منح أرض بلا شعب إلى شعب بلا أرض ".

ولقد صدر مؤخرا كتاب باللغة الإنجليزية بعنوان " غزو الإسرائيليين لبلاد كنعان لمؤلفه الأستاذ بيفين قام بطباعته المعهد الهولندى في استامبول، وخلاصة ما توصل إليه مؤلفه من بحثه هو أن الغزو الموسوى لبلاد كنعان لم يقم على أساس من التخطيط المسبق تم تنفيذه دفعة واحدة نتيجة هجوم منظم كما ورد في سفرى العدد ويشوع بل كان عبارة عن موجات متتالية من الهجرات إلى كنعان تمت بشكل تدريجى مستهدفة الاستقرار على الأرض والحصول على ما يسد الرمق بواسطة الفلاحة والزراعة. ويؤكد المؤلف أن هذه النتيجة التي توصل إليها في بحثه أصبحت الآن مقبولة بوجه عام وتلقى الدعم الكلى [(٢)].

١١ ـ عهد الملوك:

وتصف التوراة كيف طلب الموسويون من صموئيل آخر كبار القضاة أن يعين لهم ملكا أسوة بالممالك الكنعانية والفلسطينية فعين لهم الملك المنشود، فكان شاول[(٣)]، ولكن كان على الملك الرضوخ التام لأوامر يهوه المنقولة على أيدى الكهنة رجال الدين ولما أهمل الملك الرضوخ التام خذله الرب وأوقعه بيد أعدائه الفلسطينيين فاندحر أمامهم وقتل هو وأولاده الثلاثة في المعركة. وكان حكم شاول قد استمر حوالى ١٥ سنة بين سنة ١٠٢٥ و ١٠١٠ ق.م [(٤)].ثم تقلد الحكم الملك داود خلفا لشاول فاستطاع هذا الملك على قول التوراة أن يخضع أكثر المدن الفلسطينية كما تمكن من إخضاع دويلات أدوم وموآب وعمون واستولى على

(١) انظر هانس كوهن، " الصهيونية وفكرة القومية اليهودية "، ص ٢٠٩.
(٢) انظر عنوان الكتاب في ثبت المراجع الأجنبية.
(٣) (١ صم، ٨: ١ - ٥ و ١٩ - ٢٠).
(٤) (١ صم، ٣١: ١ - ١٠)؛ (١ أخ، ١٠: ١ - ١٠)؛ (٢ صم، ١: ٦ - ١٠).

مملكة صوبا الأرامية الغنية بمناجم النحاس وأخضع ملكها هدد عزر بن رحوب وأخذ منها " نحاسا كثيرا جدا " [١]. وقد اتخذ داود أورشليم بعد استيلائه عليها من اليبوسيين عاصمة له وبنى فيها قصره الملكى وأقام فيها معبدا للإله يهوه. وقد استمر حكم داود زهاء ٤٠ سنة بين سنة ١٠١٠ وسنة ٩٧١ ق.م، منها سبع سنين في حبرون والباقى في بيت المقدس [٢]، ثم انتقل الحكم إلى الملك سليمان بن داود وهو الذي اشتهر ببناء الهيكل في أورشليم.

أما الوصف الذي جاء في التوراة واعتاد الباحثون ترديده عن اتساع وامتداد حدود مملكة سليمان فيعده أكثر الباحثين من قبيل المبالغات التي درجت عليها دويلات تلك العصور. والحقيقة هى أن مملكة سليمان التي تبجح اليهود بعظمتها كانت أشبه بمحمية مصرية مرابطة على حدود مصر قائمة على حراب أسيادها الفراعنة الذين كان أهم ما يهدفون إليه من وراء هذا الإسناد حماية حدودهم الشرقية من غارات الأقوام الطامعة بمصر وفى مقدمتهم الأشوريون.

وكان سليمان يريد أن يجارى الفراعنة في البذخ والظهور بما هو فوق طاقاته وإمكاناته الاقتصادية وذلك بإغداقه في إقامة الأبنية الشاهقة والقصور الفخمة، فأثقل كاهل الشعب بكثرة الضرائب كما أثقل كاهل خزينته بالديون المتراكمة حتى اضطر أن يقدم إلى حيرام ملك صور عشرين مدينة في أرض الجليل مقابل الديون التي تراكمت عليه [٣]، ولما عثر على سليمان أن يحتل أرض الفلسطينيين الساحلية طلب معونة حمية فرعون مصر فأرسل إليه جيشا مصريا احتلها وسلمها إليه مهرا لابنته زوج سليمان [٤].

ويعلق المؤرخ المشهور " ويلز " (Wells) على التمادى في الخيال والمبالغات في تصوير اتساع حدود مملكتى داود وسليمان، فيقول في ذلك: " ولا يستطيع أحد أن يزعم أن أرض الميعاد وقعت يوما بيد العبرانيين (اليهود). ويلوح أن داود وضع نفسه في حماية حيرام ملك صور فثبتت هذه المحالفة الفينيقية ملكه " [٥].

(١) (٢ صم، ٨: ٣ - ٨).
(٢) (١ مل، ٢: ١)، (١ ص، ٢: ١١)؛ (٢ صم، ٥: ٤).
(٣) (١ مل، ٩: ١٦).
(٤) (١ مل، ٩: ١٦).
(٥) " معالم الإنسانية "، الترجمة العربية، الكتاب الرابع، ص ٢٧٩ و ٢٨٣.

ويرى الباحثون أن العوامل التي ساعدت على توطيد ملك داود وتهيئة الظروف الملائمة لبعض الاتساع هى " إن أمور مصر في عهده كانت مرتبكة فخفت هيمنتها على فلسطين وبلاد الشام. وكانت أمور الدولة الأشورية مرتبكة كذلك، وقد منح هذا لداود شيئا من حرية الحركة والنشاط والتبسط وممارسة السيادة " [١].

ويشرح " ويلز " كيف صور كتبة التوراة مملكة سليمان صورة تفوق الواقع بكثير قال: " من الخير ألا تغيب عن بالنا التقديرات النسبية للأمور فسليمان لم يكن وهو في أوج مجده إلا ملكا صغيرا يحكم مدينة صغيرة، وكانت دولته من الهزال وسرعة الزوال بحيث أنه لم تنقض بضعة أعوام على وفاته حتى استولى شيشنق أول فراعنة الأسرة الثانية والعشرين على أورشليم، ونهب معظم ما فيها من كنوز، ويقف كثير من النقاد موقف المستريب إزاء قصة مجد سليمان التي توردها أسفار الملوك والأيام، وهم يقولون أن الكبرياء القومى لدى كتاب متأخرين هو الذي دعاهم إلى إضافة أشياء إلى القصة والمبالغة فيها " [٢].

ويقول " ويلز " أن سليمان تحالف مع حيرام ملك صور، وطفق هذا يستخدم مملكة سليمان طريقا يسلكه لينفذ بوساطته إلى البحر الأحمر فيبنى فيه السفن " [٣]. ويضيف ويلز معلقا على إسهاب التوراة في تصوير مجد سليمان وفخامته: " إن قصة ملك سليمان وحكمته التي أوردها الكتاب المقدس تعرضت لحشو وإضافات على نطاق واسع على يد كاتب متأخر كان مشغوفا بالمبالغة في وصف رخاء عصر سليمان مولعا بتمجيد حكمه. وقد استطاعت هذه الرواية أن تحمل العالم المسيحى بل الإسلامى على الاعتقاد بأن الملك سليمان كان من أشد الملوك عظمة وأبهة، وقد أسهب سفر الملوك الأول في تصوير مجد سليمان وأبهته وفخامته، ولكن الحق أنه إذا قيست منشآت سليمان بمنشآت تحوطمس الثالث أو رعمسيس الثانى أو نبوخذنصر، فإن منشآت سليمان تبدو من التوافه الهينات. إذ لم يتجاوز سليمان بالنسبة للملك التاجر حيرام منزلة المعاون له على تحقيق خططه ومشروعاته الواسعة النطاق، فأما مملكته فهى رهينة تتجاذبها مصر

(١) الدكتور شلبى، " مقارنة الأديان "، ص ٥٧.
(٢) الدكتور شلبى، " المصدر السابق "، نقلا عن كتاب ويلز " تاريخ العالم "، ص ٩٣.
(٣) " معالم تاريخ الإنسانية "، الكتاب الرابع، ص ٢٨٤.

وفينيقيا، وترجع أهميتها في معظم أمرها إلى ضعف مصر المؤقت " [١]

أما هيكل سليمان الذي تعده التوراة مثلا لأوج عظمة سليمان هو من صنع الفينيقيين الصوريين وقد بنى على نمط المعابد الكنعانية، كما أن قصر سليمان في أورشليم من صنع الفينيقيين أيضا [٢]، وحتى تسمية " الهيكل " مأخوذة من كلمة " هيكال " الكنعانية [٣]، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

ومما يذكر في هذا الصدد أن التوراة تشير إلى أن سيطرة الملك داود امتدت إلى نهر الفرات [٤]، ولاشك أن هذا الادعاء مستبعدا جدا وهو يعد من قبيل المبالغة والخيال شأنه شأن الإسهاب في وصف منشآت سليمان بمنتهى الضخامة والفخامة.

إن مصدرنا الوحيد عن أعمال داود وسليمان وعن دورهما السياسى والعمرانى في فلسطين هو التوراة، والتوراة وحدها، إذ لم يعثر المنقبون على أى أثر لهذا الدور. والتوراة كما أسلفنا كتبت في وقت لاحق وكتب أكثرها في الأسر في المحيط البابلى والسومرى الذي اعتاد أهله وصف أعمال الآلهة الخارقة العادة على نمط الأساطير الخيالية للتأثير بها على نفوس الجماهير، فقلد كتبة التوراة الأقوام الذين عايشوهم من العهد القديم في وصف عظمة داود وسليمان على طريقة كتابة الأساطير البابلية والسومرية والكنعانية في وصف آلهتهم التي ألفوها ووقفوا عليها وكانت هى مستنداتهم ومصادرهم في كتابة التوراة، فتأثروا بها كليا كما نشاهدها في وصف الخوارق التي نسبت للشخصيات الأخرى الواردة في التوراة مثل شمشون وغيره من الشخصيات المقدسة.

ويكفى أن ننظر إلى بعض أقوال التوراة، مثل قولها بأن الجماعة التي رافقت النبى موسى في خروجها من مصر بلغت " ستمائة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد " [٥] في حين أن الباحثين قدروا هذه الجماعة بستة آلاف أو سبعة آلاف نسمة فقط [٦]. لتكوين فكرة عن مدى مبالغات التوراة وأوصافها الخيالية

(١) المرجع السابق، ص ٢٨٦ - ٢٨٧.
(٢) حتى، " تاريخ سورية "، ٢٠٤.
(٣) طه باقر، " مقدمة.. "، ج٢، ص ٢٨٩.
(٤) (٢ صم، ٨: ٣ و ٨ و ١٢)؛ (١ أخ، ١٨: ٣ - ٨).
(٥) (خر، ١٢: ٣٧).
(٦) حتى، " تاريخ سورية "، ص ١٧٩.

إلى الحد الذي لا يمكن أن يتصوره العقل.

ويرى الكاتب الفرنسى جان لوى برنار أن سليمان لم يكن يهوديا وإنما كان أشوريا " كان نائب الملك معينا من الخارج " وهو شلمانصر الذي (عبرنه) اليهود فحولوا اسمه إلى سليمان وقد اغتيل على يدهم. فيقول في بحث مطول: "... وبصورة عامة لعبت فلسطين دور نائب الملك التابع، ومهما أوغلنا في تاريخها القديم لا نجد أنها عاشت أبدا مستقلة، وحتى في أيام داود، الذي تولى الحكم في القدس، كانت تدور في الفلك المصرى العملاق، وكل فرعون كان يعين نائبا له يختاره قطعا من العنصر المحلى. والرومان قد حذو حذو الفراعنة، فهيرودس مثلا كان من عنصر آخر، كان أدوميا على تعبير العهد الجديد، وقد قاسى هذا العنصر من كره اليهود له.

" وكان فرعون يعين في محميته (نائب الملك) ممن ليسوا من أهل المنطقة، ثم يزوجه امرأة من الطبقة الأرستقراطية المصرية. وامتد هذا الإجراء حتى شمل الهاربين والخونة والمرتدين السياسيين وكذلك الرهائن من الأمراء، وكانوا ينشئونهم على الطريقة المصرية ويزوجونهم بالطريقة نفسها.

" وبهذا الخصوص أقول إن أفضل مثل يضرب دون نزاع هو مثل سليمان ففى عهده دخلت سطوة مصر العسكرية في دور الاضمحلال، شأنها في ذلك شأن سطوة بابل، أما الكوكب الذي توسط كبد السماء فهو الكوكب الأشورى، فتحولت " نيابات الملك " التابعة من يد إلى أخرى، تحولت في فينيقية كما تحولت في فلسطين.

" وأرجح كون سليمان ساميا، كما كانوا ساميين أولئك الأشوريون المتحدرون من جبال زاغروس، ومن صياصى القفقاس ومعهم شطر من الأكراد. كل هؤلاء هبطوا إلى ما بين النهرين ليخضعوها بعد أن دب في أوصالها الانحلال.. وقد تمثلوا لغتها وثقافتها، والثقافات المسماة سامية نابعة من الجزيرة العربية الممعنة في الحضارة.. وسليمان من معدنهم، فهو نصف عربى (وهذه حصته البابلية) وهو نصف كردى. وهذا يفسر لنا الصداقة التي ربطت سليمان - بالملوك الفينيقيين الذين ساعدوه في بناء هيكله الذائع الصيت في القدس.

ويفسر لنا كذلك الحب الذي كرسته ملكة سبأ العربية للحكيم سليمان. ولو كان يهوديا لاستحالت هذه الصداقة ولاستحال هذا الحب إلى كراهية وبغضاء، لأن اليهود هم أمشاج مختلطة كانوا منبوذين في العالم العربى، ولكن هذا السامى

الكردى مرتبط روحيا بمصر إذا لم يكن هذا الارتباط سياسيا، وقد تزوج بامرأة مصرية من طبقة روحية عليا تدين بديانة الإلهة هاتور وتتكتم في ديانتها هذه، وهاتور إلهة سماوية ذات وجه أسود وإن آية الشاعر الملك الرائعة هى " نشيد الإنشاد " [١] الذي هو عبارة عن غزل دينى كان سائدا آنذاك، وهو مصرى قلبا وقالبا ومنهل خالص من مناخل الأدب الصوفى المصرى: (أنا سوداء ولكنى جميلة).

" وإذا كان هذا الملك السامى الكردى قد استطاع ممارسة الدين الذي تكتنفه الخفايا والأسرار - وهو من أعلم أهل زمانه - فإنه كان مدينا بهذا العلم لكاهنة مصرية من كهنة الإلهة هاتور... وهذه الكاهنة تزوجها بدافع الطموح السياسى، وتوج كل هذا بمعاهدة مصرية - أشورية، ففلسطين التي كانت حتى ذلك العهد محمية مصرية، أصبحت في الواقع أشورية، وقد وافق فرعون على تعيين نائب للملك الأشورى شريطة أن يرتبط بمصر عن طريق امرأة مصرية، ونصيبه كنصيب أسلافه.

وعن طريق المرأة نقلت مصر الحائزة على التقاليد الإنسانية القديمة امتيازاتها الروحية، فعهدت بها إلى أجانب من النخبة الممتازة. وقضية سليمان نطرحها كمثال.. ولأجل أن نحسن فهم ماهية هذه المنقولات علينا أن نناظر بين الملك سليمان (المعبرن) بصورة اعتباطية وبين شخصية أخرى هى شخصية الحبر الأعظم (يويا) [٢] (المعبرن) هو أيضا - بصورة كاذبة، فسموه يوسف الذي باعه إخوته " [٣].

وهنا تستوقفنا نقطة أساسية لابد من إثارتها وشرحها، وهى: هل كانت هناك في زمن داود وسليمان دولة إسرائيلية بمعنى يهودية حقا!، وهذا يسوقنا إلى أن نسأل: ما هى اللغة والثقافة التي كانت سائدة في فلسطين في عصر داود وسليمان في القرن العاشر قبل الميلاد؟.. هل كانت لغة داود وسليمان عبرية بمعنى يهودية

(١) نشيد الإنشاد لسليمان هو أحد أسفار كتاب العهد القديم، والتقليد اليهودى يشبه علاقة الشعب المختار مع إلهه بعلاقات الزوجة بزوجها، وأن دخول هذا السفر في الأسفار المقدسة إنما هو تجاوب مع هذه الصفات.

(٢) " يويا " هو سليمان الأول، وارث الحكمة والعلوم السحرية المصرية، كان أجنبيا وقد ظهر قبل أن يظهر اليهود على مسرح الأحداث.

(٣) " أسطورة الشعب المختار "، ترجمة الدكتور أكرم فاضل، ص ١١ - ١٩.

آنذاك؟

إن هذه المسألة محفوفة بالغموض الكثيف لعدم توافر أدلة محسوسة توضح لنا حقيقة الأمر، إذ لم يعثر حتى الآن على وثائق من هذا العصر على ما وصل إليه علمنا. لذلك فإن معلوماتنا عنه تبقى مصدرها التوراة فقط إلا أن القرائن كلها تدل بوضوح تام على أن هذه الدويلة التي تشكلت في زمن داود وسليمان لم تكن قد توفرت فيها المقومات القومية والثقافية، إذ لم تكن لها لغة أو ثقافة أو حضارة خاصة بها، بل كانت قائمة كليا على تراث كنعانى بحت كما تؤيد لنا ذلك الحقائق التاريخية الآتية:

أولا: أن الموسويين اقتبسوا بعد دخولهم فلسطين في عهد موسى، اللغة الكنعانية لغة أهل البلاد، وأخذوا بالثقافة الكنعانية وحضارتها ومن ضمن ذلك تقاليدها وديانتها، مما يدل على أن الثقافة الكنعانية كانت هى السائدة وأن الموسويين في عهد القضاة والملوك كانوا فئة أقلية في البلاد.

ثانيا: أن اللهجة العبرية المقتبسة من الأرامية التي كتبت فيها توراة اليهود في الأسر لم تظهر إلا في وقت متأخر ولم يكن لها وجود في عهد داود وسليمان.

ثالثا: أن الديانة اليهودية المقتبسة من الشرائع الكنعانية والبابلية والمصرية لم تكتسب الكيان الواقعى إلا بعد تدوين التوراة في وقت متأخر، وبذلك يكون تدوين التوراة في الأسر في بابل في القرن السادس قبل الميلاد هو الذي يمثل بداية الديانة اليهودية، لأن اللغة العبرية المقتبسة من الأرامية والتى كتبت بها التوراة لم تكن قد تكونت إلا قبيل تدوين التوراة.

رابعا: لقد كانت في فلسطين عدا الكنعانية لغات وثقافات أصيلة ازدهرت قبل دخول الموسويين إلى فلسطين مثل لغة الأدوميين ولغات المواببين والعمونيين والأراميين فضلا عن لهجات الفينيقيين. وكان لكل من هذه الأقوام ملوك وحكومات تتمتع بمقومات الكيان الحضارى المستقل. أما الموسويون فكانوا متأخرين وهم غرباء طارئون على فلسطين لا يملكون المقومات الأساسية لكيان حضارى مستقل خاص بهم. إذن فلا مفر والحالة هذه من قبول النظرية القائلة بأن اللغة الكنعانية كانت اللغة السائدة في البلاد في ذلك العصر، أما المراسلات مع خارج فلسطين فإذا رجعنا إلى العصور السابقة لعصر الموسويين نجد أن الملوك الكنعانيين كانوا يراسلون مصر باللغة البابلية وبالكتابة المسمارية كما هو ثابت من رسائل ملوك كنعان إلى فراعنة مر في القرنين الخامس عشر والرابع عشر

قبل الميلاد المكتشفة في تل العمارنة في مصر مما يدل على أن هذه اللغة كانت اللغة المتداولة في بلاد الشرق الأدنى في ذلك الزمن.

ولعل داود وسليمان قد سارا على هذا المنزال باستعمال اللغة البابلية في المراسلات وذلك قبل انتشار اللغة الأرامية في الشرق الأدنى والأوسط. ولكن لغة سليمان وداود في داخل البلاد كانت اللغة الكنعانية التي اقتبسها الموسويون بعد دخولهم فلسطين، لأن اللهجة العبرية التي دونت بها التوراة في وقت لاحق لم تكن قد تكونت بعد في زمن داود وسليمان.

ومعنى ذلك أن كتاب " العهد القديم " لم يكن قد ظهر إلى عالم الوجود في ذلك الزمن، أما المزامير التي ترجع إلى عهد داود وأمثال سليمان فهى من أصل كنعانى وكانت تتلى في ذلك العهد باللغة الكنعانية وعلى الطريقة الدينية الكنعانية [(١)].

ثم ترجمها الكهنة اليهود إلى العبرانية وعدت من الأسفار المقدسة في التوراة. ففى كل ذلك دليل واضح لا يرقى إليه الشك في أن فلسطين بقيت كنعانية في ثقافتها وحضارتها ولغتها في زمن داود في القرن العاشر قبل الميلاد وأن دويلة داود وسليمان لم تكن إلا دويلة قائمة على تراث كنعانى بحت تمثل أقلية صغيرة بين دويلات عريقة في حضارتها السامية العربية تحيط بها من جميع أطرافها.

وقد يسألنى سائل: أين مدونات الكنعانيين وآثارهم إذا كانت لهم حضارة ذات تراع عريق؟ إذ لم يصلنا شئ مهم من كتاباتهم في حين أنه وصلتنا أطنان من الألواح الطينية الأثرية من سور وبابل وآشور تحمل شرحا مفصلا للغاتهم وحضاراتهم وثقافاتهم، كما أن هناك أكداسا من لفائف البردى الأثرية وصلتنا من مصر زودتنا بمعلومات مفصلة عن نمط حياة المصريين السياسية والاجتماعية والدينية.

وهذا سؤال وجيه قد يرد على ذهن القارئ نترك لعلماء الآثار الإجابة عليه، وفيما يلى بعض شروحهم لتلك الأسباب كما وردت على لسان كيللر " في حوالى بداية الألف الأخيرة (الألف الأولى) قبل الميلاد (وهذا يصادف عهد داود وسليمان على وجه التقريب) هجر الكنعانيون الكتابة المسمارية ذات الزوايا كما

(١) حتى، " تاريخ سورية "، الطبعة الإنجليزية، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

هجروا استعمال الألواح الطينية السمجة ليحلوا محلها أسلوبا أقل تعقيدا في الكتابة، فكان عليهم حتى ذلك الزمن اتباع طريقة خدش النص في الطين الطرى بقلم خاص ثم شيه أو تجفيفه في الشمس وهى عملية بطيئة تستغرق بعض الوقت حتى تأخذ الحروف الضخمة طريقها للإعداد.

لذلك أخذوا يميلون أكثر فأكثر إلى استعمال نمط جديد من الكتابة على هيأة خطوط متموجة، وهذا النمط هو الحروف الأبجدية الهجائية الألفباء (الألفابيت) التي استعملها عمال المناجم الساميون في سيناء، إن القلم والطين لم يعودا ملائمين لهذه الحروف الدائرية الملسة. وهكذا صار الكنعانيون يبحثون عن أدوات كتابية جديدة وجدوها في الألواح الطينية المشوية وفى الدواة (المحبرة) وفى الحبر. ويسمى الآثاريون هذه الألواح الصغيرة التي تجرى عليها الكتابة بالحبر سلسلة " أوستراسا " (Ostraca) ثم حل محل هذه الألواح في حالات خاصة استعمال رقوق البردى وهى أرق مادة للكتابة استخدمها العالم القديم.

ويدل التقرير المصرى " وين - أمون " على كثرة الطلبات على هذه المادة في الصادرات المصرية، فقد تسلم أمير " بيبلوس " (جبيل) خمسمائة لفة من هذه الرقوق وهى تمتد طولا إلى أكثر من ميل من ورق الكتابة. ولما كان مناخ فلسطين رطبا لكثرة سقوط الأمطار في الشتاء فما أسرع ما يمسح الحبر من سطح الألواح الطينية الصلبة، أما ورق البردى فهو أسرع تعرضا للتلف. ومما يبعث إلى الأسى في نفوس الآثاريين والعلماء والمؤرخين جميعا وهم متعطشون إلى هذه المعلومات أن يكون مصير جميع الوثائق والمدونات الكنعانية الفقدان الكلى لهذا السبب، وإذا أمكن الآثاريون أن يعثروا في مصر على كميات كبيرة من هذا اللقى الأثرية على حالتها الطبيعية فذلك ناجم عن وقوع هذه المواد في جوار الصحراء التي تتسم عادة بالطقس الجاف " [(١)].

وفى مقارنته بين الكتابات المصرية القديمة وبين المدونات الكنعانية القديمة، يؤكد الأستاذ كريمر خبير الآثار السومرية " أن الكتابات الموجودة على الأهرام تعتبر من الدلائل الثابتة على أنه كان للمصريين في جميع الاحتمالات، أدبا مدونا ومتطورا جدا في الألف الثالثة قبل الميلاد، ولكن لسوء الحظ أن معظم التآليف المصرية القديمة كانت مدونة على البردى وهى مادة سريعة العطب، وكذلك الأمر بالنسبة لآداب الكنعانيين القدامى والتى لم تكن معروفة حتى الأيام الأخيرة،

(١) كيللر، " التوراة كتاريخ "، ص ١٩١ - ١٩٢.

ولكن الألواح التي اكتشفها الفرنسيون في شمال سورية (رأس الشمرة) أظهرت للوجود نماذج مدونة من آداب الكنعانيين ومع أن عدد هذه الألواح التي اكتشفها الفرنسيون في شمال سورية (رأس الشمرة) أظهرت للوجود نماذج مدونة من آداب الكنعانيين، ومع أن عدد هذه الألواح يعتبر قليلا نسبيا إلا أنها تنهض دليلا على أن الكنعانيين كان لهم في زمن من الأزمان أدب متطور جدا يعود تاريخه إلى ما يقرب من ١٤٠٠ سنة قبل الميلاد، أى أن هذه الآداب قد دونت بعدما يقرب من خمسمائة سنة من تدوين الألواح السومرية " [١].

وقد سبق أن أشرنا إلى الاكتشاف الذي أذاعنه محطة راديو لندن في شباط ١٩٧١ وإلى مراسلتى مع العلامة " مندنهل " المكتشف للمخطوطات القديمة، ومن الأسئلة التي وجهتها إلى هذا المستشرق: هل تعتبر دولة داود وسليمان في القرن العاشر قبل الميلاد عبرانية بمعنى يهودية قبل أن تكون اللهجة العبرية التي كتبت بها التوراة قد تكونت؟، وهل كانت هناك مقومات حضارية في عصر داود وسليمان غير الكنعانية؟ فأجابنى مؤكدا أن الكنعانية كانت السائدة في ذلك العصر وأضاف قوله: منذ عدة سنوات وأنا متمسك بالرأى القائل أن (إمبراطورية) داود وسليمان لم تكن إلا دولة وثنية على نمط الدولة الوثنية في الشرق الأدنى، وقد انتهت بالفوضى السياسية والدمار، لأنها كانت كسائر الدول الوثنية القديمة أكثر اهتماما بالقوة والمجد من التصرف بشكل يستجيب لرفاهية المواطنين أو الدول المجاورة، لقد كان هذا نبذا تاما لرسالة موسى النبوية فقاسوا ما ترتب على ذلك من عواقب " [٢].

وتؤكد التوراة أن مملكة سليمان كانت وقتية آلت إلى الزوال، فذكرت أن سليمان نقض العهد مع الإله يهوه وأهمل وصاياه إذ ذهب وراء عبادة الأصنام وبناء مرتفعات لها، فغضب الرب عليه: " وقال لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التي أوصيتك بها فإنى أمزق المملكة عنك تمزيقا.. " [٣].

(١) كريمر، " الأساطير السومرية "، الترجمة العربية، ص ٤٢ - ٤٣.
(٢) راجع ما تقدم في الفصل الرابع " ملاحظات ختامية "..
(٣) (١ مل، ١١: ١ - ١٣).

١٢ ـ عهد الانقسام:

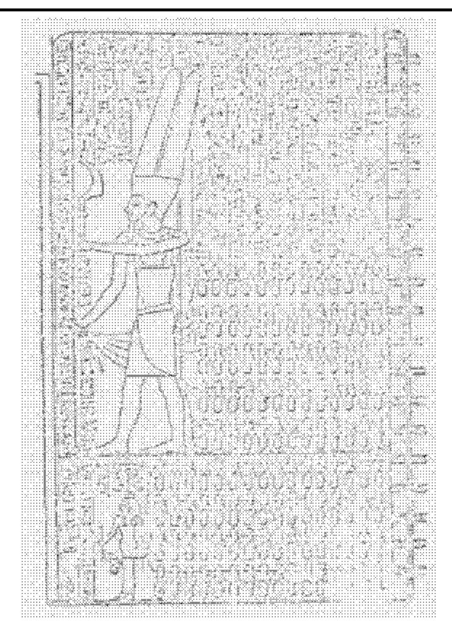
تحدثنا التوراة عن الخلافات التي ظهرت بين الموسويين بعد موت سليمان سنة ٩٣١ق.م، تمخض عنها قيام دولتين هزيلتين، الأولى في الشمال باسم مملكة إسرائيل وعاصمتها السامرة (سبسطية) والأخرى في الجنوب باسم: يهوذا عاصمتها أورشليم، وتولى الحكم في الأولى يربعام بن نباط، كما تولى الحكم في يهوذا رحبعان ابن سليمان [١]. وكانت الحرب سجالا بين المملكتين منذ البداية واستمرت طيلة وجودهما مما أضعفهما كلتيهما، هذا عدا الغزوات التي كانت المملكتان معرضتين لها من الخارج، فكان أول من غزا مملكة يهوذا شيشنق الأول ملك مصر (٩٢٦ ق.م) " وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ كل شئ وأخذ جميع أتراس الذهب التي عملها سليمان " [٢].

وفى زمن يهوران ملك يهوذا الرابع (٨٤٨ ـ ٨٤١ ق.م) انفصل بنو أدوم عن مملكة يهوذا وملكوا على أنفسهم ملكا [٣]، وفى زمنه أيضا صعد الفلسطينيون والعرب الذين بجانب الكوشيين إلى يهوذا وافتتحوها فاستولوا على كل الأموال الموجودة في بيت الملك وسبوا أبناءه ونساءه أيضا ولم يبق إلا أصغر بنيه [٤].

وفى زمن يوآش غزا الجيش الأرامى أورشليم وأهلك كل الرؤساء وأخذ جميع الخزائن وقدمها لحزائيل ملك الأراميين [٥]. وفى عهد أمصيا ملك يهوذا (٧٩٦ ـ ٧٦٧ ق.م) هجم يهوآش ملك إسرائيل على أورشليم فهدم سورها وأخذ كل الذهب والفضة وجميع الآنية الموجودة في بيت الرب وفى خزائن بيت الملك [٦].

---

(١) (١ مل، ١١: ٤٠، ١٢: ٢).
(٢) (١ مل، ١٤: ٢٥ ـ ٢٦)؛ (٢ أخ، ١٢: ٣ ـ ٤ و ٩).
(٣) (٢ أخ، ٢١: ٨ ـ ٩).
(٤) (٢ أ خ، ٢١: ١٦ ـ ١٧).
(٥) (٢ أخ، ٢٤: ٣)؛ (٢ مل، ١٢: ١٧ ـ ١٨).
(٦) (٢ مل، ١٤: ١١ ـ ١٤)؛ (٢ أخ، ٢٥: ٢١ ـ ٢٤).

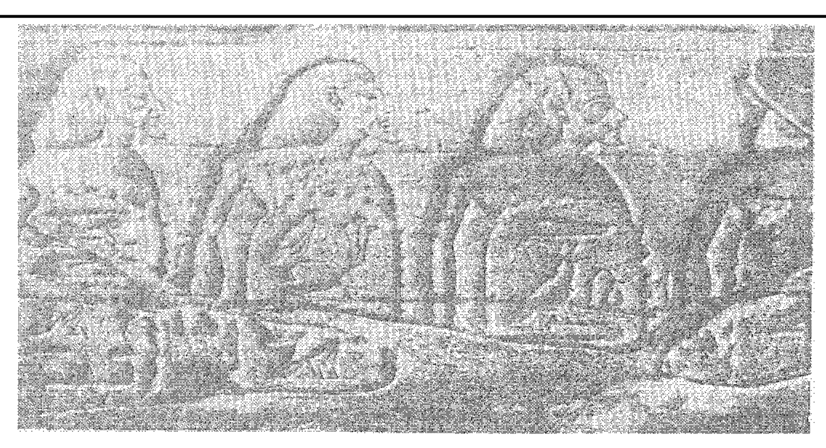


التصوير رقم (٨٣)

مسلة النصر للفرعون الليبى شيشونق الأول مؤسس السلالة الثانية والعشرين

عثرت عليها بعثة نابليون سنة ١٧٩٩ في معبد الكرنك يشاهد فيها الإله " آمون " شاهرا بيده اليسرى حربة وماسكا بيده اليمنى حبلا تتجمع عنده حبال ربط فيها ١٥٦ أسيرا من أسرى بلاد يهوذا يمثل كل منهم بلدا أو مدينة أو قرية (عن كيللر " التوراة كتاريخ "، ص٢٢٤).

وفى عهد ازدهار مملكة دمشق الأرامية أصبحت كلتا المملكتين، إسرائيل ويهوذا، تحت سيطرتها، فأخذ الملك ابن هداد (بنهدد) ملك دمشق (٧٨٩ - ٨٤٣ ق.م) الجزية من يهوذا وضم منطقة جلعاد في شرقى الأردن إلى المملكة الأرامية، كما أنه فرض الحماية الأرامية والجزية على إسرائيل في عهد ملكها آخاب بن عومرى (٨٧٤ - ٨٥٣ ق.م) وكان الأراميون يستغلون الخلاف بين إسرائيل ويهوذا لإخضاعهما كليهما إلى نفوذهم، ثم تحركت الإمبراطوية الأشورية المتعطشة للفتح، فاصطدمت أول ما اصطدمت بالأراميين، وبدأ الصراع بينهما على السيطرة، فاستغل الأشوريون الصراع القائم بين الأراميين وبين إسرائيل ويهوذا للانقضاض عليهم جميعا فأخضعوهم كلهم أخيرا الواحد بعد الآخر.

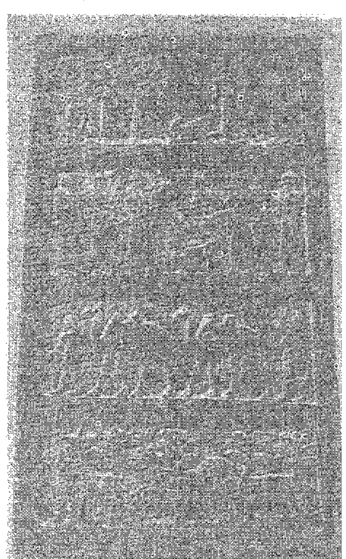


التصوير رقم (٨٤)

أسرى من يهوذا أخذهم شيشونق الأول في حملته على مملكة يهوذا سن ٩٢٦ ق.م، وجدت بين النقوش المصرية في معبد الكرنك أيضا (كتاب " قصة التوراة "، ص ٥٦٠)

١٣ ـ الغزو الأشورى وإزالة إسرائيل من الوجود:

لقد كان لقيام الإمبراطورية الأشورية التي دامت بين سنة ٩١١ و ٦٢٦ ق.م أثرها في تغيير وجه الشرق، فقد حكم خلال هذه الفترة خمسة عشر ملكا بلغت الإمبراطورية في عهد بعضهم أوج عظمتها واتساعها بحيث ضمت جميع أراضى الهلال الخصيب ومن ضمنها مصر. ولقد لعبت دورا رئيسيا في القضاء على مملكة إسرائيل نهائيا وسبى سكانها إلى أماكن بعيدة وإحلال سكانا من غير اليهود محلهم من مختلف أنحاء الإمبراطورية ثم تحطيم مملكة يهوذا.



التصوير رقم (٨٥)

الحقول الأربعة الأولى من مسلة الملك شلمنصر الثالث (٨٥٩ – ٨٢٤ ق.م)

فقد تمكن شلمنصر الثالث (٨٥٩ - ٨٢٤ ق.م) من إخضاع الأراميين والفينيقيين وإسرائيل، وفى مسلة شلمنصر الثالث المشهورة التي عثر عليها بين أنقاض كالح (نمرود) تشاهد عدة صور لحملات شلمنصر على البلاد التي فتحها مع كتابات تحت الصور تشرح ما يمثله كل منها. وتتكون هذه المسلة من الحجر الأسود عليها خمسة حقول متسلسلة كل منها مكرر أربع مرات في أربعة أطراف المسلة. ففى الأول من الجهة العليا يشاهد شلمنصر يتلقى الجزية من " شوعة " ملك " جلزام "، وفى الثانى يتلقى الجزية من " يهو " ملك إسرائيل في أرض عومرى. ويرى الملكان ساجدين يقبلان الأرض عند أقدام شلمنصر. وفى الحقول الثلاثة التالية ترى الغنائم والجزية من بلاد " موسرى " و " سوخو " و " باتن " على التوالى. وبذلك يبلغ مجموع عدد الصور في المسلة عشرين صورة (انظر التصوير رقم ٨٥).

ومن الحملات التي شنها ملوك الإمبراطورية الأشورية حملة " تجلات بلاسر الثالث " على مملكة أرام فاستولى على عاصمتها دمشق سنة ٧٣٢ ق.م، وسبى أهلها وقتل ملكها " رصين " ثم توجه إلى إسرائيل فاستولى في زمن " فقح " ملك إسرائيل (٧٣٩ - ٧٣١ ق.م) على كل أرضين إسرائيل وسبى اليهود إلى أشور وأحل محلهم سكانا من أقاليم أخرى، تاركها لخلف فقح الملك هوشع مدينة السامرة [١].

وقد قام تجلات بلاسر بهذه الجملة استجابة إلى طلب آحاز بن يوثام ملك يهوذا (٧٣٥ - ٧١٥ ق.م) من تجلات بلاسر إنقاذه من ضغط الملك رصين ملك دمشق والملك فقح ملك إسرائيل وقدم إلى ملك آشور كميات كبيرة من الفضة والذهب " الموجودة في بيت الرب وفى خزائن بيت الملك " [٢]. وقد عثر على مسلة أشورية نقش عليها شرح كامل لحملة تجلات بلاسر هذه على بلاد أرام وعلى إسرائيل.

---

(١) جاء في كتابات تجلات بلاسر الثالث ما هذا نصه: قمت بضم جميع مدن بيت عومرى في حملاتى السابقة ولم أترك سوى مدينة السامرة. أخذت نفتالى بأسرها وضممتها إلى أشور وعهدت برجالى حكاما عليها، وجميع سكان أرض بيت عومرى وممتلكاتهم حملت إلى أشور، وقد ورد مثل ذلك في التوراة (٢ مل، ١٥: ٢٩)؛ (١ أ خ، ٥: ٢٣). انظر أيضا:

Keller, “The Bible as History”, P. 241.

(٢) (٢ مل، ١٦: ٧ - ٩).

ثم جرد شلمنصر الخامس، خلف تجلات بلاسر حملة تأديبية على إسرائيل فحاصر عاصمتها السامرة مدة ثلاث سنوات، وقبل أن يظفر بالنصر النهائى وافته المنية في الشهر العاشر من عام ٧٢٢ ق.م، ولكن القائد الأشورى أتم مهمته باحتلال السامرة في النهاية على عهد سرجون الثانى خلف شلمنصر وبذلك تم استسلام السامرة والقضاء على مملكة إسرائيل نهائيا (١). وتبعا للخطة التي سار عليها تجلات بلاسر الثالث أجلى سرجون الثانى ٢٧٢٨٠ شخصا من اليهود إلى ناحية حران وإلى ضفة الخابور وميديا وأحل محلهم الأراميين من إقليم حماة، ثم لحق بهم العرب هناك في عام ٧١٥ ق.م وكذا بعض الأهلين من كوثا وبابل سنة ٧٠٩ ق.م (٢).



التصوير رقم (٨٦)

حقلان من حقول مسلة شلمنصر الثالث يشاهد فيها الهدايا التي بعث بها " ياهو " ملك إسرائيل إلى شلمنصر الثالث

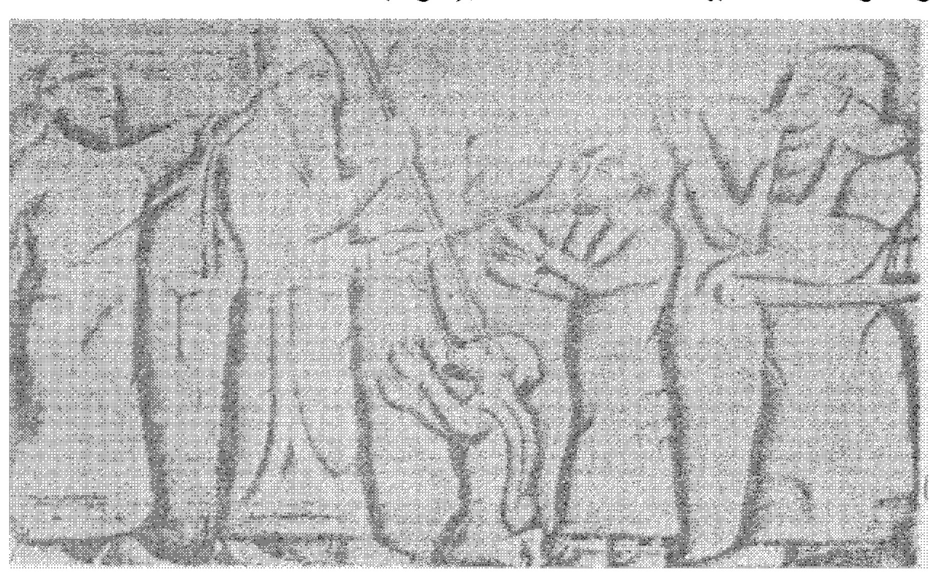
وقد عثر الخبير الآثارى بوتا سنة ١٨٤٣ بين أطلال مدينة " سمال " (زنجرلى) عاصمة الأراميين في شمال غربى سورية على مسلة سرجون الثانى نقشت عليها باللغة الأشورية وبالخط المسمارى تفاصيل الحملة الأشورية على إسرائيل التي انتهت بالقضاء عليها وحمل اليهود إلى الأسر.

وبذا كانت نهاية مملكة إسرائيل وبقيت مملكة يهوذا الصغيرة تنتظر دورها

(١) (٢ مل، ١٨: ٩، ١٧: ٦).

(٢) دى لابورت، " بلاد ما بين النهرين "، الترجمة العربية، ص٣٠٩.

وهى تتأرجح في مهب الرياح بين رحمة حكومة مصر من الغرب ودولة أشور من الشرق، فإذا انحازت للأولى غضبت عليها الثانية، وإذا انضمت إلى الثانية أغاظت الأولى. ولما انحاز حزقيا ملك يهوذا إلى مصر غضب سنحاريب الذي خلف سرجون فصمم على القيام بحملة قوية على مملكة يهوذا لإخضاعها أو تدميرها والقضاء عليها كما فعل أسلافه بإسرائيل.



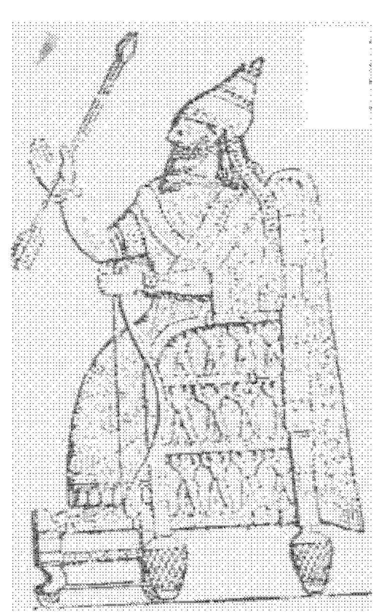
التصوير رقم (٨٧)
أسرى أمام الملك سرجون الثانى (٧٢٢ – ٧٠٥) يجذبهم إليه بحبل نفذ من خلال ألسنتهم وبقور أعينهم برمحه

فهب حزقيا وأرسل وفدا إلى مصر مستنجدا بملكها فوعده المصريون بمده بالعون، فانتقده أشعيا على اعتماد على ملك مصر بدلا من اعتماده على الرب بقوله: " ويل للذين ينزلون إلى مصر للمعونة ويستندون على الخيل ويتوكلون على المركبات لأنها كثرة وعلى الفرسان لأنهم أقوياء جدا ولا ينظرون إلى قدوس إسرائيل ولا يطلبون الرب " [١].

ولدينا مصدران عن أخبار حملة سنحاريب على مملكة يهوذا: الأولى كتابات سنحاريب نفسه وقد نقشت على جدران قصره في نينوى إلى جانب صورته وهو جالس على عرشه في مقر عملياته الحربية في لخيش وقد ظهر وفد من يهوذا يقدمون الجزية وفروض الطاعة. ويظهر مما ورد في هذه المدونات أن سنحاريب اتجه غربا حتى وصل إلى ساحل البحر المتوسط فاستولى على

(١) (أش، ٣٠: ١ - ٧، ٣١: ١).

صيدون (صيدا) بعد فرار ملكها " لولى " دون أن يتحرش ببلدة صور لموقعها المنيع على الجزيرة، وأشدود وكذلك من دول الشرق من موآب وعمون وأدوم. وقد بعثت مصر بجيش من المصريين والأثيوبيين فاستولوا أولا على " أشقلون " (عسقلان) ثم اتجهوا شمالا للاتصال بقوت حزقيا ملك يهوذا إلا أن سنحاريب قابلهم وانتصر عليهم، ثم توجه إلى عقرون فهدمها وأخذ يحتل مدن يهوذا الواحدة بعد الأخرى وقد اتخذ مقره في لخيش ومنها بعث بجيش أقام الحصار حول أورشليم العاصمة (١).



التصوير رقم (٨٨)

الملك سنحاريب (٧٠٥ – ٦٨١ ق.م) جالس على عرشه في " لخيش " التي اتخذها مقرا له في حملته على يهوذا سنة ٧٠١ ق.م

وفيما يلى نص كتابة سنحاريب التي يصف فيها انتصاراته على يهوذا فيقول: " أما حزقيا اليهودى فلم يرضخ لسلطتى فحاصرت ٤٦ مدينة من مدنه المحصنة عدا القرى المجاورة التي لا يحصى عددها واستوليت عليها كلها باستخدام أنواع الآلات الحربية والمنجنيقات مما ساعدنا على الاقتراب من الأسوار واختراقها. وقد أخذنا منهم (اليهود) ٢٠٠١٥٠ نسمة رجالا ونساء، أطفالا وشيوخا مع حيواناتهم من الخيول والبغال والحمير والجمال، كبيرة وصغيرة، لا تحصى، وهذه كلها غنائم استولينا عليها، هو شخصه (حزقيا) جعلته

(1) R.W. Rogers, "Cuneiform parallels to the old Test", N.Y. 1912, PP. 340 - 348.

حبيسا في أورشليم في قصره كالطير في القفص وأحطته بأكوام من الأتربة للتضييق على كل من يحاول الخروج من باب المدينة. سلمت مدنه التي استوليت عليها إلى " ميتينى " ملك أشدود و " بادى " ملك عقرون، و " سيلبيل " ملك غزة وهكذا قلصت حدود بلاده وفرضت زيادة في الجزية التي عليه أن يدفعها سنويا [١].

أما المصدر الثانى: فهو رواية التوراة وقد جاءت هذه الرواية مشوشة غير واضحة فمرة تقول: " صعد سنحاريب ملك أشور على جميع مدن يهوذا الحصينة وأخذها وأرسل ملك يهوذا إلى ملك أشور إلى لخيش يقول قد أخطأت، ارجع عنى ومهما جعلت على حملته، فوضع ملك أشور على حزقيا ملك يهوذا ثلاث مئة وزنة من الفضة وثلاثين وزنة من الذهب. فدفع حزقيا جميع الفضة الموجودة في بيت الرب وفى خزائن بيت الملك " [٢]، ثم تعود التوراة في رواية ثانية تقول: أن ملك أشور " أرسل من لخيش إلى حزقيا بجيش عظيم إلى أورشليم فصعدوا وأتوا إلى أورشليم.. وأن ملاك الرب خرج وضرب من جيش أشور مئة ألف وخمسة وثمانين ألفا، ولما بكروا صباحا إذا هم جثث ميتة فانصرف سنحاريب ملك أشور وذهب راجعا وأقام في نينوى " [٣].

نستخلص من المصدرين الأمور التي تتفق فيها الروايتان:

أولا: أن حزقيا طلب العون من مصر فعلا استنادا إلى انتقاد أشعيا للملك حزقيا على طلبه العون من مصر.

ثانيا: استيلاء سنحاريب على جميع مدن يهوذا المحصنة.

ثالثا: أن سنحاريب اتخذ من لخيش مركزا لعملياته الحربية في فلسطين.

رابعا: أن الحصار على أورشليم وقع فعلا ثم فك الحصار.

خامسا: تسلم سنحاريب الجزية التي فرضها على حزقيا.

أما الخلاف فينحصر في الأمور التالية:

أولا: أن التوراة في الوقت الذي تعترف ضمنا بطلب العون من مصر إلا

---

(1) J.Pritchard, “Archaeology and the Old Testament”, Princeton, 1958, p. 157.

(٢) (٢ مل، ١٨: ١٣ - ١٥).

(٣) (٢ مل، ١٨: ١٧، ١٩: ٢٥ - ٢٦).

أنها لم تشر إلى المعركة التي تذكرها كتابات سنحاريب بين جيشى أشور ومصر وتغلب الأول على الثانى.

ثانيا: أن التوراة تعترف باستيلاء سنحاريب على جميع مدن يهوذا إلا أنها سكتت عن الغنائم والأسرى الذين سباهم سنحاريب، وقد سكتت التوراة أيضا عن تسليم المدن التي استولى عليها سنحاريب إلى ملوك أشدود وعقرون وغزة.

وقد حددت التوراة تاريخ حملة سنحاريب على يهوذا في السنة الرابعة عشرة للملك حزقيا ولما كان حزقيا قد ارتقى العرش في سنة ٧١٥ ق.م، فيقع زمن حملته في سنة ٧٠١ ق.م وهذا يتفق مع التاريخ الذي توصل إليه المحققون من المصادر الأخرى، ومع أن مدينة أورشليم لم تسقط إلا أن الجيش الأشورى ترك البلاد خرابا ولم يستطع ملك يهوذا الاحتفاظ بعرشه إلا بعد دفع الجزية واعترافه بسيادة الأشوريين وظل الأمر كذلك حتى انهيار الدولة الأشورية [(١)].



التصوير رقم (٨٩)

أسرى يهود موسيقيون أخذهم الأشوريون في حملتهم على يهوذا

وأثبت دليل على أن تسمية إسرائيل وبنى إسرائيل للدلالة على أتباع موسى واليهود هى من ابتداع كتبة التوراة في وقت متأخر وأن دور موسى واليهود لا

(١) انظر بحث الأشوريين في الفصل الأول.

يمت بأية صلة إلى إسرائيل، وأن مصطلح بنى إسرائيل لم يرد في الكتابات الأشورية، مع أنه كانت هناك حروب متواصلة بين الأشوريين وبين ما سمى في التوراة بـ " مملكة إسرائيل " وقد أفاض الملوك الأشوريون في وصف هذه الحروب من غير أن ترد أية إشارة إلى مملكة إسرائيل. فقد سمى الأشوريون مملكة إسرائيل الوارد ذكرها في التوراة " بيت عومرى " في كتاباتهم، ولو كانت جماعة اليهود تسمى بـ " إسرائيل " في ذلك العصر لذكرها الأشوريون بهذه التسمية. ففي مسلة شلمنصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق.م) ورد اسم " يهوه " الذي أطلقت عليه التوراة عنوان " ملك إسرائيل " مقرونا بـ " بيت عومرى " وكذلك استعمل الملك تجلات بلاسر الثالث اصطلاح " بيت عومرى " في وصفه لحملته على فلسطين للدلالة على " إسرائيل التوراة "، فقال: " قمت بضم جميع مدن بيت عومرى.. وجميع سكان أرض بيت عومرى وممتلكاتهم... إلخ " وهذا ما يدل على أن التوراة قد انفردت في تسمية مملكة إسرائيل للدلالة على اليهود بعد تدوينها في وقت لاحق يلى العهد الأشورى، وذلك بغية ربط صلة اليهود بإسرائيل وبجده إبراهيم الخليل للأسباب التي شرحناها فيما تقدم. هذا مع العلم أن كلمة " إسرائيل " وردت في الكتابات المصرية التي ترجع إلى ما قبل عصر موسى واليهود، للدلالة على منطقة كنعانية بهذا الاسم، لذلك من الأرجح أن نسبة شلمنصر الثالث آخاب إلى إسرائيل هى نسبة إلى منطقة إسرائيل الكنعانية في فلسطين وليست نسبة إلى شخص إسرائيل (يعقوب).

وهنا تستوقفنا نقطة مهمة مقرونة بعلامة استفهام: هل كانت هناك مملكة تسمى إسرائيل حقا؟ لقد أفاض ملوك آشور في وصف حملاتهم على أقوام الشرق الأدنى وذكروا أسماء ملوك الدول التي أخضعوها ولقبوا رؤساء هذه الدول بالملوك إلا إسرائيل التوراة لم يطلق عليها اسم إسرائيل ولا على رئيسها تسمية ملك إذ سميت باسم " بيت عومرى " وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على أن ما سمته التوراة بمملكة إسرائيل لم يكن أكثر من قبيلة لم ترتفع إلى مستوى المملكة أو الدولة، واستعمال هذا الاصطلاح للدلالة على القبيلة كان ولا يزال شائعا عند العرب منذ القديم، هذا مع العلم أن التوراة هى المصدر الوحيد الذي يدعى بوجود مملكة تسمى إسرائيل كما أن معلوماتنا عن مملكة يهوذا والعهد الذي سمى بعد الملوك (شأول وداود وسليمان) مستقاة من التوراة وحدها. والتوراة كما هو معلوم هى من وضع الكتبة اليهود في وقت متأخر وهى مشحونة بالأساطير والمبالغات التي لا مجال لتصديقها، والادعاءات الخيالية التي لا يمكن أن يقرها العقل

والمنطق. وعلى هذا لا يمكن الاعتماد عليها كمصدر موثوق في تدوين الأحداث التاريخية القديمة ما لم تزكى من مصدر قديم أصيل، فكلما تعمقنا في دراسة التوراة وتتبعنا الظروف التي وافقت وضعها كلما ازداد اعتقادنا بأنه يجب على المؤرخ أن لا يتخذ من التوراة مصدرا نعول عليه في تدوين تاريخ الأحداث القديمة.

١٤ ـ الأسباط العشرة المفقودة والمسيحيون النساطرة في كردستان:

كانت سياسة الأشوريين أن يبعدوا السبايا إلى عدة أماكن نائية منعزلة لكى لا يتيسر لهم التجمع في مكان واحد والتكتل على أمل العودة إلى مناطقهم التي أبعدوا عنها، وهكذا فقد أبعد الأشوريون أسراهم اليهود من مملكتى إسرائيل ويهوذا إلى المناطق الجبلية المنعزلة في كردستان العراق وتركيا وإيران ضمن حدود الإمبراطورية الأشورية وأحلوا محلهم أقواما من أنحاء الإمبراطورية حتى خفيت أخبارهم عن اليهود في فلسطين وفى العراق فاعتبروا بحكم عن اليهود في فلسطين وفى المناطق العراقية الأخرى غير المناطق الجبلية الكردية فقلدوا الأكراد في نمط معيشتهم حيث صاروا يمارسون الأعمال الحقلية الزراعية وتربية المواشى متمتعين بحماية رؤساء القبائل الكردية ويؤدون لها الجزية.

ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن هؤلاء اليهود المسبيين لا يزالون رغم مرور حوالى ٢٨٠٠ سنة على نفيهم إلى كردستان يتكلمون فيما بينهم بلغتهم الأصلية، اللهجة الأرامية الغربية القديمة التي كانوا يتكلمون بها قبل سبيهم إلى المناطق الكردية، ويلاحظ أن الصهاينة كانوا يحرصون كل الحرص على تهجير هؤلاء اليهود إلى إسرائيل من دون بقية يهود العراق.



التصوير رقم (٩٠)
أحد الرعاة اليهود في كردستان – من تصوير المؤلف

وذلك لأنهم أصحاء الجسم يمتهنون الفلاحة وتربية المواشى فهم يصلحون أكثر من غيرهم من اليهود كأياد عاملة في الحقل، وفضلا عن ذلك فهم لا يزالون متمسكين بدياناتهم الأصلية ولا يخشى منهم مشاركة العرب في شعورهم نحو القضية العربية لأن لغتهم الثانية بعد الأرامية هى الكردية. وقد أفلح الصهاينة في تجهيز كل اليهود الأكراد من العراق إلى إسرائيل بالاتفاق مع الحكومة العراقية القائمة. ويؤيد الباحثون نقلا عن هؤلاء اليهود الأكراد أنفسهم بأنهم أحق اليهود الذين سباهم الأشوريون ونقلوهم إلى منطقة كردستان [١]. وقال ذلك بنيامين التطيلى الذي زار هذه المنطقة في القرن الثانى عشر الميلادى، في رحلته عن العمادية [٢]: " يقيم بها نحو خمسة وعشرون ألف يهودى وهم جماعات منتشرة في أكثر من مائة موقع من جبال خفتيان [٣]، عند تخوم بلاد مادى. ويهودها من بقايا الجالية الأولى التي أسرها شلمنصر ملك أشور ويتفاهمون بلسان الترجوم [٤]. وبينهم عدد من كبار العلماء والعمادية على مسيرة يوم من تخوم بلاد العجم.

يؤدى يهودها الجزية للمسلمين شأن سائر اليهود المقيمين في الديار الإسلامية، وقدرها دينار أميرى ذهبا لمن بلغ منهم الخامسة عشر من عمره، وفى كلام بنيامين على نهاوند، وهى بلدة تبعد أربعين ميلا عن همذان يقول: " وأرض نهاوند تبعد مسيرة خمسة أيام عن العمارية تسكنها طائفة لا تؤمن بدين الإسلام،

---

(1) Neusner, "A History of the Jews in Babylonia, the Parthian Period", P. 59 n.t ; Fischel, "The Jews of Kurdistan", P. 196.

(٢) العمادية قلعة شعيرة في شمال العراق تبعد نحو ١٦٨ كيلو متر عن الموصل، كانت تسمى في العصر الأشورى أمات (Amat) ويروى ياقوت أنها كانت حصنا للأكراد يدعى " آشب " وبعد خرابه عمره عماد الدين زنكى بن آق سنقر وسماه باسمه.

(٣) خفتيان حبتون أو هفتون، من جبال كردستان، جاء في معجم البلدان لياقوت: حبتون جبل بنواحى الموصل، وهفتون بليدة صغيرة من نواحى أربل تنزلها القوافل لمن يريد أذربيجان، وخفتيان قلعتان عظيمتان من أعمال أربل، إحداهما على طريقة مراغة يقال لها خفتيان الزرزارى والأخرى خفتيان سرخاب بن بدر.

(٤) يقصد اللغة الأرامية الشرقية التي مازال يهود كردستان يتكلمون بها فيما بينهم حتى اليوم.

يعتصم أتباعها بالجبال المنيعة ويطيعون " شيخ الحشاشين " [١] ويقيم بين ظهرانيهم نحو أربعة آلاف يهودى يسكنون الجبال مثلهم ويرافقونهم في غزواتهم وحروبهم، وهم أشداء لا يقدر أحد على قتالهم، وبينهم العلماء التابعين لنفوذ رأس الجالوت ببغداد [٢].

وقد توصل الدكتور غرانت الطبيب والمبشر الأمريكى الذي قضى عدة سنوات في منطقة كردستان وتجول في أنحائها التركية والعراقية والإيرانية إلى أن أكثرية يهود كردستان من أحفاد السبايا الأشوريين وأنهم أخذوا بتعاليم السيد المسيح بعد ظهوره وصاروا يعرفون بالنساطرة نسبة إلى القديس نسطور أو التيارية بالنسبة لتسميتهم القبائلية [٣]، والدكتور غرانت هذا حل بين النساطرة

---

(١) هم الإسماعيلية من أتباع الحسن بن الصباح، استفحل أمرهم في القرنين السادس والسابع للهجرة، حتى استأصل شأفتهم هولاكو فهاجر فريق منهم إلى الهند.

(٢) " رحلة بنيامين التطيلى "، ترجمة عزرا حداد، ص ١٥٣ - ١٥٤.

(٣) إن المذهب النسطوري فرع من المسيحية ظهر أثر حدوث انشقاق مذهبي واسع في المسيحية في الشرق سنة ٤٣١م، ولم يقتصر هذا الانشقاق على النسطورية بل شمل فرعًا آخر وقع سنة ٤٥١م هم اليعقوبية المناوئة للنسطورية، هذا عدا طائفتي البروتستانت والكاثوليك في أوروبا، ونظرًا لنفوذ الطائفتين الأخيرتين ورغبة كل منهما في جذب اليعاقبة والنساطرة للانضمام إلى كنيستها فقد نشطت البعثات التبشيرية من أوروبا وأمريكا والبابوية إلى اليعاقبة والنساطرة واستطاعت أن تحول قسمًا من اليعاقبة عن مذهبهم الأصلي إلى المذهب الكاثوليكي فسموا بالسريان الكاثوليك نسبة إلى الكنيسة الكاثوليكية وبقي اليعاقبة الأصليون يتسمون بالسريان الأرثوذكس بمعنى المستقيمين الرأي.

وأما النساطرة فقد التحقت جماعة منهم في منطقة السهول برئاسة مار إيليا بروما وسموا بالكلدان واعترفت الحكومة العثمانية بهم كملة الكلدان سنة ١٨٤٥، وفي نفس الوقت تزعم المار شمعون في منطقة الجبال النساطرة الذين ثبتوا على مذهبهم كزعيم ديني وقبائلي وتبعوه في جميع شؤونهم، وقد حلت بين هؤلاء بعثات التبشير الإنكليزية في مواطنهم على الحدود الإيرانية التركية شرقًا وغربًا وأن هذه البعثات حين لم تستطع تحويلهم إلى اعتناق مذهبها فقد استطاعت إقناعهم بعدم لياقة الاسم النسطوري وأن تسميتهم بالأثوريين ترفع من منزلتهم في الأوساط العالمية إذ لابد أن يكونوا أحفاد ذلك الشعب الأشوري العريق في السؤدد والحضارة فيقول جون جوزيف في كتابه " النساطرة ومجاوروهم المسلمون " المطبوع في برنستون سنة ١٩٦١: " لقد أطلق على البعثة التبشيرية الإنكليزية التي أرسلت إلى النساطرة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر (١٨٨٦) اسم (بعثة رئيس أساقفة كنتربري إلى المسيحيين الأثوريين)،

على رأس بعثة أوفدها مجلس البعثات التبشيرية البروتستانتية الأمريكية سنة ١٨٣٥م، وبحكم مهنته كطبيب كان يسهل عليه التوغل بين المسيحيين والأكراد في تلك المناطق الجبلية الصعبة والمحفوفة بالمخاطر. فاتخذ الدكتور غرانت أورمية مركزا لعمله وأسس عشر مدارس في القرى المسيحية في مختلف أنحاء المنطقة ومدرسة داخلية واحدة للبنات في أورمية. وقد تعلم الدكتور غرانت لغة المسيحيين النساطرة وهى اللغة الأرامية السريانية وترجم بعض أقسام من الإنجيل ومن العهد القديم إلى هذه اللغة وجلب مطبعة لطبع الكتب بها، كما تعلم الكردية مما سهل عليه إنجاز مهمته.

وقد قضى الدكتور غرانت هو وعائلته ست سنوات في منطقة كردستان الواقعة في تركيا وإيران والعراق، وبعد دراسة عميقة لعادات هؤلاء النساطرة وتقاليدهم وطقوسهم الدينية واتصالاته بشخصياتهم الدينية والقبائلية وبخاصة اتصاله ببطريقهم الأكبر الذي كان مقره في بلدة " جولامرك " الواقعة قرب منبع خابور دجلة، توصل إلى أن النساطرة القاطنين في كردستان هم أحفاد الأسباط العشرة المفقودة الذين سباهم الأشوريون وأبعدوهم إلى مناطق أشور النائية، وهى المناطق التي ورد ذكرها في التوراة، أى جلح وخابور ونهر جوزان ومدن مادى [(١)]. وتتوسط هذه المناطق التي تشمل مساكن أكراد العراق وإيران وتركيا مدينة نصيبين، وقد كانوا على رأى الدكتور غرانت يهودا عندما نفاهم الأشوريون إلى هذه المناطق الجبلية النائية، ثم لما ظهر السيد المسيح بعد حوالى سبعة قرون

ولقد كانت هذه البعثة بالذات هي أول من سمى النساطرة أثوريين.. وأن نظرية كون النساطرة أحفاد الأثوريين القدامي لقي دعاية واسعة بلسان المبشر الإنكليزي ويجرام الذي نشر هذا الاسم وعرف العالم بالمأساة التي حلت بأحفاد شلمناصر.. ويضيف إلى ذلك قوله: ولم يكن هؤلاء النساطرة يدعون أنفسهم بهذا الاسم (أي أثوريين) إلا منذ القرن التاسع عشر، وهذا ما يوضح أن النساطرة الكلدان الذين تحولوا إلى الكلثكة ليسوا أحفاد الكلدان القدامى، وأن اللغة المسماة بالكلدانية والتي تقرأ بها الطقوس الكنسية ليست من اللغة الكلدانية في شيء بل هي اللهجة الأرامية الشرقية أو اللهجة السريانية العراقية، كما أن النساطرة الذين سموا بالأثوريين ليسوا أحفاد الأشوريين القدامى وأن ما يسمى باللغة الأثورية لا تعدو كونها اللهجة السريانية= =الشرقية (أرامية - سريانية) بقلم جورج حبيب، مجلة التراث الشعبي، أيلول ١٩٧٠، ص ٨٦ - ٨٧).

(١) (٢ مل، ١٧: ٦، ١٨: ١١).

اتخذوا تعاليمه دينا لهم، وذلك نتيجة البعثات المسيحية التي أوفدها الحواريون أتباع السيد المسيح إلى هذه المناطق للتبشير بتعاليم الدين المسيحى الجديد بينهم، وكان ذلك بعد وفاة المسيح بقليل، مما يدل على أن الحواريين كانوا على علم بوجود الأسباط العشرة في تلك المناطق وكانوا على اتصال مسبق بهم [١].

وقد حافظ هؤلاء اليهود المتنصرون على تقاليدهم وعاداتهم القديمة التي هى نفس تقاليد وطقوس وعادات ولغة اليهود القاطنين في تلك المناطق، وهم قلة بينهم لم يتنصروا، حتى أنه كان من الصعب التمييز بين النساطرة وبين اليهود المجاورين لهم في المنطقة.

ويذكر الدكتور غرانت أنه شاهد مخطوطا بالسريانية لدى المار شمعون الرئيس الروحى للنساطرة يرجع إلى ما قبل أكثر من سبعمائة سنة يؤيد كون النساطرة أحفاد الأسباط العشرة. وقد أورد الدكتور غرانت أدلة كثيرة مفصلة لدعم ما توصل إليه بخصوص أصل المسيحيين النساطرة في كتاب نشره بالإنجليزية تحت عنوان " النساطرة أو الأسباط المفقودة " وطبع هذا الكتاب في نيويورك سنة ١٨٤٣ [٢] ثم ترجم إلى الفرنسية وطبعت الترجمة في باريس سنة

---

(١) تدل المدونات التاريخية المسيحية على أن بعض تلاميذ المسيح الاثنين والسبعين جاءوا بعد وفاته مباشرة على منطقة الأسباط العشرة للتبشير بتعاليمه بينهم، فقد جاء من هؤلاء التلاميذ المدعو " مارادى " ومعه " مارمارى " فطافا بلاد نصيبين وأثور وكركوك، وبعد وفاة " مارادى " بقى " مارمارى " يطوف بلاد حديان وكركوك ورنوان وكشكر وساليق وميشان والأهواز وتوفى في المدائن سنة ٨٢ للميلاد ودفن في البيعة الكبرى بدور قنى في سرجاد " تاريخ كلدو وأثور "، ج٢، ص ٢ " أخبار بطاركة كرسى المشرق من كتاب المجدل " لعمرو= =بن متى، ص ١ - ٢، " أخبار بطاركة كرسى المشرق من كتاب المجدل، لمارى بن سليمان، ص ٣ - ٥.

(٢) انظر المراجع التالية:

A.Gran, “The Nestorians or the Lost Tribes, N.Y., 1841; G.Badger, The Nestorians and their Ritual”. London, 1852, (2vols.); J.Joseph, “The Nesorians and their Muslem Neighbours”, Princeton 1961; J.Joseph, d’Avril, “La Chaldee chretienne - Histoire des Chaldeens unis et des Nestoriens”. Paris, 1864.

١٥٤٣ [(١)].

ويرى الدكتور نيوزنر صاحب كتاب " تاريخ اليهود في بابل " أن الأدلة التي أوردها الدكتور غرانت في دعم الرأى القائل بأن النساطرة هم في الأصل من اليهود الذين نفاهم الأشوريون إلى منطقة كردستان ثم تنصروا بعد ظهور السيد المسيح تقيم بحجة قوية مقنعة لتقبل هذه النظرية، ويشرح الأستاذ نيوزنر بصورة مفصلة انتشار حركة التنصر التي اجتاحت المجتمع اليهودى في العراق بعد ظهور السيد المسيح مع بيان أسبابها. فكان من جملة الأسباب التي ذكرها التذمر من تحكم وتشديد الربانيين الذين كانوا يدعون بأنهم يمتلكون الحق والامتياز بتوجيه حياة الطائفة اليهودية حسب تفسيراتهم للتوراة والتلمود.

ومن هذه الأسباب أيضا مضايقات الربانيين بتحريم اختلاط أبناء الطائفة اليهودية بالأغيار المجاورين لهم وقبول أية مساعدة منهم وذلك خوفا من تأثرهم بالديانات الأخرى غير اليهودية ومنها المسيحية. وكلما كان الوثنيون يشنون حملات الاضطهاد ضد اليهود كان الربانيون يمانونهم بالمسيح المنتظر الذي ينقذهم من آلامهم ومن عبوديتهم فيملكهم على العالم أجمع ولكن الانتظار الطويل دون تحقيق هذه الأمنية ولد روح التذمر في نفوسهم، وفضلا عن ذلك كان الربانيون يفرقون بين بعض الطبقات من أبناء الطائفة اليهودية مما حمل الطائفة المهانة على الميل لتقبل الدعوة المسيحية التي تبشر بالأخوة والمساواة مقابل التفسيرات التلمودية التي وضعها الربانيون والتى تأمر بالعزلة وتدعى بالاستعلاء والتفوق على بقية الناس من غير اليهود. وقد أقلقت حركة التنصر بين اليهود

---

(١) انظر المراجع التالية حول يهود كردستان:

Isaac Ben Zvi, “Les Juifs Kurdes dans le Judaisme Sephardi”, London, Mai 1954; J. Jbenjamin, “Cinq annees en Orient, 1846 - 51”, Paris, 1856; W.Schwarz, “Bei den Kurdishen Juden”, Judische Rundshau, 12. VII, 1935; W.Schwarz, “Die Juden in Sandor”, Judische Rundshau, 2.6., 1935; David d’Bet Hillel, “The Travels of Rabbi David d’Bet Hillel from Jerusalem through Arabia, Koordistan, Part of Persian and India to Madras”, Madras, 1832; A.Ben Jacob, “Kurdish Jewish Communities”, Jerusalem, 1961, (in Hebrew); W.J. Fischel, “The Jews of Kurdistan a Hundred Years ago”, N. Y., 1944.

وانسياقهم نحو المسيحية الربانيين بحيث أصبحت تجابههم مشكلة حرجة وعويصة في مجرى حياة اليهودية، ولكن كل المحاولات المبذولة في سبيل إيقاف وتجميد هذه الحركة باءت بالفشل وصارت الجماعة المتنصرة تعرف بـ " المينيم " (Minim) والشخص اليهودى المتحول إلى النصرانية بـ " المين " (Min) حتى صار كل مسيحى من أهل يهودى يعرف بهذا الاسم لتمييزه عن بقية المسيحيين [1].

وتتفق التواريخ المسيحية والكتب الطقسية القديمة على أن أولى الجماعات النصرانية في الشرق تألفت من اليهود المنتصرين، وأن تلميذي السيد المسيح أدي وماري هما اللذان بشرا أولاً بالمسيحية منذ الجيل الأول للمسيح، فكان أول أسقف عين في أربيل عاصمة حدياب من اليهود المنتصرين على يد المار ادي في أربيل، ثم تولى مهمة التبشير بالمسيحية بعد ادى وماري أساقفة من اليهود المتنصرين أيضًا كانت أعمالهم التبشيرية بين اليهود من أبناء طائفتهم وهم مرتبطون معهم بوشائج عائلية ولغوية، كان باستطاعتهم التأثير فيهم وإقناعهم بأفضلية الدين المسيحي على الدين اليهودي، إذ جاء هذا الدين الجديد لإصلاح ما أدخل على دين موسى من التحريف والبدع على يد الربانيين من اليهود، فقد تولى كرسي أسقفية أربيل عشرة أساقفة بين سنة ١٠٤ وسنة ٣١٢ للميلاد كانوا كلهم من اليهود المتنصرين كما تدل على ذلك أسماؤهم وهم: بقيدا، وشمشون، وإسحاق، وإبراهام، ونوح، وهابيل، وعبيد مشيحا وحيران، وشحلوبا، واحاد بوي، وقد ذكرت الأخبار أن بقيدا الذي عين أول أسقف في حدياب هو من الذين تتلمذوا على المار ادي في أربيل وكان من عائلة يهودية فقيرة وتنصر نحو سنة ٩٩م، فاضطهده أهله وحبسوه لكنه هرب ولحق بما رآدي وهو يكرز بالإنجيل في جبال حدياب وبقى عنده خمس سنوات، ثم جعله أسقفا وأرسله إلى أربيل سنة ١٠٤م، ونصَّر بقيدا أهله وكثيرين من سكان المدينة وتوفي سنة ١١٤ ودفن في منزل أهله (تاريخ كلدو واثور ١:٢ - ١٤)، وقد مارس بقيدا مهما أسقفية أربيل في زمن ملكي الفرث باقور الثاني (٧٧ - ١١١م) وخوسرو (١١١ - ١٢١م) وكانت أمارة حدياب آنذاك تحت حكم أسرة يهودية حكمت حدياب بين سنة ٣٦ وسنة ١١٥م.

ونخلص مما تقدم إلى أن التبشير بالمسيحية في الشرق قد تم في القرنين

(1) Neusner, “The Jews in Babylonia “III, P. 354.

الثـاني والثالـث للميلاد علـى شكل واسـع بـين اليهـود فـي منطقـة حـدياب علـى يـد أساقفة من اليهود المتنصرين، وكان ذلك بعد انقراض حكم السلالة اليهوديـة فـي حدياب بين سنة ٣٦ وسمة ١١٥م.

ونخلص ممـا تقدم إلـى أن التبشير بالمسيحية فـي الشرق قد تم فـي القرنين الثـاني والثالـث للميلاد علـى شكل واسـع بـين اليهـود فـي منطقـة حـدياب علـى يـد أساقفة من اليهود المتنصرين، وكان ذلك بعد انقراض حكم السلالة اليهوديـة فـي حدياب على يد الإمبراطور تراجـان سنة ١١٥م، إذ لـم يكن باستطاعة اليهـود أن ينتصروا فـي عهد حكومـة حـدياب اليهوديـة لمـا كـان لهذه الإمـارة من نفوذ علـى رعاياها، وهذا يكشف لنـا أن اليهود الـذي أسرهم الأشوريون ونقلوهم إلـى جبـال كردستان وهم الأسباط العشرة الذين اعتبرهم المؤرخون مفقودين واعتبرهم يهـود بابل مندمجين بالوثنية كانوا لا يزالون في أمكانهم الجبليـة المنعزلـة التـي استقروا فيها ولكن كمسيحيين لا كيهود، ومن الواضح أن هؤلاء اليهود المسبيين وجدوا فـي منفـاهم فـي هـذه المنطقـة الجبيلـة المنيعـة خيـر مؤيـل يحمـيهم مـن غـارات الفـاتحين، فحـافظوا علـى كيـانهم واسـتقلالهم، ولغـتهم السـريانية ومعهـا المـذهب النسطوري، حيث كانوا في مأمن بعيدين عن ويلات الحروب والغزاة، وعاشـوا كيهود سبعة قرون قبل المسيح، وكمسيحيين زهـاء ١٨٠٠ سنة بعد المسيح، هذا فـي حين أن إخوانهم مـن السبي البـابلي ومـن يهود فلسطين قاسـوا مـن اضـطهاد الفرس والرومان الشيء الكثير، ويبدو أن المتنصرين من اليهود كانوا فـي البدايـة يحفظون السبت والأحد على أساس أنهم كانوا لا يزالون متمسكين ببعض وصـايا النـاموس وطقوسـه، بينمـا كـان المنتصـرون مـن الأمم لا يحفظـون إلا الأحـد ومـع تـوالي الأيـام صـار الجميـع يحفظـون يـوم الأحـد فقـط (قـاموس الكتـاب المقـدس، الطبعة الجديدة، ص ٣٩٦).

١٥ ـ إمارة حدياب اليهودية:

وممـا تجـدر الإشـارة إليـه أن إمـارة واسـعة تـدعى إمـارة حـدياب وبالعربيـة (حزة) ازدهرت في القرن الأول بعد الميلاد فـي نفس منطقـة كردستان التـي نقل إليه يهود مملكـة إسرائيل المسبيين (الأسباط العشرة)، وهـى مـن ضـمن أراضـى أشور القديمة تقع في شرقى نهر دجلة في منطقـة كردستان وتمتد بين نهر دجلـة وأذربيجان ثم توسعت لتشمل بلدة نصيبين غربـا. وكـان ملك هذه الإمـارة المـدعو (إيزاط الأول) يهوديا كما كانت الملكـة الأم المدعوة (هيلانـة) يهوديـة أيضـا. أمـا

عاصمة الإمارة فكانت مدينة أربيل.

وقد اعتلى (إيزاط) عرش الإمارة سنة ٣٦ بعد الميلاد وامتد حكمه فيها حتى توفى سنة ٦٠م، فخلفه أخوه مونوباس الثانى، وقد دام حكم هذه الإمارة أكثر من ٧٥ سنة عندما غزاها تراجان إمبراطور روما سنة ١١٥ أو ١١٦م [١]، ولما كان أهل حدياب من الأراميين لغة وجنسا فالأرجح أن الملك " إيزاط " كان قبل تهوده أراميا وثنيا. وقد التزمت هذه العائلة الملكية اليهودية بولائها وإسنادها لليهود في القدس مما يدل على أنه كان هناك منذ القديم اتصال بين الأسباط العشرة في كردستان وبين اليهود في القدس.

ويقول الأب أدى شير في وصف إمارة حدياب ما هذا نصه: " أما حدياب وسماها العرب حزة فموقعها بين الزابين وكانت تمتد إلى أثور - وإلى نصيبين أيضا وكانت قاعدتها مدينة أربيل وفى الجيل الأول للمسيح كان يملك فيها ملك اسمه إيزاط، قال عنه يوسفوس المؤرخ اليهودى أنه اعتنق الديانة اليهودية على يد حنينا، وقد اشتهرت أمه هيلانة أثناء المجاعة التي حدثت في زمانها في أورشليم عندما جلبت القمح من مصر ووزعته على أهل أورشليم، وفى أيام إيزاط دخلت نصيبين تحت حكم أرابيل " [٢].

وكانت إمارة حدياب في عهد حكم إيزاط موالية لحكم الفرثيين لذلك كانت تتمتع بالإسناد من ملوكهم، وقد لعبت دورا رئيسيا في العلاقات السياسية والعسكرية في الشرق الأدنى فغدت بموافقة الفرثيين وتأييدهم ثورة اليهود ضد الرومان بين سنة ٦٦ وسنة ٧٠ للميلاد، كما كانت تسند الفرثيين في حروبهم مع الرومان [٣].

ويقول الدكتور غرانت في كتابه المتقدم ذكره: أن عدد النساطرة في منطقة حدياب التي كانت تحت حكم ملك يهودى خلال القرن الأول للميلاد يبلغ مائة ألف نسمة، وقد كان أجداد هؤلاء يهودا من الأسباط العشرة قبل تنصرهم في أعقاب ظهور المسيح وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

---

(1) Ibid, P. 354.

(٢) " تاريخ كلدو وأثور "، ج١، ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٣) انظر:

نيوزنر، " تاريخ اليهود في بابل - العهد الفرثى "، ص ٥ - ٦٤. " تاريخ كلدو وأثور "، ج٢؛ سليمان صائغ، " تاريخ الموصل "، ج١، ص ١٩.

كما ويذهب الدكتور غرانت [١] إلى أن القبائل اليزيدية القاطنة في كردستان هم كالنساطرة من أحفاد الأسباط العشرة اليهودية [٢].

وفى نفس الوقت الذي اعتلى فيه إيزاط الأول على عرش حدياب في المنطقة الكردية توطدت في قلب منطقة بابل إمارة يهودية حكمت خمسة عشر عاما بين سنتى ٢٠ و ٣٥ بعد الميلاد [٣]، كما أن هناك سلالات يهودية حكمت في القرن الأول للميلاد في أرمينيا وما جاورها من المقاطعات كايادوشيا وأيتوريا وأبيلين.

ولابد من التوضيح هنا أن حكام هذه الإمارات اليهودية كانوا في الغالب من أهل البلاد التي حكموها، لذلك فعندما نقول أن إمارة يهودية وجدت في هذا القطر أو ذاك في تلك الأزمان فهذا لا يعنى أن يهودا جاءوا من فلسطين واستولوا على الحكم في ذلك القطر. فإمارة حدياب مثلا كان حاكمها مونوباسس الأول وثنيا من أهل البلاد تزوج من أخته هيلينا فأنجبت منه إيزاطا الأول، والظاهر أن الوثنيين كانوا يحللون الزواج من الأخت.

وفى تلك الغضون اعتنق إيزاط الأول الديانة اليهودية وهو صبى بتأثير أحد التجار اليهود، كما اعتنقت أمه هيلانة الدين اليهودى أيضا تحت نفس التأثير. فلما مات مونوباسس الأول خلفه ابنه أيزاط الأول المتهود على العرش، وعلى الرغم من النتائج السياسية المترتبة على هذا التحول في المذهب وخاصة بالنسبة للأسرة الحاكمة في البلد فإن ذلك لم يغير ما كان الناس عليه من حيث قوميتهم وعاداتهم وتقاليدهم قبل التحول المذكور، ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن التحول من الوثنية إلى اليهودية أو إلى المسيحية بعد ظهورها كان أمرا مألوفا في الشرق في هذه الفترة بالذات، كما قامت في نفس الوقت حركة بين اليهود لاعتناق المسيحية. وقد استمر هذا التذبذب عدة قرون حتى كان ظهور الإسلام فقضى على هذا التذبذب حيث دخل أكثر الوثنيين في الإسلام كما دخل بعض اليهود وبعض المسيحيين في الإسلام أيضا.

١٦ ـ مستوطنة " جزيرة الفيلة " اليهودية في مصر:

وقد عثر في مصر على وثائق نشرت بين سنتى ١٩٠١ و ١٩١١ تشير إلى أنه كان هناك مستوطنة يهودية على هيئة حامية عسكرية يسمى زعيمها وكاهنها

(١) انظر الملحق في آخر كتاب الدكتور غرانت.
(٢) نيوزنر، " تاريخ اليهود في بابل "، ص ٥٤ هامش ١.
(٣) " المرجع السابق "، ص ٦٢.

الأعلى بيدونيا كانت قد أنشئت على الحدود الجنوبية المصرية مقابل أسوان على جزيرة في النيل سميت باليونانية " اليفانتين " للتعبير عن اسمها المصرى القديم " يب " ومعناه مدينة الفيلة. وتعود هذه الوثائق التي كتب بالأرامية إلى القرن الخامس قبل الميلاد، أى إلى عصر أكسركسيس (٤٨٦ - ٤٦٥ق.م) وأرتاكسيس الأول (٤٦٥ - ٤٢٥ ق.م) ودارا الثانى (٤٢٣ - ٤٠٤ ق.م) من عهد الأخمينيين الذين حكموا فارس أكثر من قرنين (٥٥٠ - ٣٣٠ ق.م).

وتبرز أهمية هذه الوثائق من حيث أنها تلقى ضوءا على ما كانت مصر في هذه الحقبة من الزمن وبخاصة عندما صارت مصر تحت حكم الأخمينيين في عهد أرتاكسيس الأول ودارا الثانى.

وقد اختلفت الآراء حول أصل هذه المستوطنة اليهودية القديمة وأسباب وجودها هناك في تلك الأزمان، فيرى أويسترلى (Oesterly .M) أن أشور بانيبال (٦٦٩ - ٦٢٦ ق.م) عندما قام بحملته على مصر جند جيشا من الأسباط العشرة التي سباها الأشوريون إلى العراق وإلى ميديا وأسس منهم حامية لحماية الحدود الجنوبية لمصر بعد انفصال الحبشة عنها، في حين يرى سبنسر أن أهل الحامية هم من اليهود الذين سباهم الأشوريون إلى طوروس. وقد ذكر أن منسى ملك يهوذا (٦٨٦ - ٦٤١ ق.م) قد مد أشور بانيبال في حملته على مصر بالرجال وذلك كما ورد في رسالة أريستيا أن الملك يساميتيك الثانى (٥٩٤ - ٥٨٩ ق.م) كان معه جنود مرتزقة من الساميين في حملته على الحبشة سنة ٥٩٠ ق.م، ويشير هيرودوتس إلى وقوع تمرد في حامية اليفانتين في زمن الوثائق (٤٥٠ ق.م) فيذكر أن اليافنتين هى إحدى محميات الفرس في مصر.

ويستدل مما تنطوى عليه وثائق اليفانتين أن رجال الحامية اليهود كانوا يتكلمون الأرامية وهى نفس اللغة التي كانوا يتكلمونها في فلسطين وكان لهم هيكل لإلههم " يهوه " مثل الإلهة " عانات " الكنعانية مما يدل على أن هذه الحامية جئ بها من كنعان [١].

---

(1) Sami S.Ahmed "The Jewish Colony at Elephantine". The Iliff Review, Vol XX XI, no 2, Spring 1965, pp. 11 - 19; A.Lods, "Les Prophetes d'Israel", Paris, 1950, pp. 344 - 353.

١٧ ـ الغزو الكلداني و إزالة مملكة يهوذا:

وبعد انقراض الدولة الأشورية بسقوط نينوى سنة ٦١٢ ق.م [١] اقتسم الماذيون والكلدانيون ممتلكاتها فوقعت حصة الكلدانيين في سورية والعراق، وتأسست على أثر ذلك الدولة البابلية الكلدانية التي دام حكمها ٧٣ سنة بين سنة ٦١٢ و ٥٣٩ ق.م [٢]. والذى يهمنا من حكم هذه الدولة قضاؤها على مملكة يهوذا وسبى اليهود إلى بلاد بابل، وقد أنجزت هذه العملية على عهد " نبوخذ نصر الثانى " أعظم ملوك هذه الدولة، والذى حكم البلاد ٤٣ سنة بين سنة ٦٠٥ و ٥٦٢ ق.م، وذلك في حملتين الأولى سنة ٥٩٧ ق.م، والثانية في سنة ٥٨٦ ق.م. وأهم مصادرنا عن هذا الحدث التاريخى هو التوراة، لأن أكثر كتابات هذا الملك تنحصر فيما سجله من مدونات في وصف مشاريعه العمرانية.

فتشير التوراة إلى أن الملك " يهوياقيم " ملك يهوذا (٦٠٨ ـ ٥٩٧ ق.م) تمرد على " نبوخذنصر " على الرغم من تحذير النبى " أرميا " له، وذلك بعد أن أظهر الطاعة والخضوع إلى العاهل الكلدانى مدة ثلاث سنوات، ثم تضيف التوراة أن " نبوخذنصر " أوعز في بادئ الأمر إلى السوريين (الأراميين) والموآبيين والعمونيين أن يغزوا مملكة يهوذا حيث كانت كل هذه الدويلات من النيل إلى نهر الفرات تحت قبضته [٣].

ثم شن نبوخذ نصر بعد ذلك (سنة ٥٩٧ق.م) حملة على " يهوياقيم " فحاصر أورشليم، وأثناء هذا الحصار توفى " يهوياقيم " وخلفه ابنه " يهوياكين " الذي اضطر إلى الاستسلام، فسبى " نبوخذنصر " كل يهود أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس عشرة آلاف صبى وجميع الصاع والأقيان، ولم يبق أحد إلا مساكين شعب الأرض كما سبى " يهوياكين " وأمه ونساءه ورجاله من أورشيم إلى بابل. وأخرج " نبوخذ نصر " جميع خزائن بيت الملك وكسر كل آنية الذهب، ثم عين " صدقيا " عم " يهوياكين " خلفا ليهوياطين الذي أكد ولاءه للملك الفاتح [٤]. وقد تم إسكان المسبيين وعوائلهم في منطقة تدعى " نهر الخابور " قرب

---

(١) انظر ما تقدم عن نهاية الدولة الأشورية في الفصل الأول.
(٢) انظر ما تقدم عن الكلدانيين في الفصل الأول.
(٣) (٢ مل، ٢٤: ١ - ٦).
(٤) (٢ مل، ٢٤: ٩ - ١٧).

نيبور (نفر) [١]. وهذا كان خلاف عادة الأشوريين الذين كانوا يشتتون أسراهم في أماكن مختلفة وبعيدة لمنعهم من التكتل والتجمع وممارسة تقاليدهم وثقافتهم. فمكن ذلك اليهود من التجمع في المنفى والاستمرار في ممارسة تقاليدهم وتكوين مجتمعهم المنعزل الخاص بهم.

كان هذا هو السبى الأول ثم تبعه السبى الثانى سنة ٥٨٦ ق.م، وهذا وقع على أثر نقض (صدقيا) لعهده بالولاء لـ " نبوخذنصر " إذ دخل في حوالى سنة ٥٨٩ ق.م في تحالف مع المدن السورية والفلسطينية بتحريض من " حوفرا " ملك مصر (خلف نيخو الثانى) الذي كان يطمح في استعادة سيطرة مصر على سورية، وهكذا فقد وضع " صدقيا " مصيره مع مصر وحلفائها على رغم محاولة أرميا إبعاده عن هذا الحلف الذي كان موجها ضمنا ضد " نبوخذ نصر "، فغضب " نبوخذنصر " غضبا شديدا وجاء هذه المرة بنفسه على رأس حملة قوية إلى سورية الشمالية وعسكر في ربلة على نهر العاصى، وكان ذلك سنة ٥٨٧ق.م، فأرسل " نبوخذنصر " من يحاصر أورشليم، إلا أن دخول " حوفرا " ملك مصر إلى فلسطين اضطر البابليين إلى رفع الحصار لمحاربته، فظن اليهود أن النصر بات حليفهم، ولكن النبى أرميا حذرهم وأبان لهم بأنهم يخدعون أنفسهم بهذا النصر لأنه وقتى فوضعوه في السجن [٢].

ووقع كما تنبأ أرميا فعلا فقد تمكن البابليون من صد المصريين وإرجاعهم على أعقابهم، ثم أعادوا بسط الحصار على أورشليم في الحال، ولم يمض وقت طويل حتى تفشت المجاعة وربما الوباء في المدينة مما اضطر اليهود أن يرضخوا ويستسلموا، فدخلت الجيوش البابلية المدينة في اليوم الرابع من شهر تموز سنة ٥٨٦ ق.م، أما صدقيا فهرب هو وأفراد عائلته ولكن البابليين لحقوا به في سهول أريحا حيث قبضوا عليه وحملوه إلى " ربلة " حيث كان مقر معكس الملك نبوخذنصر، وهناك ذبح أولاده أمام عينيه ثم فقئت عيناه وأخذ مكبلا مع الأسرى إلى بابل وكان النبى دانيال بين المسبيين، أما أورشليم فخربت ودمرت تدميرا كاملا فأخرف بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم وكل بيوت العظماء وسلبت الخزائن ونقلت إلى بابل، وقد خمن عدد الأسرى الذين سيقوا إلى

(١) إن اسم " نهر الخابور " يشمل أكثر من نهر واحد، فهناك نهر الخابور في شمال الفرات ونهر الخابور في شمال نهر دجلة، والمقصود هنا هو غير هذين النهرين.
(٢) أرميا ٣٨: ٢.

بابل ليلتحقوا باليهود من السبى الأول بحوالى ٥٠.٠٠٠ شخص ثم وجه " نبوخذ نصر " بعد ذلك جيشه إلى المدن الفينيقية والسورية فأخضعها إلا مدينة صور فقد تعذر عليه فتحها لكونها جزيرة في البحر، وقد دام حصارها ١٣ سنة (٥٨٥ - ٥٧٣ ق.م) ولم ينته إلا بعقد صلح قبلت صور بموجبه تجديد ولائها لبابل ودفع الجزية [١].

وهكذا قضى على مملكتى إسرائيل ويهوذا الهزيلتين، وكان عدد الملوك الذين حكموا في كل منهما عشرين ملكا، وقد دام حكم إسرائيل ٢٠٩ سنوات وذلك بين سنة ٩٣١ و ٧٢٤ ق.م، ودام حكم يهوذا ٣٤٥ سنة وذلك بين سنة ٩٣١ و ٥٨٦ ق.م.

وبعد تخريب نبوخذنصر لبيت المقدس وسبى بنى يهوذا إلى بابل ورث الأدوميون ديار يهوذا الجنوبية من الخليل إلى بئر السبع فشرقا إلى وادى عربة حتى يتصل بتخوم أدوم. ومن الأدوميين الذين حكموا فلسطين في النصف الثانى من القرن الأول قبل الميلاد هيرودس الكبير (٣٧ - ٤ ق.م) ومن بعده أبناؤه أرخيلاوس وأنتيباس وفيليب، وكان الأدوميون عربا مواطنهم على حدود الصحراء الشرقية في جنوبى فلسطين وهم من نسل عيسو كما تقول التوراة.

١٨ ـ الموسويون بين الوثنية والتوحيد:

قلنا في الفصل السابق أن الموسويين أخذوا بالحضارة الكنعانية واقتبسوا لغة الكنعانيين وتقاليدهم وثقافتهم ولم يستطيعوا التخلص من تأثير الكنعانيين حتى على ديانتهم، فإذا استعرضنا تسلسل الحوادث التي دونتها التوراة ذاتها نجد أن تاريخ اليهود منذ عهد موسى حتى زمن السبى يتميز لفترة سبعمائة عام بصراع بين التوحيد والوثنية. فمنذ عهد موسى وهو لم يزل حيا عاد أتباعه يعبدون العجل ويرقصون حوله وزاغوا سريعا عن الطريق الذي أوصاهم به الله [٢].

وتروى التوراة كيف غضب موسى عندما أبصر العجل والرقص حوله فطرح لوحى التوراة من يديه وكسرهما في أسفل الجبل [٣]، ثم عاود كتابة لوحين آخرين مثل الأولين [٤]، وخاطب الشعب قائلا: " أنا عارف تمردكم.. هو ذا وأنا بعد حى معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتى... لأنى

(1) Rogers, “Cuneiform Parallels”, PP. 360 - 363.

(٢) (خر، ٣٢: ٧ - ٨).

(٣) (خر، - ٣٢: ١٩ - ٢٠).

(٤) (خر، ٣٤: ١)؛ (تث، ١٠: ١ - ٢).

عارف أنكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به ويصيبكم الشر في آخر الأيام " [١]، وفى هذا دليل واضح على عدم اعتماد النبى موسى على بنى قومه فقد تنبأ قبل موته بأنهم سوف ينصرفون عن الوصايا العشر التي أوصاهم بها الله.

والظاهر أن الموسويين عبدوا الرب كل أيام يشوع وكل أيام الشيوخ (القضاة) على ما ذكرته التوراة [٢]، إلا أنهم عادوا بعد ذلك " فعبدوا البعليم وتركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروت " بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها[٣]، فسلط عليهم الرب كوشان رشعتائيم ملك أرام النهرين [٤]، وفى زمن عجلون ملك موآب عاد الموسويون وعبدوا آلهة الوثنيين [٥]، وكذلك عبدوا الأوثان في عهد يابين ملك كنعان الذي ملك في حاصور [٦]، ثم عادوا فزنوا وراء البعليم وجعلوا لهم بعل بريث إلها[٧]، ورجعوا فعبدوا آلهة أرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بنى عمون وآلهة الفلسطينيين [٨].

وتزعم التوراة أن الملك سليمان ذاته (٩٦٠ - ٩٢٥ ق.م) انحرف في أخريات أيامه وأشرك بالله إذ " أحب نساءا غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل (الموسويين) لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة، وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السرارى فأمالت نساؤه قلبه، وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ولمولك رجس بنى عمون، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات

(١) (تث، ٣١: ٢٧ - ٣٠).
(٢) (يش، ٢٤: ٣١)؛ (قض، ٢: ٧).
(٣) (قض، ٢: ١١ - ١٣ ز ١٧، ٣: ٥ - ٧).
(٤) (قض، ٣: ٨).
(٥) (قض، ٣: ١٢ - ١٣).
(٦) (قض، ٤: ١).
(٧) (قض، ٨: ٣٣).
(٨) (قض، ١٠: ٦، ١٣: ١).

اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن [١]. والظاهر أن هذه المرتفعات التي بناها سليمان قبالة أورشليم بقيت قائمة تعبد فيها الأصنام حتى هدمها يوشيا ملك يهوذا (٦٣٩ - ٦٠٨ ق.م) وبذلك تكون قد بقيت قائمة أكثر من ٣٥٠ عاما [٢].

وتزعم التوراة كذلك أن يربعان الأول أول ملك على إسرائيل بعد الانقسام (٩٣١ - ٩٠٩ ق.م) أقام عجلين من الذهب وضع أحدهما في " بيت إيل " وجعل الآخر في " دان " وبنى بيت المرتفعات وصير كهنة من أطراف الشعب لم يكونوا من بنى لواى وأخذ يذبح للعجلين، وهذا هو الذي حمل النبى هوشع على أن يسمى " بيت إيل " بيت عجول لون أى بيت الأصنام [٣].

والظاهر أن بريصام خشى أن ترجع المملكة إلى بيت داود فيرجع قلب الشعب إلى سيدهم رحبعام ملك يهوذا إذا صعد الشعب ليقربوا ذبائح في بيت الرب في أورشليم [٤]، فرجع هو ورعاياه إلى عبادة الأصنام.

وكانت السامرة أيضا مركزا لعبادة الأصنام، ففى عهد آخاب بن عمرى سابع ملوك إسرائيل (٨٧٣ - ٨٥٣ ق.م) أقيم معبد للبعل في السامرة عبده آخاب وسجد له [٥] وقد تبعه في ذلك خلفه الملك أحزيا فمشى على تلك السيرة مع أنه أزال هيكل البعل الذي أقامه أبوه آخاب [٦]، ولما اعتلى العرش الملك ياهو (٨٤١ - ٨١٣ ق.م) أحرق هيكل البعل وذبح كهنته [٧].

ولم يكن ملوك إسرائيل قد انفردوا في الوثنية والإشراك بالله، فقد سار رحبعان أول ملك على يهوذا (٩٣١ - ٩١٣ ق. م) بعد الانقسام على نفس السيرة التي اتبعها أول ملك لإسرائيل، إذ " ترك شريعة الرب هو وكل إسرائيل معه " [٨]، كما أن الملك آحاز (٧٣٥ - ٧١٥ ق.م) سار في طريق ملوك إسرائيل وعمل

---

(١) (١ مل، ١١: ١ - ٨).
(٢) (٢ مل، ٢٣: ١٣ - ١٤).
(٣) (هو، ١٠: ٥ و ٨).
(٤) (١ مل، ١٢: ٢٥ - ٢٩).
(٥) (١ مل، ١٦: ٣٠ - ٣٣).
(٦) (٢ مل، ٣: ١ - ٢).
(٧) (٢ مل، ١٠: ١٨ - ٣٠).
(٨) (٢ أ خ، ١٢: ١ - ٢).

أيضا تماثيل مسبوكة للبعليم وأوقد في وادى ابن هنوم [(١)] وأحرف بنيه بالنار حسب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل [(٢)]، وسار على هذه السيرة أيضا الملك منسى (٦٨٦ - ٦٤١ ق.م) فأقام مذابح للبعليم وعمل سوارى وسجد لكل جند السماء وعبدها.. وعبر بنيه في النار في وادى ابن هنوم.. ووضع تمثال الشكل الذي عمله في بيت الله الذي قال الله عنه لداود ولسليمان ابنه في هذا البيت وفى أورشليم التي اخترت من جميع أسباط إسرائيل أضع اسمى إلى الأبد " [(٣)].

والظاهر من مطاوئ التوراة أن عبادة بنى إسرائيل (الموسويين) للأوثان استمرت بعد الانقسام حتى تحققت نبوءة رجل الرب ليربعام، فحكم يوشيا سنة ٦٣٩ ق.م في يهوذا وهو من بيت داود كما جاء في النبوءة، فهدم جميع المذابح والمعابد التي كانت قد أقيمت في إسرائيل وفى يهوذا وأحرقها وخرب أصنامها وهياكلها وحطم جميع بيوت المرتفعات الوثنية وذبح كهنتها، ومن ضمن هذه المرتفعات التي قبالة أورشليم التي بناها سليمان ملك إسرائيل لعشتروت ولكموش ولملكون آلهة الصيدونيين والموآبيين والعمونيين، كما هدم المذابح التي عملها ملوك يهوذا في بيت الرب وأخرج السارية من بيت الرب خارج أورشليم على وادى قدرون [(٤)]، وأحرقها في وادى قدرون ودفنها إلى أن سارت غبارا [(٥)]، وبذلك يكون اليهود قد عادوا إلى عبادة الأصنام واستمروا عليها حوالى ٣٠٠ عام بعد الانقسام مباشرة.

وإذا أخذنا المثل القائل إن الناس على دين ملوكهم اتضح لنا تعليل رجوع

---

(١) يقع هذا الوادى جنوبى أورشليم وغربيها يسمى الآن بوادى ربابة ويسمى في التوراة " وادى هنوم " (يش، ١٥: ٨)، (نح، ١١: ٣٠)، ووادى ابن هنوم (يش، ١٥: ٨، ١٨: ١٦)، ووادى بنى هنوم (٢ مل، ٢٣: ١) (انظر الملحق الأول).

(٢) (٢ أخ، ٢٨: ٢ - ٣).

(٣) (٢ أ خ، ٣٣: ٢ - ٧).

(٤) يقع هذا الوادى شرقى مدينة أورشليم، ومعنى وادى قدرون الوادى الأسود ويسمى أيضا " وادى يهوشافاط " وهو بين سور المدينة من الجانب الشرقى وجبل الزيتون، ويعرف اليوم بوادى ستى مريم وقد ورد ذكره في التوارة عند ذكر هروب الملك داود من وجه ابنه أبشالوم (٢ صم، ١٥: ٢٣ و٣٠)، (انظر الملحق الأول " أورشليم في أقدم عصورها "..

(٥) (٢ مل، ص ٢٣).

اليهود في إسرائيل ويهوذا إلى الوثنية، مما يدل على أنهم كانوا أقلية ضئيلة أمام سكان البلاد الوثنيين الأصليين الذين أخذوا يتكاثرون على حساب اليهود، ومعنى ذلك أن الديانة الوثنية كانت هى الغالبة في البلاد وأن اليهود كانوا أقلية طيلة مدة بقائهم فيها. وهكذا بقيت فلسطين منذ الألف الثالثة قبل الميلاد حتى السبى البابلى الأخير (أى ما يقارب ٢٤٠٠ سنة) كنعانية في ثقافتها ولغتها وديانتها الوثنية، ولم يكن لليهودية أى دور ثقافى في هذه الفترة [١].

١٩ ـ العبرية واليهودية والتوراة:

يتفق الباحثون على أن الموسويين بعد أن استقروا في أرض كنعان في القرن الثالث عشر قبل الميلاد أخذوا بالثقافة الكنعانية وبحضارتها بما في ذلك اللغة الكنعانية التي كان يتكلم بها أهل البلاد ولم تكن قد تكونت لغة عبرية بعد. ولاشك في أن لغة هؤلاء الموسويين عندما جاءوا إلى كنعان كانت اللغة المصرية، ولكن هذا لا يعنى أنهم لم يتعرفوا على كنعان، إذ كان الاتصال بين المصريين والكنعانيين قائما منذ أقدم العصور، وذلك بحكم الحدود المشتركة ونتيجة فتوحات المصريين في الشرق وسيطرتهم السياسية على كنعان، ويستخلص من ذلك أن الموسويين كانوا أقلية بين السكان وأن الحضارة الكنعانية كانت هى السائدة حتى في عهد الملوك في القرن العاشر قبل الميلاد، أى بعد زمن موسى بحوالى ثلاثمائة عام بدليل أن الديانة الوثنية الكنعانية كانت هى السائدة في البلاد وبقيت هى السائدة حتى السبى البابلى وما بعده إذ تقول التوراة أن الملك سليمان نفسه بنى مرتفعات لعبادة آلهة الوثنيين، وكذلك تؤكد التوراة أن ملوك إسرائيل ويهوذا كانوا يدينون بالوثنية وصارت ديانتهم الرسمية واستمرا على هذه الحال زهاء ثلاثمائة عام بعد الانقسام مباشرة. ولما كانت الديانة هى أساس الثقافة فهذا يدل بوضوح على أن الموسويين لو يكونوا أية ثقافة خاصة بهم خلال وجودهم في فلسطين وإنما اقتبسوا الثقافة الكنعانية بما في ذلك اللغة والديانة من أهل البلاد الأصليين أى من الكنعانيين وبذلك كانوا أقلية في البلاد في جميع أدوار وجودهم في فلسطين.

ومن الثابت أن هؤلاء الموسويين أخذوا بالأرامية بعد انتشارها في الشرق فصاروا يتكلمون بها فيما بينهم، وفى غضون ذلك تكونت لدى كهنتهم اللهجة

(١) انظر ما تقدم في الفصل الرابع " ملاحظات ختامية " وما تقدم في هذا الفصل " عهد الملوك ".

الأرامية الخاصة بهم، وهى التي صارت تعرف فيما بعد بالعبرية، وأخذوا يكتبون بها فاستعملوا حروفا فينيقية قديمة في بداية الأمر ثم أخذوا يكتبون بالخط السامرى، وبعد السبى البابلى وضع الكهنة في الأسر في بابل توراتهم بهذه اللهجة المقتبسة من اللغة الأرامية لذلك صارت تعرف بأرامية التوراة وقد استعملوا الخط المسمى بالخط المربع الذي اقتبسوه من أقدم الأقلام الأرامية بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد فحفظوه إلى يومنا هذا ويسمى الآن بالخط الأشورى المربع.

وهذه هى بالطبع غير لغة موسى المصرية التي نزلت فيها توراة موسى الأصلية، كما أن مضمون هذه التوراة غير مضمون توراة موسى. فهذه التوراة يصح تسميتها بتوراة الكهنة التي وضعوها في الأسر في بابل فأضفوا عليها القدسية وفرضوها على أتباعهم بعد رجوع بعضهم إلى فلسطين على عهد عزرا (كاتب شريعة إله السماء) كما تلقبه التوراة [١]. وأقدم ما وصل إلينا من هذه التوراة مخطوطات قمران التي ترجع إلى القرنين الثانى والأول قبل الميلاد [٢].

ومع أن هذه التوراة كتبت بالعبرية (أرامية التوراة) فقد كان اليهود يتكلمون الأرامية فيما بينهم واقتصرت العبرية هذه على كتب التوراة وحدها، أما اليهود في مختلف بلدان العالم فكانوا ومازالوا يتكلمون بلغة الأقطار التي سكنوها فيقرؤون التوراة دون أن يفهموا معناها.

وأوضح دليل على أن اللغة العبرية أصبحت لغة مهجورة ميتة هو أن آخر من بقى من اليهود في العراق الذين استوطنوا المناطق الجبلية المنعزلة في شمال العراق (منطقة الأكراد) كانوا ومازالوا يتكلمون باللهجة الأرامية وليس بالعبرية [٣]. وهذا ما يبرهن على أن العبرية لم تكن من اللغات الحية إذ بقيت مقتصرة على كتب التوراة وحدها، وأن ما يبذله الصهاينة اليوم لإحياء هذه اللغة الميتة بغية تكوين تراث ولغة ليجعلوا منهما قومية يهودية تستند إلى لغة يهودية قد ينجح في مجال ضيق داخل إسرائيل الحالية ولكن أساس هذه القومية أساس من الرمل

(١) (عز، ٧: ٢١).

(٢) انظر ما تقدم " أقدم الآثار الخطية للتوراة "، في الفصل الثالث.

(3) W.J. Fischel, “The Jews of Kurdistan a Hundred Years ago pp. 205, 215 - 16; J.H. Gotfheil, “The Judeo-Aramaie Dilect Salamas Jeurnal of American Oriental Sooiety, 1893, XV.

لن يلبث أن ينهار بزوال وجود إسرائيل.

وفى ذلك يقول ليون إبراهام: " إن العبرية قد اختفت باكرا كلغة حية وتبنى اليهود في كل مكان لغات الشعوب المجاورة، ولكن استعمل هذا التبنى اللغوى عادة بلهجة جديدة حتى ترد بعض العبارات العبرية، ونجد في حقبات مختلفة من التاريخ لهجات عبرية عربية، وعبرية فارسية، وعبرية بروفنسية، وعبرية برتغالية، وعبرية أسبانية... الخ هذا عدا عن الإشارة إلى العبرية الألمانية التي أصبحت اللغة اليديشية في عصرنا الحاضر [١].

وقد درج أكثر الباحثين على اعتبار وجود لغة عبرية قديمة وعبرية متأخرة في حين أنه لا توجد سوى لغة عبرية واحدة هى التي كتبت بها التوراة في الأسر في القرن السادس قبل الميلاد وما بعده. والحقيقة أن المقصود بالعبرية القديمة هى اللغة الكنعانية القديمة لغة أهل البلاد الأصلية لا غير وهى التي أخذ بها الموسويون بعد عصر موسى إذ لم تظهر العبرية إلا بعد أن أخذ الكهنة اليهود يدونون توراتهم في لهجة " أرامية التوراة " المقتبسة من الأرامية [٢]، مع العلم أنه ليس لدينا أى دليل على أنه كانت في البلاد في عصر الملوك لغة غير لغة سكان فلسطين الأصليين، وهى لغة الكنعانيين القديمة.

والحقيقة الثابتة التي تظهر لنا جليا مما تقدم أن اليهودية أى الدين اليهودى المتمثل بالتوراة الحالية، تبدأ بعد تدوين الكهنة لهذه التوراة في الأسر وإذاعة شريعتهم هذه على لسان عزرا (كاتب شريعة الإله) في القرن الخامس قبل الميلاد، وهى غير الشريعة التي نزلت على موسى قبل ثمانمائة عام والتى انحرف عنها اليهود بعد اغتيال موسى على بعض الأقوال،وهذه الديانة اليهودية هى صهيونية اليوم بعينها، إذ تهدف الصهيونية الحالية إلى إحياء اللغة العبرية الميتة واستغلال عاطفة الدين الذين صيغ في الأسر في بابل للتصميم على إقامة دولة يهودية في فلسطين، وهذه الديانة القائمة على مبدأ الاستعمار واغتصاب حقوق الغير بالقتل والإبادة لم يكتب لها البقاء لأنها لم تكن تستند إلى مقومات ثقافية وتراث أصيل، لذلك سرعان ما قضى عليها بعد أن ظلت تتعثر في وجه الاضطهاد ومقاومة أهل البلد حتى قضى عليها على يد الرومان في عام ٧٠ ب.م وسوف تلقى صهيونية هذا الزمان نفس المصير حتما عاجلا أو آجلا تحقيقا للمبدأ

(١) ليون إبراهام: " المفهوم المادى للمسألة اليهودية "، الترجمة العربية، ص ٣١.

(٢) انظر ما تقدم " ملاحظات ختامية " في الفصل الرابع.

القائل: " إن التاريخ يعيد نفسه ".

٢٠ ـ اليهود في زمن الفرس الأخمينيين:

كانت تمثل جماعة السبى البابلى بقايا جماعة موسى، وهم في الأصل خليط من الجنود المصريين والهكسوس ولا صلة لهم ببنى إسرائيل كما أوضحنا فيما تقدم، ثم اختلط معهم من اعتنق اليهودية من مختلف الأجناس، وقد جاءت تسميتهم باليهود من مملكة يهوذا المنقرضة، وقد صارت هذه التسمية تشمل جميع المنتسبين إلى الديانة اليهودية في مختلف أنحاء العالم، ومازالت تستعمل حتى يومنا هذا بنفس هذا المدلول. ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن تلك البقايا من أتباع موسى قد استفادت في أثناء وجودها في بابل من حضارة البابليين وثقافتهم فاقتبست الكثير منها وخاصة ما يتعلق بفنون الزراعة والتجارة،و أخذ أكثرها يمارس الزراعة التي تعتمد على الإرواء الدائم بما في ذلك أساليب شق الجداول وتطهيرها وطرق الإراوء [١].

ومارست في بابل شعائرها الدينية، وواصل كهنتها أعمالهم ومنها كان نشوء التعاليم اليهودية المعروفة باسم " التلمود البابلى " [٢]، حتى ليقال أن السبى البابلى كان عاملا قويا في تطوير الدين اليهودى في القرون التالية، وكان من المدن التي أسسها اليهود في منطقة بابل: نهر دعه، وفومبديثه، وسورا، وماحوزى، ونهر بيكود، وهوزال، وتل أبيب (تل أبان) وكفرى.

ولما فتح كورش الأخمينى الفارسى بلاد بابل (٥٣٩ ـ ٥٣٨ ق.م) سار في فتوحاته حتى احتل سورية وفلسطين ومن ضمنها أورشليم، فسمح لمن أراد من أسرى نبوخذ نصر (أسر ٥٩٧ وأسر ٥٨٦ ق.م) بالرجوع إلى فلسطين، وأعاد إليهم كنوز الهيكل التي كان قد سلبها نبوخذنصر، وأمر بإعادة بناء الهيكل في أورشليم على نفقة بيت الملك [٣]، فعاد فريق منهم، ويرجح المؤرخون أن الذين رجعوا انحصروا في أولئك الذين لم يفلحوا كثيرا في الأرض الجديدة والمتعصبون لإعادة بناء الهيكل، لأن الدلائل تشير إلى أن هناك عددا غير قليل

---

(١) انظر:

S. Daiches, "The Jews in Babylonia", 1910 ; Rabbi J. Newman, "The Agricultural Life of the Jews in Babylonia", 1932.

(٢) انظر ما تقدم عن التلمود في الفصل الثالث.

(٣) (عزرا، ٦: ٣ ـ ٧، ١: ٧ ـ ١١).

أصاب النجاح في بلاد بابل وأثرى حتى أصبحت لديه ممتلكات كثيرة فآثر البقاء وعدم المجازفة بمغامرة مجهولة المصير. وقد عين أول حاكم على الجالية اليهودية شخص يدعى " زربابل " وهو تابع للدولة الفارسية، فشرع " زربابل) هذا في بناء الهيكل إلا أن الأقوام المجاورة كالحوريين والحيثيين والعونيين والأدوميين احتجوا على ذلك وهددوا بالعصيان، فأصدر " سمريدس " خلف قمبيز الثانى سنة ٥٢٢ ق.م أمرا بتوقيف عملية البناء، ولكن دارا الأول أتاح لهم ذلك وأتموا بناء الهيكل على عهده سنة ٥١٥ق.م.

وكان اليهود يتكلمون فيما بينهم في بابل باللغة الأرامية، إذ كانوا في بابل وحتى بعد عودتهم إلى أورشليم يتكلمون اللغة الأرامية، وقد اقتصرت العبرية على الكتب الدينية وعلى الكتب المقدسة [١]، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

٢١ ـ اليهود في زمن الإغريق:

وكان اليهود الذين رجعوا إلى فلسطين في عهد الفرس قد تجمعوا في منطقة أورشليم على الأكثر وقد تمتعوا خلال حكم الفرس ببعض الامتيازات الخاصة بحرية ممارسة شعائرهم الدينية، وما أن حل العهد الإغريقى (٣٣٢ ـ ٦٤ ق.م) حتى أصبح وضعهم يتأرجح بين المد والجذر فتارة يقعون تحت حكم البطالمة في مصر وتارة أخرى تحت حكم السلوقيين في سورية، وكانوا يستفيدون في بعض هذه الأدوار من الخلاف المستحكم بين هذين الفريقين اليونانيين الحاكمين في الشرق في التمتع بالحكم الكهنى الذاتى، ولكنهم لاقوا أسوأ الحالات في عهد الملك السلوقى أنطيوخس الرابع (أبيفان) (١٧٥ ـ ١٦٤ ق.م) فقد دمر هذا الملك الهيكل ونهب خزائنه وأجبر اليهود على نبذ اليهودية واعتناق الوثنية اليونانية، وهنا أخذ الصراع بين اليهودية والإغريقية يشتد يوما بعد يوم حتى اندلعت ثورة المكابيين، وقد أطلق على عصرهم الذي دام حوالى القرن وربع القرن (١٦٦ ـ ٣٧ ق.م) اسم العصر المكابى.

٢٢ ـ اليهود في زمن الرومان:

وبعد تغلغل الرومان في الشرق وتغلبهم على السلوقيين في سورية أصبحت فلسطين تحت حكم الرومان، ففى سنة ٦٤ ق.م احتل القائد الرومانى بومبى سورية وضمها إلى رومة وفى السنة التالية دخل بومبى أورشليم وجعلها تابعة

(1) Hitti, “History of Syria”, P. 223.

لحاكم سورية الرومانى، ولم يكن اليهود في هذا العهد أحسن حالا مما كانوا عليه في العهد الإغريقى، فكانوا بين المد والجذر أيضا في ظروف مضطربة ناجمة عن صراع الزعماء الرومان فيما بينهم على الحكم ففى عهد قيصر مثلا (٤٩ - ٤٣ ق.م) كان اليهود يتمتعون بحرية ممارسة شعائرهم الدينية وبحكم كهنى ذاتى، ثم بعد اغتيال قيصر سنة ٤٤ ق.م نشب خلاف بين أوكتافيان فتولى زمام الحكم بصفته أول إمبراطور رومان وسمى " أغسطس ". وفى هذه الفترة كان " أنطونيوس " و " أوكتافيان " قبل نشوب الخلاف بينهما قد عينا " هيرودس " الأدومى ملكا على يهوذا وعلى الجليل سنة ٣٩ ق.م. واستمر حكمه في فلسطين حتى وفاته سنة ٤ ق.م، وفى عهده أعيد بناء الهيكل في أورشليم ولكن اليهود كانوا يمقتونه لقساوته الوحشية ولاندفاعه في نشر الثقافة اليونانية والرومانية وإنشاء معابد للأصنام في المدن الفلسطينية. وبعد وفاة " هيرودس " اضطربت الأحوال على يد موظفين رومانيين سيئ السيرة قساة التصرف، ومن أهم ما تخللته هذه الفترة من أحداث محاكمة السيد المسيح عليه السلام وصلبه سنة ٢٩ م، على ما جاءت به الأخبار، ثم عين " هيرودس أغريبا " حفيد " هيرودس " ملكا على فلسطين في عهد الإمبرطور " كاليجولا " (٣٧ - ٤١ م) والإمبراطور " كلوديوس " (٤١ - ٥٤ م) فساد الهدوء في البلاد نسبيا إلا أن الاضطرابات والفوضى عادت بعد وفاة " هيرودس أغريبا " سنة ٤٤ م إذ تولى في الفترة بين سنة ٤٤ و ٦٦ م سبعة من الحكام الرومانيين كلهم سيؤوا الأخلاق ومرتشون حتى وقع الانفجار في ربيع سنة ٦٦ م فإذا بها ثورة عارمة شاملة على الحكم الرومانى، وبعد سلسلة من المعارك على عهد الإمبراطور " نيرون " (٥٤ - ٦٨ م) وخلفه " فسبسيان " أودعت القيادة في فلسطين إلى " تيطوس " ابن الإمبراطور " فسبسيان " فسيطر على الموقف وتمكن من القضاء على الثورة ودخل أورشليم سنة ٧٠م وأوقع مذبحة مريعة باليهود وخرب المدينة وأحرق هيكلها وذبح كهنته وأزيل الهيكل من الوجود تماما بحيث لم يعد يهتدى الناس إلى موضعه وقد سيق الأحياء الباقون عبيدا، وقد ذكر المسعودى أن عدد القتلى من اليهود والمسيحيين بلغ ثلاثة آلاف ألف [١].

وهكذا قضى على الكيان الذاتى الدينى لليهود في فلسطين ومن ضمن ذلك التنظيمات الإدارية الدينية التي كانت تتمثل بالسنهدرين، فساد الهدوء حوال

(١) التنبيه والإشراف، ص ١١٠.

نصف قرن، ثم اشتعلت نيران ثورة جديدة بقيادة " باكوخبا " أحد زعماء اليهود فاعتصمت جماعة في المواقع الجبلية الحصينة وأخذوا يقاتلون قتال حرب عصابات، وظلوا معتصمين بمواقعهم ثلاث سنوات (١٣٢ - ١٣٥ م) حتى جرد الرومان عليهم حملة اجتاحت مواقعهم وأزالت قلاعهم وأحرقت قراهم، وحول (هادريان) مدينة أورشليم إلى مستعمرة رومانية وحرم على اليهود سكناها وبدل اسمها إلى " إيليا كبتولينا " وإيليا هو الاسم الأول لهادريان. وقد أسكنت جالية رومانية ويونانية في أورشليم وأقيم في محل الهيكل معبد للإله اليوناني جوبيتر. وقدر عدد الذين قتلوا في هذه المعارك ٥٨٠ ألفا عدا من هلك جوعا ومرضا وحرقا، وهذه هى الضربة الأخيرة لليهود في فلسطين، فلم يعد لهم أى كيان فيها طوال العصور التالية.

٢٣ ـ لم يشكل اليهود أكثرية في فلسطين في أى دور من أدوارهم:

نخلص مما تقدم إلى أن سكان فلسطين من غير اليهود كانوا يتكاثرون يوما بعد يوم ويتمركزون في أرضهم في حين أن اليهود كانوا يتقلصون نتيجة تعرضهم الاضطهاد والقتل والسبى من دون سكان البلاد الأصليين، لذلك لم يستطع اليهود، كعنصر غريب بينهم تشكيل أكثرية في فلسطين في أى دور من أدوارهم، فكان أول من غزا مملكتى يهوذا وإسرائيل بعد الانقسام الفرعون الليبى شيشنق الأول، فأخضع مدنهما سنة ٩٢٦ ق.م، وأخذ معه أسرى من ١٢٩ مدينة يهودية، هذا عدا نهب ذخائر الهيكل وبيت الملك في أورشليم. ثم استولى تجلات بلاسر الثالث ملك أشور (٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م) على كل أراضى إسرائيل (عدا السامرة) وسبى اليهود إلى بلاد أشور وأحل محلهم أقوام من بابل ومن لولوبو في الزاغروس ومن نابيرى قرب بحيرة " وان "، وفى سنة ٧٢٢ ق.م تم لسرجون الثانى في إبان حكمه احتلال إسرائيل وعاصمتها السامرة فأجلى اليهود إلى ناحية " حران " وإلى ضفة الخابور (خابور الفرات) وإلى ميديا وقد أحل محلهم الأراميين من إقليم حماة، ثم لحق بهم العرب هناك في عام ٧١٥ ق.م. وكذا بعض الأهلين من كوثا وبابل سنة ٧٠٩ ق.م. وبذلك قضى نهائيا على يهود مملكة إسرائيل واختفت أخبارهم حتى عن بقية اليهود في يهوذا وقد سبقت الإشارة إلى ذلك وسبب اضمحلالهم وإبادتهم يرجع إلى تشتيتهم في أماكن مختلفة وبعيدة للحيلولة دون تجمعهم وإعادة بناء مجتمع يهودى يتطلع إلى العودة.

وهذه كانت الطريقة التي اتبعها الأشوريون في البلاد التي كانت تتمرد

عليهم. وفى حملة سنحاريب على أرض يهوذا سنة ٧٠١ ق.م أجلى عن مدن يهوذا ٢٠٠١٥٠ نسمة من اليهود. وفى سنة ٥٩٧ ق.م حمل نبوخذنصر الثانى ملك الكلدانيين (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م) على أورشليم وأسر ملكها " وسبى كل أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس عشرة آلاف مسبى وجميع الصناع والأقيان سباهم من أورشليم إلى بابل. ولم يبق إلا مساكين شعب الأرض، وأخيرا وقع السبى الثانى سنة ٥٨٦ ق.م حين قضى نبوخذ نصر على مملكة يهوذا وسبى اليهود إلى بابل. وقد قدر عدد الذين سباهم نبوخذنصر بأكثر من خمسين ألف شخص، هذا عدا الذين قتلوا، وبذا يكون قد قضى على آخر من تبقى من اليهود في فلسطين، وقد ورث الأدوميون سكان فلسطين الأصليون ومعهم الأنباط ديار يهوذا بعد القضاء على مملكة يهوذا وسبى اليهود منها.

وبعد عودة اليهود من بابل إلى فلسطين في زمن الفرس أنشئت في عهد الإسكندر مستعمرات إغريقية بين اليهود، ثم بعد وفاة الإسكندر نزل بطليموس الأول (سويتر) ملك مصر سنة ٣٠٠ ق.م على أورشليم ونقل عددا كبيرا من اليهود إلى أفريقيا، وأخيرا قضى الرومان نهائيا على من تبقى منهم وبقى سكان فلسطين الأصليون ومعهم من دخلها من غير اليهود في وطنهم فلسطين حتى الفتح الإسلامى، حيث بقيت بيد المسلمين قرابة ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن. وفى جميع هذه الأحوال لم يترك سكان فلسطين بما فيهم سكان القدس وطنهم.

ويستدل مما تقدم بوضوح على أن أهل فلسطين الأصليين بقوا في أراضيهم منذ خمسة آلاف عام ولم يغير حكم داود وسليمان الذي لم يطل أكثر من ثمانين عاما أو حكم إسرائيل ويهوذا الهزيل هذه الحقيقة التاريخية الواقعة، ونحن إذ نكرر هنا حوادث السبى التي تعرض لها اليهود في فلسطين وحل من حل محلهم من مختلف الأقوام، الحوادث التي مر شرحها بالتفصيل فإن جل ما نتوخاه هو البرهنة على أن أهل فلسطين الأصليين ومعهم من دخلها من غير اليهود بقوا وتكاثروا في وطنهم دون أن يمسهم أى أذى وكانوا في جميع الأحوال الأكثرية الساحقة في البلاد، في حين أن اليهود كانوا يتقلصون على مر الزمن يوما بعد يوم نتيجة عمليات السبى المستمرة حتى أزيلوا نهائيا من أرض فلسطين، وبقى أهلها الأصليون في وطنهم كوثنيين ومسيحيين قبل الإسلام وكمسلمين ومسيحيين بعد الإسلام.

٢٤ ـ خلاصة وتعليق:

إن اليهود لم يتركوا أى كيان سياسى يهودى خاص بهم في تاريخ فلسطين القديم، ولكنهم تركوا ديانة يهودية متأخرة مقتبسة من تراث كنعانى وبابلى وأرامى، وإن عهد الملوك بما فيه عهد داود وسليمان كان عهدا كنعانيا بحضارته ولغته وثقافته، وفشل اليهود في إنشاء مملكة زمنية يهودية دائمة في فلسطين يرجع إلى عوامل كثيرة من أهمها في نظرنا عاملات أولهما هو أن الكيان اليهودى لم يقم على أساس قومى راسخ أصيل بثقافته ولغته وتقاليده ووطنه لأن اليهود لم يملكوا أى تراث خاص بهم فمعظم ما مارسوه من لغة وثقافة وديانة وتقاليد، وعادات مقتبس من الكنعانيين سكان فلسطين الأصليين كما أنه لم يكن لهم وطن إذ كانوا غرباء طارئين على فلسطين كما أوضحنا فيما تقدم فكيانهم قائم على الدين والدين وحده. والدين عرضة للتغيير والتبديل على خلاف ما هى عليه القومية من ثبات لاستنادها إلى ثقافة ولغة واحدة ووطن ثابت.

أما العامل الثانى فهو أن كيان إسرائيل كان قائما على الاغتصاب والاعتداء على شعب آمن له قوميته وثقافته وتقاليده وحكمه عاش في أرض فلسطين منذ خمسة آلاف عام، وقد جاء اليهود عازمين على طرد هذا الشعب من دياره وأخذ محله، زاعمين أن إلههم (يهوه) أمرهم أن يبيدوا هذا الشعب وأن يحلوا محله وأن الرب وعدهم أنه سيحارب بنفسه من أجل تحقيق ذلك لهم [١]. وهذا الشعب العريق بقوميته وتراثه لا يمكن أن ينسى أن هذه الأرض هى أرض أجداده منذ أقدم الأزمنة وأنها اغتصبت منه. هذا عدا ادعاء اليهود بالاستعلاء والتفوق (الباطلين) على بقية شعوب الأرض وأن الله جعلهم الشعب المختار وجعل الناس عبيدا لهم مما كان له أثر في بعث النفرة والكراهية والانعزالية بينهم وبين سكان البلاد التي يعيشون فيها.

---

(١) (تث، ١: ٣٠).

الفصل السابع

يهود العالم وصلتهم بفلسطين

١ - تمهيد:

والسؤال الذي يفرض نفسه في هذه المرحلة هو كيف انتشر اليهود في العالم بعد أن أجلاهم الرومان عن فلسطين نهائيا ودمورا هيكلهم وما هى صلتهم بفلسطين؟...

وقبل الإجابة على ذلك لابد من التوضيح بأن اليهودية كدين لم تكن في البداية مقتصرة على قوم موسى فقد انتشر الدين اليهودى بين مختلف الأمم والأجناس، وهذه الأمم اعتنقت الدين اليهودى وهى تعيش في ديارها وأوطانها تتكلم بلغاتها وتمارس عاداتها وتقاليدها التي نشأت في بيئاتها، إذ بدأ التبشير بالدين اليهودى منذ تكوين الديانة اليهودية بعد كتابة التوراة، واستمر حتى العصور الوسطى عندما أغلق باب التبشير به في أواسط القرن الثالث عشر الميلادى. فقد قضى اليهود أكثر من عشرين قرنا يعملون بجد ونشاط لنشر ديانتهم بين شعوب وأمم لا تمت إلى قوم موسى بأدنى صلة وليست لهم علاقة بفلسطين أو سكان فلسطين لا من بعيد ولا من قريب. وهؤلاء الدعاة إلى الدين لم يكونوا دائما من داخل فلسطين، بل ممن اعتنقوا الدين اليهودى وتحمسوا له، كما أن المسيحية لم تنتشر بواسطة سكان فلسطين وحدهم، بل بواسطة من اعتنقها من مختلف الأجناس والشعوب(١).

وهكذا " ظلت اليهودية زمنا طويلا فاتحة ذراعيها مرحبة بمقدم كل من ينضوى مخلصا تحت لوائها من أبناء الشعوب الأخرى " (٢)، فقد اعتنقت شعوب عديدة الدين اليهودى وهم في ديارهم وأوطانهم ولم يكونوا في وقت من الأقوات من سكان فلسطين، فانتشر هذا الدين في القارات الثلاثة واعتنقته أمم متباعدة الأوطان مثل سكان اليمن والحبشة والجزيرة العربية وبلاد القفقاس (الخزر) وأواسط أوربا وبلاد المغرب وشعوب مختلفة في الدولة الرومانية وفى الأقطار المجاورة لها، هذا إلى جانب العناصر التي دخلت في اليهودية بطريق الزواج. وقد اعتنق اليهودية كثير من الجماعات التي أرسلها الأشوريون من مختلف أنحاء الإمبراطورية الأشورية إلى فلسطين ليحلوا محل اليهود الذين أبعدوا إلى بلاد مادى واندمج بعضهم في اليهودية، وربما كان خير من يمثلهم اليوم السامريون

---

(١) الدكتور محمد عوض محمد، الهلال (يوليو ١٩٤٧م) ٢٣ - ٢٩.
(٢) ويلز، " معالم تاريخ الإنسانية "، الترجمة العربية، الكتاب الرابع، ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

الذين يعيشون وسط العرب وفى رعايتهم في مدينة نابلس (١).

٢ ـ اليهود في اليمن وفى البلاد العربية:

وقد انتشرت اليهودية في بلاد اليمن حتى أصبحت مركزا من مراكز انتشارها. وفى القرآن الكريم إشارة صريحة على هذا في سورة النمل وفى الآيات الكريمة التي تروى قصة سبأ. وقد جاء في ختامها على لسان ملكتهم:{قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [النمل: ٤٤]، وانتشار اليهودية في اليمن في العصور التالية يرجع إلى أحد ملوك حمير المدعو تبان أسعد أبو كرب (القرن الخامس ب. م)، ففى غزو هذا الملك ليثرب جاءه حبران من أحبار اليهود فأعجب بما وصفاه له عن دينهما فاتبعه وأخذهما معه إلى اليمن ودعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه فأجابوه، وقد ثبت الدين اليهودى في اليمن في عهد الملك الحميرى ذى نواس في أوائل القرن السادس للميلاد وقد أجبر هذا الملك المسيحيين على اعتناق اليهودية (٢).

في أعقاب حملة الرومان الأخيرة على اليهود في فلسطين وتدمير هيكلهم في أورشليم هاجرت جموع غفيرة من اليهود إلى مختلف الأرجاء في البلدان المجاورة، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن هؤلاء اليهود الذين كانوا منتشرين في أنحاء جزيرة العرب قبل الإسلام من بقايا اليهود الذين هاجروا من فلسطين. وقد كان اليهود يروجون مثل هذه الأقاويل بين القبائل العربية بقصد الإشاعة بأن العرب واليهود ينحدرون من أصل واحد وأن الاتصال بينهما قديم، وبذلك تشجيعهم على الأخذ باليهودية، ومن المهم ذكره في هذا الصدد بأن الكثير من الباحثين يظنون أن باب التبشير باليهودية كان مغلوقا منذ القديم وأن اليهود الذين ظهروا في مختلف الأقطار ومنها جزيرة العرب هم من اليهود الذين هاجروا من

(١) انظر ما تقدم عن هذه الفئة في الفصل الثالث.

(٢) الدكتور محمد عزة دروزة، " تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم "، ص ٣٢٦.
ومما يذكر في هذا الصدد أن اليهود كانوا يحرضون الحكام الوثنيين الذين كانوا يشترونهم بأموالهم على المسيحية، وقد أفضى عداء الإمبراطور الرومانى ماركوس أورليوس الذي امتد حكمه بين سنة ١٦١ وسنة ١٨٠ إلى العداء للمسيحية إلى إصدار أمر بقتل جنوده العائدين من الحرب ممن اعتنقوا المسيحية كما أصدر أمرا بإبادة المسيحيين القاطنين في روما وقتئذ، وقد استمر اضطهاد المسيحيين حتى القرن الرابع الميلادى عندما اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية (الدكتور محمد بحر عبد المجيد، " اليهود في الأندلس "، ص ٩ - ١٠).

فلسطين، وهذا يخالف الواقع لأن كل الدلائل تثبت أن الحاخاميين اليهود كانوا يتحمسون ويحرصون كل الحرص لحمل أكثر ما يمكن من الناس من مختلف الأجناس والقوميات على اعتناق اليهودية والتبشير بها منذ أقدم العصور. وبعد ظهور المسيحية ازداد حماسهم في التبشير بدينهم نتيجة للمنافسة بينهم وبين المبشرين المسيحيين مما أثار العداء الشديد الدامى بينهما واستمرت هذه المنافسة تلعب دورها ألف وثلاثمائة سنة حتى أغلق التبشير باليهودية في منتصف القرن الثالث عشر للميلاد، في حين أن التبشير بالمسيحية استمر ولا يزال مستمرا حتى هذا اليوم.

إن اليهودية كدين لم تكن مقتصرة على قوم موسى، فقد انتشر الدين اليهودى بين مختلف الأمم، وهذه الأمم اعتنقت الدين اليهودى وهى تعيش في ديارها وأوطانها تتكلم بلغاتها وتمارس عاداتها وتقاليدها التي نشأت في بيئاتها، إذ بدأ التبشير بالدين اليهودى منذ تكوين الديانة اليهودية واستمر إلى العصور الوسطى حيث أغلق باب التبشير في منتصف القرن الثالث عشر الميلادى كما تقدم أن اليهودية والمسيحية كلتاهما ظهرت في الجزيرة العربية قبل الإسلام في ظروف متشابهة وسط عالم يدين بالوثنية، والاثنتان انتشرتا في العالم وفى جزيرة العرب عن طريق التبشير وبخاصة عن طريق اعتناق رؤساء مجتمعات تلك العصور.

عاش اليهود في جزيرة العرب معيشة أهلها، فلبسوا لباسهم وتكلموا لغتهم ومارسوا عاداتهم وتقاليدهم وتصاهروا معهم، فتزوج اليهود عربيات، وتزوج العرب يهوديات، والفرق الوحيد الذي كان بين العرب واليهود في الجزيرة هو الاختلاف في الدين، هذا ما يؤيد كون اليهود في الجزيرة العربية متهودون لا يهود مهاجرون، اعتنقوا اليهودية عن طريق التبشير، لأن العصبية العربية تقيم حاجزًا يحول بين زواج اليهود أو أي عنصر غير عربي بالعربيات كما هو معروف، يؤيد ذلك الدكتور جواد علي بقوله " ولعل كون اليهود في الجزيرة من أصل عربي هو الذي ساعد على تحطيم القيود التي تحول بين زواج اليهود بالعربيات وبالعكس "، وقد ذكر العلماء أن بعض الأنصار كان مسترضعًا في بني قريظة (من يهود يثرب) وغيرهم من اليهود العرب فتهودوا، فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه أرادوا إكراه أبنائهم الذين تهودوا على الدخول فيه فنزلت الآية الشريفة:{لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ} [البقرة: ٢٥٦].

فالمؤرخ اليعقوبي ينكر وجود طوائف يهودية أصلها (من فلسطين) في

الجزيرة العربية قبل عصر الإسلام، ويؤكد أن القبائل اليهودية فيها كانت من العنصر العربي الأصيل ويقول في وقعة بني النضير: أن بني نضير فخذ من جذام، إلا أنهم تهودوا ونزلوا بجبل يقال له النضير فسمّوا به، وفي وقعة بني النضير يقول بأن بني قريظة فخذ من جذام أيضًا أخوة بني النضير ويقال أن تهوّدهم كان في أيام عاديا بن السموءل، ثم نزلوا بجبل يقال له قريظة فنسبوا إليه (١).

وهناك شهادات من يهود مدينة دمشق وحلب في القرن الثالث بعد الميلاد أنهم كانوا ينكرون وجود يهود في الجزيرة العربية (المقصود بذلك يهود فلسطين الأصليين) ويقولون أن الذين يعتبرون أنفسهم من اليهود في جهات خيبر ليسوا يهودًا حقًا إذ لم يحافظوا على الديانة الإلهية التوحيدية ولم يخضعوا لقوانين التلمود خضوعًا تامًا (٢)، ويؤيد ياقوت الحموي ذلك في معجمه، فيقول أن يهود يثرب (قريظة والنضير) هم من القبائل العربية في الجزيرة وقد اعتنقوا اليهودية وكان لهم مولك حتى أخرجهم الأوس والخزرج من المدينة (٣) . وكانت المستوطنات اليهودية في الجزيرة العربية تمتهن الزراعة وكان بعضهم في يثرب يمارسون صناعة الحدادة والمجوهرات.

ولما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة حرص على تحقيق الوحدة بين القبائل العربية وإزالة ما كان بين أهل المدينة قبل الإسلام من الفرقة بإبطال حروبهم ومنازعاتهم حتى يسود الإخاء بينهم جميعا، وتحقيقا لذلك كتب كتابا جاء فيه: " بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبى بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس.. وإن من تبعنا من اليهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وإن يهود بنى عوف آمنة من المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوقع إلا نفسه وأهل بيته وأن يهود بنى النجار ويهود بنى الأوس ويهود بنى ثعلبة ولجفنة ولبنى الشطية مثل ما ليهود بنى عوف. وأن موالى ثعلبة كأنفسهم وأن بطانة يهود كأنفسهم وأنه لا يخرج منهم

(١) تاريخ اليعقوبي، طبعة النجف، ١٩٦٤، ص ٤٠، ٤٢.
(٢) ولفنسون " تاريخ اليهود في بلاد العرب " ص١٣، نقلاً عن غراتز.
(٣) ياقوت " معجم البلدان "، ج٤، ص ٣٨٥، ٤٦٠.

أحد إلا بإذن محمد ﷺ " [١].

ويتضح مما تقدم أن الذي كان يفرق بين الأمة الواحدة هو الدين وحده فكان النبي ﷺ يرمى من وراء كتابة هذا تحقيق الإخاء بين الجميع وأن لا يكون الدين سببا في الفرقة (لليهود دينهم وللمسلمين دينهم) والدليل على أن هذه القبائل المتهودة عربية الأصل أنه كان بين قبيلة الأوس العربية من تهود قبل الإسلام كما جاء في الكتاب المذكور.

ومما يذكر في هذا الصدد أن البطون العربية المتهودة التي لم يكن لها عهود خاصة مع الرسول ﷺ والتى أجليت عن جزيرة العرب في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه لم يعرف أن أحدا من هؤلاء نزح إلى فلسطين ليكون بالقرب من هيكل سليمان مندفعين بالحماس الدينى. لذلك فليس بالمستطاع تأييد بعض الكتاب الذين اعتبروا أصل يهود الجزيرة مرتبطا بيهود فلسطين الذين أجلاهم الرومان، لأن ذلك يخالف سنة الطبيعة فالهجرة لا تتم من البيئة المتمدنة المستقرة على البيئة الصحراوية مثل جزيرة العرب، بل العكس هو الصحيح، والحقيقة هى أن اليهودية والمسيحية كانتا تتزاحمان على تهويد أو تنصير القبائل العربية في الجزيرة قبل الإسلام، وقد توجه المبشرون من اليهود والمسيحيين نحو جزيرة العرب لأنهم وجدوا أن القبائل العربية في الجزيرة قبل الإسلام كانت مهيئة نفسيا لتقبل فكرة التوحيد. لذا كان نشاط التبشير في الجزيرة على أشده حتى تمكن المبشرون المسيحيون من تنصير بعض القبائل كما استطاع الأحبار اليهود من تهويد البعض الآخر. فهل انتشرت المسيحية بين القبائل العربية في الجزيرة نتيجة نزوح مسيحيين من أصل فلسطينى؟ وهل كان أهل اليمن الذين تهودوا أو تنصروا من أصل فلسطينى؟ وهل كان يهود الخزر من يهود فلسطين؟

وهل كانت قبائل البربر في المغرب العربى التي أخذت بدين اليهودية قبل الإسلام، مثل قبيلة جراوة التي سكنت جبال أوراس، وقبائل أخرى هى نقوسة وفندلاوة ومديونة وبهلولة وغياثة وبنو بازار، التي يحدثنا عنها ابن خلدون من يهود فلسطين؟ [٢].

وهل كانت قبائل بنى حمير وبن كنانة وبنى الحارث بن كعب وكندة التي

---

(١) سيرة ابن هشام، ج٢، ص ٤٠ وما بعدها.

(٢) انظر: الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجه، " يهود المغرب العربى "، ١٩٧٣، ص ١١ - ١٢.

انتشرت فيها الديانة اليهودية قبل الإسلام والتى يحدثنا عنها ابن قتيبة والقاضى أبو القاسم صاعد الأندلسى من يهود فلسطين؟ (١).

لماذا إذن لا يزال بعض الكتاب يأخذ بالرأى القائل بأن الجزيرة العربة قد انفردت من بين كل بلاد العالم التي تم التبشير فيها باليهودية أو المسيحية بهجرة يهود أو نصارى فلسطين إليها؟ إن الكتاب اليهود يروجون مثل هذه الأقاويل التي ترجع اليهود في فلسطين ويهود الجزيرة العربية إلى أصل واحد ويتقصدون من إشاعتها بين الناس لربط صلتهم بالجزيرة العربية والعرب على اعتبار أنهم وإياهم أبناء عمومة وأن جدهم واحد هو إبراهيم الخليل عليه السلام في حين أن الواقع أن اليهود ظهروا إلى عالم الوجود في وقت متأخر، ويمثلون ديانة اعتنقتها أقوام كثيرة من قوميات مختلفة من جملتهم العرب الذين حافظوا على قوميتهم ولغتهم وعاداتهم ولم يفرق بينهم وبين مجاوريهم من القبائل العربية غير الدين، شأنهم في ذلك شأن الأقوام الأخرى التي أخذ بعض أهلها بالديانة اليهودية.

إن بدوى الجزيرة العربية الرقيق الإحساس والمجبول على الفطرة والخيال الذهنى والتعلق الروحى لم تعد نفسيته تتقبل عبادة الأصنام، فقد كان عرب الجزيرة آنذاك في صراع نفسى ودينى شديد الحساسية بين الوثنية من جهة وبين اليهودية والمسيحية اللتين تدعوان إلى التوحيد من جهة أخرى. وقد كان دين إبراهيم الخليل عليه السلام معروفا في الجزيرة العربية عند الحنفاء قبل اليهودية والمسيحية كما ينبئنا القرآن الكريم(٢)، وقد استمرت الحساسية حتى نزول الوحى على النبى محمد ﷺ حامل رسالة الإسلام إتماما لرسالة إبراهيم الخليل عليه السلام فتقبلتها الجموع بحماس بالغ وإيمان عميق، وأن الأنبياء والرسل يظهرون بوحى من الله سبحانه وتعالى في مثل هذه الظروف التي كانت سائدة في أرض الجزيرة العربية والتى تكون فيها الجموع أشد ما تكون بحاجة لمن يهديها إلى الصراط المستقيم. وفى ذلك يقول العالم الألمانى ديتليف نيلسن: " لا يوجد دين

---

(١) انظر: ابن قتيبة، " المعارف "، مطبعة دار الكتب، ١٩٦٠، ص ٦٢١.
القاضى أبو القاسم صاعد الأندلسى، " طبقات الأمم "، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩١٢، ص ٤٣.

(٢) { مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا } [آل عمران: ٦٧]، {حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ} [الحج: ٣١]،{مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا} [البقرة: ١٣٥]. (قرآن كريم).
انظر ما تقدم عن الحنفاء في الفصل الثانى - الفقرة ٨.

من الأديان قدر الله له النجاح في القضاء على الوثنية كما قدر للإسلام " [١].

ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن عرب الجزيرة المتهودة لم تلتزم بالتلمود لأن معظم هذه القبائل قد أخذت باليهودية قبل إنجاز التلمود كما أن انعزالهم في الجزيرة العربية قد جعل الاتصال بينهم وبين المدارس التلمودية التي أسسها الأحبار اليهود في فلسطين وفى بابل (والفريق الأخير هو من بقايا السبى البابلى) متعذرا.

لذلك قد وجد يهود الجزيرة بعد إجلائهم من الجزيرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) في حركة القرائين بزعامة عنان بن داود أحد علماء يهود العراق التي تناهض التلمود وتدعو للاكتفاء بالتوراة ما يتفق ومعتقد القبائل العربية المتهودة وهو معتقد بدوى خالص خال من التعاليم الاستعلائية المتزمتة التي يدعو إليها التلمود فانضم أكثرهم إلى هذه الفرقة [٢].

وهناك ما يؤكد أن القبائل العربية المتهودة في الجزيرة قد حافظت على تقاليدها وعاداتها العربية ولم تندمج باليهود خارج الجزيرة، فيروى بنيامين التطيلى في رحلته التي دونها في القرن الثانى عشر بعد الميلاد عن وجود قبيلة عربية متهودة في الجزيرة العربية تدعى قبيلة بنى ركاب كانت قد اقتبست الدين اليهودى ولكن من غير أن تندمج باليهود بل ظل أفراد هذه القبيلة محافظين على تقاليدهم العربية التي ورثوها عن الأجداد.

فيقول: " وفى هذه الصحراء (ويقصد بها الصحراء الواقعة بين اليمن والعراق) مضارب بنى ركاب من عشائر تيماء. وفى تيماء يقيم شيخهم وزعيمهم الأكبر حنان وهى صقع واسع الأرجاء، امتداده مسيرة ستة عشر يوما بين الجبال الشمالية وفيها القلاع الكبيرة الحصينة التي لا تخضع لأية سيطرة أجنبية، وأهلها يخرجون مع جيرانهم وأحلافهم من أبناء العرب للغزو والكسب في الأماكن البعيدة. وهم أعراب يعيشون عيشة الغزو في أرض اليمن " [٣].

ويقول عنهم قاموس الكتاب المقدس: " أنهم لا يزالون يقطنون في بلاد جبلية إلى الشمال الشرقى من المدينة، وليس لهم علاقات مع يهود آسية ولا يمكنهم أن يرافقوا القوافل لأن ديانتهم لا تسمح لهم بالسفر يوم السبت مع أن بلادهم محاطة

(١) نيلسن: " التاريخ العربى القديم "، ترجمة الدكتور فؤاد حسنين على، ص ٧.
(٢) ليرسى، " تاريخ الشعب اليهودى "، ص ٢٣٥.
(٣) " رحلة بنيامين التطيلى "، ص ١٤٨.

بالصحارى حتى يكاد يستحيل الدخول إليها أو الخروج منها إلا مع القوافل "، ويقدر الرحالة وولف عدد الركابيين بجوار مكة بنحو ٦٠٠٠٠ نسمة [١].

وهناك أيضا ما يدل على أن بعض القبائل المتهودة مالت إلى الإسلام بعد ظهوره، فمن بقايا القبائل العربية المتهودة في الجزيرة التي اعتنقت الإسلام بعد ظهوره قبيلة في منطقة خيبر، يفيد الرحالة دوتى الذي ارتاد الجزيرة العربية سنة ١٨٧٥م: " إن هناك قرية في نواحى خيبر أهلها مسلمون ولكنهم لا يزالون محافظين على بعض التقاليد والتعاليم اليهودية ولا يخالطون غيرهم من القبائل المجاورة " [٢].

٣ ـ يهود الخزر:

وكانت أكبر الكتل المتهودة قبائل الخزر وهم من الأتراك المغول وطنهم في بلاد الخزر الواقعة في جنوب روسيا في جوار مصب نهر الفولغا [٣] في بحر الخزر (بحر قزوين) فقد اعتنق أكثر أهل الخزر الدين اليهودى في العصور الوسطى بعد اعتناق أميرهم اليهودية وبقيت تمارس الديانة اليهودية بحرية هناك حتى أواخر القرن العاشر الميلادى. وأقدم معلومات عن انتشار اليهودية في الخزر وصلتنا عن الرحالة العربى ابن فضلان الذي أوفده الخليفة العباسى المقتدر بالله سنة ٣٠٩ هـ (٩٢١ م) في بعثة إلى ملك البلغار، ففى طريق عودته مر بمملكة الخزر وبعاصمتها " أتيل " ووصف ما شاهده بتلك البلاد قال: " الخزر اسم المملكة ولاتيل " العاصمة " قطعتان واحدة على غربى النهر المسمى " أتل " وهى أكبرها وقطعة على شرقيه والملك يسكن القطعة الغربية منهما ويسمى الملك بلسانهم " إيلك " ويسمى أيضا " باك " وهذه القطعة الغربية مقدارها في الطول نحو فرسخ ويحيط بها سور.. وقصر الملك بعيد عن شط النهر وقصره من آجر وليس لأحد بناء من آجر غيره. وملكهم يهودى ويقال أن له من الحاشية نحو أربعة آلاف رجل... والخزر وملكهم كلهم يهود وكان الصقالبة وكل ما يجاورهم في طاعته ويخاطبهم بالعبدية ويدينون له بالطاعة " [٤].

(١) راجع مادة الركابيين في " دائرة المعارف اليهودية "..
(٢) " الصحراء العربية "، ص ١٢٩.
(٣) هو الفولغا الحالى الذي ينبع في شمال روسيا ويصب في بحر قزوين قرب استراخان.
(٤) ياقوت، " معجم البلدان، الطبعة الأوربية، ٣: ٤٣٦ - ٤٤٠ (مادة الخزر).

والمهم هنا تأكيد ابن فضلان أن الملك وخاصته مع أنهم كانوا يهودا ولكن " الغالب على أخلاقهم أخلاق أهل الأوثان ". وهذا يدل على أن هذه العشائر عندما تهودت بقيت محتفظة بعاداته وثقافتها من جميع الوجوه مع أن ابن النديم يقول: " إن الخزر كانت تكتب بالعبرانية وهو يقصد الكتابة بالحروف العبرية وليس باللغة العبرانية " [(١)].

وتعتبر رسالة ابن فضلان هذه الوصف الوحيد الذي تركه الرحالون العرب لدولة الخزر وعاصمتها " إتيل " في أوائل القرن الرابع الهجرى [(٢)].

أما دخول اليهودية أول مرة الخزر فيذهب المسعودى إلى أن تهود ملك الخزر (الخاقان) [(٣)] وأشراف البلاد قد تم في عهد هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ) (٧٨٦ - ٨٠٩) [(٤)]. وقد ذكر المسعودى أيضا أن كثيرا من اليهود الذين أخرجوا من إمبراطورية الروم جاءوا إلى الخزر بعد اضطهادهم على عهد الإمبرطور رومانوس (٩١٩ - ٩٤٤ م) [(٥)] وكانت اليهودية آنذاك هى السائدة في الخزر لأن الخاقان والوالى وأمير سمندر في داغستان الذي كان يمت بصلة القربى لهذا الأمير وكبار العمال كانوا جميعهم على اليهودية مع أن اليهود كانوا

---

(١) ابن النديم، " الفهرست "، ص ٢٠.

(٢) " رسالة ابن فضلان "، تحقيق سامي الدهان، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥٩؛ " دائرة المعارف الإسلامية " ١: ٢٥٥ - ٢٥٦، ٤: ٨٨ - ١٠٢، ٨: ٣٠٥ - ٣١١؛ " معجم ياقوت "، ١: ٧٢٢ - ٧٢٨، ٢: ٤٣٦ - ٤٤٠.
=إن تاريخ الخزر ظل مجهولاً لم يعن بدارسته إلا قلة من المتخصصيين، ومن أقدم ما كتب في هذا الموضوع كتاب " تاريخ الخزر " للمؤرخ اليهودي الحاخام يهودا الحلبي المولود في طليطلة، وهو يروي أن رسائل تبودلت بشأن هذا التهود الجماعي بين الفقيه اليهودي " ابن شابوب " (وزير خليفة قرطبة) وبين ملك الخزر يوسف، أحد أخلاف بولان " التحدي الصهيوني "، تأليف دومال وماري لورا، ترجمة نزيه الحكيم، ص ٢٥)، وذلك ما يدل على نفوذ اليهود السياسي في الأندلس في ذلك الأزمان.

(٣) أن زعيم الخزر كان يحمل اللقب التركى " قاغان " وبالعربية " خاقان " ويقول ابن حوقل " ولن تنعقد الخرقانية إلا لليهود "..

(٤) عين بعض الباحثين اعتناق ملك الخزر للديانة اليهودية في حدود سنة ٧٤١م بينما عينه البعض الآخر في حدود سنة ٨٦٥م.

(٥) " مروج الذهب "، ج ٢.

أقل من المسلمين والنصارى من حيث العدد [١].

وهذا نص ما كتبه المسعودى في هذا المعنى قال:

" فأما اليهود فالملك وحاشيته والخزر من جنسهم وقد كان تهود ملك الخزر في خلافة الرشيد وقد انضاف إليه خلق من اليهود وردوا إليه من سائر أمصار المسلمين ومن بلاد الروم وذلك أن ملك الروم في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وهو أرمنوس نقل من كان في مللـه من اليهود إلى دين النصرانية وأكرههم. فتهارب خلق من اليهود من أرض الروم إلى أرض الخزر على ما وصفنا ".

وتدل الحوادث التاريخية على أن اليهودية لم يكتب لها أن تدوم في الخزر حيث جاءت حملة الروس بعد حوالى قرن ونصف من دخول اليهودية إلى الخزر فقضت على مملكة الخزر بأكلمها وتشرد أهلها وانتشر معظم اليهود في روسيا وأوربا الشرقية.

وقد أورد خبر هذه الغزوة واجتياح الروس لمنطقة نهر أتل ابن حوقل فعين تاريخها في سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٨م) [٢]، وقد وصف ابن حوقل أنهم قوم همج دمروا هذه البلاد وتركوها خرابا بلقعا وفر الذين نجوا من القتل إلى شبه جزيرة (سياه كوه) في بحر الخزر [٣].

وقد انتشر اليهود في أعقاب غزوة الروس على الخزر في أنحاء روسية ومنها إلى أوربا الوسطى في مختلف الظروف، ولا تزال اليهودية منتشرة بين هذه الشعوب فقد كانت روسية، منذ أواخر القرن الثامن عشر، موطن أكبر عدد من اليهود في العالم إذ بلغ عددهم سنة ١٨٩٧ (٥٨٩٤٠٠٠ نسمة) من مجموع ١١ مليون يهودى في العالم، أى ما يعادل ٤.١٣ بالماءة من مجموع سكان روسية، وفى تقرير رسمى يرجع إلى سنة ١٨٤٢ ما يدل على أن عدد كنائس اليهود في روسيا بلغ ٦٠٤ كنيسة عدا ٢٣٤٠ بيتا للصلاة و ٣٩٤٤ مدرسة و ٩٥٤ رابا [٤].

---

(1) D.N. Dunlop, “The Jewish Khazars”, N. Y. 1967, (Schockeb Book).

(٢) عين المؤرخون تاريخ غزو الخزر والقضاء على دولتهم في حدود سنة ١٠١٦م.

(٣) ابن حوقل، " صورة الأرض "، الطبعة الأوربية، ١٤، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٦.

(٤) بارون، " اليهودى الروسى تحت حكم القيصر والسوفييت "، ص ٧٦، ١٢٩.

لذلك كانت المشكلة اليهودية واسعة النطاق وقد ظهرت لأول مرة في روسية، وقد هاجر مؤخرا عدد كبير منهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث خلقوا نفس المشكلة.

وعلى ذكر يهود الخزر يحسن أن نشير هنا إلى كتاب صدر حديثا بعنوان " الستار الحديدى حول أمريكا " للكاتب الأمريكى جون بيتى [١] تناول المؤلف فيه بحث تاريخ اليهود الخزر فصب جام غضبه عليهم إذا اعتبرهم دون يهود العالم الآخرين سبب المشاكل التي انهالت على أمريكا بوجودهم فيها، وذلك تعصبا أعمى لليهودية والصهيونية إذ لم يسمح لهم رجال الدين في وسطهم أن يتحرروا من الطوق الدينى الانعزالى الذي يعيشون فيه. لذلك فهو يحذر المسئولين من العواقب الوخيمة من تأثير نفوذهم على سياسة الولايات المتحدة الأمريكية. وينتهى بعد أن يشرح الدور الذي يلعبونه في توجيه سياسة الولايات المتحدة الأمريكية إلى وجوب تدارك الأمر قبل أن تتدهور مصالح أمريكا إلى الحضيض وتحل الكارثة، ويهيب بالمواطنين المخلصين المتمسكين بالمثل الأمريكية، وهم الأكثرية في البلاد، أن يتعاونوا على دفع الخطر فيحافظوا على سيادة الدولة ونفوذها في أنحاء العالم ضمن إطار الحضارة المسيحية، وذلك بتغيير السياسة التي تسير عليها الولايات المتحدة الأمريكية حاليا بتأثير مخططات اليهود (يهود الخزر بوجه خاص) ونفوذهم. وهذا لا يتم إلا بإجراء تطهير واسع في جهاز الدولة وتبديل البعثات الدبلوماسية إلى البلاد الإسلامية، ويقول المؤلف أن الدافع الذي حمل على وضع كتابه هو " تقديم معلومات مركزة على المشاكل التي خلفتها فئة أقلية تحمل مبادئ تتنافى مع تقاليدنا وهى مندفعة بحماس لتحقيق أهداف تهدد مصالحنا مما يؤدى إلى الدمار بإثارة حرب عالمية ثالثة "، وقد طبع هذا الكتاب لأول مرة سنة ١٩٥١م فحاز شهرة واسعة حتى طبع خمس عشرة مرة بين سنة ١٩٥١ و سنة ١٩٥٦، وقد أعدت دار النشر للجامعيين في لبنان ملخصا للكتاب باللغة العربية تحت عنوان " الصهيونية لعبتها أمريكا " (بلا تاريخ).

---

(1) John Beaty, “The Iron Curtain over America”, Dallas Texas, 1956.

٤ ـ اليهود في مختلف أنحاء العالم:

يقسم بعض الباحثين المختصين يهود العالم إلى ثلاثة أقسام رئيسية: الإشكنازيون، السفارديون، الشرقيون. وتنتسب طائفة الإشكناز إلى اليهود الألمان أو الذين ينحدرون من أصل ألمانى عاشوا في القرون الوسطى في البلدان التي كانت تتكلم الألمانية ثم امتدوا إلى الشرق والغرب، وقد حافظوا إلى عهد قريب على لغتهم " اليديش " (Viadish) وكانت في اساسها اللغة الألمانية المستعملة في القرون الوسطى، ثم دخلت عليها بعض المفردات العبرية وغيرها من المفردات الأجنبية، وخرجت عن اللهجة الألمانية الأصلية وتكونت لها لهجات اختلفت باختلاف المناطق واللغات الأخرى المحيطة بها. وتكتب هذه اللغة بالحروف العبرية ولا تزال تستعمل مع فروق بسيطة، لأن هذه الجماعات وهى من السلاف والجرمان اقتبست الدين اليهودى والكتابة بالحروف العبرية معا، إذ لم تكن لها كتابة وقت اقتباسها الدين اليهودى. وقد جعل اليهود منها لغة أدبية في بولونيا وأنتجوا بها أدبا شعبيا ودينيا. ومع ذلك بقيت اللغة العبرية قائمة إلى جانب لغة " اليديش " بين يهود بولونيا وروسيا وإن كانت لغة كتابة وليست لغة تخاطب.

ومصدر تسمية " إشكنازيين " هو كلمة (إشكناز) ومعناه بالعبرية الحديثة (ألمانيا) والياء بالنسبة والنون للجمع. والظاهر أن لفظة الاشكنازيين بعد أن كانت تطلق في أوائل القرون الوسطى على اليهود الألمان إلا أنها أصبحت في العصور التي تلت ذات مفهوم أوسع، إذ لم تعد مقتصرة على ألمانيا وحدها بل شملت أكثر يهود أوربا كيهود الخزر البريطانية وشمال فرنسا وكل ألمانيا وقسما كبيرا من النمسا التي كانت تقطنها في ذلك الوقت قبائل السلاف. " وفى الحقيقة أصبحت الكلمة تدل على حضارة وليس على بقعة جغرافية وخصوصا بعد القرن الثالث عشر ".

أما طائفة السفارديين فهم اليهود الذين انحدروا من أصل اليهود الذين هاجروا إلى شبه الجزيرة الأيبرية خصوصا بعد فتح المسلمين لها سنة ٧١١م وكانوا هؤلاء يتكلمون في أسبانيا في أول الأمر باللغة العربية حتى القرن الثالث عشر، ثم أخذوا يتكلمون باللغة الأسبانية التي تمسكوا بها واعتبروها لغتهم التقليدية، إذا كانوا في آخر عهدهم قبل أن يطردوا عن أسبانيا سنة ١٤٩٢م ثم سنة ١٤٩٦م " مارانيين " أى يتظاهرون بالمسيحية وهم يقومون بالعبادات

والطقوس الدينية اليهودية سرا ثم عادوا إلى اليهودية بعد خروجهم من أسبانيا، وقد هاجر هؤلاء إلى جنوب أوربا وشمال أفريقيا وبلدان الشرق الأوسط، وذهب بعضهم إلى لندن وأمستردام وهامبورغ ثم هاجروا إلى أماكن أخرى من العالم. وتعرف لغة السفارديين التي لا يزالون يتكلمونها باللادينو الأسبانية وهى اللغة الشائعة عند اليهود الفلسطينيين، وكلا اليديش واللادينو بقيتا على الأصل منذ القرن الخامس عشر مع أن الألمانية والأسبانية تغيرتا وتطورتا منذ ذلك الحين.

ويتميز السفارديون عن الإشكنازيين في الاختلاف في الثقافة، ذلك أن اليهود السفارديين كانوا على مستوى أعلى في الثقافة مستفيدين من حضارة العرب في أسبانيا واختلاطهم مع الشعوب الذين عاشوا معهم فجمعوا بين الثقافة الدينية والعلمانية بينما عاش اليهود الإشكنازيون منعزلين منطوين على أنفسهم متمسكين باليهودية وتعاليمها وتقاليدها الدينية. وقد برزت الفروقات والاختلافات بين الطائفتين بعد هجرة يهود أسبانيا وانتشارهم في أوربا في الأمريكيتين وبعد اختلاطهم باليهود الإشكنازيين في أوربا، فكان السفارديون يعتبرون أنفسهم أعرق نسبا وأجل قدرا في المستوى الحضارى والاجتماعى من الإشكنازيين فلا يخالطونهم في معابدهم ولا يزوجون بناتهم منهم. وقد استمرت هذه التفرقة بين الطائفتين حتى القرن السابع عشر حيث كانت الطبقات المرفهة من اليهود ما تزال من طائفة السفارديين وحدها، وفى القرن الثامن عشر فقط بدأ بعض الأفراد وبعض المجموعات اليهودية من أوربا الوسطى والشرقية في الحصول على مكانة متساوية إلى جانبهم.

وأما اليهود الشرقيون فهم الذين غادروا فلسطين أثر السبى والطرد وقد انتشروا في العراق وإيران وأفغانستان وفى دلتا مصر الغربية ومنها إلى سائر شمال أفريقيا، فبعض هؤلاء صاروا يتكلمون باللغات التي يتكلمها أهل البلاد التي نزحوا إليها والبعض الآخر بقوا محافظين على لغتهم الأرامية الحديثة فيما بينهم، وهى اللغة التي كانوا يتكلمونها قبل مغادرتهم فلسطين كاليهود الذين عاشوا في كردستان مثلا.

وقد تبدل هذا التقسيم التاريخ بحيث أصبح المفهوم اليوم من كلمة اشكنازيين اليهود الغربيين الذين هاجروا إلى فلسطين من أوربا وأمريكا مع أن كثيرين منهم من أصل سفاردى، والمفهوم من كلمة سفارديين اليهود الشرقيين الذين كانوا في فلسطين من هجرات قديمة والذين هارجوا إليها بعد قيام دولة إسرائيل من بلدان

الشرق الأوسط ومن شمال أفريقيا. وقد انعكست الآية الآن في إسرائيل فبعد أن كان السفارديون يعتبرون أنفسهم أعرق نسبا وأجل قدرا في الثقافة والحضارة من الإشكنازيون المسيطرون في إسرائيل اليوم ينظرون إلى اليهود الشرقيين القادمين من اليمن وأنحاء أفريقيا والهند وإيران، نظرة استخفاف واستهانة لتفوقهم عليهم في المستوى الثقافي والاجتماعي [(١)].

ومما يذكر في هذا الصدد أن الحكومة العثمانية لم تعترف بالجاليات اليهودية الإشكنازية الغربية، وقد ظل الحاخام الأكبر ينتخبه السفارديون الشرقيون حتى عهد الانتداب، عندما طالب الإشكنازيون بحاخام لهم وأجيب طلبهم، وهكذا أصبح لليهود في فلسطين حاخامان كبيران إلا أن حاخام السفارديين كان يلقب " الأول في صهيون " [(٢)]. وقد أجريت مؤخرا عملية انتخاب الحاخامين الأكبرين الجديدين في إسرائيل يوم ١٥ تشرين الأول ١٩٧٢ فانتخب شلومو غورين حاخاما أكبر لطائفة الإشكنازيين وأوفاديا يوسف حاخام أكبر لطائفة السفارديين الذي يصغر بثلاثين عاما عن سلفه الحاخام الأكبر إسحاق نسيم والملاحظ أن السلف والخلف هما من مواليد العراق.

يتضح مما تقدم أن اليهود الإشكنازيون، وهم الأوربيون المتهودون، لم يتسن لهم أو لأجدادهم أن يروا فلسطين في حياتهم ولم يكن لهم أية صلة بها وفي أي وقت، والغريب أن هؤلاء هم اليوم غلاة الصهيونيين وزعماء الصهيونية العالمية [(٣)].

---

(١) يقول ألفريد ليلنتال في كتابه " إسرائيل ": إن اليهود الشرقيين الذين أقنعوا بعد عام ١٩٤٨ بالهجرة إلى إسرائيل سرعان ما وجدوا أنفسهم ضحايا التعصب، ومع أنهم أصبحوا يشكلون في النهاية خمسين بالمائة من مجموع إسرائيل فإن اليهود المسيطرين من أوربا الشرقية والغربية يعتبرونهم فئة أدنى...

(2) I.Cohen “The Zionist Movement”, London, 1954, P. 137.

(٣) لقد اعتمدنا في وضع النبذة عن الطائفتين اليهوديتين على دراسة هلدا شعبان صايغ بعنوان " التمييز ضد اليهود الشرقيين في إسرائيل "، نشرها مركز الأبحاث، منظمة التحرير= =الفلسطينية، دراسات فلسطينية (٨٥)، وعلى دراسة الأستاذ نجدت فتحي صفوة " اليهود والصهيونية في علاقات الدول الكبرى ".

وهذه بعض المراجع حول اليهود في مختلف أنحاء العالم:

J.Starr, “The Jews in the Byzantine Empire (461 - 1204)”, 1939; A Alt, “Die Urspruenge des Israelitischen Rechts”, 1925; S.M.

٥ ـ هل يكون اليهود جنسا أو عرقا واحدا؟

يتضح مما تقدم أن اليهود الذين يقدر عددهم بحوالى اثنى عشر مليون نسمة أو يزيد قليلا لا يتعدون كونهم طائفة دينية اجتماعية تضم شتى الأجناس واللغات والدماء، يسكنون في مواطن متباعدة، فمنهم يهود الخزر(الأتراك)، واليهود الألمان ذوو السحنة الجرمانية والشعر الأشقر، واليهود السلاف (الروس وسكان البلاد المجاورة لهم) واليهود الأسبان والبربر، ويهود الحبشة، واليهود الصينيون، واليهود الزنوج والهنود وغيرهم. وهم متباعدون في الوطن وفى اللغة وفى الثقافة وفى الجنس، وأحسن مثال نورده في هذا الصدد ما ورد في مجلة مصر الإسرائيلية في عددها الصادر في ٣١ يناير ١٩١٥ حول المهاجرين اليهود الذين نزلوا منطقة الكبارى في مصر فرارا من الإرهاب التركى في فلسطين. فقد كان هؤلاء المهاجرون الذين لم يزد عددهم على ١٦٠٠ نسمة يتكلمون أربع عشر لغة مختلفة.

إن ادعاءات الصهيونية في أن اليهود المعاصرين هم أنسال بنى إسرائيل القدماء محاولين بذلك الربط بين حركتهم السياسية وتاريخ بنى إسرائيل الدينى القديم في فلسطين لتبرير ما يهدفون إليه من إقامة دولة وكيان قومى لهم في فلسطين ادعاءات باطلة زائفة لا تستند إلى أساس علمى أو واقع تاريخى، ولا يقرها المنطق، لأن اليهود المعاصرين هم أبعد ما يكونون من بقايا يهود الشرق. والدليل على ذلك أن إسرائيل الصهيونية تنظر إلى يهود البلاد العربية نظرة احتقار وازدراء، فلا تثق بهم وكثير منهم هو اليوم في سجون إسرائيل مع العرب السجناء.

ويؤكد هذه الحقيقة كثير من علماء الأجناس، فيقول العلامة " لامبروزو " : إن اليهود المعاصرين أقرب إلى الجنس الأردى منهم إلى الجنس السامى وإنهم

Dunbov, “A History of the Jews in Russia and poland’, 3 vols., 1946; M.Lowenthal, “The Jews of Germany”, 1947; C.Ro.h, “A History of the Jews in England”. 1941; C.Roth “A Hisory of the Jews in Italy, 1946”; A.A.Neuman, “The Jews in Spain”, 2 vols., 1942; G.Saron and L.Hotz, “The Jews in South Africa”, 1956; Graetz, “Les Juifs D’Espagne”, Trad Stenne, Paris, 1872; L.Greenberg, “Jews in Russia”, 2 vols., New Haven, 1953.

طائفة دينية تميزت بمميزات اجتماعية واقتصادية، وانضم إليها عبر القرون أناس ينتمون إلى شتى الأجناس البشرية، وبينهم عدد من سكان الحبشة، ومن الألمان الآريين، ومن التامل من الأقوام الهندية، ومن الخزر من الجنس المغولى، الذين تحولوا كما يقول المؤرخ اليهودى ابن ميمون إلى اليهودية في القرن العاشر، ثم دفعتهم الهجرات البشرية إلى أوربا الوسطى والغربية.

وقد أكد ذلك علماء بايولوجيون كثيرون منهم الأستاذ " جوزفيتش " أستاذ علم الإنسان في الجامعة العبرية نفسها، فقد أجرى عدة تجارب بايولوجية على المهاجرين اليهود إلى إسرائيل وسجل النتائج التي توصل إليها في كتاب بين فيه أن اليهود ليسوا شعبا واحدا، بل هم طائفة دينية تضم جماعات مختلفة من الناس، اعتنقوا دينا واحدا، فنسبة ضئيلة من يهود الأقطار العربية هم من نسل يعقوب وإسحاق [١]. أما يهود أوربا الشرقية فينتسبون إلى قبائل الخزر، وأما يهود أوربا فمن أصل أروبى صميم وقد اعتنقوا الدين اليهودى بعد القرن الثالث الميلادى على أيدى مبشرين من اليهود [٢].

ويقول الأستاذ " يوجين بيتار ": " إن اليهود يعودون إلى طائفة دينية وهيأة اجتماعية دخلتها عناصر من أجناس متباينة ألصقوا أنفسهم بها وأتى هؤلاء المتهودون من كل السلالات البشرية كفلاشا الحبشة والألمان الجرمانيين والتأمل - اليهود السود - والهنود والخزر والأتراك " [٣].

ثم يضيف إلى ذلك قوله: " ومن المستحيل أن نتصور أن اليهود ذوى الشعر الأشقر أو الكستنائى، والعيون الصافية اللون، الذين نلقاهم كثيرا في أوربا يمتنون بصلة القرابة - قرابة الدم - إلى أولئك الإسرائيليين القدماء الذين كانوا يعيشون بجوار الأردن " [٤].

ويؤكد ذلك المؤرخ الدكتور محمد عوض محمد بقوله: " والذين يزعمون أن اليهود جميعا من سلالة إسرائيل قلما يفقون لحظة واحدة لكى يذكروا لو أن هذا

---

(١) إن جوزفيتش هذا بصفته يهوديا متمسكا بالتوراة يعتبر أنه لا يزال يوجد من نسل يعقوب وإحساق اللذين عاشا من ٣٧٠٠ سنة مسايرا في ذلك التقليد الذي فرضته التوراة على الناس وقبلوه من غير تمحيص.

(٢) خيرى حماد، " الصهيونية "، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٣) يوجين بيشار، " الجنس والتاريخ "، ص ٣٣٧.

(٤) نفس المرجع السابق.

الوهم صحيح لكان اليهود في جميع أنحاء العالم متشابهين في السحنة والمنظر والتقاطيع، لأن قانون الوراثة يقضى حتما بأن تشبه الفروع الأصول وتتشابه فيما بينها تشابها شديدا، ولو نظرنا إلى اليهود في مختلف أقطار العالم اليوم لوجدنا بينهم الشقر ذوى العيون الزرقاء والشعر الأصفر ورأينا بينهم السمر ذوى الشعر المجعد في هضبة الحبشة والسود في جنوب الهند والصفر المغول في الصين، ورأينا بينهم الطوال القامة والقصار وذوى الرؤوس الطويلة والعريضة، ويوشك أن لا يكون هناك اختلافات بين السلالات البشرية أكبر مما نجده بين الجماعات اليهودية في مختلف القارات، وليس مما يقبله العقل أن تكون هذه الطوائف كلها منحدرة من سلالة جنسية واحدة [١].

يستخلص مما تقدم أن كلمة يهودى وإن كانت مقتبسة من يهوذا إلا أنها أصبحت تطلق على كل شخص انتسب إلى الديانة اليهودية وأخذها كدين له، لأن اليهود في مختلف أنحاء العالم هم من سلالات وأجناس مختلفة كما تقدم إيضاحه ولا تجمعهم أية رابطة جنسية وراثية أو وشيجة لغة أو ثقافة بل تجمعهم العقيدة الدينية وحدها [٢]. وهذا كله يسخف الادعاءات الصهيونية ومفاهيمها بأن اليهود يكونون شعبا واحدا من عرق واحد وقومية واحدة.

فقد ورد في الكتاب الذي نشره المجلس الأمريكى لليهودية بعنوان " اليهودية دين لا قومية " أن الشعب اليهودى، بالمعنى السياسى والطائفى، ليس له وجود، وإنما كان يرمز بعبارة " الشعب اليهودى " و " شعب إسرائيل " إلى الناحية الروحانية [٣].

ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن اللغة العبرية التي يحاول الصهيونيون اليوم جعلها لغة رسمية باعتبارها لغتهم القومية لم تكن في أى زمن من عصور التاريخ لغة قومية يتخاطب بها اليهود فيما بينهم. فالعبرية كانت لغة الأحبار ورجال الدين الذين كتبوا فيها التوراة في وقت متأخر (لغة الطقوس الدينية المتأخرة) وهى مقتبسة من الأرامية وحروفها مقتبسة من الأبجدية الكنعانية القديمة. فقد كانت الكنعانية لغة سكان فلسطين الأصليين أولى اللغات التي اقتبسها اليهود بعد أن حلوا في فلسطين على عهد موسى وعهد الملوك، ثم اقتبسوا اللغة

(١) الدكتور محمد عوض، " المسألة الصهيونية في نظر العلم "، ص ٦.
(٢) انظر الدكتور محمد رشيد الفيل، " اليهود وعلم الأجناس "، ص ٧٨.
(٣) العربى، العدد ١٤٣، تشرين الأول، ١٩٧٠، ص ١٤٩.

الأرامية وصاروا يتكلمون بها فيما بينهم شأنهم في ذلك شأن أقوام الشرق الأدنى الذين أخذوا بهذه اللغة، وفى شرق أوربا اقتبسوا اللغة الألمانية القديمة (اليديش) وهى لغة الإشكنازيين التي جاءوا بها معهم إلى إسرائيل مؤخرا، كما جاء السفارديون بلغة اللادينو الأسبانية، هذا وقد اقتبس بقية يهود العالم لغات البلاد التي استقروا فيها، كل ذلك دليل قاطع على أن اللغة العبرية لم تكن لغة قومية لليهود في أى زمن من أزمان التاريخ. وقد جاء الاعتراف بهذه الحقيقة على لسان زعماء حركة الاستدارة اليهودية (هاسكالا) التي ظهرت في القرن التاسع عشر وهى تدعو إلى التجديد والإصلاح الدينى، فأعرب هؤلاء عن شكوكهم في كفاية اللغة العبرية للتعبير عن الأفكار العصرية وتنبؤوا بزوالها المحتوم.

فقد ذكر الكاتب اليهودى مارغوليوث في سلسلة مقالات نشرها في هذا الموضوع أن العبرية في أوربا الغربية قد حلت محلها لغة البلاد وأن هذه الحقيقة كافية لإقناع كل فرد بأن اللغة العبرية لابد لها أن تختفى من الأدب مع التقدم العلمى، وأنها في روسيا ستمحى مع الزمن من مكانها إلى لغة البلاد الحية، وشاركه في هذا الاعتقاد أيضا، أى زوال اللغة العبرية كأداة ثقافية، الشاعر اليهودى غوردون الذي كان من أنصار الاندماج [١].

٦ ـ الكيان اليهودى كيان دينى بحت:

لم يمارس اليهود في أى دور من أدوار التاريخ حكما زمنيا قائما على جنس معين أو قومية ثابتة، فقد كانوا منذ عهد النبى موسى ومازالوا حتى يومنا هذا يمثلون جماعة يرتكز كيانها على الدين والدين وحده، إذ لم يألفوا غير السلطة الروحانية ولم يتقبلوا سواها. فكان حكامهم كهنة في أكثر الحالات، وفى عهد القضاة كان الحكام كهنة وأنبياء. وكذلك كان الوضع في عهد الملوك فكان الملوك خاضعين للسلطة الدينية التي يمليها الكهنة أو الأنبياء، ومما يذكر في هذا الصدد أن اليهود لم يظهروا في جميع أدوارهم بأى مظهر من مظاهر البطولة فقد جبلوا على الجبن والخوف حتى جعلوا إلههم وقفا لنزعاتهم فهو الذي يحارب عنهم ويقهر أعداءهم نيابة عنهم: " الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون " [٢]، " الرب

(١) انظر: " مجلة مركز الدراسات الفلسطينية "، م٢، عدد أيلول ١٩٧٣، ص ١١٧ - ١١٨.
(٢) (خر، ١٤: ١٤).

يحارب عن إسرائيل " [١].

أما ما يختص بوضع دولة إسرائيل الحالية فيحاول الصهاينة أن ينفوا عن كون حكومة إسرائيل حكومة دينية في حين أن جميع الظواهر الاجتماعية والثقافية وحتى القضائية منها قائمة على الدين، ففى ذلك تقول الكاتبة الفرنسية ملوتين مونو: " إن دولة إسرائيل تنفى عن نفسها أنها حكومة دينية، ومع ذلك فإن حياة المواطنة فيها مدموغة بالدين، فإعلان الاستقلال متشرب بالديانة كما أن مؤسساتها الدينية وعاداتها وقوانينها الدينية تفرض نفسها على كل شئ بل ولا يوجد سواها في أغلب الأحيان.. فدراسة التوراة إجبارية في المدارس الإسرائيلية ليست ساعات في الأسبوع بالنسبة لتلاميذ السنة الثامنة، أى الذين يتراوح سنهم بين الثالثة عشرة والرابعة عشرة مقابل أربع ساعات للرياضيات وأربع ساعات للغة العبرية. ويلتزم مدرسوهم بتقديم عرض أسبوعى يستغرق ساعة كاملة حول الموضوعات التالية: الحركة الصهيونية منذ سبعين عاما، الروح اليهودية وحرب الأيام الستة والنصر، تاريخ القدس، المدينة اليهودية منذ ثلاثة آلاف سنة.. وإذا كانت الدراسة العادية تتضمن برامجها عدة ساعات لتلقين النصوص الدينية، فهناك إلى جانب ذلك مدارس دينية بحتة تمولها الدولة لأن هناك (علاقة خاصة بين الدين والدولة في إسرائيل) على حد تعبير أحد المطبوعات الرسمية... وهكذا يتضح تماما طابع التعليم حتى غدا الخلط بين الدين والدولة مسألة مبدأ، مما يطبع المواطن الإسرائيلى بالطابع اللاهوتى الضيق الأفق، وطبقا للقانون الإسرائيلى فإن غير اليهودى المتزوج من يهودية ينجب أبناء يهودا ولكن إذا حدث العكس فإن الأطفال لن يكون من أفراد الشعب المختار.. والزواج المدنى معدوم في إسرائيل فحتى اليهودى غير المتدين مجبر على عقد قرانه أمام حاخام والطلاق دينى شأنه شأن الزواج... وتطبق التعليمات الغذائية وقيود يوم السبت بحذافيرها في القوات المسلحة... والهدف النهائى من كل هذه القيود ليس احترام تعاليم الدين في حد ذاتها، وإلا لما لجؤوا إلى كل هذه الاجتهادات، بقدر ما هو تذكير المواطنين الإسرائيليين دائما وفى كل مكان أنهم ينتمون إلى اليهودية، ويتم ذلك منذ دخول المدرسة " [٢].

وقد برهنت جميع الظروف التي مرت على اليهود على أنهم لم يتقبلوا غير

(١) (يش، ١٠: ٤٢، ٢٣: ٣).
(٢) مارتين مونو، " إسرائيل كما رأيتها "، ص ٣٣ - ٤٧.

حكم الكهنة، فلما نشب نزاع بين الجماهير اليهودية في أواخر عهد المكابيين حول نوع الحكم الذي ترغب فيه هذه الجماهير كانت الجموع تطالب بتشكيل حكومة دينية بدون ملوك، ولما كان بعض الكهنة سموا أنفسهم ملوكا وحكموا على أساس سلطة زمنية رفضهم الجمهور، وقد ظهرت فرقة من اليهود يسمى منتسبوها بالجليليين نسبة إلى يهوذا الجليلى كانوا ينادون أنه ليس لليهود ملك إلا الله والتاريخ يحدثنا كيف لجأت الفرق اليهودية إلى الحكام الرومان في آخر عهد المكابيين وصارت تطالب القائد الرومانى بومبى عند مجيئه بالذات إلى أورشليم سنة ٦٣ ق.م، بأن يلغى الملكية ويعين لهم كهنة لا ملوكا، فاستجاب إلى طلبهم وعين هيركانوس الثانى المكابى تحت لقب " الكاهن الأعظم " وغدا اليهود بعد تحت حكم الرومان المباشر من جميع الوجوه عدا القضايا الدينية الصرفة التي تركت للكهنة [1].

ويكمن السر في استمرار اليهودية طوال عشرات القرون حتى يومنا هذا في كونها غير مرتبطة باعتبارات جغرافية أو جنس أو لغة قومية أو سياسية، لأن الكيانى الزمنى والسياسى عرضة لتقلبات الدهر والزوال، بينما استطاعت اليهودية كدين أن تستمر وتبقى على الرغم من جميع التقلبات، وخير مثال لذلك هو فشل الكنيسة المسيحية في محاولتها أن تجعل من كيانها سلطة زمنية وذلك بشن حروبها الصليبية على الشرق فرجعت إلى نطاق عملها الدينى البحث وزالت الدولة الصليبية وبقيت المسيحية وكذلك ستلقى دولة إسرائيل بوضعها الشاذ الحالى نفس المصير عاجلا أو آجلا.

* * *

(1) "Peak's Commentary on the Bible", P. 608.

الفصل الثامن

دور الصهيونية والاستعمار في خلق إسرائيل

١ ـ الصهيونية حركة سياسية استعمارية:

الصهيونية مشتقة من لفظة " صهيون " وصهيون اسم رابية في أورشليم كان قد أقام عليها اليبوسيون أبناء عمومة الكنعانيين العرب حصنا قبل ظهور بنى إسرائيل (قوم موسى) بحوالى ألفى عام، ولذا تكون اللفظة كنعانية (عربية) وليست عبرية (يهودية)، شأنها شأن أسماء مدى وقرى فلسطين القديمة التي كانت وما زالت تحمل أسماءها الكنعانية الأصلية حتى يومنا هذا. وقد أطلقت تسمية الصهيونية على منظمة إرهابية أسسها يهود روسيا بعد منتصف القرن الماضى، فسمى أعضاؤها " عشاق صهيون " و " أحباء صهيون ". وانتمى إلى هذه المنظمة معظم يهود روسيا البارزين، منهم والد وايزمن وابن غوريون وسوكولوف. وقامت هذه المنظمة بحركات سرية ضد القيصرية، ثم أخذت تعنى بفلسطين وصارت تسعى لاستعمارها كوطن قومى لليهود. ويلاحظ من ذلك أن أكثر الزعماء المؤسسين للمنظمة الصهيونية هم من يهود أوربا الشرقية [(١)].

وما لبثت هذه المؤسسة أن أصبحت مؤسسة سياسية استعمارية دولية ذات جهاز تنظيمى اتخذ مؤسسوها من اضهاد اليهود ذريعة لتنظيم حركة يهودية سياسية تستهدف أول ما تستهدف تأسيس وطن قومى لليهود في فلسطين بحجة حقوق اليهود التاريخية في فلسطين. وقد وجدت الصهيونية بعد تحرر اليهود في معظم أرجاء أوربا ومنحهم الحقوق المدنية والحرية الكاملة للعيش في المجتمعات الأوربية ظروفا مواتية لنشاطاتها، فبدأت نشاطها المنظم بدعوى معاداة الشعوب للسامية وبنشر أسطورة مفاداها أن فكرة إنشاء الوطن اليهودى في فلسطين قديمة، فمنذ هدم هيكل سليمان قبل ما يقرب من ألفى عام واليهود يتطلعون إلى تحقيق حلم العودة إلى فلسطين أرض الميعاد.

وقد انبثقت وتكونت نتيجة المساعى المبذولة في تحقيق هذا المشروع المبنى على الباطل والقائم على التضليل والخداع المنظمة الصهيونية العالمية في نهاية القرن التاسع عشر، ففى آب من عام ١٨٩٧م عقد أول مؤتمر دولى للصهاينة في مدية بازل بسويسرا حضره نحو ثلاثمائة شخص يمثلون خمسين جمعية يهودية تمخض عنه تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية وقد انتخب المؤتمر تيودر هرزل

---

(١) انظر: " بروتوكولات حكماء صهيون "، للأستاذ عجاج نويهض، م١، ص ٦.

رئيسا له [(١)]، وبعد ذلك وقت قليل انبثقت عن المنظمة سنة ١٩٠٢ الجمعية الصهيونية الدولية المساهمة التي أصبح لها فروع محلية تمثل أكبر الاتحادات المالية المرتبطة اقتصاديا بأوثق الصلات مع احتكارات الدولة الاستعمارية، وقد حدد مؤتمر بازل أهداف المنظمة الصهيونية في العبارات التالية:

" إن غاية الصهيونية هى خلق وطن للشعب اليهودى في فلسطين يضمنه القانون العام ". كما رأى المؤتمر في الوسائل التالية الطريق إلى تحقيق هذه الغاية:

١- العمل على استعمار فلسطين بواسطة العمال الزراعيين والصناعيين اليهود وفق أسس مناسبة.

٢- تنظيم اليهودية العالمية، وربطها بواسطة منظمات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين المتبعة في كل بلد.

٣- تقوية الشعور والوعى القومى اليهودى وتغذيتهما.

٤- اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على الموافقة الحكومية الضرورية لتحقيق غايات الصهيونية.

وقرر المؤتمر أيضا اعتبار اللغة العبرية لغة رسمية للتخاطب بين اليهود في جميع ربوع العالم، وتنفيذا لهذا القرار توصل الحاخام " بن يهوذا " في سنة ١٩١١ إلى وضع لغة عبرية حديثة يمكن أن يستخدمها كل يهود العالم الذين يريدون الذهاب إلى فلسطين [(٢)]. وهذه اللغة تعود إلى أصول جرمانية [(٣)].

---

(١) لقد سبق أن أصدرت جماعة مؤلفة من ٥٠٠ شاب من يهود خاركوف في روسيا وهم من جملة أعضاء منظمة " عشاق صهيون " بيانا في استامبول سنة ١٨٨٢ على أثر المذابح الموجهة ضد اليهود في سنة ١٨٨١ في روسيا (اليوكروم) يعرف باسم " بيان بيلو " تدعو فيه إلى تنظيم حركة العودة إلى فلسطين وتطالب (على حد تعبيرها) بالرجوع إلى " بلدنا فلسطين التي منحها الرب لنا وهى وطننا كما أثبتته الوثائق التاريخية "، وكلمة بيلو مأخوذة من التوراة وتؤلف الأحرف الأولى مما جاء في العدد الخامس من الإصحاح الثانى من سفر أشعيا " يا بيت يعقوب هلم فنسلك في نور الرب "، راجع نص البيان في كتاب " Reader Arab - Israel The " الطبعة الثانية، ص ٣ - ٤.

(٢) " حوليات فلسطينية "، ص ١٤.

(٣) " العربى "، العدد ١٠٩، ص ٥٣.

ومن الواضح أن الحركة الصهيونية غدت تمثل مخططا استعماريا صرفا ذا صبغة سياسية قائما على ادعاء باطل وعلى الخداع والتضليل، وقد أخذ زعماؤها يتاجرون بها على مسرح الدول الاستعمارية الكبرى على حساب أهلها وسكانها العرب.

٢ ـ بروتوكولات حكماء صهيون:

لقد كشف النقاب عن وثائق مهمة يعتقد أنها كانت مدار بحث ونقاش في المؤتمر الأول المنعقد في بازل سنة ١٨٩٧م، فسميت هذه الوثائق " بروتوكولات حكماء صهيون ". ويفضل البعض تسميتها بمقررات سنة ١٨٩٧ باعتبارها أعدت لتبحث في المؤتمر المنعقد في بازل في تلك السنة وتبرم بعد تلاوتها. وقد كتبت هذه الوثائق على شكل تقرير بدايته مفقودة وهو ينطوى على مخطط يومى لتمكين اليهود من السيطرة على العالم أجمع لمصلحة اليهود وحدهم وتأسيس حكومة ملكية استبدادية يهودية مقرها أورشليم أولا ثم تستقر إلى الأبد في روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية قديما.

والثابت أن مواد هذا المخطط مستقاة من التلمود التي تجسمت فيه الروح المتعصبة والمعادية لكل من كان من غير اليهود وعقيدة " الشعب المختار " التي تمسك بها اليهود طيلة أدوارهم التاريخية [١]. وعلى الرغم من إحاطة هذه الوثائق بأشد أنواع الكتمان والتحفظ فقد وقعت في أيدى من قام بترجمتها وطبعها. والشخص الذي قام بهذه المهمة الخطيرة هو الكاهن سرجى نيلوس، وهو من رجال الكنيسة الأرثوذكسية، فترجم الكتاب إلى الروسية ونشره بطبعة أولى محدودة سنة ١٩٠٢م، وعلى أثر ذلك عمت المذابح ضد اليهود في روسيا وقد قتل منهم في إحداها نحو عشرة آلاف، ولكن نيلوس أعاد مع ذلك نشر الكتاب مع مقدمة وتعقيب بقلمه سنة ١٩٠٥ وقد سماها " بروتوكولات حكماء صهيون " [٢].

---

(١) حول صلة البروتوكولات بأحكام التلمود راجع القس بولس حنا مسعد، " همجية التعاليم الصهيونية "، ١٩٣٨م، راجع أيضا ما تقدم عن التلمود في الفصل الثالث.

(٢) أن صيغة اللغة التي كانت قد كتبت بها البروتوكولات في الأصل غير معلومة، فيستخلص البعض أنها بالعبرية أو الفرنسية وقام الكاهن نيلوس بنقلها إلى الروسية، بينما يرجح البعض أنها كانت باللغة الروسية وقام نيلوس بطبعها.

ثم طبع الكتاب مرة أخرى في سنة ١٩١١، ومرة أخرى في سنة ١٩١٧م [١].

وفى نفس السنة الأخيرة ذاتها قام المستر مارسدون، مراسل جريدة المورننغ بوست البريطانية بترجمة الكتاب إلى الإنجليزية عن النسخة الروسية لنيلوس المطبوعة سنة ١٩٠٥م، والتى كانت إحدى نسخها قد وصلت إلى المتحف البريطانية سنة ١٩٠٦م، ثم أعيد طبع هذه الترجمة الإنجليزية خمس مرات في غضون ثلاث سنوات بين سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢١م، وفى سنة ١٩١٩ ترجم الكتاب إلى الألمانية ونشر في برلين، ثم توقف طبعه بعد أن جمعت أكثر نسخه [٢].

وقد اختلفت الروايات حول كيفية ظهور البروتوكولات للعالم وصحة وجودها أو عدمه، فادعى البعض أنها مختلفة وليس لها أساس من الصحة بينما أكدها البعض الآخر، فقد ذكر نيلوس في مقدمة كتابه أن صديقا له (يعتقد أنه أليكس نيقولا نيفتش كبير جماعة أعيان روسيا الشرقية في عهد القيصرية دفعها إليه قبل أربع سنوات (١٩٠١) وهى بالتأكيد القطعى صورة حقيقية منقولة من وثائق أصلية سرقتها سيدة فرنسية من أحد زعماء الماسونية الحرة وقد تمت السرقة في نهاية اجتماع سرى بهذا الرئيس في فرنسا حيث وكر المؤتمر الماسونى اليهودى. وتشير رواية أخرى على أن حكومة القيصر التي كانت تتعقب حركات الصهيونيين أنفذت جواسيسها الروس المجربين إلى بازل متنكرين وبينما المؤتمر منعقد في جلسة سرية دهم البوليس السرى القيصرى المؤتمر فكانت البروتوكولات من جملة ما استولت عليه أيدى المداهمين[٣].

---

(١) يعتقد الباحثون الغربيون أن واضع البروتوكولات هو أحد كبراء اليهود المشهور في عالم الكتابة اليهودية باسم " أحدها عام " أى أحد أفراد الشعب، وجاء إلى فلسطين بعد الحرب= =العالمية الأولى وأقام ومات فيها سنة ١٩٢٧م، بعد عمل استمر نحو ٦٠ عاما في سبيل الصهيونية.

(٢) محمد خليفة التونسى، " الخطر اليهودى - بروتوكولات حكماء صهيون "، الطبعة الرابعة، بيروت.

(٣) يجد القارئ في كتاب " بروتوكولات حكماء صهيون " للأستاذ البحاثة عجاج نويهض بحثا مستفيضا عن بروتوكولات حكماء صهيون، والكتاب يقع في مجلدين وأربعة أجزاء طبع في بيروت على الأرجح ولم يذكر لا مكان الطبع ولا تاريخه، والكتاب هو من أحسن ما كتب في هذا الموضوع وفى اليهودية العالمية.

٣ ـ نابليون يستغل فكرة استعمار فلسطين لمصلحته:

وكان أول من اجتذبته فكرة استعمار فلسطين على يد الصهيونيين نابليون بونابرت الذي كان قد خطط لتحقيق حلمه بإنشاء إمبراطورية في الشرق، فبعد شروعه في غزو فلسطين في سنة ١٧٩٩م وجه نداء إلى جميع اليهود في العالم يستحثهم فيه على الانضمام تحت لوائه والانضواء تحت رايته لإعادة بناء " مجد إسرائيل الضائع في القدس " على حد تعبيره ويصفهم بأنهم الورثة الشرعيون لفلسطين [(١)].

والظاهر أن نابليون أصدر هذا النداء لكسب جانب اليهود فيستغل نفوذهم في أقطار الدولة العثمانية ومعاونتهم له في تحقيق غاياته ومراميه. ولكن محاولة نابليون هذه انتهت بالإخفاق والفشل التام على أثر اندحار جيوشه أمام حصن عكا الحصين فاضطر بعد ذلك إلى مغادرة القطر المصرى بسرعة والعودة إلى فرنسا رغم الانتصار الذي أحرزه في " أبو قير ".

وفي أثناء حصار نابليون لعكا أصدر نابليون بيانًا موجهًا إلى يهود العالم هذا نصه:

" إن العناية الإلهية التي أرسلتني على رأس هذا الجيش إلى هنا قد جعلت رائدي العدل وكلفتني بالظفر ، وجعلت من القدس مقري العام، وهي التي ستجعله بعد قليل في دمشق التي يضيرها جوارها بلد داود.

يا ورثة فلسطين الشرعيين!

إن الأمة العظيمة التي تتجر بالرجال كما فعل أولئك الذين باعوا أجدادكم للشعوب ، تناديكم الآن لا للعمل على إعادة احتلال وطنكم حسب، وليس بغية

---

(١) يرى مستر جفريز مؤلف كتاب " فلسطين - الحقيقة " أن فكرة استعمار فلسطين على يد الصهاينة ترجع إلى ما قبل عهد نابليون بحوالى ستة قرون، وذلك حين جاء ثلاثمائة حبر من أحبار اليهود إلى صلاح الدين الأيوبى لاستقصاء الإمكانيات لهجرة اليهود إلى فلسطين فيقول ما هذا نصه: " لما استعاد صلاح الدين مملكة الإسلام وجد اليهود عطفا منه وكانوا عندئذ قلة (في فلسطين) وهناك حادث تاريخى غريب ذو بال قل من عرفه، وهو أن صلاح الدين استقبل في سنة ١٢١١م ثلاثمائة حبر من أحبار اليهود جاءوا من انجلترا وفرنسا، وقد جاء هؤلاء سعيا وراء الاستقصاء عن إمكانية هجرة اليهود (إلى فلسطين) غير أن مهمة هؤلاء الأحبار لم تسفر عن أية نتيجة. انظر:

Jeffries (P.). "Palestine - The reality", P. 31.

استرجاع ما فقد منكم بل لأجل ضمان وموآزرة هذه الأمة لتحفظوها مصونة من جميع الطامعين بكم لكي تصبحوا أسياد بلادكم الحقيقيين ".

" انهضوا وبرهنوا على أن القوة الساحقة التي كانت لأولئك الذين اضطهدوكم لم تفعل شيئًا بسبيل تثبيط همة أبناء هؤلاء الأبطال التي كانت محالفة إخوانهم تشرف اسبارطا وروما ".

ويعتقد أن نابليون قد تأثر بما كتبه بعض الكتاب الفرنسيين بشأن اليهود، ومن هذه الكتابات المذكرة التي قدمها البرنس " دى لينيه " إلى إمبراطور النمسا جوزيف الثانى عن اليهود سنة ١٧٩٧م حيث أشار فيها إلى وجوب إصلاح شأن اليهود وإعادتهم إلى مملكة يهوذا وأضاف قائلا: " وهم لا يحجمون عن أن يجعلوها بلادا عامرة مزدهرة كما كانت في عهدها الماضى. ومتى عادت بلاد اليهود إلى يدهم، فإنهم لا يتوانون لحظة في إدخال الزراعة والصناعة والفنون والتجارة إليها على الأساليب الغربية. ثم أنهم يجددون هيكل سليمان ويستخدمون مياه الأمطار والمجارى لرى حقولهم ومزارعهم، وينشئون القنوات والترع للملاحة [١]. هذا نموذج من الآراء التي كانت تروجها جماعة من الطبقة الأرستقراطية الحاكمة في أوربا وقد كان لها صدى في تخطيط نابليون لإمبراطوريته في الشرق.

٤ ـ بريطانيا تحتضن الصهيونية وتتبنى مشروعها الاستعمارى:

وبعد فشل نابليون في تحقيق مشاريعه الاستعمارية في الشرق أخذت كل واحدة من الدول الاستعمارية الكبرى تحاول تحقيق نفس الأهداف التي كان نابليون يسعى لتحقيقها، أى استغلال التمهيدات الصهيونية لاستعمار فلسطين على يد اليهود لصالحها. وكانت انجلترا في الطليعة وهى رائدة الدول الاستعمارية وأقدمها خبرة وأوسعها معرفة واطلاعا بشئون الاستعمار، فوجدت في المبشرين بالفكرة الصهيونية من رعاياها من اليهود وغيرهم أداة طيعة تستغلها في تحقيق المشروع لصالحها قبل أن تحتضنه دولة أخرى لصالحها.

ومن هؤلاء المبشرين الثرى اليهودى البريطانى الجنسية السير موسى مونتوفيورى الذي كان في مقدمة المتحمسين للصهيونة ومشروعها الاستعمارى، فزار فلسطين عدة مرات وأقام في مصر مرارا عديدة وكان مونتوفيورى هذا

(١) إيلى ليفى أبو عسل، " يقظة العالم اليهودى "، ص ١٢٤.

مقربا من البلاط البريطانى يحظى برعاية خاصة من الملكة فكتوريا وريثة التاج البريطانى، وقد كان آنئذ اللورد بالمرستون متقلدا منصب رئيس الوزراء وكان بدوره من الذين يؤيدون مشروع تمكين اليهود من استعمار فلسطين لمصلحة بريطانيا. ففى سنة ١٧٣٨م قابل مونتوفيورى محمد على باشا الكبير والى مصر بصفته حاكما عاما على سورية التي كانت ولاية فلسطين تابعة لها وعرض عليه " أن يؤجر لليهود مائة أو مائتى قرية لمدى خمسين سنة في مقابل عشرة أو عشرين في المائة تدفع في الإسكندرية من قيمة الإيجار تدريجيا على أن تكون هذه القرى حرة مجردة من كل مانع ومحذور، أى طليقة من قيود الضرائب والإتاوة كل مدة الإيجار، وللزارعين الحق في بيع حاصلاتهم في أى بلد من بلدان العالم، وليس من حرج عليهم في ذلك ". وقد أسفرت هذه المقابلة عن " تعهد محمد على باشا بالترخيص لليهود في شراء أية مساحة يستطيعون أن يجدوها في ربوع سورية. وأبدى الوالى رغبته في أن تمنح لهم الأراضى بمجرد طلبهم وقال أن اليهود بإمكانهم والحالة هذه أن ينتخبوا حكاما يقع اختيارهم عليهم للإشراف على مقاطعات فلسطين بأسرها. وأكد أنه لن يدخر وسعا في سبيل معاونتهم وشد أزرهم في إنجاز هذا المشروع. وقد أصدر أمرا بتأييد هذه التأكيدات والوعود كتابيا بمقتضى الفرمانات الصادرة عن الحكومة المصرية في هذا الخصوص. وكانت تهدف بالطبع مساعى مونتوفيورى هذه لحل المسألة اليهودية بوساطة استعمار فلسطين (على حد تعبيره) بمآزرة الحكومة البريطانية وتأييدها [١]. وفى هذا الوقت بالذات وجه بالمرستون وزير خارجية بريطانيا رسالة إلى نائب القنصل الإنجليزى في القدس يأمره فيها: " كن حاميا لليهود بصورة عامة ".

وفى سنة ١٨٤٠ كتب بالمرستون أيضا إلى سفير جلالة الملك في استانبول رسالة يقول فيها: " من الواضح أنه سيكون للسلطان مصلحة كبيرة في أن يشجع اليهود على أن يعودوا إلى فلسطين، وأن يستقروا فيها.. أحمل هذه الفكرة سرا إلى الحاكم التركى، وأطلب منه في صراحة تامة أن يشجع يهود أوربا على العودة إلى فلسطين " [٢].

ثم نشبت الحرب بين محمد على باشا وبين الحكومة العثمانية فأسفرت عن

(١) " يقظة العالم اليهودى "، ص ١٤٥ - ١٥٢.
(٢) " حوليات فلسطينية "، ص ١٠ - ١١.

انتصار جيشه وزحفه على الآستانة بعد أسر عدد من القواد الأتراك. وقد أصبحت أبواب الآستانة مفتوحة أمام جيش محمد على لولا تدخل الجيش الروسى لسد تلك الأبواب بوجهه، وبعد تدخل الدول الكبرى اضطر محمد على باشا إلى سحب جيشه الظافر من الأناضول وترك الأقطار السورية ومن ضمنها فلسطين إلى الحكومة التركية لإدارتها بوساطة حكام من الباب العالى. وكانت شروط الصلح التي فرضت على محمد على باشا في ٥ أيلول ١٨٤٠ تنازله عن سيادته على سورية وفلسطين على شرط أن يكون الحكم في مصر حقا متوارثا لذريته وأعقابه، فكان ذلك ضربة قاصمة لمشروع مونتوفيورى ومؤيديه [(١)]، إلا أن هذه الأحداث لم تثن دعاة المشروع عن مواصلة دعايتهم له والسعى لتحقيقه.

ففى ٢٥ أيلول ١٨٤٠ كتب اللورد شافنتبورى السياسى الإنجليزى المعروف رسالة إلى وزير خارجية بريطانيا بالمرستون يقول فيها: " إن سورية ومن ضمنها فلسطين ينبغى أن تحول إلى دومنيون إنجليزى " وأكد أن الحاجة تستدعى من أجل ذلك إلى رأس المال واليد العاملة.. وإذا ما بحثنا مسألة عودة اليهود لبناء فلسطين واستيطانها فإننا سنكتشف بأن تلك أرخص الطرق وأسلمها لتأمين كل ما هو ضرورى لهذه المنطقة الضئيلة السكان [(٢)].

وكتب شافنتبورى بعد ذلك مقالا للصحف قال فيه: " ستكون سورية (ومن ضمنها فلسطين) بعد إعادة إنشائها بلدا تجاريا بصورة خاصة، ومن هم أكبر التجار في العالم؟ وهل يوجد حقا مكان أكثر ملاءمة، ومنطقة مباركة، يمكن أن يبدى فيها اليهودى مؤهلاته؟ إنها ستكون ضربة موجهة ضد انجلترا إذا ما امتلك أى من منافسيها سورية ".

---

(١) يجد القارئ في كتاب الأستاذ عجاج نويهض " بروتوكولات حكماء صهيون " (م٢، ص ٢٤٨ - ٢٦٠) بحثا مستفيضا يتناول تاريخ حياة مونتويوفرى ودوره في محاولات= =الصهيونية في تحقيق أهدافها الاستعمارية الخاصة باستيطان اليهود في أرض فلسطين، ومما ذكره الأستاذ نويهض في هذا الصدد أن مشروع مونتوفيورى كان يرمى إلى استئجار ١٠٠ - ٢٠٠ قرية في شمال فلسطين، صفد وطبرية وما إليهما، لمدة ٩٠ سنة على أن تدفع الأعشار السنوية سلفا وبزيادة ١٠ - ٢٠% على معدل تخمين الأعشار وقتئذ وعلى أن تكون الأراضى خلال مدة الإيجار لا يد لأحد عليها، واليهود أحرارا في التصرف في الإنتاج داخل فلسطين وخارجها، إلا أن انسحاب جيش محمد على باشا من سورية وفلسطين قضى على هذه الصفقة.

(2) N. Socolow, “History of Zionism”, Vol.II, P. 230.

وفى ٢٥ كانون الثانى ١٨٥٣ أعلن في البرلمان الإنجليزى العقيد جورج غاولر حاكم جنوب استراليا السابق " أن العناية الإلهية هى التي وضعت سورية ومصر على طريق انجلترا إلى أكثر مناطق تجارتها الخارجية الكولونيالية أهمية. وينبغى أن تجدد يد بريطانيا سورية بوساطة الشعب الوحيد الملائم للقيام بهذه الرسالة والذى يمكن أن تستخدم طاقته بصورة دائمة وفعالة، إنهم الأبناء الحقيقيون لهذه الأرض أبناء إسرائيل " (١).

وقال جيمس نيل في كتابه " النزوح إلى فلسطين أو جمع شمل إسرائيل المشردة " سنة ١٨٧٧م: " إن احتمال إمكانية الإنجليز استيطان أرض فلسطين بنفس النجاح الذي استوطنوا به أمريكا الشمالية بعيد جدا وذلك بسبب حرارة الجو والصعوبات التي يقيمها العرب والافتقار إلى حماية فعالة وكثير غير ذلك. لهذا فهو يقترح أن يستخدم اليهود لتحقيق هذا الهدف.

ومن أغرب الأحداث الدالة على التزاحم بين الدول على كسب النفوذ السياسى في فلسطين مشاركة إنجلترا وألمانيا في تأسيس إرسالية تبشيرية مشتركة في القدس سنة ١٨٥١م، فاتفقتا على أن يشرف عليها أسقف مرسوم على المذهب (الإنكليكانى) الإنجليزى، ولكن تعيينه يجرى بالتناوب بين ملك انجلترا وملك بروسية (ألمانية) ومما حمل الدولتين على تأسيس أسقفية مشتركة في القدس إن السلطات الإنجليزية والبروسية في الشرق والحماية الدينية التي تتمتع بها فرنسا على النصارى الكاثوليك يحسن أن توازنا بحماية ألمانية إنجليزية على البروتستانت. وقد كان أول أسقف على أسقفية القدس هذه ميخائيل شلمون إسكندر وهو حاخام يهودى متنصر. ومن الواضح أن الدوافع لتأسيس هذه الأسقفية المشتركة وإن كانت دينية في الظاهر ولكنها كانت سياسة من الدرجة الأولى (٢).

وهكذا بات الجو مهيئا لظهور الصهيونية كحركة سياسية منظمة وكمؤسسة رأسمالية فأنشئت في انجلترا في السبعينات من القرن التاسع عشر " الشركة الكولونيالية السورية - الفلسطينية " بغرض استعمار سورية وفلسطين والبلدان القريبة.

وفى سنة ١٨٩٧ كما ذكر من قبل تم تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية بقيادة زعيمها الأول تيودر هرزل. وقد صاغ هرزل الأفكار الصهيونية في حركة

---

(1) N. Socolow, op. cit, Vol. II, P. 366.

(٢) يورى إيفانوف، " حذار من الصهيونية "، ترجمة محمد كامل عارف، ص ٤٥ - ٤٦.

سياسية مرتبطة بالإمبريالية العالمية في كتابه " الدولة اليهودية " وأصبح هو المنظم لها وداعيتها ومندوبها السياسى.

وقد كان لإنشاء فناة السويس بن سنة ١٨٥٩ و ١٨٦٩، وخاصة بعد تم لدزرائيلى شراء أسهمها سنة ١٨٧٥، أثر في توجيه سياسة بريطانيا نحو فلسطين بغية اتخاذها قاعدة تستغل في حماية القناة، وذلك بتشجيع وتأييد المشروع الصهيونى الرامى إلى استعمار فلسطين من قبل اليهود تحت رعاية وحماية الحكومة البريطانية فقد جاء في مذكرات الوزير البريطانى المستر إيمرى قوله: " نحن نرى من وجهة النظر البريطانية الخالصة، إن إقامة شعب يهودى ناجح في فلسطين يدين بوجوده وفرصته في التطور إلى السياسة البريطانية هو كسب ثمين لضمان الدفاع عن قناة السويس من الشمال ولإدراء دور محطة الطرق الجوية المقبلة مع الشرق ".

كما جاء في مذكرات تشرشل وهو آخر بناة الاستعمار البريطانى قوله: " إذا أتيح لنا في حياتنا، وهو ما سيقع حتما، أن نشهد مولد دولة يهودية، لا في فلسطين وحدها، بل على ضفتى نهر الأردن معا، تقوم تحت حماية التاج البريطانى وتضم نحوا من ثلاثة أو أربعة ملايين من اليهود، فإننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الاتفاق مع المصالح الحيوية للإمبراطورية البريطانية " [١].

٥ ـ فلسطين في خطط الاستعمار الأوربى ـ مقررات مؤتمر السير كامبل بنرمان لسنة ١٩٠٥ أو مؤتمر لندن:

إن نظرية كون الحضارات تمر بدورات متعاقبة تنمو وتزدهر، ثم تشيخ وتذبل وتندثر، إن هذه النظرية أخذت تقلق بال زعماء الاستعمار الأوربى الحديث، مسترشدين بما وقع للحضارات القديمة عبر التاريخ مثل حضارة الفراعنة في مصر وحضارة الصين وحضارة البابليين والأشوريين وغيرها من الحضارات المتأخرة مثل حضارة الإغريق والرومان والحضارة العربية الإسلامية، وذلك لاتخاذ التدابير اللازمة للوقاية والحذر قبل أن تحل الكارثة الحتمية بالحضارة الأوربية الحديثة، القائمة على الاستعمار، لأن هناك من المفكرين من كان يرى أن الحضارة الأوربية الراهنة قد دخلت مرحلة الانهيار والاندثار.

---

(١) خيرى حماد، " الصهيونية "، ص ٧٨ - ٨٠.

وكان من العلماء العرب من أخذ بالنظرية ذاتها، ففى رأى ابن خلدون أن لدى الأمم والدول أعمار طبيعية كما للإنسان، فبعد أن تأخذ الأمم بالدعة والراحة وتنغمس في الملذات والشهوات وتميل إلى الرخاء والترف " تأخذ بمبادئ العطب وتتضعضع أحوالها وتنزل بها أمراض مزمنة من الهرم إلى أن يقضى عليها ". وقد ذكر عن نابليون أنه قال بأن أوربا شاخت وأن القوة الآتية تكمن في مكانين: أمريكا بشبابها الطاغى وروسيا بذلها الشديد الذي لابد أن ينفجر عن شئ جديد قوى.

وجاء في رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء (ص ١٨٢ - ١٨٣) وصف للدولة والإمبراطوريات بنفس المعنى هذا نصه: " واعلم أن الملك والدولة ينتقلان في كل دهر وزمان، ودور وقران، من أمة إلى أمة، واعلم بأن كل دولة لها وقت منه تبتدئ، وغاية إليها ترتقى، وحد إليه تنتهى، فإذا بلغت إلى أقصى غاياتها ومدى نهايتها، تسارع إليها الانحطاط والنقصان وبدأ في أهلها الشؤم والخذلان، واستأنف في الآخرين من القوة والنشاط والظهور والانبساط، وجعل كل يوم يقوى هذا ويزيد، ويضيف ذاك وينقص إلى أن يضمحل الأول المقدم ويستمكن الآتى المتأخر ".

وقد كان أول من تنبأ تنبؤا قاطعا بانهيار حضارة أوربا الحالية الفيلسوف الألمانى أوزوالد سبنجلر الذي أعلن رأيه هذا قبل ثلاثين سنة معززا رأيه بالنظرية القائلة بأن التاريخ الإنسانى ليس خطا مستقيما إلى التقدم، ولكنه دورات متعاقبة النمو والانحلال وإن كل حضارة هى أشبه بإنسان، يولد وينمو ويزدهر ثم يشيخ ويذبل ويموت، ثم تبدا دورة حضارة أخرى في مكان آخر من العالم وهكذا " [(١)].

(١) كان شينجلر يعمل حتى عام ١٩١٠ مدرسًا في سابروكن ودوسلدروف وهامبروغ دون أن يكون لديه شهادة اختصاص أكاديمي، وما أن انتهى عام ١٩١٨ إلا وظهر كتاب ضخم في مكتبات ألمانيا يحمل عنوانًا مثيرًا " تدهور الغرب " ولم يلاحظه القراء في بادئ الأمر، ثم اكتشف الناس أهمية الكتاب الذي يضم لأول مرة محاولة لتقرير ما سيحدث في تاريخ المستقبل ومحاولة لمتابعة مراحل لم تحدث بعد من مصير حاضرة الغرب، ولعل هذا هو السبب الذي جعل الناس ترغب في الاطلاع على ما تضمنه من آراء فارتفع عدد النسخ المباعة منه حتى أعيد طبعه عدة مرات، ولم تمض عشر سنوات حتى بيعت من الكتاب مائة ألف نسخة، وذلك على الرغم من أن المؤلف لم يحمل شهادة أكاديمية، وكانت طريقة شبنجار تعتمد على مقارنة الحضارات وكان يعتقد

ومن أقوال شبنغلر: " إن الحشرات تشبه البشر لأنها تولد وتنمو وتنضج وتموت، ويتكون البشر من حجيرات بايولوجية أما الحضارة فإنها تتألف من البشر الذين يموتون وتخلفهم أجيال جديدة تمام كالحجيرات التي تتغير في أجسامنا كل ثماني سنوات ".

وقد آمن أرنولد توينبى بنظرية شبنجلر في أن التاريخ دورات حضارية تولد وتنمو ثم تشيخ وتموت. ولكنه قال أن هذا لن يحدث للحضارة الراهنة، والسبب في رأيه أن الحضارة الراهنة تعلمت من التاريخ وعرفت الخطر فهى سوف تتمكن من أن تتجنب تكراره " (١).

وتحسسا بالخطر المحدق بالحضارة الأوربية القائمة على الاستعمار عقد مؤتمر لندن عام ١٩٠٥ سرا واستمر حتى عام ١٩٠٧، وقد دعا إليه السير كامبل بنرمان(٢). الذي كان يشغل منصب رئاسة الوزارة البريطانية بغية تشكيل جبهة استعمارية موحدة من الدول ذات المصالح المتوافقة في العالم آنذاك وهى: بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وإيطاليا وأسبانيا، باعتبار أن تعاون بريطانيا مع هذه الدول ضروريا لمصلحة بريطانيا في إيقاف المد الاستعمارى الألمانى الجديد من جهة وفى تنسيق التوسع الاستعمارى البريطانى من الجهة الأخرى، واتفقت الدول المذكورة على التعاون الودى بينها وعلى تأليف لجنة من خبرائها تتولى دراسة الوضع القائم ثم تقدم لها مقترحات وتوصيات فيما يتعلق بضمان استمرار نمو المصالح الاستعمارية المشتركة التي كانت تتمتع بها تلك الدول. وهكذا فقد حددت المصالح المشتركة بالدول الاستعمارية إلى تنسيق العمل فيما بينها على الرغم من الخلافات القائمة في علائقها السياسية، فأعلن السير كامبل بنرمان عن عقد المؤتمر وكان يتألف من مشاهير المؤرخين وكبار علماء الاجتماع والجغرافيا والاقتصاد والتاريخ والنفط والزراعة والاستعمار في دول

بأن التاريخ يمكن أن يكون علمًا كعلم الأحياء أو الفيزياء (انظر: " سقوط الحضارة " لمؤلفه كولن ولسون، ترجمة أنيس زكي حسن، بيروت ١٩٧١، ص ١٢٦ - ١٤٢).

(١) أحمد بهاء الدين، " حضارات تزدهر ثم تهوى "، مجلة العربى الكويتية، العدد ٢٠٩، نيسان ١٩٧٦م، ص ٦ - ١٣.

(٢) هو السير هنرى كامبل بنرمان، سياسى بريطانى تزعم حزب الأحرار في فترة عصيبة من تاريخ انجلترا وأصبح رئيسا للوزارة البريطانية من سنة ١٩٠٥ إلى سنة ١٩٠٨، ولم يلبث أن مات يوم ٢٢ نيسان من الشهر نفسه أى بعد استقالته بـ ١٧ يوما (دائرة المعارف البريطانية لسنة ١٩٦٥، ٤٤: ٧١٧).

الاتحاد، وكان بينهم البروفسور جيمن جيمس مؤلف كتاب البحوث التاريخية المشهور وزوال الإمبراطورية الرومانية، ولوى مادلين الأستاذ في السوربون ومؤلف كتاب نشوء وزوال إمبراطورية نابليون، وليستر الأستاذ في جامعة لندن، ولتسنخ، وسميث، ودرتنج، وزهروف وغيرهم من مشاهير العلماء والأساتذة، وقال بنرمان يخاطب المؤتمر في تحديد مهمته: "... إن الإمبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ثم تستقر إلى حد ما، ثم تنحل رويدا ثم تزول، والتاريخ ملئ بمثل هذه التطورات وهو لا يتغير بالنسبة لكل نهضة ولكل أمة، فهناك إمبراطوريات روما، وأثينا والهند والصين وقبلها بابل وآشور والفراعنة وغيرها، فهل لديكم أسباب أو وسائل يمكن أن تحول دون السقوط والانهيار، أو تؤخر مصير الاستعمار الأوربى وقد بلغ الآن الذروة وأصبحت أوربا قارة قديمة استنفذت مواردها وشاخت معالمها؟ بينما العالم الآخر لا يزال في شبابه يتطلع إلى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية، هذه هى مهمتكم أيها السادة وعلى نجاحها يتوقف رخاؤنا وسيطرتنا...! ".

وقام المؤتمر بدراسة تاريخ الإمبراطوريات وتطوراتها وكيف نشأت وازدهرت ثم تلاشت وانحلت، كما قام ببحث الأسباب التي أدت إلى انهيار هذه الإمبراطوريات بعد بلوغها قمة الحضارة، ثم درس الإمبراطوريات الراهنة، وبعد مضى أكثر من سنة استمر في الدراسة قدم المؤتمر نتائج ما توصل إليه على شكل تقرير سرى خاص إلى وزارة الخارجية البريطانية، ولما رأت خطورته أحالته على وزارة المستعمرات البريطانية، ثم اختفى التقرير من غير أن يعرف أحد به. وقد بقى هذا التقرير منسيا حتى قبيل الحرب العالمية الأولى " حينما نشره صحفى بريطانى صهيونى في معرض الدفاع عن الوطن القومى اليهودى في فلسطين، واستشهادا بآراء وقرارات الحكومة البريطانية وسادة الاستعمار العالمى على ذلك وتبريرا لقيام (إسرائيل) كضرورة اقتصادية وسياسية واجتماعية لأوروبا ولمصالحها وسيطرتها في الشرق (الثقافة القومية الاشتراكية، دمشق، ١٩٧٢ - ١٩٧٣، ص ٧١).

لقد احتوى التقرير على مقدمة شرحت فيها مصالح الدول الاستعمارية في العالم القديم وفى مقدمتها بريطانيا التي لها مصالح في جميع القارات، وكذلك لفرنسا مصالح أيضا في القارة الأفريقية وفى الهند الصينية وجزر المحيط الهادى. أما إيطاليا فمصالحها في ليبيا وكذلك فإن لأسبانيا مصالح حيوية في المغرب وجزر الأطلنطى، ثم قسم العالم إلى مناطق نفوذ وأعطى لكل دولة من

دول الاتحاد منطقة أو أكثر فيه.

ثم انتقل التقرير بعد ذلك إلى إثبات حقيقة أساسية مشتركة في كل الدول الاستعمارية، وهى أن البحر المتوسط هو الشريان الحيوى للاستعمار ولمصالح كل الدول المتحدة، الآنية والمقبلة. فهو الجسر بين الشرق والغرب، وهو الممر الطبيعى إلى آسيا وإلى أفريقيا، وهو ملتقى طرق العالم، فلابد لنجاح أية خطة تستهدف حماية المصالح الأوربية المشتركة من السيطرة على هذا البحر وعلى شواطئه الجنوبية والشرقية، لأن من يسيطر على هذه المنطقة يستطيع التحكم في العالم (المرجع السابق، ص ٧٤).

وبعد استعراض أسباب زوال الإمبراطوريات السابقة، شرح الباحثون مصدر الخطر الذي يهدد كيان الاستعمار ويهدد إمبراطوريته ويزيلها كما زالت الإمبراطوريات السابقة. فتوصلوا إلى أن الخطر يكمن في البحر المتوسط وفى شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص. " فعلى الجسر البرى الضيق الذي يصل آسيا بأفريقيا، وتمر فيه قناة السويس شريان حياة أوربا وعلى جانبى البحر الأحمر وعلى طول ساحلى البحر الهندى وبحر العرب حتى خليج البصرة حيث الطريق على الهند وإلى الإمبراطوريات الاستعمارية في الشرق، في هذه البقعة الشاسعة الحساسة يعيش شعب واحد، تتوافر له من وحدة تاريخية ودينية ووحدة لسانه وآماله، كل مقومات التجمع والترابط والاتحاد، وتتوفر له في نزعاته التحررية وفى ثرواته الطبيعية ومن كثرة تناسبه كل أسباب القوة والتحرر والنهوض، ويبلغ تعداده الآن ٣٥ مليون نسمة، ويمكن أن يرتفع في مدى قرن واحد إلى مائة مليون نسمة بالنسبة إلى شرائعه الإسلامية التي تتيح تعدد الزوجات وتؤدى إلى زيادة النسل والتكاثر. " فكيف يمكن أن يكون وضع هذه المنطقة إذا توحدت فعلا آمال شعبها وأهدافه، وإذا اتجهت هذه القوة في اتجاه واحد؟ ".

واستطرد التقرير في التساؤل:

" ماذا لو دخلت الوسائل الفنية الحديثة ومكتسبات الثروة الصناعية الأوربية إلى هذه المنطقة!. وماذا لو انتشر التعليم وعممت الثقافة في أوساط هذا الشعب؟ وماذا سيكون إذا تحررت هذه المنطقة واستغلت ثرواتها الطبيعية من قبل أهلها؟ ". ويجيب التقرير على هذا السؤال، فيقول:

" عند ذاك ستحل الضربة القاضية حتما بالإمبراطوريات الاستعمارية،

وعندها ستتبخر أحلام الاستعمار بالخلود، فتنقطع أوصاله ثم يضمحل وينهار كما انهارت إمبراطوريات الرومان والإغريق " (المرجع السابق، ص ٧٣ - ٧٤).

وهذا نص القسم الذي أمكن الاطلاع عليه من التقرير:

" إن الخطر ضد الاستعمار في آسيا وفى أفريقيا ضئيل، ولكن الخطر الضخم يكمن في البحر المتوسط، وهذا البحر هو همزة الوصل بين الغرب والشرق، وحوضه مهد الأديان والحضارات، ويعيش على شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ والدين واللسان، وكل مقومات التجمع والترابط. هذا فضلا عن نزعاته الثورية وثرواته الطبيعية، فماذا تكون النتيجة لو نقلت هذه المنطقة الوسائل الحديثة وإمكانيات الثورة الصناعية الأوربية، وانتشر التعليم فيها وارتفعت الثقافة؟ إذا حدث ما سلف فستحل الضربة القاصمة حتما بالاستعمار الغربى، وبناء على ذلك فإنه يمكن معالجة الموقف على النحو التالى:

١- على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزأة هذه المنطقة، وتأخرها، وإبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتأخر وجهل.

٢- ضرورة العمل على فصل الجزء الأفريقى في هذه المنطقة عن الجزء الأسيوى، وتقترح اللجنة لذلك إقامة حاجز بشرى، قوى وغريب، يحتل الجسر البرى الذي يربط أوربا بالعالم القديم ويربطها معا بالبحر الأبيض المتوسط، بحيث يشكل في هذه المنطقة، وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار، وعدوة لسكان المنطقة " (١).

يتضح مما تقدم أن مستقبل فلسطين ومصيرها تقررا في هذا التقرير.

وتدل الحوادث التي وقعت بعد ظهور هذا التقرير دلالة واضحة على أن خبراء السياسة البريطانية ومعهم خبراء الدول ذات المصالح المشتركة أخذوا يخططون بدقة متناهية الوسائل التي تأمل تنفيذ وتحقيق المنهاج المقترح. فأقيم الحاجز البشرى من عنصر غريب على شكل قوة " صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة "، وذلك عن طريق تنفيذ وعد بلفور وغرس إسرائيل شوكة في

---

(١) انظر: " وثائق التدخل في الوطن العربى "، جمعها موسى الكاظم التونسى، دمشق ١٩٧٢م، ج١، ص ٤٧ - ٤٨؛ " اليهودية " للدكتور أحمد شلبى، ط٣، ١٩٧٣، ص ٩٩ - ١٠٢.

قلب المنطقة.

وهنا التقت الصهيونية بمخطط الاستعمار الجديد، فمنذ سنة ١٩٠٧ سار الاستعمار البريطانى والصهيونية العالمية جنبا إلى جنب في طريق القضاء على عروبة فلسطين وإقامة (دولة إسرائيل) فيها فسارعت بريطانيا وهى سيدة الاستعمار حينذاك إلى الأخذ بيد الصهيونية واتفقت مع زعماء الصهيونية العالمية على تأسيس دولة إسرائيل في فلسطين ونسقت معهم العمل على تحقيق هذا الهدف المنشود، ثم نظمت المخططات السياسية للحيلولة دون اتحاد البلاد وذلك بوضع العراقيل في وجه أية محاولة ترمى إلى تحقيق الوحدة بينها،أما فيما يتعلق بإبقاء الشعب على ما هو عليه من تأخر وجعل فقد قام الاستعمار البريطانى بسن تشريعات العشائر في الدول العربية عندما كانت تحت الاحتلال أو الانتداب خدمة لأغراضه في المنطقة. وهذه التشريعات كانت تستهدف المحافظة على القيم والتقاليد القديمة التي تحجرت وراء قرون طويلة من التخلف وإظهار الكيانات القبلية وتنمية دور القبائل وزيادة وزنها الاجتماعى ومنع اندماجها في المجتمع العربى ليبقى المجتمع العربى في حالة من التفكك والانقسام.

ففى العراق قامت سلطات الاحتلال البريطانى باستصدار نظام دعاوى العشائر لسنة ١٩١٨ الذي وضعه المستر هنرى دوبس من أعوان المندوب السامى البريطانى والذى كان يهدف إلى تنمية العادات المحلية للعشائر والمحافظة عليها من الاندثار. وقد استمر هذا النظام قائما إلى أن ألغته ثورة تموز لعام ١٩٥٨. كما سن قانون تسوية حقوق الأراضى رقم ٥٠ لسنة ١٩٣٢ وزعت الأراضى الزراعية بموجبه على رؤساء العشائر بعد أن كانت ملكية الأرض تعود إلى العشيرة بأسرها فثبت هذا القانون حقوق الرؤساء فيها.

ومما ساعد على تنفيذ هذا المخطط الصلاحيات الواسعة التي منحت إلى رؤساء تسوية الأراضى، وهم بريطانيون، بعد أو أوكل إليهم تطبيق القانون وفق السياسة البريطانية المرسومة، وهكذا برزت في العراقة حفنة من الإقطاعيين المتنفذين والموالين للاستعمار الذي أصبح حليفهم الطبيعى وشريكهم في مقاومة أمانى الشعب وتطلعاته التقدمية التحررية، وقد ألغت ثورة تموز هذا النظام الإقطاعى بتحديد الملكية بموجب قانون الإصلاح الزراعى رقم ٣٠ الصادث في ٣٠ أيلول ١٩٥٨.

وفى الأردن قامت السلطات الإنجليزية بسن أول قانون لمحاكم العشائر

عام ١٩٢٤، ثم حل محل هذا القانون محاكم العشائر لسنة ١٩٣٦ ومنح بموجبه قائد الجيش سلطات واسعة في الإشراف على العشائر ومعالجة شؤونهم.

وفى فلسطين قامت السلطات الإنجليزية أثناء فترة انتدابها على هذه البلاد بوضع عدد من التشريعات لتحقيق الأهداف نفسها والتى لم تزل نافذة حتى اليوم في الضفة الغربية من الأردن (٢١ب).

وفى سورية سار الفرنسيون على النمط نفسه حتى تكون قانون العشائر الصادر سنة ١٩٤٠ بحيث أصبحت العشائر في بادية الشام بموجب هذا القانون دولة داخل دولة. وفى ذلك يقول الأستاذ حبيب جاماتى: " مجموعة من الناس مكنتهم شريعة الاستعمار من الخروج على القانون!.. خلعت عليهم الإقطاعات وأعفتهم من الخدمة العسكرية وأتاحت لهم حمل السلاح.. حمتهم من الضرائب بل مكنتهم من الإتاوات على الضعفاء!.. ثم بعد إصدار قانون الإصلاح الزراعى سنة ١٩٥٨ الذي ألغى بموجبه نظام الإقطاع في الإقليم السورى، كان لابد من إصدار قرار متمم له، بإلغاء قانون العشائر الذي لم يكن ضرره أخف من الإقطاع. وبإلغاء هذا القانون العجيب تكون قد انطوت صفحة سوداء من صفحات الماضى البغيض، لأنها صفحة كتبتها يد المستعمر للتفريق بين أبناء الوطن الواحد [١].

وكانت البادرة البارزة التي تلت ظهور تقرير لجنة كامبل بزمن تلك الحرب الشعواء غير المعلنة التي شنها الاستعمار على اللغة العربية الفصحى (لغة الوحى التي نزل بها القرآن الكريم رحمة للعالمين) والتى استخدم فيها جميع صنوف أسلحة التضليل والتزييف، وشتى الأساليب والحيل بقصد تفريق المجتمعين عليها تحت ستار من الرغبة في الإصلاح والتطور ومسايرة العصر. ولا غرو فقد اكتشف فيها الرباط المقدس الذي يشد الملايين العربية بعضهم إلى بعض في مختلف أقطارهم وديارهم من المحيط إلى الخليج والأساس المتين لجمع كلمتهم وإقامة وحدتهم فيما توافرت لها الظروف الملائمة. وإلى جانب الملايين العربية توجد مئات من الملايين المسلمة وغير المسلمة التي تستخدم الحرف العربى في كتاباتها [٢]. والتى بمقدور اللغة العربية، باعتبارها لغة الدين والوحى، بما تتميز به من الخصائص التي لا تتوافر لأية لغة عداها لما فيها من جمال في

---

(١) فاروق الكيلانى، " شريعة العشائر في الوطن العربى "، ص ٨٣ - ٨٥.

(٢) حبيب جاماتى، مجلة المصور المصرية، عدد ١٠ أكتوبر ١٩٥٨.

الكتابة وقدرة على نطق جميع الأصوات التي يستخدمها الإنسان والحيوان أيضا للتعبير على حاجاته ورغباته وأداء تلك الأصوات كتابة أن تضمها إلى الملايين العربية.

واللغة العربية، فوق هذا وذاك، هى اللغة الأم التي تفرعن عنها جميع لغات الدنيا وحاملة لواء الحضارات العربية المتعاقبة التي سايرت الإنسان منذ أن وجد على الأرض والتى تعود إلى أجيال سحيقة في التاريخ تصل إلى القرن التسعين قبل الميلاد في مملكة إيبلا والقرن الستين في مارى وإلى أربعة آلاف وخمسمائة سنة قبل الميلاد في كنعان، وبلغت أوج ازدهارها عند مطلع القرن الثلاثين، في كل من حوضى وادى النيل ووادى الرافدين في حقبة زمنية واحدة وعلى مستوى واحد من العظمة والجلال.

والاستعمار، على حداثته، أخذت شعوبه تشعر بالهرم نسبيا وتشكو من نقص مواردها الطبيعية على عكس الشعوب العربية الأخرى التي يمكن للغة العربية الفصحى أن تجمعها في وحدة متكاملة فيما لو توافرت لها الظروف الملائمة حيث مازالت تحافظ على نضارتها وسريان ماء الشباب في عروقها وتحتفظ بقائض في مواردها الطبيعية ولأجيال عديدة لا يمكن حصرها. وعندئذ ماذا سيكون مصير وإلى ماذا ستؤول خسارته الباردة الجامدة التي بناها على الأخذ دون العطاء وامتصاص دماء الشعوب فيما لو قيض قيام مثل هذه الوحدة.

فاللغة العربية الفصحى إذن تحمل في طياتها شبحا أخذ يهدد الاستعمار ويرى فيه مصيره المحتوم ولابد له إن هو أراد الحول دون ذلك المسير أو تأخيره ما استطاع إلى ذلك سبيلا حتى يجد لنفسه مخرجا أن يعمل جادا وأن يركز على تقويض اللغة العربية الفصحى وتأديب المجتمعين عليها لهجرها والانتقال إلى غيرها. فأخذ يوجه إليها الاتهامات الباطلة كقوله: " إن اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة عامل من أهم عوامل التخلف الثقافى " وينشر الدعوات التي تطالب تارة بالأخذ بإحدى اللهجات العامية في الدول العربية كالمصرية أو السورية أو العراقية وطورا باستبدال الحروف الأبجدية العربية بالحروف اللاتينية ومرة ثالثة بإسقاط بعض أبواب النحو أو على الأقل تعديل بعض قواعده.

وقد وجد من ساعد الاستعمار في حملته المسعورة ضد اللغة العربية الفصحى: لغة القرآن بداوته للأخذ بالآداب الحديثة أى ما يسمى بالأدب الشعبى ويقصد به كل ما هو مكتوب بغير الفصحى.

وخلاصة القول: أن هذه الدعوات كانت تستهدف تفريق المسلمين عامة، والعرب خاصة، عن طريق تفريقهم في الدين، وتفريقهم في اللغة وتفريقهم في الثقافة وقطع الطريق على كل توسع محتمل للغة العربية بين مسلمى العالم لمنع وحدتهم الكاملة. ولقد استطاع الاستعمار أن يحرز الحرف العربى في كتاباتها واستخدام الحرف اللاتينى عوضا عنه مقابل إقطاعها أجزاء من سورية والعراق، ولكنه لاقى فشلا ذريعا داخل الوطن العربى ولم يكلل بالنجاح أى مسعى من مساعيه ولا دعوة من دعواته وهذا مما يدل على عمق جذور اللغة العربية.

وترجع البدايات الأولى لنمو الدعوة للعامية إلى أوائل القرن الثامن عشر عندما أخذت دول أوربا تنشئ معاهد خاصة لتدريس اللهجات العربية العامية. وكان الغرض من إنشاء تلك المعاهد تخريج السفراء والقناصل وأعضاء الهيئات الدبلوماسية ولتخريج الجواسيس وغيرهم من الهيئات والأفراد الذين يوفدون إلى البلدان العربية المختلفة،وقد استعانت هيئات التدريس في تلك المعاهد ببعض المغتربين الموجودين آنذاك في دولها كما استعانوا بهم في التأليف. بيد أنه لم يكن لتلك المساعى أية خطورة على اللغة الفصحى إلى أن أخذ بعض المستشرقين ممن أوفدوا إلى الوطن العربى خصيصا لهذه الغاية ينشرون مؤلفاتهم ومقالاتهم باللغة العامية ويدعون للأخذ بها مستغلين مراكزهم ونفوذهم للوصول إلى غايتهم المنشودة، وكان من أبرز أوائل أولئك المستشرقين الدكتور ولهلم سبيتا.

وخلفه الدكتور كارل فولرس (١٨٥٧ - ١٩٠٩) وكلاهما من الجنسية الألمانية وعملا مديرين لدار الكتب المصرية. كان سبيتا أول من دعا إلى الأخذ باللغة العامية المصرية وإلى استبدال الحرف العربى بالحرف اللاتينى عندما وضع كتابه: " قواعد العربية العامية في مصر "، وذلك سنة ١٨٨٠. أما الدكتور فولرس الذي نهج نفس منهج سلفه فقد زاد عليه بأن استنبط حروفا لاتينية لكتابة العامية المصرية.

وتلاهما في هذا الاتجاه المستشرقان البريطانيان سلدن ولمور وياول اللذان عملا كقاضيين في المحاكم الأهلية في القاهرة عندما وضع الأول سنة ١٩٠١ كتابا أسماه " لغة القاهرة " ضمنه قواعد لهذه اللغة ودعا لاتخاذها لغة للعلم والأدب، كما اقترح فيه كتابتها بالحروف اللاتينية، وتصدرت الصحف لهذه الدعوة مشيرة إلى مكامن الخطر فيها والتى لا يقصد منها غير محاربة الإسلام في لغته وكانت ردة الفعل من القوة أن ألهبت خيال الشاعر حافظ إبراهيم ودفعته

إلى وضع تائيته العصماء التي مطلعها:

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى ::: وناديت قومى فاحتسبت حياتى

حاملا على تلك الدعوة الهدامة ومعرضا فيها على لسان اللغة العربية ميل أبنائها عنها إلى اللغات الأجنبية.

وتلا ولمور ويلاول في هذا المضمار المهندس البريطانى المشهور ويليام ويلكوكس الذي كان أشرس المستشرقين وأكثرهم نشاطا في الدعوة إلى إقصاء اللغة الفصحى واتخاذ العامية بديلا عنها، فويلكوكس لكثرة ما تجول في البلدان العربية كان يعلم أن الفصحى هى سر هذا الترابط القومى في الشعور بين العرب خاصة والمسلمين عامة ويعلم مدى تثبيتهم بها باعتبارها لغة القرآن، لذلك كان شديد الحرص في دعوته وللوصول إلى الغاية المنشودة ونسف ذلك الترابط القومى، فقد سعى للفصل بين الجماهير العربية ولغتها القومية. ففى محاضرة ألقاها سنة ١٨٩٣م في هذا الاتجاه أبدى تفاؤله بمستقبل الشعب المصرى وأعرب عن ثقته في قدرته على اكتساب ملكة الاختراع والإبداع إن اتبع مشورته ولبى دعوته للكتابة والتأليف بالعامية، وجدد دعوته إلى هجر اللغة العربية الفصحى سنة ١٩٢٦ عندما نشر رسالة تحت عنوان " سورية ومصر وشمال أفريقيا ومالطة تتكلم اللغة اليونانية وليس العربية " وكذلك ترجم قطعا من روايات شكسبير إلى ما أسماه باللغة المصرية ونشرها.

مسرحا للدعوة إلى العامية بدعوى ضرورة الاطلاع على أدب شكسبير ولاسيما الطلبة الذين يمثلون الجيل الصاعد، كما نقل إلى العامية أجزاء من الكتاب المقدس في عهديه القديم والجديد وألف أيضا كتابا أسماه " الأكل والإيمان " ضمنه إرشادات صحية وفوائد طبية.

ولم يكتف أولئك المستشرقون بتلك الكتب والمقالات والمحاضرات بل تعدوا ذلك إلى تدوين ما أسموه " بالآداب الشعبية والفولكلورية " باللغة العامية كالأزجال المصرية والأغانى الشعبية والأمثال والحكمة في ذلك إدخال العامية في نماذج من المطبوعات القابلة للتداول وأخذت الدعوة في الانتشار عندما أدخلت اللهجة السوقية إلى المسرح الهزلى ومنه انتقلت إلى المسرح الجاد.

وكذلك فقد حارب الاستعمار الفرنسى اللغة العربية الفصحى في شمال أفريقيا حربا لا تقل في شراستها عنفا عن حرب الاستعمار البريطانى لها في مصر ووضع مستشرقوه كتبا عدة في دراسة اللهجات البربرية ووضع القواعد

لها بقصد إحلالها محل اللغة العربية الفصحى. وكان على رأس الحركة الرامية إلى الكتابة باللغة العامية وبالحرف اللاتينى المستشرق لويس ماسينيون الذي حاول أن يثبت دعوته هذه في المغرب العربى وفى مصر والعراق (١) ولاسيما في سورية ولبنان.

وقد تمكنت تلك المساعى والجهود المبذولة أن توصل الدعوة للعامية إلى كبريات الصحف والمجلات المصرية وأخذ بعضها بالترويج لها. ففى سنة ١٨٨١ اقترحت مجلة المقتطف كتابة العلوم بلغة الحديث أى بالعامية ودعت رجال الفكر إلى بحث اقتراحها ومناقشته. وأكدت المقتطف موقفها المؤيد للعامية وأثارت الصراع بين الفصحى والعامية من جديد بتقريظها لكتاب ولمور الذي أصدره سنة ١٩٠١، ووقفت مجلة الأزهر إلى جانب المقتطف في الدعوة إلى العامية وبحرارة تفوق حرارة ويلكوكس الذي أغرى المصريين بمكافآت مالية ضخمة للتبارى في الكتابة باللغة العامية.

أما مجلة الهلال وإن لم تكن شديدة الحماس للعامية كزميلتها " المقتطف "، فقد نشرت مقالا لسلامة موسى يثنى فيه على ويلكوكس كمهندس وكأديب وكواحد من الإنجليز المخلصين لمصر وضمنه اقتراحه بإلغاء الإعراب وتسكين أواخر الكلمات مدعيا أن اللغة العربية لا تخدم الأدب المصرى ولا تنهض به وإنما تبعثر الوطنية المصرية وتجعلها شائعة في القومية العربية، وامتدح سلامة موسى رسالة ويلكوكس " سورية ومصر وشمال أفريقيا تتكلم اليونانية وليس العربية " وأشاد بها وكرر تأييده لدعوته في هجر الفصحى هجرا تاما. وكان من الذين شاركوا في هذه الحملة الظالمة على الفصحى " لويس عوض " الذي دعا هو الآخر إلى نبذ الشعر الموزون وإحلال العامية محل الفصحى.

وبلغت الدعوة إلى العامية ذروتها عندما تمكنت من التسلل إلى " مجمع اللغة العربية " وظهرت في مجلته الناطقة باسمه سلسلة من المقالات حول " اللهجة العربية العامية " ١٩٣٤ - ١٩٣٧ كتبها عضوه المدعو عيسى إسكندر المعلوف أظهر فيها عداءً صريحا للعربية الفصحى وكان قد سبق تلك المقالات بمقال نشره سنة ١٩٠٢ في مجلة الهلال دافع فيه عن اللهجات السوقية مؤكدا أن اختلاف لغة

(١) انظر كتابه عن اللهجات العامية البغدادية:
ترجمة إلى العربية الدكتور/ أكرم فاضل، ونشرته وزارة الإرشاد العراقية سنة ١٩٦٢ ضمن المكتبة الفولكلورية (٢).

الحديث عن لغة الكتابة هو من أهم أسباب التخلف الثقافى في الدول العربية. كما ادعى أن تعلق المسلمين باللغة الفصحى هو أمر لا مبرر له لأن هناك مسلمين كثيرين يتحدثون العربية ولا يكتبون بها فعلا.

وتبعه عضو آخر من أعضاء هذا المجمع هو عبد القادر المغربى الذي نشر مقالا في مجلة المجمع سنة ١٩٣٦ تحت عنوان " دراسة في اللهجة المصرية "، وتلاه عضو آخر هو عبد العزيز فهمى الذي تقدم باقتراح يرمى للأخذ بالحروف اللاتينية لكتابة العربية في الجلسة المنعقدة في ٣ / ٥ / ١٩٤٣، وتناول موضوع اللغة العامية عضو آخر هو محمد فريد أبو حديد في دراسة عن خصائص اللغة العامية اختلف لها ذرائع ومبررات لا طائل تحتها.

وتدل ردود الفعل القاسية التي كان يوجهها المناوئون لفكرة اتخاذ العامية والحروف اللاتينية للكتابة وما شابه ذلك على أن الرأى العام كان مع العربية الفصحى وإلى جانب تلك الردود وهكذا فقد آلت جميع تلك المساعى المبذولة للقضاء على اللغة العربية الفصحى إلى فشل ذريع.

هذا غيض من فيض عن مساعى الإنجليز للقضاء على اللغة العربية الفصحى ووأدها في مصر ليتم للاستعمار تنفيذ منهاجه الرامى إلى هدم التراث العربى من أساسه والتخلص من القومية العربية المرتبطة باللغة العربية الفصحى (لغة القرآن) وقد عرضناها جملة لإظهار شراسة الاستعمار الذي كان الإنجليز في مقدمة الساعين لتحقيق أهدافه في البلاد العربية وقد فشلت جميع تلك الجهود المبذولة في هذا المضمار وانحسر الاستعمار وبرزت القومية أكثر إشراقا وتألقا. وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على مدى تغلغل القومية العربية في الأرض العربية والنفس العربية وعلى قدرتها الفائقة على الصمود وتخطى كل هذه التيارات المصطنعة المشبوهة ولابد في أنها ستصمد في وجه الاستعمار الجديد وستخرج مكللة بأكاليل الظفر بإذن الله [(١)].

---

(١) راجع " الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر " تأليف محمد محمد حسين ١٩٥٤ - ١٩٥،

٢: ٣٣٤ - ٣٦١، " تاريخ الدعوة إلى العامية وأثرها في مصر " تأليف الدكتورة نفوسة زكريا سعيد، مجلة " المثقف العربي " وزارة الإعلام أيلول ١٩٧٤ صفحة ٧٨ - ٨٦، " التبشير= =والاستعمار في البلاد العربية " تأليف الدكتور مصطفى خالدي والدكتور عمر فروخ بيروت ١٩٧٣.

٦ ـ فكرة استعمار العريش وشبه جزيرة سيناء:

كانت فلسطين كما سبق ذكره الهدف الأساسي في مشروعات هرتزل لاستيطان اليهود وتأسيس دولة يهودية فيها [١]، إلا أن محاولاته المباشرة وغير المباشرة في هذا السبيل، أى محاولة إقناع السلطان عبد الحميد بالموافقة على هجرة اليهود إلى فلسطين، باءت جميعها بالفشل [٢]، ففكر هرتزل أن يتجه إلى الحكومة البريطانية التي كانت تظهر العطف على الحركة الصهيونية منذ نشوئها بغية حصوله على معاونتها في استعمار العريش وشبه جزيرة سيناء كبداية لتحقيق المشروع الأصلى الذي يرمى إلى استعمار فلسطين، فجعل من مدينة لندن

---

(١) حبيب جاماتي، مجلة المصور المصرية، عدد ١٠ أكتوبر ١٩٥٨.

(٢) كان اتصال هرتزل بالسلطان عبد الحميد عن طريق وسيط يدعى شيفاليه دي نيولنسكي C.de Newlinsky كانت له صلة بالباب العالي في استامبول ففاتح السلطان عبد الحميد في طلب منح اليهود بعض الأراضي في فلسطين بغية إنشاء مستوطنة مستقلة على نمط جمهورية فينيسيا، فكان الرد القطعي بأن قال: " انصحوا دكتور هرتزل بأن يحجم عن أية خطوة أخرى في هذا الموضوع لأني لا أستطيع أن أفرط بقدم مربعة من الأرض لأنها ليست ملكي وإنما هي ملك الشعب الذي قاتل من أجلها وهي معجونة بدمه.. ليحتفظ اليهود بملايينهم، فإذا قدّر لمملكتي أن تتبدد فعندئذ قد يحصلون على أرض فلسطين مجانًا، أما قطع أي شبر من أرضنا هو بمثابة قطع لحم من جسمنا ". هذا ما ذكره باربور نقلاً عن يوميات هرتزل المنشورة في تل أبيب سنة ١٩٣٤ انظر:

N. Barbour, "Nisi Dominus - A Survey of the Palestine Controversy", London, 1946, p. 45.

وهناك ما يدل على أن السلطان عبد الحميد وافق في عام ١٩٠٢ بعد مفاوضات طويلة مع هرتزل الذي عرض عليه مبلغ ١.٦٠٠.٠٠٠ جنيه إسترليني مقابل منح اليهود حق الاستيطان الاستعماري في العراق وسورية والأناضول واستثنى فلسطين مما دفع هرتزل إلى رفض العرض، (انظر: " تاريخ فلسطين الحديث "، للدكتور الكيالي نقلاً عن مذكرات هرتزل الكاملة، ج٤، ص ١٣٠٢).

ويجد القارئ في كتاب الجنرال التركي رفعت آتيلفان، " الخطر المحيط بالإسلام " بحثًا مفصلاً عن دور الصهيونية في خلع السلطان عبد الحميد والمؤامرات التى دبرت لإسقاطه بسبب عدم رضوخه لمطالب اليهود لمنحهم امتيازات في فلسطين، ففي ذلك يقول: " أن الشخص الوحيد في تاريخ الأتراك عمومًا الذي عرف حقيقة الصهيونية وقدر أضرارها على الأتراك والإسلام وكافحها مدة طويلة لتحديد شرورها هو السلطان عبد الحميد الثاني، إن هذا السلطان التركي العظيم كافح هذه المنظمات الخطرة مدة ثلاث وثلاثين عامًا بذكاء وعزم وإرادة مدهشة جدًا كالأبطال.

سنة ١٩٠٢ المقر المالى للحركة الصهيونية، وقد لاقى هرتزل تشجيعا من المسئولين البريطانيين فقابل المستر جوزف تشمبرلين وزير المستعمرات البريطانى وفاتحه في موضوع العريش وسيناء، ويروى هرتزل أنه في نهاية المقابلة سأل الوزير البريطانى هل يوافق على إنشاء مستعمرة يهودية في شبه جزيرة سيناء؟ فأجابه: نعم إذا وافق اللورد كرومر مندوب بريطانيا السامى في مصر. وفى اليوم التالى قابل هرتزل اللورد لانسدون وزير الخارجية فأعرب له الوزير عن تأييده لفكرة إقامة مستعمرات يهودية في منطقة العريش وشبه جزيرة سيناء وعن استعداده لكتابة رسالة إلى اللورد كرومر يوصيه باستقبال ممثل هرتزل وتسهيل مهمته الاستطلاعية.

وقد أسفرت زيارة ممثل هرتزل المدعو " جرينبرج " لمصر عن تأييد اللورد كرومر ورئيس وزراء مصر حينذاك للاقتراح الرامى إلى استعمار اليهود لشبه جزيرة سيناء، واقترح اللورد كرومر إيفاد بعثة دراسية من الخبراء لبحث هذا المشروع والطريقة التي يمكن بواسطتها رى الصحراء من مياه النيل، ولكن خبراء الرى عارضوا مشروع إرواء الصحراء من النيل مما اضطر هرتزل إلى التخلى عن المشروع كلية.

٧ ـ اقتراحات لاستعمار أوغندة, وموزمبيق وبعض الكونغو ثم إعادة التركيز على فلسطين.

وبعد فشل مشروع سيناء تقدم تشمبرلين باقتراح إلى هرتزل يرمى إلى استيطان اليهود أوغندة في أفريقيا الشرقية، وقد جرت اتصالات حول الحصول على موزمبيق من حكومة البرتغال، كما أنه ورد ذكر إمكانية استعمار أجزاء من الكونغو، ولكن هرتزل قال في تعليقه على ذلك بأن هذه المشاريع كلها لن تغير من المخططات الصهيونية الأصلية بشأن استعمار فلسطين وأضاف أن آمالنا في تحقيق هدفنا النهائى لم تكن في يوم من الأيام أقوى مما عليه الآن، وسيقوى نضالى من أجل أرض صهيون ويعظم ويشتد بفضل القوى الجديدة التي أصبحت في جانبنا.

وبموت هرتزل في الثالث من تموز ١٩٠٤ ماتت المشاريع الصهيونية المتعددة إذ اتخذ المؤتمر الصهيونى السابع قرارا بالتخلى عن جميع المشاريع الاستعمارية الصهيونية خارج فلسطين، وانصرفت بالقيادة الصهيونية الجديدة في السنوات التالية إلى مشاريعها الاستعمارية في فلسطين بزعامة الدكتور حاييم

وايزمن الذي وجد في بريطانيا خير حليف للصهيونية خاصة بعد أن تحقق النصر للحلفاء بعد الحرب العالمية الأولى وفرضت السيطرة البريطانية على فلسطين. وكان قد تمكن مكتب فلسطين الذي أنشأته المنظمة الصهيونية في يافا في عام ١٩٠٨ وبمساعدة الصندوق القومى اليهودى، من بناء منطقة سكنية جديدة سنة ١٩٠٩ أصبحت نواة مدينة تل أبيب. وقد نشطت المؤسسات الصهيونية المالية في بناء الوطن القومى اليهودى في فلسطين وذلك بشراء الأراضى وتدريب المستوطنين وإنشاء المدارس المهنية حتى تمكنت من توطين نحوا من أربعين ألف يهودى في فلسطين في فترة ما قبل نشوب الحرب العالمية الأولى، ثم توقفت أعمال المؤسسة الصهيونية مؤقتا عن العمل بسبب الحرب، ولم تكد الحرب تنتهى حتى بادر الصهيونيون إلى إعادة تنظيم الحركة الصهيونية على نطاق عالمى، فتم عقد المؤتمر الصهيونى في لندن سنة ١٩١٩ الذي أسفر عن قيام أول تنظيم للحركة الصهيونية داخل فلسطين الذي ما لبث أن تحول إلى الوكالة اليهودية بدوائرها السياسية والتنظيمية والمالية والدعائية وبمكتبها المتخصص في شئون الهجرة، واستكملت الحركة الصهيونية في هذا المؤتمر وفى المؤتمر الذي تلاه في لندن أيضا في عام ١٩٢٠م وفى مقدمتها الصندوق القومى الجديد للإسكان والاستعمار [1].

٨ ـ محاولات لتوطين اليهود في العراق:

وقد كتب الدكتور غروبا وزير ألمانيا المفوض في العراق في مذكراته يقول: " وقد حاولت بعض المنظمات اليهودية الإنجليزية والفرنسية مرات عديدة أن توطن في العراق مجموعات من الفلاحين اليهود من أوربا الشرقية لاتساع الأرض ووفرة الماء في العراق مع قلة السكان الذين يقومون بزراعتها، وفى سنة ١٩٠٧ أوفدت " جمعية التوطين اليهودية " التي مقرها لندن، والتى كانت تتعاون تعاونا وثيقا مع " جمعية الاتحاد الإسرائيلى " في باريس، اليهودى الفرنسى " نييغو " إلى بغداد لدراسة موضوع التوطين، وقد بقى " نييغو " هذا أربعة أشهر أو خمسة في بغداد.. واقترح توطين خمسين ألف يهودى، رسوى وبولونى، فأيد المشروع وزير مالية تركيا جاويد بك ولكن عبد الحميد رفضه... وكذلك تسلم الملك فيصل الأول خلال زيارة له في لندن في أيلول سنة ١٩٣٣ اقتراحا بتوطين مئة ألف يهودى في دجلة السفلى، في المنطقة بين العزيزية وكوت الأمارة،

(١) خيرى حماد، " الصهيونية " ص ٤٣ - ٤٩.

وعرضت على الحكومة العراقية في حالة قبولها بعض الفوائد المالية، وخاصة تسهيلات في الحصول على قرض كبير. وكان المفوض أن يكون قسم من هؤلاء المائة ألف يهودى من مهاجرين ألمانيا، فأرسل الملك فيصل هذا الاقتراح إلى الحكومة العراقية للنظر فيه [١].

٩ ـ الصهيونية تنشط بعد الحرب العالمية الأولى وتعمل على تحقيق أهدافها بـأسناد من بريطانيا:

ولقد أصبح الباب مفتوحا على مصراعيه أمام الصهيونية بعد احتلال الحلفاء لفلسطين في أواخر الحرب العالمية الأولى وراحت تعمل بكل نشاط في سبيل تحقيق مخططها الرامى إلى إقامة الدولة اليهودية في فلسطين. وقد غدا وعد بلفور بعد قبوله في مؤتمر سان يرمو في عام ١٩٢٠[٢] دستور السياسة البريطانية في فلسطين يهتدى به في تنظيم مخططات بريطانيا الاستعمارية خاصة بعد أن أقر مجلس عصبة الأمم في ٢٤ تموز من عام ١٩٢٢ انتداب بريطانيا عن فلسطين، فسارت الصهيونية تركز جهودها على تنظيم الهجرة اليهودية إلى فلسطين وإقامة المستعمرات اليهودية فيها لوضع أسس الوطن القومى حتى ارتفع عدد اليهود في فلسطين من ٤٠ ألف قبل نشوب الحرب العالمية الأولى إلى ٥٥ ألف في عام ١٩١٩ وإلى ١٠٨ ألف في عام ١٩٢٥، وإلى ٣٠٠ ألف في عام ١٩٣٥، وإلى ٦٥٠ ألف في عام ١٩٤٨ [٣].

وبعد أن وثق الاستعمار البريطانى بأن الوضع أصبح مهيئا لإقامة الدولة اليهودية قرر إحالة القضية إلى الأمم المتحدة التي أقرت مشروع التقسيم وقيام إسرائيل في الرابع عشر من مارس عام ١٩٤٨.

---

(١) " العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب "، ترجمة نجدة فتحى صفوة، ١٩٦٩، ص ١٢٣ ـ ١٢٤.

(٢) إن وعد بلفور هو عبارة عن خطاب موجه من وزارة الخارجية البريطانية سنة ١٩١٧م إلى " لورد روتشيلد " بوصفه ممثل اللجنة السياسية التابعة للمنظمة الصهيونية، وفى هذا الخطاب يعلن وزير الخارجية البريطانية باسم حكومته أنها تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومى للشعب اليهودى في فلسطين، وتريد أن تبذل كل جهودها لتحقيق هذا الهدف، على أن يكون من المفهوم بوضوح أنها لن تفعل أى شئ قد يضر بالحقوق الدينية أو المدنية الخاصة بالجماعات غير اليهودية في فلسطين.

(٣) خيرى حماد، " الصهيونية "، ص ٧٦.

وكان وايزمن قد تمكن أثناء الحرب من إقناع الحكومة البريطانية بتكوين فرقة يهودية تقاتل إلى جانب الحلفاء وكانت تلك الفرقة اليهودية هى نواة جيش إسرائيل الذي حارب خلال الفترة التي تلت إعلان قيام دولة إسرائيل، وكان لهذه الفرقة علمها المستقل وقد أصبح ذلك العلم علم دولة إسرائيل.

وهكذا نفذت الخطة الجهنمية المنطوية على طرد مليون عربى من وطنه وإحلال شرذمة من شذاذ الآفاق من مختلف أنحاء العالم محلها بالاستناد إلى حرب الإنجليز وادعاءات وهمية زائفة بحق أنسال بنى إسرائيل في فلسطين.

١٠ ـ الصهيونية تنتقل في نشاطها إلى أمريكا:

وكان للقرار الذي اتخذته المؤسسة الصهيونية العالمية خلال الحرب العالمية الأولى الخاص بانتقال نشاطها إلى أمريكا أثره في تطور القضية الفلسطينية على الصعيد الدولي ولكن بالرغم من أن الحركة الصهيونية كانت تتجه بسرعة إلى التركيز على الولايات المتحدة الأمريكية بقيت بريطانيا مركزا رئيسيا للنشاط الصهيونى طالما أن بريطانيا مازالت هى الدولة المنتدبة في فلسطين، وعلى هذا ظل قادة الحركة الصهيونية يستغلون النفوذ الصهيونى في أمريكا للضغط على مركز السلطة في بريطانيا لتحقيق مصالح الصهيونية.

وفى خلال الحرب العالمية الثانية أدركت الصهيونية أن نجم انجلترا أخذ بالأفول وأنها لابد من أن تنقل مركز نشاطها إلى أمريكا، بعد أن أصبحت لا تأمن جانب بريطانيا التي كانت سياستها ترمى إلى تحديد كيان إسرائيل وربطه بعجلة الإمبراطورية البريطانية وتسخيره لمصالحها الاستعمارية، فاتصلت باتحادات ونقابات العمال وبالمجالس النيابية في الولايات الأمريكية المختلفة وأعضاء الحزبين الجمهورى والديمقراطى، ولم يأت عام ١٩٤٤ حتى كانت برلمانات ٣٣ ولاية قد أصدرت توصيات تؤيد فيها المطالب الصهيونية، ثم تحولت نشاطات الأجهزة الصهيونية إلى كسب تأييد الكونجرس الأمريكى للصهيونية، وتمكنوا خلال أعوام قليلة من تحقيق هذا التأييد مستغلين في دعاياتهم جهل الرأى العام الأمريكى للقضية الفلسطينية. وهكذا أخذت الصهيونية تلعب دورا مهما في الانتخابات الأمريكية وتستخدم نفوذها للحصول على أكبر المكاسب في مصلحة الصهيونية وتحقيق أهدافها.

١١ ـ تسامح العرب والدعاية الصهيونية في البلاد العربية:

وقد وجد الصهاينة ظروفا ملائمة في تسامح العرب تجاه الأديان السماوية لنشر دعايتهم هذه داخل البلاد العربية التي كان معظمها خاضعًا للنفوذ البريطاني، فكانت مصر المركز الرئيس للحركة الصهيونية والملاذ الحر لطبع منشوراتها فيها. وأغرب ما قرأت من هذه المنشورات كتاب ألفه باللغة العربية كاتب يهودي صهيوني يدعى إيلي ليفي أبو عسل عنوانه " يقظة العالم اليهودي " طبع بالقاهرة سنة ١٩٣٤م. نعم إنه لغريب وغريب جدا ما قرأته في هذا الكتاب، والأعزب منه أنه سمح بنشره في بلد عربي. إن مؤلف هذا الكتاب يعتبر هرتزل صنوا لموسى وأنه ظهر لإتمام مهمة موسى في تحقيق استعمار اليهود لفلسطين، وأن الحركة الصهيونية ليست إلا تكملة لرسالة موسى إلى شعبه وهكذا يجعل هرتزل في مصاف الأنبياء الذي يجب تقديسهم.

فهو يقول بالحرف الواحد: " قلنا إن موسى كما تقدم الألماع كان أول من شيد صرح الصهيونية ووطد دعائمها، ونشر مبادئها السياسية وقد أثبت لنا الواقع أن الصهيونية ليست في عهدنا هذا سوى حلقة من سلسلة متصلة حلقاتها بعضها ببعض اتصالا مستمسكا وثيقا ومتواثقة أجزاؤها تماسكا محكما شديدا. فلو أجلنا نظرنا في مشروع موسى لاستشففنا ما انطوى عليه إدراكه، والمناهج التي انتهجها في سبيل تحقيقه، ولوجدناه يكاد يكون مطابقا في معناه ومبناه لتعليم هرتزل ونظرياته التي جل مرماها إظهار الوصمة التي لا مندوحة من أن يوصم بها اليهود، والعار الذي يرتدونه إذا ظلوا واجمين واجفين.. كل هذه الزواجر تميط اللثام وتظهر لنا أن الخطط التي رسمها هرتزل كانت على وتيرة واحدة مع التي وضعها موسى، وكانت مشكاة يهتدون بهديها فأزالت عن أبصارهم غشاوة الجهل والغباوة التي كانت مخيمة عليهم، وأشباح المحن والرزايا التي كانت تنتابهم، فموسى وهرتزل صنوان لا يختلفان لا في المبدأ الذي كانا ينشدانه ولا في الهدف الذي كانا يرميان إليه.. على أن الفكرة الأساسية التي كانت تجيش في صدر موسى هي أن مستقبل القومية اليهودية لا يبسم له محيا السعادة ولا يرجى له النجاح إلا بتملك الشعب اليهودي الأرض في فلسطين تملكا مستديما خالدا. إذ إن الإقامة خارج الوطن ليست في الحقيقة إلا مظهرا من مظاهر التفرقة الهدامة الأليمة مع ما تجره وراءها من محن وخطوب وتبديد للشمل.. إلخ " [١].

(١) أيلي ليفي أبو عسل، " يقظة العالم اليهودي "، ص٢٢ - ٢٤ و ٣٤.

وفى هذا الكتاب الكثير من المديح لزعماء الصهيونية والثناء على مؤازراتهم من اليهود وغير اليهود، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على أن العرب كانوا غافلين عما يجرى في ديارهم أو كانوا قد تمادوا في التساهل الذي اشتهر العرب به مع اليهود عبر التاريخ حتى سمحوا بنشر مثل هذه المطبوعات المتحدية لشعور العرب في عقر دارهم.

ويتجلى التسامح والتساهل اللذان كانت تمارسها البلاد العربية تجاه اليهود أبين التجلى في نوع الحياة التي كان يعيشها اليهود في مصر خلال النصف الأول من القرن العشرين، فقد كانوا يتمتعون بحياة هادئة مستقرة وبحرية مطلقة في ممارسة شعائرهم الدينية والثقافية والاجتماعية ومحافلهم ومعاهدهم الثقافية والتبشيرية، فقد انتشرت مؤسساتهم الدينية والثقافية والاجتماعية والمالية بطول البلاد وعرضها وأطلقت أيديهم في الصحافة المصرية فضلا عن الصحافة اليهودية، فكان لهم أساتذة في المعاهد المصرية وهم يلاقون من زملائهم الأساتذة المصريين أحسن معاملة. وكان لهم دور كبير في مجالات المال والاقتصاد فأثرى عدد كبير منهم وأصبحوا من كبار ملاكى الأراضى والعقار وأصحاب الشركات الكبيرة، كما كان لهم مقاعد في مجلسى الشيوخ والنواب، وفى عام ١٩٢٤ عين وزير يهودى للمالية في الحكومة المصرية هو يوسف قطاوى باشا.

ولم تكن حياة اليهود في العراق بأقل استمتاعًا واستقرارًا فقد تغلغلوا في جميع نواحى الحياة العراقية السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولما تشكلت حكومة العراق المؤقتة في سنة ١٩٢٠ كان أول وزير للمالية في هذه الحكومة وزير يهودى هو ساسون حسقيل وقد حدد تعيينه في كل الوزارات التي تعاقبت على الحكم بعد تبوء الملك فيصل عرش العراق، وكانت لليهود مقاعد في مجلس النواب والأعيان.

وقد حظى اليهودى بنفس المكانة والمعاملة في البلاد العربية الأخرى فكان منهم الوزراء مثل الدكتور بنزاكين في المغرب وأندريه بسيس وأندريه باروخ في تونس.

وقد روى المستشرق الفرنسى جاك بيرك أنه لما حاولت حكومة فيشى الفرنسية الخاضعة لألمانيا الهتلرية أن تضطهد يهود المغرب وقف محمد الخامس ملك المغرب يدافع عنهم ويحذر من أن يمسوا بسوء مؤكدا أنهم مواطنون عرب مغربيون.

هذه نماذج عابرة عن تسامح العرب والمسلمين مع اليهود وحمايتهم لهم، وما كان على اليهود وخاصة يهود البلاد العربية أن يعيروا أذانا صاغية للدعايات الصهيونية التي ترمي إلى تحقيق الأغراض الاستعمارية على حساب أهل فلسطين وعلى حساب مصلحة اليهود في العالم في وقت واحد. وإني لم أزل أحتفظ بمقال كنت قد نشرته في جريدة الأحرار البيروتية قبل أربعين سنة بعنوان " فلسطين بين العرب والصهاينة " (١) وقد شرحت في هذا المقال أطماع انجلترا السياسية في فلسطين وأسباب دعمها للصهيونية، وقد ذكرت آنذاك بأن مصر سائرة بسرعة نحو نيل استقلالها ولابد من قاعدة تكون تحت سيطرة انجلترا لتحل محلها على ساحل البحر المتوسط، وهل من موقع أكثر استراتيجية ومناعة من سواحل فلسطين؟ وإلى الإسرائيليين في البلاد العربية وجهت كلمتى في الختام حرفيا بما يلى:

" إليكم أيها الناطقون بالضاد من إسرائيلى الشرق العربى أوجه الآن كلامى (لست بحاجة إلى القول بأن الفكرة الصهيونية المشؤومة عدوة لدودة للنهضة العربية ولأمانى الدول العربية، وما كان وربى لأى شخص ولد وترعرع، عاش وسعد تحت سماء العالم العربى الصافى الجميل مهما كان قد ورثه عن دين آبائه، أن يجازى البقعة التي تضم رفات آبائه وأجداده بتطوعه إلى جنب أعدائها!، وإننا لننظر بعين الأمل إلى ذلك اليوم الذي يقف فيه إسرائيلو الشرق العربى وقفة واحدة محتجين أمام خطوة انجلترا طالبين تمزيق منشور بلفور والرجوع إلى صراط العدل والحق فيرجع السلام والهدوء إلى ربوع البلاد العربية.

" فلسطين لأهلها تعود ولهم ستكون!! فدخول الغريب إليها ليتخذها تحت تهديد الحراب وطنا قوميا له يكون كمن يحل على رب الدار يريد اغتصاب بيته بالقوة، وليت شعرى هل يسلم داره دون الذود والدفاع عنها؟ هذه حقيقة راهنة يجب أن يضعها ذوو العقول نصب أعينهم مهما كانت رغائبهم!!..

" إذا حق للصهاينة أن يطالبون في فلسطين كوطن قومى ليهود العالم فالعرب هم أحق بالأندلس وما يتبعها من البلدان التي كانت تحت سلطان العرب قبل أمد غير طويل

" كل صهيونى يقيم مسكنا على أرض فلسطين عليه أن يعتبر هذا المسكن مسكنا مؤقتا لا وطنا دائما، وما بنو صهيون سوى مرقاة بريطانيا يصعدها

(١) جريدة الأحرار، العدد الصادر بتاريخ ٢٨ آب، ص ٣.

الإنجليز لنيل مآربهم في الشرق العربى

وكلمتى الأخيرة: يا إسرائيليى الشرق العربى اهتفوا بصوت واحد: " إننا إسرائيليو المولد ولكننا عرب قبل كل شئ ". قاوموا الصهيونية بكل ما وهبتهم من نفوذ، فهى عدوة لدودة لدين الحق والعدل، وواجب على كل شخص حر عادل، موسويا كان أو مسيحيا أو مسلما أن يتطوع لمكافحتها، وأن الله نصير محبى الحق والعدل ". انتهى " زحلة (لبنان) في ٢٠ آب سنة ١٩٣٠ ".

وكنت قد نشرت مقالا مطولا بنفس هذا المعنى في مجلة الرابطة العربية لأمين سعيد وذلك عندما كنت في مصر سنة ١٩٣٦ (١).

ولكن مثل هذه النداءات لم تلق آذانا صاغية في وجه تيار الصهيونية وخططها الجهنمية، ففى ذلك يقول ليلنتال: " لقد نجم عن زخم الصهيونية منذ سنة ١٩٤٨ أن دمرت علاقات التعايش السلمى التي كان اليهود يتمتعون بها بين إخوانهم العرب منذ ألف سنة، إذ تمكنت الوكالات اليهودية عن طريق إثارة الخوف من الاضطهاد وغيرها من أسلحة الدعاية، أن تسحب ٦٥٠ ألف يهودى من العراق واليمن وسورية ومصر وتونس والجزائر ومراكش. وقد أغرى هؤلاء المنفيون الشرقيون بالمجئ إلى إسرائيل ليعمروا الأراضى التي تركها العرب المنفيون خالية كما قال موشه مينوهن، إذن لا تكون هجرتهم قد تمت في الدرجة الأولى بقصد إنقاذهم، وإنما لمواجهة متطلبات إسرائيل من مال وأيد عاملة وقوى عسكرية (٢).

ويؤكد الخبراء على مجرى الأمور أن تهجيز اليهود من البلاد العربية تم تحت وطأة حملة اضطهاد مصطنعة ومتعمدة بالتواطؤ بين بعض الحكام العرب وزعماء الصهيونية، ففى ذلك يقول أبو مازن عضو اللجنة المركزية لحركة فتح في مقال نشره في مجلة " بيروت المساء " العدد ١٠١ كانون الثانى ١٩٧٦، ص ٤٩ - ٥١: " ومن المعروف أن بلادنا العربية لم تشهد في أية فترة من الفترات نشاطا صهيونيا حقيقيا أى ما يسمى بالدافع العقائدى للهجرة لم تكون متوفرا لدى العرب اليهود. ويتبين أن قسما كبيرا من المهاجرين اليهود من البلدان العربية قد جاء إلى فلسطين المحتلة نتيجة اتفاق تآمرى بين بعض الحكام العرب وقيادة

(١) انظر: الدكتور أحمد نسيم سوسه، " القضية الصهيونية والروح العربية "، في العددين ٢٥، ٢٧ من مجلة الرابطة العربية ١٩٣٦.
(٢) ليلنتال، " إسرائيل - ذلك الدولار الزائف "، ص ٩٦.

الحركة الصهيونية يقضى بشحن اليهود العرب بكاملهم من أوطانهم إلى فلسطين المحتلة بغض النظر عن رغبة هؤلاء اليهود أو عدم رغبتهم وبغض النظر عن رغبتهم بالهجرة إلى فلسطين، في حالة رغبتهم في الهجرة، أو إلى بلدان أخرى. وينطبق هذا بصورة خاصة على اليهود العرب في اليمن والعراق.

إن الفترة التي سبقت قيام إسرائيل لم تشهد هجرة يهودية تذكر من البلاد العربية بالرغم من قرب فلسطين من هؤلاء، وكان باستطاعة يهود العراق ومصر وسورية ولبنان أن يدخلوا إلى فلسطين بسهولة ويسر لو أرادوا ذلك، ولكنهم لم يفكروا بالهجرة، فكانت حملات التهجير الجماعية والتى تمت بالتواطؤ والتآمر بين بعض الحكام العرب وزعماء الصهيونية، فنجد مثلا أن ١٢٠ ألف من يهود العراق وخمسين ألف من يهود اليمن قد قدموا إلى فلسطين خلال السنوات ١٩٤٩ - ١٩٥١ وبعمليات نقل جماعية، وقد أعطى اسم أسطورى لعملية النقل الجماعية من العراق سنة ١٩٥٠ هو (عملية على بابا).

وتشير المراجع الصهيونية إلى أن الهجرة من اليمن تمت تحت ضغط التهديد بالطرد من اليمن، أما في العراق فالأمر أكثر وضوحا والمأساة أكثر عمقا وحزنا لما لاقاه اليهود العرب في العراق من صنوف الآلام والتعذيب والإرهاب والضغط لاقتلاعهم من جذورهم ونقلهم إلى المسلح الصهيونى مشلولى الإرادة معدومى الرغبة، لا حول لهم ولا قوة.. لم تكن هجرتهم الجماعية من العراق أمرا طبيعيا أو منطقيا، فليس صحيحا أنهم هاجروا لأنهم كانوا صهاينة أو لأنهم رأوا في إسرائيل تجسيدا لأمانيهم وهذه مسألة تجمع على الإقرار بها كافة المصادر الصهيونية الرسمية وغير الرسمية ولا حاجة لإثبات صحتها باستعراض المراجع والشواهد... فقد نشط المبعوثون الصهيونيون ونجحوا في إدخال كميات كبيرة من السلاح إلى بغداد بمساعدة الجيش البريطانى، وتوجت السلطات العراقية الرجعية آنذاك إجراءاتها القمعية والتآمرية مع الصهيونية بإصدار قانون إسقاط الجنسية عن اليهود العراقيين بعد التمهيد له بحملة واسعة ضد اليهود، ومع ذلك كانت نسبة الاستجابة له ضئيلة جدا، فقامت منظمة (هشواره) الصهيونية بإلقاء القنابل على اليهود بدءا بيوم ٨ / ٤ / ١٩٥٠ وانتهاء بيوم ٥ / ٦ / ١٩٥١.

أما بالنسبة للقانون (المؤامرة) فقد تم الاتفاق على إصداره في اجتماع سرى عقد في فيينا سنة ١٩٤٩، وحضره نورى السعيد وبن غوريون ومبعوث بريطانى، وبعد عودة نورى السعيد إلى العراق قدم استقالة حكومته ليفسح المجال

لمجئ حكومة انتقالية، وكلف السويدى بتأليف الوزارة الجديدة في ٥ / ٢ / ١٩٥٠[١]. وتقدمت الحكومة فورا بلائحة قانون إسقاط الجيش وطلبت بإقراره على الفور فوافق المجلس النيابى عليه وكذلك مجلس الأعيان.

وينتهى أبو مازن إلى القول بأن " هذه هى باختصار قصة اليهود في العراق، ومما لا شك فيه أنها القصة النموذج لباقى يهود البلاد العربية، ففى كل بلد لهم قصة شبيهة بقصتهم في العراق وإن اختلفت التفاصيل إلا أن الهدف واحد والمحرك الأساسى وراء هذه القصص واحد أيضا ".

١٢ ـ هل يكون اليهود قومية شعب واحد؟

وهنا علينا قبل كل شئ تعريف القومية بمفهومها الحديث ثم تعريف معنى الدين أو العقيدة المذهبية: إن المقومات الأساسية للقومية كما هو متفق عليه لدى كثير من الباحثين هى لغة واحدة، ثقافة واحدة، وطن واحد. أما الدين فهو عقيدة يعتنقها الفرد أو المجتمع دون أن يشترط فيه التكلم بلغة واحدة أو الانتماء إلى عرق واحد والقيام في وطن واحد.

يتضح في ضوء ذلك أنه لا توجد قومية لا في اليهودية ولا في المسيحية من حيث الأساس رغم كون الأولى قد أصبحت تعتبر مغلقة منذ قرون طويلة، إن القومية الواحدة قد تضم عدة أديان وهى قائمة بذاتها، وقد تلتقى مع هذه الأديان في وطن واحد ولكن ليس من الضرورى أن يكون الدين ارتباط بالقومية لأن الدين شئ والقومية شئ آخر في تفسير مفهوم القومية الحديثة، وقد يلتقيان في ظروف خاصة كما كان الحال مثلا إبان ظهور الإسلام ولكنهما يتباعدان بل قد يتضاربان كضدين متنافرين في ظروف أخرى، فهل يصح مثلا أن نسم الديانة المسيحية بالقومية؟ هذا من ناحية الدين والقومية وعلاقتهما ببعضهما، أما كيفية انتشار اليهودية والمسيحية فكلتاهما ظهرت في ظروف متشابهة وسط عالم يدين بالوثنية ويمارس عبادة الأصنام " والاثنتان انتشرتا في العالم عن طريق التبشير وبخاصة عن طريق رؤساء مجتمعات تلك العصور فاعتنقها شعوب من مختلف العناصر والأجناس، وخير مثال نورده هنا هو اعتناق قسطنطين المسيحية في أوائل القرن الرابع الميلادى واعتناق أبى كرب ملك اليمن اليهودية في القرن

(١) لم يكن نوري السعيد في الحكم عندما كلف توفيق السويدي بتأليف الوزارة بل كانت وزارة على جودة الأيوبي الثانية قائمة آنذاك وهذه لم تلبث في الحكم إلا أقل من شهرين فاستقالت في أول شباط سنة ١٩٥٠.

الخامس الميلادى، فأجبر الأول شعبه على اعتناق المسيحية والثانى أجبر شعبه على اعتناق اليهودية، وقد تم ذلك في زمن متقارب جدا بحيث قد يصح اعتبار وقوع الحدثين في زمن واحد. وبنفس هذه الطريقة انتشرت اليهودية في الخزر وفى شرق أوربا كما انتشرت المسيحية في أوربا كلها.

ففى تعليق على التبشير القديم باليهودية يقول المؤرخ باركس: " إنه لمن الخطأ الاعتقاد بأن اليهود لم يقصدوا التبشير باليهودية أو لم يقبلوا التمذهب بالدين اليهودى " (١).

وفى ذلك أيضا يقول كاوتسكى: " ففى بداية العصر المسيحى تعاظمت أهمية الارتداد نحو اليهودية وكان من المغرى بالنسبة للكثيرين أن يخضعوا إلى المجموعة اليهودية التجارية، المزدهرة الواسعة، ومنذ عام ١٣٩ قبل الميلاد طرد اليهود من روما لتهويدهم بعض الرومان، وفى أنطاكية كان المتهودون يشكلون القسم الأكبر من الطائفة اليهودية " (٢).

والصهيونية تحاول اليوم على الرغم من علمها بأن اليهود المنتشرين في العالم لا يكونون شعبا واحدا أو عنصرا واحدا وأنهم ينتمون إلى مختلف القوميات، أن تخلق من اليهودية قومية، وهى تسعى أن تجعل من نغمة اضطهاد اليهود قومية يهودية إسرائيلية بربط يهود العالم بعجلة المصير الواحد والولاء الواحد لإسرائيل. لذلك نراها تبذل أقصى الجهود وتسعى بشتى وسائل الإغراء وتجسيم خطر اللاسامية لحمل أكبر عدد ممكن من اليهود على الهجرة إلى إسرائيل بعد أن شعر الزعماء بخطر ذوبان اليهود في البلاد التي يعيشون فيها وخاصة في الولايات المتحدة وكندا والأرجنتين.

ومن الأساليب الإجرامية التي ارتكبتها الصهيونية أنها تواطأت حتى على اليهود أنفسهم، فاتفقت من طرف خفى مع بعض أولياء الأمور في بعض البلاد العربية التي كانت تخضع للنفوذ البريطانى لشن حملة إرهاب مصطنعة ضد اليهود فيها وذلك لكى يضطروا تحت ضغط هذا الاضطهاد المدبر على الهجرة إلى إسرائيل (٣)، وقد كان هذا التواطؤ أكبر جريمة ارتكبت لتشويه سمعة العرب

---

(1) J. Parles, "A History of the Jewish People", P. 7.

(٢) ليون، " إبراهام: المفهوم المادى للمسألة اليهودية " ترجمة عادل نويهض، ص ٣١.

(٣) من جملة الجرائم التي ارتكبتها المنظمات الصهيونية في سبيل حث اليهود على الهجرة إلى إسرائيل ما قامت به إحدى هذه المنظمات في العراق سنة ١٩٥١ بإلقاء قنابل يدوية

من جهة وخدمة المصالح الصهيونية من جهة أخرى. والصهيونية لا تمانع بأن تضحى بعدد من يهود العالم عن طريق اتباع مثل هذه الأساليب لتحقيق أهدافها السياسية، كما ثبت ذلك في موقعها تجاه اضطهاد اليهود في العهد النازى إذ كانت على علم به وكانت تفاوض النازيين في نفس الوقت بما يخدم أهدافها السياسية الاستعمارية في فلسطين، وقد أنقذت من رغبت في إنقاذهم من الصهاينة من قبضة النازيين [1]، ولكن كل هذه المحاولات لا تجدى نفعا ولا تغير من حقيقة الوضع لأن اليهود منذ ظهورهم على مسرح الأحداث حتى يومنا هذا لم يكونوا شعبا واحدا، فكيانهم قائم على أساس الدين والدين وحده، ألم يدعو بأن الله ميزهم عن باقى الشعوب (بدينهم) واعتبرهم الشعب المختار؟... والدولة التي تقوم على

على أماكن اليهود لإرغامهم على الهجرة إلى إسرائيل فقتل من جزاء ذلك يهوديان وجرح عدد آخر من اليهود فهاجر بسبب ذلك ١١٥ ألف من يهود العراق إلى إسرائيل، وقد اكتشفت الشرطة العراقية هذه المنظمة الصهيونية السرية، فحكم بالإعدام على اثنين من أعضائها كما صدرت أحكام تتراوح بين خمس سنوات وثماني سنوات على آخرين، وعلى أثر ذلك نشر مدير شرطة بغداد كتابًا بعنوان " سموم الأفعى الصهيونية " تضمن وقائع المحاكمة والأحكام الصادرة، وتصاوير المجرمين والأسلحة التي وجدت معهم ، وهذا الكتاب مفقود في العراق الآن ولابد أن تكون الجهات التي يهمها الأمر قد جمعته واشترت جميع نسخه " العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب "، ترجمة الأستاذ نجدة صفوة، ص ١٢٥ - ١٢٦، وقد سميت عملية خروج اليهود من العراق باسم عملية علي بابا (ليلنتال، " إسرائيل "، ص ٣١٥.

(١) لقد عبر عن ذلك الدكتور محمود السمرا في تعليقه على كتاب " إسرائيل ويهود العالم " أحسن تعبير مستشهدًا بكتابات الصهاينة أنفسهم، فقال:

" لقد عملت الأجهزة الصهيونية المختلفة فعلاً على خلق هذا الجو من الإرهاب وعدم الاستقرار في البلاد التي يريدون من يهودها أن يهاجروا، كتدبير حوادث انفجار في أماكن العبادة اليهودية، وقد عبر أحد محرري جريدة (دافار) الإسرائيلية عن هذا الاتجاه بوضوح، وذلك عندما قال: " أنا لا أشعر بالخجل وأنا أعترف هنا أنه لو كانت لدى السلطة لأخذت عشرات الشباب الأذكياء، المخلصين لمثلنا العليا، ثم أرسلهم متنكرين إلى البلاد التي استكان فيها اليهود إلى رغد العيش، ، وذلك من أجل نشر شعارات معادية للسامية، وما شابه هذا من الشعارات.. وأنا على يقين بأن هذه ستؤدي إلى نتائج، بشأن الهجرة إلى إسرائيل، أفضل بكثير من النتائج التي حققتها حتى الآن البعثات التي نرسلها لنصب وعظها في آذان صماء ". (العربي، العدد ١٤٣، تشرين الأول ١٩٧٠، ص ١٥١)، انظر التفاصيل عن أعمال الصهوينية في هذا المجال في كتاب " إيفان دونيف "، تعريب فرات الجواهري، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٤.

أساس الدين وحده ولا تسندها قومية متماسكة لا تدوم فهى عرضة للزوال.

إن زعماء الصهيونية يحاولون اليوم صهر يهود العالم من مختلف القوميات والأجناس في (قومية) يهودية واحدة قائمة على الدين واللغة، لذلك فقد نهج الصهاينة نهجا خاصا بإنشاء معسكرات تثقيفية خاصة يلقنون فيها اليهود قبل انتقالهم إلى إسرائيل اللغة العبرية والمبادئ الصهيونية ويختارون العناصر اليهودية النقية من أوربا وذلك بعد أن واجهوا معارضة من بعض الفئات اليهودية وخاصة الشرقيين منها. هذا مع العلم أن زعماء الصهيونية يقومون اليوم بنفس المحاولة التي قام بها زعماء اليهود بعد أسر بابل قبل حوالى ٢٥٠٠ عام ولكنهم فشلوا في تحقيق الهدف الذي كانوا يتوخونه. ولا شك في أنهم سيفشلون هذه المرة حتما عاجلا أم آجلا لكونها فكرة مبنية على التعصب والتعالى على الشعوب، مما تلفظه الحضارة الإنسانية.

وصفوة القول: إن اليهود الذين يقدر عددهم بحوالى اثنى عشر مليون نسمة لا يتعدون كونهم طائفة دينية اجتماعية اقتصادية تضم شتى الأجناس واللغات والدماء يسكنون في مواطن متباعدة، فهم لا يملكون مقومات القومية التي يستند الكيان الدولى عليها، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك [١].

وتدل الإحصاءات على أن اليهود الذين في إسرائيل اليوم جاءوا من اثنين ومائة بلد معظمهم لا يحسون برابطة تربط بعضهم ببعض، ولكن إسرائيل تحاول أن تصهر الجميع فتجعل لهم لغة واحدة هى اللغة العبرية، وذلك بتدريس النشء الجديد اللغة العبرية وتاريخ اليهود بالشكل الذي تهواه بغض النظر عن الحقائق التاريخية. وفى دراسة أجريت على أساس استبيانات وزعت على عدد من المهاجرين الجدد إلى فلسطين أكثرهم من الولايات المتحدة الأمريكية ورد في رد أحد هؤلاء المهاجرين ما نصه: " كنت قبل أن أصل إلى إسرائيل أعتقد أن اليهود يكونون شعبا واحدا، ولكن هذا الاعتقاد تبخر من ذهنى بعد وصولى إليها، حيث وجدت فيها خليطا من عدة أمم تنتسب إلى أجناس مختلفة [٢].

١٣ ـ اليهودية والصهيونية:

يتضح مما تقدم أن اليهودية عقيدة دينية شاملة على عكس الصهيونية التي تمثل حرية سياسية عنصرية متطرفة تستغل العاطفة الدينية في سبيل صهر جميع

(١) انظر ما تقدم عن " اليهود في مختلف أنحاء العالم "، في الفصل السابع.
(٢) العربى، العدد ١٣٦ (آذار ١٩٧٠)، ص ١٣١.

يهود العالم من مختلف القوميات والأجناس في وطن قومى واحد بالضغط والعنف والتهديد وإسكانهم في فلسطين بعد طرد سكانها بالقوة. هذه حقيقة أدركها كثير من المثقفين والواعين من اليهود في مختلف البلاد فأدركوا حقيقة الصهيونية وما تحمله معها من مصائب وكوارث ليهود العالم، منها إحياء اللاسامية وازدواجية الولاء كونها وجدت لخدمة أغراض استعمارية بحتة وقد ربطت مصيرها بعجلة الاستعمار الأنكلو - أمريكى.

لذلك برز عدد غير قليل من المفكرين اليهود الكبار معلنين معارضتهم الدعوة الصهيونية للقومية اليهودية، ففى عام ١٨٧٨ وقع عدد من الحاخامين على وثيقة نشرت في إحدى الصحف البريطانية قالوا فيها: " لم نعد نمثل هيأة سياسية منذ فتح الرومان فلسطين، بل بتنا مواطنين في البلاد التي نقيم فيها، فنحن إما من الإنجليز أو الفرنسيين أو من الألمان ومكان إقامتنا هو الذي يقرر قوميتنا "، وصدر أيضا عن المؤتمر الذي عقده الحاخامون في أمريكا في مدينة بيتربورج في عام ١٨٨٥ قرار يقول: " لم نعد نعتبر أنفسنا أمة، وإنما نحن طائفة دينية، ولذا فنحن لا نتوقع أية عودة إلى فلسطين ".

وكتب الحاخام سيجال في عام ١٩٠٢ بنفس المعنى قال: " لم يكن هناك قط وجود لما يسمى بالشعب اليهودى، إذ إن اليهود لم يهتموا في أى يوم من الأيام بالتسلسل الحياتى والعضوى، ولا بالأرض أو اللغة أو التاريخ، ولا بالتنظيم السياسى أو غير ذلك من المقومات المعترف بها للقومية " (١).

ومما قاله س. ج مونتيفيورى الذي كان واحد من الزعماء اليهود الذين أخذ رأيهم في شأن تصريح بلفور قبل إعلانه: " عندما كان تصريح بلفور بشأن فلسطين موضع بحث لدى الحكومة، عرضت نصوصه بصفة شخصية على حفنة من اليهود، كان أربعة منهم صهاينة غلاة أو أشباه صهاينة، وكان اثنان - أنا أحدهما - يعارضان الصهيونية، وقد بدا لنا نحن الاثنان أن نومئ إلى أن من شأن عبارة (الوطن القومى للشعب اليهودى) أن يسبب على الأرجح اضطرابا، ولقد كان فيما يلوح، غير بعيدين عن الصواب... وقد اعترضنا على هذه العبارات لأننا أنكرنا أن يكون اليهود اليوم شعبا مرة أخرى، ولقد طالبنا وتمنينا ومازلت أطالب وأتمنى أنا وأصدقائى، أن يكون اليهود مواطنين أحرارا متساويين في جميع البلدان التي يعيشون فيها، ولقد خشينا أن ينشأ عن الوطن القومى المقترح

(١) خيرى حماد، " الصهيونية "، ص ١٠٤.

شعور معاد للسامية أبعد بكثير مما يمكن علاجه. غير أن آراءنا واعتراضاتنا لم تصادف أذنا صاغية، فيما خلا أن حرف التعريف المحدد (أل) كما جاء في المشروع المقترح قد رفع فصار النص الآن بغير تعريف أى (وطن قومى للشعب اليهودى) [١].

ويوضح لنا الأستاذ نجدت فتحى صفوة نقطة مهمة تتعلق بموقف الاتحاد السوفيتى حيال الصهيونية واليهودية فيقول: " إن الحكمة السوفيتية الجديدة تفرق بين اليهود والصهيونية تفرقة تامة وتنظر إلى كل منهما بمنظار خاص. وأن سياسة الاتحاد السوفيتى قامت دائما على أساس الفصل التام بين اليهود السوفييت، والصهيونية، وإسرائيل، لذلك لم يكن مما يناقض تلك السياسة أن تعترف بإسرائيل وتدخل معها في علاقات سياسية دون أن يتأثر موقفها من الصهيونية ويهود السوفييت ". ثم يضيف الأستاذ نجدت إلى ذلك قوله: " ويرى معظم الباحثين والمعلقين الغربيين أن إسراع ستالين في الاعتراف بإسرائيل كان جزءا من سياسته الرامية إلى إزاحة بريطانيا عن منطقة الشرق الأوسط وليس بدافع العطف على فكرة إقامة دولة يهودية.

مع العلم أن الاتحاد السوفيتى يعتبر الصهيونية أداة لعزل الكادحين اليهود عن النضال الطبقى ضد البرجوازية [٢].

ومع ذلك يحاول الصهاينة اليوم ربط الصهيونية بالديانة اليهودية، ولما كانت القومية هى قوة هذا العصر فقد درج الصهاينة على محاولة خلق قومية من الديانة اليهودية وفرضها على يهود العالم ليستمدا منها قوتهم. فأقوال الزعماء الصهاينة كلها تؤكد وتصر على أن الصهيونية واليهودية لا يمكن الفصل بينهما، وأن اليهودية قومية وكل من انتسب إلى هذا الدين هو صهيونى بغض النظر عن البلد الذي ينتمى إليه واللغة التي يتكلمها والجنسية التي يحملها.

وفى ذلك يقول وايزمن: " أن يهوديتنا وصهيونيتنا متلازمتان ملاصقتان ولا يمكن تدمير الصهيونية بدون تدمير اليهودية؟ " ومن جملة المقررات المتخذة في المؤتمر الصهيونى العالمى الخامس والعشرين المنعقد في ٢٥ كانون الأول ١٩٦٠ ما يشير إلى " أنه يتوجب على كل يهودى أن يهاجر إلى فلسطين.. وإن كل يهودى أقام خارج إسرائيل بعد إنشائها يعتبر مخالفا لتعاليم التوراة ".

(١) هنرى كتن، " فلسطين في ضوء الحق والعدل "، ص ١١ - ١٢.
(٢) " اليهود والصهيونية في علاقات الدول الكبرى "، ص ٣١ - ٣٥.

١٤ ـ المعارضون للصهيونية من الكتاب اليهود:

وعلى الرغم من إطلاق الصهاينة لهذه المفاهيم التي وضعوها للديانة اليهودية لاستغلالها في تدعيم حركتهم السياسية فهناك عدد غير قليل من اليهود في العالم لا يؤمن بالصهيونية [١]. وهؤلاء يقاومون بشدة، إما بدافع الشعور بالإنسانية على أساس أن الصهيونية مبدأ لا إنسانى، وإما حرصا على اليهود خوفا من مواجهتهم اضطهادا جديدا بسبب الاندفاع الصهيونى، وإما بدافع قناعتهم بأن الصهيونية آلة يسخرها الاستعمار العالمى لمصالحه على حساب اليهود والعرب معا.

وتعتبر الصهيونية هؤلاء المناهضين لها من اليهود أشد خطرا عليها من أية جهة أخرى من غير اليهود فهى تخشاهم وتحسب لهم ألف حساب. فقد كان لما وضعه هؤلاء اليهود من مقالات ومؤلفات في مناهضة الصهيونية أكبر الأثر في تحويل وجهة نظر عدد كبير من الغربيين إلى عدالة القضية العربية الفلسطينية إذ صاروا لأول مرة يسمعون الجانب العربى في الدفاع عن حقوق العرب المغتصبة من قلب العالم اليهودى بعد أن ظلوا لا يقرءون ويسمعون غير الدعايات الصهيونية المنتشرة في جميع أنحاء العالم.

فقد كان للكتاب الذي نشره الكاتب الفرنسى ماكسيم رودنسون سنة ١٩٦٨ بعنوان " إسرائيل والعرب " [٢] وهو يهودى، أثر محسوس في الأوساط الغربية فترجم في نفس العام إلى الإنجليزية وانتشر انتشارا واسعا، وقد جاء هذا الكتاب ليدحض الدعاوى الصهيونية متنبئا لها بالفشل المحتوم، وفى ذلك يقول: " إن الصهيونية وإن نجحت اليوم في خلق الدولة اليهودية فإن إقامتها تبقى على أسس غير سليمة، إن القوة التي تعتمد عليها لن تدوم إلى الأبد، وخطوط الأمم في صعود وانخفاض فكما فشلت الدولة الصليبية أن تبقى وتدوم في أرض العرب، فإن إسرائيل ستلقى نفس المصير الذي لاقته هذه الإمارات اللاتينية في فلسطين

(١) " يوجد اليوم حوالى ٥.٥ مليون يهودى في الولايات المتحدة، أى أقل من ٣% من السكان، ومن هؤلاء لا يوجد غير مليون وربع المليون ينتمون إلى المنظمات الصهيونية المختلفة، وكما أن ليس كل اليهود صهاينة، فإنه ليس كل صهيونى يهوديا بالضرورة فقد لعب المسيحيون الصهاينة دورا حساسا في هذه الحركة " (ألفريد ليلنتال، " إسرائيل ذلك الدولار الزائف "، ص ١٦).

(2) M. Rodinson, “Israel and the Arabs”, 1968.

".

وهذا كتاب آخر لمؤلف فرنسي يدعى " ناتان وينستوك " وعنوانه " الصهيونية وإسرائيل " وهو كتاب هام في ميدان الدعاية المناهضة للصهيونية، فهو يدحض الدعاوى الصهيونية التي تزعم وجود قوى روحية تربط باليهود بالصهيونية ويبين كيف ظهرت الصهيونية في أواخر القرن الماضى لتجنيد يهود العالم في خدمة الاستعمار العالمى.

وهناك كتب أخرى مناهضة للصهيونية لكتاب يهود مثل كتاب " إبراهام ليون "[(١)]، وألفريد ليلنتال [(٢)] وغيره، وقد كان لهذه الجمهرة من الكتب والمقالات باللغات الأجنبية أثرها المحسوس في تنبيه الرأى العالمى إلى الأعمال الإجرامية التي ترتكبها الصهيونية بحق العرب حتى أصبحت الصهيونية في نظر عدد من كبار المفكرين علما للدلالة على الاعتداء والاغتصاب بل ورمزا للعبث بحقوق الإنسان. لذلك فإنه لمن الخطأ أن يؤيد بعض الكتاب العرب، من حيث لا يشعرون، نظرية الصهيونية القائلة بأن اليهودية والصهيونية صنوان لا سيما في هذا الوقت الذي أصبح فيه العرب بأشد الحاجة أكثر من أى وقت مضى إلى أصوات هؤلاء الكتاب الذين يناهضون الصهيونية ويحملون عليها. ومن المهم أن نشير هنا إلى نصيحة المؤرخ الشهير " أرنولد توينبى " ذلك العالم الجليل الذي كان له من الجرأة الفكرية للأعراب عن رأيه في شجب أعمال الصهيونية وخططها الإجرامية بحق العرب، والذى يعلق أهمية كبرى على نفوذ اليهود غير الصهاينة، فعندما سئل عن رأيه في العلاج العملى لمشكلة فلسطين، ذكر ثلاث حركات قد تكون إلى حد ما ذات فائدة اثنتان منها تتصل بنفوذ اليهود غير الصهاينة إذ يقول في ذلك: " إن من الصعوبة أن نجد علاجا علميا لهذه المشكلة، وإننى شخصيا أرى ثلاث حركات قد تكون إلى حد ما ذات فائدة:

١- قيام اتحاد أوثق بين الدول العربية.

٢- زيادة نفوذ اليهود غير الصهاينة بالولايات المتحدة.

---

(1) A. Leon, “The Jewish Question”.

ترجمة عماد نويهض بعنوان " التفسير المادى للمسألة اليهودية "..

(2) A. Liliental, “The Other Side of the Cion “.

ترجمه إلى العربية عمر أبو حجلة بعنوان " إسرائيل: ذلك الدولار الزائف "، دار العلم للملايين.

٣- زيادة نفوذ الإسرائيليين المتكلمين بالعربية.. والذين يكونون أغلبية هناك حاليا.

ثم يضيف إلى ذلك قوله: " ولا ينتظر أن تنتج أية واحدة من هذه الحركات الثلاث نتائج سريعة - ولكن قد يجوز أن تتغير الحالة إلى أحسن - إذا تحققت هذه الحركات الثلاث مجتمعة " [(١)].

وفى تعليق للكاتب الفرنسى " رودنسون " حول تعريف الصهيونى والصهيونية يقول: " إن هناك نقطة يخطئ العرب مرارا في موضوعها، إلا أنها طريقة استخدام نهت الصهيونية، ففى أوربا يهود تتفاوت آراؤهم، ومواقفهم السياسية، ولكنهم في أغلب الأحيان متعلقون باستمرار وجود إسرائيل (التي هى بلا شك الأيديولوجية الصهيونية).. كما أن هناك قادة يقرون بوجود إسرائيل. ونعتهم جميعا بالصهيونية موقف سهل ولكنه يحول دون أداء العرب لمهامهم الدعائية بشكل مفيد، فبعض هؤلاء الناس الذي يقرون بوجود إسرائيل لا يمانعون في ظروف أخرى في إدانة بعض ممارسات الحكم الإسرائيلى وحتى في تبنى المطالب الفلسطينية. وباختصار إن ما أرجوه هو ألا يعتبر الفلسطينيون والعرب أن الأشخاص الذين حملوا في فترة ما بعض العواطف تجاه إسرائيل أو الشعب الإسرائيلى هم ميؤوس منهم وغير قابلين لتفهم المواقف العربية والفلسطينية بالذات ".

نعم، إن الديانة اليهودية التي حاكها الكهنة اليهود في بابل تشتمل على نفس المبادئ التي تعتمد عليها الصهيونية في الوقت الحاضر، أى على مبدأ واحد هو احتلال أرض فلسطين وقتل أهلها وتشريدهم، ولكن مجرد مناهضة الكتاب اليهود للصهيونية والمبادئ التي تقوم عليها معناه ضمنا عدم الاعتراف بقدسية هذه التعاليم التي ابتدعها اليهود في الأسر ومن ضمنها عقيدة الأرض الموعودة. وهذا يسير مع نفس الاتجاه العربى في العقيدة الإسلامية التي لا تعترف بغير التوراة التي أنزلت على موسى. وإن هذه الحركة الصهيونية التي تأمر بقتل الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ وتستند على وعد مزيف هى ليست من شريعة موسى بشئ لذلك فقد باءت بالفشل الذريع إذ أخمدها الرومان في مهدها وأزالوها من الوجود، وستلقى الحركة الصهيونية الحالية نفس المصير حتما وذلك عاجلا أو آجلا، لأن النظام الذي يعتمد على القوة والإرهاب وحدهما لن يدوم ولن يبقى

(١) " لهذا.. أكره إسرائيل "، للمقدم سامى الغمراوى.

ومصيره الزوال.

١٥ ـ مذكرة " مونتاجو " إلى مجلس الوزراء البريطاني:

ولعل أحسن تحليل للأهداف السياسية والاستعمارية التي ترمى إليها الصهيونية هو الوصف الذي جاء على لسان أحد وزراء الحكومة الإنجليزية ذاتها المدعو " مونتاجو " وهو يهودى، فقد قدم هذا الوزير إلى مجلس الوزراء البريطانى مذكرة عنيفة يهاجم فيها وعد بلفور، وهذه المذكرة موجودة بين وثائق الحكومة البريطانية الرسمية بعنوان " معاداة الحكومة البريطانية الحاضرة للسامية ". وهى تمثل آراء المعارضين من مفكرى اليهود في العالم لوعد بلفور، وندون فيما يلى بعض ما جاء في هذه المذكرة بالنص لأهميتها التاريخية:

" لقد وقع اختيارى على هذا العنوان لهذه المذكرة (معاداة الحكومة الإنجليزية الحاضرة للسامية) لا بدافع شعور بالعداء ولا وسيلة للشجار مع وجهة نظر معادية للسامية يحملها بعض الزملاء الوزراء.. كل ما هناك أننى أود أن أسجل ما أعتقد من أن السياسة التي تتبعها حكومة صاحب الجلالة هى سياسة عداء للسامية من ناحية النتيجة مما قد يجعلها نقطة تجمع للمعادين للسامية في كافة دول العالم، ويؤكد هذا الرأى المراسلة التي تسلمتها أمس والتى جرت بين لورد روتشيلد وسير بلفور.

" إننى أشعر باعتبارى الوزير اليهودى الوحيد في الحكومة أنه من حقى أن يمنحنى زملائى فرصة للتعبير عن وجهة نظر أتمسك بها تمسكا شديدا.

إننى أؤمن إيمانا راسخا بأن هذه الحروب قد سددت ضربة لفكرة " الدولية " وأنها قد فتحت المجال لبعث الشعور بالقومية الذي كان قد بدأ في التراخى.. فقد أصبح من المتفق عليه ضمنا بين الساسة في معظم الدول أن إعادة توزيع الأقاليم بعد الحرب يجب أن يتم على أسس قومية..

وفى هذه الظروف تقترح الحكومة الموافقة على تكوين أمة جديدة بوطن جديد في فلسطين. والمفهوم أن هذه الأمة ستتكون من اليهود الروس والإنجليز والرومانيين وغيرهم.

لقد بدت الصهيونية لى دائما عقيدة سياسية لا يمكن أن يؤمن بها أى مواطن مخلص للمملكة المتحدة، ذلك أن اليهودى الإنجليزى الذي يتطلع إلى جبل الزيتون ويتوق إلى اليوم الذي يستطيع فيه أن ينفض عن حذائه التراب البريطانى ويعود إلى نشاطه الزراعى في فلسطين إنما يعترف بأنه لا يصلح للاشتراك في الحياة

العامة في بريطانيا العظمى. بل ولا يصلح لأن يعامل كمواطن إنجليزى. لقد كان اعتقادى دائما أن الذين عكفوا على هذه العقيدة كانوا مدفوعين إلى ذلك بسبب القيود المفروضة على حرية اليهود في روسيا ولكن بعد أن تم الاعتراف بهؤلاء اليهود باعتبارهم يهود روس، ومنحوا كافة حرياتهم، يبدو من غير المفهوم أن تقدم الحكومة البريطانية على الاعتراف الرسمى بالصهيونية وأن يخول مستر بلفور التصريح بأنه يجب أن يعاد تأسيس فلسطين (كوطن قومى للشعب اليهودى). وأنا لا أعلم على وجه التحديد ما ينطوى عليه هذا... وإن كنت أستنتج أنه يعنى أن على المسلمين والمسيحيين في فلسطين أن يخلوا السبيل لليهود الذين سوف يتمتعون بالأفضلية، ويصبحون مرتبطين بفلسطين ارتباط الإنجليز بانجلترا أو الفرنسيين بفرنسا. كما يعنى ذلك أن الأتراك يعتبرون أجانب مثلهم في ذلك مثل اليهود، الذين سوف يعاملون منذ الآن كأجانب في كل بلد آخر غير فلسطين.

" إننى أحب هنا أن أؤكد أربعة مبادئ:

" أنه لا توجد أمة يهودية. إن أفراد أسرتى مثلا الذين عاشوا في هذا البلد عدة أجيال لا يربطهم بأى أسرة يهودية في أى بلد آخر أى اتفاق في رأى أو رغبة - ولا يجمعهم بها أى شئ أكثر من كونهم يعتنقون بدرجات متفاوتة نفس الديانة. ولا يصح القول بأن اليهودى الإنجليزى واليهودى المغربى ينتسبان لأمة واحدة كما أنه لا يصح القول بأن المسيحى الإنجليزى والمسيحى الفرنسى ينتسبان لأمة واحدة أو ربما لجنس واحد.

" ٢ - إذا قيل لليهود أن فلسطين هى وطنهم القومى فإن كل دولة أخرى سوف تتجه فورا إلى التخلص من مواطنيها اليهود وبذلك سوف نجد في فلسطين عددا ضخما من السكان يقومون بطرد أهلها ويأخذون أحسن ما في البلد، ولسوف يحضر هؤلاء من كافة أجزاء الكرة الأرضية يتحدثون مختلف اللغات ولا يستطيعون التفاهم مع بعضهم البعض إلا عن طريق المترجم.

" إن الحياة التي عاشها اليهود البريطانيون والأهداف التي وضعوها نصب أعينهم والدور الذي لعبوه في حياتنا العامة ومؤسساتنا يجعل من حقهم أن يعتبروا بريطانيين يهودا أكثر منهم يهودا بريطانيين. إننى على استعداد لحرمان كل صهيونى من الحقوق المدنية بل إننى أجد دافعا قويا لتحريم المنظمة الصهيونية باعتبارها غير قانونية وضارة بالمصالح الإنجليزية.

" ٣ - إننى لا أعترف بأن فلسطين اليوم مرتبطة باليهود أو أنها مكان ملائم

كى يعيشوا فيه... إن الوصايا العشر قد أعطيت لليهود في سيناء. حقا إن فلسطين تلعب دورا كبيرا في التاريخ اليهودى، ولكن الأمر كذلك أيضا بالنسبة للتاريخ الإسلامى الحديث. وقد أصبحت فلسطين بعد عهد اليهود تلعب دورا أكبر من أية دولة أخرى في التاريخ المسيحى. قد يكون المعبد اليهودى موجودا في فلسطين ولكن موعظة الجبل وصلب المسيح قد حدثا هناك أيضا.

" وإذا كانت ذاكرتى لا تخوننى، فإن تعداد اليهود في العالم يبلغ ثلاثة أضعاف العدد الذي تستطيع فلسطين أن تستوعبه حتى ولو طرد السكان الموجودين حاليا، أى أن ثلث عدد اليهود فقط يستطيع العودة إلى فلسطين. فماذا يحدث للباقين؟

" إننا كيهود إنجليز نتعلم في المدارس العامة والجامعات ونلعب دورنا في السياسة وفى الجيش والخدمة المدنية في بلدنا أكثر من ذى قبل.. ومن دواعى سرورى أن التعصب ضد التزاوج قد بدأ يلين.. ولكن إذا أعطى اليهودى وطنا قوميا فلا شك أن الدافع لحرماننا من حقوقنا كمواطنين بريطانيين يصبح أقوى بكثير. وسوف تصبح فلسطين الحى اليهودى للعالم. ولماذا يعطى لورد روتشيلد تلك الأهمية الكبيرة للفروق بين اليهود البريطانيين واليهود الأجانب؟.. إن جميع اليهود في شتى أنحاء العالم سيصبحون بعد إقامة الوطن القومى في فلسطين يهودا أجانب.

" إننى لا أعلم كيف سيتم اختيار ثلث يهود العالم الذين لا تتسع فلسطين لأكثر منهم، ولكن اليهودى بغض النظر عن البلد الذي ينتمى إليه سوف يصبح لزاما عليه أن يختار واحدا من أمرين.. إما أن يذهب إلى فلسطين ويعيش مع يهود آخرين غرباء عنه أو أن يبقى كضيف غير مرغوب فيه في البلد الذي يعتقد أنه ينتمى إليه.

ولا يدهشنى أن تقدم الحكومة على هذه الخطوة بعد خطوة تكوين لواء يهودى في جيشها، وهأنذا في انتظار أن أسمع أن أخى الذي جرح في الفرقة البحرية أو ابن أخى في حرس المشاة قد يضطر تحت ضغط الرأى العام - أو بسبب تنظيمات الجيش - أن يصبح ضابطا في لواء يتكون أساسا من أناس لا يفهمون اللغة الوحيدة التي يتكلمها الإنجليز، إن إنشاء فرقة يهودية يجعل موقف اليهود في الألوية الأخرى أكثر صعوبة ويفرض جنسيته على الذين لا يشتركون

مع بعضهم البعض في شئ " [١].

ومن الواضح أن هذه المذكرة من الوزير اليهودي كانت تهدف أول ما تهدف توضيح ما سيصيب اليهود في مختلف أقطار العالم نتيجة إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين، إلا أنها تؤكد في الوقت نفسه بما لا يرقى إليه الشك أنه ليس هناك أمة يهودية تتمتع بقومية يهودية وكل محاولة لخلق مثل هذه القومية مصيرها الفشل وأن النتائج التي تترتب على الخطوة البريطانية بتبني الوطن القومي اليهودي في فلسطين نتائج وخيمة لليهود ولبريطانيا ذاتها، وعلى الرغم من كل هذه الانتقادات صدر تصريح بلفور ضاربًا صفحًا عن اعتراض اليهود في فكرة الوطن القومي لليهود كما صدر بغير موافقة العرب أو علمهم [٢]. لما احتج العرب لدى الحكومة البريطانية التي أكدت لهم بأن تصريح بلفور لن يخل بحقوقهم المدنية والدينية أو بحريتهم السياسية وأن الحكومة لا تؤيد عودة اليهود إلى فلسطين إلا بالقدر الذي يتفق مع الحرية السياسية والاقتصادية للسكان الموجودين فيها [٣].

وقد كان لمونتاجو (الوزير البريطاني المذكور) موقفًا لا يقل حزمًا عن موقفه تجاه وعد بلفور، وذلك عندما تقدم الطبيب اليهودي الروسي ورثشتين بصفته المتحدث باسم الدولة اليهودية المقبلة بعرض إلى الحكومة البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى في الفترة التي سبقت إصدار تصريح بلفور، وخلاصة هذا العرض: " أن تقوم دول الحلفاء بتجهيز وتنظيم جيش من اليهود قوامه ١٢٠ ألفًا في البحرين تضعه تحت قيادته لغزو واحتلال منطقة الأحساء التركية، وأن تعقد معاهدة مؤقتة معه من أجل خلق دولة يهودية على الخليج العربي ". فقد عارض مونتاجو بشدة هذا العرض وقال في رده في ١٥٦ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩١٧: " .. أنه بصرف النظر، عن الاعتراض العام لإدخال عنصر جديد في الجزيرة العربية، وبصرف النظر عن المشكلة التي هي مثار الجدل حول مرغوبية إقامة دولة يهودية في أي مكان ، هناك أسباب خاصة لاعتبار المواقع المختارة لكل من تمركز الفرق اليهودية وللإقامة النهائية للدولة اليهودية المقترحة غير ملائمة تمامًا، إن وصف الإحساء (كولاية تركية) يمكن

(١) بريطانية، مكتبة السجلات العامة، الخزانة رقم ٢٤ / ٢٤ (٢٣ آب، أغسطس ١٩١٧).
(٢) هنري كتن، " فلسطين في ضوء الحق والعدل "، ص ١١ - ١٢.
(٣) المرجع السابق، ص ١٤.

أن يكون، صحيحًا من وجهة فنية، ولكن المنطقة هي في الحقيقة بحوزة ابن سعود أمير نجد منذ ١٩١٣، الذي عقد معاهدة صداقة وتحالف مع حكومة جلالته في ديسمبر ١٩١٥ التي تعترف بصراحة بحقوق ابن سعود بالإحساء، وتضمن له المساعدة من حكومة جلالته في حالة هجوم أية دولة أجنبية على بلاده، وفيما يتعلق بالبحرين فإن شيوخها كانت لهم علاقات معاهدة مع بريطانيا منذ سنة ١٨٢٠، وحكومة جلالته لا يمكنها أن تقر، بدون موافقة صريحة من هؤلاء الحكام أية اقتراحات تتعلق بحقوقهم الإقليمية.. " هذا مع العلم أن الخارجية البريطانية اعتذرت في ٢٣ أكتوبر ١٩١٦ إلى صاحب العرض دون أن تبدي الأسباب [(١)].

وقد عارض العديد من اليهود في أوروبا تدخل الصهاينة في شؤونهم، فلما زار
" بن غوريون الدانمرك سنة ١٩٦٢ وأخذ يحث يهودها على الهجرة إلى إسرائيل وقف رئيس الجالية اليهودية في الدانمرك ليقول له: " إننا نحن الدانمركيين لا نريد مكانًا آخر لنعيش فيه حياة أسعد من حياتنا هنا في الدانمرك إننا جزء أصيل من الشعب الدانمركي فنحن دانمركيون أولاً ثم يهود ".

كما رد عليه رئيس حاخامي الدانمرك قائلاً: " إن أي فرد مهما علا مركزه، ومن أي مكان جاء ليس له الحق أن يغير، ولو مثقال ذرة، من الوضع الذي ظل عليه اليهود الدانمركيون سنين طويلة، يعيشون سعداء جنبًا إلى جنب مع باقي إخوانهم الدانمركيين [(٢)].

ولقد برهنت الأيام على أن الأحداث التي كان يتوقع المعارضون والمنتقدون للوطن القومي اليهودي في فلسطين حدوثها في حالة تنفيذ هذا المخطط الاستعماري قد وقعت فعلاً وخاصة بالنسبة للبلاد العربية، فاليهود الذين كانوا

---

(١) خيرية قاسمية، " وثائق بريطانية حول اقتراح يهودي بإقامة دولة يهودية في منطقة الخليج العربي أثناء الحرب العالمية الأولى "، شؤون فلسطينية، عدد كانون الثاني ١٩٧٢،

ص ٢٩٠ - ٢٩١، نقلاً عن الوثائق البريطانية التالية:

F.O. 882 - 2 - 14 Arab Bureau Paperes.

F.O. 371 - 3053 - 18242.

(٢)" مجلة العربي "، العدد ١٤٣، ص ١٥١.

يتمتعون بحياة مستقرة آمنة حرة في البلاد العربية اضطر معظمهم تحت ضغط الصهيونية بالتعاون مع السلطات المختصة التي يسيرها الاستعمار إلى الهجرة إلى إسرائيل، أما بريطانيا ناصبة الفتيل فبعد أن تفاقم الوضع وشعرت بتهديد مصالحها في البلاد العربية أخذت تلعب على عدة حبال، فمرة تنفض يدها من جريمتها الأساسية وترميها على عاتق غيرها، ومرة تتظاهر بتأييدها للعرب، ولكن ذلك لن يبرئها مما ارتكبته بحق العرب واليهود معًا، بتخطيطها وتمهيدها لتنفيذ الجريمة، وأن العرب لن ينسوا مسئوليتها الكبرى في تنفيذ هذه المأساة العالمية وستبقى جريمتها لطخة سوداء في جبين الإمبراطورية البريطانية إلى أبد الآبدين.

١٦ ـ مشكلة اليهود الشرقيين في إسرائيل:

تجابه إسرائيل اليوم مشكلة من أهم المشاكل التي تواجهها في محاولة خلق قومية يهودية تشمل جميع اليهود من مختلف العناصر، وهذه هى مشكلة اليهود الشرقيين. لقد سبق أن عرضنا في الفصل السابق نبذة عن الخلافات الرئيسية بين الطائفتين اليهوديتين الرئيسيتين الغربية والشرقية ونظرة الاحتقار التي يضمرها اليهود الغربيون تجاه اليهود الشرقيين، لذلك يتوقع البعض أن يتحول يوما ما حقد اليهود الشرقيين على اليهود الذين هم من أصل أوربى إلى نشوء مصلحة مشتركة بينهم وبين العرب قد تؤدى إلى انضمامهم إلى جانب العرب في حالة قيام اضطرابات في إسرائيل في المستقبل. ولا يخفى أن الصهيونية كانت منذ قيام دولة إسرائيل تحذر من اليهود الشرقيين وبخاصة المتكلمين بالعربية، إذ كانت تعد وجودهم في بلادهم العربية مصدر خطر على مصالحها لذلك كان جل اهتمامها أن تسرع بشتى أساليب الإغراء أو التهديد والتحذير في تهجيرهم إلى إسرائيل ليكونوا تحت قبضتها داخل إسرائيل. ولكن على الرغم من ذلك فالخطر هم الآن أشد مما كان الصهاينة يتوقعونه بعد أن أخذ عدد هؤلاء اليهود الشرقيين يزداد في إسرائيل حتى أصبح على وشك أن يفوق عدد اليهود من الأصل الأوربى [١]. وفى ذلك يقول إسحاق دويتشر ما نصه:

" إن تطلعات إسرائيل الثقافية تأثرت بشدة من جراء التغييرات في تكوين

---

(١) بلغ عدد اليهود الشرقيين ١.٢٤٢.٥٧٨ نسمة عام ١٩٦٦ أى ٥٣% من مجموع سكان فلسطين المحتلة بينما بلغ عدد اليهود الغربيين ١.١٠١.٨٩٩ نسمة فقط " التعليم في إسرائيل "، الدكتور منير بشور وخالد مصطفى الشيخ يوسف، ١٩٦٩، ص ٣٣.

بنية الشعب فقد شكل اليهود الذين هم من الأصل الأوربى الغالبية العظمى من السكان في ظل الانتداب البريطانى، أما الآن فهم ليسوا سوى أقلية. ويشكل المهاجرون من آسيا وأفريقيا نحو نصف عدد سكان إسرائيل. ويسمع المرء شتى أنواع النظريات والتكهنات العميقة في القدس وتل أبيب، ويشير البعض إلى نسبة المواليد العالية بين اليهود الشرقيين ويتنبؤون بأن إسرائيل ستصبح شرقية في النهاية ويتنبأ آخرون بتبلور حضارة إسرائيلية جديدة. وأعتقد شخصيا أن اليهود الأوربيين سوف يصهرون في النهاية.

إن اليهود الشرقيين يمثلون الحضارة الأرقى التي تنتصر في العادة على الحضارة الأدنى... إن اليهودى الغربى يدرك غيرة وحقد اليهود الشرقيين وهو في بعض الأحيان يبدى تخوفه منهم، ويمكن لك أيضا أن تسمع الشكوك التي تثار حول إخلاصهم. (الله وحده يعلم ما إذا كانوا سيضعون أيديهم في أيدى العرب في حالة قيام اضطرابات. ليس من فارق كبير بينهم وبين العرب، أليس كذلك؟) قد لا تكون هذه النظرة مطروحة جديا في الوقت الحاضر، غير أنها تشير إلى وجود نوع من التوتر، ويظن البعض أنه سيأتى يوم يثار فيه حقد اليهود الشرقيين [١].

ومثل ذلك يقول مايكل سلزر بعد أن شرح بالتفصيل الخلافات بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين " إن هذه الحقائق تؤدى إلى تخوف أفظع وهو هل يأتى الوقت الذي ينحاز فيه اليهودى العربى إلى جانب العرب ضدنا؟ وقد كانت هناك مثل هذه الحالات القليلة ".

ويعلق الباحثون أهمية كبيرة على مشكلة اليهود الشرقيين في إسرائيل من حيث تهديدهم لكيان دولة إسرائيل، فيقول دكتور سعد الدين إبراهيم: " أما شعور الازدراء نحو اليهود الشرقيين فهو لا يحتاج إلى تدليل أو توضيح، فالتفرقة والتعصب ضدهم ينعكسان على أحوالهم المادية والاجتماعية، وهم أدنى درجات السلم الاجتماعى في إسرائيل، والمؤسسة الحاكمة في ورطة حيال اليهود الشرقيين.

فمن ناحية تجد نفسها مجبرة على تطبيق شعار العودة بالنسبة لكل اليهود (ومنهم الشرقيون) لأن ذلك الشعار هو التبرير الوجودى لدولة إسرائيل، وفى نفس الوقت يمثل اليهود الشرقيون مشكلات اجتماعية عاتية: فهم يختلفون عن كل من يهود أوربا الشرقية ويهود أوربا الغربية على السواء من الناحية الحضارية.

---

(١) إسحاق دويتشر، " اليهودى اللايهودى "، ص ٧٥ - ٧٧.

كذلك هم أدنى مهارة من كلا الفريقين ماديا وتعليميا من حيث المهارات التكنولوجية. وتحتاج عمليات أقلمتهم وغسيل مخهم طبقا للمخطط الصهيونى أموالا طائلة لا يمكن توفيرها إلا باقتصاصها من مخصصات الحرب أو على حساب الطوائف الأخرى الأكثر تمييزا، إن أحوال اليهود الشرقيين هى باختصار أحوال مزرية، وتمثل لغما اجتماعيا كبيرا في إسرائيل، والطريقة الوحيدة التي نجحت بها المؤسسة الحاكمة في تأجيل انفجار هذا اللغم كان دائما بتوجيه المرارة والغضب، الذين يحس بهما اليهود الشرقيون نحو الأقلية العربية، أو نحو العالم العربى. ولكن هذه الوسيلة تنكشف بين الحين والآخر، ويدرك اليهود الشرقيون بالتدريج أن عدوهم الأول هو الظلم الاجتماعى والتفرقة العنصرية - كما تجلى ذلك حديثا في ظهور حركة (الفهود السود) الإسرائيلية [١].

وفى قضية زيادة عدد اليهود الشرقيين في إسرائيل يضيف دكتور سعد الدين قائلا: ومن التغيرات الأساسية التي لم يدركها المؤسسون منذ ربع قرن أن اليهود الشرقيين سيصبحون أغلبية سكانية في الربع الأخيرمن هذا القرن. وحتى حينما اتضحت هذه الحقيقة خلال الستينات فإن قدراتهم الخلاقة المحدودة - من ناحية - وتعصبهم وتعاليهم - من ناحية أخرى - لم تمكن المؤسسة الحالية من حل مشكلاتهم الحضارية والاجتماعية والاقتصادية في وقت مبكر. ولن يكون أمام الأفراد الجدد في المؤسسة الحاكمة في السنوات المقبلة إلا ثلاثة احتمالات في معالجة قضية اليهود الشرقيين: إخضاعهم بالقسر مع شراء زعمائهم ورشوتهم (وهو الأسلوب الذي اتبعته المؤسسة الحالية)، أما الحل الجذرى للمشكلة - وهو ما يتطلب ملايين الليرات التي لا يمكن توفيرها إلا بتغيير عسكرية المجتمع الحالى، ووقف التحيز ومحاباة اليهود الغربيين (في الوظائف والمساكن مثلا) وهذا الحل سيجعل إسرائيل تفقد ميزاتها التوقية في المنطقة، وبالتالى احتمال وجودها في المستقبل. وهذا أمر بعيد اللجوء إليه. والاحتمال الثالث في معالجة قضية اليهود الشرقيين هو استمرار سياسة الحرب والتوسع. ذلك سينتج للمؤسسة الحاكمة شيئين على الأقل، أحدهما تحويل نقمة اليهود الشرقيين نحو العدو الخارجي، والثانى الحصول على أرض وموارد جديدة وبالتالى خلق فرص اقتصادية واجتماعية أمام اليهود الشرقيين. ومن معلوماتنا عن المؤسسة الحاكمة

---

(١) " مجلة الدراسات العربية "، عدد نيسان ١٩٧٢، المقال المرسوم " المؤسسة الحاكمة في إسرائيل ".

في إسرائيل فإننا نميل إلى الاعتقاد بأن الحل الأخير هو ما ستلجأ إليه هذه المؤسسة.

وفى موضوع اليهود الشرقيين والغربيين يلفت النظر رودنسون الكاتب اليهودى الفرنسى إلى تصريحات القادة الفلسطينيين بأن هناك جنسين في إسرائيل، الجنس العربى والجنس الإسرائيلى، وفى الواقع هناك ثلاثة أجناس: اليهودى العربى، واليهودى الشرقى، واليهودى الغربى [١].

١٧ ـ مشكلة اليهود السود في إسرائيل:

ومن أبرز مظاهر التمييز العنصرى في المجتمع الإسرائيلى بالإضافة إلى التمييز بين الإشكناز (اليهود الغربيين) واليهود الشرقيين ضمن الإطار اليهودى في العالم ظاهرة التمييز الموجه ضد ما يسمونهم بالعبرانيين السود أو اليهود السود أو الإسرائيليين السود التي سببت مشكلة عنصرية خطيرة في إسرائيل. وهؤلاء من زنوج أميركا المنحدرين من أصل أفريقى اعتنقوا الديانة اليهودية ويدعون بأنهم ينحدرون من اليهود الأثيوبيين أو الفلاش وأن الإله قد منح لهم ولذريتهم أرض الميعاد ولذا فإن هذه ا لأرض تخصهم وحدهم. وقد هاجر هؤلاء الزنوج إلى إسرائيل وفقا لقانون العودة لعام ١٩٥٠ الذي يمنح كل يهودى الحق في الهجرة و " العودة " إلى إسرائيل.

وقد استوطن العبرانيون السود مدينة " ديموناه " و " مثبية ريمون "، " عراد " في النقب، كما استوطنت عائلات يهودية سوداء مدينة أريحا وسكنت بين أهلها العرب، ولم يلبث هؤلاء اليهود السود طويلا حتى انفجرت روح العنصرية ضدهم على أشدها عنفا وقد أخذ الوضع يتفاقم في العلاقات بين اليهود البيض واليهود السود ويسير من سيئ إلى أسوأ بعد وصول أعداد من أبناء هذه الطائفة السوداء حتى أخذت تنعكس ظاهرة التمييز ضد اليهود السود بشكل بارز على العلاقات الإسرائيلية الأفريقية وبشكل أعم على العلاقات الإسرائيلية مع الملونين في أنحاء العالم.

وقد بلغت قضية " اليهود السود " ذورتها عندما اتخذت السلطات الإسرائيلية

---

(١) انظر هيلدا صايغ، " التضييق العنصري ضد اليهود الشرقيين في إسرائيل "، وقد سبقت الإشارة إليه، وإننا نورد فيما يلي أهم المراجع التي تتناول هذا الموضوع:
Marie Syrkin, “Oriental Jews in Israel”, N: Y:, 1952; M.Selzer, “The Arianization of the Jewish State”, N.Y., 1967.

قرارا بطرد بعض المجموعات اليهودية السوداء ومنع مجموعات أخرى من الوصول إلى إسرائيل خوفا من تزايد عدد اليهود السود وخلق مشاكل عنصرية في المجتمع الإسرائيلى. ويرى البعض أن ولادة هذه الحركة الصهيونية السوداء قد تؤدى إلى احتمال ولادة حركة صهيونية جديدة على أنقاض الصهيونية القائمة، فيعترف بعض الإسرائيليين (البيض) بألم بخطورة هذه المشكلة العنصرية في إسرائيل فيعبر أحدهم عن هذا الألم بقوله: يؤلمنى مصير هؤلاء السود.. ويؤلمنى بشكل أشد العنصرية التي أخذت تنمو في أوساطنا والتى من شأنها أن تشوه شكل دولتنا وطابعها [١].

وهؤلاء اليهود السود المعروفون بالفلاشا Flasha طائفة حبشية اتخذت اليهودية دينا لها واختارت لنفسه حياة منعزلة وتمركزت في أعلى وأوعر جبال الحبشة (جبال سيميان) الواقعة إلى الشمال من بحيرة تانا وهم يجهلون العبرية والتلمود وأن كتاباتهم ومخطوطاتهم الدينية بلغة الجميز [٢].

---

(١) انظر المقال " العبرانيون السود "، بقلم عبد الحفيظ محارب المنشور في عدد ١٣ أيلول ١٩٧٢، من مجلة شئون فلسطينية، ص ٧٠ - ٨٢.

(٢) لغة الجميز هذه هي أقدم لغة سامية انتقلت إلى الحبشة إثر زحف القبائل العربية من جنوب الجزيرة العربية إلى الحبشة على مدى أجيال متباعدة في موجات متعاقبة ومعها دخلت لغاتها ولهجاتها كان أقدمها شيوعًا لغة الجميز (اللغة الأم)، وتسمية الجميز موروثة من قبيلة يمانية يدعي أفرادها " الأجاعز " ولا يزال أثر الخط السبئ والحميري القديم المعروف بالخط المسند ظاهرًا في كتابة لغته الجميز وهو من أقدم الآثار التي خلفتها حضارة الجنوب العربي في المجتمع الحامي في الحبشة، وقد كان لإدخال هذه اللغة المكتوبة بالحروف الأبجدية أعمق الأثر في نشوء ورسوخ حضارة جديدة في هذه الربوع وقد استعملت هذه اللغة في تدوين أقدم أثر مخطوط وهو المعروف باسم سجل الملوك الذي يحكي تاريخ الحبشة منذ أقدم عصورها المعروفة كما استعملت في الرقم والنقوش المكتشفة في " يحا " وفي بلدة آكسوم العاصمة القديمة، " إلا أن هذه اللغة اندثرت تدريجيًا بسبب تغلب اللهجات الكوشية المحلية عليها واضمحلال مدينة أكسوم ودولتها أمام حروب المسلمين واليهود السود فيما بعد، فانحصر نطاق استعمالها بفضل حروفها الأبجدية في كتابة الأدب والوثائق والطقوس الدينية فقط، وحتى يومنا تجري الطقوس الدينية في الكنيسة الحبشية بلغة الجميز كما وتكتب بها وللكنيسة الحبشية المسيحية واليهود الفلاشا إذن يعود الفضل في بقاء هذه الغلة على قيد الحياة حتى الآن وإن كانت بنطاقها المحدود (ممتاز العارف، " الأحباش بين مأرب وأكسوم "، بيروت ١٩٧٥، ص ٩ - ١٥).

وهذا ما يدل على ان اليهودية دخلت إلى الحبشة منذ أقدم العصور ولعلها جاءت من اليمن إثر زحف القبائل السامية من جنوب الجزيرة العربية إلى الحبشة، وفى التراث الحبشى قصة تشير إلى ظهور ملكة بين قبيلة أغاو الوثنية تدعى " يوديث " اعتنقت الديانة اليهودية فناصبت ملوك الحبشة العداء وأحرقت عددا من كنائسهم سنة ٩٦٠ ميلادية، مما حمل أحد أباطرتهم على الاستنجاد بملك النوبة لإنقاذ المسيحية من خطرها. والأحباش ليومنا هذا يصبون اللعنة عليها كلما جاء ذكرها. والمعروف عن هؤلاء اليهود السود أنهم أشغلوا الحبشة بحروب طويلة، حتى أنهم في إحدى حملاتهم العسكرية على العاصمة تمكنوا من اختطاف تاج الملك واحتجازه في قلاعهم الحصينة مدة أربعين سنة (١).

١٨ ـ هل فلسطين سلعة بائرة لا أهل لها حتى تمنح بالوعود لزيد أو عمرو!

أما ما أورده مدونة التوراة المحرفة من أن هناك وعدا نسبوه إلى ربهم يهوه بمنح بلاد كنعان (من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات) لإبراهيم ولنسله من بعده(٢)، باعتبار اليهود من نسل إبراهيم، وما أوردوه أيضا من أن هناك أمرا من الإله العلى يقضى بإبادة سكان كنعان من غير تمييز بين رجل وامرأة وبين شيخ وطفل وإحراق مدنهم وما فيها بالنار وإحلال بنى إسرائيل (قوم موسى) محلهم (٣)، فمسألة لا يمكن أن تمر بدون تعليق أو إبداء وجهة نظر في الموضوع: إن غزو مثل هذا الوعد المشروط بالقتل الجماعى والإبادة إلى الله سبحانه وتعالى هو من غير شك افتراء محض، لأنه لا يمكن أن تعترف أية ديانة سماوية بإبادة بنى الإنسان وقتل النفس البريئة، وأنه افتراء على النبيين الجليلين إبراهيم الخليل وموسى أن تنسب إليهما الرغبة في إبادة الأقوام وقتل الأبرياء.

والمعلوم أن إبراهيم الخليل سكن مع الكنعانيين والمصريين وعاش معهم في مودة ووئام ووفاق، ألم تقل التوراة: أن ملكى صادق الكاهن الكبير ملك شاليم (أورشليم) بارك إبراهيم وقال: " مبارك إبرام من الله العلى مالك السماوات

(١) المرجع السابق، ص ١٥، ١٦.
(٢) تك، ١٥: ١٨ ـ ٢٠، ١٧: ٨، ٣٥: ١٢.
(٣) (خر، ٣٤: ١٢)؛ (تث، ٢٠: ١٦ ـ ١٧)؛ (عد ٣١: ١٧ ـ ١٨، ٢٣: ٥٠ و ٥٥ ـ ٥٦)؛ (يشى، ٦: ٢١ ـ ٢٤)؛ ١ صم، ١٥: ٣ و ٢٣).

والأرض " [(١)].. كما أنه من المستحيل أن يكون قد نزل على نبى من الأنبياء أمر بالقتل الجماعى الذي نسب إلى الإله العلى، فقد جاء في القرآن الكريم ما يحذر بنى إسرائيل من مغبة مثل هذه الأفعال المنكرة التي أدخلوها في كتبهم وقالوا هذا من عند الله [(٢)] فنزلت الآية الشريفة:{مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَاءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا} [المائدة: ٣٢]، وفى القرآن الكريم آيات أخرى تأمر بالمودة، وتجنب المعاداة، والبر بمن لا يقاتل، والتقييم للنفس حتى بالنسبة للأعداء، ففى سورة الممتحنة قال تعالى:{عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾} [الممتحنة: ٧ - ٨]. وبمثل ذلك يأمر الإنجيل الأمة المسيحية فيقول: " زيدوا على إيمانكم الفضيلة، وعلى الفضيلة التعقل، وعلى التعقل العفاف، وعلى العفاف الصبر، وعلى الصبر التقوى، وعلى التقوى المودة الأخوية، وعلى المودة الأخوية المحبة " [(٣)] وقد مرت الإشارة إلى ذلك في الفصل الثالث.

إن التوراة التي بين أيدينا دونت كما هو معلوم بعد زمن إبراهيم الخليل عليه السلام بألف وثلاثمائة عام وبعد زمن موسى بمقدار ثمانمائة عام، وقد دونها الكتبة والأحبار عن أفواه أسلافهم على الأكثر، فأضافوا وحرفوا ما حرفوا بحسب أهوائهم ونزعاتهم الدينية، حتى أصبح من المتعذر التمييز بين الأصل وبين المضاف أو المحرف. وقد افتروا فيما كتبوه على الأنبياء ونسبوا إليهم في التوراة أعمال قبيحة تتنافى ومقامهم ومنزلتهم، بل تتنافى مع الفضائل والمثل العليا، ولم يكتفوا بذلك فنسبوا إليهم حتى الزنا، هذا في حين أن الوصايا العشر تقول: " لا تزن " و " لا تقتل ". وهذا كله دليل قاطع على أن الوعد المشروط بالقتل الجماعى والإبادة مختلق من حيث الأساس، إذ لا يمكن أن يكون قد نزل شئ من هذا القبيل من عند الله مطلقا، لذلك فإن بعض علماء اللاهوت من المسيحيين أخذ يدعو إلى عدم اعتراف المسيحية بكتاب العهد القديم ككتاب دينى وحتى ككتاب تاريخى وثائقى، ففى رأى البحاثة والمستشرق سبنسر تريمنغهام الرئيس السابق لكلية العلوم الشرقية في جامعة غلاسكو في بريطانيا وأستاذ العلوم الإسلامية في

(١) (تك، ١٤: ١٨).
(٢) انظر ما تقدم عن قوانين الحرب في التوراة وتحريف التوراة في الفصل الثالث.
(٣) (٢ بط، ١: ٥ - ٧).

كلية اللاهوت ببيروت " أن كتاب العهد القديم استخدم ويستخدم لأغراض سياسية لا تقع ضمن إطاره الصحيح، وأما استخدامه من قبل المؤرخين وغيرهم كمادة تاريخية لإثبات بعض الأغراض سوى تشويه للحقيقة ".

والنظرية المهمة التي يطرحها في كتابه " عالمنا " The World of Ours يعرضها في فصل كامل يقارن فيه بين العهد القديم والعهد الجديد باعتبارهما عهدان مختلفان تماما. فالعهد القديم، من وجهة نظره " لا يمكنه مطلقا أن يكون كتابا مسيحيا، أما استمرار بعض الكنائس المسيحية في التشديد عليه فقضية يجب النظر إليها بمنظار لا دينى... " ثم يضيف إلى ذلك قوله: " أنه لا داعى مطلقا لأن يقلق المسيحيون فيما لو أهمل استعمال العهد القديم لأن المسيحية بدأت بالمسيح وحده وبه تنتهى، وقد سبق للناصرى أن نقض جميع ما كان يمارسه اليهود " [١].

يقول الدكتور في اللاهوت في الموسوية واليهودية الأنبا غريغوريوس أسقف علم الدراسات اللاهوتية العليا والثقافة القبطية والبحث العلمى ببطريركية الأقباط الأرثوذوكس بالقاهرة: " وتزعم إسرائيل أنها (والكلام هنا عن المسيحية) تتبع ديانة العهد القديم وديانة النبى موسى.. وهذا لغو! إن المسيحية وإن جاءت مكملة ومتممة للموسوية (وقد قال يسوع: " لا تظنوا أنى جئت لأنقض الشريعة والأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأتمم "، مث، ٥: ١٧).

لكن اليهودية هى غير الموسوية، إن اليهودية الآن هى ديانة الذين أنكروا المسيح الذي أتى لخلاص العالم فرفعوا دعوته ورسالته وتعاليمه الروحانية متطلعين إلى مسيح آخر من طراز شمشوم الجبار وغيره من المحاربين الأشداء الذين يقودون المعارك الحربية ليحققوا لشعبهم نصرا ماديا أرضيا، ولا يزالون مرتبطين بفكرة المملكة الأرضية التي تقوم على التوسع المادى والاقتصادى ليسودوا العالم ويحكموه، ويتسلطوا على غيرهم من الشعوب اعتقادا منهم أنهم هم وحدهم شعب الله المختار، وأما غيرهم من البشر فهم حيوانات لها أشكال آدمية " [٢].

ولا يمكن أن يمر الحديث عن الوعد المذكور آنفا دون أن يرد على الذهن

(١) الأسبوع العربى، العدد ٦٦٦، السنة الثالثة عشرة، ١٣ آذار ١٩٧٢، ص ٣٩.
(٢) " وثيقة للكنيسة القبطية في مصر "، الأنوار البيروتية، السنة ١٦، العدد ٥٠٣٥، ت٢ ١٩٧٤، ص ٦.

وعد بلفور المشئوم، فهو صورة طبق الأصل عن الوعد التوراتى المزيف مثلته بريطانيا على مسرح شرقنا الحبيب، وقد سجل أفجع مأساة من مآسى القرن العشرين. ومن الواضح أن كلا الوعدين يرمى إلى تحقيق عملية واحدة من حيث الأعداد والتصميم، هى: طرد سكان فلسطين من مساكنهم وإحلال اليهود محلهم. وإذا كان وعد بلفور لم يشر صراحة إلى الإبادة والقتل والتشريد فإن ذلك حصل عمليا عند التنفيذ، ولنا أن نسأل: من أين جاءت بريطانيا يا ترى بهذا الحق المنطوى على سلب أرض فلسطين من أهلها ومنحها لليهود؟... ومن منحها هذا الحق لتظهر بمظهر السخاء والكرم الحاتمى ".. هل فلسطين بائرة لا أهل لها حتى تمنح بالوعود إلى زيد أو عمرو؟

إن هذا التجاوز على حقوق أهل فلسطين لا يمكن أن يدوم لأنه عمل عدائى صريح مخالف للعدل والإنسانية، فكما أزيل في الماضى كذلك سيزال عاجلا أو آجلا، والحق لا يموت إذا وجد وراءه مطالب سخى في الصبر والتضحية.

وأدق تحليل لواقع الحال بالنسبة لقضية العرب واليهود يمكن أن ننهى به هذا الفصل الأخير هو ما كتبه إسحاق دويتشر المعلق اليهودى المعروف بتحليلاته للأحداث السياسية الدولية التي كانت تنشر في الصحف الرئيسية لمدة أربعة عشر عاما في أوربا والولايات المتحدة وكندا واليابان والهند وأمريكا اللاتينية، فنخلص من خلال خبرته العملية ومعرفته الدقيقة بالأحوال السياسية والاقتصادية والعسكرية في إسرائيل إلا أن النصر الإسرائيلى سنة ١٩٦٧ يعد كارثة تاريخية بالنسبة للصهيونية على المدى البعيد، وأن الطريق العربى إلى النصر على الصهيونية والاستعمار يمر بخطى سريعة نحو تحقيق وتطور شامل في بنيان مجتمع عربى موحد مبنى على استراتيجية ثورية جديدة يرمى إلى التحرر من طرق المطامع الاستعمارية في المنطقة. فيقول دويتشر ما نصه:

" إن الحرب و (معجزة) النصر الإسرائيلى لم تحلا أيا من المشاكل التي كانت قائمة بين إسرائيل وبين الدول العربية، بل على العكس، فقد ضاعفت الحرب من خطورة المشاكل القديمة، وخلقت مشاكل أخرى جديدة أكثر من أى وقت مضى. وإننى مقتنع بأن النصر الإسرائيلى سيتحول في المستقبل القريب إلى كارثة تصيب دولة إسرائيل نفسها... إن هذا النصر بالنسبة لإسرائيل هو أشد ضررا لها من الهزيمة، ولقد أضعفها بدلا من أن يوفر لها الأمن والاستقرار " [(١)]

---

(١) إسحاق دويتشر، " اليهودى اللايهودى "، ص ٩٢، ١٠٦.

١٩ ـ الخاتمة

وختاما يبدو لنا أن الصهيونية مع المصائب والكوارث التي أحدثتها في البلاد العربية في اعتداءاتها المتكررة خدمت العرب في شئ واحد، هو بعثها الإحساس القومى العربى في الأمة العربية واليقظة بعد رقاد طويل، كما أحدثت وعيا بين الأمم الغربية التي لم تكن تعلم شيئا عن العرب غير ما كان يصلها من اليهود وأعوانهم، إذ صار العالم اليوم يتنور ويتفهم الحقيقة الواقعة التي كان يجهلها، وهى أن هناك جماعة معتدية على شعب مسالم تريد اغتصاب أرضه وطرده منها ليحتل محله بالقوة، وعلى الرغم مما تنشره الدعايات المغرضة بوصفها البلاد العربية بالتفكك والتنافر، فإن البلاد العربية تسير اليوم بخطى سريعة في مسيرتها القومية نحو جمع الشمل والتعاون فيما بينها في دفع الخطر المشترك كأمة متماسكة مستمدة من مجدها الغابر وتراثها وإيمانها الثابت الحزم والقوة في تحقيق أهدافها التحررية في ظل وحدة شاملة يسودها العدل الاجتماعى والرخاء العميم.

* * *

الملاحــق

العرب واليهود في التاريخ

الملحق الأول:
أورشليم [1] [بيت المقدس] في أقدم عصورها مع المراجع

١- تمهيد.
٢- تسمية المدينة في مختلف أدوارها.
٣- سكانها الأوائل.
٤- جغرافية المدينة وطوبوغرافيتها.
٥- أسوار المدينة قديما وحديثا.
أ - السور القديم (السور الأول).
ب - السور الثانى.
جـ - السور الثالث والأخير.
٦- تاريخ المدينة القديم.

* * *

(١) لقد اتخذنا مصطلح أورشليم في بحثنا هذا عن تاريخ القدس القديم لأن المدينة كانت تعرف بهذه التسمية في تلك العصور قبل ظهور موسى وقبل أن تكون قد تكونت لغة عبرية بمعنى يهودية بعدة قرون، فهى إذن كلمة كنعانية (عربية) بحتة علينا أن نعتز بها مثلما نعتز بتسمية القدس. وقد عرض العرب تسمية " أورشليم " في الجاهلية قبل الإسلام واستعملوها في أشعارهم، ففى أبيات للأعشى قيس مخاطبا فيها ابنته يطلق على القدس تسمية " أوريشلم " إذ يقول:

أفى الطوف خفت على الردى ::: وكم من رد أهله لم يرم
وقد طفت للمال آفاقه ::: (عمان) (قحمص) (فأوريشلم)

١ - تمهيد:

ما من مدينة في تاريخ العالم تمتعت بقدسية مستدامة، منذ أن أسسها السيبوسيون الكنعانيون قبل زهاء خمسة آلاف عام [١] حتى يومنا هذا، مثل مدينة أورشليم (بيت المقدس الحالية): إنها الأرض المباركة (دار السلام) كما سماها الأقدمون، وقد حمل ملوكها القدماء لواء عقيدة التوحيد للإله العلى لأول مرة في التاريخ البشرى، على ما يرى الكثير من المؤرخين، وقد خصها الله بالعديد من الأنبياء حتى قيل أن بناءها تم على يدهم وأنهم سكنوها حتى أنه لم يبق فيها موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبى أو قام فيه ملك " [٢]. كما خصها الله بإسراء رسوله المصطفى (عليه الصلاة والسلام)، فقال في كتابه العزيز:{سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١} [الإسراء: ١].

وانطلاقا من عقيدة التوحيد نطق الملك الكنعانى (العربى) " ملكى صادق " ملك شاليم (أورشليم)، " الكاهن لله العلى " حين بارك إبراهيم الخليل عليه السلام بقوله: " مبارك الله العلى الذي أسلم أعداءك في يدك " [٣]، وما زالت المدينة حتى يومنا هذا تقدسها الديانات السماوية الثلاث بكل تجلة وتعظيم.

ويرجع تاريخ ملكى صادق هذا إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد وهو زمن إبراهيم الخليل عليه السلام وهو من نسل كنعان كان ملكا على مدينة أورشليم وولايتها التي كانت تعرف باليبوسية نسبة إلى يبوس ولد كنعان [٤]. وجاء في بعض التقاليد اليهودية أن " ملكى صادق " هو سام وأن تقدمه بالعمر وشرف نسبه جعلاه جديرا بأن يبارك إبراهيم عليه السلام.

ويرى العلماء المحدثون أن " ملكى صادق " من سلالة كنعان وكان محافظا على سنة الله القديمة بين شعب وثنى، وقد عرف بالتقوى والزهد، وقيل إن ملكى صادق كان يسكن هو وقومه في الكهوف، وكان أول من اختط أورشليم وبناها

---

(١) يرى الأستاذ أولبرايت الذي يعد في مقدمة الثقافة في تاريخ فلسطين أن تاريخ الكنعانيين في فلسطين يرجع إلى أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد، انظر:

W.F. Albrigt, “Archaeology and the Religion of Israel”, 1942, P. 68.

(٢) ياقوت، " معجم البلدان "، ج١، ص ١١٢.

(٣) (تك، ١٤: ٢٠).

(٤) (تك، ١٠: ١٦). راجع أيضا (قض، ١٩: ١٠، ١١).

وكان محبا للسلام حتى أطلق عليه اسم " ملك السلام "، ومن هنا جاءاسم المدينة " شالم " و " شليم " و " سالم " أى مدينة السلام.

ويذكر الإنجيل أن السيد المسيح صار " على رتبة (ملكى صادق) رئيس كهنة إلى الأبد ". ويقول بعد ذلك عن ملكى صادق " أنه لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة، بل هو مشبه بابن الله، هذا يبقى كاهنا إلى الأبد " [١]. فالتوراة والإنجيل معا يصفان الكاهن الكنعانى بصفة الكاهن الأعلى وصفة الخلود ويرفعانه إلى المنزلة التي يتلقى منه إبراهيم الخليل بركة الإله العلى، إله السماوات والأرض.

وقد ذكر المطران يوسف الدبس " أن أبا الفرج ابن العبرى قال إن ملكى صادق هو ابن عابر أو أحد أحفاد سام وزعم بعضهم أنه من ذرية حام، وقال غيرهم أنه ابن صيدون بن كنعان والأظهر والأشبه بالصواب أن ملكى صادق من ذرية سام وأن عشيرته كانت إحدى العشائر القليلة التي استمرت على الاعتقاد بوحدانية الله " [٢].

وقد وصل إلينا من أسماء ملوك أورشليم غير " ملكى صادق " الملك " عبد خيبا " وهو الذي ورد اسمه في وثائق العمارنة في ست رسائل وجهها إلى فرعون مصر " أمنحوتب الرابع " أحد ملوك السلالة الثامنة عشرة، وهو المسمى أيضا " أخناتون ". وقد اشتهر هذا الملك العظيم الذي حكم بين سنة ١٣٧٥ وسنة ١٣٥٨ ق.م بدعوته لعقيدة التوحيد. ومن أهم ما ورد في هذه الرسائل طلب الملك " عبد خيبا " العون من ملك مصر لصد هجمات أهل البادية " العبيرو " أو " الهبيرو " أو " الخبيرو " وهم العبريون أهل البادية الشمالية الذين منهم جاءت كلمة " عبرى " التي شاع استعمالها خطأ للدلالة على اليهود في العصور التالية.

وفى جملة أقوال هذا الملك في طلب النجدة: " أن هذه الأرض، أرض أوروسالم، لم يعطنى إياها أبى ولا أمى ولكن أيدى الملك القوية هى التي تثبتنى في دار آبائى وأجدادى، ولم أكن أميرا بل جنديا للملك وراعيا تابعا للملك.. منحت ملكية الأرض أوروسالم إلى الملك إلى الأبد ولا يمكن أن يتركها للأعداء... " [٣]، وكان آخر ملوك أورشليم عند هجوم الموسويين بقيادة يوشع على المدينة في

(١) (عب، ٥: ٦، ٧: ٣).
(٢) " تاريخ سورية "، ج١، م٢، ص ٢٥.
(٣) انظر المراجع التالية:

القرن الثالث عشر قبل الميلاد الملك " أدونى صادق " [١] وقد ورد ذكر هذا الملك في التوراة في جملة الملوك الخمسة الذين اعتبروا من العموريين [٢].

٢ - تسمية المدينة في مختلف أدوارها:

سماها الكنعانيون، سكان البلاد الأصليون، " يرو شالم " أو " يرو - شلم " و " شالم " و " شلم " اسم إله كنعانى معناه السلام [٣]، وقد جاءت فيما بعد بهذه التسمية أى: " أورشليم " في التوراة [٤]، وهى مشتقة من التسمية الكنعانية الأصلية، وسميت في التوراة أيضا " شاليم " [٥]، و " ساليم " [٦]، ومدينة " الله " [٧]، و " مدينة داود " [٨]، و " مدينة الملك العظيم " [٩]، و " مدينة يهوذا " [١٠]، و " أريئيل " [١١]، و " مدينة العدل " [١٢]، والمدينة [١٣]، ومدينة القدس أو المدينة المقدسة [١٤]، وقد وردت باسم " أوروسالم " في الكتابات الكنعانية التي ترجع إلى

R.W. Rogers. "Cuneiform Parallels," pp. 268 - 278; A.Jeremias, "The Old Testament in the Light of the Ancient East," Vol. II, p. 27; G.A. Barton, "A.Sketch of Semitic Origins", pp. 403 - 406.

(١) (يش، ١٠: ١).
(٢) (يش، ١٠: ٣).
(٣) طه باقر، " مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة "، ج٢ ن ٢٤٣.
(٤) وردت كلمة " أورشليم " بهذه الصيغة في الكتاب المقدس أكثر من ٦٨٠ مرة. راجع على سبيل المثال لا الحصر (يش، ١٠: ١، ١٥: ٦٣)؛ (قض، ١: ٨، ٢١) ١.
راجع أيضا قاموس الكتاب المقدس المواد: أورشليم، ساليم، شاليم وملكى صادق.
(٥) (مز، ٧٦: ٢)؛ (يو، ٣: ٢٣)؛ (عب، ٧: ٢).
(٦) (تك، ١٤: ١٨).
(٧) (مز، ٤٦: ٤).
(٨) (٢ صم، ٥: ٧، ٩)؛ (١ مل، ٢٢: ٥). فكان كلما اضطجع ملك من ملوك يهوذا يدفن في مدينة آبائه مدينة داود راجع سير ملوك يهوذا في سفرى الملوك وسفرى الأخبار.
(٩) (مز، ٤٨: ٢)؛ (مت، ٥: ٣٥).
(١٠) (٢ أخ، ٢٥: ٢٨).
(١١) (أ ش، ٢٩: ١٠).
(١٢) (أش، ١: ٢٦).
(١٣) (مز، ٧٢: ١٦).
(١٤) (نح، ١١: ١، ١٨)؛ (أش، ٤٨: ٢، ٥٢: ١)؛ (مت، ٤: ٥، ٢٧: ٣٥).

القرن الخامس عشر قبل الميلاد أى مدينة السلام[(١)]. وظل اسم أورشليم شائعا منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا، ومن " ياروشالم " جاء الاسم الافرنجى " جيروزاليم " (Jerusalem)، وقد ذكر ياقوت أن المدينة وردت باسم أورشليم بالضم ثم السكون وكسر الراء وياء ساكنة وشين معجمة مفتوحة ولام مكسورة، ويروى بالفتح وميم، وقد يسكنون اللام فيقولون أوريشلم. وقد وردت أيضا بحسب قوله باسم أوريسلم بالسين المهملة وباسم أريشلوم أو أوريشلم بتشديد اللام وأورسلم بفتح الراء والسين [(٢)]، وقد نسبت المدينة إلى الملك الكنعانى (ملكى صادق) الذي عرف بالتقوى وحب الخير والسلام ولقب بملك شاليم، أى " ملك السلام " ووصفته التوراة أنه " كاهن لله العلى أخرج خبزا وخمرا لإبراهيم وباركه " [(٣)].

ومن أسماء أورشليم القديمة أيضا: " يبوس " نسبة إلى اليبوسيين، سكان أورشليم الأصليين، واليبوسيون هم إحدى القبائل الكنعانية نزحت من جزيرة العرب وسكنت أورشليم وحولها [(٤)]، وقد أسماها الفراعنة في كتاباتهم الهيروغليفية " يابيثى " و " يابتى " وهو تحريف لاسم يبوس الكنعانى [(٥)]. وقد ورد ذكر يبوس في التوراة ووصفت أنها هى أورشليم [(٦)] ووردت أيضا في التوراة باسم " مدينة اليبوسيين " [(٧)] وسميت أيضا " باليبوسى " [(٨)]، ومن تسمية " يبوسيين " صار الكنعانيون يطلقون اسم " يبوس " على كل أورشليم.

---

(١) انظر ما تقدم حول رسائل الملك " عبد خيبا " إلى " أخناتون " فرعون مصر في وثائق تل العمارنة.
(٢) معجم البلدان، ج١، ص ٤٠٢.
(٣) (تك، ١٤: ١٨ - ٢٠).
(٤) لقد ورد في كتاب الأستاذ طه باقر " مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة " أن اليبوسيين هم من غير الساميين (ج٢، ص ٢٨٢)، والأصح هو أنهم قبيلة من الكنعانيين وأن يبوس الذي سمى اليبوسيون باسمه هو أحد أولاد كنعان كما جاء في التوراة (تك ١٠: ١٥)، ولعل الأستاذ باقر يقصد هنا ما ورد في التوراة من أن الكنعانيين هم أبناء حام وهو التعريف الذي شجبه الباحثون لأنه مخالف للواقع. انظر ما تقدم في الفصل الرابع " مدونو التوراة يتعمدون إقصاء الكنعانيين من الأسرة السامية "..
(٥) خيرى حماد، " الصهيونية "، ص ٥٥.
(٦) (قض، ١٩: ١٠). وراجع أيضا (١ أخ، ١١: ٤ - ٥).
(٧) (يش، ١٨: ١٦)؛ (قض، ١٩: ١١)؛ (١ أ خ، ١١: ٦).
(٨) (يش، ١٨: ٢٨، ١٥: ٨).

وكان لليبوسيين قلعة حصينة على الرابية الجنوبية الشرقية من أورشليم كانوا يطلقون عليها اسم " صهيون " [١]، وقد سميت " حصن صهيون " وصار الحصن يعرف في عهد المسيح عليه السلام أيضا باسم " جبل صهيون " [٢] ويوجد الآن في جوار مدينة أورشليم واد يسمى " وادى صهيون " كما يوجد موضع يقع في جنوب غربى المدينة خارج السور الحالى للمدينة يسمى " جبل صهيون، وهذه التسمية حديثة لا تمثل موضع جبل صهيون الأصلى الذي كان يقع في القسم الجنوبى الشرقى من المدينة.

وقد سميت المدينة بعد استيلاء داود عليها " مدينة داود " وذلك بقصد تغيير الاسم الكنعانى [٣]. ويلاحظ هنا أن الملك داود لم يكن لديه مجال لإيجاد اسم جديد للمدينة بغير اللغة الكنعانية، لأن اللغة في عصر داود كانت اللغة الكنعانية نفسها. لذلك أطلق على المدينة اسم " مدينة داود " ولكن مع ذلك بقى الاسم الكنعانى الأصلى يستعمل ومازالت المدينة تعرف بهذا الاسم.

وفى زمن الرومان حول الإمبراطور هادريان مدينة أورشليم، بعد أن استولى عليها ودمرها سنة ١٣٥ م، إلى مستعمرة رومانية وبدل اسمها إلى " أيليا كبيتولينا " وإيليا هو الاسم الأول لهادريان. ثم أعاد لها قسطنطين اسمها القديم " أورشليم " بعد اعتناقه المسيحية، وكرست أمه الإمبراطورية هيلانة جهدها لكشف مواضع الحوادث المهمة للمسيحيين ولبناء كنائس تذكارا لها [٤]. ومع ذلك يظهر أن تسمية " إيليا " بقيت متداولة بين الناس بدليل ورود هذه التسمية " إيليا " في نفس عهد الأمان الذي أعطاه الخليفة عمر لسكان القدس سنة ١٥ للهجرة (٦٣٦ م) فسموا بـ " أهل إيليا " [٥].

وقد سميت المدينة في العصور التالية بـ " بيت المقدس " و " القدس الشريف "... الخ، وقد سماها الشيخ إسحاق بن حسين المنجم وهو من علماء القرن

(١) وردت كلمة صهيون في الكتاب المقدس حوالى ٢٠٠ مرة وهى تشير في الأصل إلى كونها حسن اليبوسيين (٢ سم، ٥: ٧). راجع أيضا (مز، ٧٦: ٢).

(٢) (عب، ١٢: ٢٢)؛ (رو، ١١: ٢٦).

(٣) (٢ صم، ٥: ٧، ٩)؛ (١ أخ، ١١: ٧)؛ (٢ أخ، ٥: ٢، ١١ - ٥، ٧)؛ (١ مل، ٨: ١).

(٤) ورد اسم إيليا في التوراة للدلالة على أحد الأنبياء ولا علاقة له بالقدس (راج مل ١) ١ ٧: ١، ١٨: ١).

(٥) " آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان "، طبعة الأكاديمية الإيطالية، ١٩٢٩، ص ٤.

الخامس الهجرى بالاسمين: " بيت المقدس إيلياء ".

يتضح مما تقدم أن تسمية أورشليم التي يحاول الصهاينة اليوم عدها من الأسماء العبرية (بمعنى اليهودية) هى في الحقيقة كلمة كنعانية عربية أصيلة وردت بهذا الاسم في النصوص الكنعانية التي وجدت في مصر قبل ظهور اليهود بعدة قرون، ثم بعد أن ظهر اليهود وتكونت اللهجة العبرية المقتبسة من الأرامية في وقت لاحق صار اليهود يسمونها بلغتهم العبرية " يروشلايم ". لذلك فدعوى أن اسم " أورشليم " عبرى الأصل (بمعنى يهودى) دعوى باطلة لا تستند إلى مصدر تاريخى بدليل ورود الكلمة في الكتابات الكنعانية(١)، قبل أن تتكون اللهجة العبرية والمدونات العبرية بنحو ثمانمائة عام وتعترف التوراة اعترافا صريحا بأن ليس لليهود أية صلة بتاريخ أورشليم القديم لا من حيث التسمية ولا من حيث القومية، فلما خاطب حزقيال أورشليم قال: " أبوك أمورى وأمك حثية " (٢)، وذلك على اعتبار أن ملوك أورشليم كانوا من العموريين على ما جاء في التوراة حيث اعتبرت " أدونى صادق " آخر ملوك أورشليم في جملة الملوك العموريين (٣).

٢ – سكانها الأوائل:

كان اليبوسيون الكنعانيون أول من سكن أورشليم ويرجع الخبراء تاريخ وجودهم في المدينة إلى ما قبل خمسة آلاف عام حين نزح الكنعانيون من جزيرة العرب إلى فلسطين، وكانوا يقطنون في المنطقة حوالى أورشليم وكانت أورشليم مركزهم الرئيسى وعاصمة ملكهم، وكونوا في وطنهم الجديد حضارات ذات حكومة وصناعة وتجارة وديانة، وقد ورد ذكر أحد ملوكهم في الكتابات المصرية باسم " عبد خيبا " وهذه تعود إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، كما ورد ذكر ملك آخر في التوراة باسم " ملكى صادق " يعود إلى زمن إبراهيم الخليل (القرن التاسع عشر قبل الميلاد)(٤). وبعد غزو الموسويين لكنعان بقيادة يوشع اتحد ملك اليبوسيين " أدونى صادق " مع أربعة من الملوك المجاورين له واستعدوا

(١) انظر ما تقدم عن رسائل العمارنة من الملك " عبد خيبا " إلى فرعون مصر وهى ترجع إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد.
(٢) (حز، ١٦: ٣).
(٣) (يش، ١٠: ٣).
(٤) (تك، ١٤: ٨).

للمقاومة غير أنهم وقعوا في أسر يشوع فأعدمهم " وعلقهم يوما كاملا على الخشب " على حد قول التوراة [١]. ثم اتحد بقية اليبوسيين مع يابين ملك حاصور ضد يشوع إلا أنهم هزموا أيضا وتشتت شملهم [٢]. ومع ذلك لم يتم الاستيلاء على المدينة إلا بعد موت يشوع، حيث حاصرها الموسويون وأخذوها وأشعلوا فيها النار ودمروها ولكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء على القسم المحصن المسمى " حصن صهيون "، فعاد اليبوسيون إلى أرضهم وبقى الحصن بيد اليبوسيين مدة عهد القضاة وعهد الملك شاؤل حتى تبوأ داود العرش فاحتل الحصن يوآب قائد جيشه وسكن داود المدينة واتخذها عاصمة له وسماها " مدينة داود " كما تقدم [٣]. ولما كان مجئ جماعة موسى إلى فلسطين يقع في حوالى سنة ١٢٩٠ قبل الميلاد وأن عصر داود يبدأ في حوالى سنة ١٠١٠ ق.م، فتكون المدينة قد بقيت بيد السيبوسيين حوالى ثلاثمائة عام بعد ظهور موسى حتى احتلها الملك داود.

وتقول التوراة أن بنى بنيامين الذين صارت أورشليم في تخمهم لم يطردوا اليبوسيين " فسكن اليبوسيون مع بنى بنيامين في أورشليم إلى هذا اليوم " [٤] ولعل المقصود بالقول " إلى هذا اليوم " إلى زمن كتابة التوراة قبيل السبى البابلى على الأرجح، وتعترف التوراة في نفس الوقت بأن اليهود لم يستطيعوا طرد اليبوسيين من أراضيهم فتؤكد أن بنى يهوذا لم يقدروا على طردهم فسكنوا معهم في أورشليم إلى هذا اليوم [٥]. ومما يؤيد ذلك أن الملك داود لما أراد أن ينشئ الهيكل في أورشليم قام بشراء الأرض التي اختارها لبناء الهيكل من أصحابها اليبوسيين [٦]، وهذا يدل على أن اليبوسيين بقوا على أملاكهم محتفظين بحقوقهم الشرعية بها.

يتضح مما تقدم أن الروايات المذكورة وهى مأخوذة عن التوراة ذاتها إن هى إلا تأكيد قاطع أن مدينة القدس كانت منذ خمسة آلاف عام مدينة عربية كنعانية، وقد بقيت بيد سكانها اليبوسيين أكثر من ألفى عام قبل عهد موسى، كما بقيت بيد

(١) (يش، ١٠: ١ - ٢٧).
(٢) (يش، ١١: ١ - ٩).
(٣) (١ أخ، ١١: ٥، ٧).
(٤) (٢ صم، ٥: ٧، ٩).
(٥) (قض، ١: ٢١).
(٦) (يش، ١٥: ٦٢).

أهلها ثلاثمائة عام بوجود الموسويين في فلسطين [١]، ثم بعد دخول اليهود إليها في عهد داود بقى سكانها على أراضيهم وفى بيوتهم وعاش اليهود في فترة وجودهم أقلية بينهم حتى تم سبيهم إلى بابل في عهد الكلدانيين، فعاد سكان أورشليم واستقلوا بمدينتهم استقلالا تاما، كما أن اليهود الذين رجعوا إلى أورشليم في عهد الأخمينيين الفرس كانوا أقلية ضئيلة وقد منعهم سكان أورشليم العرب من إعادة بناء هيكلهم، وقد استمر وجودهم كأقلية ضئيلة في المدينة كما تقدم حتى أزيلوا نهائيا منها في عهد الرومان فرجعت المدينة إلى أهلها كالسابق.

وأوضح دليل على ان سكان أورشليم كانوا في جميع الأدوار التاريخية أكثرية في المدينة هو أن اليهود في عهد الانقسام انحرفوا عن ديانة موسى ومارسوا هم وملوكهم الوثنية وبنوا المرتفعات لعبادة الأصنام في نفس أورشليم، وظلوا على هذا المنوال يمارسون الوثنية ثلاثمائة عام، مما يثبت أن الوثنيين أهل المدينة كانوا الأغلبية في أورشليم ففرضوا ديانتهم على الأقلية اليهودية خلال فترة وجودهم فيها [٢].

٤ - جغرافية المدينة وطبويوافيتها:

تقع أورشليم عند الدرجة°٣١ ٤٦ ٣٤ من خطوط العرض شمالا، والدرجة ٣٥ ١٨ ٣٥ من خطوط الطول شرقى غرينويتش، وهى تبعد ٣٢ ميلا عن البحر المتوسط غربا وحوالى ١٨ ميلا عن البحر الميت شرقا و ١٩ نيلا عن الخليل (حبرون) جنوبا و ٣٠ ميلا عن السامرة (سبسطية) شمالا. ويبلغ معدل ارتفاع المدينة ٢٥٠٠ قدم فوق سطح البحر المتوسط، ٣٨٠٠ قدم فوق سطح البحر الميت.

وتتميز أورشليم بموقعها الجغرافى الاستراتيجى، فالطبيعة منحتها أقوى التحصينات لحماية نفسها من الغزو، فهى تقع على أرض مرتفعة محاطة من جميع أطرافها بأودية عميقة، يحدها من الشرق " وادى قدرون " ومن الغرب " وادى هنوم ". ويبدأ الواديان في الطرف الشمالى الغربى من المدينة ويلتقيان في جنوب المدينة وبذلك يحوطان المدينة من أطرافها الثلاثة، الشرق والغرب والجنوب.

يبتدئ " وادى قدرون " (الوادى الشرقى) على بعد ميل ونصف الميل إلى

(١)(٢ صم، ٢٤: ٢٤ - ٢٥).

(٢) انظر ما تقدم عن " اليهود بين الوثنية والتوحيد "، في الفصل السادس.

الشمال الغربى من المدينة فيسير أولا إلى الشرق إلى أن يصل إلى زاوية السور الشمالية الشرقية [١]، ثم ينحرف بميل حاد نحو الجنوب فينحدر بين سور المدينة من الجانب الغربى وبين جبل الزيتون وتل الزيتون وتل المعصية من الجانب الشرقى [٢]. حتى يلتقى بوادى هنوم المنحدر من جهة الغرب، ثم ينحدر المجرى الموحد بعد ذلك إلى " مارسابا " حيث يسمى " وادى الراهب " ومن ثم يمتد إلى البحر الميت ويسمى هناك " وادى النار ".

ويسمى الوادى حاليا باسم " وادى ستى مريم " وكان يعرف في القديم باسم وادى قدرون ومعناه الوادى الأسود، وكان يسمى أيضا وادى " يهو شافاط " وقد ورد ذكره في اخبار الملك داود حيث عبره عندما فر من وجه ابنه أبشالوم وكذلك مر المسيح عليه السلام به [٣]. وفى هذا الوادى أحرقت تماثيل معكة [٤] وطرحت جميع أدوات العبادة الباطلة التي تنجس بها هيكل الرب [٥]، ويبلغ ارتفاع وادى قدرون ٢١٧٩ قدما فوق سطح البحر.

أما الوادى الغربى أى وادى هنوم، فينحدر رأسا إلى الجنوب من شمال غربى المدينة ثم ينعطف شرقا بعد وصوله حد المدينة الجنوبى حتى يتصل بالوادى الشرقى (وادى قدرون) عند الموضع المسمى " بئر أيوب ". ويسمى هذا الوادى حاليا باسم " وادى ربابة " أما اسمه القديم كما ورد في التوراة فهو " وادى هنوم " [٦]، ووادى بنى هنوم [٧]، ووادى ابن هنوم [٨].وكان الجزء الجنوبى الشرقى من الوادى يسمى " توفة " [٩] أو وادى القتل [١]، وأجاز آحاز ومنسى أولادهما بالنار في هذا

---

(١) انظر ما يلى عن أسوار المدينة.

(٢) يبلغ ارتفاع جبل الزيتون ٢٦٨٢ قدما فوق سطح البحر، أما تل المعصية فيقع على الطرف الجنوبى من جبل الزيتون، وقد سمى كذلك لأنه كان موضع عبادة الأوثان في زمن سليمان.

(٣) (٢ صم، ١٥: ٢٣، ٣٠)؛ (يو (١٨: ١).

(٤) (١ مل، ١٥: ١٣)؛ (٢أخ، ١٥: ١٦).

(٥) (٢ أخ، ٢٩: ١٦، ٣٠: ١٤)؛ (٢ مل، ٢٢: ٤، ٦، ١٢).

(٦) (يش (١٥: ٨)؛ (نح، ١١: ٣٠).

(٧) (٢ مل، ٢٣: ١٠).

(٨) (يش، ١٥: ٨، ١٨: ١٦)؛ (٢ أخ، ٢٨: ٣)؛ (أ ر، ٧: ٣٢).

(٩) (ار، ٧: ٣١)؛ (٢ مل، ٢٣: ١٠).

الوادى على عادة أهل كنعان[٢]، ويبلغ ارتفاع هذا الوادى ٢٠٢٩ قدما.

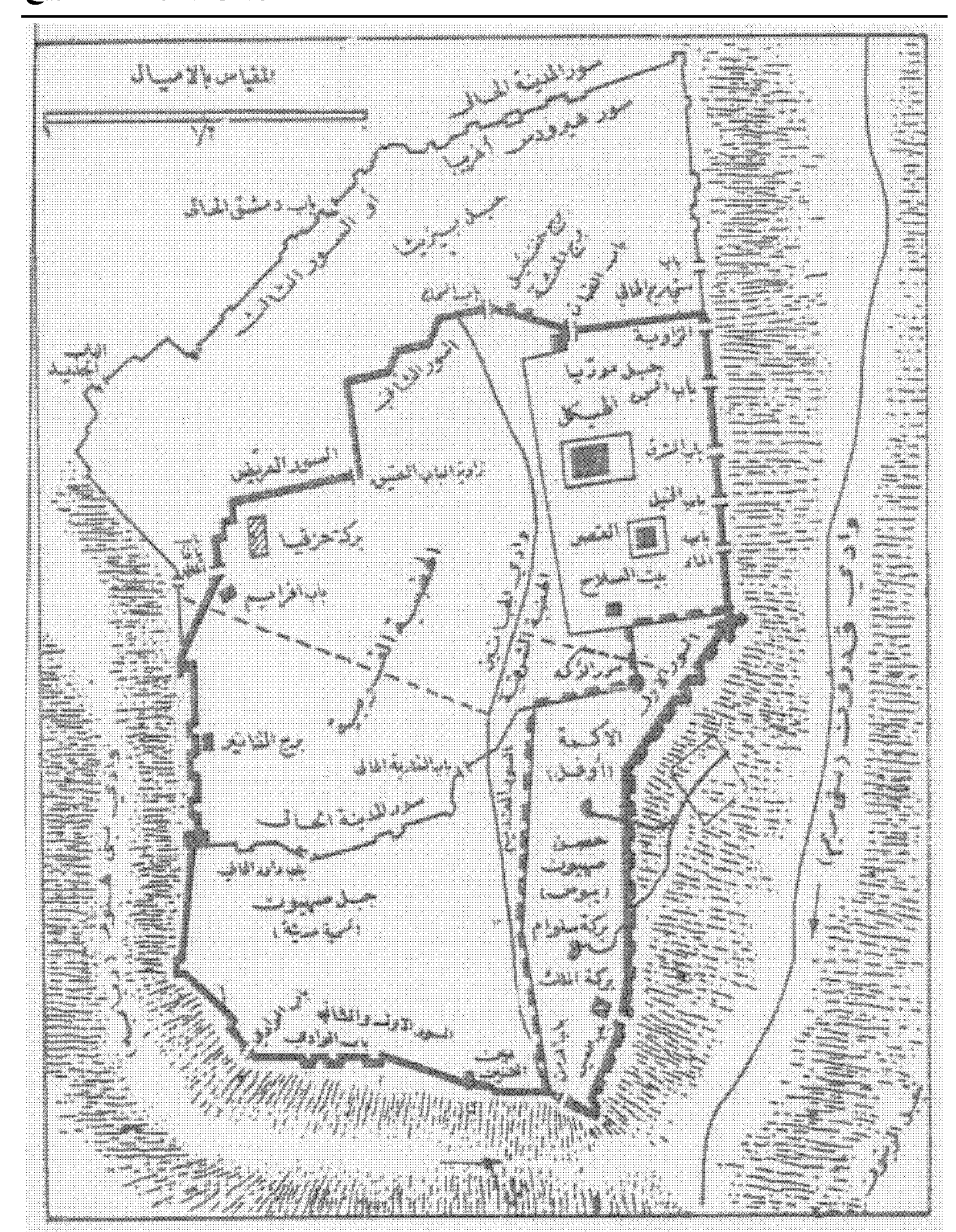
وكنا هناك واد ثالث يخترق أرض المدينة يبدأ شمالا من قرب باب دمشق الحالى وينحدر جنوبا إلى وادى قدرون عند البركة الحمراء، فيقسم أرض المدينة قسمين مؤلفين من هضبتين مستطيلتين، الهضبة العربية ويحدها وادى هنوم من الغرب والهضبة الشرقية يحدها وادى قدرون من الشرق، وكان هذا الوادى يعرف باسم " وادى الجبانين " (صانعى الجبن) وهو مطموم الآن ولم يبق له أى أثر في الوقت الحاضر، كما كان هناك واد رابع يبتدئ من جهة الغرب من قرب باب يافا الحالى فيسير شرقا في اتجاه شارع داود الحالى حتى ينتهى إلى " وادى الجبانين " فيقسم الهضبة الغربية إلى قسمين، وإلى الشرق من وادى الجبانين كان هناك خندق يقطع الهضبة الشرقية عرضا فيقسمها قسمين شمالى وجنوبى أيضا. وهكذا أصبحت المدينة تنحصر بين أربعة أقسام مرتفعة هى القسم الشمالى والجنوبى من الهضبة الغربية ثم القسم الشمالى والجنوبى من الهضبة الشرقية (انظر المرتسم رقم ١٨ " مخطط أورشليم في أقدم عصورها ").

وأقدم بناء في المدينة هو الحصن الذي كان قد أقامه اليبوسيون سكان أورشليم الأصليون في القسم الجنوبى من الهضبة الشرقية، فأقاموا حوله سورا وشيدوا في طرف الحصن برجا عاليا يسيطرون منه على المنطقة كلها، واليبوسيون فرع من القبائل الكنعانية التي كانت قد نزحت من جزيرة العرب واستقرت في فلسطين منذ أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد، لذلك سميت المدينة باسمهم " يبوس " فأصبحت هذه التسمية مرادفة لأورشليم، وقد ورد ذكرها في التوراة على هذا الشكل " يبوس هى أورشليم " و " أورشليم مدينة اليبوسيين، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك، وكان يعرف حصن يبوس بحصن صهيون أيضا، كما كان يعرف الجبل الذي أقيم عليه الحصن بالأكمه أو " أوفل " [٣]، وأحيانا " جبل صهيون " [٤]، ويبلغ ارتفاع جبل صهيون هذا ٢٥٥٠ قدما فوق سطح البحر

(١) (ار، ٢٣:٧، ١٩: ٦).
(٢) (٢ مل، ١٦: ٣)؛ (٢ أ خ، ٢٨: ٣، ٣٣: ٦).
(٣) (قض، ١٩: ١٠، ١٢).
(٤) (٢ مل، ٥: ٢٤)؛ (٢أ خ، ٢٧: ٣)؛ (٣٢: ١٤)؛ (أش ٣٢: ١٤)؛ (مى، ٤: ٨).

وينحدر باتجاه وادى قدرون نزولا إلى ارتفاع ٢٠٢٩ قدما. وفى موضع حصن صهيون أنشأ السلوقيون قلعة كانت تعرف باسم " قلعة عكرا أو " أكرا " وقد سقطت بيد سمعان المكابى سنة ١٤١ ق.م [١].

(١) (عب، ١٢: ٢٢) ن انظر ما تقدم عن تسمية المدينة.



المرتسم رقم (١٨)
مخطط أورشليم في أقدم عصورها
(مقتبس عن كتاب " قصة التوراة " ن ج١، ص ٢ - ٥ مع بعض التحوير)

وقد كان طبيعيا أن يقع اختيار اليبوسيين على موقع أورشليم بالذات

وذلك لما يتصف به هذا الموقع من مميزات استراتيجية طبيعية تجعله على جانب كبير من المناعة. وقد حبت الطبيعة هذا الموقع بأهم ما يحتاجه السكان وهو الماء، ففي جوار حصن يبوس شرقا يوجد نبع غزير في وادى قدرون كان يعرف باسم " جيحون " وهو غير نهر جيحون المعروف في تركستان [١]. وكان اليبوسيون قد حفروا نفقا تحت الجبل لنقل مياه النبع إلى داخل الحصن، ويرجع هذا المشروع إلى عهد الكنعانيين (انظر ما تقدم عن مشاريع الكنعانيين المائية في الفصل الأول) وفى وقت لاحق قام الملك حزقيا ملك يهوذا (٧١٥ - ٦٨٦ ق.م) بمد هذا النفق، بعد إغلاقه في اتجاهه الشمالى، إلى جهة الغرب وأنشأ في نهايته جنوبا بركة صارت تعرف باسم " بركة سلوام " وأقام أبنية عند فم البركة " وحزقيا سد مخرج مياه جيحون الأعلى وأجراها تحت الأرض إلى الجهة الغربية " [٢].

وقد ورد ذكر هذا النفق في التوراة في أخبار الملك داود فسمى بالقناة. ويرى البعض أن الملك داود اكتشف مدخله السرى من خارج السور فأدخل رجاله فيه حتى وصلوا إلى منتهاه في داخل السور وباغتوا اليبوسيين داخل الحصن واحتلوه دون قتال [٣].

وقد اكتشف هذا النفق البالغ طوله ١٧٥٧ قدما سنة ١٨٨٠م وعثر على مسافة ١٩ قدما من بركة سلوام داخل النفق على كتابة قديمة ترجع إلى عهد اليبوسيين منقوشة على الحجر وصفت فيها عملية النحت في الجبل لسحب مياه النبع. وكانت هناك بركة أخرى أسفل بركة سلوام كانت تعرف ببركة الملك [٤]، أو البركة

(١) صهيون كلمة كنعانية الأصل يرجع استعمالها إلى عصور ما قبل بنى إسرائيل ولا يعرف معناها. ورد ذكر صهيون ١٥٢ مرة في العهد القديم وسبع مرات في العهد الجديد (راجع مادة في دائرة المعارف البريطانية، ١٩٦٥، ٢٣: ٩٥٥).
(٢) (٢ أخ، ٣٢: ٣٠)؛ (٢ مل، ٢٠: ٢٠)؛ (نح، ٣: ٥١).
(٣) (٢ صم، ٥: ٨).
Lods, "Israel", P. 61. ; "The Story of the Bible", p. 377.
(٤) (نح، ٢: ١٤).

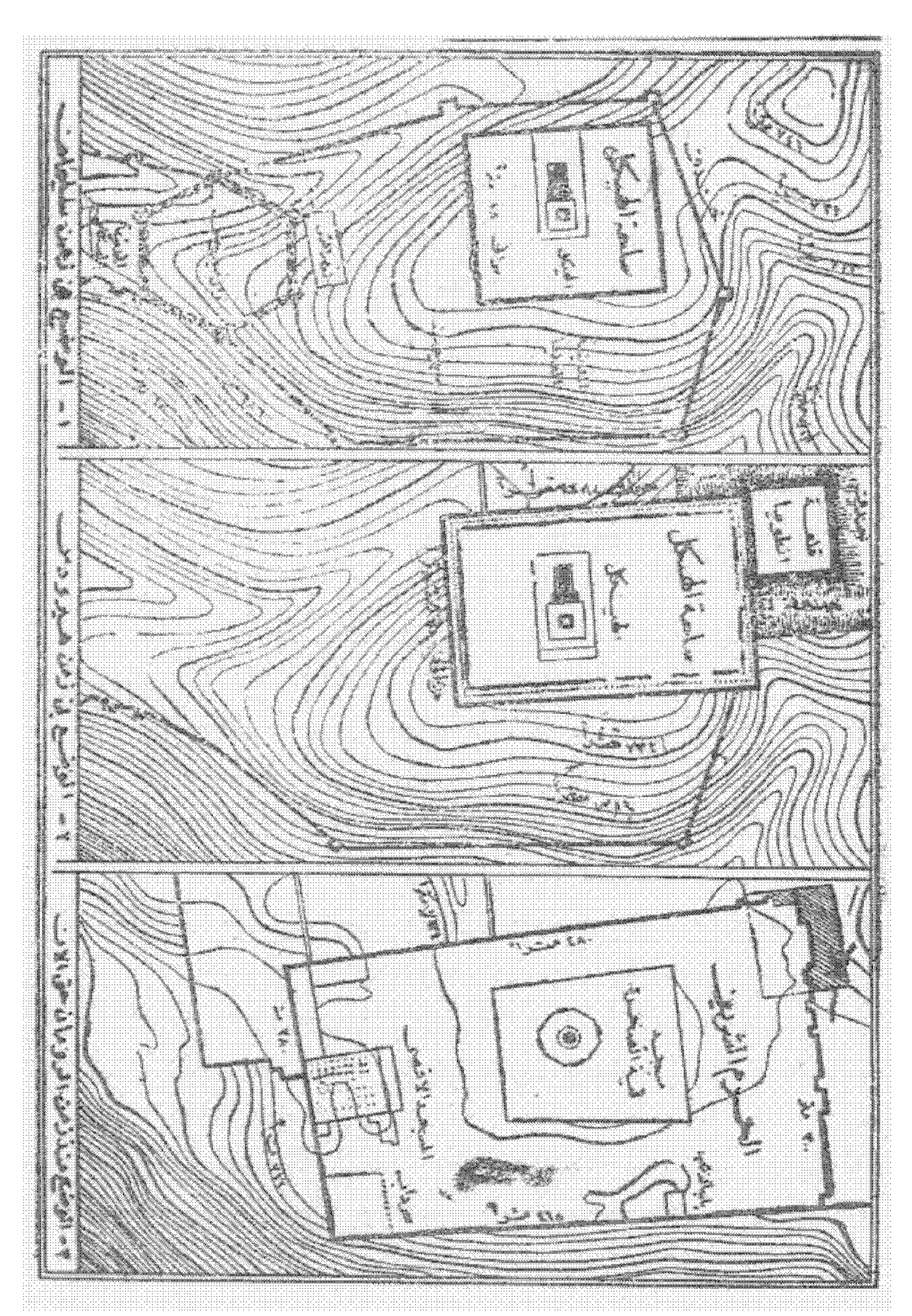
السفلى[١]، ووردت أسماء برك أخرى في التوراة منها بركة شيلوة [٢] وعين روجل[٣] يعتقد أنها أسماء لنفس المشروع. والحصن والبركة يقعان اليوم خارج سور المدينة الحالى في الطرف الجنوبى الشرقى منها. هذا وفى الجانب الغربى من المدينة أقام حزقيا نفقا يبدأ من وادى هنوم ويمر تحت سور المدينة بالقرب من باب حيفا الحالى وينتهى عند البركة المعروفة ببركة حزقيا حتى هذا اليوم.

وقد بقى حصن يبوس (حصن صهيون) بيد اليبوسيين بعد مجئ الموسويين حوالى ثلاثة قرون كما سبقت الإشارة إلى ذلك لعدم استطاعتهم اقتحامه، وذلك حتى تولى الملك داود الحكم في إسرائيل فجمع كل إسرائيل وذهب معهم إلى أورشليم أى يبوس، وقال داود الذي يضرب اليبوسيين أولا يكون رأسا وقائدا، فتقدم يوآب واقتحم الحصن فصار رأسا، وأقام داود في الحصن لذلك دعى " مدينة داود " وبنى داود مستديرا من القلعة فداخلا وجدد يوآب سائر المدينة [٤].

وقد اختار داود القسم الشمالى من الهضبة الشرقية، أى القسم الذي يقع شمال " حصن صهيون " ليبنى الهيكل فيه، ويعرف هذا القسم بجبل المريا وارتفاعه ٢٤٤٠ قدما أى أوطأ من قمة جبل صهيون بمئة وعشر أقدام، وكان موضع المريا هذا بيدرا للحبوب وكان ملكا لأرنان أو أرونة اليبوسى فاشتراه داود من صاحبه بخمسين شاقلا من الفضة وبنى فيه مذبحا للرب محرقات وذبائح سلامة [٥].

---

(١) (أ ش، ٨: ٩).
(٢) (أش، ٩: ٦).
(٣) (١ مل، ١: ٩)؛ (٢ صم، ١٧: ١٧).
(٤) (أ خ، ١١: ٤ - ٩)؛ (٢ أ خ، ٥: ٢)؛ (٢ صم، ٥: ٧ - ٩).
(٥) (٢ صم، ٢٤: ٢٤ - ٢٥)؛ (١ أخ، ٢١: ٢٢ - ٢٨).



المرتسم رقم (١٩)

منطقة الهيكل في أدوارها الثلاثة في عهد سليمان حتى العهد الإسلامي

(مقتبس عن كتاب دليل فلسطين التاريخي)

وفى نفس الموضع بنى سليمان الهيكل بعد [١]، ويسمى الآن موضع الهيكل القديم الحرم الشريف وفى وسطه مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى إلى الجنوب منه. ويعتقد أن موقع الصخرة هو الموقع الذي عين لتقديم إبراهيم ابنه إسماعيل [٢] قربانا عندما أراد الله امتحانه حيث ورد في التوراة ما يشير إلى أن الموضع هو أرض المريا [٣].

وقد سمى يوسيفوس القسم الجنوبى من الهضبة الشرقية، أى موضع حسن يبوس (حصن صهيون) المدينة السفلى وموضع جبل المريا شمالا المدينة العليا. ويقع إلى الشمال من جبل المريا (جبل بيزيثا) وارتفاعه ٢٥٢٩ قدما، وكان هذا الجبل خارج حدود السور القديم ثم أصبح داخل السور الجديد وهو السور الحالى [٤].

وفى القسم الجنوبى من الهضبة الغربية إلى الغرب من جبل صهيون جبل يسمى اليوم خطأ جبل صهيون وهو غير جبل صهيون الأصلى الذي يقع إلى الشرق منه في القسم الجنوبى من الهضبة الشرقية، ولعل تسميته الحديثة هذه

(١) (٢ أخ، ٣: ١).

(٢) لقد اختلف المفسّرون في الذي أمر إبراهيم عليه السلام بذبحه من ولديه، أهو إسماعيل أم إسحاق؟ ، فقال بعضهم هو إسماعيل ، وقال آخرون بل هو إسحاق، وقد ناقش الطبري في تفسيره (الطبعة المصرية، ١: ١٨٤) أقوال الطرفين وخرج من مناقشته بتبني رأي القائلين بأنه إسحاق، غير أن المفسرين المحدثين قد توصلوا من تفسير سور القرآن الكريم أن الذبيح منهما هو إسماعيل وليس إسحاق كما تذكر التوراة " خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق إلخ .. " (تك، ص ٢٢)، " لأن القرآن الكريم يشير بوضوح إلى أن البشرى بعد قصة الذبح، أي قبل أن يولد إسحاق، وهذا يؤكد أن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق (انظر تفسير الأستاذ النجار، " قصة الأنبياء " الطبعة الثالثة، ص ١٠٣)، كما أيده كثير من المفسرين المحدثين (راجع الأستاذ عفيف عبد الفتاح طبارة)، " مع الأنبياء في القرآن الكريم "، والمدقق في أقوال التوراة يجد أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق بوصفها إياه بالوحيد ، وإسحاق ليس وحيد إبراهيم إذ أن التوارة تنبي بولادة إسماعيل عندما قطعت ساراي امرأة إبراهيم الرجاء في إنجاب الأولاد، وبذلك لا يمكن أن يكون الوحيد غير " إسماعيل " أما إسحاق فهو ابنه الثاني وقد ولد له بعد قصة الذبح كما يستبان ذلك من أقوال التوراة ذاتها ، وعليه يكون الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق بحسب التوراة ذاتها بوصفه " الابن الوحيد " لإبراهيم عليه السلام.

(٣) (تك، ٢٢: ٢).

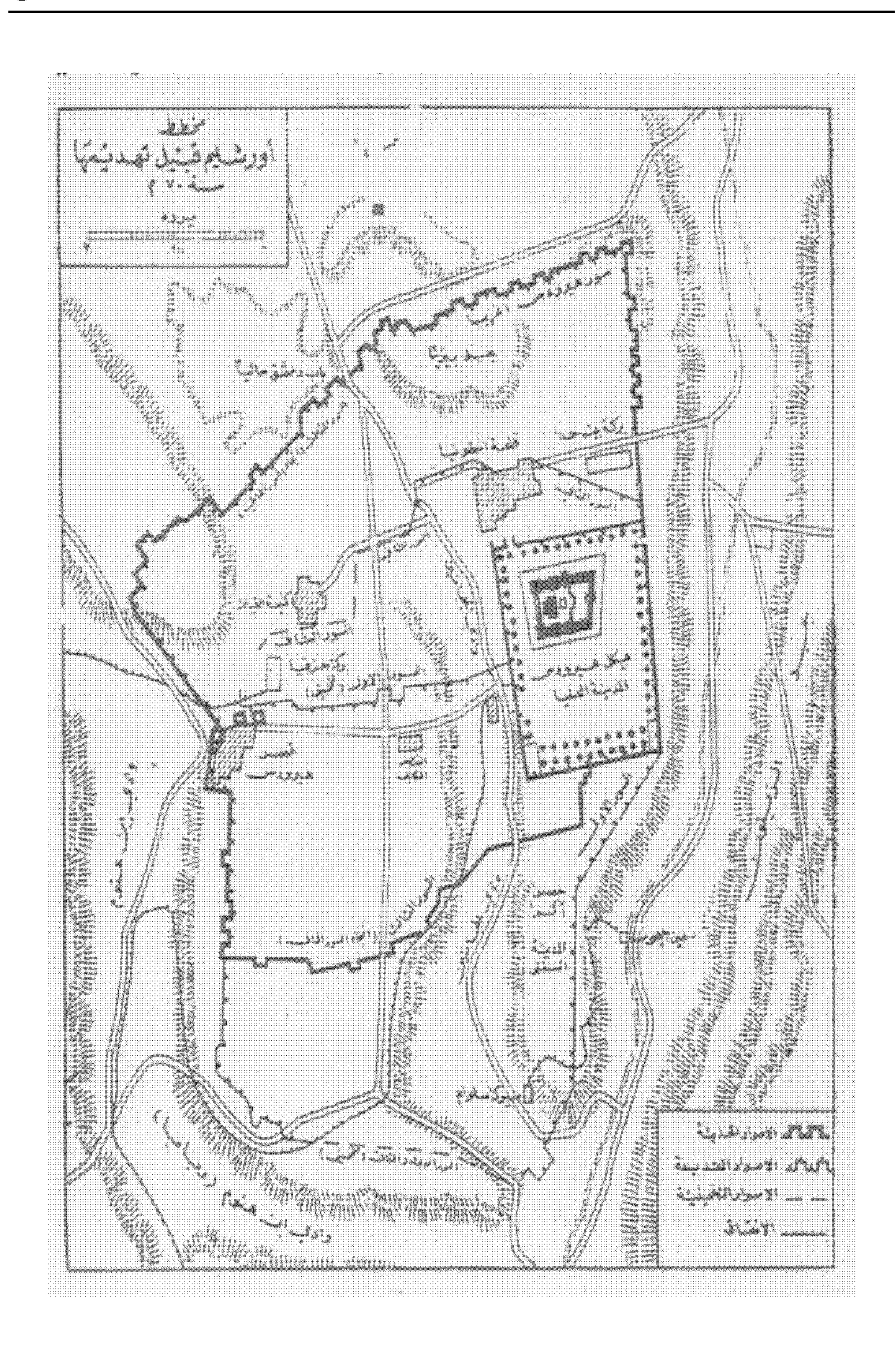
(٤) انظر ما يلى عن أسوار المدينة.

مشتقة من تسمية الجبل الشرقى الأصلى، ويبلغ ارتفاع هذا الجبل ٢٨١٦ قدما وينحدر جنوبا إلى وادى هنوم إلى ٢٥٠٥ قدما ويقع اليوم خارج سور المدينة الحالى في الطرف الجنوبى الغربى منها.

٥ – أسوار المدينة – قديما وحديثا:

أ – السور القديم (السور الأول):

ولما كانت الأسوار جزءا من حياة المدن في تلك العصور القديمة فلابد من نبذة عن تاريخ أسوار أورشليم في مختلف أدوارها: إن أقدم أسوار المدينة هو السور الذي يرجع إلى عهد اليبوسيين سكان أورشليم الأصليين والذى كان يحيط بحصن يبوس أو " حصن صهيون "، فيشكل شبه مستطيل يتوسطه الحصن، وكان النفق الذي يسحب المياه من عين جيحون ينتهى إلى البركة داخل هذا السور، وبعد احتلال الملك داود للحصن في القرن العاشر قبل الميلاد أقام أبنية أضافها إلى الحصن وسميت المنطقة " مدينة داود " رغبة منه في تبديل اسمها الكنعانى الأصلى على الأرجح، ثم اشترى أرض المريا الواقعة إلى الشمال من حصن يبوس وبنى فيها مذبحا للرب. ومن المحتمل جدا أنه وسع السور اليبوسى ليضم داخله جبل المريا، كما أنه من المحتمل أن يكون الملك سليمان قد قام بتقوية هذا السور وتوسيعه بعد أن أقام الهيكل في أرض المريا. وهذا هو السور الأول ولا يوجد الآن أى أثر ظاهر لهذه الأسوار القديمة، كما أنه لا يوجد أى أثر للأسوار التي ترجع إلى الفترة التي تلى عهد سليمان والتى تبدأ بعهد الانقسام وتنتهى بتهديم الهيكل والسور في عهد نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ ق.م، وذلك لكثرة التغييرات التي وقعت خلال هذه الفترة نتيجة التهديم وإعادة البناء مرات عديدة. وقد دلت التنقيبات الآثارية على أن أساسات سور الهيكل القديم تقع على نحو من ٨٠ قدما تحت سطح الحرم الشريف حاليا وذلك نتيجة توالى التخريب والهدم، يتضح مما تقدم أن التحصينات اليبوسية التي يرجع تاريخها إلى أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد كانت قائمة في أورشليم لفترة حوالى ألفي سنة قبل أن يحتلها الملك داود.



المرتسم رقم (٢٠)

ب – السور الثانى:

وأقدم وأوضح وصف لدينا لسور أورشليم هو الوصف الكامل الذي ورد في التوراة للسور الذي أعيد بناؤه بعد السبى البابلى في عهد نحميا (سنة ٤٤٤ ق.م) والذى يعتبر ثانى سور للمدينة، وقد اتبع في إعادة الإنشاء نفس الخط الذي كان يسير عليه السور القديم الذي كان قد أقامه منسى ملك يهوذا سنة ٦٤٤ ق.م، وقد استعملت نفس الأسماء القديمة لأبواب السور وأبراجه. ويعطينا هذا الوصف فكرة واضحة عن اتساع المدينة في ذلك العصر [١]. حيث كان السور يبدأ من باب الضأن شمال الهيكل ويمتد غربا ثم جنوبا ثم شرقا وشمالا حتى يعود فيتصل بنقطة البداية. (انظر " مخطط أورشليم في أقدم عصورها ") والأبواب حسب تسلسلها ثلاثة في السور الشمالى وهى باب الضأن وباب السمك والباب العتيق، وباب السمك سمى كذلك لأنه كان الموضع الذي تدخل منه الأسماك المستوردة من صور [٢].

ويلاحظ أن السور عند الزاوية الشمالية الغربية أضخم من سائر أقسامه، وتعليل ذلك هو أن هذا القسم كان مجردا من وسائل الدفاع الطبيعية بخلاف ما كانت عليه بقية الأقسام التي تخيط بها الأودية من كل أطرافها [٣]. أما الأبواب الأخرى فهى: باب أفرايم غربا، وبابا الواد والدمن جنوبا، وأبواب العين والماء والخيل والشرق والسجن والزاوية شرقا. وأهم أبراج السور كانت تقع في الطرف الشمالى وفى الزاوية الشمالية الغربية المكشوفة وهى حسب تسلسلها: برج المئة وبرج حننئيل وبرج التنانير. وتبلغ المساحة داخل هذا السور حوالى ٢٠٠ أيكر (٣٣٦ دونما عراقيا) وهذه كانت تضم السكان الأصليين (اليبوسيين وغيرهم) الذين بقوا مع اليهود ثم استأثر السكان الأصليون بجميع المنطقة واستقلوا بها بعد سبى اليهود من أورشليم سنة ٥٨٦ ق.م، حتى عاد بعض اليهود في العهد الفارسى فأعادوا بناء الهيكل والسكان الأصليون باقون في أرضهم.

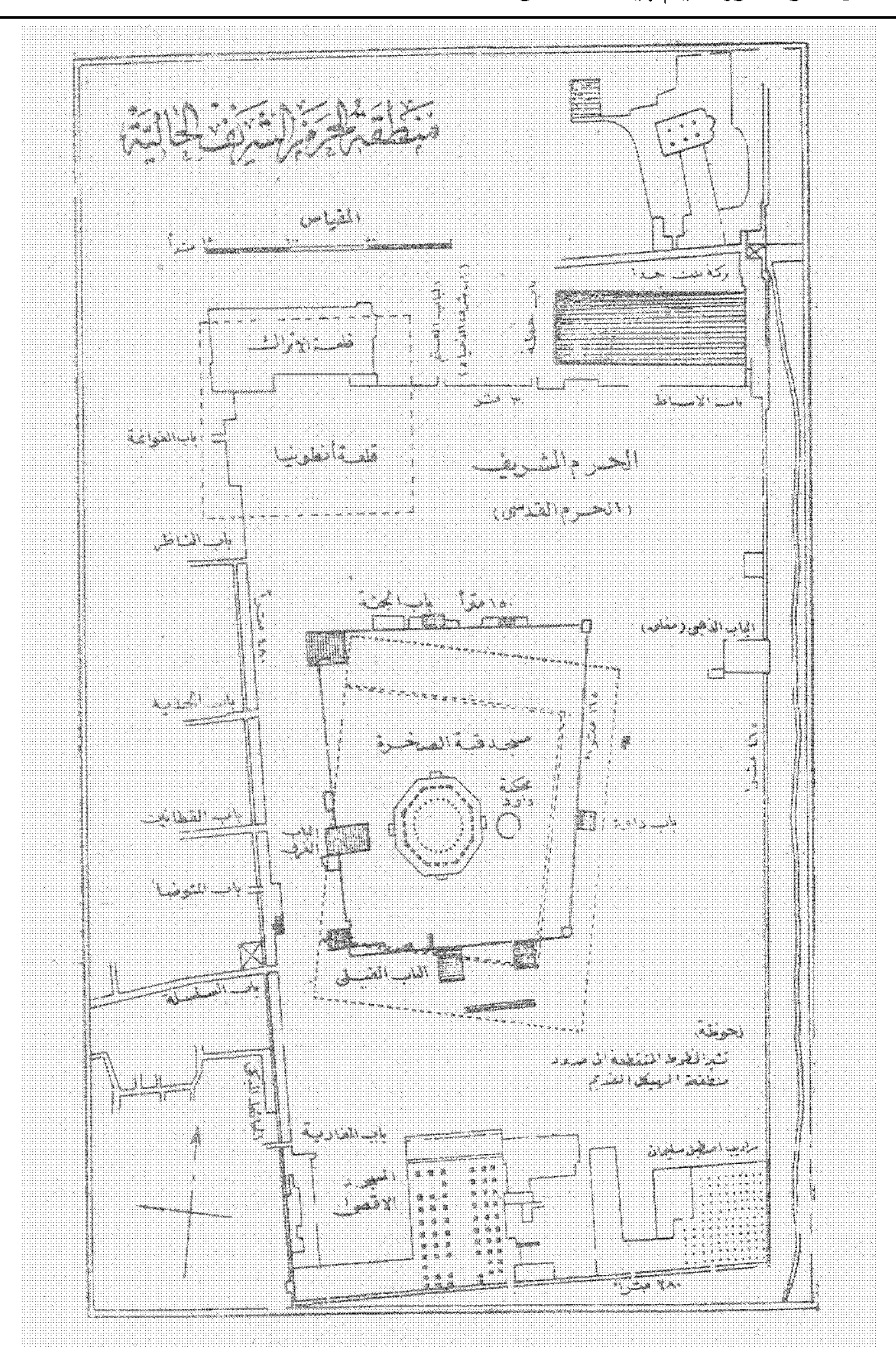
---

(١) (نح، ٣: ١ - ٣٢).
(٢) (نح، ١٣: ١٦).
(٣) (نح، ٣: ٨، ١٢: ٣٨).

ج – السور الثالث والأخير:

والأرجح أن معظم السور الذي بناه نحميا بقى في عهد المكابيين (١٦٧ - ٣٧ ق.م) على رغم دك بطليموس الأول جانبا منه سنة ٣٠٠ ق.م، وانطيوخس الرابع جانبا آخر سنة ١٦٨ ق.م، وفى عهد هيرودوس الكبير (٣٧ - ٤ ق.م) تمت تقويته دون أى تغيير في تخطيطه على الأرجح. وفى عهد هيرودس أغريبا (٤١ - ٤٤ م) شرع اليهود في بناء سور جديد في الجهة الشمالية غير أن الإمبراطور الرومانى كلوديوس منعهم من متابعة العمل لكنهم أتموا بناءه قبل حصار تيطس سنة ٧٠م، وهذا هو السور الثالث وسمى ايضا سور هيرودس أغريبا، وقد ضم هذا السور منطقة بيزيثا الشمالية ومازال السور الشمالى الحالى للمدينة يسير بنفس هذا الاتجاه. هذا في حين أن حدود المدينة من الجنوب تقلصت بتراجع السور إلى الداخل إلى نفس الاتجاه الذي يسير فيه السور الجنوبى للمدينة حاليا. وقد ظل هذا السور يتأرجح بين الهدم وإعادة البناء كلما تحولت المدينة من يد إلى أخرى في العصور التالية، ولكن على رغم هذه التقلبات حافظ على اتجاهه الأخير، والسور الذي نشاهده اليوم حول المدينة الحالية هو الذي جدده سليمان باشا القانونى، دامت عمارته خمسة أعوام (١٥٣٦ - ١٥٤٠م)، وأضاف إليه عددا من الأبراج، وفوق الأبواب كتابات على الجدران تشير إلى ذلك [١] (انظر المرتسمين ٢٠ و ٢٢).

(١) عارف العارف، " تاريخ القدس "، ص ١٧٣.

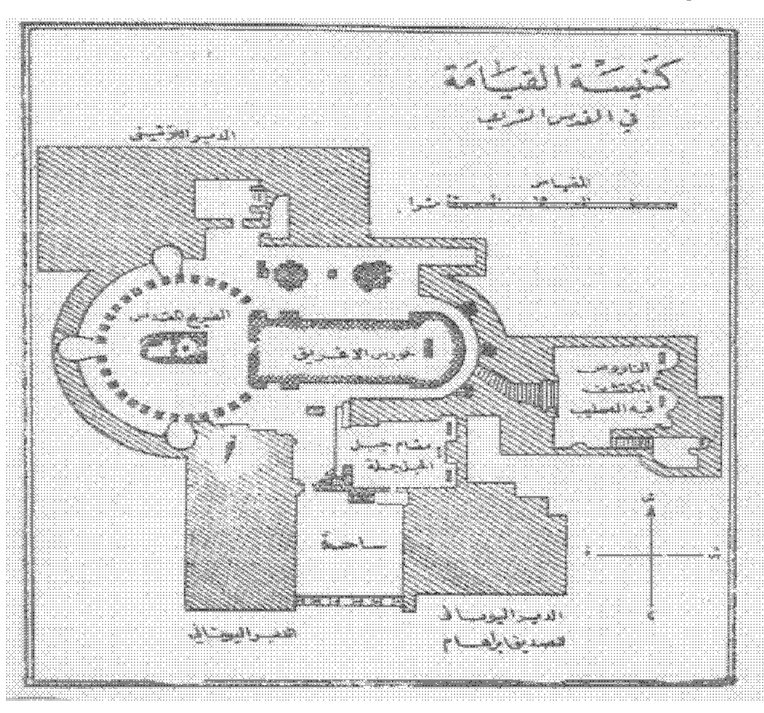


المرتسم رقم (٢١)

٦ – تاريخ المدينة القديم:

إن تسلسل الأحداث التاريخية التي مرت على أورشليم منذ تأسيسها في عهد اليبوسيين في أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد حتى تخريبها سنة ١٣٥ في عهد الرومان (فترة حوالى ثلاثة آلاف عام) تحدد أدوار المدينة التاريخية بخمسة أدوار منفصلة تقريبا وهى:

أولاً: دور ما قبل ظهور النبى موسى عليه السلام، ثم دور النبى موسى عليه السلام وأتباعه، ويليه دور الفرس فاليونان وأخيرا عهد الرومان، وقد شرحنا فيما تقدم طرفا من تاريخ مدينة القدس القديمة وجغرافيتها في أقدم عصورها، ويجد القارئ في الفصل الأول بحثا مفصلا عن تاريخ اليبوسيين (الكنعانيين) سكان أورشليم الأصليين، وهم الذين لعبوا دورا مهما في فترة ما قبل ظهور النبى موسى عليه السلام على مسرح الأحداث، كما يجد في الفصل السادس عرضا لحوادث الأدوار التي مرت على فلسطين، وهى تشمل عهد الموسويين وعهود الفرس واليونان والرومان، ولما كان تاريخ أورشليم في هذه الأدوار هو نفس تاريخ فلسطين لما كان لأورشليم من مكانة بارزة في حياة فلسطين ككل، فلم نر ما يدعو إلى تكرار هذه الأحداث التي وردت في مطاوئ الكتاب، لذلك نكتفي بما أشرنا إليه، ويجد القارئ في المرتسمات المرقمة ١٨ - ٢٣ إيضاحا لتسلسل التطورات في مجرى تاريخ المدينة عمرانيا.



المرتسم رقم (٢٢)

المراجــع

العرب واليهود في التاريخ

أولا: المراجع الأجنبية

Baedekers (Karl) :
Palestine and Syria r, Jerusalem, 5th. ed.. 1912. pp. 19-107 (with maps).

Besant (W.) and Palmer (H).
"The History of. Jerusalem", London, 1888; "Jerusalem the City of Herod and Saladin"

Bevan (E.) :
"Jerusalem under the High Priests", London. 1904.

Caldecott (W. S.) :
The second Temple in Jerusalem D, London, 1909.

Chipiez et Perrot :
"Le Temple de Jerusalem", Paris, 1889.

Creswell (K. A. C.) :
"Early Muslim Architecture". Oxford, 1932, A1-Sakhra, pp. 42-94 and 147-228; "The origin of Plan of the Dome of the Rock". British School of Archaeology in Jerusalem, Suppl. Papers No, 2. London, 1924

Davis (J. D.) :
"Jerusalem", Dictionary of the Bible, London , 1958 (4th., revised ed.), pp. 368-378.

Ferguson (James) :
"An Essay on the Ancient Topography of Jerusalem".

Hartmann (H.) :
"Der Felsendom in Jerusalem", Strassburgh. 1909.

Hastings (James-editor):
"Jerusalem", A dictionary of the Bible, 1955, Vol. 11, pp 584-601 (with map).

Holford (G.P.):
"Destruction of Jerusalem", 1813.

Join-Lambert (M.) :
"Jerusalem", 1958 .(with bibliography).

Kollek (T.) and Pearlman (M.) :
"Jerusalem Sacred City of Mankind : A History of Forty Centuries".

Lewis (H.) :
The Holy Places of Jerusalem

Maraini (F.) :
"Jerusalem, Rock of Ages", translated by Judith Landry London. 1969, Reviewed by G. Furlonge, Asian Apairs, Vol. 57, Part 1, Feb., 1970, pp. 75 - 76

Mariti :
"Histoire de 1'etat present de Jerusalem", Paris. 1853.

M,erill(S.):
"Ancient Jerusalem" 1908.

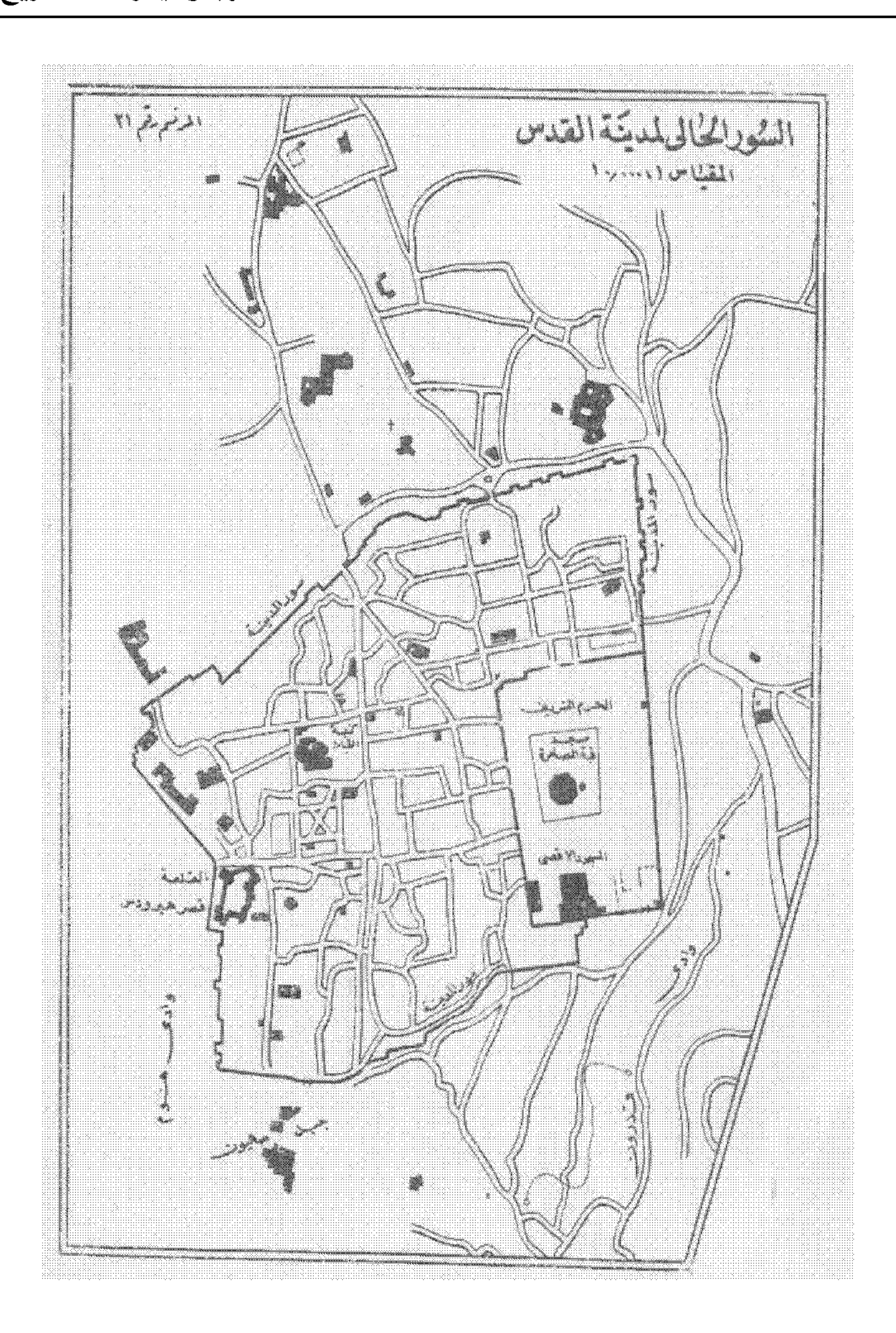
Parrot (A .):
"The Temple of Jerusalem", Studies in Biblical Archaeology, No. 5.

Peake (A.S.):
"Commentary on the Bible", London, 1923.

Perowne(S.H.):
"Jerusalem", Enc. Brit ., Vol. 12, 1965, pp. 1007-1009.

Richmond (E. T.) :
"The Dome of the Rock". Oxford, 1924

Rogers (R. W .) :
"Cuneiform Parallels to the Oold Testament", N. Y., 1912.; "Letters from Abid - Khiba of Jerusalem", pp. 268-278 ; "Campaign against Jehu by Sennacherib", pp. 340-246; "Siege of Jerusalem by Nebuchadnessar", p. 363.; (Texts translated into English from the Originals).



المرتسم رقم (٢١)
السور الحالي لمدينة القدس

Sauvaire (H.) :
"Histoire de Jerusalem et d'Hebrony", (Fragments de la Chroni- que de Mughir ad-Din) . Paris , 1876 .

Schick (C.):
"Beit el Makdes". Jerusalem, 1887.

Simons (J.):
"Jerusalem in the Old Testament, Researches and Theories" 1953.

Smith (G.A.):
"Jerusalem : The Topography, Economics and History from the earliest Times to A. D. 70 r, 2 vols. , 1908.

Strange (Guy Le) :
"Palestine under the Moslems : A Description of Syria and the Holy Land (A.D. 650 to 1500)" , N. Y. , 1890. (vide : Chaps, III-V, "Jerusalem", pp. 83-223); "Description of the Noble Santuary at Jerusalem in 1740 A. D. by Kammal (or Shams) ad-Din Suyuti, Extracts Re-Tsnfislated by Guy Le Strange. Journal of royal Asiatic Society". XIX, 1887, pp. 247-305.

Thubron (C.) :
"Jerusalem" , London, 1969, (256 p. with 84 plates, Reviewed by G. Furlonge, Asian Affairs, Vol. 57, Part 1. Feb., 1970, pp. 75-76.

Vester.(Bertha S) :
"Our Jerusalem".

Vincent (L. H.) :
"Jerusalem Antique", 1912.

Vincent (L. H.) with Steve (A. M.):
"Jerusalem de l'Ancien Testament", .2 vols. , 1954-56.

Vincent (L.H.)with Abel (F.M.):
"Jerusalem: Recherches de Topographie, d'Archeologie

et d'His- toire", Paris.; Jerusalem sous terre. Les reoeentes fouilles d'Ophel London , 1911.

Vitry (Jacque de):
"The History of Jerusalem y, ts. Aubrey Stewart. London, 1896.

VOgue (M.de):
"Le Temple de Jerusalem", Paris, 1864.

Weil (R.):
"Le- Cite de David", Paris . 1920.

The Story of the Bible:
Told by Living Writers of Authority. London, 2 Vols.

Shorter Encyclopedia of Islam :
"Al-Kuds", E. J. Brill, 1953, pp 269 ff.

Jews Encyclopedia :
"Jerusalem", 1914, Vol. VII, pp. 118-157 (With maps).

The Standard Jewish Encyclopedia :
"Jerusalem", pp. 1026-1032.

Encyclopedia Biblica :
"Jerusalem". 1910, Vol. II. pp. 2407-2431 (With maps).

Jerusalem Through The Ages :
"The Twenty - fifth Archaeological Convention" .

Map of the City of Jerusalem :
Scale 1:10.000 compiled by the National Geographic Society for the National Geographic Magazine., Dec. , 1963.

"La Palestine":
Guide Historique et Pratiuqe avec cartes et Plans, 3eme edition revue et augment6e, Paris, 1922.

* * *

المراجع العربـيـة:

جبرا (إبراهيم جبرا):

" الرحلة الثامنة - القدس: الزمن المجد "، صيدا، ١٩٦٧، ص ١٥٥ - ١٧٦ (قطعة أدبية رائعة عن القدس).

الحسيني (الدكتور إسحاق موسى):

" عروبة بيت المقدس "، منظمة التحرير الفلسطينية (دراسات فلسطينية العدد ٦١، ١٩٦٩). **الطنطاوى (محمد):**

" المسجد الأقصى عبر القرون "، مجلة العربى، العدد ١٣٣ (كانون أول ١٩٦٩) ص ١٣٠ - ١٣٧.

العارف (عارف باشا):

" تاريخ القدس "، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١: " تاريخ الحرم القدسى "، القدس ١٩٤٧. " انظر تقريظ " المقتطف "، م ١١٢ (١٩٤٨)، ص ٧٤ - ٧٥)؛ " المفصل في تاريخ القدس "، مكتبة الأندلس، القدس، ١٩٦١.

العامرى (محمد أديب):

" القدس العربية "، عمان، ١٩٧١.

العليمى (عبد الرحمن بن محمد):

" القدس ١٤٥٦ - ١٥٢٢ "، ج٢،مصر، الطبعة الوهبية، مصر، ١٢٨٣ م؛ " مجير الدين: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليط "، القاهرة، ١٢٨٣م؛ " أبو اليمن القاضى مجير الدين الحنبلى المولود في القدس والمتوفى فيها سنة ٩٢٧ م "، المطبعة الوهبية بمصر، ١٢٨٣م، ج٢.

العمرى (ابن فضل الله):

" مسالك الأبصار في ممالك الأمصار "، تحقيق الأستاذ أحمد زكى باشا، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٢٤ (انظر: " المسجد الأقصى "، ص ١٣٣ - ١٦٧).

مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر:

" بيت المقدس في الإسلام "، تقديم الدكتور عبد الحليم محمود، الكتاب الخامس (عدد خاص)، ١٩٦٩.

الملحق الثانى:
مسلسل الأحداث التاريخية الهامة
جدول مسلسل عام للحوادث التاريخية

نحو ٣٠٠٠ ق.م	هجرة العموريين إلى فلسطين وسورية والعراق.
٣٠٠٠ - ٣٥٠٠ ق.م	هجرة الكنعانيين إلى فلسطين ومنهم اليبوسيون سكان أورشليم الأوائل.
٣٠٠٠ - ٢٥٠٠ ق.م	العهد الأشورى القديم.
نحو ٢٦٠٠ ق.م	هجرة جماعة مسيلم السامية إلى كيش.
٢٣٧١ - ٢٢٣٠ ق.م	فترة حكم الأكديين في العراق.
٢٣٧١ - ٢٣١٦ ق.م	فترة حكم سرجون الأكدى.
٢٢١١ - ٢١٢٠ ق.م	فترة حكم الكوتيين في العراق.
٢١٢٠ - ٢٠٠٦ ق.م	فترة الانبعاث السومرى في العراق.
٢٠٠٦ - ١٨٠٠ ق.م	فترة حكم أيسن ولارسه في العراق.
٢٠٠٠ - ١٥٠ ق.م	هجرة الأراميين من جزيرة العرب إلى أعالى وادى الرافدين ثم انتشارهم في سورية والعراق وامتداد علاقاتهم التجارية والثقافية في جميع الشرق الأوسط.
١٩٠٠ - ١٨٥٠ ق.م	هجرة إبراهيم الخليل عليه السلام من أور إلى فلسطين عن طريق حران.
١٨٩٤ - ١٥٩٥ ق.م	العهد البابلى القديم في العراق، أشهر ملوكه حمورابى (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق.م)
١٧٨٥ - ١٥٨٠ ق.م	هجرة الهكسوس إلى مصر وحكمهم فيها وقد اشتملت على خمس سلالات هى السلالات ١٣ - ١٧.
١٧٥٠ - ١٦٧٠ ق.م	فترة قيام سلالة القطر البحرى أو سلالة بابل الثانية في منطقة الخليج العربى.
نحو ١٧٢٠ ق.م	هجرة آل يعقوب إلى مصر في عهد الهكسوس.
نحو ١٧٠٠ ق.م	بداية هجرة الحوريين من مناطقهم الجبلية في

	شمال إيران إلى شمالى العراق وتأسيسهم دولة ميتانى (حوالى) (١٥٥٠ - ١٤٠٠ ق.م).
١٥٩٥ - ٩١٠ ق.م	العهد الأشورى الوسيط.
١٥٩٥ ق.م	احتلال الحيثيين لمدينة بابل وقضاؤهم على سلالة بابل الأولى ثم عودتهم إلى طوروس.
١٥٩٥ - ١١٦٢ ق.م	فترة حكم الكاشيين في العراق - عاصمتهم " كوريكالزو " (عقر قوف) الحالية.
١٥٨٠ - ١٠٨٥ ق.م	فترة الإمبراطورية المصرية التي تكونت بعد طرد الهكسوس من مصر.
١٥٨٠ - ١٥٤٦ ق.م	عهد أحموسه الأول مؤسس السلالة الثامنة عشرة المصرية محرر بلاده من الاحتلال الهكسوسى.
١٥٨٠ - ١٣٥٠ ق.م	سيادة مصر على فلسطين وسورية.
١٥٠٤ - ١٤٥٠ ق.م	عهد تحوتمس الثالث، الفاتح المصرى الشهير، قضى على بلاد الهكسوس في الشرق واستولى على معظم أقطار الشرق الأدنى. وقد عيّن بعضهم تاريخ حكمه بين سنة ١٤٧٩ وسنة ١٤٤٧ ق.م.
١٤٥٠ ق.م	بداية هجرة الحيثيين من الأناضول إلى شمال سورية وتأسيسهم دولة كركميش (جرابلس) (١٤٥٠ - ١٢٠٠ ق.م).
١٤١٧ - ١٣٦٢ ق.م	عهد الرسائل الكنعانية المعروفة برسائل تل العمارنة في عهدى أمنحوتب الثالث (١٤١٧ - ١٣٧٩ ق.م) وأمنحوتب الرابع - أخناتون (١٣٧٩ - ١٣٦٢ ق.م)
١٤١٧ - ١٣٦٢ ق.م	عهد ملك أورشليم عبد - خيبا الكنعانى (ABDI - KHIBA) ورسائله إلى أخناتون وإلى سلفه أمنحوتب الثالث التي ورد فيها ذكر أورسالم (أورشليم).
١٤١٧ - ١٣٧٩ ق.م	عهد أمنحوتب الثالث (السلالة ١٨) كان معاصرا لعبد خيبا ملك أورشليم. وقد عين بعضهم تاريخ حكمه بين سنة ١٤١٣ وسنة ١٣٧٥ ق.م وقد سمى باسم أمنوفيس الثالث.

١٣٧٩ - ١٣٦٢ ق.م	عهد أمنحوتب الرابع (السلالة ١٨) المعروف بأخناتون صاحب الدعوة إلى عقيدة التوحيد كان معاصرا لعبد خيبا ملك أورشليم. وقد عين بعضهم تاريخ حكمه بين سنة ١٣٧٥ وسنة ١٣٥٨ ق.م، والبعض الآخر بين سنة ١٣٦٩ وسنة ١٣٥٣ ق.م، وقد سمى أيضا باسم أمنوفيس الرابع.
١٣٠٤ - ١٢٣٧ ق.م	عهد رعمسيس الثانى (السلالة ١٩) وهو الذي تم في زمنه خروج النبى موسى وأتباعه من مصر، وقد عين بعضهم تاريخ حكمه بين سنة ١٣٠٠ وسنة١٢٣٣ ق.م.
نحو ١٢٩٠ ق.م	خروج جماعة موسى من مصر وهجرتهم إلى أرض فلسطين.
١٢٣٣ - ١٢٢٣ ق.م	عهد مرنفتاح ابن رعمسيس الثانى، صاحب قصيدة النصر التي ألفت بمناسبة انتصاره على بلاد لوبيا.
١٢٠٠ - ١١٥٠ ق.م	هجرة الفلسطينيين إلى الساحل الفلسطينى الجنوبى ومنهم جاءت تسمية " فلستيا " (فلسطين).
١١٩٨ - ١١٦٦ ق.م	عهد رعمسيس الثالث (السلالة٢٠) أكثر فراعنة مصر إيغالا في بلاد العرب وهو الذي صد هجوم الفلسطيين على مصر سنة ١١٩١ ق.م.
١١٦٢ - ١٠٤٦ ق.م	فترة حكم السلالة البابلية الرابعة في بابل اشتهر من ملوكها نبوخذ نصر الأول (١١٢٤ - ١١٠٣ ق.م)
نحو١١٢٥ - ١٠٢٥ ق.م	عهد القضاة الموسويين في فلسطين.
١٠٧٧ - ٩١١ ق.م	غزو الأراميين للعراق واستقرارهم على طول الجانب الأيمن من نهر الفرات.
١٠٥٠ ق.م	انتصار الفلسطينيين في المعركة التي نشبت بينهم وبين الموسويين في عهد القضاة واستيلاؤهم على تابوت العهد.
نحو١٠٢٥ - ١٠١٠ ق.م	فترة حكم الملك شاؤول.

نحو ١٠١٠ ق.م	انتصار الفلسطيين على الملك شاؤول ومقتله هو وأولاده الثلاثة.
نحو ١٠١٠ - ٩٧١ ق.م	فترة حكم الملك داود.
نحو ١٠٠٣ ق.م	استيلاء الملك داود على يبوس (أورشليم) واتخاذها عاصمة له.
نحو ٩٧١ - ٩٣١ ق.م	فترة حكم الملك سليمان في أورشليم.
٩٣١ - ٧٢٤ ق.م	فترة حكم مملكة إسرائيل.
٩٣١ - ٥٨٦ ق.م	فترة حكم مملكة يهوذا.
٩٢٦ ق.م	زحف شيشنق الأول على أورشليم في عهد رحبعام ملك يهوذا ونهب ذخائر الهيكل وبينها ٥٠٠ ترس من ذهب.
٩١١ - ٦١٢ ق.م	العهد الأشورى الحديث.
٨٥٣ ق.م	المعركة غير الحاسمة بين الأشوريين وبين الأراميين وحلفائهم في القرقار على نهر العاصى.
٧٣٢ ق.م	استيلاء تجلات بلاسر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م) على دمشق.
٧٣١ ق.م	استيلاء تجلات بلاسر الثالث ملك آشور على كل أراضى إسرائيل وسبى أهلها إلى أشور.
٧٢٢ - ٧٢١ ق.م	حملة الأشوريين على مملكة إسرائيل في زمن شلمنصر الخامس وسرجون الثانى وإزالتها من الوجود هى وعاصمتها (السامرة).
٧٢١ - ٧١١ ق.م	فترة حكم الملك الكلدانى، ملك القطر البحرى " مردوخ بلودان " في بابل.
٧٠١ ق.م	حملة سنحاريب ملك أشور على مملكة يهوذا ومحاصرة أورشليم.
٦٤٨ ق.م	حملة آشور بانيبال على بابل وبلاد القطر البحرى وعيلام واستيلاؤه على السوس عاصمة عيلام.
٦١٦ ق.م	احتلال الكلدانيين لمدينة بابل بزعامة ملكهم.
٦١٤ ق.م	احتلال الماذيين لمدينة آشور عاصمة الأشوريين القديمة.

٦١٢ ق.م	سقوط نينوى عاصمة الأشوريين بيد الجيوش المادية والبابلية المتحالفة.
٦١٢ - ٥٣٩ ق.م	فترة حكم الدولة الكلدانية في العراق بعد سقوط نينوى.
٦٠٥ ق.م	انتصار نبوخذ نصر على نخو ملك مصر في معركة كركميش وانسحاب مصر من الشرق الأدنى.
٦٠٠ ق.م	هجرة الأنباط إلى شرقى الأردن.
٥٩٧ ق.م	حملة نبوخذ نصر الأولى على مملكة يهوذا وأورشليم (السبى الأول لبنى يهوذا).
٥٨٦ ق.م	حملة نبوخذ نصر الثانية على مملكة يهوذا وأورشليم وسبى اليهود إلى بابل (السبى الثانى).
٥٨٦ - ٥٣٩ ق.م	فترة أسر اليهود في بابل.
٥٣٩ ق.م	فتح قورش الأخمينى لمدينة بابل وقضاؤه على الدولة الكلدانية في العراق وسماحه لمن رغب من اليهود بالعودة إلى أورشليم وإذنه لهم بإعادة بناء الهيكل.
٥٣٩ - ٣٣١ ق.م	فترة حكم الفرس الأخمينيين.
٣٣٢ ق.م	فتح الإسكندر لفلسطين وإنشاء مستعمرات إغريقية بين اليهود.
٣٢٣ ق.م	(١٣ حزيران) وفاة الإسكندر في بابل.
٣٢٣ - ٣٠ ق.م	حكم البطالمة في مصر.
٣١٢ ق.م	فلسطين تصبح تحت حكم البطالمة في مصر.
٣١٢ - ٦٤ ق.م	فترة حكم السلوقيين في سورية والعراق.
٣٠٠ ق.م	حملة بطليموس الأول (سويتر) (٢٢٣ - ٢٨٢ ق.م) على أورشليم ونقل عدد غفير من اليهود إلى أفريقيا.
١٩٨ ق.م	استيلاء أنطيوخس الثالث على فلسطين.
١٦٨ ق.م	دخول أنطيوخوس الرابع (إبيفان) (١٧٥ - ١٦٤ ق.م) أورشليم وتدميره هيكلها ونهبه لخزائنها.

١٦٧ ق.م	اضطهاد اليهود في فلسطين وإجبارهم على نبذ اليهودية واعتناق الوثنية اليونانية.
١٦٧ ق.م	بداية ثورة العائلة الهشمونية بزعامة الكاهن متاثيوس.
١٦٧ - ٣٧ ق.م	فترة عهد المكابيين في فلسطين.
١٦٤ ق.م	استيلاء المكابيين على أورشليم على أثر تقهقر عهد الفرس الفرثيين.
١٤١ ق.م - ٢٢٤ ق.م	حكم الفرثيين في العراق وفى سورية جزئيا.
١٤١ ق.م	مناداة سيمون المكابى كاهنا أعلى في أورشليم واعتراف دمتريوس الثانى، الملك السلوقى باستقلاله وأخذ سيمون بسك النقود باسمه.
٧٠ ق. - ٤٧٦ ب.م	عهد الإمبراطورية الرومانية.
٨٩ ق.م	احتلال دكران، ملك أرمينيا شمال سورية ثم انسحابه منها تحت ضغط الرومان.
٦٤ ق.م	احتلال القائد الرومانى بومبى سورية وضمها إلى رومة.
٦٣ ق.م	دخول بومبى القائد الرومانى إلى أورشليم وجعل يهوذا تابعة لحاكم سورية الرومانى. تعيين هيركانوس الثانى وهو مكابى بمنصب الكاهن الأعلى.
٦٠ ق.م	تشكيل الحكومة الثلاثية الرومانية الأولى في روما من بومبى وقيصر وكراسيوس.
٥٤ ق.م	نهب كراسيوس خزائن الهيكل في أورشليم.
٤٧ ق.م	تعيين قيصر أنتيبايتر الأدومى خازنا في يهوذا.
٤٣ ق.م	تشكيل الحكومة الرومانية الثلاثية الثانية بعد اغتيال قيصر في مجلس الشيوخ سنة ٤٤ ق.م
٤٣ ق.م	موت أنتيبايتر وإحلال ابنه هيرودس محله حاكما على يهوذا.
٤٠ ق.م	استيلاء الفرثيين على فلسطين ثم انسحابهم منها سنة ٣٨ ق.م.

٤٠ ق.م	هرب هيرودس إلى روما بعد احتلال الفرثيين فلسطين.
٣٨ ق.م	عودة الحكم الرومانى إلى سورية وفلسطين وعودة هيرودس إلى سورية حيث عين ملكا على يهوذا وعلى الجليل.
٣٦ ق.م	احتلال هيرودس لأورشليم عنوة بعد معارك عنيفة وبذلك كان انتهاء حكم السلالة المكابية.
٣٠ ق.م	تشكيل الإمبراطورية الرومانية بزعامة أغسطس وضم مصر إليها.
٦ ق.م	مولد السيد المسيح عليه السلام.
٤ ق.م	وفاة هيرودس وتقسيم حكم فلسطين بين أولاده الثلاثة.
٢٩ ب.م	صلب السيد المسيح عليه السلام
٦٦ ب.م	بداية ثورة اليهود في أورشليم ضد الرومان في عهد نيرون.
٦٨ ب. م	وفاة الإمبراطور نيرون وإحلال فسباسيان محله.
٧٠ب.م	احتلال تيطوس لأورشليم وحرق الهيكل والفتك باليهود وإلغاء السنهدرين.
١٣٢ ب.م	ثورة اليهود من جديد في عهد الإمبراطور هادريان بيادة " باركوخبا ".
١٣٥ ب.م	قضاء هادريان على ثورة " باكوخبا " وإقامة مستعمرة رومانية في أورشليم وتحريم سكنى اليهود فيها.
١٣٨ ب.م	تسلم الإمبراطور أنتونينس بيوس (١٣٨ - ١٦١) العرش الرومانى وإلغاؤه المراسيم التي استنها سلفه هادريان القاضية بتحريم الديانة اليهودية.
٢٢٤ - ٦٣٧ ب.م	فترة حكم الساسانيين في العراق.
٣١٣ ب.م	إصدار قسطنطين مرسوما يقضى بمنح المسيحيين حرية العبادة على المسيحية في جميع أقطار الإمبراطورية الرومانية.

٣٢٣ ب.م	عقد اجتماع مجلس الأساقفة في نيسيا لبحث الشئون الدينية المسيحية في الإمبراطورية.
٣٢٦ ب.م	حج الإمبراطورة هيلينا أم قسطنطين إلى أورشليم.
٣٣٠ ب.م	اتخاذ " بيزنطة " عاصمة رسمية للإمبراطورية الرومانية وتغيير اسمها إلى اسم مؤسسها قسطنطين.
٣٣٠ - ٣٣٧ ب.م	إقامة الإمبراطور قسطنطين " كنيسة القبر المقدس " (القيامة حاليا) في " الجلجلة ".
٣٦١ ب.م	اعتلاء جوليان عرش الإمبراطورية الرومانية وانحرافه عن المسيحية وأمره بإعادة هيكل اليهود في أورشليم.
٣٦٣ ب.م	وفاة جوليان والرجوع إلى المسيحية.
٣٩٤ ب. م	تقسيم الإمبراطورية الرومانية إلى غربية وشرقية.
٥٢٧ - ٥٦٥ ب.م	إقامة الإمبراطور جستنيان عمارات كثيرة في فلسطين منها " الباب الذهبى " الذي لا يزال يعرف بهذا الاسم ومنها الكنيسة التي أنشأها في موضع المسجد الأقصى الحالى.
٦٠٨ ب.م	وصول جيوش كسرى الثانى " أبرويز " (٥٩٠ - ٦٢٨ م) إلى حدود البوسفور وتهديدها القسطنطينية.
٦١٤ ب.م	احتلال كسرى أبرويز سورية وفلسطين وتخريبه كنائس القدس من ضمنها " كنيسة القبر المقدس ".
٦٢٨ ب.م	انتصار الإمبراطور هرقل (٦١٠ - ٦٤١م) على الفرس واسترجاع سورية منهم.
نحو ٦٣٠ ب.م	ملاحقة هرقل للفرس في بلادهم واسترجاع " الصليب الأصلى " الذي كانوا قد استولوا عليه بعد احتلالهم القدس سنة ٦١٤ م.
٦٣٦ ب.م	معركة اليرموك التي انتصر فيها العرب على جيوش الإمبراطور البيزنطى هرقل.
٦٣٨ ب.م	سقوط مدينة القدس في أيدى العرب في عهد

الخليفة عمر بن الخطاب (١٧ هـ)

* * *

الملحق الثالث: المراجع العامة

١ - المراجع الأجنبية

Abel (P.F.M):
"Histoire de la Palestine depuis la conyucte d'Alexandre juimqu'a 1'Invasion Arabe a. Paris", 1952, 2 volumes.

Adams (J. N4. K.):
"Ancient Records and the Bible", 1946.

Albright (W. F.) :
"Archaeology and the Religion of Israel .. Baltimore. 1942.: "The Archaeology of Palestine", 1949. ; "From the Stone Age to the Christianity o, revised ed., 1946.: "Palestine in the Earliest His- torical Period", Journal of the Palestine Oriental Society.Vol. XV (1953), p. 212 f. "The role of the Canaanites in the History of Civilisation", Studies in the History of Culture, Menasha. 1942.; "Western Asia in the Twentieth Cent. B. C.. The Archives of Mari", Bulletin, American Schools of Oriental Research No. 67, 1937.

Allem (Jean - Pierre):
"Juifs et Arabes : 3000 ans d'Histoire *, Paris , 1968.

Alt-(A.) :
"Die Laidnahme der Israeliten in Palestina", Leipzig. 1925.; "Die Urspruenge des Israelitischen Rechts", Leipzig 1934.

"American Jewish Year Book"

Anati (E.):
"Palestine before the Hebrews", N. Y., 1963.

Anchel (R.) :
"Les Juifs en France", 1946.

Archinard (E.) :
“Israel et ses voisins Asiatiques”, Paris, 1890.

Atkinson (R.F.C.) and Whatmough (.L) :
“Alphabet n, Enc. Brit.. 1965 ed.. Vol. 1, pp. 662-669.

Auchincloss (W. S.) :
“Chronology of the Holy Bible”, N. Y.,, 1911.

Autran(C.):
“Pheniciens - Essai de contribution de la Mediterranee”, Paris. 1920.

Baedeker (K.)
“Palestine and Syria”, 5th. ed., Leipzig. 1912.
بحث مركز عن فلسطين وسورية وخاصة عن تاريخ القدس.

Barnett (R. D.) :
“Arameans”. Enc. Brit., 1965 ed., Vol 2, pp. 207-209-

Baron (S. W.) :
“A Social and Religious History of Jews”, 8 vols. and index, 2nd ed., 11952-60. (traduit en Fran4ais sous le titre : “Histoire d'Israel, vie Sociale et Relioieuse”. Paris, 1956, 5 vols.) . “The Russian Jews under Tsars and Soviets - A Comprehensive History from the Earliest Settlements to the Present Time”, N. Y. & London, 1964.

Barrois (A. G.) :
“Manuel d'archeolooie Biblique”, . 2vols.

Barton (G. A.):
“A Shetch of Semitic Origins - Social and religious”. N. Y.. 1902.: “Archaeology and the Bible”, 5th ed., 1927.; “Semitic , and Hamitic Origins”, 1934.; “Semites” Encyclopedia of Religion and Ethics. Vol 11, pp. 378-384.

Bauer (H.):

"Zur Entzifferuna der neuntdeckten Sinaischrift". 1918.

Beaton (F.):
"The Jews in the East", London, 1959.

Beatty (Ilene) :
"Arab and Jew in the Land of Canaan", Chicago, 1957.

Beatty (John) :
"The Iron Curtain over America", Dallas, Texas, 1956.

Beecher (W. J.) :
"The dated Events of the Old Testament", Philadelphia, 1908.

Bentwich (No. de M.) :
"Judaism", Encl. Brit., 1965 ed., Vol. 13, pp. 103-116

Bevan (E.R.):
"The House of Seleucus and Jerusalem under the High Priests".

Rohl :
"Kanuanaer und Hebraer", 1911.

Bonfante (G.) :
"Who were the Philistines?", Amer. Jour. of Archaeology. Vol. 50, (1946), p.. 251.

Borger (R.) :
"Das Problem der Apiru" (Habiru). ZDPV. LXXIV, 1958, 121-132.

Bottero (J.) , Casein (E.) Vercoatter (J.) ed. :
"The Near East - The Early Civilization v, translated by R. F. Tannen- baum, N. Y.. 1967.; "Le Probleme des Habiru", Paris, 1954.

Bowman (R. A.) :
"The Old Aramic Alphabet of Tell Halaf ", Amer. Jour. of Semitic Languages, Vol. LVIII (1941), pp. 359-62;

also : Jour. Eastern Stu-dies, Vol.VII (1948), p. 71.

Breasted (J. H.) :
"A History of Egypt", N. Y., 1905.: a Ancient Times - A History of the Early World". (without date), Publishers Ginn and Co.

Bright (J.):
"A History of Israel", 1960.

Buchler(A.):
"Studies in Jewish History". ed. by 1. Brodie and J. Rabbinowitz, 1956.

Burney (C. F.) :
"Israel's Settlement in Canaan", (The Schweich Lectures), 1917.

Caetani (Leone) :
"Studi di Storia Orientate", Milano, 1911.

"Cambridge Ancient History":
Vol. II, Ch. 14 ; Vol 111, Ch. 17-20; and Vol. VI, Ch. 7, with their bibliographies.

Cardascia (G) :
"Les archives de Murashu". Paris, 1951.

Caftan (H.) :
"Palestine. the Arabs and Israel". London, 1969.

Cazes(D.):
"Essai sur l'Histoire des Israelites de Tunisie", Paris, Durlacher 1889.

Chalom (Jacques):
"Les Israelites de Tunisie : leur condition civile et politique". Paris Rousseau, 1908.

Cheijne (A. G.) :
"The Arabic Language, Its Role in History". Minnesota University. USA, 1962.

Childe (V. G.) :
"New Light on the most Ancient East", London. 1964.

Clay(A.T.):
"Light on the Old Testament from Babel", Philadelphia. 1907. "Amuru the Home of the Northern Semites", 1909.; The Empire of the Amorites 1919.

Cohen (Abraham) :
"Les Juifs de I'Afriquc Septentrionale", Constantine, 1867.

Cohen (Israel) :
"The Zionist Mouvement", London , 1954.

Cohen (M.):
"La grande invention de l'ecriture". 1958.

Contenau (G.) :
"La civilisation phenicienne". Paris, 1949.; "Asic Occidentale Ancienne",: "Manuel d'archeologie Orientale", Paris, 1927.: "La Civilisation d'Assur et de Babylone", Paris. 1937.

Cook (S.A.):
"The Religion of Ancient Palestine in the light of Archaeology" London, 1930.; "Philistines", Encl. Brit.. 1965 ed., Vol. 17, pp. 737. 7 8.: "The Laws of Moses and the Code of Hammurahi". London. 1903.

Cook (G.A.):
"Phoenicia" . Encl. Brit., 1965 ed.. Vol. 17, pp. 763 - 769

Corpus Inscriptionum semiticarum :
"Phenician, Aramian. South Arabia & North Arabia Texts", 1881 (three larges vols.).

Corswant (W.) :
"Dictionnaire d'archdologie biblique", Revu et illustre

par : Urech Edward), preface par Parrot (Andre), Paris, 1956 (translated into English by Heathcote (Arthur) . London, 1960.

Cowley (A.) ;
"Aramaic Papyri of the Fifth Century B.C. D, Oxford, 1923.

Cross (F. M. Jr.) :
"The Evolution of the Prato-Canaanite Alphabet", Amer. Sch. of Oriental Research Bull., 134 : 15-24. April, 1954 .

Daiches (S.) :
"The Jews in Babylonia in the time of Ezra and Nehemiah according to Babylonian Inscriptions", London, 1910 .

Danbv (Canon) :
"The Babylonionn Talmud in English with Introductions". London . The Soncino Press. Vols. 1-36, 1935 - 53.

Davies (W. W.) :
"The Codes of Hammurabi and Moses" , Cincinnati., 1905.

Delaporte (L .) :
"Epigraphes Arameens" , Paris , 1912.

Della Vida (G. Levi) :
"Les Semites et]cur role dans I'histoire religieuse", Paris. 1938.

De Vaux (R.) :
"Ls Patriarhes Hebreux et les decovertes modernes". Revue Biblique, 53 (1946), pp. 321 - 47; 55 (1948), pp. 321 - 47 ; 56 (1946). pp. 7 - 36.: "Les patriarches hebreux et l'histoire", Revue Biblique, 72 (1965) pp. 5 - 28.; tc "L'archeologie et les manuscrits de la mer

morte". 1961.

Diringer (D.):
"The story of the Aleph Beth" . 1958 .: "The Alphabet - A Key to the History of Mankind 2nd . ed .. N. Y. . 1948. "Writing" London , 1965.

Dobnov (S. M.) :
"A History of Jews in Russia and Poland". 5 vols.. 2nd. ed:, 1946.

Driver (G.R.)
"Canaanite Myths and Legends". Edinburgh, 1956; "Semitic Writing from Pictograph to Alphabet", 2nd. ed., N.Y.. 1948; "Hebrew Language", Enc. Brit., 1965 ed., Vol. 11. PP- 279 - 284.

Dunlop (D.N.) :
"The Jewish Khazars", N.Y., 1967 (Schockeb books).

Dussaud (R.) :
"Les decouvertes de Ras Shamra et L'Ancien Testament", Paris. 1941; Les origines Canaeennes du Sacrifice Israelite", Paris, 1921; "Mission dans les regions desertiques de la Syric Moyenne n. Paris . 1903: "La penetration de A.rabes en Syrie avant L'Islam". Paris, 1955; "Topographie historique de la Syrie antique et medievale". Paris, 1927; "L'art phcnicien du He millenaire", Paris, 1959.

Edwards (C.) :
"The Hammurabi Code and the Sinaic Legislation", London. 1904.

Erskine (Beatrice) :
"Palestine of the Arabs", London. 1935.

Fargeon (M.) :
"Les iuifs en Egyptc depuis les origines jusqu'a-ce jour" Le Caire. 1938.

Fevrier (J.):
"Histoire de I'Ecriture" 1948.

Finkelstein (L.) ed. :
"The Jews : Their History, Culture and Religion", 2, vols. . 3d. ed.. N.Y-. 1960. ; "The Pharisees", 2 vols.. Philadelphia, 1938.

Fischel (W. J.) :
"Jews", Encl. Brit., 1965 ed. , Vol. 12, pp. 1054-1081: "The Jews of Kurdistan a Hundred years ago", Conference on Jewish Relations, N.Y., 1944. Reprinted from Jewish Sosial Studies - Vol. VI No- 3.

Flammand (Pierre) :
"Les communautes Israelites du Sud-Marocain. Essai . de description et d'analyse de la vie Juive en milieu berbeie n, sans. datg (1956 ?).

Fleisch :
"Introduction h 1'etude des langues semitiques", Paris. 1947.

Forbes (R.J.) :
"The Coming of the Camel, Studies in Ancient Technology", Vol. 11,. Leiden , 1955, pp. 187-203.

Francs (M.):
"Essais sur 1'Histoire des Israelites de 1'Empire Ottoman depuis les origines jusqu'A nos jours n , 2eme ed.

Frankel (S.) :
"Die aramaischen Fremdworter im Arabischen a, London, 1886.

Fraser (P. M.) :
"History of Palestine", Enc. Brit.. 1965 ed., Vol. 17, 1965, pp - 120-130.

Free (J.P.):
"Abraham's Camels", Jour. of Near Eastern Studies, Vol. III, July 1944, No. 3., pp- 187-193.

Friedmann (G.) :
"The End of the Jewish People", 1970 (translated from French).

Frued(S.):
"Moses and Monotheism", (translated by Katherine Jones, 2nd. ed., 1940).

Gardiner (A. H,) :
"The Egyptian Origin of the Semitic Alphabet", Jour. of Egyptian Archaeology, 3 : 1. ff., 1916.

Garstang (J.) :
"The Hittite Empire", London, 1929.

Garstang (J.) and Garstang (J.B.E.) :
"The Story of Jericho" , London, 1948.

Gaspar (L.) :
"Histoire de la Palestine". Paris. 1967.

Gaster (T.H.):
"The Religion of the Canaanites n, in a Forgotten Religions", ed. by V. Ferm, 1950. ; in "Thespis - Ritual, Myth and Drama in the Ancient Near East" , 2nd ed., N.Y., 1961 ; "The Oldest Stories in the World", N.Y., 1952 ; "Canaan", Enc. Brit, 1965 ed, Vol- 4, pp. 726-728, (With map and bibliography).

Gelb (I. J.):
"The Early History of tihe West Semitic Peoples", Jour. of Cuneiform Studies, 15, 1961, pp- 27-47. ; "A Study of Writing", 1952.

Gunzberg (L.) :
"The Palestinian Talmud"., N.Y., 1941.

Gordon (C.H.) :
"Ugarithic Literature", 1949.

Goitein (S.) :
"Jews and Arabs their Contacts through the Ages", N.Y., 1955. (translated into French under the title "Juifs et Arabes", Paris. 1957).

Graetz (H.) :
"History of the Jews", 6 vols., 1891-1926.; "Geschichte der Juden", ed. M. Brann, Leipzig, 1906.

Grant (Dr. A.) :
"The Nestorians or The Lost Tribes", London, 1841.

Gray (J.):
"The Legacy of Canaan", Leiden, 1957.

Gray (L.G.) :
"Introduction to Semitic Conparative Linguistics". 1934.

Grohmann (A.) :
"The Arabs", Encyclopedia of Islam , N.E., 1960, Vol. I,p. 524 ff.

Greenberg (L.) :
"The Jews in Russia", 2 vols., 1944-1951.

Greenberg (M.) :
"The Habiru", New Haven. Conn., 1955.

Guillaume (A.) :
"The Habiru, the Hebrews and the Arabs n, Palestine Exploration Quarterly, 1946, pp. 64 ff.

Gunkel (H.) :
"Israel and Babylon, The Influence of Babylon on the Religion of Israel", Philadelphia , 1904.

Gurney (O.R.):
"The Hittites", 2nd. ed- , 1961.

Guterbock (H.G.) :
"Babylonia and Assyria", Enc. Brit., 1965 ed., Vol- II, pp. 951-979.

Haas (J.de):
"History of Palestine in the Last two thousand Years", N.Y., 1934.

Hadawi (Sami) :
"Bitter Harvest - Palestine 1914-67", N.Y., 1967. "Palestine-Loss of a Heritage", San Antonio, 1963.

Hall (H.R.):
"The Ancient History of the Near East", 8th. ed., N.Y., 1935.

Handcock (P.S.P.) :
"The Archaeology of the Holy Land", London, 1916.

Harris (Z. S.)
"Ras Shammra : Canaanite Civilization and Language", The Smithsonian Report for 1937 (Publication 3474), pp. 479-502.

Hastings (James) :
"Canaan", Dictionary of the Bible Vol. I. pp - 347-48, Vide also : "The New Bible Dictionary", London, 1962 ed. , pp. 183-186.

Hell (J.) :
"The Arab Civilization". Lahore, 1943.

Herford (R. T.) :
"The Pharisees" , London, 1924.

Herzi (Theodor) :
"The Jewish State an attempt at a Modern Solution of

the Jewish Question. Translated by S.D'Avigdor", N.Y., 1943.; "Complete Diaries" .5 vols., N.Y, 1960.

Hitti(P.K.):
"History of Syria", London 1951. "Lebanon in History from the Earliest Times to the Present", 2nd. ed., London, 1962.

Hoenig (S. B.):
"The Great Sanhedrin", 1935. "Sanhedrinn", Enc. Brit., Vol. 19, 1965 ed., P. 946A.

Hoffman (W.J.) :
"The Beginning of Writing", 1895.

Hommel (Dr. Fritz) :
"The Ancient Hebrew Tradition", London, 1897.

Hooke (S. H.):
"The Origins of Early Semitic Ritual", London 1938

Horn (S.H.):
"Bible Dictionary", (With Atlas), Washington, 1960.

Hosmer (J.K.):
"The Jews, Ancient, Medieval and Moderns, London, 1885.

Hourani (A.) :
"Minorities in the Arab World", London, 1947.

Hughes (G.H.) :
"Ancient Civilizations", 1896, p. 352.

lack (J.W.):
"The Ras Shamra Tablets : Their Bearing on the Old Testament", 1935.

Jackson (S.) :
"The Sassoons", Heinemann, London, 1968.

Jastrow(M.):

"Hebrew and Babylonian Traditions", N.Y., 1914. "A Babylonian Parallel to the Story of Job", Jour. of Biblical Literature, Vol. XXV; Part II, 1906, pp. 135-191.

Jeffries (P.) :

"Palestine : The Reality", London, Ne -York, 1939.

Jeremias (A.) :

"The Old Testament in the Light of the Ancient East", translated from the German by C.L. Beaumont, .,2 vols., London, 1911.

Jewish Encuclopedia :

"Canaan, Canaanites, Palestine, Jews, Israelites, Jerusalem,Arameans".

Jirku (Anton) :

"Der Mythus der Kanaanaer", Bonn, Rudolf Habelt Verlag. 1966.

Johns (C. H. W.) :

"The Relations between the laws of Babylonia and the Law of the Hebrew peoples", 1914.

Josephus (Flavius) :

"The Complete Works of Flavius Josephus, comprising: The Antiquit- ties of the Jews ; A History of the Jewish wars; The Life of Josephus written by himself ; etc .. , ..", (translated by W. Whiston with sequel to the History of the Jews.). London and New-York (without date), New ed, 2, vols., London 1897, revised by AR ShilReton, 5 vols., London 1890 - 1900. Also edited and translated 'by H. ST. J: Thackeray, in 7 mods.. London. 1926 - 43.

Kaplan (M.) :

"Judaism as a Civilization" 1934.

Karsten (R.)

"The Origins of Religion", London , 1935.

Keller (W.) :

"The Bible as History Archaeology confirms the Book of Books" London, 1957 (5th. ed.).

Kenrick : B8

"Phoenicia". London 1855.

Kenyon (F.):

"The Bible and Archaelogy", NY., 1940.

Kenyon (Kathleen M.)

"Archaeology in the Holy Land"; London, 1960 (2 vols.). "Armorites and Canaanites", London, 1966. "Digging up Jericho", London. 1957.

Khadduri (W.)

"The Jews of Iraq during the 19th. Century", The Arab World. May-June, 1970.

King (L. W.):

"Legends of Babylon and Egypt in relation to Hebrew Tradition", London, 1918.; "Babylonian Religion and Mythology", London, 1903.; "Egypt and Western Asia in the Light of Recent Discoveries", London, 1907.

Kirk (G.E.):

"A Short History of the Middle Eart", London, 1948.

Kittel(R.):

"Geshichte des Volkes Israels", 2 Vols., 6th. ed., 1922-23.

Kline (M.G.) :

"The Habiru, kin or foe of Israel", Westminster Theological Jour., XIX (1956),, 1 - 24, 170-194, XX (1957), 46-70.

Kraeling (E. G. H.) :
"Aram and Israel D , 1918.

Supper (Jean-Robert) :
"Les Nomades en Mesopotamie an temps des rois de Mari" . Paris, 1957. Reviewed by I.J..Gelb., under title "The early History of the West Semitic Peoples", in Journal of Cuneiform Studies, Vol. XV, No. 1, 1961, pp. 27-47.

Landsberger (B.) :
"Amorites" Enc. Brit., Vol. 1, 1965, pp. 809-810.

Landshut (S.):
"Jewish communities in the Muslem Countries of the Middle East" London, 1950.

Learsy (R.) :
"A History of the Jewish People", 2nd printing, N.Y.. 1949.

Leslaw (W.):
"Semitic Languages", Enc. Brit., 1965 ed., Vol. 20, pp. 314-317.

Lilienthal (A. M.) :
"What Price Israel", Chicago, 1953. "The Other Side of the Coin", N.Y., 1965.

Lods(A.):
"Israel from its Beginning o the Middle of the Eight Cent", translated by S. H. Hooke, London, 1932.

Lowenthal (M.) :
"The Jews in Germany", 1947.

Luckenbill (D.D.) :
"Ancient Records of Assyria and Babylonia", 2 vols., 1927.

Luckenbill (D. D.) and Chiera (Ed.) :
"The Origin and History of Hebrew Law", 1931.

Macalister. (R. A. S.) :
"A History of Civilization in palestine", Cambridge, 1912. "The Philistines", 1913.

Macqueen (J. G.) :
Babylon London, 1964.

Malamat (A.) :
"The Arameans in Aram Nal r'aim and the Rise of their State", (in Hebrew), Jerusalem, 1952.

Mallowan (M.) & Rose (J.) :
"Exavations in 'the Bahkh Valley in 1938", Iraq, Vol. VIII, 1946, pp. 111-159.

Mann (J.) :
"Jews in Egypt under Fatemide Caliphs" 2 vols., reprint 1972; "Selected Documents of Geniza", N.Y., 1925.

Marcais (W.) & Cohen (M.) :
"Prdcis de Linguistique Semitique", 1910. (Translation of C. Brokelmann, "Semitische Sprachwissenschaft").

Margoliouth (D.S.):
"Relations between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam", The Schweich Lectures, Oxford, 1921.

Margolis (M.L.) and Marx (A.) :
"A History of Jewish People", 5th. ed., 1964.

Marston (Sir Charles) :
"The Bible is True", London, 1937 (5th imp.).; "The new Knowledge about the Old Testament".

Meek (T. H.):
"Hebrew Origins", N.Y., 1936 (revised edition, 1950).

Meissner (B.) :
"Babylonien and Assyrien", 2 vols., (1920-25).

Menant (MJ.):
"La Bible et les Cylindres Chaldeens" Paris, 1880.

Mendenhall (George E.) :
"Law and covenant in Israel and the Ancient Near East", Pittsburg, 1955.

Menes (A.)
"The History of the Jews in Ancient Times" in "The Jewish People, Past and Present", Vol. 1, N.Y., 1946, pp. 78-152.

Menuhim (Moshe) :
"The Decadence of Judaism in our Time", Beirut. 1969.

Meyer(E.):
"Die Israeliten and ihre Nachbarstamme", 1906.

Montague (R.) :
"La Civilisation du desert", Paris 1947.

Montgomery (J.) :
"Arabia and the Bible", Philadelphia, 1934.

Moscati (S.) :
"The Semites in Ancient. History", Cardiff, University of Wales Press, 1959. "Ancient Semitic Civilizations", Eleck Book, London, 1957.

ترجم هذا الكتاب إلى العربية د. السيد يعقوب بكر ونشرت هذه الترجمة مع تعليقات دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة.

"The face of the Ancient Orient", London, 1960.

Musil (A.)
"The Middle Euphrates", (Negd).

Neuman (A.A.) :
"The Jews in Spain", 2 vols., Phil. 1942.

Neusner (J.):
"History of the Jews in Babylonia" : 1 - The Parthian Period, Leiden. 1965; 2 - The Early Sassanian Pcr'od, Leiden, 1966; 3 - From Shapur I to Shapur II, leiden, 1968; 4 - The Age of Shapur II, Leiden, 1969; 5- Later Sassanian Times, Leiden, 1970.; "The Formation of the Babylonian Talmud", 2nd ed., Leiden, 1970.

"New Jewish Encylopedia":
N.Y., 1962, 1971.

Newman (Rabbi J.) :
"The Agricultural Life of Jews in Babylonia", 1932.

Noldeke (Th) :
"Semitic Languages", Enc. Brit., 11 ed.. (1911), Vol. 24, col. 617-630. "Arabs", Encyclopedia of Religion and Ethics, Vol. 1, pp. 659-673.

Noth (M.):
"The History of Israel", 1958.

Notre - dame de France a Jerusalem:
"La Palestine", 3e ed., Paris, 1922.

Nougayrol (J.) et autres :
"Le Palais royal d'Ugarit", 2 vols.. Paris, 1955.

Nyberg (H. S.)
"Abraham", in I. Engell and A. Fridrichsen Svenskt Bibliskt Uppslagsverk, Vol. 1, col. 8-11, 1948.

Obermann (J.J.) :
"Ugaritic Mythology", 1948.

O'Callghan (R.T.) :
"Aram Nahraim", Rome. 1948.

Oesterley (W.O.E.) and Robinson (T.H.) :
"A History of Israel", 2 vols., Oxford, 1932; "Hebrew Religion: Its Origin and Development", N.Y., 1937.

O'Leary (De Lacy):
"Arabia before Muhammad", London, 1927., "Arabic Thought and its Place in History", Trubner's Oriental Series.

Olmstead (A.T.):
"History of Palestine and Syria", N.Y. and London, 1931.; "Western Asia in the days of sargon df Assyria", N.Y., 1908.; "History of Assyria N.Y., 1908. "History of Assyria", 1923.

Oppenheim (M.) :
"Tell Halaf - A new Culture in the Oldest Mesopotamia", translated by G. Wheeler, London, 1933

Pallis (F.D.) :
"The Antiquity of Iraq : A Handbook of Assyriology", 1956.

parkas.(J.) :
"A History of the Jewish People", 1962.; "Continuity of Jwish Life in the Middle East", London, 1961.; "Arabs and Jews in the Middle East, A tragedy of Errors , London, 1967.

Patai (R.) :
"Israel between East and West", 1953.

Parrot (A.) :
"Abraham et sontemps", 1962.

Pa too (L.B.) :
"The Early History of Syria and Palestine", N.Y., 1901.

Patton (J.H.) :
"Canaanite Parallels in the Book of Psalms", 1944.

Peake (AS.):
"A Commentary on the Bible", London, 1923.

Petrie (Sir W. Flinders) :
"The Formation of the Alphabet" London . 1912.; "Egyptian Tales", London, 1895.; "Egypt and Israel", London, 1923 (New ed.).

Philby (H. St. J. B) :
"The Background of Islam - Being a sketch of Arabian History in PreIslamic Times", Alexendria, 1947.; "The Empty Quarter - Being a description of the Great South Desert of Arabia known as Rub. Al Khali", London, 1933 (see : Chap. 11, "Forgotten Rivers", pp. 127- 156).; "The Heart of Arabia", 1922.; "Sheba's Daughters",. 1939.; "Arabian Highlands", N.Y. 1952.

Pool (D), Patai (R.) and Cardozo (A.L.) :
"The World of Sephardim" , N.Y., 1960.

Pritchard (J.B.):
"Archaelogy and the Old Testament", Princeton University Press, 1958.; "Ancient Near Eastern Texts relating to the Old Testament". Princeton N. J., 1950, 2nd ed. 1955.; "The Ancient Near East in Pictu- res Relating to the Old Testament", Princeton, 1954.

Puhvel (J. PI.):
"Hurrians", Enc. Brit ., 1965 ed., Vol. 11, pp. 905-906.; "Hittites", Ibid, pp- 550-560-

Rabin (C.):
"Hebrew" Literature", Enc. Brit., 1965 ed , Vol. 11, pp. 284 - 290.

Rappoport (A. S.) :
"Myth and Legend of Ancient Israel", N.Y, 1966 (3 vols.).; "History of Palestine", London , 1931

Rawlinsom (G.) :
"History of Phoencia", London, 1889.

Reich (S.):
"Etudes sur 1es, villages Arameens de L'Anti-Liban", Institut Francais de Damas, 7, 1936.

Reik (Theodor) :
"Pagan Rites in Judaism", New York, 1963.

Reinach (S.) :
"A History of Religions", N.Y., 1909 and 1930.

Renan(E.):
"De la part des peuples semitiques dans 1'histoire des civilisations", Paris, 1862.; "Histoire generale des langues semitiques", 8th ed., Paris, 1863.

"Revue des Etudes Semitiques":
"La Legende des Patriarches et 1'Histoire", IV, 1937, pp. 145-206.

Ricciotti (G.) :
"Histoire d'Israel", 2 vols.

Robinson, Breasted and Smith :
"Earlier Ages", Boston, 1937.

Robinson (E) and Smith (E.):
"Biblical Researches in Palestine and the Adjacent Regions", 3 vols. Boston, 1856.1

Robinson (T. H):
"The Decline and Fall of the Hebrew Kingdoms", Oxford, 1946.

Rodinson (M.):
"Israel and the Arabs", London, N. Y @ , 1968.

Rogers (R.W) :
"Cuneiform Parallels to the Old Testament", N .Y. , 1912.

Rosenthal (F.):
"Die aramaistishe Forschung seit The Noldeke's Verroffentlichungen D, Leiden, 1939.

Roth (C.) :
"A Short History of the Jewish People", 1936.; "A History of the Jews in England", London, 1941.; "A History of the Jews in Italy", 1946.

Roux (G.) :
"Ancient Iraq", Penguin Book, 1966.

Rowley (H.H.):
"The Old Tastament and Modern Study", (ed.) 1951.; "From Joseph to Joshua - Biblical Traditions in the light of Archaeology", 1950. reprinted 1964.

Ruppin (A) :
"The Jews in the Modern World", London, 1934.

Ryclunans (G.) :
"Les Religions Arabes Preislamiques", ed. 2, Louvain, 1951.

Sachar (A.L.) :
"A History of the Jews". 2 nd ed., N.Y., 1940.

Sakran (F.C.) :
"Palestine Dilemna Arab Rights versus Zionist Aspirations", Washington, D.C., 1948

Sanda (A.) :
"Die Aramaer", Der Alte Orient, Vol, IV, part 3, 1902.

Saron (G.) and Hotz (L.) eds :
"The Jews in South Africa", 1956,

Sassoon (D.S.) :
"A History of the Jews in Baghdad", London, 1949.

Sayce (A.H.) :
"Early Israel and the Surrounding Nations", London, 1899.

Scheffer (C. F. A.) :
"The Cuneiform Texts of Ras Shamra-Ugaritn, 1939.; "Ugaritica" I-III , Paris, 1939-56.

Schiffer (S.):
"Die Aramaer", Leipzig. 1911.

Schmokel (C.H.) :
"Geschichte des alien Vorderasien", Handbuch der Orientalistick, (II, 3), Leiden, 1957.

Schrader (E.S.):
"The Cuneiform Inscriptions and the Old Testament", translated from the German by Rev. O.C. Whitehouse, 2 vols.. 1885-1888.

Sellin (E.) :
"Mose and Sein Bedeutung fuer die israelitish-Juedische Religionsgechichte", 1922.

Selzer (M.):
"The Aryanization of the Jewish State", N.Y., 1967.
"The Outcasts of Israel", Jerusalem, 1965.

Silver (A.H.) :
"Moses and the Original Torah", N.Y., 1961.

Simpson (R.H.) :
"Nabateans", Enc. Brit., 1965 ed., Vol- 15, pp. 1143.1144.

Smith (G.A.) :
"The Historical Geography of the Holy Land", 25th ed., 1931.; "The Chaldean Account of Genesis", 5th ed., London, 1876.

Smith (H.W.):
"Man and his Gods", Universal Library, 1956.

Smith (S.):
"Early History of Assyria", 1928.

Smith (W. R.) :
"Lectures on the Religion of the Semites", 3d ed., London, 1927.

Socolow (N.) :
"History of Zionism" 2 vols., N. Y. , 1969.

Sommer (A. Dupont) :
"Sur les debuts de 1'Histoire arameenne", Suppl. to Vetus Testamentum, I, Leiden, 1953, pp. 40-9.; "Les Arameens", Paris, 1949.

Speiser (E. A.) :
"Introduction to Hurrian", 1941.

Sprengling (M.) :
"The Alphabet; Its Rise and Development from the Sinai Inscriptiono", The Universal Jewish Enc. I, p-198. Standard Jewish Encyclopedia., 1966.

Starr (J,) :
"The Jews in the Byzantine Empire (641-1204), 1939.

Steindorf (G.) and Seele (K.C.) :
"When Egypt ruled the East", Unive. of Chicago Press, Chicago, 1942.; "The Story of the Bible told by Living Writers of Authority London, (without date), 2 vols.

Strange (Guy Le) :
"Palestine under the Moslems", 1890.

Syrkin (Marie) :
"Oriental Jews in Israel" N.Y., 1952.

Tayler (I.) :
"The Alphabet", 1883.

Thomas (D.W.):
"Archaeology and Old Testament Study", (ed.) Oxford: Clarendon Press, 1967.

Thordarson (T.K.) :
"Abraham" Enc. Brit., 1965 ed., Vol I. p. 44 f.

Torczyner (H.):
"Tur-Sinai", N.S. XII, The Jewish Quarterly Review, 83-109. 159-179

Tremingham (Spenser):
"The World of Ours", Beirut.

Trever (A.) :
"History of Ancient Civilization", 2 vols., N. Y. , 1939.

Unger (M.F.) :
"Israel and the Arameans of Damascus. A Study in Archaeological illumination of Bible History", London, 1957.

Universal Jewish Encylopedia :
"Canaan" Vol. II, 1969 pp. 650-651 (with map).

Vigourous (F.) :
"La Bible et les decouvertes modernes en Egypte et en Assyrie", 2vols. 1-2, Paris, 1877.

Vincent (L.H.) :
"Canaan d'apres 1'exploration recente", Paris, 1914.

Watetman (L.W.):
Pre-Israelite Laws in the Book of the Convenant" , AJSLL, Vols. 38, 1921-22, pp. 36-62.

Weber (Otto):
"Arabien vor dem Islam (Der ate Orient)".

Weigall (A.) :
"The Life and Times of Akhnaton, Pharaon of Egypt", London, 2nd imp., 1934.

Wellhausen :
"Reste Arabischen Heidentums (remains of Arabian Heathenism), Berlin, 1887.

Wiseman (D.J): (ed. and translation),
"Chronicles of Chaldean Kings (626-556 B.C.)", 1956.

Wood (W.C.) :
"The Religion of Canaan from the Earliest Times to the Hebrew Conquests, Journal of Biblical Literature, 35 (1916), 1-133, 163-279.

Woolley (L.H.) :
"Abraham, Recent discoveries and Hebrew Originsa", 1963.; "Excavations at Ur - A Record of 'twelve years wcrk", 4th imp., London, 1963.

Yeivin (Sh.) :
"The Israelite Conquest of Canaan", Dutch Institute at Istambul Series, Vol, XXVII, Istambul, 1971.

Zetlin (S.) :
"The Sadducees and the Pharisees", 1936.

Zimmels (H. J.) :
"Ashkenazim and Sephardim", London, 1958. "Map of the Holy Land" , Scale 1: 596, 880, Compiled by the National Geographic Society, Atlas Plate 52, Dec. 1963.

* * *

٢ ـ مختارات من المراجع العربية والمعربة

الإبراشى (محمد عطية):

" الآداب السامية "، القاهرة، ١٩٤٦م.

إبراهيم عبده (الدكتور على) وقاسمية(خيرية):

" يهود البلاد العربية "، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، (دراسات فلسطينية ٨٢)، بيروت، حزيران ١٩٧١م.

أبو عسل (إيلى ليفى):

" يقظة العالم اليهودى "، القاهرة، ١٩٣٤م.

أبونا (ألبير):

" أدب اللغة الأرامية "، بيروت، مطبعة ستاركو، ١٩٧٠.

أتيلفان (الجنرال جواد رفعت):

" الخطر المحيط بالإسلام " بالتركية، ترجمة وهبى عز الدين، مطبعة الجاحظ، بغداد ١٩٦٥م.

أحمد العلى (الدكتور صالح):

" محاضرات في تاريخ العرب "، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، بغداد، ١٩٦٧م.

أرمان (أدولف):

" ديانة مصر القديمة - نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة "، ترجمة الدكتور عبد المنعم أبو بكر وراجعه الدكتور محمد أنور شكرى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، (بلا تاريخ).

الأصمعى (عبد الملك):

" تاريخ العرب قبل الإسلام "، تحقيق الشيخ محمد آل ياسين، بغداد، ١٩٥٩م.

باقر (طه):

" ديانة البابليين والأشوريين "، سومر م٢، ١٩٤٦)، ص ١ ـ ١٩، ١٧٩ ـ ١٩٦؛ " عقائد سكان العراق في العالم الآخر "، سومر م١٠ (١٩٥٤)،

ص ٨ - ٣٩؛ " علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب "، سومر م٥ (١٩٤٩)، ص ١٢٣ - ١٥٨؛ " علاقات العراق القديم وبلدان الشرق الأدنى "، سومر م٤ (١٩٤٨)، ص ٨٦ - ١٠٢؛ " معابد العراق القديم "، سومر م٣ (١٩٤٧) نص ١٢ - ٣٧؛ " مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة "، جزءان، ١٩٥٥ - ١٩٥٦؛ " ملحمة جلجامش والطوفان "، سومر م٦ (١٩٥٠)، ص ٣٢ - ٨٠، ١٤٣ - ١٩١.

باقر (طه) وسفر (فؤاد) والشمسى (يعقوب):

" تاريخ العصور القديمة "، الطبعة السابعة، بغداد، ١٩٦٠.

بدوى (أحمد زكى):

" تاريخ التطور الدينى "، مطبعة دار النشر والتأليف التجارى، القاهرة، (بلا تاريخ).

بروكلمان (كارل):

" تاريخ الشعوب الإسلامية "، نقله إلى العربية الدكتور نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٣.

بريستد (الدكتور جيمس هنرى):

" العصور القديمة "، نقله إلى العربية داود قربان، المطبعة الأميركانية في بيروت، ١٩٣٦؛ " انتصار الحضارة - تاريخ الشرق القديم "، نقله إلى العربية الدكتور أحمد فخرى، نشرته الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية، ١٩٦٢؛ " تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى "، ترجمة الدكتور حسن كمال، القاهرة، ١٩٢٩؛ " فجر الضمير "، ترجمة الدكتور سليم حسن، دار مصر للطباعة، ١٩٥٦.

بصمة جى (الدكتور فرج):

" أقوام الشرق القديم وهجراتهم "، سومر ٣ (١٩٤٧)، ص ٨٧ - ٩٩.

بهاء الدين (أحمد):

" إسرائيليات "، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الهلال.

بوست (جورج):

" قاموس الكتاب المقدس "، ترجمة وتأليف، بيروت، المطبعة الأمريكانية، ١٨٩٤ - ١٩٠١.

بيتى (إيلين):

" أزيلوا إسرائيل "، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٧.

بيرغر (ألمر):

" إسرائيل باطل يجب أن يزول "، بيروت، ١٩٥٥.

تايلور (آلان ر)

" مدخل إلى إسرائيل "، تعريب شكرى محمود نديم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٩.

التميمى (الدكتور رفيق):

" جو الجزيرة العربية وأثره في الهجرات السامية "، مجلة المقتطف، عدد يوليو ١٩٤٤، المجلد الخامس بعد المائة، ص ١٢٠ - ١٣٠.

توينبى (أرنولدجى):

" بحث في التاريخ "، في جزأين يشتمل على موجز المجلدات الستة الأولى من كتابه المؤلف من عشرة مجلدات، نقله إلى العربية وعلق عليه طه باقر، بغداد، ١٩٥٥؛ " فلسطين جريمة ودفاع "، ترجمة عمر الديراوى، بيروت، ١٩٦١.

الجارم (محمد النعمان):

" أديان العرب في الجاهلية "، القاهرة، ١٩٢٣.

جرجس (الدكتور صبرى):

" التراث اليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى "، القاهرة، ١٩٧٠.

الجمعية الفلسطينية لمقاومة الصهيونية:

" فلسطين "، طبع في المطبعة التجارية السورية في نيويورك، ١٩١٩.

الجميلى (رشيد):

" تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية "، بيروت، ١٩٧٢.

حتى (الدكتور فيليب) و جبور (الدكتور جبرائيل) وجرجى (الدكتور إدوارد):

" تاريخ العرب "، جزءان، الطبعة الرابعة، ١٩٥٥، بيروت (دار الكشاف).

حسن (قاسم):

" العرب والمشكلة اليهودية "، بغداد، ١٩٤٦.

حمدان (محمد مصباح):

" الاستعمار والصهيونية العالمية "، دار المكتبة العصرية، ١٩٦٧.

الخازن (الشيخ نسيب وهيبة):

" من الساميين إلى العرب "، بيروت، ١٩٦٢؛ " أوغاريت: أجيال وأديان وملاحم "، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦١.

الخالدى (إدريس):

" الموجات السامية "، مجلة المعلم الجديد، م٣٠ (كانون الثانى - حزيران)، ١٩٦٧، ص ١١١ - ١١٧.

الخربوطلى (الدكتور على حسنى):

" العرب والحضارة "، القاهرة، مكتبة الأنجلو - مصرية، ١٩٦٦؛ " العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود في العصور القديمة والإسلامية "، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٩.

الخطيب (محب الدين):

" اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب "، القاهرة، ١٩٢٥.

خليل أحمد (إبراهيم):

" إسرائيل فتنة الأجيال - العصور القديمة "، مكتبة الوعى العربى، القاهرة، ١٩٦٩.

خورى (يعقوب):

" اليهود في البلدان العربية "، بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٧٠.

الدباغ (الدكتور تقى):

" آلهة فوق الأرض: دراسة مقارنة "، سومر م٢٣ (١٩٦٧)، ص ١٠١ - ١٢٣؛ " طبيعة الدراسات الأثرية "، مجلة الأستاذ، م١٥ (١٩٦٧ - ١٩٦٨)، ص ٣١٩ - ٣٥٣.

الدباغ (مصطفى مراد):

" بلادنا فلسطين "، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٥.

الدبس (المطران يوسف):

" تاريخ سورية ".

دروزة (محمد عزت):

" تاريخ الجنس العربى في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار "، في ثمانية أجزاء، ١٩٤٦ - ١٩٦٤؛ " تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم "، مطبعة نهضة مصر (بلا تاريخ).

الدش (محمد محمود):

" اليهود والحضارة الإنسانية "،مجلة العربى، العدد ١٠٩ (كانون الأول ١٩٦٧)، ص ٥٠ - ٥٧.

" دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠ "، بغداد.

الدواليبى (الدكتور محمد معروف):

" دراسات تاريخية عن أصل العرب وحضارتهم الإنسانية "، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧١.

دويتشر (إسحاق):

" اليهود اللايهودى "، ترجمة ماهر كيالى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧١. وقد صدرت في السنة نفسها ترجمة أخرى قام بها مصطفى الحسينى، نشرتها دار الحقيقة للطباعة والنشر (المكتبة الاشتراكية) في بيروت أيضا تحت عنوان " دراسات في المالية اليهودية "، أما عنوان الكتاب بالإنجليزية فهو:

Deutscher (Isaac), “The Non - Jewish Jew”, Oxford University Press, 1968.

ديسنو (رينه):

" العرب في سورية قبل الإسلام "، ترجمة عبد الحميد الدواخلى، نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر المصرية سنة ١٩٥٩.

ديورانت (ول):

" قصة الحضارة "، ترجمة محمد بدران، الطبعة الثالثة، ١٩٦١، جامعة الدول العربية (انظر: " اليهود " في الفصول ١ - ٧ من الباب الثانى عشر، الجزء الثانى من المجلد الأول، ص ٣٢١ - ٣٩٨).

رشدى (عمر):

" الصهيونية وربيبتها إسرائيل "، الطبعة الثانية، ١٩٦٥.

رودنسن (مكسيم):

" إسرائيل واقع استعمارى "، ترجمة إحسان الحصنى، دمشق، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومى، ١٩٦٧.

رومال (جاك) ولورا (مارى):

" التحدى الصهيونى "، تعريب نزيه الحكيم، منشورات دار العلم للملايين، بيروت، ترجم إلى العربية عن الفرنسية.

روهلنج (الدكتور) ولوران (شارل):

" الكنز المرصود في قواعد التلمود "، ترجمة من الفرنسية الدكتور يوسف نصر الله، القاهرة، ١٨٩٩.

زيدان (جرجى):

" فلسطين "، الهلال (١٩١٣ - ١٩١٤)؛ " العرب قبل الإسلام "، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٣٩.

سالم (الدكتور عبد العزيز):

" دراسات في تاريخ العرب "، الإسكندرية، ١٩٦٨ (جزءان).

سعيد الأحمد (الدكتور سامى):

" الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية "، من منشورات الجمعية العراقية للتاريخ والآثار، رقم ١، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٩.

السقاف (ابكار):

" إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة "، القاهرة، ١٩٦٧.

سوسة (الدكتور أحمد):

" الرى والحضارة في وادى الرافدين "، بغداد، ١٩٦٨؛ " فيضانات بغداد في التاريخ "، طبع في ثلاثة أجزاء، بغداد، ١٩٦٣ - ١٩٦٦.

شايدل (فرانتس):

" إسرائيل أمة مفتعلة "، ترجمة محمد جديد، دمشق، ١٩٦٩.

شبل (فؤاد محمد):

" دور مصر في تكوين الحضارة "، المكتبة الثقافية، العدد ٢٧٠، القاهرة، ١٩٧١؛ " مشكلة اليهودية العالمية "، المكتبة الثقافية، العدد ٢٤١، القاهرة، ١٩٧٠.

شلبى (دكتور أحمد):

" مقارنة الأديان - اليهودية "، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٣.

الشواف (قاسم):

" مع الكلمة الصافية: دراسة فلسطينية "، دمشق، ١٩٦٩.

صايغ (هلدا شعبان):

" التمييز ضد اليهود الشرقيين في إسرائيل "، سلسلة دراسات فلسطينية - ٨٥ -، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٦٧.

طعيمة (صابر عبد الرحمن):

" الصهيونية في التاريخ "، مكتبة القاهرة الحديثة، بلا تاريخ.

ظاظا (دكتور حسن):

" الفكر الدينى الإسرائيلى أطواره ومذاهبه "، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٠.

العامرى (محمد أديب):

" عروبة فلسطين في التاريخ "، بيروت، ١٩٧٢.

عبد المجيد (الدكتور محمد بحر):

" اليهود في الأندلس "، المكتبة الثقافية، العدد ٢٣٧، القاهرة، ١٩٧٠.

عبد المعطى (فتحى فوزى):

" المزاعم الصهيونية في فلسطين "، سلسلة اقرأ (٢٧٤)، دار المعارف في مصر، ١٩٦٥.

عبد المعيد خان (محمد):

" الأساطير العربية قبل الإسلام ".

عزام (الدكتور عبد الوهاب):

" مهد العرب "، سلسلة اقرأ، مارس ١٩٤٦.

العزب موسى (محمد):

" موسى... مصريا "، المكتبة الثقافية، العدد ٢٢٧، دار الكاتب العربى، ١٩٦٩.

العقاد (عباس محمود):

" الصهيونية وقضية فلسطين "، بيروت، صيدا؛ " اليهودية "، دار الكاتب العربى، ١٩٧٠؛ " الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين "، المكتبة الثقافية، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، بلا تاريخ؛ " إبراهيم أبو الأنبياء "، مطابع دار الهلال، بلا تاريخ.

على إمام عطية:

" الصهيونية العالمية وأرض الميعاد "، القاهرة، ١٩٦٣.

على (الدكتور جواد):

" أصنام العرب "، سومر م ٢٣ (١٩٦٧)، ج١ و ٢، ص ٣ - ٤٦؛ " تاريخ العرب قبل الإسلام "، في ثمانية أجزاء من مطبوعات المجمع العلمى العراقى؛ " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام "، دار العلم للملايين، بيروت، ٩ أجزاء.

عون (حسن):

" أحجار على رقعة الشطرنج "، ترجمة سعيد جزائرلى، بيروت، ١٩٧٠.

الغمراوى (المقدم أمين ساقى):

" لهذا.. أكره إسرائيل "، القاهرة، ١٩٦٤.

غنيم (أحمد محمد):

" اليهود والحركة الصهيونية في مصر (١٨٩٧ - ١٩٦٢) "، كتاب دار الهلال، العدد ٢١٩، يونيو ١٩٦٩.

الغورى (إميل):

" فلسطين "، سلسلة الثقافة الشعبية رقم ٤٤، وزارة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٢.

فتحى صفوة (نجدت):

" اليهود والصهيونية في علاقات الدول الكبرى "، ١٩٦٧؛ " بيروبيجان - التجربة السوفيتية لإنشاء وطن قومى يهودى "، مركز الدراسات والبحوث

الفلسطينية، جامعة بغداد، ١٩٧٣.

فريحة (الدكتور أنيس):

" ملاحم وأساطير من أوغاريت (رأس الشمرا) " نشرته الجامعة الأمريكية في بيروت ١٩٦٦؛ " الشعوب السامية ولغاتها "، مجلة الاعتدال، آب ١٩٣٧.

فليشرز (فارديس):

" وادى الأحلام "، تعريب فريد لقمان، مطبعة الحرية، بغداد، ١٩٦٨.

فورد (هنرى):

" اليهودى العالمى - المشكلة التي تواجه العالم "، تعريب خيرى حماد، ١٩٦٧.

فوزى (الفريق محمد) ورشدى (عمر):

" الصهيونية وربيبتها إسرائيل ".

القبل (الدكتور محمد رشيد):

" اليهود وعلم الأجناس "، بغداد، مطبعة شفيق، (بلا تاريخ).

" الكتاب المقدس "، طبعة جمعية التوراة الأمريكانية.

" الكتاب المقدس "، الطبعة الكاثوليكية لسنة ١٩٦٠، بيروت (كتب العهد القديم والعهد الجديد).

كتن (هنرى):

" فلسطين في ضوء الحق والعدل "، نقله إلى العربية وديع فلسطين. مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٠، عنوانه بالإنجليزية:

Cattan (Henry), “alestine, The Arabs and Israel. The Search for Justice”, Longman, 1969.

كريمر (صموئيل):

" من ألواح سومر "، ترجمة طه باقر، نشرته مكتبة المثنى ببغداد، وطبعته مؤسسة الخانجى بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.

الكيالى (عبد الوهاب):

" تاريخ فلسطين الحديث "، بيروت، ١٩٧٠؛ " الموجز في تاريخ فلسطين الحديث "، بيروت، ١٩٧١.

كيرا (إدوارد):

" كتبوا على الطين "، ترجمة وتعليق محمود حسين الأمين، نشرته مكتبة الجوادى ببغداد بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٦٢.

لوبون (الدكتور غوستاف):

" اليهود في تاريخ الحضارات الأولى "، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة، ١٩٥٠.

لويس (برنارد):

" العرب في التاريخ "، بيروت، ١٩٥٤.

ليلنتال (ألفريد):

" إسرائيل ذلك الدولار الزائف ".

ليون (إبراهام):

" المفهوم المادى للمسألة اليهودية "، ترجمة وتقديم عماد نويهض، دار الطليعة، بيروت ١٩٦٩.

مجموع كنائس الشرق:

" قاموس الكتاب المقدس "، الطبعة الثانية، ١٩٧١، بيروت.

محمد (الدكتور محمد عوض):

" ليس اليهود من بنى إسرائيل "، الهلال ج٧، (يوليو ١٩٤٧)، ص ٢٣ - ٢٩؛ (المسألة الصهيونية في نظر العلم "، القاهرة، ١٩٤٧.

محمود (مصطفى):

" التوراة موضع خلاف "، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢؛ " مجلة شئون فلسطينية "، مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية؛ " مجلة الدراسات الفلسطينية "، جامعة بغداد.

معروف (الدكتور ناجى):

" أصالة الحضارة العربية "، مطبعة الزمان، بغداد، ١٩٦٩.

معروف (خلدون ناجى):

" الأقلية في العراق، ١٩٢١ - ١٩٥٢ "، القاهرة، ١٩٧٢.

مكاريوس (شاهين بك):

" تاريخ الإسرائيليين "، مطبعة المقتطف، ١٩٠٤.

مورتكات (الدكتور أنطون):

" تاريخ الشرق الأدنى القديم "، تعريب توفيق سليمان وعلى أبو عساف وقاسم طوير، مطبعة الإنشاء، دمشق، ١٩٦٧ (صدر النص الألمانى سنة ١٩٥٠).

مونو (مارتين):

" إسرائيل كما رأيتها "، ترجمة حليم طوسون، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر، ١٩٧١.

نافع (محمد مبروك):

" تاريخ العرب: عصر ما قبل الإسلام "، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٥٢.

النجار (عبد الوهاب):

" قصص الأنبياء "، الطبعة الثانية المنقحة، القاهرة، ١٩٣٦.

نولدكه (تيودور):

" اللغات السامية "، مترجم عن الألمانية، نشرته دار النهضة العربية بالقاهرة، ١٩٦٣، أما عنوانه بالألمانية فهو:

The Noldeke, “Die Simitischen Sprachen”, 1899.

" أمراء غسان "، بيروت، ١٩٣٣.

نويهض (الأستاذ عجاج):

" بروتوكولات حكماء صهيون "، مجلدان يشتملان على أربعة أجزاء (خال من الإشارة إلى مكان وزمان الطبع)، بحث شامل وقيم تناول أكثر من بروتوكولات حكماء صهيون، لا يستغنى عنه في دراسة تاريخ اليهودية بوجه عام.

نيلسن (دكتور ديتلف ورفاقه):

" التاريخ العربى القديم "، ترجمة الدكتور فؤاد حسنين على، القاهرة، ١٩٥٨.

وافى (الدكتور على عبد الواحد):

" اليهودية واليهود "، بحث في ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعى والاقتصادى، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٠.

ولفنسون (الدكتور إسرائيل):

" تاريخ اللغات السامية "، القاهرة، ١٩٢٩؛ " تاريخ اليهود في بلاد العرب "، القاهرة، ١٩٢٧؛ " موسى بن ميمون "، القاهرة، ١٩٣٦.

يوسف (شريف):

" تاريخ اليهود كما يلقنه الصهاينة لأبنائهم "، مجلة العربى، العدد ١٠٨ (تشرين الثانى ١٩٦٧)، ص ١٠٥ - ١١١ (نشر المقال نفسه أيضا في مجلة المعلم الجديد، م٣، كانون الثانى - حزيران ١٩٦٧، ص ٧٤ - ٨٢).

* * *

الملحق الرابع:
معجم مفهرس للأعلام والأقوام والبلدان
وبعض المصطلحات الضرورية

يتناول هذا المعجم عرضا جغرافيا وتاريخيا لأهم المدن ومراكز العمران القديمة ذات العلاقة بموضوع هذا الكتاب مع نبذة عن الأقوام والأعلام الذين عملوا على تأسيسها وعاصروها. ونحن إذ نقدم هذا المعجم إلى القارئ نعلق عل يه أهمية خاصة لأنه لا يمكن تفهم حقيقة تاريخ فلسطين القديم بصورة صحيحة وعلمية دون الوقوف على الوضع التاريخ والجغرافى للمنطقة وما جاورها من البلدان والأماكن القديمة. ويتضح من مطاوئ هذا المعجم أن المدن والقرى والأماكن الفلسطينية التي عدها اليهود خاصة بهم وتحدثوا عنها وكأنها مدنهم القديمة، وكذلك الشخصيات التي اعتبرها الصهاينة مرتبطة بتاريخهم واتخذوها أسلافا لهم لمجرد ورود ذكرها في التوراة ترجع إلى عهد موغلة في القدم ظهرت على مسرح الأحداث في أزمان لم يكن لليهود أى وجود فيها.

ومن الأماكن الفلسطينية الكنعانية التي حافظت على أسمائها القديمة حتى الآن أورشليم وصهيون وفلسطين وإسرائيل وأريحا وغزة وبيت شان (بيسان) وعجلون (عجلان) وعقرون (عاقر) وصيدون (صيدا)، وصور وعكو (عكا)، وأشقلون (عسقلان)، وأشدود (أسدود)، وارواد (رواد) والكرمل وغيرها. وقد عثر على جدران هيكل بلدة طيبة المصرية على جدول بأسماء ١١٨ مدينة كنعانية افتتحها تحوطمس الثالث (١٤٧٩ - ١٤٤٧ ق.م) وهذا يعد أقدم ذكر للمدن الكنعانية إذا استثنينا وصف حملات الفراعنة الأقدمين على بلاد كنعان التي ترجع إلى الألف الثالثة قبل الميلاد والتى ذكر فيها بعض أسماء المدن الكنعانية، وكان ذلك قبل أن يظهر اليهود إلى عالم الوجود. ومع ذلك يحاول الصهاينة اليوم إحياء هذه الأسماء القديمة واعتبارها أسماء عبرية (يهودية) لمجرد ورود ذكرها في التوراة على الرغم من أن المكتشفات الآثارية قد أثبتت وجودها بأسمائها الكنعانية الأصلية قبل عصر موسى واليهود بعدة قرون. لذلك فإن فائدة التوراة التاريخية تنحصر بنقلها إلينا بأسماء بلدان وأماكن من العهد الكنعانى وبوصفها جغرافية بلاد كنعان بوجه عام كما كانت قبل وبعد دخول الموسويين إليها.

كان هذا صحيحا بالنسبة للطبعات السابقة ولكننا ارتأينا هنا إضافة بعض المصطلحات الغريبة التي تجهلها، في اعتقادنا، غالبية القراء وربما لا تتوافر

لأكثرهم المراجع لمعرفتها مما جعلنا نضيف إلى عنوانه فقرة " وبعض المصطلحات الضرورية " وهذا أيضا زاد في الأهمية التي نعلقها عليه.

إبرام (إبراهيم الخليل):

نبى من الأنبياء الساميين العرب ورد ذكره في التوراة باسم " إبرام " و " إبراهيم " (ت، ١٧: ٥)،ـ وفى القرآن الكريم باسم إبراهيم الخليل " واتخذ الله إبراهيم خليلا " (سورة النساء: ١٢٥)، يرجع نسبه البعيد إلى سام بن نوح، وهو ابن تارخ بن ناحور ابن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن أفكشاد بن سام (تك، ١١: ١٠ ـ ٢٦). أما نسبه القريب فيرجع إلى القبائل الأرامية التي نزحت في الأصل من جزيرة العرب واستقرت في منطقة حاران (حرّان حاليا) قرب منابع رافدى الفرات، الخابور باتجاه الجنوب إلى منطقة بابل في الفرات الأسفل فكان إبراهيم من ذريتها، وترجع القبائل الأرامية إلى أرام من بنى سام أيضا (تك، ١٠: ٢٢) أى إلى الأصل العربى السامى لأن القبائل الأرامية وقبائل العرب البائدة أو العرب العاربة تنحدر من أصل واحد ومن جنس واحد: هو الجنس العربى السامى. وبذلك يكون إبراهيم الخليل أراميا وزعيما من زعماء العرب البائدة ومن مواليد العراق.

ومع اختلاف الباحثين في تعيين مكان ولادته فإن أكثرهم متفق على أنه كان في كوثا قرب بابل، كان ظهوره على مسرح الأحداث في حوالى القرن التاسع عشر قبل الميلاد داعيا إلى عبادة (الله) خالق السماوات والأرض بين أبناء قومه الوثنيين، فلاقى من جراء دعوته هذه أشد الاضطهاد، فاضطر أثر ذلك إلى الهجرة هو وأتباعه فرحل من أور إلى " حاران " (حرّان حاليا) حيث تقيم عشيرته ومنها جاء بمفرده إلى أرض كنعان (فلسطين) وذلك بعد أن مكث في دمشق مدة من الزمن قيل أنه ملك فيها، وعندما اجتاحت بلاد كنعان موجة من القحط والغلاء رحل إبراهيم عنها إلى مصر وأقام فيها فترة صارت له فيها ثروة كبيرة ثم غادرها وكل ما كان له عائدا إلى كنعان وأقام في حبرون (الخليل حاليا). وقد رزق إبراهيم من جاريته المصرية هاجر ابنا أسماه إسماعيل ثم ولدت له زوجته (سارة) في شيخوخته ابنا أسماه إسحاق.

وقد ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى ارتباط إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل بالجزيرة العربية وذلك بذكر اسميهما مقرونين ببيت الله العتيق (مكة المكرمة). وقد جاءت المكتشفات الآثارية حول الهجرات السامية العربية إلى الهلال

الخصيب مؤيدة لذلك. وهذا يدل على أن دور إبراهيم الخليل وابنه إسحاق وحفيده يعقوب (إسرائيل) دور مستقل لا صلة له بعصر موسى واليهود الذي يقع بعد زمن إبراهيم الخليل بسبعمائة عام.

وقد توفى إبراهيم الخليل بحسب التوراة في حبرون حيث دفن هو وسارة امرأته التي توفيت قبله (تك ٢٥: ٧ - ١٠)، ويرجح أن وفاته كانت في حوالى أواخر القرن التاسع عشر قبل الميلاد (انظر الفصل الخامس - عصر إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ص ٤٠٧).

أخلامو:

الأخلامو تسمية شاملة وردت في الكتابات القديمة لجماعة من القبائل البدوية في شمال الجزيرة العربية، يرجع ذكرهم إلى زمن أخناتون بصفتهم محاربين مع المدن السورية (انظر: تل العمارنة، أخناتون). وقد ورد ذكرهم في الكتابات الأشورية من عهد أداد نيرارى الأول حوالى (١٣٠٠ ق.م) الذي أشار إلى أن والده أخضع جماعات الأخلامو في أعالى الرافدين، وفى كتابات تعود إلى نفس العهد ما يشير إلى وجود الأخلامو في منطقة العراق ووصفوا بكونهم مصدرا للاضطرابات في تلك المنطقة، وفى العهد الأخير أصبح الأخلامو مرتبطين كليا بالأراميين في صد الغزو الأشورى، ونظرا لشهرة هذه القبائل صار اسمها كثيرا ما يطلق على الأراميين بوجه عام (انظر: هجرة الأراميين في الفصل الأول، ص ٩٨).

وقد ورد اسم الأخلامو مقرونا مع اسم قبائل " العبيرو " أو " الهبيرو " أو الخبيرو (انظر: مسألة العبرى والعبيرو في الفصل الخامس ص ٤٢٤).

الأخمينيون:

قوم من بلاد فارس ظهروا على المسرح الدولى في القرن السادس قبل الميلاد بزعامة ملكهم قورش الأخمينى الذي استطاع توحيد بلاد إيران وتوسيع سلطانها على جميع الأقطار الواقعة في شمال إيران. ثم جهز قورش حملة قوية على بابل التي كانت بحوزة الكلدانيين وفتحها عام ٥٣٩ ق.م (انظر: الكلدانيون) وجعلها مركزا لفتوحاته شمالا وغربا وفى زمن أخلافه امتد نفوذ الأخمينيين إلى آسيا الصغرى وبلاد الشام وفلسطين ومصر.

ومن أعمال قورش التي لعبت دورا بارزا في تطور اليهودية أنه سمح لليهود الذين كانوا في الأسر في بابل بالعودة إلى أورشليم وإعادة بناء الهيكل، وقد دام

حكم الفرس الأخمينيين في العراق ٢٠٨ سنوات من سنة ٥٣٩ إلى سنة ٣٣١ ق.م، وكانت بلاد الشرق الأوسط في هذه الفترة مسرحا لحروب دامية مستمرة بين الفرس الأخمينيين والإغريق انتهت باستيلاء الإسكندر المقدونى على بابل عام ٣٣١ ق.م، والقضاء على الدولة الأخمينية في العراق.

أخناتون:

هو فرعون مصر الذي حكم من سنة ١٣٧٥ إلى سنة ١٣٥٨ ق.م كان يعرف أيضا باسم أمنحوتب أو أمنوفيس من الأسرة الثامنة عشرة، اشتهر في دعوته إلى دين التوحيد الخالص، وقد اضطر إلى نقل مقر عاصمته من طيبة إلى العمارنة بسبب ذلك، وقد سببت هذه الثورة الدينية ارتباكا داخل مصر وضعفا في أجزاء الإمبراطورية المصرية، وبعد أن مات أخناتون رجعت مصر إلى ديانتها الوثنية.

أدوم:

لقب عيسو بن إسحاق (تك، ٣٦: ٨) وقد سميت المنطقة التي استوطنها نسله باسمه " أدومى " أو " أرض أدوم " وكان القسم الذي سكنه الأدوميون منها يدعى " جبل سعير " (انظر: جبل سعير)، وتقع هذه المنطقة في جنوب شرقى فلسطين، وكانت " بصرة " أو " باصر " عاصمة القسم الشرقى منها، و " سالع " عاصمة القسم الجنوبى. وكان لسكان هذه المنطقة قبل الأدوميين ملوك منهم ملك اسمه شاؤول (تك، ٣٦: ٣١ - ٣٩). وكان معهم جماعة من الحوريين في أرض سعير لهم أمراء أيضا (تك، ٣٦: ٢٠). ثم صار للأدوميين أمراء منهم (تك، ٣٦: ٤٠ - ٤٣).

وكان الأدوميون من ألد أعداء الموسويين لذلك عارضوا، هم وجيرانهم الموآبيون، مرور الموسويين ببلادعم عند صعودهم من مصر، فاضطروا إلى الإقامة في " قادش برنيع " وساروا في القفر وداروا بأرض أدوم وأرض موآب (قض: ١١: ١٦ - ١٧؛ عد، ٢٠: ١٦ - ٣١). ثم أذنوا لهم أن يمروا بتخمهم الغربى على أن يأخذوا منهم أثمان المأكول والمشروب فضة (تث، ٢: ٢٨، ٢٩).

وقد استولى الموسويون في عهد الملك شاؤول (١٠٢٠ - ١٠٠٤ ق.م) على أرض أدوم (١ صم، ١٤: ٤٧). وخضعت للملك داود بعد ذلك (٢ صم، ٨: ١٤)، كما خضعت ليهوذا، ثم عصت في عهد الملك يهورام (٨٤٨ - ٨٤١ ق.م) واستقلت بعد حروب شديدة (٢ مل، ٨: ٢٠ - ٢٢).

وقد ورث الأدوميون القسم الشرقى من مملكة يهوذا بعد أن قضى الكلدانيين عليها، إلا أن الأنباط زاحموهم فترة من الزمن. وقد اعتبرت التوراة العماليق العرب من ذرية عيسو (تك، ٣٦: ١٥).

أرابخا:

التسمية القديمة لمدينة كركوك الحالية، كانت مركزا من مراكز الحوريين في العراق من ضمن مملكة ميتانى (انظر: الحوريون في الفصل الأول ص ١٥١، وكركوك في هذا المعجم).

أرام معكة: انظر معكة.

أرام نهرايم:

دويلة من الدويلات التي أسسها الأراميون في شمال سورية في حوالى نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ومعناها " بلاد ما بين النهرين "، ولعل المقصود بالنهرين (نهرى الفرات ورافده الخابور) أو (رافدى الفرات، الخابور والبليخ). أما كلمة " أرام " فقد وردت في التوراة مرارا مضافة إلى أسماء أماكن مثل " أرام دمشق "، و " أرام صوبا "، و " أرام النهرين "، و " فدان أرام "، و " أرومو أرام "، و " أرام بيت رحوب "، ولعل المقصود بها نسبة إلى أرام بن سام (تك، ١٠: ٢٢).

وقد ورد ذكر هذه المنطقة في المصادر المسمارية مرارا خاصة في المدونات التي تعود إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد باسم (نهارين) كما ورد ذكر " أرام نهرايم " في التوراة (تك، ٢٤: ١٠؛ قض، ٣: ٨) للدلالة على منطقة حران الحالية ولما ترجم اليونانيون التوراة إلى اليونانية أطلقوا عليها اسم " ميزوبوتامية " أى بلاد ما بين النهرين، ثم صار هذا المصطلح اليونانى يطلق على الجزء من العراق المحصور بين دجلة والفرات، وأخيرا صارت الكلمة تطلق ليس على الأقسام الشمالية من العراق فقط بل امتد مدلولها ليشمل كامل القطر العراقى.

الأراميون:

انظر هجرة الأراميين في الفصل الأول ص ٩٧ وما يليها.

أربع: انظر حبرون، العناقيون.

أرواد:

قرية فينيقية سورية صغيرة على جزيرة لا تزال تعرف باسمها الأصلى

(أرواد) تقع قرب الشاطئ الشرقى للبحر الأبيض المتوسط وتبعد ٥ أميال إلى الجنوب من مدينة طرطوس، وقد ورد ذكر الأرواديين في التوراة حيث عدتهم من ذرية كنعان (تك، ١٠: ١٨).

أرومو أرام:

المنطقة التي سكنتها القبائل الأرامية في جنوب بابل وأسست فيها شبه ممالك مبعثرة مستقلة عن بابل الكبرى، بدد شملها سرجون ملك أشور وحذا حذوه ابنه الملك سنحاريب فسبى منها إلى أشور ٢٠٨ ألف نفس.

أريحا:

مدينة كنعانية قديمة يعدها الخبراء أقدم مدن فلسطين حيث أرجعوا تاريخها إلى ما قبل سبعة آلاف عام، وهذا ما جعل بعضهم يعتبروها أقدم مدينة في العالم، ماتزال موجودة حتى اليوم. شخّص الخبراء موقع أطلالها في تلك السلطان شمال المدينة الحالية. ومعنى " يريحو " في الكنعانية القمر مما يدل على أن عبادة القمر كانت منتشرة هناك.

اتخذها الهكسوس قاعدة لهم بين سنة ١٧٥٠ و ١٦٠٠ ق.م، وقد ورد ذكرها في التوراة باسم " أريحة " مدينة النخل (قض، ٣: ٨؛ ٢ أخ، ٢٨: ١٥؛ تث، ٣٤: ٣). وكانت أريحا أول مدينة حاصرها الموسويون بزعامة يشوع وافتتحوها عنوة بعد عبورهم الأردن ثم أحرقت بكل ما فيها ماعدا آنية الذهب والفضة والنحاس والحديد التي نقلت إلى خزانة بيت الرب (يش، ٦: ١٧ - ٢٦).

وقد أعيد بناء المدينة في عهد آخاب بن عمرى (ملك إسرائيل بعد الانقسام) (١ مل، ١٦: ٣٤). وكانت أريحا في زمن الرومان محل إقامة الملوك، مات فيها هيرودس الكبير (٣٧ - ٤ ق.م) وقد وصفها ياقوت الحموى في معجمه فقال أنها ذات نخل وموز وسكر كثير وله فضل على سائر سكر الغور.

إسرائيل:

هى التسمية التي أطلقت في التوراة على يعقوب، حفيد إبراهيم الخليل: " وظهر الله ليعقوب وقال له لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت " (تك، ٣٢: ٢٨، ٣٥: ١٠) ومعنى إسرائيل عبد الإله إيل، الإله العلى العظيم، الذي دعا إبراهيم الخليل إلى عبادته عندما نادى بالتوحيد (انظر إيل).

وقد ورد ذكر إسرائيل في الكتابات المصرية (عهد مرنفتاح سنة ١٢٣٠

ق.م) بصفة اسم لإحدى المدن في جنوب فلسطين، وهذا يدل على أن كلمة " إسرائيل " كلمة كنعانية (سامية عربية الأصل) ترجع إلى ما قبل الألف الثانية قبل الميلاد وكانت تحظى بقدسية روحانية بين سكان المنطقة، وذلك قبل ظهور موسى واليهود بعدة قرون، وقيل أن إسرائيل حكم في دمشق كما قيل في إبراهيم الخليل من قبله. وقد أرجع كتبة التوراة أصل اليهود إلى إسرائيل وإبراهيم الخليل وتسموا ببنى إسرائيل وذلك بغية إرجاع نسبهم إلى أقدس العروق البشرية وربط تاريخهم بعصور قديمة لم يكن لهم وجود فيها.

الإسماعيليون:

هم ذرية إسماعيل بن إبراهيم من جاريته المصرية هاجر، نمى نسله وكثر حتى أصبح أمة كثيرة العدد، عملوا بالتجارة ووصفوا وعرفوا بها فكانت لهم قوافل تنقل البضائع عبر الصحارى بين كنعان ومصر، والإسماعيليون هم الذين اشتروا يوسف (تك، ٣٧: ٢٥ - ٢٧)، وكانت مساكنهم قرب برية شور التي أمام مصر (تك، ٢٥: ١٨)، كما كان يسكن بعضهم مع المديانيين والعمالقة (قض، ٨: ٢٤) (انظر المديانيون)، وقد ورد في القرآن الكريم ما يؤيد ارتباط بنى إسماعيل بجزيرة العرب والبوادى العربية حيث جاء اسم إسماعيل مقرونا بالجزيرة العربية وبيت الله العتيق (سورة البقرة: ١٢٥ و ١٢٧).

وقد ورد اسم إسماعيل بالكتابات البابلية، فقد عثر على وثائق من " لارسا " تعود إلى عصر حمورابى (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق.م) فيها اسم شخص يدعى أهوبا بن إسماعيل بصفته أحد الشهود في وثيقة تجارية، وهذا يدل على أن التسمية سامية عربية ترجع إلى ما قبل عصر موسى واليهود.

الأسينيون أو المغتسلون:

فرقة يهودية ظهرت في فلسطين حوالى القرن الثانى قبل الميلاد وهى تختلف عن بقية الفرق اليهودية اختلافا جوهريا في عقائدها وتقاليدها. كانت له صبغة اشتراكية اعتزلت المدن وأقام أفرادها قرب بحر الميت في الكهوف والمغاور واتخذوا لهم نظاما نسكيا خاصا شديد الدقة يقوم على الصرامة والتقشف، وأتباعها رجال لا نساء بينهم، ومن أهم مبادئهم أنهم يحرمون نظام الرق على عكس الفرق اليهودية الأخرى التي تقوم نظمها على الرق.

ومن خصائص نظامهم رفض تقديم الذبائح والقرابين وتحريم الملكية الفردية من أى نوع كانت، ويدعون إلى التعايش السلمى بين جميع الشعوب. وكانوا

يحتمون على أنفسهم الطهارة فيغتسلون كل صباح في مياه الينابيع الصافية. وكانوا يعيشون على ما يزرعونه من الحبوب والفواكه وكانت مقتنياتهم شائعة بينهم. وكانوا يستحضرون العقاقير ويجمعون الحشائش ويشتغلون بشفاء الأمراض. لم تعمر هذه الفرقة طويلا إذ انقرضت في أواخر القرن الأول الميلادى وقت تدمير الرومان للقدس. وقد سمى منتسبو هذه الفرقة أيضا بالحسديين (Hasidim) بمعنى المشفقين.

أشدود:

معناه حصن أو معقل، هى إحدى مدن الفلسطينيين الخمس تقع على ثلاثة أميال من ساحل البحر المتوسط بين غزة ويافا لا تزال محافظة على اسمها القديم حيث تعرف باسم " أسدود " وتقع عندها قرية صغيرة في جوارها خرائب كثيرة سكنها أولا العناقيون (يش، ١١: ٢٢)، كانت مركزا لعبادة الإله داجون (١ صم، ٥: ٢

و٣ و ٤ و٥) قبل الغزو الموسوى (انظر: هجرة الفلسطينيين في الفصل الأول، ص ١٥٧ وما يليها).

أشقلون:

إحدى مدن الفلسطينيين الخمس وهى ميناء على ساحل البحر الأبيض المتوسط تقع على بعد عشرة أميال إلى الشمال من غزة، تعرف اليوم باسم " عسقلان " احتلها بنو يهوذا في عهد القضاة (قض، ١: ١٨). افتتحت في أيام عمر بن الخطاب على يد معاوية بن أبى سفيان وبقيت بيد المسلمين حتى استولى عليها الفرنج في الحروب الصليبية سنة ٥٤٨هـ (١١٥٣ م) ومكثت في يدهم ٣٥ سنة واستنقذها منهم السلطان صلاح الدين، ثم خربها سنة ٥٨٧هـ (١١٩١ م) مخافة استيلائهم عليها مرة أخرى وهى على هذا الخراب الآن وتشاهد في موضعها آثار العواميد والكتابات على الحجارة وسط أشجار كثيفة من الزيتون (انظر: هجرة الفلسطينيين في الفصل الأول ص ١٥٧ وما يليها).

أشور:

أولى عواصم بلاد أشور تقع أطلالها على الجانب الأيمن من نهر دجلة على بعد حوالى تسعة كيلو مترات جنوبى الشرقاط وتعرف خرائبها محليا باسم " قلعة الشرقاط ".

أشور بانيبال:

سادس ملوك الإمبراطورية الأشورية الثانية (٦٦٩ - ٦٢٦ ق.م) اشتهر بغزوه لمصر وانتصاره عليها (انظر: الأشوريون ص ١٣٨ وما يليها).

الأشوريون:

انظر بحث الأشوريين في الفصل الأول ص ١٣٨ وما يليها.

أشير:

ابن يعقوب من زلفة جارية ليئة (ابنها الثانى) (تك، ٣٠: ١٢ - ١٣، ٣٥ - ٢٦).

أفرايم:

الابن الثانى ليوسف بن يعقوب من أسنات بنت فوطى فارع كاهن أون (تك، ٤١: ٥٢).

الأكديون:

انظر: هجرة الأكديين إلى وادى الرافدين في الفصل الأول ص ١٢٠ وما يليها.

الأمورائيم:

جمع " أمورا " أى مكلم أو شارح. وهى كلمة عبرية كانت تطلق على طبقة من الأحبار اليهود (الأساتذة المحدثين)، وكان الأمورائيم يدرسون المشنة التي أعدها " التنائيم " في طبرية " انظر التنائيم ". ويعلقون عليها ويشرحون متونها شرحا وافيا وقد جمعت تلك التعليقات والشروح في مجموعة صارت تعرف " بالتلمود الأورشليمى " وكان الفراغ منه في أواخر القرن الثالث للميلاد (انظر بحث التلمود في الفصل الثالث ص ٢٩٢ وما يليها).

ولما اشتد ضغط الرومان على الأحبار اليهود في فلسطين انتقل عدد كبير منهم إلى العراق حيث أنشؤوا أربع مدارس كبرى للأمورائيم. وهناك استطاع الأمورائيم شرح المشنة شرحا أكثر تفصيلا وأشمل موضوعا مما اضطلع به علماء فلسطين. فصارت مجموعة الشروح العراقية تعرف باسم " التلمود البابلى " وقد كان الانتهاء منه سنة ٥٠٠ م، وبها انتهى دور الأمورائيم.

أميم:

قبيلة من قبائل العرب البائدة جعلها بعض الإخباريين في طبقة طسم وجديس (انظر: طسم وجديس)، وقالوا أن أبناءها يرجعون إلى لوذ بن نوح ومنهم " وبَّار بن أميم ".

أما موطنهم فقد عينه البعض برمل " عالج " بين اليمامة والشحر وقد انهارت عليهم الرمال فأهلكتهم. وقد ورد ذكر قرى لبنى وبار روت الكتب العربية قصصا كثيرة عنها ووصفتها بكثرة زروعها ومراعيها ومياهها، وقد أيد السياح ذلك إذ أثبتوا وجود آثار عمران قديم في هذه المنطقة مما يؤيد تطور جو بلاد العرب، وهناك عدة مواضع في الصحراء يطلق عليها السكان العرب اسم وبار قالوا إنها مكان وبار، المدينة المفقودة المنكوبة.

الأنبار:

مدينة عراقية قديمة تقع أطلالها اليوم على ضفة نهر الفرات اليسرى على بعد حوالى ستة كيلو مترات إلى الجنوب من صدر جدول الصقلاوية الحالى (حوالى ثمانية كيلو مترات إلى الشمال من مدينة الفلوجة) بناها سابور الثانى الساسانى (٣١٠ - ٣٨١ م) وقيل سابور الأول (٢٤١ - ٢٧٢ م) وكانت تدعى فيروزشاه.

وجاء في " نزهة القلوب " لحمد الله المتوفى سنة ٧٤٠ هـ / ١٣٤٠ م " أن مؤسس الأنبار هو الملك مهراب قايانيان وقد جعلها معتقلا لأسرى اليهود الذين سباهم بختنصر لذلك سميت الأنبار. ثم جدد بناءها سابور الثانى، وجعلها السفاح " كرسى مملكته " وقد أطلق أميان مرقلان على المدينة اسم بيريسابوراس وذلك عند وصفه حملة جوليان (٣٦٣ م) كما أنه وصف سورها المزدوج المنيع. هذا وقد كان للأنبار مكانتها في زمن العرب إذ اتخذها الخليفة العباسى الأول أبو عبد الله السفاح (١٣٢ هـ / ٧٥٠م) عاصمة مملكته وقد توفى في القصر الذي شيده فيها.

وقد ذكر ياقوت أن أبا جعفر المنصور (١٣٦ هـ / ٧٥٤ م) أخو السفاح سكنها أيضا ردحا من الزمن ثم انتقل منها إلى العاصمة الجديدة بغداد. وهذا مما يثبت أن المدينة تسبق عهد سابور.

الأنباط:

انظر " الهجرات السامية العربية المتأخرة " في الفصل الأول ص ١٦٢ وما يليها.

أنطاكية:

هى المدينة التي أسسها الملك سلوقس الأول حوالى سنة ٣٠٠ ق.م في شمال سورية، وقد اتخذها عاصمة له ومركزا رئيسيا في آسيا الصغرى لنشر الثقافة

الإغريقية، ومن ثم صارت من أهم المراكز التجارية في العالم لمركزها عند ملتقى الطرقات الممتدة من الفرات إلى البحر المتوسط ومن البقاع إلى آسيا الصغرى. تقع اليوم في الجمهورية التركية على الضفة اليسرى لنهر العاصى عند سفح جبل سيلبيوس على بعد حوالى عشرين ميلا عن ساحل البحر.

وفى زمن سلوقس الثانى (٢٤٦ - ٢٢٦ ق.م) استولى عليها بطليموس الأول حوالى سة ٢٤٥ ق.م، واستعادها أنطيوخس الثالث سنة ٢١٩ ق.م. أصبحت بعد انتشار المسيحية مقرا لبطريركية، احتلها الفرس سنة ٥٣٨م، وفتحها العرب سنة ٦٣٧ م، ثم استولى عليها الصليبيون سنة ١٠١٨ م. وانتقلت بعد ذلك إلى المماليك المصريين سنة ١٢٦٨م، وإلى العثمانيين ١٥١٦م، انتقلت إلى سورية سنة ١٩٢٠م لكنها أعطيت لتركيا ضمن سنجق الإسكندرون سنة ١٩٣٩م، ومازالت آثارها تشغل قسما من المدينة الحالية وقلعتها باقية أيضا.

أورشليم:

انظر: الملحق الأول من هذا الكتاب.

أورفة:

مدينة واقعة شرقى نهر الفرات داخل الحدود التركية على بعد ٢٠ ميلا إلى الشمال من حاران (حران) والتقليد القديم الشائع عند بعض الطوائف هو أن إبراهيم الخليل سكن فيها ويستشهدون بالمغارة عند سفح الجبل إلى الجنوب الشرقى من المدينة حيث ولد إبراهيم عليه السلام، على ما يزعمون، وهناك بركة يقال لها بركة إبراهيم الخليل يقص الأهلون أن إبراهيم الخليل لما غزته عساكر نمرود للاستيلاء على قطعانه تغلب عليهم اليأس فتضرع إلى الله يطلب منه العون فانقلبت أسماك البركة إلى جنود مدججة بالسلاح لم يسع جيوش نمرود إلا أن تلوذ بالفرار أمامها بعد أخذ الهلع والرعب منها مأخذا، ثم عادت هذه الجيوش إلى البركة إلى هيئتها السمكية الأصلية.

ولعل تسمية المدينة باسم " أورفه " مشتقة من مدينة أور فاقترنت باسم إبراهيم الخليل وباسم مدينة أور التي نزح منها، وصارت أورفة تعرف في عهد الإغريق باسم " إيديسا " فاشتهرت في كونها عاصمة أول مملكة مسيحية من عهد المسيح عليه السلام حيث جرى تبادل مراسلات بينه وبين ملك المدينة (ابكارس). (النظر: الرهاء).

أوغاريت:

انظر: تلك الشمرا.

أيتوع:

قبيلة أرامية انتشر أبناؤها في وادى ديالى الأسفل ثم امتدوا حتى سواحل الزاب الأصغر شهر عليهم الأشوريون حملة عنيفة وأقصوهم عن ديارهم وأبعدوهم إلى أقصى الجنوب وفرضوا عليهم الطاعة والجزية.

إيثام:

محلة نزل عندها الموسويون بعد خروجهم من مصر، تقع على ساحل خليج السويس الغربى بجانب البرية، ولما كانت برية شور التي على الجانب الشرقى من الخليج متصلة ببرية إيثام ولا يفصل بينهما غير الخليج فقد سميت برية شور باسم إيثام أيضا (خر ١٣: ٢٠؛ عد، ٣٣: ٦ - ٨) (انظر شور).

إيديسا: انظر أورفة، الرها.

أيلة وإيلا:

ميناء في رأس خليج العقبة كانت فرضة الأدوميين الرئيسية على رأس الخليج الشرقى من البحر الأحمر، تقع على مقربة منها ومتصلة بها ميناء " عصيون جابر " (تث، ٢؛ ٨؛ ٢أخ، ٨: ١٧)، وقعت في أيدى الموسويين في زمن الملك داود (١٠٠٤ - ٩١٠ ق.م) (٢ صم، ٨: ١٤؛١٤ أخ، ١٨: ١٣)، استرجعها الأدوميون في زمن يهوران ملك يهوذا (٨٤٨ - ٤٨١ ق.م) (٢ مل، ٨: ٢٠)، ثم أخذها منهم عزيا ملك يهوذا حتى احتلها رصين ملك أرام في زمن آحاز ملك يهوذا (٧٣٥ - ٧١٥ ق.م) وبقى الأراميون فيها (٢ مل، ١٦: ٦) (انظر: عصيون - جابر).

إيليم:

ثانى محطة نزل الموسويون عندها بعد عبورهم البحر الأحمر في طريقهم من مصر إلى فلسطين كانت فيها اثنتا عشرة عين وسبعون نخلة (خر، ١٥: ٢٧).

بابيلو (بابل):

هى مدينة بابل الشهيرة ورد ذكرها في التوراة تقع أطلالها على مسافة خمسة كيلو مترات شمال مدينة الحلة، كانت عاصمة الإمبراطورية البابلية القديمة التي اشتهر بها الملك حمورابى (١٩٧٢ - ١٧٥٠ ق.م) ثم فقدت مكانتها السياسية بعد استيلاء الحيثيين على بلاد بابل فخربوها، وكان ذلك سنة ١٥٩٥ ق.م، ثم

استعادت بابل مكانتها في عهد السلالة الباشية (السلالة البابلية الرابعة) التي طردت العيلاميين ووحدت أكثر المدن تحت إمرتها، اشتهر من ملوكها نبوخذ نصر الأول (١١٢٤ - ١١٠٣ ق.م). اضمحلت في العهد الأشورى إلا أنها عادت للمرة الثالثة فتبوأت مكانتها بعد تأسيس الدولة الكلدانية سنة ٦٢٦ ق.م، فمعظم شأنها في هذه الفترة حتى سقطت بيد قورش الفارسى سنة ٥٣٩ ق.م، فبقيت في العهد الفارسى محطا كبيرا للتجارة حتى ظهر الإسكندر من الغرب وقهر دارا ملك الفرس في واقعة أربيل سنة ٣٣١ ق.م، وبعد وفاة الإسكندر سنة ٣٢٣ ق.م، اضمحلت بابل نهائيا عندما شيد سلوقس عاصمته الجديدة فحلت سلوقية محل بابل. ومن أهم آثار بابل باب عشتار ونقوشه، وبرج بابل الشهير ذى الطبقات السبع وأسد بابل الذي وجد في القصر الرئيسى لنبوخذ نصر الثانى والجنائن المعلقة والطريق المقدسة المؤدية إلى هيكل الإله مردوخ المسمى " أى ساجيلا " أهم هياكل بابل.

باشان:

مقاطعة في أرض كنعان واقعة في شرقى الأردن بين جبلى حرمون وجلعاد (عد،٢١: ٣٧ (مز، ٦٨: ١٥) يحدها شمالا أرض دمشق وشرقا بادية سورية وجنوبا أرض جلعاد وغربا غور الأردن، كان سكان باشان الرفائيون (انظر: الرفائيون) طردهم موسى عند الاحتلال الموسويين لبلادهم، وكان يسكن معهم أيضا الجشوريون والمعكيون فلم يطردوا بل سكنوا في وسط إسرائيل على قول التوراة (يش، ١٣: ١٢ - ١٣).

باغوز:

انظر: تل باغوز.

بالميرا:

انظر تدمر.

بئر سبع:

بئر قديمة تقع على بعد حوالى ٢٠ ميلا إلى الجنوب الشرقى من غزة ترجع إلى عهد إبراهيم الخليل حيث تشير التوراة إلى أن إبراهيم هو الذي حفرها وأعطى سبع نعاج إلى الأمير هناك شهادة على حفره إياها (تك، ٢١: ٢٨ - ٣١). ومن هنا سميت بئر سبع وغرس إبراهيم أثلا فيها (تك، ٢١: ٢٣). وكذلك حفر إسحاق بن إبراهيم بئرا عن بئر سبع أيضا (تك، ٢٦: ٢٥ و٢٣). ثم أطلق على

المدينة اسم بئر سبع (تك، ٢٦: ٢٣).

بئر لحى رئى:

عين ماء بين قادش برنيع وبارد قرب برية شور حيث ظهر ملاك الرب لهاجر عندما كانت هاربة من وجه مولاتها ساراى (تك، ١٦: ٧ - ١٤)، وسكن إسحاق عند بئر لحى رئى (تك، ٢٤: ٦٢، ٢٥: ١١). (انظر: شور).

بيبلوس:

انظر: جبيل.

بحر الجليل:

هو بحيرة طبرية الحالية، يقع على بعد ٦٠ ميلا شمالى أورشليم و ٢٧ ميلا شرقى البحر المتوسط، طوله ١٢ ميلا ويتراوح عرضه بين ٤ و ٧ أميال، عمقه نحو ١٦٠ قدما، قعره أوطأ من مستوى سطح البحر المتوسط بـ ٦٨٢ قدما. تقع على شاطئه الغربى مدينة طبرية على بعد أربعة أميال من طرفه الجنوبى لذلك سمى " بحر طبرية " (يو، ٦: ١، ٢١: ١). وقد سمته التوراة " بحر كنروت " و " بحر كنارة " (يش، ١٢: ٣؛ عد، ٣٤: ١١؛ تث، ٣: ١٧).

البحر السدومى:

انظر البحر الميت.

بحر الملح:

انظر: البحر الميت.

البحر الميت:

هو البحر المستطيل الممتد من الشمال إلى الجنوب على الطرف الشرقى من جنوبى فلسطين وقد ورد ذكره بعدة أسماء في العهد القديم، ومن هذه الأسماء بحر الملك والبحر الشرقى والبحر السدوسى، ويسمى الآن بحر لوط مساحته ٣٠٠ ميلا مربعا معدل سطحه تحت سطح البحر المتوسط ١٢٩٣ قدما معدل عمقه ١٠٨٠ قدما، ولا يعيش فيه شئ من النبات أو الحيوان، مقدار الجامدة فيه نحو ٨ أضعاف ما في ماء البحر.

بحيرة طبرية:

انظر بحر الجليل.

البربر:

هم من الأقوام القديمة التي سكنت فلسطين ثم أخرجوا منها فاستوطنوا

أراضى شمال أفريقيا (انظر: المسعودى في " مروج الذهب ").

بروحشا (بيروسوس):

كاهن معبد مردوخ في بابل عاش في العهد السلوقى (٢٢١ - ١١٦ ق.م) ويرجح أنه عاش في عهد أنطيوخس الأول (٢٨٠ - ٢٦١ ق.م) أو فيما بعد ذلك بقليل. وضع كتابات باللغة الإعريقية عن تاريخ بلاد بابل في حدود سنة ٢٧٥ ق.م. في ثلاثة مجلدات اشتملت على جميع ما كان معروفا عن تاريخ بلاده ومعتقداتها وسلالات ملوكها مستقيا ذلك من الوثائق والكتابات البابلية التي كانت معروفة في زمانه، إلا أن الكتاب الأصلى فقد وأن ما سلم منه ينطوى على مقتبسات من كتابه الأصلى نقلها من جاء بعده من الكتاب اليونانيين.

البرس:

اسم مدينة بابلية قديمة تعرف أطلالها وبقايا برجها الشاهق باسم " برس نمرود " أو " برس " وهو الاسم المحرف على ما يعتقد عن الاسم البابلى القديم " بورسبا " أو " بارسبا " وجاءت في التلمود بصورة برسى وبرسيب وقد انتقلت هذه اللفظة إلى الجغرافيين العرب وذكرها ياقوت في معجمه مادة " برس ".

تقع خرائب المدينة على نحو ٩ - ١٠ أميال جنوب مدينة الحلة. كانت تجاور بابل بل كانت من ضواحيها وقد سميت في المصادر القديمة باسم " بابل الثانية ". أما اسم " بورسبا " بالسومرية فيرجح أن معناه قرن البحر أو سيف البحر مما يدل على أن المدينة كانت تقع في العصور القديمة قرب منطقة الأهوار. اشتهرت المدينة في كونها مركزا لعبادة الإله البابلى " نبو " الذي عبده العراقيون القدماء وعدوه إله الحكمة والمعروفة وجعلوه ابن مردوخ إله بابل الشهير وسمى معبده في " بورسبا " بالاسم السومرى " أى زيدا " أى البيت المكين.

وقد ذكر ابن بطوطة أن مولد إبراهيم الخليل عليه السلام كان في البرس. وقد ورد ذكر محاولة النمرود حرق إبراهيم هناك. ومن جهة الشمالية الشرقية من البرج تل مرتفع يقوم عليه مزار حديث يعزى إلى كونه مقام إبراهيم الخليل أو قبره، وقد بلغ معظم ازدهار المدينة في عهد المملكة البابلية المتأخرة المعروفة بالسلالة الكلدانية لاسيما في عهد الملك الكلدانى نبوبولاسر وخاصة في عهد ابنه نبوخذ نصر واستمرت المدينة في العهود التالية: العهد البابلى الأخير والعهد الفارسى الأخمينى والعهد السلوقى والعهد الفارسى الفرثى في العراق والعهد الساسانى.

وقد ذكرت في أخبار الفتوح العربية الإسلامية للعراق وظلت مأهولة أيضا في العهد الإسلامى.

بصرى:

مدينتان قديمتان بهذا الاسم في فلسطين، تقع الأولى في تخوم أدوم الشرقية (أش، ٣٤: ٦، ٦٣: ١) وتقع مكانها بصيرا الحديثة على بعد نحو ٢٠ ميلا إلى الجنوب الشرقى من البحر الميت والثانية في مقاطعة موآب (أر، ٤٨: ٢٤). وهاتان المدينتان هما غير بصرى الحالية المعروفة ببصرى الشام والتى تقع جنوب مدينة دمشق على التخم الجنوبى لمنطقة حوران (انظر: حوران).

البطالمة:

هم حكام مصر أخلاف الإسكندر دام حكمهم حوالى ٣٠٠ عام بين سنة ٣٢٣ و ٣٠ ق.م، كان أولهم (بطليموس الأول) واليا على مصر وعقب وفاة الإسكندر سنة ٣٢٣ ق.م. استقل بمصر واتخذ لقب ملك سنة ٣٠٥ ق.م، أنشأ جامعة الإسكندرية ومكتبتها الشهيرة كما أنشأ مدينة بطوليميس في الوجه القبلى لتكون مركزا للحضارة الإغريقية هناك، جعل عبادة الإسكندر دينا رسميا لإغريق مصر وهى العبادة التي تطورت إلى عبادة البطالمة ازدهرت في عهد أخلافه التجارة الشرقية، وأنشئت علاقات وثيقة مع روما وصقلية وقرطاجة.

وكان البطالمة قد اشتبكوا في صراع متواصل مع خلفاء الإسكندر حكام الأقاليم المجاورة وخاصة السلوقيين في سورية. ففى عهد بطليموس الرابع (٢٢١ - ٢٠٣ ق.م) حمل أنطيوخوس الثالث (الأكبر) على الإمبراطورية المصرية إلا أنه هزم في موقعة رفح ٢١٧ ق.م، ثم أعقبه أنطيوخوس الرابع فغزا مصر سنة ١٧٠ ق.م، وعاد الكرة فغزاها سنة ١٦٨ ق.م، ولم ينقذ مصر من استيلاء السلوقيين عليها إلا تدخل روما التي أرغمته على الانسحاب. وهكذا ثبت نفوذ روما في مصر حيث أصبح ملوكها مدينين بعرشهم لها. وقد أوهنت الأطماع العائلية والتزاحم على الحكم دولة البطالمة حتى أصبحت شبه محمية للإمبراطورية الرومانية. وكان آخر حدث على مسرح السياسة المصرية علاقة أنطونيوس بكليوبطره وإعلان أوكتافيان (أغسطس) الحرب عليهما سنة ٣١ ق.م، حيث هزمهما في موقعة أكتيوم مما أفضى إلى ضم مصر إلى الإمبراطورية الرومانية في السنة التالية (انظر السلوقيين).

البطراء:

مدينة قديمة في شرق الأردن تقع جنوب غربى وادى موسى، كانت عاصمة الأدوميين والنبط ومركزا هاما لتجارة القوافل بلغت أوج ازدهارها في القرن الرابع قبل الميلاد، دمرت في أواخر العصر الرومانى، فتحها المسلمون في القرن السابع واستولى عليها الصليبيون في القرن الثانى عشر.

والبطراء Petra كلمة يونانية معناها " صخرة " وبالعربية " الرقيم " أما اسمها الحديث فوادى موسى، وتقع المدينة القديمة على ارتفاع حوالي ثلاثة آلاف قدم فوق سطح البحر.

البعل وجمعه البعليم:

أحد الأصنام التي كانت عبادتها شائعة بين أهل المشرق في الزمن القديم، فقد عبده الفينيقيون والكنعانيون ومن جاورهم من السكان وكان يمثل عندهم إله الشمس وإله الزوابع والبروق وعشتروت إلهة القمر حتى أنهم كانوا يضحون الذبائح البشرية على مذابحهما (أر، ١٩: ٥ ن ١٨: ١٧ - ٤٠؛ يش، ٢٢: ١٠ - ٣٤؛ عد، ٢٥:
٣ - ٩؛ مز، ١٠٦: ٢٨؛ تث: ٤: ٣). وقد ذكرت التوراة أن اليهود كانوا بين حين وآخر يعبدون البعليم تاركين الرب (٢ أخ، ٢٨: ٢ - ٣؛ قض ن ٢ - ١١ - ١٣).

بعلبك:

قرية لبنانية تقع في سهل البقاع على بعد ٤٢ ميلا إلى الشمال الغربى من دمشق، سماها اليونانيون هليوبوليس أى مدينة الشمس، اشتهرت بعظمة أبنيتها الرومانية منها هيكل الشمس، الذي بناه الإمبراطور الرومانى أنطونينس بيوس سنة ١٥٠ ب.م، ويعتقد الباحثون أن بلدة بعلبك هى قرية " بعل جاد " التي ورد ذكرها في التوراة وقد وصفت أنها تقع في بقعة لبنان تحت جبل حرمون (يش، ١١: ١٧، ١٢: ٧، ١٣: ٥) (انظر جبل حرمون).

بعل جاد:

انظر بعلبك.

بعل صفون:

موضع قرب رأس خليج السويس على الشاطئ الغربى منه عبر الموسويون عنده البحر الأحمر (خر، ٢:١٤).

بلاد العرب:

وتشتمل على شبه جزيرة العرب التي تعتبر أوسع شبه جزيرة في العالم

تحيط بها البحار من أطرافها الثلاثة: قديما قسمها بطليموس القلوذى إلى ثلاثة أقسام من الوجهة الجغرافية هى: العربية الصحراوية، والعربية الحجرية، والعربية السعيدة، ويراد بالأولى القسم الشمالى من بلاد العرب، وبالثانية شبه جزيرة سيناء وبالثالثة الحجاز ونجد واليمن وما جاورها. أما العرب فقسموا بلادهم إلى خمسة أقسام: الحجاز، وتهامة، ونجد، واليمن، والعروض (وهى اليمامة والبحرين وعمان).

بلعام:

اسم مكان في فلسطين ورد ذكره في التوراة يقع بجوار مجدو (انظر مجدو) (١ أخ، ٦: ٧)، وسمى أيضا " بيلعام " (يش، ١٧: ١١)، و " جت رمون " (يش، ٢١: ٢٤ - ٢٥)، عين بعض الباحثين موقعه في مرج ابن عمير وراء جنين في السهل في خربة بلعمة (قاموس الكتاب المقدس١: ٢٤٧).

وبلعام اسم نبى موحد كانت له مكانة روحانية كبيرة في أرض كنعان (الإصحاح ٢٢ من سفر العدد)، وهذا ما يدل على أن الكنعانيين كانوا يؤمنون بالتوحيد.

بنيامين:

ابن يعقوب من امرأته راحيل، ابنها الثانى، وكان أصغر إخوته (تك، ٣٥: ١٦ - ١٩ و ٢٤).

بورسيبا:

انظر البرس.

بوغازكوى:

انظر حاتوشاش.

بيت إيل:

مدينة كنعانية كانت قديما محل إقامة ملوك الكنعانيين، كانت تدعى بالأصل " لوز " ثم سميت " بيت إيل " أى بيت الله، تقع اليوم عند قرية بيتين على تل يبعد حوالى عشرة أميال إلى الشمال من أورشليم، مر بالقرب منها إبراهيم الخليل ونصب خيمته شرقى المدينة (تك، ١٢: ٨، ١٣: ٣). ثم لما سافر يعقوب إلى حران (فدان آرام) هاربا من وجه أخيه (تك، ٢٨: ١٦، ٣٥: ١) بات في مكان قرب مدينة " لوز " فدعا اسم المدينة حينئذ " بيت إيل " وفى بيت إيل أقام يربعام الأول أول ملك على إسرائيل بعد الانقسام (٩٣٠ - ٩٠٩ ق.م) أحد العجلين

الذهبيين اللذين صنعهما (١ مل، ١٢: ٢٨ - ٣٣) (انظر إيل).

بيت بخياني:

دويلة أرامية مركزها " جوزان " (تل حلف) نفى إليها اليهود في زمن الأشوريين، وقد أصبحت هذه المنطقة قسما من الولاية الأشورية المسماة " جوزانا " (٢ مل، ١٧: ٦، ١٨: ١١؛ أش، ٣٧: ١٢) - (انظر تل حلف، جوزان).

بيت شان:

مدينة كنعانية معناه بيت الإله شئان، تعرف اليوم باسم بيسان، تقع على بعد خمسة أميال إلى الجهة الغربية من نهر الأردن إلى الشمال الشرقى من بلدة السامرة، أصبحت بعد سبى اليهود رئيسة المدن الفلسطينية، فيها من بقايا الآثار ما يدل على عظمتها الأصلية، وقد سماها النبى هوشع " بيت أون " أى مدينة الأصنام (هو، ١٠: ٥ و ٨).

بيت شمس:

مدينة كنعانية قديمة احتلها الهكسوس وبقيت تحت إدارتهم طيلة مدة سيطرتهم في هذه المنطقة (١٧٥٠ - ١٦٠٠ ق.م)، تقع في تخم أرض يهوذا الشمالى وكانت تخص بنى هارون (يش، ١٥: ١٠، ٢١: ١٦) اشتهرت برجوع تابوت العهد إليها بعد أن طال مقامه عدة أشهر بين الفلسطينيين (١ صم، ٦: ٩ - ٢٠).

وضد شخص موقع أطلال المدينة في " تل الرميلة " الواقع على بعد ٢٠ ميلا غربى أورشليم على طريق يافا - حبرون قرب عين شمس، وهناك مدينة أخرى باسم بيت شمس ورد ذكرها في التوراة ووصفت أنها في أرض نيفتالى في شمال فلسطين (يش، ١٩: ٣٨).

بيت عديني:

مملكة أرامية في جنوبى العراق كانت تنعم بالثروة والرفاه، وهو نفس اسم مملكة أرامية في أعلى ما بين النهرين تقع على جانبى الفرات في موقع انحراف الفرات غربا بعد أن يقطع جبال طوروس، وقد ورد ذكرها في التوراة باسم بيت عدن وعدن (عاموس،١: ٥، ٢ مل، ١٩: ١٢؛ أشعيا، ٣٧: ١٢، مز، ٢٧: ٢٣).

بيت فالط:

مدينة في جنوب كنعان كانت تقع شمال غربى بئر سبع وقد شخص موقع

بقاياها في التل المسمى (تل فرغة " في وادى " غزة " (يش، ١٥: ٣٧، نح: ١١: ٢٦).

بيت لحم (بيت الخبز):

قرية صغيرة مبنية على أكمة تبعد ستة أميال إلى الجنوب من أورشليم يرجع تأسيسها إلى عصور ما قبل عصر اليهود دفنت فيها راحيل زوجة يعقوب (تك، ٣٥: ١٩ - ٢٠)، وهى مسقط رأس داود (١ صم، ١٧: ١٢) وقد أخذها الفلسطينيون في عهد الملك داود(٢ صم، ٢٣: ١٤ - ١٥) ثم حصنها رحبعام ملك يهوذا (٩٣١ - ٩١٣ ق.م) (٢ أخ، ١١: ٦) ولد فيها المسيح وفيها أقدم كنيسة مسيحية في العالم وهى مشتركة الآن بين الروم واللاتين والأرمن وبجانبها أديرة لهذه الطوائف.

بيت ياكيني:

مملكة سامية أسسها الأراميون الذين نزحوا من أعالى الفرات واستقروا في جنوبى العراق، وامتدت مستوطناتهم إلى ساحل الخليج العربى، وقد عرفت سلالة ملوكهم بسلالة القطر البحرى (أمراء الخليج). وقد لعب أحد ملوكهم المسمى (مردوخ بلادان) دورا هاما في المعارك التي خاضها مع الأشوريين في بداية عهد سرجون الثانى (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) فاستولى على بابل ونصب نفسه ملكا عليها وحكم فيها أكثر من عشر سنوات ثم عاد سرجون فأخضع بابل وهزم مردوخ، وفى عهد سنحاريب عاد مردوخ فثار على الأشوريين فجهز سنحاريب عام ٧٠٢ ق.م حملة ضده دحره فيها وطرده من بابل.

وقد وجه أسرحدون بعد ذلك حملة قوية ضده في المنطقة الجنوبية فهرب إلى عيلام وقتل هناك، وعين أسرحدون أميرا جديدا هو ابن مردوخ بلادان الثانى، وهكذا استتب الأمن له في الجنوب (انظر مردوخ بلودان).

بيروت:

مدينة فينيقية قديمة وميناء هام على ساحل البحر الأبيض المتوسط، كانت مركزا هاما للتجارة الفينيقية ازدهرت إبان حكم السلوقيين والرومان والبيزنطيين، ورد ذكرها لأول مرة في كتابات العمارنة باسم " بيروتا " وكذلك في جدول أسماء المدن التي أوردها ملك مصر تحوطمس الثالث (١٥٠٣ - ١٤٤٩ ق.م) وفى هذه الكتابات ذكر لأحد ملوك هذه المدينة يدعوى " مونيرا " كان من

الموالين لمصر. وقد ورد في التوراة ذكر مدينة باسم " بيرثاى " (٢ صم، ٨: ٨) وبيروثة (حز، ٤٧: ١٦) إلا أن سياق الكلام لا يدل على أن المقصود بهما هو نفس مدينة بيروت.

ومما ذكره سترابون أن تريفون استولى على المدينة سنة ١٤٠ ق.م في حربه مع دمتريوس الثانى. وقد ورد في أخبار أغسطس أن قائده ماركوس أغريبا استولى على المدينة سنة ١٥ ق.م، وأسس مستعمرة رومانية فيها. دخلت المدينة تحت الحكم العربى سنة ٦٣٥ق.م، ثم سقطت في يد الصليبيين سنة ١١١٠ ق.م، وأصبحت جزءا من مملكة بيت المقدس اللاتينية حتى سنة ١٢٩١ م.

بالميرا:

انظر تدمر.

بيلو Bilu:

تتألف كلمة " بيلو " من الأحرف الأولى من كلمات العدد الخامس من الإصحاح الثانى من سفر أشعيا الذي ترجمته: " يا بيت يعقوب هلم نسلك في نور الرب ". وهى الاسم الذي أطلق على جماعة من يهود خاركوف في روسيا ينتمون إلى منظمة " عشاق صهيون ". وقد أصدرت هذه الجماعة بيانا سنة ١٨٨٢م أثر المذابح التي مارسها الحكم القيصرى ضد اليهود في روسيا سنة ١٨٨١م (اليوكروم) دعت فيه إلى العودة إلى فلسطين وطالبت حسب زعمها بالرجوع إلى بلدها التي منحها الرب لها كما أثبتت ذلك الوثائق التاريخية.

تابوت العهد أو تابوت الشهادة:

هو الرمز اليهودى لإلههم، يتألف بحسب المآثر الإسرائيلية من خزانة من الخشب مكسوة بالذهب أودع فيها لوحان حجريان (لوحا الشهادة) نقشت عليهما الشريعة وأشياء دينية أخرى، وصارت هذه الخزانة تشغل أقدس جزء من طقوسهم الدينية ووجودها بين ظهرانيهم يكفل النصر لهم، لذلك كانوا يحملونها معهم في رحيلهم وفى معاركهم على أعمدة طويلة والتابوت كما وصفته التوراة مصنوع من خشب السنط طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف مغشى بذهب نقى من داخل ومن خارج، ومصنوع له إكليل من ذهب حواليه، سكبت له أربع حلقات من ذهب على أربع قوائمه وصنع للتابوت غطاء من ذهب نقى أيضا خر، ٣٧: ١ - ٩)، ٢٥: ١٠- ٢١؛ عد، ١٠: ٢٣ - ٣٦؛ تث، ١٠: ١ - ١٥ (يش، ٣: ٦) انظر: لوحا الشهادة.

وقد استولى الفلسطينيون على تابوت العهد في معركتهم الأولى مع الموسويين وانتصارهم عليهم ثم ردوه إلى الملك داود ووضعه سليمان في الهيكل ولم يعرف مصيره بعد ذلك.

تدمر:

مدينة عربية قديمة اسمها اللاتينى (بالميرا) تقع في واحة وسط الصحراء السورية الشمالية شمال شرقى دمشق على بعد ١٥٠ ميلا منها على الطريق بين وادى الفرات وساحل البحر المتوسط في لبنان وفلسطين، وبفضل موقعها هذا أصبحت مركزا هاما على طريق المواصلات التجارية بين الشرق والغرب أشبه بمرفأ في بحر الصحراء ترسو في ساحله تجارة الأمم.

ورد ذكرها في الكتابات القديمة التي ترجع إلى عهد الملك الأشورى بيلسير الأول (١١١٥ - ١٠٧٧ ق.م) باسم " تدمر العموريين " كما ورد ذكرها في أخبار حملات نبوخذ نصر الثانى (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م) على فلسطين ومصر، كما ورد ذكرها في التوراة مقرونا بالملك سليمان (٢ أخ، ٨: ٤).

وكانت اللغة الأرامية لغة الدولة الرسمية وقد اختصت بقلم أرامى خاص بها سمى القلم التدمرى، بلغت تدمر أوج ازدهارها في عهد الملكة زينوبيا حيث بسطت هذه المملكة نفوذها على أكثر آسيا الصغرى، إلا أن نفوذها هذا لم يدم طويلا حيث استولى أورليانوس الرومانى سنة ٢٧٤ م على المدينة فقتل الكثير من أهلها وخربها وأخذ زنوبيا أسيرة إلى رومة، احتلها خالد بن الوليد في طريقه من العراق إلى الشام (ياقوت ١: ٨٣١).

الترجوم:

هو كتاب العهد القديم المترجم من اللغة العبرية إلى اللغة الأرامية، وقد وضعت هذه الترجمات في الفترة الواقعة بين أوائل القرن الثانى وأواخر القرن الخامس بعد الميلاد.

تل أبيب:

تسمية بابلية قديمة لموقع في جنوب العراق كان يعرف بهذا الاسم في القرن الخامس قبل الميلاد ومعناها " تل أو كومة سنابل القمح " كان قد استقر فيها إبان العهد الأخمينى عدد من اليهود من بقايا الأسر البابلى، وكان من بين من سكنه حزقيال النبى مع بقايا يهود السبى والمعتقد أنه نفس موقع تل إبان الحديثة، وقد ورد اسم تل أبيب في التوراة باعتباره يقع على نهر الخابور، وهذا الخابور هو

غير نهر الخابور في الفرات الأعلى وغير نهر الخابور الذي على الدجلة (حز، ٣: ١٥). ويرى بعض الباحثين أن هذا الخابور هو فرع من شط النيل القديم يمتد بين الفرات والدجلة حتى شط الغراف الحالى.

تل باغوز:

تل أثرى في سورية يقع جنوب شرقى أطلال مدينة " مارى " (تل الحريرى) على الجانب الأيسر من نهر الفرات يرجع تاريخه إلى الفترة الممتدة من ٥٠٠ إلى ٤٨٠٠ قبل الميلاد. ومن المرجح أن هذا التل يمثل بقايا إحدى المستوطنات القديمة التي أقامها الساميون على ضفاف الفرات على أثر نزوحهم من الجزيرة العربية نتيجة جدبها (انظر مارى).

تل الحريرى:

انظر مارى.

تلف حلف (كوزان أو جوزان القديمة):

تل أثرى يقع في شمال سورية على بعد خمسة كيلو مترات جنوب غربى رأس العين قرب منبع الخابور إلى سنة ٤٢٠٠ ق.م، وقد امتازت آثار هذا التل بفخارها الرقيق المصبوغ بعدة ألوان وهو ذو برقشة هندسية رائعة وقد وجد فخار مماثل له في " الأربجية " وفى " تبة كورا " من لواء الموصل. والأرجح أن منطقة (خابور نهر جوزان) التي نقل إليها قسم من اليهود في زمن تجلات بلاسر الثالث وشلمنصر الخامس (٢ مل، ١٧: ٦) هى نفس منطقة كوزان القديمة (انظر: خابور نهر جوزان).

وتمثل آثار تل حلف عصرا من العصور الثقافية التاريخية يتميز بها وقد سماه علماء الآثار عصر حلف وهو أول أدوار العصر الحجرى المعدنى لتمييزه عن بقية الأدوار التاريخية، وقد أصبحت منطقة تل حلف في منتصف الألف الثانية قبل الميلاد من ضمن دولة ميتانى الحورية، ثم اتخذ الأراميون من موضع هذا التل عاصمة لإحدى ممالكهم المسماة " بيت بحيانى " في القرن العاشر قبل الميلاد، وقد كشفت عن آثار العمارة الأرامية فوق طبقات عصر حلف منها بقايا قصر الملك " كبارا " الذي يرجع تاريخه إلى القرن التاسع قبل الميلاد.

تل رأس الشمرا:

هو بقايا مدينة أوغاريت الفينيقية، يقع في شمال سورية على بعد ١٢ كيلو مترا شمال اللاذقية، ويبعد عن شاطئ البحر قرابة ٨٠٠ مترا، يرجع تاريخ

المدينة إلى العصر الحجرى الحديث، وقد بلغت ذروة ازدهارها في القرن الرابع عشر قبل الميلاد حيث أصبحت ميناء دوليا ومركزا تجاريا حضاريا يقع وسطا بين دول الشرق والشمال والجنوب وثغرا يؤدى إلى بحر إيجة والدول الواقعة عبره كمصر وبر الأناضول وكريت وقبرص والعالم الإيجى، وذلك حتى زمن تخريبها في حوالى سنة ١٣٥٠ق.م، عثر بين أطلالها على عدد كبير من الألواح معظمها مكتوب باللغة الأوغاريثية أى الكنعانية بالخط المسمارى البابلى. وتشتمل الألواح على ملاحم شعرية وأساطير وأدب دينى ومعاجم وكتب مدرسية ولوائح ورسائل تجارية وعقود مختلفة... الخ. وهذه وإن كان زمنها يرجع إلى القرن الرابع عشر والخامس عشر قبل الميلاد إلا أن الدلائل تدل على أنها أقدم زمنا. انظر: " ملاحم وأساطير من أوغاريت " (رأس الشمرا) تأليف الدكتور أمين رويحة الجامعة الأمريكية في بيروت، ١٩٦٦.

تل العمارنة:

بقايا مدينة " أخت أتون " المدينة التي أسسها الفرعون المصرى أمنحوتب أو أمنوفيس الرابع الذي عرف باسم أخناتون (١٣٧٥ - ١٣٥٨ ق.م) وهو الذي نادى بمبدأ الوحدانية فاضطر إلى نقل عاصمته من طيبة إلى العمرنة (انظر طيبة)، وهذه تقع على بعد ٥٨ ميلا تحت أسيوط و ١٩ ميلا فوق القاهرة. وجدت في خرائب هذه العاصمة سنة ١٨٨٧م حوالى ١٣٠٠ جرة أو قرميد تشتمل على السجلات الملكية الشهيرة، ومن بينها الرسائل المرسلة إلى أخناتون وإلى أبيه أمنحوتب الثالث (١٤١٢ - ١٣٧٦ ق.م) من ملوك الشرق الأدنى ومن حكام الإمبراطورية في بلاد الشام وهى مدونة الخط المسمارى وباللغة البابلية، وهذه هى المصادر الأولية لدراسة تاريخ الشرق الأدنى القديم في القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد، وقد نشرت وترجمت وعلق عليها مرارا.

تلمود:

انظر: التلمود في الفصل الثالث، ص ٣٩٢ وما يليها.

تنائم:

جمع " تنا " أى معلم، وهى كلمة أرامية كانت تطلق على طبقة من العلماء اليهود الذين أخذوا بشرح أحكام التوراة وتدوين قوانينها وتبويب شرائعها في مجموعة تعرف بـ " المشنة " وقد بوشر في تحريرها سنة ١٠ م، وكان الفراغ من تدوينها في طبرية سنة ٢٢٠م،بعناية الحبر الأكبر يهوذا بن شمعون (١٣٥ -

٢٢٠ م) وهو الرباني الأكبر الملقب بالربن الأقدس وكان سابع رئيس للمجمع الديني الأعلى (سنهدرين). (انظر: التلمود في الفصل الثالث ص ٢٩٢ وما يليها).

تيماء:

مدينة عربية تقع في غربي شبه الجزيرة العربية على ١٢٥ ميلا جنوب واحة " الجوف " ورد اسمها في الكتابات الحرانية القديمة، احتلها الملك الكلداني نبوبيدس (٥٥٦ - ٥٣٩ ق.م)، هي ومدينة الجوف (أودمو) ومدينة يثرب (المدينة المنورة). وتشير هذه المدونات أن نبونيدس بقي في تيماء مدة عشر سنوات ولم يعرف سبب مكوثه في تيماء هذه المدة بعيدا عن مركز عاصمته (بابل) التي بقيت تحت حكم ابنه " بلشازار ". ويرجح الباحثون أن نبونيدس بقى في هذه المنطقة ليحمي طريق التجارة الممتد من اليمن إلى مصر وفلسطين عبر الحجاز وذلك بعد أن احتل الميديون والفرس طريق العراق التجارية الشمالية الممتدة بين نينوى وحران وسلسلة جبال طوروس (انظر: نبونيدس).

ومن المشهور عن تيماء أنها كانت مركزا من المراكز التجارية العامة في جزيرة العرب وملتقى عدة طرق تجارية هامة منها ما يتجه شمالا إلى البتراء ودمشق وتدمر ومنها ما يسير إلى سيناء فمصر، وأخرى إلى العراق.

ثمود:

قبيلة من القبائل العربية في شبه جزيرة العرب ورد ذكرها في عدة سور من القرآن الكريم مع قبيلة عاد (انظر عاد) لأن المقصود بهما واحد من حيث العبرة والموعظة، فعبادة ثمود للأوثان وعدم اكتراثها بالنصح ثم إفناؤها كل ذلك يتفق وما حدث لقبيلة (عاد).

وثمود منسوبة إلى ثمود بن عام بن أرم بن سام وقيل ثمود بن عاد بن عوص بن أرم بن سام، ومن هذه القبيلة النبى صالح عليه السلام الذي أرسل لنصح قومه بالرجوع عن عبادتهم الباطلة وهديهم، فبذل الجهد في تذكير القوم بنعم الله عليهم ونهاهم عن أن يعيثوا في الأرض فسادا وعن التكبر في الأرض يعبدون غير الله تعالى، ولكنهم لم ينتصحوا فأهلكهم الله:{فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ} [الذاريات: ٤٤].

أما صالح عليه السلام والذين آمنوا معه فقد نجوا مما حاق بقومهم من العذاب: { فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا} [هود: ٦٦]، وقد قال بعض الرواة أنهم ذهبوا بعد هلاك قومهم إلى ناحية الرملة من فلسطين، ويقول أهل حضرموت أنهم ذهبوا إلى حضرموت وأقاموا بها وهناك قبر

يزعمون أنه قبر صالح، وقال آخرون أنهم أقاموا في ديارهم بعد هلاك قومهم وآخرون أنهم ذهبوا إلى مكة وأقاموا بها إلى أن ماتوا وقبورهم غربى الكعبة.

والمشهور في كتب العرب أن ثمودا كان مقامها بالحجر (بكسر الحاء) المعروفة بمدائن صالح في وادى القرى بطريق الحاج الشامى إلى مكة على سكة الحديد الحجازية. وديارهم تعرف اليوم بفج الناقة وبيوتهم منحوتة بالصخر وأهم أنقاضها تعرف بقصر البيت وقبر الباشا والقلعة والبرج.

وقد كشف بين هذه الأنقاض عن كتابة نبطية وهى منقوشة في الصخر أكثرها على القبور مع كتابة أرامية منحوتة في الصخر مثل لغة بطرا، إلا أن هناك نصوصا ثمودية كثيرة عثر عليها بين الأنقاض أيضا وقد عثر على مثيلها في مناطق حائل وتبوك وتيماء وطور سيناء وفى مصر وفى اليمن مما يدل على وجود صلات بين هذه الأقطار وخاصة اليمن وبين ثمود.

وقد ورد اسم ثمود في النصوص الأشورية وقد دعوا بـ (Thamudi) حيث انتصر سرجون الثانى (٤٢١ - ٧٠٥ ق.م) عليهم وأجلاهم من موطنهم إلى السامرة، كما ورد ذكر ثمود باسم (Thamudita) في جغرافية بطليموس، ويرى الباحثون أن آخر ذكر ورد لقوم ثمود كان في القرن الخامس للميلاد حيث ورد أن قوما منهم كانوا فرسانا في جيش الروم.

جاد:

هو ابن يعقوب من زلفة جارية ليئة، ابنها الثانى (تك، ٣٠: ١١، ٣٥: ٢٦).

جازر:

مدينة كنعانية قديمة شخص موضعها في تل جازر شمال غربى أورشليم على بعد حوالى ٣٥ كيلو مترا منها، اشتهرت في حروب داود مع الفلسطينيين (٢ صم، : ٢٥؛ ١ أخ، ٢٠: ٤). جاء في دائرة معارف اليهود في مادة جازر أنها تقع شرقى نهر الأردن في جلعاد قرب حدود عمون (انظر جلعاد، عمون)، وهذا يناقض كل ما جاء في التوراة من أخبار عن مدينة جازر التي جاءت مؤيدة كونها غربى الأردن وكان يسكنها الكنعانيون وليس العموريون، كما ورد في دائرة المعارف المذكورة. وقد وصفتها التوراة بكل وضوح بقولها أنها " عبر الأردن غربا من بعل جاد " وقد ورد اسم ملكها مع ملوك حبرون ولخيش وعجلون وأريحا وأورشليم وعاى.. الخ (يش، ١٢: ٧ - ١٣) وقد هاجم فرعون ملك مصر جازر في عهد سليمان فأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين الساكنين في المدينة

وأعطاها مهرا لابنته امرأة سليمان (١ مل، ٩: ١٦ - ١٧) ثم أعاد سليمان بناءها.

جاسان:

هى المنطقة التي أعطاها يوسف في مصر لأبيه وإخوته ليسكنوا فيها، وتقع هذه المنطقة في القسم الشمالى الشرقى من أرض مصر وتمتد بين التخم الجنوبى من أرض كنعان إلى نهر النيل، تعرف اليوم بالشرقية الممتدة من جوار " أبو زعبل " إلى البحر.

جبعون:

مدينة كنعانية مهمة سكنها الحويون وهم قوم من سلالة كنعان (تك، ١٠: ١٧) (انظر الحويون)، تقع على بعد ١٥ ميلا إلى الشمال من أورشليم. تدعى أطلالها الآن " الجيب " وموقعها على قمة هضبة وفى أسفل الهضبة إلى جهتها الشرقية ينبوع ينحدر ماؤه إلى بركة طولها ١٢٠ قدما وعرضها ١٠٠ قدم.

جبل حوريب:

انظر: سيناء.

جبل جرزيم:

انظر جرزيم.

جبل سعير:

مقاطعة جبلية صارت تعرف أخيرا باسم " أدوم " تمتد من بحر لوط (البحر الميت) إلى خليج العقبة، يحدها شرقا البرية العربية وغربا وادى العربة، جبالها رملية غرانيتية يرتفع بعض قممها إلى ٤٨٠٠ قدم فوق سطح البحر، كان يسكنها الحوريون قديما وقد اشتق اسمها من أحد أمرائهم المسمى سعير (تك، ١٤: ٦، ٣٦: ٢٠؛ تث، ٢: ١٢) ثم استولى عليه بنو عيسو وصارت تعرف بأرض أدوم وهو لقب عيسو (تك، ٣٢: ٣، ٣٦: ٨)، (انظر أدوم).

جبل نبو:

من سلسلة موآب قبالة أريحا في فلسطين على الجانب الشرقى من الأردن، ويبلغ ارتفاع قمة هذا الجبل ٢٦٣٤ قدما فوق سطح البحر المتوسط ويهبط إلى البحر الميت بعمق ٤٠٠٠ قدم.

جبيل:

وهو الاسم الحديث لمدينة " بيبلوس " الفينيقية القديمة الواقعة على ساحل

البحر المتوسط فيما بين بيروت وطرابلس على بعد حوالى ٢٥ ميلا شمال مدينة بيروت، ويعدها الباحثون أقدم مدينة في العالم من حيث أنها سكنت منذ أكثر من ستة آلاف عام وما تزال حتى اليوم. وقد ورد في المدونات القديمة ما يفيد أن الإله " إيل " هو الذي أنشأها (انظر: إيل).

وتسمية " بيبلوس " تسمية يونانية للمدينة التي تعنى كتابا، أما اسمها الأصلى فكانت تعرف لدى الكنعانيين باسم " كوبلا " وهى إحدى الموانئ التجارية الفينيقية المهمة التي اشتهرت بعمل السفن (خر، ٢٧: ٩)، بلغت ذروة ازدهارها في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ويرجع بعض الباحثين تاريخ هذه المدينة إلى العصر الحجرى الحديث (النيولوثى) الذي يبدأ في حوالى الألف السادسة قبل الميلاد (مجلة النفط باللغة الإنجليزية، " بيبلوس الفينيقية "، بقلم ف. ج. ر، باين، عدد حزيران ١٩٥٥، ص ١٤ - ١٧).

جت:

إحدى مدن الفلسطينيين الخمس سكنها أولاد العناقيون (يش، ١١: ٢٢). يرى البعض أنها تقع في تل الصافية شرقى أشدود على ١٦ ميلا منها (انظر أشدود). لم يستطع الموسويون التغلب عليها عند غزوهم فلسطين فبقيت في أيدى الفلسطينيين وكانت ما تزال في أيديهم في أيام داود، وعليها ملك اسمه أخيش (١ صم، ٢١: ١٠ - ١٥، ٢٧: ١ - ٧) ثم أخذها داود من أيديهم (٢ صم، ١٥: ١٨) (١ أخ، ١٨: ١)، وصارت بعد ذلك ليهوذا فعززها رحبعام ملك يهوذا (٩٣١ - ٩١٣ ق.م) (٢ أ خ، ١١: ٨) ثم أخذها حزائيل ملك أرام (٢ مل، ١٢: ١٧) إلا أن الملك يوآش ملك يهوذا (٨٣٥ - ٧٩٦ ق.م) استرجعها (٢ مل، ١٣: ٢٥)، وبعد رجوعها إلى يد الفلسطينيين هدم عزيا (٧٦٧ - ٧٣٩ ق.م) سورها (٢ أ خ، ٢٦: ٦) (انظر الفلسطينيون).

جديس:

انظر طسم.

جرابلس:

انظر كركميش.

جرار:

مدينة شهيرة للفلسطينيين واقعة إلى الجنوب الشرقى من غزة بين قادش

وشور، والرأى الغالب هو أن الموضع المعروف الآن بخربة أم جرار هو موضع المدينة. وبلدة جرار هى المدينة التي جاء إليها كل من إبراهيم وإسحاق بسبب الجدب ونزلا على ملكها (تك، ٢٠: ١، ٢٦: ١ و ١٧). ومما ورد في أخبار التوراة أن آسا ملك يهوذا (٩١٠ - ٨٦٩ ق.م) ساق الكوشيين المتقهقرين إليها (٢ أخ، ١٤: ١٣).

الجرامقة:

هم أراميون كانوا قد لجؤوا إلى عيلام تحت تأثير الضغط الأشورى فحلوا في منطقة تعرف بالجرمق في فارس، ثم لما عادوا إلى بلاد أشور حملوا معهم هذا الاسم فعرفوا به وسموا بالجرامقة، وكان هؤلاء الجرامقة يسكنون مدينة الموصل عندما فتحها العرب في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وسمى بعض الكتاب العرب اللغة الأرامية بالجرمقية نسبة إليهم. (المطران غريغوريوس صليبا، " الأراميون في العراق "، مجلة التراث الشعبى، عدد آذار ونيسان ١٩٧١، ص ٩٠؛ سليمان صايغ، " تاريخ الموصل "، ج١، ص ٤٥ - ٥٠).

جرجاشيون:

قبيلة من الكنعانيين أو فئة من الحويين كانوا يقطنون البلاد الواقعة شرقى بحر الجليل ومنهم أخذ اسم كورة الجرشيين (تك، ١٠: ١٦، ١٥: ٢١).

جرزيم:

جبل فوق شكيم يعلو ٢٨٥٠ قدما فوق سطح البحر و ٨٠٠ فوق نابلس، وعليه أقيم الهيكل السامرى، وهو حسب التقاليد السامرية الجبل الذي توجه إليه إبراهيم لتقديم ابنه إسحاق قربانا للإله، أما اسمه الآن فهو جبل طور.

جرهم الأولى:

اسم قبيلة من العرب البائدة ترجع إلى عهد عاد وثمود والعمالقة (انظر: عاد وثمود والعمالقة) قبل أن أهلها كانوا يقيمون بمكة وأن نسبهم يرجع إلى (عابر) وقد أبيدو، ذكرها الإخباريون والنسابون باسم " الجرهم الأولى " لتمييزها عن جرهم الثانية (جرهم القحطانيين) الذين يرجع نسبهم إلى (جرهم بن قحطان بن هود) وهم أصهار إسماعيل.

جزيرة العرب:

انظر بلاد العرب.

جشوريون:

عشيرة كنعانية قديمة كانت تسكن شرقى الأردن (انظر: رفائيون).

جلجال:

قرية في سهل أريحا (يش، ٤: ١٩) تقع إلى الشرق منها والشمال الشرقى من أورشليم تبعد حوالى أربعة أميال عن الأردن، كانت أول قرية احتلها الموسويون بعدما عبروا الأردن، اتخذها يشوع مركزا لعملياته الحربية مع الكنعانيين، كانت مقرا لتابوت الشهادة إلى أن نقل إلى شيلوه ثم أرجع إليها (١ صم، ١: ٨، ١٥: ٣٣) وكان صموئيل يذهب إليها من وقت لآخر ويقضى فيها لإسرائيل (١ صم، ٧: ١٦) وفى موضع الجلجال القديمة قرية تدعى الآن " جلجلية ".

جلعاد:

مقاطعة صخرية وعرة شرقى نهر الأردن (يش، ١٣: ٢٥) كانت مع أرض عمون بحيازة العموريين، استولى عليه الموسويون عند صعودهم من مصر في عهد موسى، وذلك بعد أن تغلبوا على سيحون ملك العموريين واستولوا على عاصمته " حشبون " (تث، ٢: ٣٦) ثم صارت من ضمن مملكة داود وأصبحت بعد ذلك من ضمن إسرائيل بعد التقسيم (انظر: عمون، حشبون).

الجليل:

هو الاسم الذي يطلق على القسم الشمالى من فلسطين، وكان المسيح عليه السلام يعرف بيسوع الجليلى (مت، ٢٦: ٦٩) لأنه نشأ في منطقة الجليل وتهذب وعاش فيها، والمعروف أن القديس بطرس كان من الجليل أيضا. ومن جبال الجليل الشهيرة الكرمل ومن مدنها الناصرة، وفى الجليل بحيرة طبرية المعروفة ببحر الجليل (انظر بحر الجليل).

الجليليون:

هم أتباع يهوذا الجليلى الذي ظهر قبل الميلاد وكان يقول أن لا ملك لليهود غير الله.

الجنيزة:

هى كهف كان يلحق بكل كنيس وكانت تطرح فيه، باحتفال جنائزى الكتب المقدسة عند اليهود المخطوطة على لفائف من البردى بعد لفها بالكتان كالمومياءات ووضعها في جرار ذات أغطية محكمة لحمايتها من الرطوبة بقصد صيانتها، وقد عثر على مجموعات كبيرة من هذه الجرار المحتوية على

مخطوطات البردى في الكهوف المختلفة حوال البحر الميت حتى أنه يقال أن ما وجد في كهف واحد يكوّن مكتبة كبيرة إذ عثر على عدة نسخ لواحد فقط من الأسفار ويعتبر كهف قمران عند البحر الميت أهم هذه الكهوف ومركزها الرئيسى، ويعتقد أن تلك المخطوطات أخفيت فيها بقصد صيانتها عندما أجبر اليهود على الهجرة إبان الثورة الأولى (٦٦ - ٧٠ م).

جوزان:

مدينة أرامية تقع في تل حلف حاليا، كانت مركزا لمملكة أرامية تسمى " بيت بيخاتى " أصبحت هذه المنطقة سنة ٨٠٨ ق.م، قسما من الولاية الأشورية " جوزانا " نفى إليها اليهود في زمن الأشورين (انظر: بيت بيخانى تل حلف).

جيحون:

نبع ماء قديم يقع في وادى قدرون شرقى مدينة القدس ورد اسمه في التوراة باسم جيحون (٢ أخ، ٣٣: ١٤؛ ١ مل، ١: ٣٣ و ٣٨)، يعرف اليوم باسم " عين العذراء " كان اليبوسيون سكان القدس القدماء قد حفروا نفقا تحت الجبل لنقل مياه النبع إلى داخل حصنهم المسمى " حصن يبوس) أو " حصن صهيون " استعمله اليهود في عهد حزقيا ملك يهوذا (٧١٥ - ٦٨٦ ق.م) وأنشؤوا في نهاية النفق بركة عرفت باسم " بركة سلوام " (٢ أخ، ٣٢: ٣٠؛ ٢ مل، ٢٠: ٢٠؛ نح، ٣: ١٥؛ أش، ٨: ٦؛ يو، ٩: ٧).

توشاش:

هى عاصمة الحيثيين في بلاد الأناضول وتعرف اليوم باسم " بوغازكوى " وتقع على بعد حوالى تسعين ميلا إلى الشرق من أنقرا. عثر بين أنقاضها على ألواح مسمارية تمثل السجلات الملكية يرجع تاريخ معظمها إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد وهى مكتوبة عموما باللغة الحيثية، وهى لغة هندو - أوربية في قواعدها وأسلوبها (انظر الحيثيون).

حاران (حرّان): (٢ مل، ١٩: ١٢)

مدينة قديمة ماتزال تعرفباسمها القديم وتقع في الشمال الشرقى من بلاد ما بين النهرين في جوار الحدود السورية التركية داخل حدود تركيا على منابع نهر البليخ، أحد روافد الفرات العليا، على بعد حوالى ٤٠ كيلو مترا إلى الجنوب الشرقى من أورفة وزهاء ٨٠ كيلو مترا من مصب البليخ في نهر الفرات.

كانت مركزا لإحدى الدويلات الأرامية التي أسست في الفرات الأوسط ورد

ذكرها في التوراة باسم " فدّان - أرام " كما كانت مركزا هاما على الطرق التجارية الرئيسية بين العراق وسورية فلسطين، وقد اشتهرت في كونها مركزا لعبادة القمر (الإله سين) وهى المدينة التي توجه إليها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد خروجه من أور الكلدانيين ومنها ذهب إلى كنعان، ورد ذكرها في التوراة باسم " حاران " فتحها عياض بن غانم في خلافة عمر بن الخطاب (انظر: " فدان أرام "، " أرام - نهرايم "، إبراهيم الخليل).

حاصور:

مدينة كنعانية ذات شأن عدها البعض العاصمة الطبيعية لشمال كنعان تقع قرب " الحولة " غربى جسر بنات يعقوب على بعد حوالى ستة كيلو مترات منه تتاخم " قيدار " (انظر قيدار) وردت في التوراة بهذا الاسم، وتعرف أطلالها اليوم بتل القدح أو " تل الوقاص " اشتهر بين ملوكها " يابين " (ويابين هو لقب ملوك كنعان مثل فرعون لملك مصر) أخضعها يشوع وأحرقها بالنار (يش، ١١: ١ و ١٠ و ١١). كما أهل حاصور يقيمون في بيوت ثابتة كما يستدل من اسم المدينة تمييزا لهم عن أهل الوبر، وكانت حاصور قبل الغزو الموسوى معقلا من معاقل الهكسوس الرئيسية عندما أصبحت كل المنطقة في حوزتهم في حوالى القرن السابع عشر قبل الميلاد، وفى زمن الأشوريين فتحها تغلات بلاسر الثالث (٧٤٦ - ٧٢٧ ق.م) وسبى أهلها إلى أشور (٢مل، ١٥: ٢٩)، وقد ضربها نبوخذ نصر ملك بابل في أوائل القرن السادس قبل الميلاد.

حبرون:

مدينة كنعانية تعد من أقدم المدن الفلسطينية قبل عصر موسى (عد: ١٣: ٢٢) وسميت أيضا " ممرا " و " أربع "، والاسم الأخير نسبة إلى أربع العناقى (انظر العناقيون)، تقع على بعد ٤٤ كيلو مترا جنوب أورشليم، سكنها إبراهيم وإسحاق ويعقوب (تك، ١٣: ٨، ٢٣: ٢، ٣٥: ٢٧، ٥٠: ١٣؛ يش، ١٤: ١٥؛ قض، ١: ١٠) ما تزال تعرف بحبرون الزاهرة والخليل نسبة إلى إبراهيم الخليل، فيها جامع يحتوى على أضرحة إبراهيم وإسحاق ويعقوب مع نسائهم سارة ورفقه وليئة، وهؤلاء حسب نص التوراة دفنوا جميعا في حبرون في مغارة حقل المكفيلة أمام ممرا التي هى حبرون (تك، ٤٩: ٣، ٥٠: ١٣، ص ٢٣).

كانت حبرون مقرا لداود إلى أن جعل أورشليم العاصمة وقد ذكرت من جملة مدن يهوذا أيام فتنة يربعام وانشقاق المملكة.

حدياب:

إمارة كانت تشمل أهم أصقاع مملكة أشور، تمتد من الزاب الأكبر إلى الزاب الأصغر ومن الدجلة إلى أذربيجان، سماها العرب " حزّة " وذكرها بهذا الاسم بعض الكتاب الكلدان القدماء: فقال السمعانى (المكتبة الشرقية. طبعة رومية، مجلد ٣، ج ٢) أنها كانت القطعة الأشرف موقعا والأهم سياسة في جميع بلاد آشور واسمها يشمل جميع الأصقاع الأشورية. وقد ازدهرت هذه الإمارة في عهد الفرثيين الفرس وكانت قاعدتها مدينة أربيل. ويعتقد أن هذه المنطقة هى المنطقة الرئيسية التي نقل الأشوريون اليهود (الأسباط العشرة) إليها بعد قضائهم على مملكة إسرائيل في فلسطين.

ولقد أورد المؤرخ اليهودى يوسفوس ذكر أحد ملوك حدياب وهو " إيزاط " الذي ملك في القرن الأول للمسيح، وعلى عهده ضم أرطبان الثالث ملك الفرثيين نصيبين إلى إمارة حدياب وجعلها تحت حكم " إيزاط ".

وفى الفترة بين سنة ٣٦ و ٦٠ للميلاد ملك في حدياب ملك يهودى تم تهويده في صغره هو وأمه هيلينا على يد تاجرين يهوديين. التزمت هذه العائلة بولائها وإسنادها لليهود في القدس، وذكر أن الملكة هيلينا زارت مدينة القدس وأنفقت أموالا طائلة لمساعدة اليهود هناك، وقد ورد أسماء بعض ملوك حدياب منهم " شهراط " و " نرساى " وملك " " إلى أوائل القرن الثالث للميلاد، والأرجح أن هذه الإمارة حافظت على استقلالها الإدارى إلى ما بعد مجئ الساسانيين إلى الحكم، إذ ورد ذكر أن أحد ملوكها المدعو سنحاريب حكم الإمارة في منتصف القرن الرابع للميلاد، وكان سكان حدياب على رأى بعض الباحثين من الأراميين جنسا ولغة وكان العرب يسمونهم القبط (انظر: أدى شير، " تاريخ كلدو وأثور "؛ القس سليمان صايغ " تاريخ الموصل "؛ نيوزنر، " تاريخ اليهود في بابل - العهد الفرثى "؛ الدكتور - غراتب " النساطرة أو الأسباط المفقودة "، ١٨٤١).

حرمون:

جبل كان التخم الشمالى لأرض فلسطين في عبر الأردن على بعد ٤٠ ميلا بحر الجليل و ٣٠ ميلا إلى الجنوب الغربى من دمشق (تث، ٣: ٨، ٤: ٤٨؛ يش ١١: ٣ ز ١٧، ١٣: ١١)، وما يزال يعرف حتى اليوم بجبل حرمون، وهو يمتد على طول الحدود الجنوبية الشرقية السورية - اللبنانية، ويعرف أيضا بجبل الشخ يبلغ ارتفاعه ٩٤٠٠ قدما فوق سطح البحر وقد سمى أيضا في المدونات التوراتية

باسم " جبل بعل حرمون " وكان يسكنه بعض الحويين (قض، ٣: ٣) (انظر: الحويون).

الحسديون:

انظر: الأسينيون.

حشبون:

من مدن فلسطين القديمة، تعرف أطلالها اليوم باسم " تل حشبان " تقع على مسافة ٢٦ كيلو متر جنوب غربى عمان في الأردن وحوالى ١١ كيلو متر شمال " ندبة " الحالية، كانت بالأصل ملكا للموآبيين إلا أن سيحون ملك العموريين استولى عليها مع كل أرض الموآبيين واتخذ حشبون عاصمة له (عد، ٢١: ٢٦). ثم استولى عليها الموسويون في عهد موسى ودمروها (تث، ٢: ٢٢ - ٢٦) إلا أن الموآبيين عادوا وتغلبوا عليها. وقد سميت في التوراة عربات موآب مما يدل على أنها كانت في يد الموآبيين قبل استيلاء العموريين عليها (عد، ٢٢: ١، ٣١: ١٢، ٣٣: ٤٨) (انظر: موآب عمون). وفى المرجع التالى بحث عن تاريخ مدينة حشبون:

The Biblical Archaelogist. The American School of Oriental Research, Vol. CCCII, May 1969, No. 2, PP. 26 - 41.

الحضر (مدينة):

تقع أطلال مدينة الحضر في بادية الجزيرة التي بين الدجلة والفرات على بعد ١١٥ كيلو مترا جنوب غربى الموصل، وعلى بعد ٧٠ كيلو مترا غربى القيارة وعلى بعد ٣ كيلو مترات من الضفة الغربية لودى الثرثار وقد استحدث مؤخرا قضاء الحضر الذي يقع قرب أطلال المدينة. وتتألف بقايا المدينة من سور خارجى وسور داخلى دائرى فيه حوالى مائتى برج وأربع بوابات، ويقع في وسط المدينة حى المعابد يحيط به سور كبير من الحجر المستطيل الشكل يضم داخله زهاء ١١ معبدا، ومن هذه المعابد المهمة معبد من الحجارة المهندمة للإله (أشور بل) وهو أحد المعابد الخاصة التي شيدها كبير الكهنة المدعو (نصرو مريا) الذي انحدرت من صلبه السلالة العربية الحاكمة في الحضر، إذ توج ابنه الأكبر (ولجش) ملكا وأعقبه أخوه سنطروق الأول في أواخر النصف الأول من القرن الأول بعد الميلاد والذى يعد مؤسس هذه السلالة العربية الحاكمة.

ويرجع تاريخ الأبنية الشاخصة أطلالها الآن بما في ذلك الأسوار والأبراج والقصور والمعابد إلى القرنين الثانى والأول قبل الميلاد والقرنين الأول والثانى بعد الميلاد. أما تاريخ تأسيس المدينة فمجهول ويرجح الباحثون أنها كانت قرية أو مدينة صغيرة لسكنى عرب البادية منذ العهود القديمة من عهد الأشوريين حتى أواخر العصر الفرثى، وقد اشتهرت مدينة الحضر في فترات الحروب التي جرت بين الأخمينيين والسلوقيين وأخيرا بين الفرس والرومان إلى أن سقطت في الحروب الأخيرة بين الحضريين والرومان كحلفاء ضد الساسانيين، حيث سقطت على يد الملك الساسانى سابور (سومر، م ٢٦، ١٩٧٠، ص ١٤٣ وما يليها).

حضوراء:

اسم قبيلة من طبقة العرب البائدة ترجع إلى عهد جماعة عاد وثمود (انظر عاد وثمود) وقد هلكت، ذكر أن أهل حاضورا كانوا يقيمون بالرس وكانوا يعبدون الأوثان وظهر منهم نبى فكذبوه وقتلوه، وقد ورد في القرآن الكريم ذكر (أصحاب الرس) مع عاد وثمود، وهناك عدة مواضع في الجزيرة العربية يقال لها (الرس) منها موضع في اليمامة وفى اليمن موضع يسمى " جبل حضور " وروى أهل الأخبار أن نبوخذ نصر غزا أهل خضوراء وأعمل فيهم السيف وأجلى خلقا منهم إلى أماكن أخرى.

حضيرت:

هى المحطة الثانية التي وقف عندها الموسويون بعد خروجهم من مصر (عد، ١١: ٣٥، ١٢: ١٦، ٣٣: ١٧).

حلج:

مكان في آشور نقل إليه اليهود أيام السبى الأشورى (٢ مل، ١٧: ٦، ١٨: ١١؛ أ خ، ٥: ٢٦) ويرجح أنه يقع في منطقة الخابور.

حلف:

انظر تل حلف.

حماة:

من أشهر مدن سورية وأقدم مدن العالم، لا تزال تحتفظ باسمها القديم، دعيت " إبيفانا " في أيام أنطوخيوس " أبيفان "، أسسها أحد أولاد كنعان (تك، ١٠: ١٨؛ ١ أخ، ١: ١٥)، موقعها في وادى العاصر كانت تدعى مفتاح شمالى فلسطين لأنها كانت متوسط بين الفرات وفينيقية، وهى تبعد ١٦٥ ميلا إلى الشمال من

أورشليم، وقد سماها عاموس حماة العظيمة وتكلم عن خرابها (عا ٦: ٢).

حمورابى:

الملك البابلى الشهير مؤسس إمبراطورية بابل الشهيرة وصاحب الشريعة الذائعة الصيت التي تعد من أقدم الشرائع في تاريخ الثقافة الإنسانية، تولى العرض في الحقبة الممتدة بين سنة ١٧٩٢ وسنة ١٧٥٠ ق.م، وهى مدة حكمه في أصح التقديرات، وهو القائل " أن الآلهة قد نادتنى لأمنع الأقوياء عن ظلم الضعفاء وأنشر النور في الأرض وأرعى مصالح الخلق ".

حمير:

قبيلة من القبائل العربية القديمة كونت لها دولة في وسط اليمن واتخذت مدينة ظفار عاصمة لها وذلك منذ أواخر القرن الثانى قبل الميلاد واستمرت حتى قرب ظهور الإسلام ومازالت توجد في اليمن قبيلة تسمى بهذا الاسم. والحميريون فرع من السبئيين، وحمير عند العرب ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وزعموا أنه كان ملكا بعد موت أبيه سبأ. وقد ورد ذكر حوالى ثلاثين ملكا من ملوك حمير أقدمهم " علهان نهفان " حكم بين سنة ١١٥ وسنة ٨٠ ق.م، وتختلف دولة حمير عن سابقتيها دولتى معين وسبأ في كونها أقرب إلى الدول الفاتحة فكان الحميريون يسيطرون على القسم الجنوبى من الجزيرة العربية كما كانوا يمتلكون قسما من ساحل أفريقيا الشمالى (انظر معين وسبأ) وقد استطاع الحميريون من الاستيلاء على مأرب بضع مرات في حوالى السنة ١١٠م، وأخرى في سنة ٢٠٠ أو سنة ٢١٠، وكان آخر ملوك حمير ذا نواس يوسف (٥٢٠ - ٥٣٠ م) اعتنق اليهودية واضطهد المسيحيين، قضى عليه وعلى دولته نجاشى الحبشة بإيعاز من إمبراطور الروم واحتل بلاد اليمن (٥٣٠ م)، وبذلك تكون دولة حمير قد دامت ٦٥٠ سنة.

ومن أبنية حمير حصن ريدان وقصرها المشهوران حيث عثر على كتابة في خرائب القصر قدر الخبراء زمنها إلى ٤٠٠ ق.م، وقد اشتهرت حمير عند أهل الحجاز بمصانعها فقيل مصانع حمير، وفى كلام النبى لوفد كندة " أن الله أعطانى ملك كندة ومصانع حمير... الخ " (الإكليل، ١ / ٦٦).

وتعرف لغة الحميريين باللغة الحميرية وهى تختلف عن لغة أهل شمال الجزيرة، وقد اشتهرت حمير عند علماء العربية بخطها الحميرى أو القلم الحميرى، وهو الخط الذي سبق المعينيين والسبئيين وأقوام عربية أخرى، وقد

سمى العرب وعلماء المسلمين الكتابة الحميرية بـ " كتابة المسند "، لأن حروفها منفصلة ترسم على هيئة خطوط مستندة إلى أعمدة، ويرى العلماء أن الأقلام الثلاثة الثمودى والصفوى واللحيانى قد اشتقت من المسند. والخط الحميرى (المسند) هو أقدم الأقلام التي عرفت في جزيرة العرب حتى الآن، ويرى كثير من العلماء أنه مشتق من الأبجديات الساميات الشمالية بينما يرى البعض الآخر أنه مشتق من القلم الفينيقى.

الحويون:

قوم من سلالة كنعان (تك، ١٠: ١٧) كانوا مستوطنين في كنعان، ومن مدنهم الرئيسية شكيم وجبعون (تك، ٣٤: ٤؛ يش، ١١: ١٩) انفرد الحويون من دون جميع سكان كنعان في مصالحة الموسويين وعملوا صلحا مع يشوع (يش، ٩: ٤-١٨، ١١: ١٩).

ولما اجتمع الملوك العموريين الخمسة لمحاربة الحويين أتى الموسويون لمعاونتهم وأنقذوهم من أيديهم (يش، ١٠: ١١؛ أش، ٢٨: ٢١). ويظهر من المآثر التوراتية أن بعض الحويين سكنوا جبل لبنان من جبل حرمون إلى مدخل حماة (قض، ٣: ٣) (انظر: شكيم، جبعون، حرمون).

حرمون:

منطقة واسعة تقع شرقى الأردن تمتد شمالا إلى الشرق من باشان تجاه بحيرة طبرية إلى منطقة دمشق، أكثرها سهول متسعة مخصبة كثيرة المرعى وصخورها بركانية ذات مسام كثيرة فيها آثار قرى متعددة (خر، ٤٧: ١٦ و ١٨). أما حوران الحالية فتمتد تخومها جنوبا إلى بصرى الشام - انظر باشان.

الحوريون:

انظر " هجرة الحوريين " في الفصل الأول، ص ١٥١ - ١٥٢.

الحيثيون:

انظر " هجرة الحيثيين " في الفصل الأول، ص ١٥٣ - ١٥٧.

حيرام:

أحد ملوك صور المشهورين، كان معاصرا لداود وسليمان صديقا سياسيا لهما، في زمنه بلغت صور أوج ازدهارها، وتشير التوراة إلى أن حيرام أمد داود بالمواد اللازمة لبناء قصره (٢ صم، ٥: ١١؛ ١ أخ ١٤: ١) وساعد سليمان في بناء الهيكل (١ مل، ٥: ١ - ١٢) أعطى سليمان حيراما عشرين مدينة في أرض

كنعان لقاء أعماله إلا أنها لم تحسن في عين حيرام فقال ما هذه المدن التي أعطيتني يا أخي (١ مل، ٩: ١١ - ١٣).

خابور نهور جوزان:

إحدى المناطق التي ذكرت التوراة أن الأشوريين نقلوا إليها قسما من اليهود وأسكنوهم فيها ومن بينهم النبي حزقيال (٢ مل، ١٧: ٦)، والأرجح أنها نفس منطقة جوزانا، الولاية الأشورية القديمة في أعالي نهر الخابور في شمال سورية، وقد وردت مقرونة مع حاران المنطقة المجاورة لها من الغرب (٢ مل، ١٩: ١٢) (انظر: تل حلف، حاران).

الخليل:

انظر: حبرون.

داجون:

اسم صنم مشهور كان الفينيقيون يعبدونه في غزة وفي أشداد (قض، ١٦: ٢٣؛ ١ صم، ٥: ١ - ٣) وفي بيت داجون من أرض يهوذا وأشير (يش، ١٥: ٤١، ١٩: ٢٧). وكان برأس إنسان ويدي إنسان وجسم سمكة. والأرجح أن تسميته مشتقة من داج بمعنى سمكة كبيرة. وفي تاريخ اليهود أن الصنم سقط وانكسر لما وضع الفلسطينيون تابوت عهد الرب إلى جانبه (١ صم، ٥: ١ - ٣).

دان:

هو ابن يعقوب من بلعة جارية راحيل، ابنها الثاني (تك، ٣٥: ٢٥).

داود:

هو الملك داود الذي ورد ذكره في التوراة ووصفته بأنه " ابن ذلك الرجل الأفراتي من بيت لحم يهوذا الذي اسمه يسى وله ثمانية بنين " منهم داود الذي كان يرعى غنم أبيه في بيت لحم (١ صم، ١٧: ١٤ - ١٥) وتقص التوراة قصة طويلة عن صلته بالملك شاؤول أول ملك على إسرائيل وزواجه من ابنته ميكال ثم الحرب الطويلة بين بيت شاؤل وبيت داود حتى انتهى الأمر بفوز داود بالملك بعد موت شاؤول في حربه مع الفلسطينيين فحكم أربعين سنة منها سبع في حبرون وثلاث وثلاثون في أورشليم (١ مل، ٢: ١١) وقد حدد زمن حكم داود بين سنة ١٠١٠ وسنة ٩٧١ ق. م على وجه التقريب.

دفقة:

محلة وقف عندها الموسويون بعد خروجهم من مصر، تقع في مدخل جبل

سيناء في وادى فيران، كانت فيها مناجم النحاس التي كان يستثمرها المصريون منذ أقدم الأزمنة (انظر: سيناء) وقد أكد اللغويون أن كلمة دفقة تعنى بالعبرية " موقع صهر المعادن "، انظر:

Keller, "The Bible as History", P. 132.

دلمون:

اسم منطقة ورد ذكرها في المدونات السومرية يرجح أن مكانها في البحرين، وقد جاء في قصة سومرية أن بلاد دلمون كانت جزيرة تتمتع بقدسية خاصة عند السومريين، وكانت فيها آلهة تعبد لها أهل العراق، وقد وصفت بكونها أرض للخلود، وقد ورد ذكر دلمون هذه هى موضع آخر في سواحل الخليج العربى يسمى " مجان " يعتقد أنه موضع عمان الحالى (انظر: مجان).

دمشق:

هى أقدم مدن سورية أشهرها،ذكر أن بانيها هو عوص بن أرام بن سام، تبعد نحو ١٢٢ ميلا إلى الشمال الشرقى من أورشليم ونحو ٦٠ ميلا من البحر المتوسط يحيط بها من الشمال والشرق والجنوب سهل مخصب يسقيه ماء نهرى والأعوج، اسمها المصرى القديم " دمسكو " زارها إبراهيم الخليل (تك، ١٤: ١٥)، وقيل أنه حكم فيها افتتحها داود لمدة محدودة من الزمن (٢ صم، ٨: ٥ - ٦)، ثم اتخذها الأراميون عاصمة لهم، فلعبت في عهد ملكها ابن هداد (بنهداد) (٨٧٩ - ٨٤٣ ق.م) دورا هاما في سياسة الشرق الأدنى حيث تمكن هذا الملك من بسط نفوذه على البلاد المجاورة فعقد معها أحلافا للعمل معه في القتال ضد أطماع الأشوريين، واستطاع خلفه من صد هجومين قام بهما شلمنصر الثالث سنة ٨٤٣ وسنة ٨٣٨ ق.م. وهاجم إسرائيل ويهوذا إلا أن الأشوريين تمكنوا أخيرا من التغلب على الأراميين، فاحتل تغلب فلاسر الثالث سنة ٧٣٢ ق.م مدينة دمشق بعد حصار دام حوالى سنتين وقتل آخر ملوك دمشق المدعو رصين وسبى أهل المدينة وقضى على الحكم الأرامى في دمشق نهائيا.

وبعد الأشوريين استولى الفرس على المدينة ثم غزاها الإسكندر واحتلها بعد موقعة أسوس سنة ٣٣٢ ق.م، ثم ضمت إلى مملكة السلوقيين، وضمها بعد ذلك بومبى إلى الإمبراطورية الرومانية (٦٤ ق.م)، استولى عليها العرب بقيادة أبى عبيدة ابن الجراح بعد معركة اليرموك سنة ٦٣٥ م، وكانت أهم المدن الإسلامية إبان الحكم الأموى (٦٦١ - ٧٥٠ م) أسقطها هولاكو سنة ١٢٦٠م، ثم حاصرها

تيمور لنك ونهبها جنوده سنة ١٤٠٠ م، خضعت للحكم العثمانى (١٥١٦ - ١٩١٨م) احتلها الإنجليز سنة ١٩١٨م.

دياسبورا:

كلمة يونانية معناها تشتت تغرق أو نثر البزار، كانت تطلق على اليهود المنتشرين خارج فلسطين بعد الأسر، كما كانت تطلق على اليهود المتنصرين خارج فلسطين ثم صارت تطلق على اليهود خارج فلسطين عبر التاريخ (تث، ٢٨: ٢٥، دا، ١٢: ٣).

رأس الجالوت:

مصطلح عربى كان يطلق على رئيس الطائفة اليهودية في دار الإسلام. في خلافة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) تولى رئاسة الجالوت بستناى ابن حنيناى سليل رؤساء الجالوت الأقدمين من آل داود فأقره الخليفة في منصبه بكتاب عهد وجهه إليه. وكان مقر رأس الجالوت في مدينة سورا (انظر سورا)، وكانت سلطة رأس الجالوت في عهد الخلفاء العباسيين تسرى، كما ينبئنا بذلك بنيامين التطيلى في رحلته (ص ١٣٥ - ١٣٨) على جميع الطوائف اليهودية المنتشرة في العراق وفى بلاد خراسان واليمن وجزيرة ما بين النهرين وأرمينيا وأذربيجان وجورجيا حتى شواطئ نهر جيحون وحدود سمرقند والتبت وديار الهند. وبعد تأسيس مدينة بغداد في عهد المنصور انتقل رأس الجالوت إليها. وتدل الأخبار على أن أول من أنشأ هذه المؤسسة هو الملك فولوغاسس الأول بعد أن منح المجتمع اليهودى الحكم الذاتى بقصد استغلال إمكاناتهم واتخاذهم حليفا مواليا للحكم الفرثى لاسيما بعد أن دمر الرومان الهيكل في فلسطين إذ كان الفرثيون يسعون لاستمالة اليهود إليهم تحت ظل الحكم الفرثى والحيلولة دون انضوائهم تحت نظام خاضع لروما.

راؤبين:

هو بكر يعقوب بن ليئة (تك، ٢٩: ٣٢).

الربيون أو الربانون أو الربانيون:

وبالعبرية ربانيم أى جمع ربان بمعنى الحبر أو الفقيه وفى العربية " الربانى " هو العالم كما وردت في القرآن الكريم (سورة المائدة، الآية ٤٣).

رصين:

أحد ملوك أرام أشهر حربا على ملك يهوذا وحاصر عاصمته أورشليم في

أيام ملكها آحاز فاستنجد بملك أشور تجلات بلاسر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م) الذي جرد جملة قوية قضت على رصين وعلى جيوشه (٢ مل، ١٥: ٣٤، ١٦: ٥ - ٩؛ أش، ٧: ١ - ٨، ٨: ٦، ٩: ١١) (انظر دمشق).

رعمسيس:

هو اسم المدينة التي سخر رعمسيس الثانى ملك ملك (١٣٠٠ - ١٢٣٣ ق.م) بقايا الهكسوس لبنائها وسميت باسمه، كان موقعها في شمال الدلتا الشرقى، وقد عرفت بمدينة المخازن (خر، ١: ١١). وفى زمن هذا الملك كان خروج الموسويين من مصر بقيادة موسى النبى (١٢٩٠ق.م) وكانت رعمسيس هى المدينة التي غادروها من مصر (خر، ١٢: ٣٧، ٣٣: ٣) ويعتقد أن فرعون مصر اتخذ هذه المدينة مخزنا تجمع إليه الحنطة، والأرجح أنها كانت محصنة لتكون أهراؤها في أمن من طوارئ الحدثان. ويرى الخبراء أن موقع مدينة رعمسيس هو نفس موقع مدينة (أفارس) عاصمة الهكسوس في مصر. (انظر: هوارس).

الرفائيون:

هم من الأقوام الكنعانية القديمة، كانت مساكنهم في منطقة باشان (تك، ١٤: ٥) الواقعة شرقى الأردن (انظر باشان)، كانوا يقطنون في بلاد موآب قبل أن يحتلها الموابيون أنسال لوط، وكان الموآبيون يدعونهم " أيميين " (تث، ٢: ١)، وصفوا في التوراة في كونهم عشيرة كبيرة من الجبابرة كان لهم ملك يدعى " عوج " وكان جبارا قامة وبأسا (تث، ٣: ١١). حاول أن يمنع مرور الموسويين في أرضه في عهد موسى (تث، ٣: ١) غير أنه هزم وقتل هو وبنوه وطرد أتباعه من وطنهم (عد، ٢١: ٣٤؛ تث، ١: ٤). وكانت تسكن مع الرفائيين في باشان عشيرتان كنعانيتان هما الجشوريون والمعكيون بقيتا في مساكنهما في وسط الموسويين دون أن تمسا بأذى (يش، ١٣: ١٢ - ١٣).

رفح:

مدينة قديمة على حدود مصر الشرقية بشبه جزيرة سيناء على البحر المتوسط بين غزة والعريش، اسمها باللغة المصرية القديمة " رابح " و " رافيا " باليونانية، جرت بقربها موقعة حربية بين بطليموس الرابع وأنطيوخس الثالث (الأكبر) سنة ٢١٧ ق.م، وقد عثر في المدينة على أطلال حمامات من العصر الرومانى وكنيسة من العصر المسيحى.

رفيديم:

محطة في سيناء وقف عندها الموسويون بعد خروجهم من مصر (خر، ١٧: ١). وقد جرت فيها أول موقعة بين الموسويين والعماليق (خر، ١٧: ٨ - ١٣)، وإلى رفيديم جاء يثرون حمو موسى مع أهل بيته ونزلوا ضيوفا على موسى (خر، ١٨: ١ - ١٢). (انظر: سيناء).

الرها:

مدينة قديمة من مدن بلاد ما بين النهرين كانت تقع في مكان أورفه الحالية في تركيا، وكانت تعرف باسم " الرهو " في القرن الرابع قبل الميلاد، وسماها سلوقس الأول " إيدسيا " (Edesse) ثم صارت بعدها مدينة رومانية وفيها هزم الإمبراطور فاليران سابور الأول ملك الفرس، أصبحت الرها في القرن الثالث الميلادى مركزا من مراكز النصرانية وسماها السريان " أورهاى " وأخذ العرب عنهم هذه التسمية وقالوا " الرها " وتسمى اليوم " أورفه " (ابن العبرى، ص ٧)، كانت أحد المراكز الدينية الكبرى في عهد الإمبراطورية البيزنطية، افتتحها عياض بن غنيم سنة ١٧ هـ (٦٣٨ م) ثم استولى عليها الصليبيون سنة ١٠٩٨ للميلاد وكانت أولى المقاطعات اللاتينية إلا أن المسلمين عادوا فاستولوا عليها سنة ١١٤٤ م وبقيت الرها مدينة مسيحية في ظل الأتراك (انظر أورفة).

الزبور:

لقد اختلف المفسرون في معنى كلمة " زبور " فمن قائل أن معناها الكتاب وقائل الملك والله أعلم. وردت كلمة زبور في الشعر الجاهلى وفى القرآن الكريم:{وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا } [النساء: ١٦٣]. ويرى المفسرون أن المقصود بكلمة زبور هو " مزامير داود " أو " سفر المزامير " من العهد العتيق. والمزامير هى عبارة عن " قصائد من الشعر الدينى الوحدانى الغنائى، منها الترانيم والأناشيد التي فيها تمجيد الله، ومنها الصلوات، ومنها تعليم وصايا الرب وذكر ثوابه وعقابه، وأكثر المزامير ترجع لداود، وبعض المزامير وضعت بعده " (راجع عفيف عبد الفتاح طبارة، " مع الأنبياء في القرآن الكريم "، ص ٢٨٣) عرفت للزبور ترجمة عربية في تاريخ مبكر أورد الكندى أجزاء منها في رسالته.

زبولون:

هو ابن يعقوب من امرأته ليئة، سادس أبنائها (تلك، ٣٠: ٣٥ - ٢٣).

زنجرلى:

انظر سمأل.

زوحى:

مملكة أرامية أسسها الأراميون على شواطئ نهر الفرات ما بين عانة ومصب نهر البليخ ضمت مدنا عديدة أهمها عانات (عانة) وخاريدى ورحبوت (الرحبة) وشرا واشتهر من ملوكها حابانى. وكان حابانى قد عرض خضوعه للأشوريين إلا أنه شق عليهم عصا الطاعة فجهز عليه أشور ناصر بال (٨٨٤ - ٨٥٩ ق.م) حملة قوية واحتل بلاده ودمر معظم مدنه تدميرا كاملا، ثم بنى قلعتين على الفرات وجعل فيهما حاميتين أشوريتين الواحدة على الضفة اليمنى والثانية على الضفة اليسرى.

الزوهر:

انظر القبالة.

الساسانيون:

هم حكام الفرس أخلاف الفرثيين استحوذا على حكم بلاد فارس وممتلكاتها ومن ضمنها العراق وذلك على أثر انتصار أردشير بن بابل بن ساسان على آخر ملوك الفرثيين سنة ٢٢٤ م، وقد جعل أردشير طيسفون (المدائن) عاصمته الشتوية. وما أن استقر الساسانيون في الحكم حتى تجدد الصراع التقليدى بين الفرس والرومان فقام سابور الأول (٢٤١ - ٢٧٣) بهجومين على الرومان وصل في الأول إلى أنطاكية وتسلم الجزية من القواد الرومان، وفى الثانية كسب المعركة الكبرى قرب الرها (أديسا) وفتح أنطامية وغنم غنائم كثيرة غير أنه فشل في رجوعه في إخضاع ملك تدمر.

وفى عهد سابور الثانى (٣٠٩ - ٣٧٩ م) الملقب بسابور ذى الأكتاف جرت معركة بينه وبين الإمبراطور قسطنطين قرب سنجار انتصر فيها عليه واستولى على كثير من الحصون الرومانية والقلاع المنتشرة في الشمال، ولما تولى الإمبراطور جوليان العرش الرومانى جرد حملة وتقدم بها نحو الشرق ففتح نصيبين ومدن الفرات ونزل إلى بابل وحاصر طيسفون وكانت معركة ضاربة قرب جبال حمرين انكسر فيها الرومان وقتل جوليان وتراجع جيشه نحو أنطاكية بعد أن تكبد خسائر فادحة في الأرواح.

واستولى الساسانيون على جميع بلاد الرافدين وعلى القلاع الشمالية في آمد ونصيبين وبلاد أرمينية. وقد جرد كسرى المعروف بأنوشروان (٥٣١ - ٥٧٩ م)

حملة على الرومان ففتح أنطاكية ثم حارب البيزنطيين في أرمينيا كما تمكن الملك كسرى الثانى (٥٩٠ - ٦٢٨ م) من فتح مصر والاستيلاء على بلاد آسية الصغرى ومحاصرة القسطنطينية إلا أن هذا النصر لم يدم طويلا فقد جاء ملك بيزنطة الجديد عن طريق دجلة وحاصر طيسفون وقتل فيها أنوشروان. وبموت أنوشروان تنازع أمراء الأقطاع على الحكم فيما بينهم مما أدى بالمملكة إلى التدهور حتى جاءت الجيوش العربية الفاتحة فاستولت على العراق أثر واقعة القادسية الشهيرة في حزيران ٦٣٧م، حيث دخل سعد بن أبى وقاص طيسفون وقضى بذلك على الحكم الساسانى في العراق.

السامرة:

المدينة الفلسطينية التاريخية المشهورة، تقع على بعد ٣٠ ميلا إلى الشمال من أورشليم وستة أميال إلى الشمال الغربى من شكيم (نابلس)، كانت مركزا لعبادة الأصنام، استولى عليها الأشوريون سنة ٧٢٢ - ٧٢١ ق.م، وأجلوا اليهود عنها (٢ مل، ١٨: ٩ - ١٢) وأحلوا محلهم جماعات من بلاد بابل وعيلام وسورية وبلاد العرب. ولما أخذها الإسكندر الكبير أسكن فيها سوريين ومكدونيين. وفى عهد المكابيين هاجمها يوحنا هيركانس الأول سنة ١٠٩ ق.م، ثم أعاد بناءها هيرودس الكبير (٣٧ - ٤ ق.م) في زمن الرومان وأقام فيها مستعمرة مؤلفة من ستة آلاف جندى وغير اسمها إلى (سبسطية) تخليدا لأغسطس قيصر الذي وهبه إياها، وفى القرن الثالث للمسيح أرسل إليها سبتيموس سيفرس مستعمرة رومانية. أما السامريون اليهود فقد انتقلوا إلى شكيم وهى نابلس الحالية على بعد حوالى تسعة كيلو مترات إلى الجنوب الشرقى من السامرة وبنوا هيكلهم فيها على جبل جرزيم حيث مارسوا عبادتهم منعزلين عن يهود أورشليم الذين كانوا على خلاف دينى معهم فاشتدت العداوة بينهما. (انظر البحث عن السامريين وعقائدهم، ص ٢٦٥. انظر ما يلى في هذا المعجم عن بلدة شكيم).

السامرية:

فرقة من اليهود لا تؤمن بغير الأسفار الخمسة الأولى من التوراة وتنكر التلمود وهم مثل الصدوقيين لا يؤمنون بالبعث ولا باليوم الآخر ولا يعترفون بغير النبى موسى والنبى هوشع من بين الأنبياء (انظر ص ٢٦٥).

سبورائيم:

سبأ:

انظر " معين وسبأ " و " حمير ". (الفصل الثانى ص ٢٠٧ وما يليها)

كلمة عبرية معناها الأساتذة الشارحون، كانت تطلق على طبقة من العلماء اليهود استمر نشاطهم العلمى في بابل من سنة ٥٠٠ إلى سنة ٥٨٨ م، وكانت أهم أعمالهم التغليق على التلمود وتنظيم أبوابه وفصوله بالشكل المعروف إلى يومنا هذا.

سدوم:

هى المنطقة التي كان يسكنها لوط ابن أخى إبرام (إبراهيم الخليل) (تك، ١٤: ١٢) وذلك عندما افترق لوط عن عمه إبرام فارتحل شرقا (تك، ١٣: ١١) ذكرت في التوراة في وصف تخوم أرض كنعان (تك، ١٠: ١٩). ومن المرجح أن منطقة سدوم هذه كانت تقع شرقى بحر الملح (البحر الميت) في المنطقة التي صارت تعرف بأرض موآب وعمون (انظر موآب وعمون). وقد سردت التوراة قصة مطولة فحواها أن أربعة من ملوك المشرق وهم امراقل ملك شنعار وكدرلعومر ملك عيلام وتدعال ملك جوييم وأريوك ملك الأسار هاجموا أرض كنعان، منها أرض سدوم التي كان يحكمها الملك بارع (تك، ١٤: ١ - ٢) وتغلغلوا في جنوبى البلاد وضربوا الرفائيين في جبل سعير والعموريين والعمالقة في برية فاران ثم رجعوا إلى قادش (قادش برنيع) (تك، ١٤: ٥ - ٧) وأخذوا معهم لوطا ابن أخو إبرام (إبراهيم الخليل) وأملاكه ومضوا، إلا أن إبرام تصدى للغزاة هو ورجاله وتغلب عليهم ثم تبعهم إلى بلدة دان الشمالية وإلى حوبة في شمال دمشق واسترجع لوطا وكل الأملاك (تك، ١٤: ١٣ - ١٦) وإذا اعتبرنا أن عهد إبراهيم الخليل يقع في القرن التاسع عشر قبل الميلاد فيكون الحادث قد عاصر عهد إيسن ولارسا في العراق (٢٠٠٦ - ١٨٠٠ ق.م) حين كان البابليون ملوك شنعار مسيطرين على بابل وأيسن والعيلاميون مسيطرين على لارسا في سومر، ويرى البعض أنه من المستحيل أن يكون المقصود بملك الأسار ملك لارسا.

سرديس:

انظر ليديا.

سكوت:

موقعان بهذا الاسم الأول موضع في شرقى الأردن رحل إليه يعقوب بعد عودته إلى فلسطين من أرام وفيه بنى بيتا لذاته ومظلات لمواشيه ودعى اسم

المكان سكوت (تك، ٣٣: ١٧)، أما الموقع الثانى فهو أولى محطات الموسويين بعد خروجهم من مصر (خر، ١٢: ٣٧؛ عد، ٣٣: ٥) وهى سفر يوم عن رعمسيس.

سلوام (بركة):

انظر جيحون.

سلوقية (السورية):

هى المدينة التي أنشأها سلوقس الثانى على الأرجح وسميت باسمه " سلوقية " وقد أطلق عليها اسم " سلوقية بسييرا " لتمييزها عن المدن الأخرى بهذا الاسم أنشئت على ساحل البحر المتوسط على بعد حوالى خمسة أميال من نهر العاصى لحماية مصبه في البحر ولتكون ميناء لأنطامية (انظر أنطاكية). نقل إليها جثمان سلوقس الأول ودفن فيها كأحد الآلهة، ثم أصبحت هذه المدينة مقبرة لخلفائه من سلالته، اتخذها الرومان قاعدة لأسطولهم.

سلوقية (العراق):

هى المدينة التي أسسها سلوقس الأول حوالى سنة ٣١٢ ق.م لاتخاذها عاصمة لإمبراطوريته فسميت باسمه، تقع على ضفة نهر دجلة اليمنى على بعد ٣٥ كيلو مترا من جنوب بغداد، وتعرف أطلالها اليوم باسم " تل عمر " كان لها شأن عظيم في هذه البطاح مدة طويلة فأصبحت مركزا كبيرا للحضارة الإغريقية في الشرق وخلفت بابل بوصفها مركزا للتجارة بين الشرق والغرب، احتلها الفرثيون سنة ١٤١ ق.م فأبقوا عليها لكنهم اتخذوا طيسفون (المدائن) على الضفة المقابلة مشتى لهم وأعقبهم الساسانيون فاتخذوها عاصمتهم الشتوية، وبقيت كذلك زهاء ثلاث قرون حتى تم استيلاء العرب عليها بعد انتصارهم على الفرس في معركة القادسية ومن بقايا عمارة الفرس في طيسفون الإيوان الكبير المسمى " طاق كسرى " القائم حتى اليوم (انظر السلوقيون، الفرثيون، الساسانيون).

السلوقيون:

هم الحكام الإغريق أخلاف الإسكندر الذين حكموا بابل وسورية بعد موت الإسكندر أولهم سلوقس الأول (سلوقس نيكاتور) ٢٢١ - ٢٨٠ ق.م. كان قائدا من قواد الإسكندر، فتح سوسيانا وميديا وبسط نفوذه حتى نهرى أوكسوس والسند. شيد له في حوالى سنة ٣١٢ ق.م عاصمة في شمال بابل على الضفة اليمنى من نهر دجلة وسماها باسمه " سلوقية " كما أسس عاصمة أخرى في حوالى سنة

٣٠٠ ق.م، جوار أنطاكية وسماها باسمه أيضا. وتعاقب على حكم مملكة السلوقيين نحو ثمانية عشر ملكا اشتهر منهم أنطيوخس الثالث الملقب بالأكبر (٢٢٣ - ١٧٥ ق.م). وقد عهد خلفه وابنه انطيوخس الرابع (١٧٥ - ١٦٣ ق.م) حاول هذا الملك سنة ١٦٩ ق.م القضاء على اليهودية في فلسطين وصبغ بلاد اليهود بالصبغة الهيلينية مما أفضى إلى ثورة المكابيين في فلسطين (١٦٧ - ٣٧ ق.م) وغزا هذا الملك مصر مرتين إلا أن تدخل روما أدى إلى إرغامه على الانسحاب منها ومن قبرص. ثم استغل الفرس ضعف المملكة بعد أن فقدت القسم الشرقى منها فظهر منهم الفرثيون أمراء الإقطاع وأخذوا يزدادون قوة حتى تمكنوا من احتلال العراق سنة ١٤١ ق.م والقضاء على حكم السلوقيين (انظر المكابيون، الفرثيون).

سليمان:

هو الملك سليمان بن داود من امرأته الحبشية " بتشبع " التي كانت امرأة " أوريا الحثى " (٢ صم ن ١٢: ٩، ٢٤) وتذكر التوراة أنه حكم أربعين سنة في أورشليم، وقد اشتهر ببناء الهيكل فيها، تقع فترة حكمه بين سنة ٩٧١ - ٩٣١ ق.م، على وجه التقريب (انظر داود).

سمال:

مدينة أرامية قديمة كانت مركزا لإحدى الدويلات الأرامية في شمال سورية تقع أطلالها عند جبل " أمانوس " غربى عينتاب وتعرف اليوم باسم " زنجرلى " وقد ازدهرت المدينة في القرنين الحادى عشر والعاشر قبل الميلاد، فورد ذكر اسماء بعض ملوكها منهم " شعيل " و " كيلاموا " وقد عصر على كتابة تعود إلى عهد كيلاموا سجل فيها انتصاراته على الدويلات المجاورة له فأشاد فيها بازدهار مملكته. كما ورد اسم ملك آخر يدعى " حيانى " في كتابة للملك شلمنصر الثالث (٨٥٩ - ٨٢٤ ق.م) ادعى شلمنصر فيها أنه أخذ الجزية منه. ومن أخبار القرن الثامن قبل الميلاد أن شخصا يدعى " عازريان " استولى على الحكم في شمال وشكل اتحادا مع الدويلات المجاورة لمقاومة الغزو الأشورى، إلا أن الأشوريين في عهد ملكهم تغلات فلاسر الثالث (٧٤٦ - ٧٢٧ ق.م) تمكنوا من القضاء على الحركة وقبضوا على عزريان وأعدموه سنة ٧٣٨ ق.م، وأعادوا الملك الشرعى المدعو فنامو الثانى وقد نقل ابنه " بار ركوب " هذه الحوادث في كتاباته، وقد عثر على آثار حريق في المدينة مما

يدل على أنها انقرضت في ظروف غامضة فانقطع كل ذكر لها في عهد شلمنصر الخامس (٧٢٧ - ٧٣٢ ق.م) والظاهر أنه شيد بعد ذلك بلاط جديد حيث وجد على باب المدينة نصب أقامه سرجون الثانى (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) يشيد فيه بأمجاد عهده المزدهر وذلك بعد قضائه على الممالك الأرامية وضمها إلى الإمبراطورية الأشورية.

السنهدرين:

المجمع اليهودى الدينى الأعلى (انظر الفصل الثالث ص ٢٦٣ - ٢٦٥).

سورا:

مدينة بابلية قديمة، كانت تقع بجوار الحلة على صدر شط النيل المتفرع من الفرات الذي كان يعرف قديما بنهر سورا. كانت مركزا من المراكز الرئيسية الهامة التي تجمع فيها اليهود بعد السبى البابلى. وكانت مقر " رأس الجالوت " (الرئيس الأكبر للطائفة اليهودية) وقد أنشئت فيها سنة ٢١٩ م مدرسة دينية يهودية كبرى ساهمت مع المدارس الدينية اليهودية الأخرى في العراق في إخراج التلمود، وبقيت مدرستها مزدهرة زهاء تسعة قرون حتى تم إغلاقها، هى والمدارس لأخرى، في خلافة القادر بأمر الله (٩٩١ - ١٠٣١م) فانتقل عندئذ المركز اللاهوتى اليهودى إلى الأندلس، وقد اشتهر من أحبار سورا الرابى آشى الذي تسنم منصب رئيس مدرسة سورا مدة تزيد على خمسين سنة (٣٧٥ - ٤٢٧ م).

السوس (سوسة):

عاصمة عيلام الإيرانية القديمة تقع بقاياها جنوب غربى ديزفول على الضفة اليسرى لنهر الكرخة كانت تعرف عند اليونانيين باسم (سوسة) وتدعى اليوم باسم " شوش " وقد ورد ذكرها في التوراة باسم " شوش القصر " (نح، ١: ١)، لعبت دورا سياسيا مهما في علاقاتها مع بلاد سومر وأكد حيث تبادل الطرفان استيلاء الواحدة على الأخرى في فترات محدودة. افتتح المدينة أشور بانيبال عاهل آشور في القرن السابع قبل الميلاد، ثم صارت البابليين بعد اقتسام المملكة الأشورية في أيام كياخسار ملك الماذيين ونبوبلسر الكلدانى، ولكنها استعادت وجودها في عهد الحكام الأخمينيين في فارس ثم استولى عليها الإسكندر وبعده أنطيوخس، إلا أنها عادت فاشتهرت في عهد الإمبراطورية الرومانية فتحها المسلمون سنة ٦٤٠م، ومن أهم ما عرفت به آثارها حجر قانون حمورابى الذي اكتشفه فيها دى

مورجان الفرنسى كما عثر فيها على كثير من النقوش والكتابات باللغة العيلامية (انظر العيلاميون).

سورية:

كان اليونان أول من سمى بلاد سورية باسمها هذا مع أن شاعرهم هوميرس سمى سكانها أراميين، وقد سماها هيرودتس سورية أيضا وجاراه في ذلك سائر اليونان والرومان، وقد سميت كذلك نسبة إلى صور مينائها البحرى الشهير فأبدل حرف الصاء بالسين لعدم وجود حرص ص باللغة اليونانية ويرى آخرون أن التسمية نسبة إلى أسور أو إسيريا أى بلاد الأشوريين لأن الأشوريين كانوا يتولون أعمال سورية فنسبوا سورية إليهم، وقد ورد ذكر سورية في العهد القديم باسم أرام نسبة إلى أرام خامس أبناء سام ابن نوح. (المطران يوسف الدبس، " تاريخ سورية "، ج١، م١، ص ١١ - ١٣).

سيحون:

ملك العموريين الذي تغلب عليه الموسويون في عهد موسى واستولوا على عاصمته حشبون (انظر عمون، حشبون).

سين:

وردت في التوراة باسم " برية سين " وصلها الموسويون في خروجهم من مصر بعد أن اجتازوا بحر سوف وبرية شور ومارة وايليم.

سيناء:

هى شبه جزيرة تقع شمال شرقى مصر، اسمها مشتق من اسم إله القمر " سين " معبود أهل جزيرة العرب، وهذا ما يشير على اتصالهم بهم منذ أزمان بعيدة، كان لشبه جزيرة سيناء موقع جغرافى خطير يجعلها بمثابة حلقة الوصل بين دول آسيا وبين دول أفريقيا، تشكل مثلثا مساحته ٥٦ ألف كيلو متر مربع قاعدته البحر المتوسط وضلعه الشرقى خليج العقبة وضلعه الغربى خليج السويس ورأسه عند نقطة مفترق الخليجين في البحر الأحمر. وفى وسط هذا المثلث بين الخليجين سلاسل جبلية متجهة من الجنوب الشرقى إلى الشمال الغربى يتخللها عدد من الأودية يتجه معظمها نحو الشمال وأهمها وادى العريش الذي ينتهى إلى البحر بالقرب من مدينة العريش، أما الجبل الذي صعد إليه النبى موسى لتلقى الشريعة والمسمى " جبل سناء وجبل الله " فيقع في إحدى قمم هذه السلاسل (خر، ٣٤: ١٣؛ قح، ١٦: ١٨). وفى برية سيناء عند سفح جبل سيناء نزل الموسويون

(عد، ١: ١، ٣: ١٤، ٣٣: ١٥؛ خر، ١٠: ١٢، ١٩: ١ - ٢)، وقد سميت أيضا " برية سين " (خر، ١٧: ١) وقد استعملت في التوراة كلمة حوريب للدلالة على سيناء أيضا، فقيل حوريب، وجبل حوريب، وحوريب جبل الله بنفس معنى سيناء وجبل سيناء وسيناء جبل الله (خر، ٣: ١١، ١٧: ٦، ٣٣: ٦، ١٨: ١٨، ٢٤: ١٦، ٧: ٣٨، ٢٥ " ١؛ تث، ١: ٢ - ٦، ١٩، ٤: ١٠).

وكانت مصر الفراعنة تعتمد على سيناء في الحصول على المعادن حيث كانت لها هناك مناجم للنحاس والفيروز وبعض الأحجار منذ أقدم الأزمنة، وتدل الاكتشافات التي توصل إليها علماء الآثار أن سمرخت سابع ملوك الأسرة الأولى التي تبدأ في حوالى سنة ٣٢٠٠ ق.م كان أول فرعون معروف عنه أنه زال مناجم شبه جزيرة سيناء، كما تدل على أن أربعة من ملوك الأسرة الخامسة وهم " ساهور ونوسيرى ومنكهور وإيسيسى " وكذلك الملك بيبى الأول، ثالث ملوك الأسرة السادسة زاروا في الفترة (٢٩٦٥ - ٢٦٣١ ق.م) شبه الجزيرة أيضا (أولمستد، " تاريخ سورية وفلسطين ").

وفى شبه جزيرة سيناء عبد المصريون الإلهه " حاتحور " وجعلوها ربة المناجم التي استغلوها في أرض سيناء، وقد عثر على كتابة على جدار المعبد الذي اكتشف قرب المنجم تحمل اسم رعمسيس الثانى (١٣٠٠ - ١٢٣٣ ق.م) مما يدل على أن هذا الملك جدد استغلال المنجم، ويعتقد أن المحطة التي ورد ذكرها باسم " دفقة " والتى مر بها الموسويون بعد خروجهم من مصر تقع عند المناجم في الموضع المسمى " سرابيط الخادم " على أقدم كتابة كنعانية بالأحرف شبيهة بالكتابة المصرية، وكانت هذه الأحرف نواة الأحرف الهجائية التي طورها وهذبها الفينيقيون وأخرجوا منها الحروف الأبجدية التي أذاعوها على العالم وهى الألف باء المعروفة بنفس هذا الاسم في اللغات العربية أيضا (انظر " العرب مخترعوا الحروف الهجائية "، الفصل الثانى، ص ٢٤١ - ٢٤٩).

السينيون:

سبط متسلسل من كنعان سكنوا في فلسطين منذ أقدم الأزمان وقد ورد ذكر السينى في التوراة بوصفه أحد أولا كنعان (تك، ١٠: ١٧؛ ١ أخ، ١: ١٥).

شاؤول:

تذكر التوراة أنه ملك على إسرائيل عينه صموئيل آخر كبار القضاة بناء على طلب الشعب، ولكن كان على الملك أن يحكم وفق أوامر يهوه إله إسرائيل

ولما أهمل هذا الملك الرضوخ لأوامر يهوه المنقولة على يد صموئيل خذله الرب وأوقعه بيد أعدائه الفلسطينيين فاندحر أمامهم وقتل هو وأولاده الثلاثة في المعركة وتشير التوراة إلى أنه مات منتحرا بعد جرحه، وكان حكم شاؤل قد استمر حوالى ١٥ سنة بين سنة ١٠٢٥ و ١٠١٠ على وجه التقريب (١صم،٣١: ٤؛ ١ أخ، ١٠: ١ - ١٠؛ ٢ صم، ١: ٦ - ١٠) وقد تقلد الحكم الملك داود خلفا لشاؤول مما يدل على أن تسمية شاؤول تسمية عربية سامية ترجع إلى ما قبل عصر موسى واليهود وقد تسمى بها الموسويون بعد اقتباسهم الثقافة الكنعانية.

شكيم:

هى نابلس الحالية تحريفا عن اسمها اليونانى " نيابولس " أى المدينة الجديدة، تقع على بعد حوالى ٦ أميال من جنوب السامرة، وعلى بعد ٣٤ ميلا إلى الشمال من أورشليم، كانت إحدى المدن القديمة من أرض كنعان عدها البعض العاصمة الطبيعية لبلاد كنعان لوقوعها في وسط فلسطين، كما اعتبرت بلدة حاصور العاصمة الطبيعية لبلاد كنعان لوقوعها في وسط فلسطين، وكان سكان شكيم الحويين وهم قبيلة من الكنعانيين (انظر الحويون). وقد عثر الأركيورجى الألمانى (E. Seline) سنة ١٩١٣ - ١٩١٤ على أطلال آثار جدارها الذي أرجع تاريخه إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وشكيم هى أول مدينة في كنعان دخلها إبراهيم الخليل في رحلته من حاران قاصدا كنعان فبنى فيها مذبحا للرب ثم ارتحل إلى الجنوب (تك، ١٢: ٦ - ٨). وعندما أتى يعقوب من فدان أرام نزل أمام شكيم وابتاع من بنى حمور أبى شكيم حقلا نصب فيه خيمته وأقام هناك مذبحا للإله دعاه " إيل إله إسرائيل " (تك: ٣٣: ١٨ - ٢٠)، وصار هذا الحقل فيما بعد لبنى يوسف ودفنت عظام يوسف فيه (يش، ٢٤: ٣٢) وقد حدث نزاع بين بنى يعقوب وأهل شكيم بسبب تحرش شكيم بن حمور الحوى بأختهم دينة فهجم أبناء يعقوب على شكيم وقتلوا حمورا وشكيما ونهبوا مدينة شكيم وكل ما في البيوت وسبوا أهلها، وعلى أثر ذلك هجر يعقوب وعشيرته شكيم وسكن في بيت إيل حيث بنى مذبحا للإله إيل (تك، ٣٤: ٢٥ - ٢٩، ٣٥: ١ - ٨) وقد اتخذ بربعام أول ملك على إسرائيل بعد الانقسام مدينة شكيم عاصمة له. ويعتقد أن القبر الحالى ليوسف في نابلس مستحدث وأن عظام يوسف نقلت من شكيم إلى مغارة المكفيلة في حبرون (انظر حبرون). وبعد السبى صارت شكيم مركز العبادة السامرية (انظر السامرة).

شمعون:

هو ابن يعقوب من امرأته ليئة، ثانى أبنائها (تك، ٢٩: ٣٣، ٣٥: ٢٣).

شور:

وردت في التوراة باسم " برية شور " وتقع " برية شور " مقابل مصر ما بين تخمها الشمالى الشرقى وأرض كنعان وقد قطع الموسويون هذه البرية بعد عبورهم بحر سوف (خليج السويس) في خروجهم من مصر مسيرة ثلاثة أيام دون أن يجدوا ماء (خر، ١٥: ٢٢). وقد سميت هذه البرية باسم برية إيثام أيضا (عد، ٣٣: ٨؛ ١ صم، ١٥: ٧، ٢٧: ٨). (انظر إيثام).

وقد ورد ذكر عين الماء في البرية التي في طريق برية شور في قصة هرب هاجر من وجه ساراى (تك، ١٦: ٧) وصار هذا المكان بعدئذ مسكن الإسماعيليين " من حويلة إلى شور التي أمام مصر " (تك، ٢٥: ١٨؛ ١ صم، ١٥: ٧، ٢٧: ٨) وكذلك سكن إبراهيم بين قادش وشور وتغرب في جرار (تك، ٢٠: ١) وسكن إسحاق عند بئر لحى رئى قرب برية شور (انظر بئر لحى رئى).

شيلوة:

مدينة شمالى بيت إيل (قض، ٢١: ١٩) وتسمى الآن سيلون وهى تبعد ١٧ ميلا إلى الشمال من أورشليم اختار يشوع شليوة مقرا لتابوت العهد والخيمة.

الصدوقيون:

هم فرقة من الفرق اليهودية نسبتهم إلى رائدهم الأول " صدوق " ظهرت في عهد المكابيين (انظر المكابيون) كانت تنتمى إليها طبقة الكهنة وبعض الكتبة من اليهود الذين يميلون إلى مسالمة الرومان، وكان لها ممثلون في السنهدرين نحو عشرين عضوا من أصل سبعين عضو (انظر السنهدرين). ينكر منسبوها البعث والنشور والقيامة لاعتقادهم بأن عقاب العصاة وإثابة المحسنين يحصلان في حياتهم وهم يخالفون الفريسيين الذين يعتقدون " أن الصالحين من الأموات سينتشرون في هذه الأرض ليشتركوا في مدينة الموصل. يعزى تأسيسها إلى زمن الملك شلمنصر الأول (١٢٧٤ - ١٢٤٥ ق.م) وسعها آشور ناصر بال الثانى عندما اتخذها عاصمة له عام ٨٧٩ ق.م، كشف المنقبون عن آثار كثيرة من قصور المدينة لاسيما قصر آشور ناصر بال الثانى وهى منحوتات وعاجيات صنعت محليا في نمرود بأطرزة فنية بديعة منها تمثال للملك شلمنصر الثالث منحوت نحتا دقيقا ومدونا عليه موجزا أعماله وكانت كالح وأشور أول مدينتين تعرضتا لهجوم البابليين والماذيين في عام ٦١٤ ق.م، أى قبل سقوط نينوى

بعامين وعمهما الدمار بعد سقوط الدولة الأشورية (انظر: نينوى، الأشوريون).

الكتبة:

وبالعبرية " سوفير " أى كاتب الأسفار: هم طائفة من الفقهاء اليهود كانت تقوم بكتاب الناموس (الأسفار الخمسة الأولى) وتدوين الأجزاء الأخرى من التوراة (أى ما زاد عن الأسفار الخمسة الأولى). كان أول الكتبة وأشهرهم " عزرا " الكاتب.

خص الكتبة أنفسهم بدراسة الناموس من الناحيتين المدنية والدينية وقد نتج عن قرارات كبار الكتبة ما يعرف اليوم عند اليهود بـ " الشريعة الشفاهية " أو " التقاليد " كما خصوا أنفسهم أيضا بدراسة الأسفار الإلهية من الناحيتين التاريخية والتعليمية وكانوا يحاولون فرض تطبيق علومهم على تفاصيل الحياة اليومية.

وكان يجتمع حول كل كاتب مشهور جمهرة من الطلبة يتتلمذون على يديه وبهذه الطريقة توصلوا إلى ممارسة سلطة كبرى على عامة بلغت ذروتها في عهد السيد المسيح فكان لهم أعضاء كثيرون في السنهدرين وعليهم يقع الوزر الأكبر من الجريمة النكراء، جريمة صلب " السيد " بالاشتراك مع الفريسيين والصدوقيين.

أطلق عليهم العهد الجديد تسمية " الناموسيون " في أماكن متعددة منه (انظر: النامسيون) وقلما ورد ذكرهم فيه منفردا بل مقرونا مع الفريسيين الذين كانوا يشكلون معهم حزبا سياسيا (انظر الفريسيون) وصاروا يحملون فيما بعد اسم " حاخامون " أى " معلمو الشريعة ".

وكان لها أيضا قسم على الشاطئ، تقع على بعد ٤٥ ميلا إلى الجنوب من بيروت و ٢٠ ميلا إلى الجنوب من صيدا (انظر صيدون). يرجع تاريخها إلى حوالى القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد وكانت مدينة محصنة تذكر غالبا مع صيدا (يش، ١٩: ٢٩) كان حيرام ملك صور قد زود سليمان بخشب أرز وخشب سرو وبالصناع الصوريين للعمل في إسرائيل فمنحه سليمان لقاء خدمته هذه عشرين مدينة في شمالى الجليل إلا أن حيرام لم يرض بها فسماها كابول (١ مل، ٩: ١١ - ١٢).

هاجم شلمنصر الخامس (٧٢٧ - ٧٢٢ ق.م) صور ودام الحصار خمس سنوات غير أنه لم يفز بأخذ المدينة، ثم حاصرها نبوخذ نصر ١٣ سنة كانت نهايته سنة ٥٩٢ ق.م. كما حاصرها الإسكندر (٣٣٣ - ٣٣٢ ق.م) فملأ البوغاز

بين الشاطئ وبين الجزيرة وأخذها بعد حصار دام سبعة أشهر فقتل كثيرا من أهلها وباع كثيرا منهم عبيدا وأحرقت المدينة بالنار (حز، ٢٦: ١٢؛ يوء ٣: ٨؛ زك، ٩: ٤). ثم وقعت بيد السلوقيين والرومانيين فازدهرت تحت حكم الرومان بعد سنة ٦٤ ق.م، فتحها العرب في خلافة عمر سنة ٦٣٨ م، واستولى عليها الصليبيون سنة ١١٢٤م، ثم استرجعها صلاح الدين، وصور وطن أقليدس الفيلسوف اليوناني الشهير.

الصيثيون:

ويقال لهم الإسكيثيون أيضا، قبائل غير متمدنة كانت تقطن المناطق جنوبى روسيا والأقاليم شرقى بحر أورال، لغتها هندية أوربية، عدها بعض المؤرخين أمة يأجوج ومأجوج لأن يأجوج ومأجوج تعم المغول وتكثر في لغتهم الجيم لاسيما في الأسماء مثل " باجو " القائد المغولى الذي احتل الجانب الغربى من بغداد مع هولاكو، كان الأشوريون قد تحالفوا مع الصيثيين لصد هجمات الماذيين والكلدانيين عليهم ولكن الصيثيين خانوا بعهدهم وغدروا بملك أشور وانحازوا إلى أعدائه في هجومهم الأخير على نينوى عاصمة الدولة الأشورية حتى تم سقوطها سنة ٦١٢ ق.م.

صيدون (صيدا الحالية):

مدينة فينيقية مبنية على ساحل البحر المتوسط على بعد ٢٥ ميلا شمالى صور، تعد من أقدم مدن العالم، وسميت في أيام يشوع صيدون العظيمة أو الكبرى (يش، ١١: ٨، ١٩ - ٢٨، وكانت حينئذ أم المدن الفينيقية إذ كانت صور تعتبر إحدى مستعمرات صيدون وكثيرا ما ورد اسم هاتين المدينتين معا (انظر صور). وقد اشتهرت صيدون بالتجارة والملاحة والصناعة وقد أعان الصيدونيون سليمان في بناء الهيكل، وقد ذكرت التوراة أن الصيدونيين كانوا يفسدون اليهود ويقودونهم إلى عبادة الأوثان حتى أنهم تمكنوا من استمالة الملك سليمان لبناء الهياكل إلى آلهة زوجاته الغريبات (١ مل، ١١: ٥، ٢٣؛ ٢ مل، ٢٣: ١٣). وازدهرت صيدون مدة الحكم الأشورى والفارسى واستولى عليها الإسكندر سنة ٣٣٣ ق.م، وكان لصيدا أيام الرومانيين ولاة ومجلس أعيان، وفى العهد الجديد سميت صيدا وزارها المسيح عليه السلام فتحها العرب في خلافة عمر (٦٣٨ م). اغتصبها الصليبيون وحررها صلاح الدين (١١٨٢م)، دمرتها الزلازل سنة ١٨٣٧م، وأعاد بناءها سليمان باشا، زادت أهميتها بعد مد خط

أنابيب الزيت إليها.

صين (برية):

ورد ذكر هذه البرية في التوراة في قصة خروج الموسويين من مصر، وهى من ضمن منطقة التيه سميت أيضا برية جعفر (عد، ١٣: ٢١، ٣٤: ٣)، كانت على تخوم جنوب فلسطين غربى بلاد أدوم (يش، ١٥: ١ ز ٣؛ عد، ٢٠: ١، ٢٧: ١٤). وقد ذكرت برية صين مقرونة بالتيه في برية فاران (عد، ١٣: ٢٦). وقد ذكرت برية صين زاوية التيه الشمالية الشرقية وفاران اسم لكل التيه (انظر فاران).

طبرية:

إحدى المدن الأربع التي يقدسها اليهود في فلسطين، أما الثلاث الأخرى فهى القدس والخليل (حبرون القديمة) وصفد، تقع طبرية شمال شرقى فلسطين على بحر الجليل الغربى الجنوبى (بحيرة طبرية حاليا) على بعد أربعة أميال من طرفه الجنوبى (انظر بحر الجليل). شيدها أنتيباس بن هيرودس الأدومى المعتمد الرومانى في منطقة الجليل سنة ١٦ - ٢٣م. وسماها طبرية على اسم الإمبراطور طيباريوس. كانت مدينة ذات شأن في أيام المسيح ذكرت مرة في الإنجيل (يو ٦: ٣)، وبعد تدمير أورشليم سنة ٧٠م، أصبحت مركزا لليهود حيث انتقل مجمع السنهدرين من أورشليم إلى طبرية وفيها جمعت المشنة (انظر سنهدرين).

وفى أثناء حرب اليهود مع الرومانيين حصن يوسيفوس طبرية سنة ٦٧م، وفى عهد الصليبين جرت عندها موقعة حطين التي انتصر فيها صلاح الدين الأيوبى سنة ١١٨٧م، فيها قبر النبى شعيب وقبر بنته وقبر ينسب إلى سليمان بن داود، وفيها أيضا كنيسة يقال أنها بنيت على الموضع الذي كان فيه بيت بطرس، وقد ذكرها ياقوت الحموى في معجمه قال عنها في لحف الجبل مشرفة على بحيرة طبرية وبين البحيرة وبيت المقدس نحو من خمسين ميلا.

طسم وجديس:

من قبائل العرب البائدة ورد ذكرها في المصادر التاريخية العربية مواطنهما اليمامة أو الأحقاف أو البحرين حسب رأى بعضهم. ومما يذكر أن طسما وجديسا كانا أخوين سكنا اليمامة معا وهى إذ ذاك من أخصب البلاد وأعمرها، وقد أرجع بعض الأخباريين نسب طسم إلى لاوذ بن إرم أو لاوذ بن سام وقد جعل بعض أهل الأخبار طسما من أهل الزمان الأول أو من عاد (انظر عاد).

طيبة:

المدينة المصرية الشهيرة حاضرة مصر الجنوبية تمييزا لها عن أختها الشمالية " ممفيس "، موقعها على شاطئ النيل الشرقى على مسافة ٥٠ كيلو مترا جنوبى القاهرة وحوالى ٥٠٠ كيلو متر جنوبى " ممفيس " وكانت طيبة العاصمة المقدسة تتمتع بزعامة القطر المصرى بعد نشوء الإمبراطورية في سنة ١٥٨٠ ق.م، حيث صارت عاصمة الإمبراطورية، ومن مآثر هذا العهد في طيبة المعابد الفخمة في الكرنك وكذلك المقابر الواسعة المبنية في الجانبين الغربى والشرقى من المدينة، وفى عهد أمنوفيس الرابع (١٣٧٥ - ١٣٥٨ ق.م) وهو الملك الذي دعا إلى الوجدانية ونقل مقر العاصمة إلى العمرنة وهى أخت - أتون، إلا أن المدينة ظلت مزدهرة في العصور التاريخية حتى دهم الأشوريون مصر في القرن السابع قبل الميلاد حيث دمر أشور بانيبال مدينة طيبة، ثم غزا الفرس في عهد قمبيز مصر سنة ٢٥٢ ق.م واستمر العهد الفارسى حتى سنة ٣٣٢ ق.م، عندما فتح البلاد الإسكندر الأكبر، وفى أيام البطالمة تزعمت طيبة ثورة الصعيد ضدهم لكن البطالمة أخمدوا الثورة، وعادت فثارت مرة أخرى على الرومان أيام واليهم كورنيليوس جاليوس فخرب ديارهم وهدم صروحها. وصفها سترابون (٢٤ ق.م) بقوله أنها مدينة قديمة يزورها السياح ليروا خرائبها وليستمعوا إلى الصوت الذي يخرج من تمثالى " ممنون " (انظر ممفيس).

طيسفون:

انظر سلوقية العراق.

عاد:

قبيلة من القبائل العربية القديمة في شبه جزيرة العرب ورد ذكرها في القرآن الكريم، يقول الرواة وأهل الأخبار أنها من ضمن قبائل الطبقة الأولى وهى أقدم الطبقات بحسب تقسيم الإخباريين لقدم القبائل العربية وقد سميت بالعرب البائدة، ويكاد يتفق المؤرخون على أن هذه الطبقة تشتمل على أقدم القبائل العربية وهى عاد وثمود والعمالقة وطسم وجديس وأميم وجرهم وحضرموت ومن ينتمى إليهم وترجع إلى أبناء سام.

ويرد مع قود (عاد) ذكر نبى منهم اسمه (هود) الذي ورد ذكره في عدة سور من القرآن الكريم، وقد ظهر لينذر قومه ويردعهم عن تماديهم في عبادة الأوثان من دون الله تعالى فقابلوه بالسخرية والاستهزاء إلى أن أرسل الله عليهم الريح

العقيم سلطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فأهلكهم وأبادهم، وقوم عاد الذين هلكوا هم عاد الأولى، وأما عاد الثانية فهم سكان اليمن وقيل هم ثمود (انظر ثمود).

ويرجح أن مساكن (عاد) كانت تقع في أرض الأحقاف في شمال حضرموت وفى شمالها الربع الخالى وفى شرقها عمان.

ويقول أهل حضرموت أن " هودا " عليه السلام سكن بلاد حضرموت بعد هلاك عاد إلى ان مات في شرقى بلادهم على نحو مرحلتين من مدينة تريم قرب وادى برهوت، ولا يزال هذا الموضع الذي يقال له قبر هود يزار حتى الآن يقصده الناس من أماكن بعيدة في اليوم الحادى عشر من شعبان للزيارة، وأهل فلسطين يدعون أنه دفن عندهم وقد بنوا له قبرا هناك، وزعم بعض الأخباريين أن (هودا) هجر قومه بعد يأسه من قبولهم دعوته وأنه ذهب مع من آمن به إلى مكة ثم مات هناك وأن قبره موجود بمكة مع قبور ثمانية وتسعين نبيا من الأنبياء، وقد اتخذ القحطانيين هودا جدا من أجدادهم وألحقوا نسبهم به وتفاخروا به، والمشهور من أقوال من يتعرضون للكلام عن قبيلة عاد وقوم هود أنهم بادوا بعد إبراهيم الخليل عليه السلام وبناء البيت بمكة، وقد ورد اسم عاد في جغرافية بطليموس باسم (Oadita).

عاى:

مدينة كنعانية ورد ذكرها في التوراة مع مدينة بيت إيل حيث نصب إبراهيم الخليل خيمته بين عاى وبيت إيل (تك، ١٣: ٣، ١٢: ٨)، وتسمى أيضا عياث (١ ش، ١: ٢٨)، وعيا (نح، ١١: ٣١)، احتلها يشوع (يش، ٧: ٢ - ٥، ٨: ١ - ٢٩)، وتقع عاى شرقى بيت إيل وعلى بعد تسعة أميال شمالى أورشليم، ويعرف موضعها باسم " خربة حيان " (انظر: بيت إيل).

العبرى والعبيرو والخبيرو:

انظر مسألة العبرى والعبيروى في الفصل الخامس ص ٤٢٤ وما يليها.

عبيل:

قبيلة من قبائل العرب البائدة مثل " أميم " لا يعرف عنها غير ما ذكره الإخباريون، فزعموا أن جماعة عبيل أخوان عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح أو أخوان عوص بن أرم (انظر عاد) وهو الذين اختطوا " يثرب "، وكان الذي اختطها منهم رجل يقال له " يثرب بن باثلة بن معلهل بن عبيل ". وذكر

بعض السياح الأجانب أن في اليمن مكانا يقال له عبيل وقرية تقع على طريق صنعاء تعرف بعبال، وهذان الاسمان قريبان من اسم عبيل.

عجلون:

مدينة عمورية تقع على بعد عشرة أميال إلى الشمال الشرقى من غزة ورد ذكر أحد ملوكها باسم " دبير " تعرف اليوم باسم " خربة عجلان " وعجلون اسم ملك الموآبيين استعبد الموسويين ١٨ سنة (قض، ٣: ١٤)، وأخذ أريحا (مدينة النخل) بتعاونه مع العمونيين والعمالقة وسكنها إلى أن قتله أهود، ذكر ياقوت الحموى فسماها عجلان ووصفها بأنه ضيعة بين بيت المقدس وعسقلان فيها قلعة حصينة خربها صلاح الدين لما استنقذها من الإفرنج.

العدنانيون:

يقول النسابون أن القبائل العربية تقسم إلى قسمين: بنو قحطان وبنو عدنان، وأن القحطانيين هم بنو يعرب من قحطان رأس قبائل اليمن في الجنوب ويمثلون الطبقة الثانية من طبقات العرب بعد البائدة وهم على أقوال بعض النسابين العرب العاربة، أما العدنانيون فهم القبائل الشمالية، منازلهم الأولى في الحجاز، وينتسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم، وكان إبراهيم قد أنزل ولده إسماعيل مع أمه هاجر بمكة المكرمة وشيد البيت الحرام فكثر نسله هناك ومنه تتفرع أنساب العرب، لذلك نسب إليه أهل الحجاز أولا ثم انتشرت بطون عدنان في تهامة ونجد والعراق واليمن، ومنهم قبائل عنزة الحالية إلا قريشا فكانت بمكة وهى القبيلة التي ينتسب إليها الرسول ﷺ، والعدنانيون هم النزاريون أو المعديون وقيل لهم العرب المستعربة لأنهم انضموا إلى العرب العاربة من الأمم المجاورة، لذا فهم يمثلون الطبقة الثالثة من طبقات العرب.

وكان القحطانيون الجنوبيون منافسين للعرب العدنانيين الشماليين، وظلت الخصومة بينهما زمانا طويلا، اكتسبت لغة الجنوب (اليمن وحضرموت وعمان) على مر الأيام خصائص جعلتها تختلف عن لغة العدنانيين الشماليين.

واستمرت هذه المنافسة بعد الإسلام بين الأنصار وهم من أصل يمنى جنوبى والمهاجرين وهم شماليون من قريش، وقد اشتهر القرشيون بفصاحتهم فسادت لهجتهم في الجاهلية أكثر أنحاء شبه الجزيرة العربية ونزل القرآن الشريف بلهجة قريش، فكانت لهم السيطرة على مجرى التاريخ الإسلامى قرونا عدة (الدكتور جواد على، " تاريخ العرب قبل الإسلام "، الجزء الأول).

العرب:

انظر بلاد العرب.

العرب البائدة:

هم القبائل العربية القديمة التي بادت قبل الإسلام وأشهرها: عاد بحضرموت، وثمود بوادى الحجر، وطسم وجديس باليمامة، وجرهم بالحجاز، ومنهم أيضا العماليق وهم قدماء العرب الذين سكنوا شمال بلاد الحجاز مما يلى بلاد مصر، والشاسو (الرعاة) المعروفون بالهكسوس الذين حكموا في مصر بين سنة ١٧٨٥ وسنة ١٥٨٠ق.م، (انظر: عاد، ثمود، طسم وجديس، جرهم، عماليق، عبيل، حاضوراء، هكسوس). والعرب تعد القبائل البائدة سامية من نسل أرم أى أراميين إلا العمالقة فيقولون أنهم من نسل لاوذ ابن سام أخى أرم (انظر " قبائل العرب البائدة "، في الفصل الثانى ص ٢٢١ - ٢٢٣ و " القبائل الأرامية والعرب البائدة "، في الفصل الأول ص ١١١ - ١١٣).

عربة:

وردت هذه الكلمة في التوراة بمعنى الوادى الممتد من شمال فلسطين (جبل الشيخ) إلى خليج العقبة وطوله حوالى ٢٥٠ ميلا بما فيه الحولة وبحر الجليل والبحر الميت (يش، ١٨: ١٨؛ تث، ١: ١، ٢: ٨؛ حز، ٤٧: ١٨). كما وردت كلمة عرباتى بمعنى ساكن العربى (٢ صم، ٢٣: ٣١؛ ١ أخ، ١١: ٣٢).

عرقة:

مدينة فينيقية قديمة سكنتها عائلة كنعانية تعرف بالعراقيين تقع على بعد ١٢ ميلا شمال شرقى طرابلس و ٨٠ ميلا شمال صيدون، وتعرف أطلالها اليوم باسمها القديم " تل عرقة " وكانت عرقة من مراكز عبادة عشتروت الرئيسة. (تك، ١٠: ١٧؛ ١ أخ، ١: ١٥). والعرقيون سكان عرقة.

عشتاروت:

إلهة من الآلهة الرئيسة التي كان يعبدها الكنعانيون وهى إلهة القمر ورد ذكرها في التوراة فأشارت إلى أن بنى إسرائيل كانوا يعودون بين حين وآخر فيتركون الرب ويعبدونها ولعلها مرادفة للإلهة عشتارا البابلية (قض، ١٢: ١١ - ١٣ ١٧،

٣: ٥ - ٧).

عصيون جابر:

ميناء في رأس خليج العقبة على مقربة من بلدة أية (انظر أيلة) كانت آخر محطات الموسويين قبل وصولهم إلى برية صين (عد، ٣٣: ١٥؛ تث، ٢: ٨) كانت ذات شأن في زمن سليمان حيث عمل فيها سفنا لممارسة الملاحة في البحر الأحمر (١ مل، ٩: ٢٦ - ٢٨؛ ٢ أخ، ٨: ١٧). تكسرت فيها سفن يهوشافاط ٨٦٩ - ٨٤٨ ق.م (١ مل، ٢٢: ٤٨).

عفرون:

ابن صوحر الحثي الذي اشترى منه إبراهيم الخليل حقل المكفيلة ومغارتها في حبرون (تك، ٢٣: ٨) (انظر حبرون: ممرا، أربع).

عقرون:

المدينة الشمالية من مدن الفلسطينيين الخمس (يش، ١٣: ٢٠) ويسمى موضعها اليوم " تل العاقر " عليه قرية صغيرة تبعد ١٢ ميلا عن يافا إلى الجنوب الشرقى. افتتحها سبط يهوذا هى وقراها وضياعها (يش، ١٥: ١١، ٤٥). إلا أنها أعطيت لدان (يش، ٩: ٤٣) ثم استردها الفلسطينيون (١ صم، ٥: ١٠). وعاد فأخذها صموئيل منهم (١ صم، ٧: ١٤) إلا أنها رجعت بعد ذلك إلى الفلسطينيين في زمن أخزيا ملك إسرائيل (٨٥٣ - ٨٥٢ ق.م) (انظر الفلسطينيون).

عكو:

ميناء فينيقى قديم بشمال فلسطين هو عكا الحالية، وهذه تقع على خليج باسمها في مواجهة حيفا على بعد ثمانية أميال شمالى جبل الكرمل، سميت بتولمايس في أيام اليونان والرومان. كانت من الحصون الشهيرة التي لعبت دورا مهما في تاريخ الشرق الأدنى فتحها العرب سنة ٦٣٨م، واحتلها الصليبيون ١١٠٤ - ١١٨٧م، ثم استعادها العرب سنة ١٢٩١م، وقد حاول نابليون الأول افتتاحها فأخفق في مسعاه ورجع عنها مهزوما. احتلتها جيوش محمد على المصرية (١٨٢٢ - ١٨٤٠م) استولت عليها بريطانيا (١٩١٨ - ١٩٤٨م). نص مشروع تقسيم فلسطين (١٩٤٨م) على أن تؤول إلى العرب لكن اغتصبها اليهود.

العمالقة:

اسم قبائل من قدماء العرب، هم أصل سائر العرب البائدة وهو اسم شملهم جميعا، كانت مواطنها تمتد من حدود مصر فطور سيناء إلى فلسطين، كان البابليون يطلقون عليها اسم (ماليق) أو " مالوق " وأضاف إليها اليهود لفظ (عم)

بمعنى الشعب فقالوا (عم ماليق) أو " عم مالوق " فقال العرب عماليق أو عمالقة، وتؤيد التوراة أن (عماليق أول الشعوب) الذين كانت مساكنهم تمتد من مصب النيل إلى هيت الواقعة على الفرات (عد، ٢٤: ٢٠).

وقد ورد في التوراة أن العمالقة من أبناء عيسو (تك، ٣٦: ١٥) وقد سكن عيسو في جبل سعير في أدوم (تك، ٣٦: ٨). فتح العمالقة مصر باسم الشاسو (البدو أو الرعاة) ويسميهم اليونان " هكسوس " (انظر الهكسوس).

والعمالقة هم أقدم العرب زمانا لسانهم اللسان المصرى الذي هو لسان كل العرب البائدة على حد قول أهل الأخبار، ويذكر أنهم كانوا أمما كثيرة تفرقت في البلاد، فكان منهم أهل عمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر، وكان (عمليق) جد العمالقة، وكان العمالقة أول شعب صدم الموسويين حينما خرجوا من مصر بزعامة موسى ثم بزعامة يشوع متجهين إلى فلسطين، وظلوا يحاربونهم ويكبدونهم خسائر فادحة، وأوقعوا الرعب في نفوسهم (عد، ١٤: ٤٢ - ٥٤؛ خر، ١٨:١٧)، ويتجلى حقد اليهود على العماليق فيما قاله النبى صموئيل لشاؤول أول ملك ظهر عند اليهود حول العمالقة: " والآن فاسمع صوت كلام الرب. هكذا يقول رب الجنود إنى افتقدت ما عمل عميلق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر. فالآن اذهب واضرب عماليق، وحرموا كل ماله، ولا تعف عنهم، بل اقتل رجلا وامرأة، طفلا ورضيعا، بقرا وغنما، جملا وحمارا " (١ صم، ١٥: ٣). ويرجع النسابون أنساب العرب البائدة إلى أرم وينسبون العماليق إلى أخيه لاوذ وهم في خلاف حول ذلك (انظر العرب البائدة).

عمق السديم:

انظر البحر الميت.

عمورة:

إحدى مدن دائرة الأردن في عمق السديم (غور البحر الميت) ذكرت في التوراة في وصف تخوم أرض كنعان (تك، ١٠: ١٩)، اختارها لوط هى وسدوم مسكنا لأن الأرض المحيطة بها كانت خصبة أرض سقى كجنة الرب كأرض مصر (تك، ١٣: ١٠) (انظر سدوم).

العموريون:

انظر " هجرة العموريين إلى الهلال الخصيب " (الفصل الأول ص ٩٢ وما يليها).

عمون:

مقاطعة جبلية في طرف البادية شرقى نهر الأردن كانت شمالى بلاد موآب وأرض جلعاد من ضمنها، والعمونيون هم والموآبيون من نسل لوط ابن أخى إبراهيم (تك، ١٩: ٣٧). كانوا يعبدون الأوثان ومن أشهر أصنامهم مولك (لا، ١٨: ٢١). ويسمى أيضا ملكوم (١ مل، ١١: ٥) وقد طردهم العموريون بزعامة ملكهم سيحون واستولوا على أراضيهم واتخذوا مدينة حشبون عاصمة لهم، ولما جاء الموسويون بقيادة موسى من مصر طلبوا من الملك سيحون السماح لهم بالمرور من أراضيه فرفض مما أدى إلى نشوب حرب بينهما، تغلب الموسويون فيها " فضربوه وبنيه وجميع قومه وأخذوا كل مدنه وحرموا من كل مدينة الرجال والنساء والأطفال لم يبقوا شاردا " (تث، ٢: ٢٢ - ٢٥). (انظر: حشبون جلعاد).

عناقيون:

ذرية عناق أبى أربع (يش، ١٥: ١٣ - ١٤، ٢١: ١١) الذي منه سميت حبرون قرية أربع وذريته بنى عناق (عد، ١٣:٢٢). اشتهر العناقيون بطول قامتهم وبأسهم في الحرب، كانت مساكنهم في حبرون وغزة وجت وأشدود (يش، ١١: ٢٢)، وصفوا في التوراة بجبابرة بنى عناق (عد، ١٢: ٢٣) (انظر حبرون وغزة وجت وأشدود).

عوج:

ملك باشان (انظر باشان).

العيلاميون:

أقوام أسسوا مستوطناتهم في أرض عيلام الإيرانية الواقعة على الحدود الشرقية من جنوبى العراق وهى المنطقة التي يسميها العرب خوزستان. أقاموا إحدى الحضارات الأولى المعروفة في تاريخ العالم القديم، وكانت حاضرتهم مدينة السوس القديمة وقد كان لهذه الحضارة شأن في تطور حياة الإنسان القديم. وتسمية عيلام وردت في التوراة، وقد أطلقت على هذا الإقليم بمعنى " الأرض العالية "، وكان العيلاميون أعداء بلاد سومر التقليديين بسبب الحروب المستمرة بينهم وبين السومريين التي دامت زهاء ألفى عام (انظر السوس). وقد ورد في التوراة ما يشير إلى كون لعومر ملك عيلام ومعه ثلاثة ملوك من المشرق منهم ملك شنعار (بابل) هاجموا بلاد كنعان في حوالى القرن التاسع عشر قبل الميلاد إلا أنهم اضطروا إلى التراجع (انظر: سدوم).

الغاسولى (العصر):

هو أحد أدوار العصور الحجرية في فلسطين سمى كذلك نسبة إلى مجموعة الهضاب الواقعة في شرقى الأردن على بعد حوالى خمسة كيلو مترات ونصف من النهر المسمات ثليلات عسول (انظر: الحاشية رقم ٩، ص٨).

الغاؤونيم (جمع (غاؤون):

كلمة عبرية كانت تطلق على الربانيين رؤساء المدرستين الدينيتين اليهوديتين في منطقة بابل (فومبديثة وسورا). وقد واصل الغاؤونيم أعمالهم الدينية بعد إخراج التلمود سنة ٥٨٨ م، وحلوا محل الأمورائيم والسبورائيم وكانت أعمالهم إصدار الفتاوى الدينية ليهود الشرق والغرب وكانت الأسئلة تتوارد عليهم من جميع الأقطار. استمرت أعمالهم في هاتين المدرستين من سنة ٥٨٩ إلى سنة ١٠٣٨م، عندما أغلقتا في خلافة القادر بأمر الله (٩٩١ - ١٠٣١م) فانتقل عندئذ مركز اليهود العلمى إلى الأندلس (انظر: الأمورائيم والسبورائيم).

غزة:

أولى مدن الفلسطينيين الخمس من الجنوب تبعد ثلاثة أميال عن ساحل البحر المتوسط وعشرة أميال إلى الجنوب من أشقلون (عسقلان) (انظر أشقلون)، وتعد هذه المدينة من أقدم مدن العالم سكنها أولا الكنعانيون (تك، ١٠: ١٩) ثم استوطنها بعض العناقيين (يش، ١١: ٢٢). أعطيت ليهوذا (يش، ١٥: ٤٧). وهناك فعل شمشون ما فعل من غرائب القوة الخارقة في مقاومة الفلسطينيين (قض، ١٥: ١٣ - ١٦، ١٦: ٢٣ - ٣٠). وكانت غزة مركزا لعبادة داجون وبقيت هياكل هذا الإله فيها حتى سنة ٤٠٠م، افتتحها العرب سنة ٦٣٤م وحكمها صلاح الدين الأيوبى سنة ١١٧٠م (انظر الفلسطينيون).

فاران:

وردت في التوراة باسم برية فاران وقد أطلقت على جميع برية التيه التي تغلغل فيها الموسويون أربعين سنة حسب مآثر التوراة، تقع في شبه جزيرة سيناء في المنطقة التي تحدها برية شور وأرض كنعان شمالا (انظر شور) ووادى العربى شرقا وبرية شور غربا، تخترقها بعض السلاسل من الجبال الكلسية كما تخترقها أيضا فروع وادى العريش الذي يصب في البحر المتوسط، وقد سمى هذا الوادى باسم نهر مصر. وكان يعرف الجزء الشمالى من برية فاران الواقع على تخوم فلسطين أرض الجنوب أو الجنوب (تك، ١٢: ٩؛ يش، ١٠: ٤٠، ١١: ١٦)

وفى هذا القسم تغرّب إبراهيم وإسحاق في بعض رحلاتهما، وقد ورد في التوراة ما يشير إلى أن هاجر اتجهت مع ابنها إسماعيل إلى برية فاران عندما طردتها مولاتها ساراى (تك، ٢١: ٢١) وصارت هذه البرية فيما بعد مساكن بنى إسماعيل (تك، ١٦: ٧).

فدان – أرام:

دويلة من الدويلات الأرامية التي أسست في الفرات الأوسط مركزها في حاران (حران). وحران كانت موقعا تجاريا مهما ازدهرت فيها الثقافة الأرامية، وقد وردت " فدام - أرام " في التوارة خاصة بمناسبة نصح إسحاق ابنه يعقوب بأن يذهب إلى " فدان - أرام " ليأخذ لنفسه زوجة من هناك من بنات عشيرته من بنات أخى أمه رفقة وقد حذره من أن يتخذ له زوجة من بنات كنعان (تك، ٢٨: ٢ - ٧، ٤٦: ١٥) وكلمة " فدان " مثل الفدان العربى معناها الحقل والسهل.

الفرثيون:

هم من الأقوام الآرية ظهروا في شمال بلاد إيران في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد فتوغلوا جنوبا ثم غربا وقد تمكن زعيمهم المدعو " إرشاق " عام ٢٤٧ ق.م. من طرد السلوقيين من إيران واستقلاله في حكمها، ثم تمكن أحد ملوكهم المدعو " منريدات " الأول من فتح العراق سنة ١٤١ ق.م. والاستيلاء على سلوقية عاصمة السلوقيين فيها.

وقد استمرت حروب الفرثيين مع السلوقيين في بلاد سورية ومن المدن التي سيطروا عليها في تدمر في وسط صحراء الشام التي كانت مركزا مهما من مراكز القوافل التجارية بين الشرق والغرب، ثم بعد أن تعاظمت سلطة الرومان في الشرق بعد سقوط الدولة السلوقية انتقل الصراع من الفرثيين والسلوقيين إلى الفرثيين والرومان وتزاحموا على طرق التجارة والقوافل على الفرات وعبر الصحراء، ومن أهم المعارك بينهما معركة حران عام ٥٣ ق.م، التي وقعت بين الطرفين في عهد يوليوس قيصر فتغلب الفرثيون فيها وأبادوا الجيش الرومانى عن بكرة أبيه تقريبا، ومع أن الرومان تمكنوا من الوصول إلى طيسفون في زمن تراجان (٦٨ - ١١٧م) ولكن باءت كل محاولاتهم لفتح بلاد فارس بالفشل إذ كبد الفرثيون الرومان أفدح الخسائر بالأرواح والأموال في المعارك التي دارت بينهما ومنها المعركة الشهيرة التي دارت رحاها في نصيبين. ثم أخذ الوهن يسرى في المملكة الفرثية نتيجة لمنازعات مستمرة بين الأمراء الفرثيين أنفسهم

ازدادت حدتها حتى طوحت بالعرش الفرثي وحلت محلها سلالة فارسية ساسانية في البلاد بزعامة أردشير الفارسي الساساني عام ٢٢٧ ب.م، وقد ورثت عن الدولة الفرثية جميع ممتلكاتها (انظر الساسانيون).

فرزيون:

جماعة من القبائل سكنوا بلاد كنعان ورد ذكرهم مع الكنعانيين (تك، ١٣: ٧، ٣٤: ٣) وذكروا أحيانا مع الرفائيين (يش، ١٧: ١٥) ومع قبائل أخرى (قض، ٣: ٥؛ ١ مل، ٩: ٢٠ (٢ أخ، ٨: ٧؛ عز، ٩: ١).

الفريسيون:

فرقة يهودية في عهد المكابيين (انظر المكابيون) كان ينتمى إليها جمهرة العلماء ومعظم الكتبة وسواد الشعب وكانت لها أكثرية مقاعد السنهدرين (انظر السنهدرين). يؤمن منتسبوها بالقيامة وبالروح وبالملائكة وغرضهم المحافظة على الشريعة والتمسك بها مع التقاليد الحرفية التي كانت يتناقلها الخلف عن السلف، وكانوا يهتمون بدرس الشريعة وتفسيرها. على نقيض الصدوقيين الذين لا يؤمنون بالقيامة ولا بالروح ولا الملائكة، وكانوا ينادون بوجوب فصل الدين عن الدولة (١ ع، ٢٣: ٦ - ٨). والفريسيون يناقضون الصدوقيين أيضا من حيث قبولهم بالإضافة إلى التوراة الأوامر والأحكام التي توارثوها عن الأسلاف والأشياء الخارجة عن الوحى. ولذلك غزرت عندهم الأساطير وانغمسوا في المظاهر الكاذبة والقشور (انظر الصدوقيون). والفرقتان قاومتا السيد المسيح وورد ذكرهما في الأناجيل (عجاج نويهض، " بروتوكولات حكماء صهيون "، م٢، ص ١٣٥ - ١٣٦).

وكان يطلق على هذه الفرقة عدا الفريسيين لقب الربانيين لأنهم يؤمنون بما جاء في أسفار التلمود التي وضعها الربانيون وهم أحبار هذه الفرقة وفقهاؤها.

الفلسطينيون:

انظر " هجرة الفلسطينيين " في الفصل الأول، ص ١٥٧ - ١٦٢.

فم الحيروت:

موضع وقف عند الموسويون في خروجهم من مصر قبل أن يعبروا بحر سوف (خر، ١٤: ٢؛ عد، ٣٣: ٧ - ٨).

فوميديثة:

هو الاسم الذي أطلقه اليهود على مدينة الأنبار حيث تجمع اليهود بعد السبى

البـابلى، وأسسـوا فيهـا إحـدى كبريـات المـدارس التلموديـة فـي العـراق، ولفظـة " فومبديثة " تعنى " فم البداة " والبداة ذكرها ياقوت الحموى (معجم البلدان، ١: ٧٧٠، ٢: ٣١) ووصفها بكونها هى والجبة طوسجان من سواد الكوفة، وقد ذكر بنيامين التطيلى الذي زار العراق في القرن الثانى عشر الميلادى أن الأنبار هى فومبديثة وأنه يقيم بنها نحو ألفى يهودى بينهم العلماء والفقهاء (انظر الأنبار).

فيثوم:

هو إله الشمس لمدينة أون سميت مدينة المخازن التي سخرت بقايا الهكسوس في بنائها باسمه وقد ورد ذكرها مع مدينة المخازن التـي سميت بـ " رعمسيس " (خر، ١: ١١) (انظر: رعمسيس).

الفينيقيون:

انظر " هجرة الكنعانيين " في الفصل الأول، ص ٤٦ وما يليها.

فيلون:

فيلسوف يهودى عاش بالإسكندرية بين سنة ٣٠ ق.م و ٤٠ ب.م.

قادش برنيع:

موضع على تخم كنعان الجنوبى (تك، ٢٠: ١؛ تث، ١: ٢) في برية صين (عد، ٢٠: ١، ٢٧: ١٤، ٣٣: ٣٦؛ تث، ٣٢: ٥١) مكث الموسويون فيها عند خروجهم من مصر وأرسلوا منها رجالا ليتجسسوا أرض كنعان (عدد، ص ١٣)، واتخذوها مركزا كل مدة إقامتهم في البرية ومنها رحلوا إلى أرض كنعان، وهناك موضع تاريخى آخر يسمى قادش أيضا يقع عند منابع نهر العاصى (انظر: قادش الجليل).

قادش الجليل:

مدينة قديمة في شمال فلسطين في الجليل يعرف موضعها اليوم بقرية قادش تقع على بعد عشرة أميال شمالى صفد وأربعة أميال إلى الشمال الغربى من الحولة، كانت قاعدة مهمة وأحد مراكز الهكسوس الرئيسية (١٧٣٠ - ١٥٨٠ ق.م) افتتحها " تحوطمس الثالث " ملك مصر (١٤٧٩ - ١٤٤٧ ق.م) في حملته المشهورة على الشرق متعقبا فلول الهكسوس، وكانت قادش في جملة المدن التي استولى عليها الملك الأشورى " تجلات بلاسر الثالث " (٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م) وسبى أهلها إلى أشور وذلك في حملته على فلسطين.

القبالة:

كلمة عبرية معناها ما يتلقاه المرء عن السلف (أى التقاليد) وهى مزيج من الأساطير والرموز، والشعوذة والسحر، والتعاليم اليهودية الفلسفية السرية، متعارفة عند اليهود منذ أقدم العصور، وقد ظهر أثر تعاليمها واضحا في المجتمعات الأوربية، وبالأخص منذ القرن الثانى عشر. وخلاصة هذه التعاليم هى أن الله كائن مطلق، وأن روح الإنسان تنتقل من جسم إلى جسم حتى تعود في النهاية إلى الله وتفنى فيه. وقد أدمجت تعاليم القبالة وأسرارها ورموزها في وثيقتين هما " السفر جزيرا " أو كتاب الخلق، وهو مجموعة من الأحاديث والخطب رويت على لسان إبراهيم، و " السفر هازوهر " أو كتاب الاستنارة المعروف عادة باسم " الزوهر " وقد كتب بلهجة أرامية يحمل على الاعتقاد بأنه وضع في القرن الثانى عشر أو الثالث عشر، ويرى بعض الباحثين أنه من تصنيف موسى الليونى الأسبانى (انظر موضوع " القبالة والزوهر "، الفصل الثالث، ص ٣٠١ وما يليها).

ويرى البعض أن أساطير القبالة وتعاليمها ورموزها كانت على أرجح الآراء، " المنهل الذي استقت منه معظم الجمعيات السرية الغربية: من فرسان المعبد إلى البنائين الأحرار (الماسونية) نظمها ورموزها، وقد غدت بولونيا، وبالأخض مقاطعة بودوليا، مركزا للحركة القبالية التي تمخضت هنالك عن سلسلة من فورات الخفاء والشعوذة. وكانت أشهر الجمعيات القبالية " طائفة الفرنكيين " نسبة إلى مؤسسها المدعو " يعقوب فرنك سنة ١٧٥٥ " وقد عرفوا أيضا بـ " الزوهريين " أو " إخوان الشعلة " لانتمائهم إلى الزوهر (انظر " الحركة القبالية في القرن الثامن عشر "، الفصل الثالث، ص ٣٠٨ وما يليها).

القحطانيون:

هم بنو يعرب بن قحطان، رأس قبائل اليمن، انقسموا بعد الإسلام إلى حمير وغالبيتهم من الحضر وكهلان وأكثرهم رحل ومنهم قبائل طى هى اليوم قبائل شمر، وكان القحطانيون يكتبون بالحرف المسند ولغتهم الحميرية (انظر حمير). والقحطانيون على أقوال بعض النسابين هم العرب العاربة التي تمثل الطبقة الثانية من طبقات العرب بعد البائدة أو العرب المستعربة التي تمثل الطبقة الثالثة على أقوال البعد الآخر. وهناك من عد العرب العاربة والعرب البائدة مصطلحين يؤديان معنى واحدا (انظر: العدنانيون، العرب البائدة).

القراؤون:

فرقة يهودية أسسها داود بن عنان وهو من علماء يهود العراق وهى تناهض التلمود وتدعو للاكتفاء بالتوراة، ظهرت في بغداد العباسية وفى فارس في القرن السادس للميلاد اشتهرت بالتزمت حول الطقوس والسبت، لا تزال بقية هذه الشيعة قائمة اليوم في القرم ومنهم في إسرائيل الجزء المحتل من فلسطين.

قرطاجة:

من ثغور المغرب الأدنى تقع على شبه جزيرة صغيرة في خليج تونس قرب مدينة تونس الحديثة، أسسها مستعمرون من صور الفينيقية في القرن التاسع وقيل الحادى عشر قبل الميلاد، وهناك فرضة ببلاد الأندلس على البحر المتوسط سميت قرطاجنة اتخذها القرطاجيون الفينيقيون قاعدة لتجارتهم في أسبانيا (انظر: بحث قرطاجة في الفصل الأول حاشية ٥٦، ص ٦٤).

قطنا:

مدينة سورية قديمة اتخذها الهكسوس (١٨٧٥ - ١٥٨٠ ق.م) عاصمة لهم وتعرف أطلالها اليوم باسم " المشرفة " في شمال شرقى مدينة حمص.

قمران: انظر

قورش:

انظر الأخمينيون.

قيدار:

هو ثانى أولاد إسماعيل بن إبراهيم (تك، ٢٥: ١٣) وهو من أشهر قبائل العرب وتسمى بلادهم قيدار أيضا، وكانوا في الغالب رعاة من البدو يعيشون في خيام سوداء مع أن بعضهم كان متمدنين يسكنون المدن وهم الحضر، وكان بنو قيدار يتميزون ببسالتهم في الحرب وقد برعوا في الرمى بالقوس، وقد نكل بهم نبوخذ نصر حين غزا بلادهم (أش، ٢١: ١٦، ٤٢: ١١؛ أر، ٤٩: ٢٨، نش، ١: ٥).

القينيون:

قبيلة عربية سكنت أرض مديان بين فلسطين وسيناء وشرقى خليج العقبة وكان يثرون حمو موسى قينيا وكان القينيون أصحاب الكنعانيين والعمالقة (انظر مدين).

الكاشيون:

قوم من الأمم الهندو - أوربية، مواطنهم في أواسط جبال زاغروس في المنطقة المعروفة بلورستان في جنوب همدان وهم أخلاف الكوتيين (انظر الكوتيون) استغلوا ضعف البلاد البابلية وخلوها من ملك قوى وجيش مدافع بعد تراجع الحيثيين عنها (انظر: الحيثيون) فاحتلوا مدينة بابل بقيادة زعيمهم " كنداش " وأسسوا سلالة كاشية ورثت جميع ممتلكات الدولة البابلية القديمة في العراق. بدأ حكمهم منذ أوائل القرن السادس عشر قبل الميلاد وانتهى سنة ١١٦٢م عندما احتل العيلاميون بلاد بابل وقضوا على آخر ملوك الكاشيين البلاغ عددهم ٣٦ ملكا، وبذلك يكون الكاشيون قد حكموا ٣٣٣ سنة في العراق (١٥٩٥ - ١١٦٢ ق.م).

وقد اقتبس الكاشيون حضارة البلاد البابلية ومع أنهم كانوا جفاة فقد وجدت لهم آثار فنية مهمة وقطع دقيقة النحت والصياغة، وقد اشتهر بين ملوكهم الملك كوريكالزو الثانى (١٣٤٥ - ١٣٢٤ ق.م) فأسس هذا الملك عاصمة جديدة في موضع عقر عوف الواقع على بعد ٢٥ كيلو مترا إلى الغرب من بغداد فقيل لها دور كوريكالزو، أى مدينة كوريكالزو، وقد أسفرت التنقيبات التي أجريت في هذا الموضع بين سنتى ١٩٤٣ و ١٩٤٥ عن الكشف عن ثلاثة معابد وقصر والكشف عن صرح المدينة المزقورة الشاهقة القائمة حتى يومنا هذا على ارتفاع حوالى ١٧٠ قدما، وقد اشتهر الكاشيون بجنيهم للخيول وتربيتها ويعزى إليهم إدخال الحصان إلى العراق لأول مرة أو شيوع استعماله في عهدهم.

كالح:

ثانى عواصم المملكة الأشورية (أولاها أشور) اسمها " كالحو " وردت في التوراة بصيغة كالح، تعرف أطلالها باسم نمرود، تقع على الجانب الأيسر من نهر دجلة على بعد حوالى ٣٢ كيلو مترا على الجنوب الشرقى من مدينة الموصل. يعزى تأسيسها على زمن الملك شلمنصر الأول (١٢٧٤ - ١٢٤٥ م) وسعها أشور ناصربال الثانى عندما اتخذها عاصمة له عام ٨٧٩ق.م كشف المقبون عن آثار كثيرة من قصور المدينة لاسيما قصر أشور ناصر بال الثانى وهى منحوتان وعاجيات صنعت محليا في نمرود بأطرزة فنية بديعة منها تمثال للملك شلمنصر الثالث منحوت نحتا دقيقا ومدون عليه موجزا أعماله وكانت كالح وأشور أول مدينتين تعرضتا لهجوم البابليين والماذيين في عام ٦١٤ ق.م، أى قبل سقوط نينوى بعامين وعمهما الدمار بعد سقوط الدولة الأشورية (انظر نينوى، الأشوريون).

الكتبة:

وبالعبرية " سوفير " أى كاتب الأسفار: هم طائفة من الفقهاء اليهود كانت تقوم بكتاب الناموس (الأسفار الخمسة الأولى) وتدوين الأجزاء الأخرى من التوراة (أى مازاد عن الأسفار الخمسة الأولى) كان أول الكتبة وأشهرهم " عزرا " الكاتب.

خص الكتبة أنفسهم بدراسة الناموس من الناحيتين المدنية والدينية وقد نتج عن قرارات كبار الكتبة ما يعرف اليوم عند اليهود بـ " الشريعة الشفاهية " أو " التقاليد " كما خصوا أنفسهم أيضا بدراسة الأسفار الإلهية من الناحيتين التاريخية والتعليمية وكانوا يحاولون فرض تطبيق علومهم على تفاصيل الحياة اليومية.

وكان يجتمع حول كل كاتب مشهور جمهرة من الطلبة يتتلمذون على يديه وبهذه الطريقة توصلوا إلى ممارسة سلطة كبرى على عامة بلغت ذروتها في عهد السيد المسيح فكان لهم أعضاء كثيرون في السنهدرين وعليهم يقع الوزر الأكبر من الجريمة النكراء، جريمة صلب " السيد " بالاشتراك مع الفريسيين والصدوقيين.

أطلق عليهم العهد الجديد تسمية " النامسيون " في أماكن متعددة منه (انظر النامسيون) وقلما ورد ذكرهم فيه منفردا بل مقرونا مع الفريسيين الذين كانوا يشكلون معهم حزبا سياسيا (انظر الفريسيون) وصاروا يحملون فيما بعد اسم " حاخامون " أى " معلمو الشريعة ".

وقد كانت هذه الطائفة من الكتبة تتمتع بسمعة سيئة كما كانت مكروهة من العامة، فالعهد القديم يتهمها بتحريف التوراة (إر، ٨: ٨) ويصفها بالكذب (أر، ٦: ٨، ١٥: ٩؛ ١ ش، ١٩: ١١) والعهد الجديد يضيف إلى ذلك وصفها بالمراءات وفساد السريرة ويشبهها بالعثور بأولاد الأفاعى ويعدها بتجانى ويلات لثمانى خصال فاسدة تتصف بها (مت، ص ٢٣).

كركميش:

هى جرابلس الحالية مدينة في شمال سورية على الجانب الغربى لنهر الفرات كانت من أعظم مدن الحيثيين بعد عاصمتهم " حاتوشاش " (بوغاز كوى حاليا) حيث تمكنوا من تأسيس مملكة قوية في شمال سورية مركزها في كركميش دامت حوالى قرنين ونصف القرن (١٤٥٠ - ١٢٠٠ ق.م) وقد سماها الرومان (كركيسيوم). ثم حكمتها الإمبراطورية الأشورية وظلت مركزا هاما

للتجارة وفيها هزم فرعون نخو على يد الملك البابلى نوبخذ نصر سنة ٦٠٥ ق. م (أ ر، ٤٦: ١).

كركوك:

مدينة كبيرة من كدن العراق الرئيسية وأعرقها في التاريخ هى مركز محافظة باسمها، تبعد عن بغداد ٢٨٨ كيلو مترا شمالا، وقد اشتهرت بمنابع النفط فيها منذ العصور القديمة، ويقوم القسم القديم من مدينة كركوك المسمى " القلعة " فوق مستوطن أثرى ورد اسمه في الألواح المستخرجة منه " أرابخا ". وكانت الألواح المكتشفة فيه يرتقى تاريخها إلى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد ويعتقد أن أقدم ذكر لاسم " أرابخا " يرتقى إلى عهد حمورابى.

وقد ذكرت المدينة في المصادر الأشورية بأنها مركز لعبادة الإله " أدد " كما ورد اسم المدينة في المصادر الأرامية بصيغة " أرابخيوس ". وقد ورد اسمها في المصادر الأرامية بصغة " كرخا - د - بيت سوخ " أى مدينة السلوقيين وقد ازدهرت في العهد السلوقى في العراق (٣١٢ - ١٣٥ ق.م) حيث بنى فيها سلوقس سورا وأنشأ فيها العمارات وجعلها مركز إقليم تابع إلى مملكته واستمرت في العهد الفرثى والساسانى، وقد عثر في إحدى محلات كركوك على مجموعة من الآثار يرجع زمنها إلى عهد الحضارة السومرية من عصر فجر السلالات (٢٦٠٠ ق.م) قوامها أسلحة وأدوات من النحاس وأوانى من الفخار. كما عثر في جوار كركوك على آثار مدينة من عهود حضارة وادى الرافدين القديمة هى مدينة " نوزى " التي كانت مركزا للحوريين في الألف الثانية قبل الميلاد (انظر نوزى، الحوريون).

الكرمل:

سلسلة جبلية في الجليل في شمال فلسطين تمتد من ساحل البحر المتوسط جنوبى حيفا إلى الجنوب الشرقى في الداخل. ويبلغ ارتفاع أعلى قمة في هذه السلسلة ١٧٤٠ قدما فوق سطح البحر، كان الكرمل مأوى لعدد من الرهبان المتنسكين وتوجد فيه مغائر كثيرة من بينها مغارة إيليا.

الكلدانيون:

انظر " الكلدانيون الأراميون يؤسسون الإمبراطورية الكلدانية "، في الفصل الأول ص ١٤٧ - ١٤٨.

كنعان:

انظر " البحث عن كنعان والكنعانيين "، في الفصل الأول، ص ٤٧ وما يليها.

الكوتيون:

أقوام جبليون نزحوا من جبال زاغروس دام حكمهم في العراق زهاء القرن (٢٢١١ - ٢١٢٠ ق.م)، قضوا على الدولة الأكدية في نحو عام ٢٢١٢ ق.م، اقتبسوا أصول الحضارة السومرية الأكدية وتكلموا اللغة الأكدية وكتبوا بها أخبارهم، وقد ذكر فريق من المؤرخين أن هؤلاء الكوتيين هم أسلاف الأكراد في شمال العراق، تغلب عليهم في آخر عهدهم أو توهيكال أمير أوروك وبذلك يبدأ الانبعاث السومرى (العهد السومرى الأخير).

كورش:

انظر قورش والأخمينيون.

كوزان:

انظر تل حلف.

الكوشيون:

نسبة إلى كوش بكر حام وأبو نمرود (تك، ١٠: ٦ - ٨؛ أخ، ١: ٨ - ١٠) وقد سميت البلاد التي سكنها بعض نسل كوش باسمه وهى تمثل جنوبى مصر (حز، ٢٩: ١)، وكان يطلق أحيانا اسم كوش على كل أفريقيا كما كان يقرن ذكر كوش مع مصر وسبأ (أش، ٢٠: ٤، ٤٣: ٣، ٤٥: ١٤) وقد تزوج موسى من امرأة كوشية (عد، ١٢: ١).

كيش:

المدينة السامرية الشهيرة تعد من أقدم المدن السامية في جنوب العراق تعرف أطلالها بتلول الأحيمر، وقد وصفت بكونها مدينة أنشئت بعد الطوفان، تقع أطلالها على بعد حوالى ٢٥ كيلو مترا إلى الشمال الشرقى من بلدة الحلة وزهاء خمسة عشر كيلو مترا إلى الشرق من بابل، كان هيكل (إيلبابا) إله الحرب وزوجته عشتار مع زقورة الهيكل من ضمن منشآت المدينة الرئيسية، تمتد خرائب كيش إلى مسافة حوالى ثمانية كيلو مترات طولا وثلاثة كيلو مترات عرضا.

لاوى:

هو ابن يعقوب من امرأته ليئة (ثالثا أبنائها)، (تك، ٣٥: ٢٣).

لخيش:

مدينة العموريين قديما، تقع في جنوب كنعان شمال شرقى مدينة غزة وتعرف أطلالها اليوم باسم " تل الدوير " ويرى البعض أن أطلالها في تل الحصى وهو التل الذي عثر فيه سنة ١٨٩١م على كتابات تؤيد ذلك، كانت لخيش من أهم مدن الهكسوس في القرن السابع عشر قبل الميلاد، أخذها يشوع " وضربها بحد السيف وكل نفس بها " (يش، ١٠: ٢٣)، صارت من نصيب ملك يهوذا، حصنها رحبعام ملك يهوذا (٩٣١ - ٩١٣ ق.م) (٢ أ خ، ١١: ٩).

اشتهرت لخيش في حملة سنحاريب ملك أشور سنة ٧٠١ ق.م على مملكة يهوذا في عهد ملكها حزقيا (٧١٥ - ٦٨٦ ق.م) فقد احتل سنحاريب في هذه الحملة جميع المدن المحصنة التابعة لمملكة يهوذا باستثناء أورشليم واتخذ مقره في لخيش، ومنها بعث الرسل للتفاوض مع حزقيا في أورشليم بعد تطويقها، وفرض الحصار عليها. فبعث حزقيا يقول لسنحاريب أنه أخطأ وأنه على استعداد لتحمل كل ما يفرض عليه على أن يرجع سنحاريب عنه، فما كان من ملك أشور إلا أن وضع على حزقيا ثلاثمائة وزنة من الفضة وثلاثين من الذهب (٢ مل، ١٨: ١٣ - ١٦).

لقمان:

اسم شخص ينتمى إلى فخذ من أفخاذ قبيلة عاد العربية القديمة ورد ذكره في القرآن الكريم وفى الشعر الجاهلى وفى القصص، ويرى عنه أنه عمر طويلا فكان طليعة المعمرين (انظر عاد). وقد وصف بالحكيم:{وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ} [لقمان: ١٢]، وضربوا به المثل في كثرة الأكل فقالوا: " أأكل من لقمان "، وبالغ الناس في حكمته وفى علمه حتى زعموا أنه كان يدرك من الأشياء ما يعجز عن إدراكه الإنسان السوى، ويروى بعض أهل الأخبار أن لقمان بن عاد هو الذي بنى سد مأرب وأن مأرب اسم قبيلة من عاد وقد سمى هذا الموضع باسمها.

لوحا الشهادة:

هما اللوحان الحجريان اللذان نقشت عليهما الشريعة الموسوية " الوصايا العشر " نزلت على موسى عندما كان فوق الجبل (جبل سيناء) وضع هذان اللوحان في تابوت العهد (خر، ٣٤: ٢٧ - ٢٩، ٣١: ١٨، ٣٢: ١٥ - ١٦) انظر تابوت العهد.

ليديا:

إقليم قديم كان يقع غربى الأناضول (تركيا) محاذيا لساحل البحر الأيجى، عاصمته سرديس في جوار بلدة أزمير التركية الحالية، كان حلقة اتصال بين الشرق والغرب ثقافيا وتجاريا، كانت لليديا ثروة وحضارة راقية وقد وصلت إلى قمة مجدها في عهد آخر ملوكها " كرويسوس " ضمها الفرس الأخمينيون إلى إمبراطوريتهم عندما انتصروا على الدولة الكلدانية واستولوا على مستعمراتها، وكان ذلك سنة ٥٤٧ ق.م، حين هزم الملك وأخذ أسيرا على يد قورش.

ماحوزة:

مدينة بابلية كانت تقع على نهر دجلة بجوار طيسفون أسس فيها اليهود بعد السبى البابلى مدرسة دينية كبرى ساهمت مع المدارس الأخرى في إخراج التلمود. وقد ظهر في الماحوزة عدد من مشاهير الأحبار في القرن الرابع الميلادى أشهرهم " رابا " المتوفى سنة ٣٥٢ ميلادية.

مارتو:

التسمية السومرية للبادية السورية الغربية حيث توجد مسارح العموريين البدو الرحل وهى نفس التسمية لأحد آلهتهم (انظر: العموريون، مارى).

مارة:

موضع في برية شور وإيثام على بعد ثلاثة أيام من موضع عبور الموسويين البحر كان فيها ينبوع مر جعله موسى عذبا (عد، ٣٣: ٨ و ٩؛ خر، ١٥: ٢٣ - ٢٥).

مارى:

عاصمة دولة " عمورو " السامية (مارتو) تقع أطلالها المعروفة باسم " تل الحريرى " على الضفة الغربية من نهر الفرات على مسافة حوالى عشرة كيلو مترات إلى الشمال من بلدة " البوكمال " وهى المدينة العاشرة التي أسست بعد الطوفان. كانت مركزا لحضارة راقية عظيم شأنها في الألفين الثالثة والثانية قبل الميلاد. نقب فيها جورج برو الآثارى الفرنسى المعروف وكشف فيها عن آثار حضارة وادى الرافدين من عصور ما قبل التاريخ ومن عصور فجر السلالات، ومن أهم الآثار التي اكتشفت فيها قصر عظيم يرجع إلى القرن العشرين قبل الميلاد يحتوى على ٣٠٠ حجرة وقاعة واسعة تزيد مساحتها على ١٥ دونما عراقيا عثر فيه على مجموعة من الألواح الأثرية يبلغ عددها حوالى ٢٤.٠٠٠ لوح.

مانيثون:

مؤرخ مصرى عاش وكتب تاريخه المشهور في حدود سنة ٢٨٠ ق.م.

مثيبة:

مصطلح أخذه العرب عن اللفظة العبرية (مثيبتا) أى المدرسة وقد كان لليهود أربع مدارس في العراق في " نهر دعة " وفى " فومديثة "، وفى " سورا " وفى " الماحوزة " (راجع نهر دعة، فومبديثة، سورا، وماحوزة) كانت مثيبة " سورا " إلى مقاما من مثيبة فومبديثة وكان لرئيسها حق الأفضلية في المرتبة الدينية وانتخابات رأس الجالوت (انظر رأس الجالوت).

مجان (إقليم):

هذه هى التسمية التي وردت في المصادر القديمة لمنقطة عمان الحالية الواقعة في الجزء الجنوبى الشرقى من الجزيرة العربية. ومن المهم أنه عثر مؤخرا على موضع في إقليم عمان يسمى " ميجان " أو " مجان " يقع في المنطقة قرب الساحل (ساحل الخليج) بين عمان والبحرين في فم واد طويل يسمى " وادى شهبة ". وكانت تتمتع هذه المنطقة بحضارة بحرية قديمة حيث كانت حلقة الاتصال بين مصر ووادى الرافدين ووادى نهر السند. وجاء ذكر مجان في المصادر المسمارية في أخبار الملوك الأكديين وبعض ملوك السلالات السومرية التي أعقبت العهد الأكدى فقد ذكر سرجون أنه جلب سفنا من مجان إلى ميناء عاصمته أكد وهذا يدل على اشتهار " مجان " بصناعة السفن والملاحة. وتشير أخبار الدولة الأكدية إلى غزو نرام سين، حفيد سرجون لمجان حيث كان فيها مملكة يبدو من اسم ملكها " مانيئوم " أنه من العرب الساميين.

والأرجح أن الطريق الذي سلكه هو طريق البحر من فم الفرات إلى الخليج ومنه إلى البحري ثم إلى مجان أو الطريق البرى الموازى للخليج بطريق الكويت والإحساء، وكانت مجان مصدرا مهامًا من مصادر النحاس لسكان وادى الرافدين القدماء منذ عصور ما قبل التاريخ واستمرت كذلك في العهد السومرى والعهود التي أعقبته، وتصفها الكتابات المسمارية بأنها جبل النحاس.

هذا ولا يزال النحاس موجودا حتى الآن في الجبل الأخضر الذي ينبغى أن يكون ضمن مجان وكان يمتاز هذا النوع من النحاس بكمية القصدير التي يحتويها. وقد اشتهرت مجان أيضا بحجر الديوريت الأسود المشهور ويرجح أن الديوريت الذي كان ملوك العراق القديم يستعملونه في صنع التماثيل والأنصاب

كان يجلب بالدرجة الأولى من مجان.

وقد ورد مع ذكر مجان اسم موضعين آخرين في المصادر المسمارية هما " ملوخا " و " دلمون " أو " تلمون " أما الأول فلم يعين موقعه بعد بوجه التأكيد ولعله قريب من مجان. أما الثانى فهو التسمية لمنطقة البحرين الحالية (انظر دلمون).

مجدو:

مدينة كنعانية قديمة يرجع تاريخها إلى منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد، فتحها تحوطمس الثالث ملك مصر سنة ١٤٧٩ق.م في حملته المشهورة على العراق متعقبا فلول الهكسوس في فلسطين وسورية ولبنان، تعرف أطلالها اليوم " بتل المتسلم " الواقع إلى الغرب من بلدة " بيت شان ".

مجدل جاد:

مدينة كنعانية قديمة لم تزل تسمى مجدل وهى تبعد ميلين شرقى أشقلون ومحاطة بأشجار زيتون وحقول مزروعات ذكرت مع لخيش (انظر لخيش)، وفى موضع المدينة تشاهد اليوم آثار أطلال قديمة، منها أعمدة وحجارة منحوتة وغيرها (يش، ١٥: ٢٧). وهناك مدينة أخرى باسم مجدل إيل تقع في حوار بحرية الحولة وهى مدينة محصنة كما أن هناك مدينة ثالثة بهذا الاسم أيضا على تخوم مصر الشمالية تجاه فلسطين (أر، ٤٤: ١، ٤٦: ١٤؛ خر، ٣٠: ٦)

المدارش:

كلمة مأخوذة عن أصل عبرى المراد بها التعليم الشفوى للتوراة ومعناها التعمق في الدراسة. وقد تناقل العلماء اليهود هذه التعاليم شفويا من جبل إلى جبل حتى تم تدوينها في حوالى القرن السادس الميلاد، والمدارش هو توسع شفوى مع التصرف في النصوص التوراتية لكنه أصبح بعد تدوينه جزءا من التراث اليهودى.

مديان أو مدين:

أحد أولاد إبراهيم من زوجته قطورة (تك، ٢٥: ١ - ٤) نسبت إليه أرض مديان التي ذكر بعضهم أنها كانت تمتد من خليج العقبة إلى موآب وطور سيناء، وقال آخرون أنها كانت تمتد من شبه جزيرة سيناء إلى الفرات، كان شعبها يتاجر مع فلسطين ومصر ولبنان وكانوا يرافقون الإسماعيليين (انظر الإسماعيليون) عندما بيع لهم يوف (تك، ٣٧: ٢٨). وسكن موسى مدة في مديان بعد هروبه من

وجه فرعون لقتله مصريا (خر، ٢: ١١ - ١٥) وقد تزوج هناك من ابنة يثرون كاهن مديان (خر، ٢: ١٦ - ٢٢). الذي كان على ما يرجح موحدا ويعبد الله باسم " يهوه " وهو الاسم الذي عبد به اليهود الله. ويرجح البعض أن أصل اسم يهوه إله من آلهة البدو العرب الشماليين.

مردوخ بلادان:

(ويدعى أيضا بردوخ بلادان) الملك الكلدانى (ملك القطر البحرى) الذي حكم في بابل خلال الفترة الواقعة بين سنة ٧٢١ وسنة ٧١١ ق.م.

المسند (خط):

انظر حمير.

المشنة:

انظر التلمود.

معكة أو (أرام معكة):

مملكة أرامية صغيرة كانت تقع على تخم فلسطين الشمالى ورد ذكرها في التوراة أكثر من مرة (٢ صم، ١٠: ٦؛ ١ أخ، ١٩: ٦، ٧).

مسعين روسبا:

التسمية العربية القديمة للمنطقة التي تشمل منطقة اليمن الحالية، والشائع عند الأكثرية أن دولة معين كانت أول دولة ازدهرت حضارتها في الجزء الجنوبى الغربى من الجزيرة العربية وذلك في حدود ١٣٠٠ / ١٢٠٠ - ٧٠٠ / ٦٥٠ ق.م، ولكن بعض الباحثين يعينون بداية المملكة المعينية في الألف الثانية وحتى في الألف الثالثة قبل الميلاد. وقد وجد الباحثون في النقوش المعينية أسماء ٢٦ ملكا من ملوك معين. وكانت عاصمة الدولة المعينة " قرناو " وهى الآن في الموضع المسمى معين في الجزء الجنوبى في الجوف إلى الشمال الشرقى من صنعاء، وقد ازدهرت دولة معين في جوف اليمن بين نجران وحضرموت وشملت في عهد ازدهارها جميع جنوب الجزيرة تقريبا وامتدت حتى الحجاز شمالا.

وكان يسرى نفوذها إلى أجزاء الجزيرة الأخرى. وعلى الرغم من أن النقوش المعينية التي عثر عليها المنقبون ترجع إلى بداية الألف الأولى قبل الميلاد غير أن هناك دلائل ثابتة على أنه كان للمعنيين القدماء علاقات واتصالات مع الأكديين والسومريين والبابليين والكنعانيين والعموريين، ويرجع اتصالهم

بالعراق إلى عهد نرام سين الفاتح الأكدى المعروف، وكان يجرى هذا الاتصال وأهمه تجارى عن طريق القوافل التي تتجه من اليمن شمالا بموازاة البحر الأحمر تقريبا عن طريق مكة والمدينة إلى تيماء (انظر تيماء) ثم بطريق جبل شمر إلى العراق (بلاد بابل). وهناك طريق يتصل من مكة والمدينة بالبتراء يتشعب منه طريق في الشمال إلى مصر وسورية ويصل الفرع الذاهب إلى بلاد الشام إلى البحر المتوسط في غزة.

أما أهل سبأ فكان موطنهم في جنوبى الجزيرة في الزاوية الجنوبية الغربية منها، وكانت عاصمتهم الأخيرة " مأرب " (مربابة) تقع إلى الشرق من صنعاء بحوالى ٦٠ ميلا. وكان الملوك السبئيون الأوائل يعاصرون ملوك معين وأن السبئيين ورثوا عن المعينيين مملكتهم وسلطانهم.

وبلاد اليمن لم تشتهر بالتجارة وحسب بل كانت قد اشتهرت أيضا بمشاريعها الزراعية المرتكزة على الإرواء الاصطناعى فأقاموا السدود والخزانات مما ساعد على إعمار مساحات كبيرة من الأراضى الزراعية وجعلها قابلة لسكنى البشر بمستوى عال من العيش، وبذلك تكون حضارة اليمن شبيهة بالحضارات القديمة التي نشأت في وادى الرافدين وفى وادى النيل والتى ازدهرت على الرى والزراعة، وأن قصة سد مأرب وما اشتهر به أهل اليمن من العناية في شئون الرى والزراعة يؤكد ذلك. وقد ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى النعيم الذي كان يتمتع به أهل سبأ في قوله تعالى:{لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾} [سبأ: ١٥ - ١٦]، (انظر: حمير).

وأقدم ذكر للسبئيين في المصادر المسمارية ورد في أخبار الملك الأشورى " تجلات بلاسر " الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م) حيث يذكر أنه في السنة ٧٣٢ ق.م أخذ جزية من الملكة شمسى (ملكة العرب) التي حنثت بيمين طاعتها ولكن رجع قومها السبئيون إلى الطاعة، وقد ذكر هذا الملك بعض القبائل والأقوام العربية ممن دفع له الجزية.

موقع بلاد اليمن بين الحضارتين - حضارة وادى الرافدين وحضارة وادى النيل - كانت أشبه بهمزة الوصل بينهما ومما لا شك فيه أن تكون الجزيرة العربية قد تأثرت بهذين المركزين الحضاريين كما اتصلت الجزيرة العربية بالهند

وبحضارة وادى السند عن طريق البحر.

المغتسلون:

انظر الأسينيون.

المكابيون:

أسرة يهودية ظهرت في فلسطين في القرنين الثانى والأول قبل الميلاد تزعمت الثورة ضد محاولة السلوقيين (خاصة في عهد أنطيوخس الرابع، أبيفان، ١٧٥ - ١٦٤ ق.م) القضاء على اليهودية وإرغام اليهود على الأخذ بالديانة الهيلينية الوثنية حيث دمر الهيكل وأوقفت عبادة يهوه، فكونت هذه الأسرة جيشا سريا في الجبال نظم على طريقة حرب العصابات، وتمكنت من التغلب على الجيش السلوقى والحصول على حكم ذاتى في أورشليم كان يقوى أحيانا ويتقلص أحيانا أخرى باستيلاء الرومان على سورية. وقد استمرت سلالة هذه الأسرة المكابية على رأس السلطة في أرض اليهودية ١٣٠ عاما وذلك بين عام ١٦٧ و ٣٦ ق.م. وقد تناول سفرا المكابيين في آخر العهد القديم بحث القسم الأول من العصر المكابى، ويجمع الباحثون والمؤرخون على أن الوقائع التاريخية التي تناولها هذان السفران معترف بصحتها من حيث الخطوط الرئيسية العامة.

مكفيلة (مغارة):

حقل في حبرون كانت فيه المجارة التي اشتراها إبراهيم من عفرون الحثى لتكون مقبرة لأسرته (تك، ص: ٢٣)، وفيها دفن إبراهيم (تك، ٢٥: ٩)، وسارة (تك، ٢٣، ١٩) وإسحاق ورافقه ليئة (تك، ٤٩: ٣١)، ويعقوب (تك، ٥٠: ١٣) وهذه المغارة تقع ضمن الحرم الإبراهيمى في الخليل. وقد اختلفت الأقوال في زمن إقامة هذا البناء فظن بعضهم أنه من أيام داود وسليمان وغيرهم أنه أقيم بعد السبى والبعض الآخر أنه أيام هيرودس.

سمرا:

انظر حبرون.

ممفيس:

المدينة المصرية الشهيرة حاضرة مصر الشمالية تمييزا لها عن أختها الجنوبية " طيبة " موقعها على شاطئ النيل الغربى على مسافة زهاء ١٤ ميلا جنوب القاهرة، أسسها الملك منا مؤسس السلالة الأولى (٣٤٠٠ - ٣٢٠ ق.م) لتكون عاصمة المملكة الموحدة بالنظر لموقعها المسيطر على المملكتين الشمالية

والجنوبية، وكانت يومئذ تعرف بالقلعة البيضاء، ومن أسمائها " منف " وهو مختصر من اسم مركب كان لحى من أحيائها فغلب لشهرته، وأصبح علما على المدينة كلها. وظلت منف عاصمة الملك أيام الدولة القديمة، وحين غدت طيبة متمتعة بالزعامة على القطر المصرى بعد نشوء الإمبراطورية فيه سنة ١٥٨٠ق.م، أصبحت منف مركزا حربيا تدبر فيها شئون الحرب والدفاع وشئون التموين وفيها مقر الجيش، وفيها يقيم الأمراء ممن آلت إليهم ولاية العهد. فيمارسون هواياتهم الرياضية والعسكرية ويشرفون على الجيش، وفيها يحتفل بمختلف الأعياد القومية وفيها يتوج الملوك وعلى أطرافها الشمالية من شرقى النيل ضرب عمرو بن العاص فسطاطه حين دخل المسلمون، ثم نزلت بها المحن تباعا، فلم يبق منها غير أطلالها من مختلف العصور حول قرية ميت رهينة (انظر طيبة).

منسى:

هو بكر يوسف من أسنات بنت فوطى فارع كاهن أون (تك، ٤١: ٥٢).

موآب:

مقاطعة يتاخمها العمونيون من الشمال والأدوميون من الجنوب، تقع في سهل مرتفع في شرقى البحر الميت، تحده غربا سلسلة من الجبال وهى تصلح لرعى المواشى، أول من سكنها الموآبيون وهم من نسل لوط ابن أخى إبراهيم (تك، ١٩: ٣٧). وكانت مساكنهم في " عار ". ولما حاول الموسويون المرور من بلادهم عند صعودهم من مصر عارضوهم إلا أنهم عادوا وأذنوا لهم أن يمروا بتخمهم الشرقى على أن يأخذوا منهم أثمان المأكول والمشروب فضة (تث ن ٢: ٢٨ - ٢٩). وفى عهد القضاة هاجم عجلون ملك موآب ومعه العماليق الموسويين وبقوا في عبودية بنى عمون ١٨ سنة حتى قتل عجلون(قض، ٣: ١٣ - ٣٠). وقد استولى داود على موآب ثم صارت إلى إسرائيل بعد التقسيم، وفى آخر عهد يورام ملك إسرائيل (٨٥٢ - ٨٤١ ق.م) استقلت موآب في عهد ملكها ميشع الذي خلد انتصاراته على مسلة تعد من أهم مخلفات ذلك العصر، وتمتاز هذه المسلة في كونها تحمل كتابة تعد من أقدم الكتابات السامية.

موسى:

هو النبى موسى، تعترف بنبوته الديانات السماوية الثلاث، تروى التوراة عنه قصة رميه المشهورة في النهر طفلا وانتشال ابنة فرعون له. (انظر الفصل

السادس، ص ٤٦٢ وما يليها).

مولك:

إله من الآلهة التي كان يعبدها بنو عمون وقد ورد في التوراة ما يشير إلى أن اليهود تركوا الرب وعبدوا مولك رجس بنى عمون (١ مل، ١١: ١ - ٨).

الميتقيون:

انظر الحوريون.

الميديون:

جماعات من الأقوام الهندو - أوربية كانت تقطن القسم الشمالى الغربى من بلاد فارس الحالية وكانت بلادهم منقسمة إلى إمارات صغيرة هاجمها الملوك الأشوريون على التوالى منذ عهد شلمنصر الثالث حتى عهد سرجون الثانى، ثم ظهر أحد أمرائها الأشداء المدعو سياكسريس (٦٢٥ - ٥٩٣ ق. م) فوحد الإمارات تحت سيطرته واستولى على الأقاليم الأشورية شرقى الدجلة ثم على عاصمتها نينوى سنة ٦١٢ ق.م، بالتعاون مع الكلدانيين (انظر الكلدانيون)، كما أنه استولى على بلاد أرمينية وإيران الشرقية إلا أن انتصاراته هذه لم تدم طويلا إذ لم تلبث إمبراطوريته أن استولى عليها قورش الأخمينى وأصبحت ميديا جزءا من الإمبراطورية الفارسية سنة ٥٥٠ق.م، وقضى على الدولة الكلدانية في العراق (انظر الأخمينيون).

نابلس:

انظر شكيم.

الناسى:

كلمة عبرية كانت تطلق على رؤساء ووجهاء وزعماء الطائفة اليهودية، والناص باللغة العربية من نصا وانتصى والناصية الرأس ونواصى الناس أشرافهم (صحاح الجوهرى ١: ٥٥٧).

الناصرة:

مدينة بشمال فلسطين اشتهرت بكونها وطن السيد المسيح مدة طفولته وصباه، تبعد ١٤ ميلا عن بحر الجليل و ٦٦ ميلا عن أورشليم، ذكرت ٢٩ مرة في العهد الجديد، ويذكر ياقوت الحموى أن اسم النصارى اشتق منها، وهى اليوم مركز يحج إليه المسيحيون وبه أضرحة كثيرة وكنائس قديمة.

الناموسيون:

هم رجال القانون والفقه والشريعة اليهودية ولقد تكالبوا على الدنيا وأنذرهم المسيح بالويلات بقوله: " الويل لكم يا علماء الناموس فإنكم أخذتم المعرفة فلم تدخلوا أنتم والداخلين منعتموهم " (يع، ١١: ٥٢) ومن هؤلاء فريق يعرف بالكتبة وكانوا هم والفريسيون على وئام حتى أن السيد المسيح هددهم بالويلات لأنهم يتمسكون بحرفية الشريعة لا بجوهرها وروحها (مت،ص ٢٣) (انظر الفريسيون).

النبط:

انظر الأنباط.

نبوبولصر:

مؤسس السلالة البابلية الأخيرة أو المملكة الكلدانية تمكن بمساعدة ملك الميدين من الاستيلاء على عاصمة الأشوريين " نينوى " سنة ٦١٢ ق.م، بعد حملات شديدة ومقاومة عنيفة، ثم حارب المصريين الذين كانوا قد بسطوا سلطانهم على سورية وفلسطين فغلبهم في معركة حاسمة بقيادة ابنه نبوخذ نصر وقعت بين الجيشين في كركميش (جرابلس) سنة ٦٠٥ ق.م، وقد دام حكم نبوبولصر ٢١ عاما سنة ٦٢٦ وسنة ٦٠٥ ق. م (انظر الكلدانيون).

نبوخذ نصر:

أشهر ملوك الدولة الكلدانية خلف أباه الملك نبوبولصر في حكم دام ٤٣ سنة بين سنة ٦٠٥ و ٥٦٢ ق.م قضاها في توسيع نفوذ مملكته وتعمير عاصمته بابل ومعابدها. وقد خاض نبوخذ نصر معارك حاسمة حققت له أبعاد النفوذ المصرى عن المناطق التي خضعت لسلطاته، ومن حملاته حملتاه على مملكة يهوذا في سنة ٥٩٧ ق.م ثم في سنة ٥٨٦ ق.م (انظر الكلدانيون).

نبونيدس:

هو آخر ملوك الدولة الكلدانية حكم ١٧ سنة بين سنتى ٥٥٦ و ٥٣٩ ق.م، قضى آخر عشر سنوات منها في شمال الجزيرة العربية بعد أن تم له احتلال أهم مدنها تيماء والجوف ويثرب (المدينة المنورة) تاركا عاصمته بابل تحت حكم ابنه بلشازار حتى استولى قورش ملك فارس على بابل سنة ٥٣٩ ق.م، فقضى على مملكة بابل الكلدانية (انظر الكلدانيون).

نجران:

اسم بلدة بجوار الكوفة عمرها مسيحيو نجران اليمن على أثر جلائهم من الجزيرة العربية في عهد الخليفة عمر رضى الله عنه وقد سموها باسم بلدهم الأصلى نجران (ياقوت، ٤: ٧٥٧).

نفتالى:

ابن يعقوب من بهلة جارية راحيل (ابنها الثانى)، (تك، ٣٠: ٨، ٣٥: ٢٥).

نهر أبان:

قرية من طاسيج الكوفة لجأ إليها مسيحيو نجران اليمن على أثر إجلائهم من الجزيرة العربية في عهد الخليفة عمر (ياقوت، ٤: ٧٥٨).

نهر بيكور:

مدينة بابلية كانت أكثرية سكانها من اليهود الذين جئ بهم إلى بابل إبان السبى البابلى.

نهر دعة:

مدينة عراقية قديمة في الفرات الأوسط (بجوار عانة). وهى إحدى المدن العراقية الأربع التي أسس فيها اليهود مدارس دينية كبرى تعاونت فيما بينها في إخراج التلمود البابلى. وقد كان اسم " نهر دعة " يطلق على كل منطقة الفرات الأوسط ومن ضمنها الأنبار، وقد تعرضت مدينة " نهر دعة " إلى هجوم أذينة الثانى، ملك تدمر، بعد انتصاره على الملك سابور الأول سنة ٢٦٢ م، فبعد أن فتحها هدمها بكل ما فيها ولم تسلم مدرستها من الهدم فانتقلت إلى " ماحوزة " (انظر: ماحوزة، فومبديثة، سورا، هوزال) وكان من أشهر أحبار مدرسة " نهر دعة " الرابى صموئيل المتوفى سنة ٢٥٤ م، أى قبل حادثة غزو المدينة بثمانى سنوات.

نوزى:

من المدن القديمة في منطقة كركوك كانت تعرف باسم " كاسور " ازدهرت في العهد الأكدى ثم استولى عليها الحوريون بعد أن نزحوا من موطنهم الأصلى " أورارتو " (أرمينية الحالية) فأسسوا مركزا مهما في شمال العراق وفى منطقة البليخ والخابور (خابور الفرات) في منتصف الألف الثانية قبل الميلاد وقد اندمج هؤلاء الحوريون بالشعب الأكدى السامى وغيروا اسم البلدة فسموها " نازى " تعرف أطلال المدينة باسم " ويران شهر " أو " يورغان تبة " وتقع على بعد حوالى ثمانية أميال من جنوب شرقى كركوك. وقد نقبت فيها في عامى ١٩٢٥ -

١٩٢٦ بعثة مشتركة من المتحف العراقى والمدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية عثرت خلال تنقيباتها على نحو ٥٥٠ لوح من الطين، ثم استؤنف التنقيب من سنة ١٩٢٧ إلى ١٩٣١ من قبل جامعة هارفارد الأمريكية فعقرت على بقايا بيوت سكن خارج التل وعلى قصر ومعابد في التل ووجدت مجموعات أخرى من ألواح الطين. وتوجد قرب أطلال " نوزى " تلول أثرية معظمها يمثل مستوطنات من عصور ما قبل التاريخ، منها تلاقادش: قادش الكبير وقادش الصغير.

نينوى:

ثالثة عواصم المملكة الأشورية خلف العاصمة القديمة " أشور " والعاصمة الثانية " كالح " المعروفة بنمرود الآن (انظر: آشور، كالح). تقع أطلالها على مسافة كيلو متر واحد من الموصل على الجانب الأيسر من نهر دجلة وهى تشتمل على الموضعين المعروفين بالنبى يونس وتل قوينجق والسور الذي يحيط بالمدينة، اسمها سومرى الأصل وقد حافظت عليه في المصادر اليهودية (يون، ٣: ٣) وفى المصادر العربية بصيغة نينوى.

اتخذها الملك سرجون الثانى (٧٢١ - ٧٠٥ ق.م) عاصمة لها تاركا العاصمة الأشورية الثانية " كالح " ثم عاد فترك نينوى وأسس عاصمته الجديدة في خرساباد. بلغت نينوى أوج ازدهارها في عهد الإمبراطورية الأشورية الأخيرة أى خلال حكم سنحاريب وأسرحدون وأشوربانيبال، ومن أهم آثارها قصر أسرحدون الواسع في موضع النبى يونس حيث جمع هذا العاهل الكبير عشرات الألوف من الألواح المكتوبة بشتى أنواع المعرفة والأدب في مكتبة خاصة، وقد عثر المنقبون البريطانيون على هذه المكتبة التي كشفت عن الكثير من حضارة وادى الرافدين وتاريخه. تم الاستيلاء على المدينة على يد الجيوش الماذية والبابلية المتحالفة سنة ٦١٢ ق.م، ولم تقم للأشوريين قائمة بعد هذا الخراب.

هاسكالا Haskala:

كلمة عبرية معناها " الاستنارة والتقدم " وهى الحركة التجديدية التي ظهرت في القرن التاسع عشر في حياة اليهود الاجتماعية في شرق أوربا، حركة إصلاح دينى استهدفت إعادة النظر في تفسير مبادئ الديانة اليهودية لجعلها أكثر ملاءمة لظروف العصر والبيئة، وكان أهم ما تضمنته هذه الحركة حذف الصلاة من أجل استعادة أرض صهيون، والدعوة إلى إدخال الدروس العلمانية في مناهج التعليم في الأوساط اليهودية، كانت " فلنا " في شمال روسيا و " أوديسا " في الجنوب

المركزين الرئيسيين لنمو هذه الحركة. فقد ظهر فيها عدد من الأدباء كتبوا في الأدب العبرى نثرا وشعرا مما أدى إلى الانبعاث الثقافى العبرى وانبثق عن هذه الحركة أدب يهودى جديد بلغة اليديش (الألمانية القديمة) وهى لغة العامة عند اليهود.

وكان من جملة ما جاءت به هذه الحركة الدعوة إلى استعمال هذه اللغة بدلا من العبرية في المواعظ الدينية في الكنائس اليهودية، وقد كادت هذه الحركة أن تجر إلى الاندماج في البيئة المحيطة بها، غير أن المجزرة الدموية التي حدثت في روسيا ضد اليهود سنة ١٨٨١ حولت الهاسكالا من الاندماج إلى الانبعاث القومى والروح الانعزالية وإلى نمو الحركة الصهيونية وإلى اتساع الحركات الاشتراكية بين العمال اليهود (راجع نجدة فتحى صفوة، " اليهود في روسيا القيصرية من الاندماجية إلى القومية "، في مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، م٢، العدد الرابع، أيلول ١٩٧٣، ص ١٠٧ - ١٧٣).

الهكسوس:

انظر: " هجرة القبائل العربية إلى مصر في الفصل الأول، ص ١٢٦ - ١٢٧ ".

هوراس (أفارس):

اسم المدينة التي أنشأها الهكسوس في شمال الدلتا الشرقى لمصر واتخذوها عاصمة لهم ومنها كانوا يحكمون مصر الوسطى. كانت تسمى لدى الهكسوس " حات وعرت " (هوراس)، ثم أطلق عليها اليونان اسم " تانيس "، ثم أطلق عليها العرب الاسم الحالى " صان الحجر " وقد عثر فيها مؤخرا على آثار الملك شيشنق، ويرى الخبراء أن مدينة رعمسيس التي بناها رعمسيس الثانى بعد طرد الهكسوس من البلادنيت في نفس موقع هوراس (انظر رعمسيس) (الدكتور باهور لبيب، " الهكسوس عاصمة ملكهم "، المقتطف، يونيو ١٩٤٢م).

هود:

انظر عاد.

هوزال:

مدينة بابلية سكنها اليهود بعد السبى البابلى أسس فيها التنائيون في أعقاب ثورة باكوخبا مدرسة دينية سنة ١٣٢ م.

هيرودس:

هو المعروف باسم هيرودس الكبير عينه الرومان ملكا على فلسطين بعد القضاء على المكابيين (انظر المكابيون)، وهيرودس أدومى الأصل، أبوه أدومى وأمه ابنة أحد الأمراء العرب الأنباط اختلط مع اليهود بصلة الزواج، وقد اتسم حكمه الذي دام ٣٣ عاما بين سنة ٣٧ و سنة ٤ ق.م، بالاستبداد والقسوة والوحشية، والمشهور عنه أنه قام بأعمال عمرانية واسعة أهمها بناء الهيكل من جديد استرضاء لليهود.

الهيروديون:

طائفة سياسية من اليهود كانوا يميلون إلى هيرودس الكبير لكى يقربهم من الرومان.

وادى ابن هنوم:

يقع هذا الوادى جنوبى أورشليم وغربيها ورد ذكره في التوراة باسم وادى هنوم (يش، ١٨: ٨؛ نح ١١: ٣٠).

وادى قدرون:

يقع هذا الوادى شرقى أورشليم ومعنى وادى قدرون الوادى الأسود ويسمى أيضا " وادى يهوشافاط " وهو بين سور المدينة من الجانب الشرقى وجبل الزيتون ويعرف اليوم باسم " سيتى مريم " وقد ورد ذكره في التوراة عند ذكر هروب الملك داود من وجه ابنه أبشالوم (٢ صم، ١٥: ٢٣ و ٣٠).

ويران شهر:

انظر " نوزى ".

يافا:

من أقدم المدن الكنعانية في فلسطين سماها قدماء المصريين " يابو " تقع على شاطئ البحر المتوسط على بعد ٣٥ ميلا إلى الشمال الغربى من أورشليم، كانت يافا ميناء هاما فضلا عن كونها الفرضة الطبيعية لمدينة أورشليم، فمن طريق ميناء يافا نقلت أخشاب أرز لبنان لبناء هيكل سليمان) ٢ أخ، ٢: ١٦). وكانت يافا من جملة المدن التي كان قد احتلها تحوطمس الثالث (١٤٧٩ - ١٤٤٧ ق.م) في حملته المشهورة على بلاد الشرق.

ومايزال أهل يافا يروون قصة احتلالها وخلاصتها أن أحد قواد تحوطمس دعا أمير يافا إلى وليمة أسكره فيها وقتله وبعث بمن نقل إلى الأميرة بأنه زوجها قتل قائد الحملة وأنه في طريقه إلى يافا مع ٥٠٠ كيس من الغنائم ففتحت أبواب

المدينة لاستقبال زوجها مع الغنائم وإذا بخمسمائة جندى مصرى دخلو المدينة واحتلوا حصنها، تبادلها المكابيون والسلوقيون، هدمها سباسيان قائد حملة نيرون الرومانية سنة ٦٧ - ٦٨ م، أصبحت من ضمن الفتوحات العربية الإسلامية في القرن السابع الميلادى، استولى عليها الصليبيون في القرن الثانى عشر ثم استعادها العرب. دخلها نابليون سنة ١٧٩٩ والبريطانيون في أعقاب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٧.

يبنة أو يبنئيل:

مدينة قديمة في جنوب فلسطين كانت تقع في أرض يهوذا (يش، ١٥: ١١؛ ٢ أخ، ٢٦: ٦) اشتهرت في حروب المكابيين وبعد خراب أورشليم سنة ٧٠ م، اتخذها اليهود مقرا لمجلسهم الدينى (السنهدرين) وهى ما تزال في نفس موقعها وتسمى بنفس اسمها القديم وعليها اليوم قرية تقع على بعد ١٣ ميلا من جنوب يافا وثلاثة أميال شرقى البحر.

اليبوسيون:

انظر الملحق الأول " أورشليم في أول عصورها ".

يثرون:

كاهن مديان حمو النبى موسى وهو من القبائل القينية العربية.

يساكر:

ابن يعقوب من امرأته ليئة، خامس أبنائها (تك، ٣٠: ١٨، ٣٥: ٢٣).

اليطوريون:

نسبة إلى يطور أحد أبناء إسماعيل (تك، ٢٥: ١٥؛ ١ أخ، ١: ٣١، ٥: ١٩) وهم من العرب كانوا يجاورون أرض النبط اجتاحوا في أواخر القرن الأول قبل الميلاد مدن السواحل الفينيقية، ويطور اسم مقاطعة خصبة غزيرة المياه كان اسمها على الصيغة اللاتينية " أيطورية ".

يعقوب:

انظر إسرائيل.

اليمن:

انظر معين وسبأ.

اليهودية الأرثوذكسية:

كلمة أصلها يونانى ومعناها " العقيدة القويمة أو المتلزمة " كانت قد نشأت في بابل حوالى السنة ٤٠٠ ق.م، وقد سبق أن أعطيت لليهود في تشريعات عزرا ونحميا، وهذه الأرثوذكسية اليهودية التي تؤمن بالتلمود هى المسيطرة والحاكمة في إسرائيل.

يهوذا:

ابن يعقوب من امرأته ليئة (رابع أبنائها) (تك، ٢٩: ٣٥) كان هو الذي اقترح على إخوته بيع يوسف لكى يخلصه من الموت (تك، ٣٧: ٢٦)، اشتق اسم يهود منه بعد الانفصال وتأسيس مملكة يهوذا (يش، ١٥: ١ - ١١).

يوبيل:

اسم عبرى معناه الأصلى النفخ في البوق لأنهم كانوا ينفخون في الأبواق في يوم الكفارة من سنة اليوبيل، وهى السنة التي تلى أسبوع الأسابيع أى السنة الخمسين. ففى هذه السنة كانت الأشخاص والعائلات والعشائر تعود إلى حالتها الأصلية. وفيها كان يجرى تحرير العبيد العبرانى الأصلى، وجميع الرهائن والأراضى إلى أصحابها الأصليين (راجع قاموس الكتاب المقدس، الطبعة الجديدة لسنة ١٩٧١، ص١١٠٤).

يورغان تبة:

انظر نوزى.

يوسف:

ابن يعقوب من امرأته راحيل، ابنها الأول (تك، ٣٥: ٢٤).

يوسفوس:

كاهن ومؤرخ يهودى عاش في القرن الأول للميلاد له عدة مؤلفات في تاريخ اليهود القديم (انظر الفصل السادس الحاشية رقم ١ ص ٤٦٢).

يوكروم:

كلمة روسية معناها " تخريب أو تدمير " صارت تستعمل للدلالة على المذابح المدبرة ضد طبقة من الناس وأصبحت تستعمل مؤخرا لتدل بوجه خاص على المذابح المنظمة ضد اليهود في روسيا مثل مذابح سنة ١٨٨١م.

* * *

الملحق الخامس: سؤال وجواب

ما كدت أنتى من وضع مدخل كتابى " مفصل العرب واليهود في التاريخ " الذي هو بالحقيقة امتدادا لكتابى الأم " العرب واليهود في التاريخ " في طبعته الرابعة حتى تسلمت من فضيلة الأستاذ عبد الرحمن بدر الدين بواسطة المكتب العربى بدمشق لائحة تتضمن جملة من الأسئلة تدور جميعها حول كتابى الأم " العرب واليهود في التاريخ " وكذلك فقد تسلمت من الدكتور جورج صدقنى وزير الإعلام في القطر السورى أثناء زيارتى له طلبا شفهيا لبيان الرأى حول ما ورد في كتاب الثقافة الاشتراكية الذي يدرس في الجامعات السورية. فأرسلت له الرد عن طريق المكتب العربى للإعلان خطيا وأثبته هنا للأسباب التي سأسردها فيما بعد وللحقيقة والتاريخ.

وهذه اللائحة المشار إليها، إن دلت على شئ إنما تدل على ما يتحلى به مقدمها من مزايا علمية من أهمها السعى وراء الحقيقة عن طريق متابعة البحث، وتقصى الحقائق، وهذا ما يجعلها جديرة بالرد عليها.

وأنا بدورى، وبعد دراستى لها، وجدت أن مثل هذه الأسئلة الواردة فيها - كاملة أو بعضها وربما أسئلة أخرى لم ترد فيها - بإمكانها أن تراود القارئ أى قارئ، وهذا ما دعانى للرد عليها.

وبقصد جعل الفائدة أعم وأشمل وفتح باب المناقشة أمام جميع القراء فقد أفردت للرد عليها ملحقا خاصا ألحقته في نهاية الكتاب وذلك حتى أتمكن من إضافة جميع الأسئلة التي تردنى مستقبلا مع الردود عليها.

وأنا إذ أفعل ذلك إنما أفعله متوخيا منه الوصول إلى ما يلى:

١- إزالة ما وجد سهوا من هذا الكتاب إذ جل من لا يسهو وإذا كانت الفضيلة في عمل الخير فإن فضيلة الفضائل تكمن في العودة عن الخطأ ناهيك بخطأ علمى يشيع بين الناس كتلك التي بيناها في الكتاب والتى أدت إلى تشويه معالم الإنسانية.

٢- وضع الأمة العربية ولاسيما أجيالها الصاعدة أمام تاريخها الحقيقى الذي طمسه الاستعمار والصهيونية بقصد مطامع استعمارية استيطانية وإفهامها الخطر الذي يتهددها في حاضرها ومستقبلها.

٣- دفع الكتاب والمؤرخين العرب إلى إعادة كتابة تاريخ أمتهم المشرق لإملاء الفراغ الذي لم يتعرف إليه أسلافهم في تاريخهم لأحداث أمتهم هذا الفراغ

الذي يدعيها الصهاينة لأنفسهم زورا وبهتانا.

٤- وضع الأمة العربية في مواجهة تراثها الرائع ودفع حكوماتها لإحياء هذا التراث وضع منهاج لتربية أجيالها الصاعدة في هذا السبيل لخيرها وخير الإنسانية جمعاء.

٥- تعريف العالم بمكامن الخطر الذي يتهدده وأسباب إزالتها.

وأخيرا..، وأنا إذ أحيى فضيلة الأستاذ عبد الرحمن بدر الدين لمبادرته هذه، أحيى في شخصه كل قارئ عربى وغير عربى يبادر مستقبلا إلى طرح أسئلة هادفة كتلك التي من شأنها خدمة القضية العربية والخطوط المذكورة أعلاه وعدا منى بالرد عليها وإضافتها إلى هذا الكتاب عند كل طبعة جديدة مستقبلة إضافة إلى الرد عنها إلى عناوينهم الشخصية.

والله من وراء القصد

الدكتور / أحمد سوسة

* * *

س١: ما هو الدليل على أن كلمة عبرانى تعنى القبائل البدوية ومنها القبائل الآرامية؟

ج: إن كلمة عبرى وعبرانى هى نفس كلمة إبرى وهبيرى وخبيرو وعبيرو التي وردت في المصادر المسمارية والفرعونية، وهذه الكلمة لا يمكن أن تطلق على اليهود أو تعنى اليهود، لأنها وردت في هذه المصادر قبل ظهور موسى واليهود بعدة قرون إذ أنها وردت في رسائل تل العمارنة التي تعود إلى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد والتى بعثها ملوك كنعان إلى الملك أمنحوتب الثالث (١٤١٧ - ١٣٧٩ ق.م) وأمنحوتب الرابع (أخناتون) (١٣٧٩ - ١٣٦٢ ق.م). يستنجدونهما فيها ومطالبين بحمايتهم ضد هجمات " العبيرو " إذ كانت بلاد كنعان خاضعة آنئذ للحكم الفرعونى.

وهنا يبرز السؤال التالى: من يمكنه أن يكون " العبيرو " غير أبناء البادية (القبائل البدوية)؟

فعندما كتب الربانيون اليهود التوراة والتلمود في وقت لاحق، ورغبة منهم في إرجاع تاريخهم إلى زمن " العبيرو " سموا أنفسهم عبريين واتخذوا من تسمية إبراهيم الخليل بالعبرانى، بعد أن أوردها في التوراة بمعنى يهودى، ذريعة لجعله جدهم الأكبر في حين أن إبراهيم الخليل عليه السلام هو من جماعة العبيرو التي لا صله لها باليهود، ويؤكد درايغر الخبير في اللغات السامية أن كلمة عبرى بمعنى " يهودى " هى كلمة من صنع حاخامى فلسطين في وقت لاحق. وقد نبهنا القرآن الكريم إلى هذه الناحية بقوله تعالى، وهو أصدق القائلين:{ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾} [آل عمران: ٦٥ - ٦٧]، فهل بعد هذا القول من شك في انعدام الرابطة بين إبراهيم الخليل عليه السلام واليهود؟ ولم يكتف اليهود بالانتساب إلى إبراهيم الخليل، رغم انعدام الرابطة بينهم وبينه، وربط تاريخهم به بل راحوا يدعون أن لغة " العبيرو " القديمة هى لغة التوراة وسموها " عبرانية التوراة " لربط تاريخ اللغة العبرية بزمن قديم يرجع إلى زمن إبرهيم الخليل (زمن العبيرو) الذي سبق زمن ظهور اليهود إلى عالم الوجود بمئات السنين، في حين اللغة العبرية التي كتبت فيها التوراة في زمن لاحق لم تكن إلا لهجة من اللهجات الآرامية (آرامية التوراة).

وهكذا فقد استغل أحبار اليهود هذه التسمية القديمة فعزوها إلى اليهود بقصد إرجاع نسبهم ولغتهم إلى أزمان قديمة لم يكن لهم أى وجود فيها. ولكنهم مهما زيفوا الحقائق التاريخية ومهما تلاعبوا بالكلمات والتسميات فإن الحقيقة التي لا يرقى إليها شك هى أن اللغة القديمة التي كانت جماعة " العبيرو " تتكلمها بإمكانها أن تكون كل شئ إلا العبرية بمعنى اليهودية، لأن اليهود لم يظهروا إلى عالم الوجود إلا بعد عصر النبى موسى ولم يدونوا توراتهم إلا بعد زمن " العبيرو " بأكثر من ألفى سنة. إن اللغة التي كان اليهود يتكلمونها، بعد دخولهم إلى أرض كنعان هى الكنعانية التي اقتبسوها من سكان البلاد الأصليين ثم انتقلوا إلى الآرامية التي عم انتشارها جميع أرجاء الشرق الأدنى واشتقوا منها لغتهم الخاصة.

أما عن علاقة الأراميين بالقبائل البدوية فإن جميع الذين نزحوا من الجزيرة العربية واستقروا في أطراف الهلال الخصيب والذين صاروا يعرفون بأسمائهم في المناطق التي استقروا فيها مثل الكنعانيين والعموريين والآراميين به ضمن مجموعة اللغات السامية الشمالية.

إن تسمية التوراة لإبراهيم الخليل بالعبرانى ليست في الحقيقة غير نوع من مسايرة الحال باعتباره من قبائل العبيرو التي ينتمون إليها، أى القبائل الآرامية، وقبل أن يكون لليهود وجود بعد. وقد جاء في قاموس التوراة لجورج بوست (ج١، ص١ ٨) ما يفيد بأن لقب إبرام بالعبرانى لم يقصد به الإسرائيلى (اليهودى) وإنما يمكن تأويله بإبرام السائح أو المهاجر ولكن الصهاينة حذفوا هذا التفسير من الطبعة الجديدة لقاموس الكتاب المقدس مجارين بذلك أحبار اليهود الذين اعتبروا العبرية واليهودية شئ واحد في كل الأزمان والعصور.

س٢: من الشائع أن إبراهيم لقب بالخليل لأنه دفن في تلك المنطقة بينما يعزو المؤلف كلمة الخليل إلى خل بمعنى صديق وإيل بمعنى إله، وهنا يجب التأكد من أن كلمة خل كانت شائعة في ذلك العصر. وكذلك يقول المؤلف بأن اليهود انحرفوا عن ديانة موسى وابتدعوا الإله " يهوى "، ونحن نعرف حسب ما جاء في القرآن الكريم أن اليهود بعد خروجهم من مصر تركهم موسى لمقابلة الإله وعندما عاد وجدهم قد صنعوا عجلا من ذهب ليعبدوه فلام أخاه هارون، ومعنى هذا أنهم ارتدوا إلى عبادة الثور آبيس الذي كان شائعا في مصر، إلا أن التساؤل ما يزال قائما حول الديانة التي مارسها اليهود بعد وفاة موسى أو بصورة أدق

خلال الفترة الواقعة بين موت موسى وكتابة التوراة؟ أوليس من المعقول أن الإله " يهوى " كان معروفا لديهم عندما كانوا في مصر أنه حديث ابتكره مؤلفوا التوراة؟

ج٢: لقد اعتقد الأقوام منذ أقدم الأزمان أن يتخذوا من أسماء آلهتهم وأبطالهم أو من أسماء زعمائهم ورؤسائهم وأسرهم أسماء للمدن والقرى التي ينشئونها مثل آشور وأثينا وروما وكنعان وصيدون ويبوس وأفاميا وقيصرية والمستنصرية وديار بكر ولا تزال الأقوام الحديثة تتبع هذه القاعدة حتى اليوم مثل واشنطن ولينغراد، وهكذا فإن تسمية الخليل لمدينة الخليل بعد ظهور إبراهيم الخليل وليس قبله وقد كانت تسمى أربع في العهد القديم أى قبل ظهور إبراهيم الخليل كما أنها دعيت حبرون بعد دخول الموسويين أرض كنعان وما تسمية الخليل إلا تسمية حديثة جدا وتعود إلى العهد العربى الإسلامى.

أما " يهوه " فالدراسات التي أجريت في الجزيرة العربية والآثار التي عثر عليها في أنحاء متفرقة منها تدل على أنه كان معروفا في الجزيرة العربية وأنه في الأصل إله قمرى. ويرجح الباحثون أن الكاهن المديانى الموحد " يثرون " الذي زوج ابنته إلى النبى موسى كان يعبد هذا الإله " يهوه " وما لفظة " كوهين " التي أطلقها العهد القديم عليه غير لفظة " كاهن " العربية. وفى ذلك يقول العلامة ديتليف نيلسن في بحثه " الديانة العربية القديمة ": " ولدينا الكثير من الأدلة التي تؤيد أن الإله " يهوه " هو في الأصل إله قمرى، وليس معنى هذا أن الإله الذي كان يهيمن على الوجود في العهد القديم هو " إله القمر " بل المقصود منه أنه نشأ في نفس الأصول، ومثله في ذلك جميع الآلهة الشعبية والقومية، التي نشأت عنها سكت الآلهة التي نجدها في الحضارة العربية القديمة.. ومما لا شك فيه أن هذا الإله " يهوه " الذي تجلى للإسرائيليين هو إله متصل بمواطن القمر ".

ويوجد في التوراة العبرية مرادفات رئيسية لاسم الإله هى:

١- " إيل " وجمعه " إيلوهيم ".

ويذهب مفسرو التوراة إلى أن كلمة " إيل " كلمة عبرية، رغم اعترافهم بأن كلمة " إيل " موجودة في اللغة الأكدية ومعناها (إله) بصورة عامة بينما تعنى بالعبرية " الإله الواحد الحقيقى " تنبعث العبرية بأكثر من عشرة قرون، وسعيا وراء إظهارها بالمظهر العبرى يقرنونها بإحدى صفات الله مثل " إيل عليون " ليست سوى تحريف لكلمة " العلى " العربية، ومثل " إيل شداى " بمعنى " الإله

القدير "، وشداى ليست في الحقيقة غير تحريف لكلمة " شديد " العربية.

٢- " أدونى " أو " أدوناى " ومعناه " الرب والسيد " وهو الإله الذي عبده النبى موسى، ويعتقدون كثيرون أنه نفس الإله " آتون " المصرى الذي دعا أخناتون لعبادته بوصفه " الإله الواحد " رب جميع الناس وخالق ما في السماء وما في الأرض.

٣- وأخيرا الإله " يهوه " وإن ذهب مفسرو التوراة إلى أن معناه " الذي كان والذى سيكون " فإنه يبقى، بحسب أقوال التوراة " إلها خاصا بالشعب اليهودى بمفرده. ولقد حاول أحبار اليهود تجاهل الثغرة بين عهدى إبراهيم الخليل والنبى موسى، ثم ما لبثوا أن تداركوا هذا الأمر بإظهار عبادة الإله " يهوه " على المسرح وربطها بإبراهيم الخليل وموسى (تقول لبنى إسرائيل " يهوه " إله آبائكم، إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أرسلنى إليكم). وفى ذلك يقول فرويد في كتابه " موسى والتوحيد ": لقد تحرى الكهنة في سردهم أن يوجدوا استمرارا بين عصرهم وعصر موسى، وأرادوا أن ينفوا ما يمثل في نظرنا أبرز واقعة في تاريخ الدين اليهودى، وأعنى بها وجود ثغرة بين شرائع موسى والديانة اليهودية المتأخرة عنها في الزمن، ثغرة سدت في البدء بعبارة " يهوه " ثم تم التخلص منها فيما بعد رويدا وعلى مهل. ولقد كانت رواية الكهنة تخضع لنفس الميل المحرف والمشوه الذي جعل من الإله الجديد " يهوه " إله الآباء الأوائل ".

أما ديانة اليهود بعد النبى موسى فقد كانت مصراعا بين الوثنية والتوحيد وكان النبى موسى قد تنبأ لهم في حياته أنهم سينصرفون بعده عن الوصايا العشر التي أوصاهم الله بها. ويبدو من أقوال التوراة أن الموسويين عبدوا الرب طيلة أيام يشوع ولم يخطئوا أمامه سوى مرة واحدة في الحرام وقد جازى يشوع مرتكبها عخان بن كرمى بن زبدى بن زارح من سبط يهوذا جزاء يفوق حد التصور في قسوته ولا إنسانيته حيث اقتطعته من شعبه وأخذه هو وامرأته وبنيه وبناته وحميره وبقره وجميع ماله والحرام معهم ورجمهم ثم أحرقهم بالنار ورماهم بالحجارة كما أمره الرب " أو ما يفيد مثل هذا المعنى كما وأن تلك العبارة وردت أكثر من مرة في بعض الإصحاحات. وفى هذا العهد عبدوا البعليم وتركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروت بل وزنوا وراء آلهته أخرى وسجدوا لها، ثم عبدوا آلهة آرام وإلهة صيدون وإلهة مواب وإلهة بنى عمون وإلهة الفلسطينيين. وتتهم التوراة، ونحن براء مما نقول، الملك داود بالخروج على

الشريعة بارتكابه معصية الزنى والقتل المتعمد والزواج من زانية كما تتهم بيته بارتكاب كثير من الموبقات تأبى نفس المؤمن ذكرها. أما ابنة الملك سليمان فإنها تتهمه بالميل وراء نساء غريبات كثيرة ممن توصى الشريعة بعدم الدخول إليهم والشرك بالله في زمن شيخوخته، بذهابه وراء آلهة الوثنيين وبنائه المرتفعات لها، أما بعد الانقسام فإن التوراة تؤكد عودة ملوك إسرائيل ويهوذا إلى الوثنية واستمرارهم عليها حوالى ثلاثمائة حتى زمن السبى.

س٣: يقول المؤلف في الفقرة أن إبراهيم الخليل ظهر في القرن التاسع عشر قبل الميلاد بينما جاء في الفقرة ٣٧، ص ح - ح، ظهروا قبل الميلاد بـ " ٢٧٠٠ سنة " وهذا يناقض ما جاء سابقا؟

ج٣: لم أقل مطلقا في الفقرة ٣٧ " أنهم ظهروا قبل الميلاد بـ ٢٧٠٠ سنة " بل قلت ما هذا نصه " لم يظهروا إلى عالم الوجود إلا بعد الألف الرابعة قبل الميلاد بـ ٢٧٠٠ سنة " وإذا ما طرحنا ٢٧٠٠ من ٤٠٠٠ يكون ١٣٠٠ سنة، أى يكون ظهورهم سنة ١٣٠٠ ق.م وهذا هو التاريخ الصحيح لظهور النبى موسى.

س٤: في تعداد المؤلف للقرى السورية التي يتكلم أهلها لهجة (السورث) أهمل ذكر نجعة واقتصر على صيدنايا ومعلولا وجبعدين؟

ج٤: أضفت في مسودات الطبعة الجديدة وشكرا لتنبيهنا إليها.

س٥: سلالة القطر البحرى أو سلالة " بابل الثانية " كانت بالدرجة الأولى من بقايا السومريين.. والمعروف بأن " بابل الثانية " هى الكلدانيون وهم من أصل سامى وليس كالسومريين الآربين؟

ج: إن " سلالة بابل الثانية " هى غير " مملكة بابل الثانية " التي تمثل الدولة الكلدانية، وقد ظهرت هذه السلالة في القرن الثامن عشر قبل الميلاد على سواحل الخليج العربى وتمكنت من السيطرة على أكثر المدن السومرية والأكدية بعد أن كاد الجنس السومرى يتلاشى في الجنس السامى (الأكدى والعمورى). ومن هذه السلالة ظهر الكلدانيون بعد حوالى ١٢٠٠ سنة وأسسوا " مملكة بابل الثانية " (٦١٢ - ٥٣٩ ق.م) وقد سميت هذه الدولة الكلدانية بسلالة بابل الحادية عشرة، وصارت تعرف بمملكة بابل الثانية لتميزها عن " مملكة بابل الأولى " التي كان من ملوكها الملك حمورابى الشهير والتى دام حكمها ٣٠٠ عام من سنة ١٨٩٤ إلى سنة ١٥٩٥ ق.م.

س٦: في الحديث عن العهد القديم لم يؤت على ذكر الزبور علما بأن ذكره

قد ورد في القرآن الكريم فما معنى كلمة زبور؟

ج٦: الزبور كلمة وردت في الشعر الجاهلي وفي القرآن الكريم،{وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا } [النساء: ١٦٣]، ولم ترد في التوراة، ويسمى المفسرون الزبور " مزامير داود " المعروفة عند اليهود والمسيحيين، وهي عبارة عن " قصائد من الشعر الوجداني الغنائي، منها الترانيم والأناشيد التي فيها تمجيد الله وبعض الصلوات، ومنها تعليم وصايا الرب وذكر ثوابه وعقابه، وأكثر المزامير ترجع لداود النبي، وبعضها وضعت بعده " عرفت للزبور ترجمة عربية في تاريخ مبكر، يذكر الكندي أجزاء منه في رسالته.

س٧: إن الحجج التي يوردها المؤلف حول موسى وجماعته وأنها حملة مصرية مؤلفة من جماعة من المصريين ومن بقايا الهكسوس يدينون بدين التوحيد الذي ورثوه عن أخناتون، هذه الحجج ضعيفة ولا تستطيع حض الشائع من أنه تربى في قصر فرعون وقاد جماعته فيما بعد؟

ج٧: إن موسى نبي موحد نزلت عليه التوراة ولكن ليس التوراة التي كتبها الأحبار في وقت لاحق، والتوحيد الذي كان يدعو إليه هو غير التوحيد الذي يجعل من الإله " يهوه " إله اليهود وحسب. هاتان الحقيقتان ينبهان إليهما القرآن الكريم كما هو مشروح في المتن.

أما القول الشائع بأن موسى تربى في قصر فرعون، هذا القول نفسه يدعم النظرية القائلة بأن موسى كان مصريا، وهل بإمكانه أن يكون غير ذلك؟ أما القول بارتباطه ببني إسرائيل، أي بدور إبراهيم وإسحاق فإنه قول لا ينسجم مع المنطق ولا يتقبله العقل، وهذه الثغرة بين العهدين: عهد إبراهيم وعهد موسى، لم يستطع كتبة التوراة سدها حتى بعد أن أدخلوا عبادة " يهوه " لإيجاد استمرار بين العهدين. وأما عن موضوع الخروج فيدلنا المؤرخ المصري " مانيثون " من القرن الثالث قبل الميلاد أن عددا كبيرا من الهكسوس قد بقوا في مصر في منطقة " أوفاريس " عاصمة ملكهم وتحصنوا فيها بعد طردهم من الأقاليم المصرية الأخرى وأنهم ظلوا يدافعون عنها بحيث لم يستطع المصريون التغلب عليهم عنوة فاضطروا إلى مصالحتهم والسماح لهم بالخروج من مصر من غير أن يمسوا بأذى. والذي يمكن استياؤه من هذا القول أن كتبة التوراة اتخذوا من هذه الحادثة الخيوط التي نسجوا منها قصة الخروج، خرجوا منها بقصة منمقة جعلوها استمرار التاريخ قديم، عديم الوجود، ادعوه لأنفسهم بغير سند حقيقي بقصد الرجوع بأصل

اليهود إلى أقدس الشخصيات المعروفة في تلك الأزمان.

س٨: سؤال حول " أحمس = أ ح موسى "، تحتموس = تحوت موسى، رعمسيس = رع موسى (معنى موسى الطفل).

ج٨: يذهب بريستد إلى أن موسى اسم مصرى عريف بل إنه نفس الكلمة المصرية القديمة " مس " ومعناه طفل وهى مختصر من اسم مركب ككل الأسماء المركبة مثل " أمن - مس " ومعناه " آمون الطفل " أو " بتاح - مس "... ويضيف إلى ذلك قوله: " ولاشك أن والد موسى كان قد وضع قبل اسم ابنه اسم إله مصرى مثل " آمون " أو " بتاح " ثم زال ذلك الاسم الإلهى تدريجيا لكثرة التداول حتى صار الولد يدعى " موسى ". وقد ذكر المؤرخ المصرى " مانثيون " الذي عاش وكتب تاريخه المشهور في حدود ٢٨٠ ق.م أن موسى من أهل هليوبوليس وأحد كهانها وكان اسمه " أوسارسيف " على اسم " أوسيرس " إله هليوبوليس ولكنه بدل اسمه إلى موسى، وأنه قد تزعم ثورة على عبادة الأوثان التي كان يمارسها السكان. أما المؤرخ اليهودى يوسفوس فيعيد القصة التي أوردتها التوراة ويضيف إليها أن الفرعون المصرى " ثرمويتس " هو الذي اختار لموسى هذا الاسم لينسجم مع رواية انتشاله من النهر، وهذا الاسم مؤلف من كلمتين " مو " ومعناها الماء في لغة المصريين و " أوس " التي تشير إلى معنى الإنقاذ من مكان ما. ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن الكاهن الأعلى لمدينة ممفيس، عاصمة مصر المشهورة في عهد تحوطمس الثالث (١٤٧٩ - ١٤٤٧ق.م) كان يدعى " بتاح موسى " وقد عثر على هرم له.

س٩: في مطلع الصفحة يقول المؤلف بأن موسى كلم قومه باللغة المصرية على وجود التأكيد بينما يقول في وسطها أن لغة الشريعة على الأرجح هى اللغة المصرية، أى مع الترجيح دون التأكيد؟

ج٩: لقد تم استدراك ذلك في الطبعة الجديدة.

س١٠: ورد فيها أن ملك الحيثيين هو موتاليس بينما المدون أنه خاتوسيل.

ج١٠: إن ملك الحيثيين مواتاليس حكم بين سنة ٣١٥ و ١٢٨٥ق.م، وقد وقعت معركة قادش، على نهر العاصى، جنوب - غرب حمص (تل النبى مند حاليا)، بينه وبين رعمسيس سنة ١٢٩٩ ق.م، أما المعاهدة الأخيرة التي اشتملت

على عقد الصلح بين الحيثيين والمصريين فقد وقعت سنة ١٢٦٩ ق.م بين رعمسيس وبين الملك الحيثى حاتوشيلى الثالث الذي دام حكمه خمسا وعشرين سنة من سنة ١٢٧٥ إلى ١٢٥٠ ق.م، وهو أحد الملوك الحيثيين الذين خلفوا موتاليس.

س١١: إن ما ورد حول استشهاد المؤلف بما كتبه العلامة مندنعول وقوله بأن دولتى داود وسليمان وثنيين وأن ما جاء في التوراة حول غضب الإله على سليمان وتمزيقه لدولته يتناقض مع ما ذكره القرآن الكريم وما أحاط به سليمان من كرامات.

ج١١: إن البحث العلمى يتطلب من الباحث أن يتجرد من العاطفة والميول ويفتح صدره لسماع كل ما يقال ولتمحيص كل ما يسمع والإلمام بكافة جوانب الموضوع الذي يبحثه فيستعرض جميع الآراء من غير أن يتقيد بما يرغب فيه وحسب، ومن ثم يستخلص منها الحقائق التاريخية التي يقبلها المنطق والعقل السليم على ضوء القناعات التي تتولد لديه. إن الذي كنت أرمى إليه من الاستشهاد بأقوال العلامة مندنهول هو أن الثقافة الكنعانية بما فيها الوثنية هى التي كانت سائدة في فلسطين في زمن داود وسليمان. وإذا ما قيل إن الدولة كانت وثنية في عهد داود وسليمان فإن هذا لا يعنى مطلقا أن أحدا من داود أو سليمان كان وثنيا، ثم ألم تكن وجود في فلسطين في عهد داود وسليمان أقوام تدين بالوثنية؟ أو لم تكن تلك الأقوام تشكل أكثرية سكان البلاد الساحقة واليهود أقلية بينهم.

س١٢: ورد في الصفحة ٢٥ من كتاب الثقافة الاشتراكية ما يلى: كان اليهود في القرن الثامن عشر قبل الميلاد يشكلون قبائل متنقلة في جنوب العراق، ويعتقد بعض المؤرخين أن هذه القبائل كانت قد هاجرت من شبه الجزيرة العربية، وهاجرت هذه القبائل اليهودية من جنوب العراق متجهة شمالا، ثم غربا، ثم انعطفت نحو الجنوب حتى وصلت إلى فلسطين التي كانت تسمى أرض كنعان.

ج١٢: إن أقدم وجود لليهود في العراق كان في القرن الثامن قبل الميلاد عندما غزا الملك الأشورى " تجلات بلاسر الأول " (٢٤٥ - ٧٢٧ ق.م) مملكة إسرائيل سنة ٧٣١ ق.م، وسبى اليهود إلى آشور في شمال العراق، ثم جرد خلفه الملك شلمنصر الخامس (٧٢٧ - ٧٢٢ ق.م) حملة تأديبية على إسرائيل فحاصر عاصمتها السامرة مدة ثلاث سنوات، وقبل أن يظفر بالنصر النهائى وافته المنية في الشهر العاشر من عام ٧٢٢ ق.م ولكن القائد الأشورى أتم مهمته باحتلال

السامرة في نهاية العام على عهد سرجون الثانى (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) خلف شلمنصر الخامس، وبذلك قضى على مملكة إسرائيل نهائيا. وقد أجلى سرجون الثانى إلى ناحية حران وإلى ضفة الخابور وميديا وأحل محلهم أقواما من مختلف أنحاء الإمبراطورية، وكانت عادة الأشوريين الفاتحين تشتيت أسراهم في أماكن جبلية نائية من إمبراطوريتهم الواسعة، وذلك للحيلولة دون تكتلهم وتجمعهم وممارسة دياناتهم وثقافاتهم مما يوحى إليهم أمل العودة إلى التي أجلوا عنها.

هذا كان أول وجود لليهود في العراق كأسرى.

وقد أعقب ذلك فتح الكلدانيين، فغزا الملك نبوخذ نصر الذي حكم في بابل ٤٣ سنة بين سنة ٦٠٥ و ٥٦٢ ق.م مملكة يهوذا، وذلك في حملتين الأولى في سنة ٥٩٧ ق.م والثانية في سنة ٥٨٦ ق.م. فقضى عليها ونقل أهلها إلى منطقة بابل، وكان ذلك خلاف عادة الأشوريين الذين كانوا يشتتون أسراهم في مناطق جبلية نائية عن أوطانهم، فمكن ذلك اليهود من التجمع في المنفى وتكوين مجتمعهم المنعزل الخاص بهم في منطقة بابل.

ونستخلص مما تقدم أن اليهود وجدوا في العراق لأول مرة كأسرى بين منتصف القرن الثامن قبل الميلاد وأوائل القرن السادس، أى في الفترة الواقعة بين سنة ٧٤٥ ق.م و ٥٨٦ ق.م البالغة حوالى ١٦٠ سنة (بعد القرن الثامن عشر بألف سنة) أما قبل ذلك فلم يكن لهم أى وجود لا في شبه جزيرة العرب ولا في جنوب العراق. لذلك فإن القول بأنهم هاجروا من جزيرة العرب ووجدوا في جنوب العراق في القرن الثامن عشر قبل الميلاد قول لا يستند إلى أى واقع تاريخى وليس له أى نصيب من الصحة، لأن اليهود واليهودية ذاتها جاءت بعد عصر النبى موسى عليه السلام ولم تكن قد ظهرت بعد في القرن الثامن عشر قبل الميلاد. وترديد العرب لمثل هذه الأقوال العارية من الصحة هو ما يرقص له الصهاينة لأنه بمثابة تأييد لحقهم التاريخى في البلاد العربية قد جاء على لسان وباعتراف العرب أنفسهم.

ولقد روج اليهود والحاخامون بوجه خاص مثل هذه الادعاءات القائلة بوجود اليهود في شبه جزيرة العرب وفى جنوب العراق منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد بغية إرجاع تاريخهم إلى عصور قديمة وربط أصلهم بالعرب في أزمان لم يكن لهم أى وجود فيها. لقد حان الأوان بعد أن أصبح لدينا الآن معلومات وحقائق تاريخية إثر الكشوف الأثرية، لأن ينتبه العرب إلى هذه الحقائق التاريخية ويشجبوا مثل هذه

الادعاءات المزيفة التي لا تستند إلى أى الادعاءات المزيفة المخالفة للحقائق التاريخية والتى تعطى للصهاينة مستمسكا باعتراف العرب بحقهم التاريخى ليس فقط بفلسطين بل في البلاد العربية.

س١٣: ورد في الصفحة ٢٥ أيضا ما يلى:

" إن كلمة إسرائيل هى كلمة عبرية معناها " شعب الله " أو " قوم الله " أما كلمة يهود فتعود إلى يهوذا، أحد أبناء يعقوب الذين يمثلون البقية الباقية بعد الأسر البابلى ".

ج١٣: إن إسرائيل كلمة عربية كنعانية الأصل معناها عبد الإله إيل الإله الواحد. الإله العلى التي أطلقتها التوراة على يعقوب حفيد إبراهيم الخليل (وظهر الله ليعقوب وقال له لا يدعى اسمك فيما بعد بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت تك: ٢٨) وقد ورد ذكر إسرائيل في الكتابات المصرية فذكرت بين المدن الفلسطينية على أن الكلمة كنعانية (سامية الأصل) وهى ترمز إلى شخص وإلى منطقة معينة في فلسطين تحمل نفس إسرائيل كانت تحظى بقدسية روحانية بين سكان المنطقة وذلك قبل ظهور موسى واليهود بعدة قرون.

أما القول بأن إسرائيل كلمة عبرية معناها شعب الله المختار أو قوم الله فغير وارد، وهذا القول كغيره من الادعاءات اليهودية يراد به إرجاع جميع الأسماء الواردة في التوراة إلى أصل عبرى أى يهودى.

أما كلمة يهودى وجميعها " يهود " فهى متأخرة، فقد درج أكثر الكتاب والباحثين على الأخذ بالرأى القائل بأن تسمية " يهود " منسوبة إلى يهوذا الرابع رابع أبناء يعقوب. وهذا يخالف الواقع لأن اليهود لم يكونوا قد وجدوا في عهد يعقوب وابنه يهوذا، فقد وجدوا بعد ظهور النبى موسى وجماعته. وتسمية يهوذا مثل تسمية إسرائيل كانت تطلق على إحدى المناطق الكنعانية في فلسطين منذ العهد الكنعانى القديم جريا على العادة المتبعة في تسمية المدن والمناطق بأسماء الأشخاص من ذوى الشهرة والقدسية الذين يتخذون هذه الأماكن مسكنا لهم أو مقاما مؤقتا. وبعد أن نزحت جماعة النبى موسى إلى فلسطين تكونت مملكة يهوذا في وقت لاحق أى بعد عصر يعقوب ويهوذا ابنه بحوالى ألف عام في منطقة يهوذا الكنعانية فسميت باسمها ثم انتشر استعمال اسم اليهود نسبة إلى مملكة يهوذا المقرضة حتى صارت تطلق على كل من يدين باليهود. والدليل على أن ذلك أول

تسمية لليهود وصلتنا على لسان الملك الأشورى سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق.م) حيث سمى حزقيا ملك يهوذا بـ حزقيا اليهودى " حزقيا اليهودى " أى المنتسب إلى مملكة يهوذا.

س١٤: ورد في الصفحة ٢٦: أن اليهود انطلقوا من العراق وقسم من المهاجرين ذهب إلى حواشى الجزيرة العربية وسكنوا بعض المدن فيها كيثرب وخيبر.

ج١٤: وهذا أيضا لا يستند إلى واقع تاريخى لأن اليهود في الجزيرة عموما يرجعون في الأصل إلى قبائل عربية خالصة تهودت عن طريق التبشير باليهودية كما أن القبائل العربية المنتصرة تم تنصرها بنفس الطريقة، ويؤكد الباحثون أن اليهود كانوا يبثون الدعايات التي ترمى إلى ربط القبائل العربية المتهودة بيهود فلسطين لإقناع العرب بأنهم هم واليهود من ذرية أب واحد، ويرى فريق من الباحثين المطلعين " أن هذه الطريقة من سنن اليهود المألوفة إذ لوحظ عليها كثيرا أنهم متى رأوا المصلحة في التودد إلى قوم قالوا أنتم إخواننا ونحن وأنت صنوان ".

وظلوا منذ ذلك العهد إلى ظهور الإسلام وهم يبذلون جهدهم في إشراب العرب عقيدة أنهم جميعا ذرية أب واحد حتى نجعت فيهم هذه الأكذوبة التي كان العرب أجهل من أن يتبينوا ما فيه من كذب وتلفيق، هذا ولا يخفى أن طبيعة هجرات الأقوام لا تتم من المحيط المدنى إلى المحيط الصحراوى مثل جزيرة العرب والعكس هو الصحيح.

س١٥: ورد في الصفحتين ٦ و ٧ أن الهجرات من شبه جزيرة العرب تمت لسببين: الأول يعود إلى إمكانات الاستيعاب الاقتصادية المحدودة بالجزيرة العربية، والثانى هو أن النظم الاجتماعية التي كانت قائمة لم تتناسب بتطورها من مرحلة إلى أخرى مع تطور حجم المجتمع وحاجاته... إلخ.

ج١٥: إن العلماء يتفقون بشبه الإجماع على أن السبب الرئيسى لهذه الهجرات هو التغير المناخى أى الجفاف الذي ساد في منطقة الجزيرة العربية نتيجة لهذا التغير مما اضطر الإنسان والحيوان إلى أن يهاجر إلى مناطق أخرى ذات أنهر طبيعية حيث الماء والأرض، كوادى الأردن ووادى النيل ووادى الرافدين، وأعظم التجمعات والحضارات ازدهرت في وادى النيل ووادى الرافدين لما فيها من إمكانيات معاشية، ففى وادى الرافدين قامت أربع

إمبراطوريات عظمى في الفترة بين سنة ٢٣٧١ وسنة ٥٣٥ قبل الميلاد (فترة حوالى ألفى سنة)، وهى الأكادينية (٢٣٧١ - ٢٢٣٠) والبابلية القديمة (١٨٩٤ - ١٥٩٥ ق.م) والأشــورية (١٥٩٥ - ٦١٢ ق.م) والكلدانيــة (٦١٢ - ٥٣٥ ق.م) وقد امتد سلطان بعضها حتى شمال أرض وادى النيل ذاتها، ولولا تواجد الأنهر وتوفر الأرض الخصبة لما قامت هذه الحضارات التي سميت بحق الحضارات النهرية، إن ممارسة الرى والزراعة في البلاد المهاجر إليها هى التي أوجدت النظم الاقتصادية والاجتماعية بل نظم الحكم وفكرة الدولة، وهى التي طورت الحضارة الصحراوية إن صح هذا التعبير إلى حضارة مدنية تخضع إلى تلك النظم.

كما يتفق الباحثون في أصول أقوام الشرق الأدنى أن سكان الجزيرة العربية كانوا قبل حلول فترة الجفاف في نهاية العصر الجليدى يتمتعون بحضارة قومية في الطرف الجنوبى من شبه جزيرة العرب، وقد كانت هذه البلاد في تلك الأزمان (أى في العصر الجليدى) عامرة بأنهارها الدائمة الجرى وبأمطارها الغزيرة الدائمة، إلا أنها تعرضت إلى تغيرات مناخية في نهاية العصر الجليدى الأخير في حدود سنة ٢٠.٠٠٠ قبل الميلاد الأمر الذي أدى إلى انحباس الأمطار واندثار الأنهار، فأخذ الجفاف ينتشر منذ ذلك الحين في النطاق الصحراوى الحالى حتى سادت الرمال فيها. مما اضطر الإنسان والحيوان إلى الهجرة بدافع الغريزة إلى أماكن ذات موارد مائية دائمة، فكان أن توجه هؤلاء السكان إلى شمال الجزيرة ومنها أخذوا يتوزعون على أطراف الهلال الخصيب المجاورة للجزيرة في موجات متعاقبة، فمنهم من توجه شرقا نحو بلاد الرافدين، وبصورة خاصة نحو نهر الفرات، ومنهم من استقر في فلسطين وفى سورية وفى لبنان، وهناك من توجه غربا نحو طور سيناء وأطراف وادى النيل الأسفل الشرقى.

بغداد في ١٥ / ٧ / ١٩٧٥
الدكتور / أحمد سوسة

* * *

الفهارس

العرب واليهود في التاريخ

فهرس التصاوير

فهرس التصاوير

فهرس التصاوير

* * *

فهرس المرتسمات والخارطات

الفهـرس

* * *